قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

BOBST LIBRARY
3 1142 01570 1728

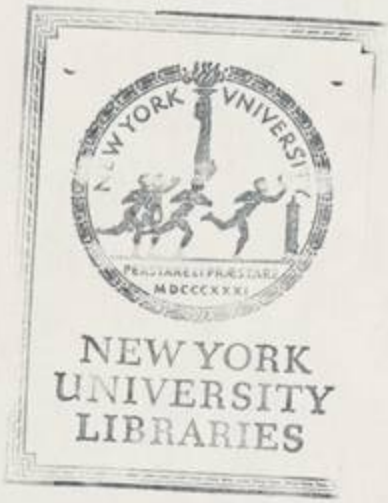

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Faraj, Fu'ad
al-Qāhirah
al-Qāhirah
(Cairo)

المدن المصرية

وتطوراتها مع العصور

مجموعة فنية تاريخية

المجلد الثالث

القاهرة

(١)

V.1

تاريخ المدن القديمة ودليل المدينة الحديثة

١٩٤٣

فؤاد فرج
مهندس بالبلديات بمصر

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

7821-103

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Near East

DT
143
.F3
v.1
c.1

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عطف سام ملكى

تعطف به مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول أدامه الله

ديوان جلالة الملك
مكتب الرئيس

رقم ٢٨٤ (٤٠٧٤)

حضرة المحترم الأستاذ فؤاد فرج
المهندس بأدارة البلديات العامة ، بالقاهرة ·

رفعت الى عتبات مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم النسخة التى قدمتموها من كل من مؤلفيكم القيمين " الاسكندرية " و " منطقة قنال السويس ومدن القنال " ، كباكورة لما شرعتم فى وضعه من الكتب التاريخية عن المدن المصرية ، فنالتا من لدن جلالته، حفظه الله ، حسن القبول ·

ويسرنى أن أبلغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامى ·

وتقبلوا أطيب التحية ·

١٥ مايو سنة ١٩٤٢ — رئيس ديوان جلالة الملك

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

إلى

مليك النيـــل المفدى

فخر مصر مليكنا المحبوب

فاروق الأول

أعزه الله

أرفع كتابى « القـاهرة »

الخادم المخلص الأمين

فؤاد فرج

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر المعظم

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

آراء الصحف

فى كتاب « المدن المصرية »

١ — صورة ما نشرته جريدة الأهرام الغراء بتاريخ ١٩٣٧/٧/٣ تحت عنوان :

المدن المصرية

أصدر الأستاذ فؤاد فرج المهندس الجزء الأول من كتابه « المدن المصرية » وهو خاص بمدينة الإسكندرية . والموضوع كما يرى القارىء يكاد يكون جديداً فى اللغة العربية أو هو كذلك فعلا .

وقد وضح المؤلف فكرته من إصدار كتابه هذا فقال فى مقدمة الكتاب :

لاحظت أن فى مصر مجالا واسعاً ممتعاً لدرس تاريخ المدن المصرية وما اشتهرت به من فنون وجمال وما كانت عليه من عز ونمو وغنى واتساع ، فدفعنى ذلك إلى تدوين ما عرفته عن تلك المدن من عهد إنشائها فى أقدم العصور المعروفة وتتبع تطوراتها مع الزمن إلى عهدنا الحالى .

و يشتمل كتاب الإسكندرية على اثنى عشر فصلا عرض فيها المؤلف لتاريخ المدينة وملوكها وأبطالها ومعالمها وآثارها ومبانيها واتجاه العمران فيها وحالة سكانها اجتماعياً وخلقياً .

فهو ينقلك إلى ما قبل الميلاد باثنتين وثلاثين وثلاثمائة سنة ليحدثك عن الإسكندر المقدونى وما كان من أمر استدعائه للمهندس « دينوكرات » وتكليفه وضع تخطيط شامل للمدينة وما يزال فى دراسته و بحثه حتى يردك إلى القرن العشرين فترى الاسكندرية الحديثة من خلال رسم فنى جامع التقطته الفوتوغرافيا بواسطة إحدى الطائرات

و بين هذا وذاك تعرف موقع المدينة من الوجهة الجيولوجية وظل العصر الرومانى فى أرضها بما فى ذلك العصر من حوادث وأبطال وقياصر وملوك ، ثم يعرض المؤلف للعصر المسيحى منذ القرن الثالث إلى القرن السابع بعد الميلاد ويتناول العصر العربى من القرن السابع إلى القرن السادس عشر بعد الميلاد . و يتدرج من هذا إلى العصر التركى فعصر محمد على الكبير .

و يعد الفصل الذى عقده المؤلف على دراسة « أهم معالم المدينة القديمة » من خير فصول الكتاب وأنفعها . فقد شرح بالتفصيل شوارع الاسكندرية القديمة وشواطئها وموانئها البحرية وترعتها ومنارتها ومسلة كليوباترا فيها وعمود السوارى وقبر الإسكندر وقبور البطالسة والسرايات الملكية وحمامات الاسكندرية وضواحيها فى العصرين اليونانى والرومانى وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره .

وقد أفاض المؤلف فى الكلام عن الاسكندرية ومكتبتها ومعابدها وملاعبها بأسلوب طلى يشهد له بالبراعة والكفاءة والتمكن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والكتاب يقع فى أكثر من ١١٠ صفحة من الورق الجميل عدا ما فيه من الصور والخرائط والرسوم وقد تفننت « مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر » فى إخراجه على أحسن صورة فجاء تحفة فنية علمية جديرة بالاقتناء .

---

٢ — صورة ما نشرته جريدة الأهرام الغراء بتاريخ ١٨/٥/١٩٤٢ تحت عنوان :

المدن المصرية « منطقة قنال السويس »

تستقبل المكتبة المصرية اليوم سفراً جليلا عن « منطقة قنال السويس » وهو نمط جديد من الدراسة الحديثة المعروفة باسم « جغرافية المدن التاريخية » .

ومصر غنية بهذه المدن ذات التاريخ العريق ، وهى جديرة بأن يفرغ لها الدارسون العلماء المحققون ، ليملئوا الفراغ الذى نحسه فى مكتبتنا القومية ، ويزودوها بحاجتها إلى الدراسات المصرية .

وقد تقدم إلى هذا الميدان ، حضرة الأستاذ « فؤاد فرج المهندس بالبلديات » فأصدر كتاباً من قبل عن « مدينة الاسكندرية » واليوم يصدر المجلد الثانى عن « منطقة قنال السويس » مصدراً بكلمة حضرة الأستاذ الجليل محمد رمزى بك .

والكتاب موضوع على أحدث الأساليب العلمية ، ويتسم بالدقة والضبط والتحقيق وهو يقع فى أكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة ، وفيه مجموعة ممتازة من الخرائط والرسوم واللوحات الهندسية ، ويطلب من مكتبة المعارف .

---

٣ — صورة ما نشرته جريدة المقطم الغراء بتاريخ ١٣/٦/١٩٤٢ تحت عنوان :

كتاب « منطقة قنال السويس »

هذا كتاب ضخم ، ألفه الأستاذ فؤاد فرج المهندس بالبلديات وأخرجته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر . وفى هذا الكتاب الفريد فى بابه وصف للقرى والأماكن المشهورة فى المنطقة الشرقية من الديار المصرية . وجاء الوصف دقيقاً شاملا ، ودخلت فيه عدة مسائل بين تاريخية ودينية وجغرافية واجتماعية واقتصادية و إدارية ، متماسكة على مدار الزمن .

وأفاض المؤلف فى وصف النيل وتعداد فروعه وخلجانه . وذكر تاريخ القنال نفسه وما لحقه من الامتيازات والأعمال الهندسية والتقلبات السياسية ، مع تعيين المدن والقرى القديمة والحديثة ، التى وقعت على جوانب القنال .

ويزيد فى نفاسة الكتاب ، تلك الخرائط والصور الفوتوغرافية التى تزينه وتقرب للقارىء الفوائد على اختلاف ضروبها .

ونحن نهنىء المؤلف بهذا السفر الجامع النافع ونرقب المزيد فى تاريخ حضارة مصر العمرانية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة

بسم الله أفتتح كتابى الثالث

مقدمة

كان من أعز الأمانى إلى نفسى حين أخرجت الكتابين الأول والثانى عن مدينة « الاسكندرية » وعن « منطقة قنال السويس ومدن القنال » اللذين استهلت بهما مجموعتى عن « المدن المصرية » ، أن أتمكن من إخراج الكتاب الثالث من هذه المجموعة عن مدينة « القاهرة » فى العيد الألفى لعاصمتنا الخالدة ، وفى السنة التى أوشك فيها مشروع « بلدية القاهرة » أن ينضج ، ويصبح حقيقة واقعة ! ! . . . .

لولا بعض الصعوبات التى اعترضت تنفيذ هذا المشروع الجليل .

وإنه لتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن تتحقق أمنيتى ، وأن أتمكن من حصر هذه الدنيا المنيفة ، دنيا القاهرة « أم الدنيا » مع تنسيق الكتاب بالطريقة التى جريت عليها فى مجموعتى وهى ربط الحديث بالقديم ، وتتبع تطورات مدينة « القاهرة » ، بمعناها الحديث لا بمعناها التاريخى ، منذ نشأتها فى أقدم العصور المعروفة إلى الآن ! ! !

إن لقاهرة المعز أجداداً وأسلافاً ، إنها نشأت فى وسط المنطقة التى قامت فيها من قبل « منف » و « عين شمس » فى العصر الفرعونى ، ثم الفسطاط والعسكر والقطائع وهى مجموعة المدن التى أطلق عليها اسم « مصر » فى العصر العربى بسبب الحالة القديمة التى كانت قبل هذا العصر .

فالفصل الأول من تاريخ « القاهرة » يبدأ فى الواقع منذ عهد إنشاء مدينة « منف » ! ! ! . . . لأن « قاهرة المعز » أو « قاهرة القرون الوسطى » التى وضع أساسها جوهر الصقلى فى يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (يوليو سنة ٩٦٩ م) ليست إلا مرحلة من مراحل تطور العواصم المصرية السابقة ، المتوغلة فى القدم ، التى نمت وترعرعت فى هذه المنطقة ، والتى كانت فى كل عصر من عصورها سيدات العواصم وعرائس المدن ! !

تمتد إذن أصول مدينة القاهرة إلى ما وراء عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك بآلاف السنين ! !

ولأجل أن تكون دراستها على أساس صحيح ، لا بد من دراسات عميقة عن انتقال الحضارة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

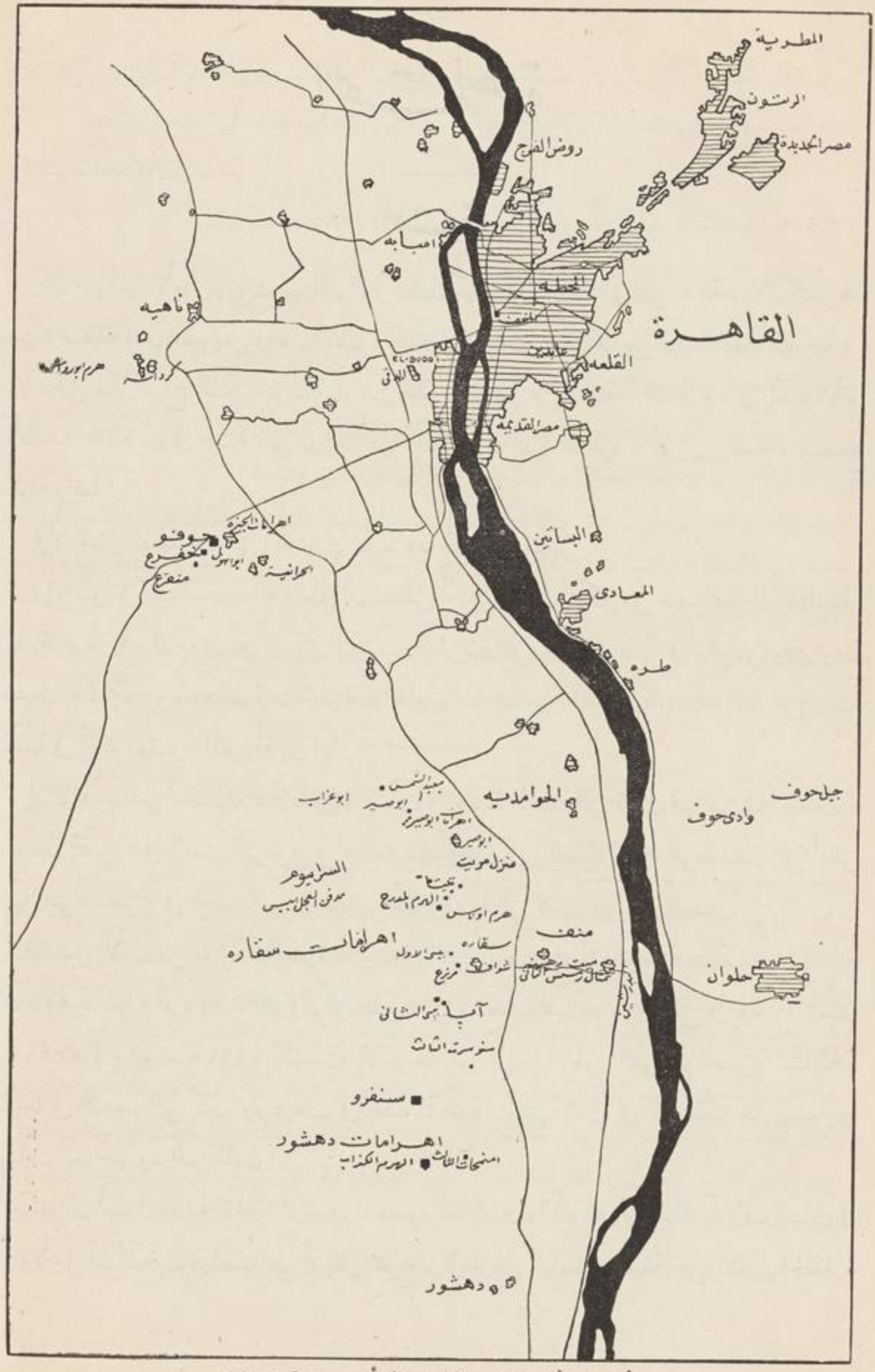

يبدأ الفصل الأول من تاريخ القاهرة منذ تأسيس مدينة منف ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وانتشارها فى العواصم التى قامت قبلها ، لا بد من بيان ما امتازت به حضارات تلك العواصم وثقافاتها من ظواهر كان لها أثرها الاجتماعى الواضح فى حياة مدينة « القاهرة » ! !

لا بد من إعارة أهمية خاصة لدراسة البيئة الجغرافية وأثرها الاجتماعى والعمرانى فى حياة هذه العواصم !

لا بد من دراسة المعالم البارزة فى هذه المنطقة ، لا بد من دراسة مناخها وجيولوجيتها وتطورات مدنها واقتصادياتها وحالة سكانها الاجتماعية والعمرانية وعاداتهم وأخلاقهم قديماً وحديثاً .

وقد رأيت ، تحقيقاً لهذه الأغراض ، إخراج كتاب « القاهرة » فى ثلاثة مجلدات حتى أتمكن من استيعاب هذه الدراسات المتشعبة ، ومن إبراز طابع « القاهرة » الشرقى الجذاب الذى كاد يندثر فى معمعة الحياة الحديثة ، ومن تصوير سحر « القاهرة » وجمالها وجاذبيتها وشعرها ! !

فإذا تحقق لى هذا الغرض فإن واجبى يكون قد تم ! !

وقد بلغت رسالتى . . .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر بوافر الثناء والشكر حضرة الأستاذ الجليل والعالم القدير محمد رمزى بك ، فقد وجدت فى مذكراته الخاصة عن القاهرة وخططها ، وعن البلدان المصرية ومعالمها ، كنزاً ثميناً زاخراً يفيض علماً وبحثاً وفضلاً . وقد تفضل عزته باعارتى بعض هذه المذكرات فأثبتها فى الفصل العاشر من هذا الكتاب وفى غيره من الفصول . ولا يسعنى إلا أن أتقدم إلى عزته بالشكر الوافر على هذه الأريحية راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يمد فى حياته النافعة إنه سميع مجيب .

ولا يفوتنى أيضاً أن أذكر بوافر الثناء والشكر حضرة الأستاذ الجليل فؤاد عبد الملك صاحب متحف الشمع وصاحب امتياز عين حلوان الجديدة ، فقد وجدت فى مذكراته عن مدينة حلوان الحمامات معلومات جديدة نادرة أثبتها أيضاً فى الفصل التاسع من هذا الكتاب ، فله منى جزيل الشكر .

وإنى مدين أيضاً لجهات أخرى كثيرة أهلية وحكومية بما أمدونى به من معلومات نافعة مفيدة فلهم جميعاً شكرى وثنائى .

أما مراجع هذا الكتاب فكثيرة جدا أثبتنا أهمها فى القائمة المرافقة .

والله أسأل أن يوفقنى والسلام ؟

المؤلف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كتاب « القـــاهرة »

أهم المراجع العربية

١ — البكباشى عبد الرحمن زكى — القاهرة فى جزئين : طبعة سنة ١٩٣٤ و سنة ١٩٣٥
٢ — محمد السيد النعناعى — حوض النيل طبعة سنة ١٩٤٠
٣ — سمو الأمير عمر طوسون — وادى النطرون طبعة سنة ١٩٣٥
٤ — محمد عبد الله عنان — تاريخ الجامع الأزهر طبعة سنة ١٩٤٢
٥ — محمد عبد الله عنان — مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية طبعة سنة ١٩٣١
٦ — كلوت بك — لمحة عامة إلى مصر فى مجلدين (ترجمة محمد بك مسعود) طبعة سنة ١٨٤٠
٧ — معالى الدكتور حسن صادق باشا — الجيولوجيا طبعة سنة ١٩٣١
٨ — أمين سامى باشا — تقويم النيل فى ستة مجلدات : طبعة سنة ١٩١٣ و ١٩٢١ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦
٩ — عبد الرحمن بك الرافعى — تاريخ الحركة القومية فى ثلاثة أجزاء : طبعة سنة ١٩٢٩
١٠ — عبد الرحمن بك الرافعى — عصر اسماعيل فى مجلدين طبعة سنة ١٩٣٣
١١ — سمو الأمير عمر طوسون — البعثات العلمية فى عهد محمد على طبعة سنة ١٩٣٤
١٢ — على باشا مبارك — الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وقراها فى عشرين جزء : طبعة سنة ١٨٨٨
١٣ — عبد الرحمن الجبرتى — عجائب الآثار فى التراجم والأخبار فى أربعة مجلدات : توفى سنة ١٨٢٥
١٤ — تقى الدين المقريزى — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار فى أربعة مجلدات : توفى سنة ١٤٤١ م
١٥ — ابن جبير — رحلة أبن جبير : توفى سنة ١٢٠٤ م
١٦ — البستانى — دائرة المعارف : توفى سنة ١٨٧٠ م
١٧ — محمد عبد الله عنان — مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام : طبعة سنة ١٩٢٩
١٨ — أبو العباس أحمد القلقشندى — صبح الأعشى فى صناعة الانشا فى ١٤ جزء : توفى سنة ١٤١٨ م (طبعة القاهرة سنة ١٩١٤)
١٩ — الأستاذ سليم بك حسن — مصر القديمة فى جزئين : طبعة سنة ١٩٤٠
٢٠ — ناصر خسرو — رحلة ناصر خسرو فى مصر ليحى الخشاب (مخطوط بمكتبة جامعة فؤاد الأول)
٢١ — بيانات ومحاضر — لمصلحة المناجم
٢٢ — تقويم الحكومة — سنة ١٩٣٩
٢٣ — ابن حوقل — المسالك والممالك
٢٤ — السخاوى — الضوء اللامع
٢٥ — أحمد كمال باشا — الحضارة المصرية القديمة
٢٦ — ياقوت الحموى — معجم البلدان : توفى سنة ١٢٢٤ م
٢٧ — أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . طبعة دار الكتب المصرية وتعليقات محمد بك رمزى عليها (١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣٢ و ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٨ و ١٩٣٩)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢٨ — ابراهيم محمد المصرى المعروف بابن دقماق — الانتصار لواسطة عقد الأمصار — طبعة سنة ١٣١٤ م
٢٩ — جورجى زيدان — تاريخ التمدن الاسلامى فى خمسة أجزاء : طبعة (سنة ١٩١٤ و ١٩٢٦ و ١٩٣١ و ١٩٢٧ و ١٩١٩) .
٣٠ — محمد عبد العزيز مرزوق — مساجد القاهرة قبل عصر المماليك : طبعة سنة ١٩٤٢
٣١ — عبد الهادى حماده ومحمد زكى فور — دليل آثار الأقصر : طبعة سنة ١٩٤٢
٣٢ — محمود باشا أحمد — دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة : طبعة سنة ١٩٣٨
٣٣ — أحمد شفيق باشا — الرق فى الاسلام تعريب أحمد زكى باشا
٣٤ — يوسف جرجس — الرحلة البطريركية إلى الأمبراطورية الآثوبية : طبعة سنة ١٩٣٠
٣٥ — الدكتور بتلر — فتح العرب لمصر تعريف الأستاذ فريد أبو حديد : طبعة سنة ١٩٣٣
٣٦ — مصلحة المساحة — الدليل الجغرافى لأسماء المدن والنواحى : طبعة سنة ١٩٤٠
٣٧ — محمد عبد الجواد الأصمعى — قلعة محمد على لا قلعة نابليون : طبعة سنة ١٩١٤
٣٨ — أبو البركات محمد بن إياس — بدائع الزهور فى وقائع الدهور ثلاثة أجزاء : طبعة سنة ١٨٩٣
٣٩ — جورجى زيدان — تاريخ مصر الحديث فى مجلدين : طبعة سنة ١٩٢٥
٤٠ — إسماعيل سرهنك باشا — حقائق الأخبار عن دول البحار فى مجلدين طبعة سنة ١٨٩٦
٤١ — أحمد شفيق باشا — مذكراتى فى نصف قرن : طبعة سنة ١٩٣٤
٤٢ — إلياس الأيوبى — تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل فى مجلدين
٤٣ — عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين السيوطى — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جزءان طبعة سنة ١٩٠٩
٤٤ — على بك بهجت — حفريات الفسطاط : طبعة سنة ١٩٢٨
٤٥ — الدكتور حسن إبراهيم حسن — الفاطميون فى مصر : طبعة سنة ١٩٣٣
٤٦ — عبد اللطيف البغدادى — وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ ميلادية : طبعة سنة ١٩٣٢
٤٧ — صالح بك على — الخرائط التاريخية
٤٨ — التقارير السنوية لوزارة الأشغال العمومية من سنة ١٩٣٠ إلى الآن
٤٩ — فؤاد فرج — الاسكندرية : طبعة سنة ١٩٣٧
٥٠ — فؤاد فرج — منطقة قنال السويس ومدن القنال : طبعة سنة ١٩٤٢
٥١ — الدكتور محمد عوض محمد — نهر النيل
٥٢ — إحصاء شركات المساهمة — دليل الحكومة :طبعة سنة ١٩٤٢
٥٣ — مقتبسات عن النيل والرى والفلاح المصرى وعواصم مصر الاسلامية من الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية
٥٤ — نشرات من متحف فؤاد الأول الزراعى ومتحف سكك حديد الحكومة المصرية والمتحف المصرى ودار الآثار العربية ومتحف الشمع وشركات الملاحة .
٥٥ — ابن عبد الحكم — فتوح مصر : توفى سنة ٨٧١ م
٥٦ — المقدسى — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : توفى سنة ٩٩٠ م
٥٧ — الادريسى — نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : توفى سنة ١١٥٣ م

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٥٨ — أبو صالح الأرمنى — أخبار من نواحى مصر : توفى سنة ١١٥٥ م
٥٩ — ابن بطوطة — تحفة النظار فى غرائب الأمصار : توفى سنة ١٣٧٨م
٦٠ — ابن الجيعان — التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : توفى سنة ١٣٩٨م
٦١ — الأطلس المتيورولوجى لمصر : طبعة سنة ١٩٣١
٦٢ — الأرصاد الجوية : نشرات المرصد المصرى بحلوان
٦٣ — كراسات الاحصاء سنة ١٩٣٧
٦٤ — أطلس مصر : سنة ١٩٣٨
٦٥ — محمد أمين حسونه — مصر والطرق الحديدية : طبعة سنة ١٩٣٨
٦٦ — عمر عبد العزيز أمين — تاريخ البريد فى مصر : طبعة سنة ١٩٣٤
٦٧ — سمو الأمير عمر طوسون — صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على باشا : طبعة سنة ١٩٤٠
٦٨ — معالى محمود بك سليمان غنام — المعاهدة المصرية الانجليزية : طبعة سنة ١٩٣٦
٦٩ — دليل الجمعية الجغرافية الملكية المصرية : طبعة سنة ١٩٣٤
٧٠ — دليل المتحف القبطى فى جزئين : طبعة سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٢
٧١ — دليل متحف سكك حديد الحكومة المصرية : طبعة سنة ١٩٣٣
٧٢ — المتحف المصرى — موجز فى وصف الآثار الهامة : طبعة سنة ١٩٣٧
٧٣ — البكباشى عبد الرحمن زكى — الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير طبعة سنة ١٩٣٩
٧٤ — مذكرات خاصة بحضرة الاستاذ الجليل محمد بك رمزى مفتش المالية السابق
٧٥ — مذكرات خاصة بحضرة الأستاذ الجليل فؤاد عبد الملك صاحب ومدير متحف الشمع عن حلوان وينابيعها المعدنية
٧٦ — خرائط مجسمة بالجمعية الجغرافية الملكية المصرية
٧٧ — خرائط مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ١٠٠٠
٧٨ — خرائط مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ٥٠٠٠
٧٩ — خرائط مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ٧٥٠،٠٠٠
٨٠ — لبيب حبشى وزكى تاوضروس — فى صحراء العرب والأديرة الشرقية : طبعة سنة ١٩٣٩
٨١ — محمد صابر — يوم مع قدماء المصريين فى منف طبعة سنة ١٩٣٩
٨٢ — محمد صابر — من أدب الفراعنة : طبعة سنة ١٩٣٧
٨٣ — محمد حسنين مكاوى — التقدم العمرانى لمدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى : طبعة سنة ١٩٣٨
٨٤ — أنطون زكرى — الحكومة الاشتراكية منذ ٣٥٠٠ سنة — مصر الاقتصادية فى عهد الأسرة ١٨ الفرعونية : طبعة سنة ١٩٣٥
٨٥ — المجلة الطبية المصرية
٨٦ — المجلات المدرسية وسواها

القاهرة فى يونيو سنة ١٩٤٣

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كتاب «القاهرة»

أهم المراجع الافرنجية

1. Abbate — Les Origines du Caire — 1880.
2. Casanova — Essai de Reconstitution Topographique de la ville d'Al Foustat ou Misr. Le Caire 1919.
3. Captain Creswell — Chronology of Muslim Monuments. 1917.
4. Capt. Creswell — The Foundation of Cairo 1933.
5. Mrs. Devonshire. — Rambles in Cairo 1917.
6. Marcel Clerget — Le Caire 2 vols. 1934.
7. Mme R.L. Devonshire: L'Egypte Musulmane et les Fondateurs de ses Monuments 1926.
8. Stanley, Lane Poole : 1) The Story of Cairo. 2) Cairo, sketches of its history, monument, and social life. 1895.
9. Reynolds Ball : The City of the Califs 1897.
10. Mrs Butcher : The Story of the Church of Egypt. 2 vols. 1899.
11. Capt. Creswell — The Citadel of Cairo
12. G. Ebers — Egypt: descriptive Historical & Picturesque. 1878.
13. Fraser. R. : — Cairo Past and Present 1892.
14. Margolioth : Cairo, Jerusalem and Damascus. 1907.
15. Migeon G. : Le Caire, Le Nil et Memphis 1928.
16. Poole E.W.L. : Cairo fifty years ago. 1896.
17. Ravaisse. P. : Esssai sur l'Histoire et sur la Topographie du Caire d'après Makrisi. 1887. — 1890.
18. Rhoné A : L'Egypte à Petites Journées 1865.
19. Pauty E : Les Palais et les Maisons, d'Epoque Musulmane au Caire. 1932.
20. Gabriel Hanotaux :, Histoire de la Nation Egyptienne. 9 vols 1936.
21. Hautecœur et M. Wiet : Les Mosquées du Caire 1933.
22. L. Gaidey: Voyage du Sultan Abd el Aziz de Stamboul au Caire. 1865.
23. Linant de Bellefond: Mémoires sur les Principaux Travaux d'Utilité Publique exécutés en Egypte 1872.
24. M. Briggs: Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine 1927.
25. Page May: Helwan and the Egyptian Desert 1901.
26. Bulletins de la Société de Géographie d'Egypte.
27. Architecture Antiquités.
28. Le Monde Illustré.
29. Le Tour du Monde.
30. Hérodote I & II.
31. A. Moret Le Nil et la Civilisation Egyptienne.
32. A. Moret: La Nation Egyptienne.
33. Karl Baedeker: Egypt and The Sudan.
34. W. Willcocks and Craig: Egyptian Irrigation.
35. Henry Lyons: Physiography of the River Nile.
36. Emil Ludwig: The Nile in Egypt.
37. Expédition de Bonaparte: Description de l'Egypte.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

38. S.A. Le Prince Omar Toussoun : Mémoires sur les Anciennes Branches du Nil Tome IV.
39. Flinders Petrie : The Arts and Crafts of Ancient Egypt.
40. Flinders Petrie : The Egyptians.
41. Y. Breasted : A History of Egypt.
42. Phil. Schan : Through Bible Lands.
43. British Museum : A guide to the Egyptian Collections.
44. S H. Robinson : Civilisation.
45. F.E Griffith : The Religious Revolution in Egypt.
46. H R. Hall : Egypt in the Brillance of Decay.
47. Budge : Books on Egypt and Caldea. XIV, XV, XVI.
48. Mallet : Histoire Romaine.
49. Brooks : Climate throughout the Ages.
50. Hume F. : Survey of Egypt; Geological Depart. Cairo 1925.
51. A.D. Mechenzi : The Story of Ancient Egypt.
52. S.A. Le Prince Omar Toussoun. Mémoires de l'Institut d'Egypte.
53. S.A. Le Prince Omar Toussoun. Mémoires sur l'Histoire du Nil.
54. Voyage dans la Basse et dans la Haute Egypte, pendant les Campagnes de Bonaparte, 2 vols,
55. Henri Gauthier : Dictionnaire des Noms Geographiques Contenus dans les Textes Hiéroglyphiques.
56. La Grande Encyclopédie.
57. Encyclo, Britannica.
58. E. Amélineau : La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Copte.
59. Brugsch : Dictionnaire Géographique de l'Ancienne Egypte.
60. Recueil Général des Contrats. Ministère des Finances 1908.
61. L'Egypte et ses Bhemins de Fer : Lionel Wiener. 1932.
62. The Overland Route : Europe - India : Thomas Waghorn.
63. The National Geographic Magazine Washington P.C.
64. J.M. Carré : Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte 2 vols.
65. Sladen, D : Things ought to be seen in Cairo.
66. Guides Bleus illustrés : Le Voyage d'Egypte; Alexandire, Le Caire 1929.
67. The Coptic Church of El-Muallaka and others at old Cairo by Rev. Shenouda Hanna 1939.
68. Fernand Leprette - Egypte, Terre du Nil - 1939.

القاهرة فى يونيو سنة ١٩٤٣

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بيـانات

عن العيـــد الألفى

لمدينة القاهرة كعاصمة للقطر المصرى

هل مضى العيد الألفى لمدينة القاهرة ولم تحتفل مصر فيه بعاصمتها الخالدة ؟ بكل أسف . . . نعم .

ولكننا سنحاول هنا أن نتحايل على التاريخ ، لنقدم إلى مدينتنا الساحرة تحية العيد لا باعتبارها مدينة ولدت منذ ألف عام هجرى ولكن باعتبارها عاصمة البلاد المصرية منذ ألف عام هجرى .

لقد كان تعيين ميعاد العيد الألفى لمدينة القاهرة موضوع جدل طويل بين الهيئات العلمية . . .

إلا أننى أرى أن أسهل الأمر هو ما يأتى :

إن « القاهرة » اعتبرت عاصمة البلاد السياسية ، ومقر الخلافة الإسلامية ، منذ نزل بها الخليفة المعز لدين الله الفاطمى فى ولده وأهله وعشيرته وأمواله ومعه جثث أسلافه سـنة ٣٦٢ هـ ، وعلى ذلك يتم لهذه العاصمة من العمر ألف عام هجرى سنة ١٣٦٢ هـ . وابتداء سنة ١٣٦٢ هـ يوافق يوم ٧ يناير سنة ١٩٤٣ م .

دخلت الجيوش الفاطمية مدينة « مصر » (الفسطاط) بقيادة جوهر الصقلى فى ١٧ شعبان سـنة ٣٥٨ هـ (يوليو سنة ٩٦٩ م) ، وفى نفس اليوم الذى دخل فيه جوهر مدينة الفسطاط ، وضع أساس المدينة الجديدة ، واختار لها الموقع الذى عسكر فيه جنده إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط ، وابتدأ فى حفر أساس قصر جديد لسيده المعز ، فكان هذا مولد القاهرة المعزية .

ولكن هل يمكن اعتبار هذا التاريخ هو ابتداء وجود « القاهرة » كعاصمة للبلاد المصرية ؟

إن العاصمة لا توجد فعلا إلا إذا وجدت ثلاثة عناصر : أولهـا المنشآت الدينيـة والسياسية والمدنية ، وثانيها الملك ، وثالثها الشعب .

ففيما يختص بالعنصر الأول ، حيث أن أهم منشآت العاصمة الجديدة دينياً وسياسياً وهو « جامع القاهرة » الذى سمى بعد ذلك « الجامع الأزهر » لم يبدأ فى إنشائه إلا فى ٢٤ جمـادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (أبريل سنة ٩٧٠ م) ولم يتم ويفتتح للصلاة إلا فى يوم ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفيما يختص بالعنصر الثانى ، حيث أن الخليفة المعز قدم إلى مصر ودخلها فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ الموافق ١٥ يونيو سنة ٩٧٣ م ، ونزل بالقاهرة فى القصر الكبير الذى أعد لنزوله ، وتولى شئون مملكته الجديدة بنفسه فى هذه السنة .

وفيما يختص بالعنصر الثالث ، حيث أن الخليفة سمح بعد ذلك لحاشيته وكبار رجال مملكته بإقامة مساكنهم داخل أسوار المدينة الملكية الجديدة .

فعلى ذلك يمكن اعتبار أن القاهرة غدت عاصمة الدولة الفاطمية ومقر الخلافة الإسلامية فى هذا التاريخ أى سنة ٣٦٢ هـ ويكون عيدها الألفى فى سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) كما قلنا سابقاً .

و إذا أردت تحديداً أدق من ذلك فقل إنه يمكن اعتبار يوم ٧ رمضان سنة ١٣٦٢ هـ (٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ م) هو يوم ذكرى العيد الألفى لمدينة القاهرة كعاصمة للبلاد المصرية .

وبهذه المناسبة رأيت من واجبى ، كرجل شغف بدراسة المدن المصرية ، وتطوراتها مع الزمن ، أن أعرض على أبناء وطنى الأعزاء ، لا تطورات عاصمتنا الجميلة فى الألف سنة الماضية فحسب ، وهو ما نسميه القاهرة بمعناها التاريخى ، بل رأيت أن أرجع إلى الأصول الأولى فأعرض « قاهرة الفاروق الملكية » ، وهو ما نسميه القاهرة بمعناها الحديث ، التى تمتد أصولها إلى ما وراء عصر « قاهرة المعز » بآلاف السنين أعنى إلى « منف » و « عين شمس » ! . . . .

وها هو ذا الجزء السادس من كتاب « المدن المصرية » عن أجداد « القاهرة » أعنى « منف » و « عين شمس » و « مصر » وسواها من القرى والضواحى . وفى مقدمتها استعراض شائق مزين بمجموعة نفيسة من الصور والخرائط لعواصم القطر المصرى فى العصور المختلفة . وسيتلوه الجزء السابع عن أسلاف القاهرة أعنى « الفسطاط » و « العسكر » و « القطائع » . ثم الجزء الثامن عن « قاهرة المعز » من يوم إنشائها إلى الآن .

فإليكم يا بنى النيل أصول مدنكم وقراكم ! . . .

والله أسأل أن يوفقنى والسلام ؟

المؤلف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بيـانات

عن بلدية القـاهرة

لا يتأتى لامرىء درس تاريخ مدينة القاهرة وتطوراتها ، وقارن بينها و بين عواصم الممالك الأخرى فى العـالم أو حتى بينها و بين مدينة الاسكندرية دون أن يعجب كيف تظل القاهرة للآن بدون بلدية ؟

والواقع أن التفكير فى إنشاء بلدية القاهرة يرجع إلى عهد قديم كما هو معلوم . فقد فـكر ولاة الأمور فى الموضوع فترة غير قصيرة من الزمان ، ثم ألفوا لجنة كبيرة لوضع مشروع قانون لإنشاء البلدية ونظامها . وأنجزت اللجنة مشروع القانون والنظام بين سنة ١٩٣٨ و سنة ١٩٣٩ . وقد تلافت اللجنة فيه كل ما دلت تجربة بلدية الاسكندرية على أنه كان مصدر صعوبة لهـا ، أو بعبارة أخرى راعت اللجنة وهى تضع مشروعها جميع الصعوبات التى واجهتها بلدية الإسكندرية فدبرت حلا لها . إلا أن المشروع لم يبت فيه نهائياً فكان تارة يتحرك وطوراً يرجأ لظروف تستجد إلى وقتنا هذا . . . .

لقد اتسع العمران فى القاهرة اتساعاً عظيما وكثر عدد العمارات الـكبيرة وأنشئت فى المدينة بعض المنشآت للترفيه عن الشعب ولكن ناحية المرافق العامة إجمالا لم تساير هذا التوسع فى العمران .

وأقل ما يقال فى هذا الصدد أن معظم شوارع العاصمة ليست بالمظهر الذى يجب أن تكون عليه .

وأما تجميل المدينة فيفتقر إلى عمل واسع النطاق فى حين أن الاسكندرية تقدمت كثيراً فى هذه الناحية !

فاذا كانت وزارة الصحة تهتم بمشروع تجميل القاهرة و بإنشاء متنزهات للأطفال فى الأحياء الوطنية فضلا عن اهتمامها بإعادة تخطيط هذه الأحياء وجعلها مستكملة للشروط الصحية مع تحسين مظهرها ، فان تنفيذ هذا المشروع الضخم يحتاج إلى وجود مجلس بلدى للمدينة !

و إن من يرى حياً عظيما كالزمالك أو جاردن ستى أو الدقى أو غير ذلك يدهش من تنافر المبانى تنافراً يتنافى مع الذوق السليم . هـذا فوق أن التخطيط العجيب لشوارع حىّ جاردن ستى يجعل الرجل الغريب الذى يدخل فى شارع من شوارع هذا الحى يظل ساعات يبحث عن مخرج له يؤدى به إلى مقصده فلا يجده !

ثم ماذا تقول عن المبانى الشاهقة بلا موجب فى أحياء أنيقة خلقت للفيلات أو على الأقل لعمارات صحية متناسبة مع ارتفاعها فلا تقتل ما حولها من مساكن . فإصلاح هذه الحالة أيضاً يحتاج إلى وجود مجلس بلدى للمدينة !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

إن القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتنظيم المبانى ، والقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتقسيم الأراضى المعدة للبناء كفيلان بتنفيذ فكرة وضع قواعد عامة لكل حى طبقاً لرسم إجماعى يتفق عليه عن : « القاهرة فى المستقبل » .

ولكن تنفيذ هذين القانونين يحتاج أيضاً إلى وجود مجلس بلدى للمدينة !

إن إنشاء مصيف بالقاهرة يؤمه العمال والعائلات التى لا تساعدها حالتها المالية على السفر إلى الاسكندرية أو إلى مصيف رأس البر ، على منوال ما هو متبع فى بعض البلدان الأجنبية . إن تجميل شواطىء النيل البديعة الساحرة الممتدة من حلوان جنوباً إلى فم ترعة الاسماعيلية شمالا على نظام فنى حديث أمر سهل لا يحتاج إلا لقليل من الحزم لجعل هذا النهر فتياً سعيداً فرحاً كنهر الدانوب فى ڤينّا بدلا من تركه شبحاً صامتاً حزيناً كما هى حالته الآن .

ولكن هذا أيضاً يحتاج إلى وجود مجلس بلدى للمدينة !

القاهرة — شواطىء النيل البكر الجميلة الساحرة الممتدة من حلوان جنوبا إلى فم ترعة الاسماعيلية شمالا !!

والآن !!

لو كان للقاهرة مجلس بلدى لما أجاز استمرار هذه الحالة !!

فهل ستنعم القاهرة قريباً بهذه الخدمة الجليلة على يدى وزير الصحة الحازم معالى الدكتور عبد الواحد بك الوكيل!

هذا ما نأمله ! بل ما نثق بأنه سيحققه !

والله الموفق والسلام ؟

المؤلف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة

الفصل الأول

استعراض
عواصم القطر المصرى فى العصور المختلفة

يبدو العيد الألفى لمدينة القاهرة بمعناها التاريخى من أجمل المناسبات لاستعراض ذكرى العواصم المصرية السابقة، وبيان أعمارها، وما اشتهرت به من فنون وجمال، وما امتازت به حضاراتها وثقافاتها من ظواهر كان لها أثرها الاجتماعى الواضح فى حياة مدينة « القاهرة » عاصمتنا الخالدة. فنقول:

حينما كانت الدنيا لما تزل نائمة، والعالم طفل يحبو إلى الحياة، وقبل العصور التاريخية بآلاف السنين، كانت توجد بمصر مدن ملكية ذائعة الصيت مهيبة الجانب قوية الشكيمة. وكان الوجه البحرى مملكة قائمة بنفسها عاصمتها مدينة « بوتو » (Bouto)، كما كان الوجه القبلى مملكة قائمة بنفسها عاصمتها مدينة « نخن » (Nekhen).

فأين هى هذه العواصم الآن؟

إنك لا تكاد تجد فى العالم مدناً ظفرت بتعاقب جملة من الأسماء عليها قديماً وحديثاً كما ترى فى المدن المصرية. وذلك لسبب ظاهر وهو توالى الفتوح والاستعمار على هذه البلاد ومحاولة كل مستعمر، خصوصاً اليونان والرومان، إطفاء الجذوة الوطنية والنعرة القومية فى مصر التى كانت تفاخرهم بآثارها وحكمتها وتاريخها. فحاول اليونان والرومان طمس الأعلام المصرية وتضييع معالم الأسماء الفرعونية وخلق أسماء جديدة فيها رطانة يونانية ورومانية لعل مصر تنسى مع الزمن أسماء مدنها ومجد تاريخها وعزة ملوكها.

ولكن على الرغم من هذا، فان الأسماء المصرية عادت إلى الظهور، وإذا كان أصابها بعض التحريف أو المسخ أو التحويل أو الترجمة أو التقديم أو التأخير فإننا لا نعدم وسيلة لتصحيحها وإعادتها إلى أصولها لأن هذه الأسماء بالغة العراقة فى القدم.

عاصرت التوراة فاحتفظت التوراة باسمها، ثم حفرت أسماؤها على أحجار المعابد وبقيت فى أوراق البردى.

وقد ظلت العصور حفية بها أمينة عليها حتى أسلمتها إلى العصر الحاضر.

نقول إذن أين توجد مدينة « بوتو » ومدينة « نخن » عاصمتا المملكة البحرية والمملكة القبلية؟

والجواب على ذلك بسيط.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فمدينة «بوتو» لايزال اسمها باقياً فى قرية أبطو الحالية الكائنة على بعد ١١ كيلومترا إلى الشمال الشرقى لمدينة دسوق بمديرية الغربية . وتقع هذه القرية على ترعة أبطو المتفرعة من بحر نشرت وهو فرع من فروع النيل الذى عرف أيام البطالسة باسم الفرع الثرموتيا كى (Thermutiaque) .

وكان الوجه البحرى مملكة قائمة بنفسها عاصمتها مدينة « بوتو »

(وترى المدينة بأسوارها العالية المنيفة ويتوسطها قصر الملك والمعبد وحوله مساكن الشعب . كما ترى جماعة من الصيادين ومعهم كلاب الصيد القديمة وقد اصطادوا سبعاً ضخما من الغابة القريبة . ووقفت هذه المرأة الفلاحة للتفرج عليه) .

ويوجد فى شمال هذه القرية تل يعرف الآن باسم تل أنطو وهذا التل هو البقية الباقية من عاصمة المملكة البحرية . وفى العصر اليونانى قامت على أطلال بوتو مدينة سماها اليونان « فراجونيس » (Phragonis) ، ويعرف مكانها حالياً باسم تل الفراعين .

أما « نخن » عاصمة المملكة القبلية السياسية فمكانها اليوم القرية المعروفة باسم الكوم الأحمر الواقعة بمركز أدفو بمديرية أسوان . وكان اسمها فى العصر اليونانى (هيراكون بوليس) . وكان يقع تجاه هذه المدينة على البر الشرقى للنيل مدينة « نيخاب » العاصمة الدينية لهذه المملكة ومكانها اليوم القرية المعروفة باسم الكاب بالقرب من المحاميد وكان اسمها الرومى « أيليا تيا بوليس »

وظلت هاتان المدينتان عاصمتى المملكتين البحرية والقبلية مدة ٦٠٠ سنة تقريباً من سنة ٤٠٠٠ إلى ٣٤٠٠ ق . م .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

خريطة تبين مواقع العواصم المصرية وأهم معالمها القديمة

العاصمة الأولى — مدينة طينة

هذا ما كان قبل تاريخ الأسر .

أما بعد توحيد هاتين المملكتين ، وهو الحادث الذى ظلت المدنية المصرية تردده آلاف السنين ، حتى فى عهد الاحتلال اليونانى والرومانى .

أقول إنه بعد توحيد المملكتين ، وفى عهد الأسرة الأولى والثانية ، أى من سنة ٣٣١٥ إلى سنة ٢٨٩٥ قبل الميلاد أصبحت مدينة طينة أو تنيس (Thinis) أو تيس (This) ، مسقط رأس الملك مينا الأول هى عاصمة القطر المصرى ، ولا تزال آثار هذه العاصمة موجودة تحت مساكن قرية البربا الحالية الواقعة على بعد ستة كيلومترات غربى مدينة جرجا .

وكانت الطينة محل إقامة الملوك الطبيعية لأنها بلدهم الأصلية ، فكانت قصورهم وأملاكهم فيها ، كما كانت مدينة (أبيدوس) (العرابا المدفونة) بمركز البلينا هى العاصمة الدينية لملوك مصر فى هذا العصر .

ولكن الملك مينا الأول رأى إنشاء عاصمة سياسية للمملكة المتحدة عند رأس الدلتا . فأسس مدينة اسمها بالهيروغليفية إنب — حز ومعناها « القلعة البيضاء » ، وهى التى سميت فى عصر الأسرة السادسة (منفار) والتى ذكرت فى التوراة باسم (نوف) وسماها اليونان منفيس ، وعرفت فى العصر المسيحى والعصر العربى باسم « منف » وظلت هذه المدينة من بعده مركزاً حكومياً ينتقل إليها الملك فى المناسبات الرسمية .

العاصمة الثانية — مدينة منف

وفى ابتداء عصر الأسرة الثالثة سنة ٢٨٩٥ قبل الميلاد كان لمدينة القلعة البيضاء (إنب — حز) جاذبية خاصة جعلت ملوك هذه الأسرة يهجرون الصعيد ويقيمون نهائيا فيها خصوصاً

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد كانت ، بالقرب منها مدينة أون (عين شمس) وهى العاصمة الدينية للملكة البحرية ومركز الثقافة والجامعات المدنية التى كان يشع منها نور العرفان على البلاد جميعها .

وظلت منف عاصمة القطر المصرى السياسية من ابتداء حكم الأسرة الثالثة حتى نهاية حكم الأسرة الثامنة أى من سنة ٢٨٩٥ إلى سنة ٢٣٦٠ ق . م . لمدة ٥٣٥ سنة .

ولم يبق من آثار هذه العاصمة إلا أحجاراً وتماثيلاً منثورة يقابلها الإنسان فى سيره بين البدرشين وقرية ميت رهينة (Mat Rahnt) ومعناها طريق الكباش (Le Chemin des Sphinx) . فهنا حيث كانت الشوارع الجميلة والميادين الواسعة والمعابد الفخمة والقصور الضخمة والمنازل العامرة لم يبق إلا مقبرة عظيمة منتشرة وسط سكون صحراء ليبيا تمتد من أهرام أبو رواش شمالا حتى أهرام اللاهون جنوباً ومن طره والمعصرة شرقاً إلى حدود صحراء ليبيا غرباً على جانبى النيل ، وقد غطت أشجار النخيل السهول المتخلفة عن عاصمة مصر الكبرى وجعلت من المقبرة التى ترقد فيها هذه المدينة رقدتها الأبدية مكاناً ظليلا جديراً بذكراها وعظمتها .

وظلت منف منذ تأسيسها سنة ٣٣١٥ ق . م . وتحويل مجرى النيل لإفساح المكان لجلالها إلى أن هجرت بعد الفتح الإسلامى سنة ٦٤١ م واستعملت أحجارها لعمارة مدينة الفسطاط أى لمدة أربعة آلاف سنة تقريباً ، مدينة عظيمة تنبعث منها أشعة لامعة أنارت طريق المدنية قرونا طويلة عديدة .

العاصمة الثالثة — اهناسية المدينة :

وفى سنة ٢٣٦٠ قبل الميلاد قامت بالقطر المصرى ثورة جامحة ضد الطبقات الأرستقراطية التى كان بيدها زمام الحكم . وكانت مدن الوجه البحرى أكثر المدن هياجا فانتقل البلاط الملكى جنوبا إلى مدينة هونن سوتن (Hunensuten) الفرعونية التى ذكرت فى التوراة باسم (حانيس) وعرفت فى العصر القبطى باسم (أهنس) وفى العصر اليونانى باسم هيراكليوبوليس مجنا (Héraklèopolis Magna) واسمها الآن اهناسية المدينة وهى تقع على بحر يوسف بمركز بنى سويف على بعد ١٥ كيلومترا غربى مدينة بنى سويف .

وظلت هذه المدينة عاصمة القطر المصرى من سنة ٢٣٦٠ إلى ٢١٦٠ ق . م . لمدة ٢٠٠ سنة تحت حكم الأسرة التاسعة والعاشرة . ومكانها الآن أطلال خربة بها بعض أعمدة من بقايا الكنائس القبطية . وقد لعبت هذه المدينة دوراً هاما فى سياسة البلاد الخارجية والحربية حتى الفتح الاسلامى سنة ٦٤١ م حيث أفل نجمها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العاصمة الرابعة — مدينة طيبة

ثم انتقل الملك إلى مدينة طيبة التى ذكرت فى التوراة باسم (نو أمون) وفى النصوص الهيروغليفية باسم (نوت آمون) ومعناها مدينة آمون ، كما عرفت عند الفراعنة أيضاً باسم (أواست) (Ouast) ومعناها مدينة الصولجان . ولا تزال بعض بقايا هذه العاصمة فى الأقصر والكرنك ، وفى وادى الملوك والملكات والدير البحرى والشيخ عبيد القرنة والرمسيوم ومدينة هبو الواقعة على الشاطئ الغربى للنيل المواجه لها .

وظلت طيبة عاصمة البلاد المصرية لأول مرة من سنة ٢١٦٠ إلى سنة ١٦٦٠ ق . م . من ابتداء حكم الأسرة الحادية عشرة حتى نهاية حكم الأسرة الثالثة عشرة لمدة ٥٠٠ سنة .

وكان ثراء أهل هذه العاصمة يضرب به المثل . وذاع صيت مدينة آمون ذات المائة باب من الذهب ، التى كان يخرج من كل منها مائتا جندى بخيولهم وعرباتهم فى كل صباح لتحية فرعون مصر .

وفى العصر الذى كانت فيه منف عاصمة البلاد ، اكتفى ملوك مصر بتوطيد أركان المملكة المصرية . ولكن لما أصبحت طيبة هى العاصمة ، تحول ملوك مصر إلى غزاة وفاتحين ودوخوا ممالك أفريقيا وآسيا وملأوا طيبة بالذهب والغنائم .

العاصمة الخامسة — مدينة أفاريس

وفى سنة ١٦٦٠ ق . م . اغتصب الهكسوس الحكم فجأة وحكموا مصر بالحديد والنار من سنة ١٦٦٠ إلى سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد لمدة ٨٠ سنة وكونوا الأسر ١٤ و١٥ و١٦ و١٧ وجعلوا عاصمتهم مدينة (أفاريس) أو (أوارت) (Avaris) .

أما موقع هذه المدينة فهو المعروف عند قدماء المصريين باسم (حات أوارت) (Hât-Ouart) وحالياً باسم تل الحير أو الهر الواقع إلى جنوب تل الفرما (بيلوز القديمة) على بعد ٣٥ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقى من مدينة بور سعيد .

وكان عدد جيش الاحتلال الهكسوسى المقيم داخل أسوار هذه المدينة ٢٤٠ ألف جندى .

ويمكن مشاهدة بقايا هذه العاصمة من سكة حديد فلسطين الحالية . فبعد مغادرة القنطرة بمدة نصف ساعة تقريباً يرى الانسان فى الصحراء على مدى البصر مبانى قديمة مهدمة مربعة الشكل مشرفة على بركة جافة ، تلك هى بقايا ثكنات عاصمة الهكسوس التى أنشئت على فرع النيل البيلوزى . وتمتد آثار هذه المدينة حتى تتصل بآثار مدينة بيلوز . ولم تكن بيلوز فى الحقيقة الا ضاحية من ضواحى المدينة الفرعونية الأصلية (فرامى) أو (براما) التى سماها القبط (برامون) أو (برما) وسماها العرب الفرما ويعرف مكانها الآن باسم تل الفرما .

وقد طغى اسم (بيلوز) على المدينة فى العصر اليونانى وعرفت به .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العاصمة السادسة — مدينة طيبة ثانياً

ثم عاد الاستقلال إلى البلاد وعاد الملك إلى مدينة طيبة للمرة الثانية و بقيت طيبة عاصمة القطر المصرى للمرة الثانية من سنة ١٥٨٠ إلى ١٠٩٠ ق . م . لمدة ٤٩٠ سنة تحت حكم الأسر ١٨ و ١٩ و٢٠ إلا فى فترات قصيرة كانت فيها مدينة (أختاتون) التى أنشأها الملك أخناتون عاصمة للبلاد ولا تزال آثارها بجوار تل العمارنة بمركز ملوى بمديرية أسيوط .

جاء فى إحدى أوراق البردى من عهد الأسرة ١٨ :

« طيبة سيدة مدن القطر المصرى وهى أقواها . عقد لها النصر فأخضعت مملكتى القطر لسيد واحد » .

« تنشأ جميع المدن باسمها وهى تشرف عليها جميعها » .

وكانت المركب المقدسة — مركب آمون — تسير محمولة على أكتاف الكهنة من معبد الكرنك وتخترق طريق الكباش يحف بها كبار كهنة آمون وهم يلبسون جلد النمر على أكتافهم، وفرعون مصر يدور حولها بمبخرة يتصاعد منها الدخان الذكى الرائحة إلى أنف تمثال آمون المتربع فيها . ويسير هذا الموكب حتى يصل إلى معبد الأقصر بين جماهير لا تحصى أتت من جميع جهات القطر المصرى تحمل أعلاما عليها شعار أقاليم ومدن مصر التى تمثلها تلك الوفود العديدة .

وانتشرت المعابد بين مدينة هبو والجرنة بسفح الجبل وامتلأت الصخور بالقبور منذ أقدم العصور .

وقد سقطت قصور ملوك طيبة، ولكن المعابد الجنائزية لم تزل قائمة . فهناك معبد الملكة حاتشبسوت فى الدير البحرى وهو مبنى على طبقات فى سفح الجبل ، ومعبد سيتى الأول بالجرنة وفيه من بدائع الفن ما يدهش ، ومعبد رمسيس الثانى فى الرمسيوم .

و بعد طرد الهكسوس من مصر امتلأت طيبة بالغنائم الحربية فى عصر الأسرتين ١٨و١٩ ، وبالأموال المتحصلة من الفديات المضروبة على الشعوب المغلوبة فى أرض كنعان وسوريا و بابيلون واشور ومتانى و بلاد الحيثيين وقبرص و كريت .

وغصت مدينة الصولجان بالأسرى الاسيويين والنوبيين وشعوب البحر . وهناك كشف بأسماء الممالك المغلوبة لا يقل عددها عن ٣٥٩ مملكة بعضها كائن خلف نهر الفرات .

واشتهرت مدينة طيبة فى العالم كله ، وتأثرت فنون اليونان بفنونها ، وأصبحت أثاثات ملوك كنفوس وقبرص تشترى من مصر وتنقل على مراكب الفينيقيين التى كانت تعود إلى مصر مشحونة بالخيول والعربات السورية و بالأوانى والبرنز من بلاد مسينا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان نهر النيل يفصل بين مدينة الأحياء (الأقصر والكرنك) ومدينة الموتى ذات الآثار الخالدة التى يرمز إليها هيروغليفيا بريشة النعامة .

وفى الجانب الغربى للنيل كانت موميات الفراعنة تدفن فى وادى الملوك . فهناك قبر سيتى الأول والرمامسة وتوت عنخ آمون .

وكانت الملكات تدفن فى وادى الملكات .

وبالقرب من هذا المكان أنشأ الأعيان وكبار الدولة مقابرهم المحفورة فى الصخور والمنتشرة فى هذه المنطقة انتشاراً هائلا .

وقد نهبت مدينة طيبة سنة ٦٦٨ ق . م . بواسطة جنود ملك آشور وكذا فى سنتى ٦٦٤ و ٦٦١ ق . م . حيث هدمت هدماً نهائياً ولم تقم لها قائمة منه للآن .

وفى سنة ٥٢٥ ق . م . احتلها قمبيز وأرسل ما بها من ذهب وسن فيل وأحجار كريمة إلى بلاد العجم .

ونهبت أيضاً فى عصر البطالسة والرومان .

قال أسترابون يصف طيبة فى النصف الثانى للقرن الأول قبل الميلاد : —

« كم كانت واسعة هذه المدينة لأن بعض بقاياها لم تزل قائمة على طول لا يقل عن ٨٠ ستاد »

والآثار الباقية كلها تقريباً معابد مقدسة ولكن قمبيز هشم معظمها ، وكانت المدينة فى عصر أسترابون مكونة من تجوع متفرقة على الشاطئ الشرقى والشاطئ الغربى للنيل حول تمثالى ممنون التى سمع صفيرها .

وليس تمثالا ممنون سوى تمثالى معبد أمنوفيس الثالث الذى اختفى .

وفى القرن السادس عشر الميلادى وجد « ليون الإفريقى » أنه لا يوجد بالأقصر سوى ٣٠٠ منزل .

قال هيرودوت : اشتهرت طيبه بملوكها الذين رفعتهم حكمتهم إلى مرتبة الآلهة وبقوانينها التى كانت تطاع بدون أن تعرف وبعلومها المنقوشة نقشاً بديعاً على الحجر .

وقد هجرت هذه العاصمة ، وقضى عليها توحش الإنسانية ، وردتها إلى الصحراء أيدى اللصوص ، فلم تعد إلا شبحاً هائلا ، ولم يبق منها للآن سوى مدينة الأقصر الحالية بمنازلها وأكواخها ، وقرية الكرنك التى يسكنها طبقة من أفقر الطبقات تعيش فى أكواخ حقيرة مبنية من اللبن .

هذا هو ما صارت إليه أفخر مدن الفراعنة ، مدينة آمون ، ومدينة تاج الوجهين ، وبالجملة مدينة طيبة العظيمة التى ظلت عاصمة القطر المصرى مدة ٩٩٠ سنة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

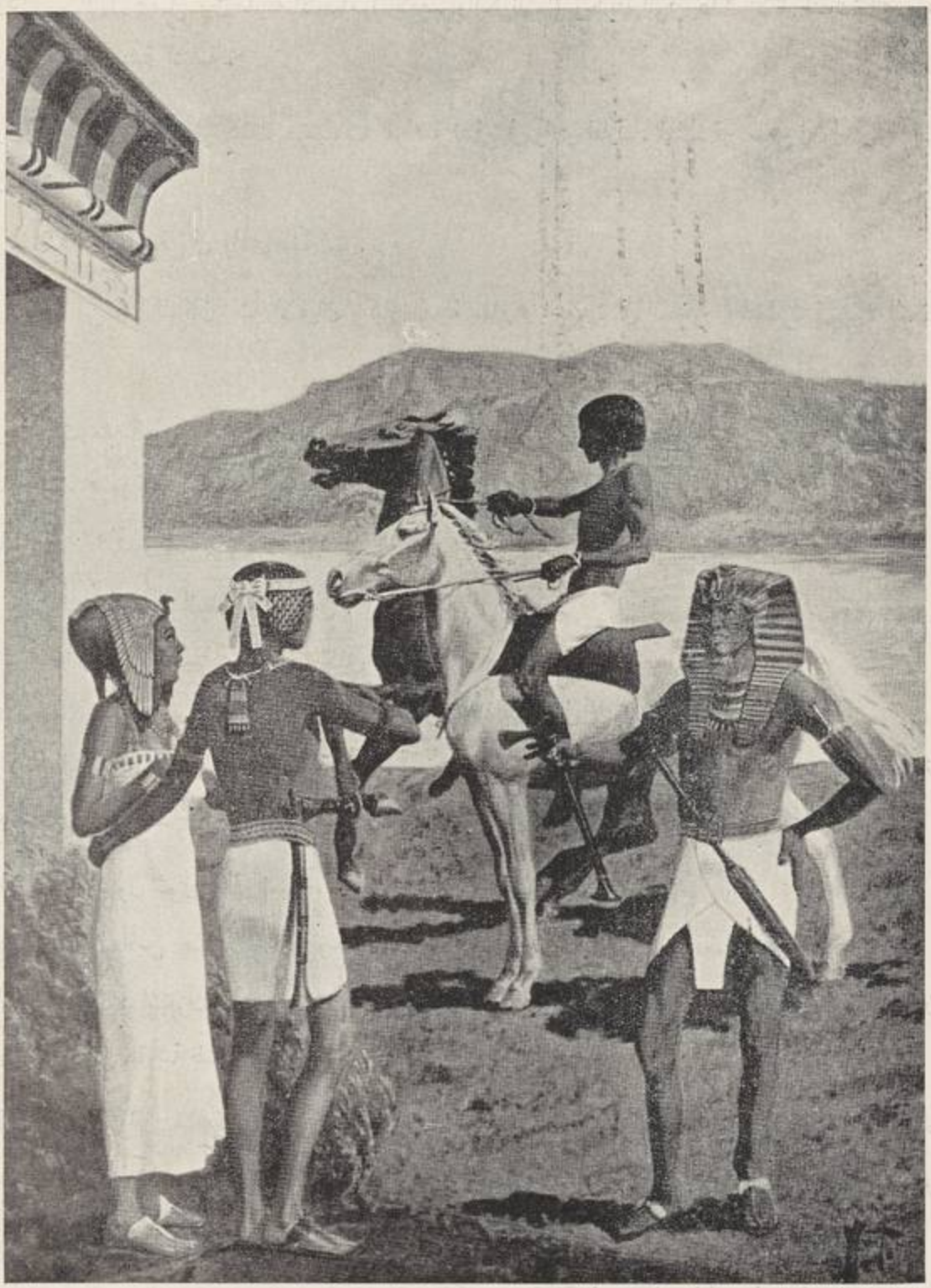

حرب الاستقلال بين ملوك طيبة والهكسوس . وترى فى الصورة الأمير كيموزى يسند جدته العجوز بذراعه وأمامه أخوه أحمس (مؤسس الأسرة ١٨) ليريها الخيول التى انتصرت بواسطتها مصر على العدو وعاد إليها استقلالها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الملك أخناتون ومعه زوجته الملكة نفرتيتى فى شرفة القصر الملكى بمدينة اخناتون ، المدينة الملكية التى بناها هذا الملك لنشر عبادته الجديدة . ولا تزال آثارها بجوار تل العمارنة بمركز ملوى بمديرية أسيوط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

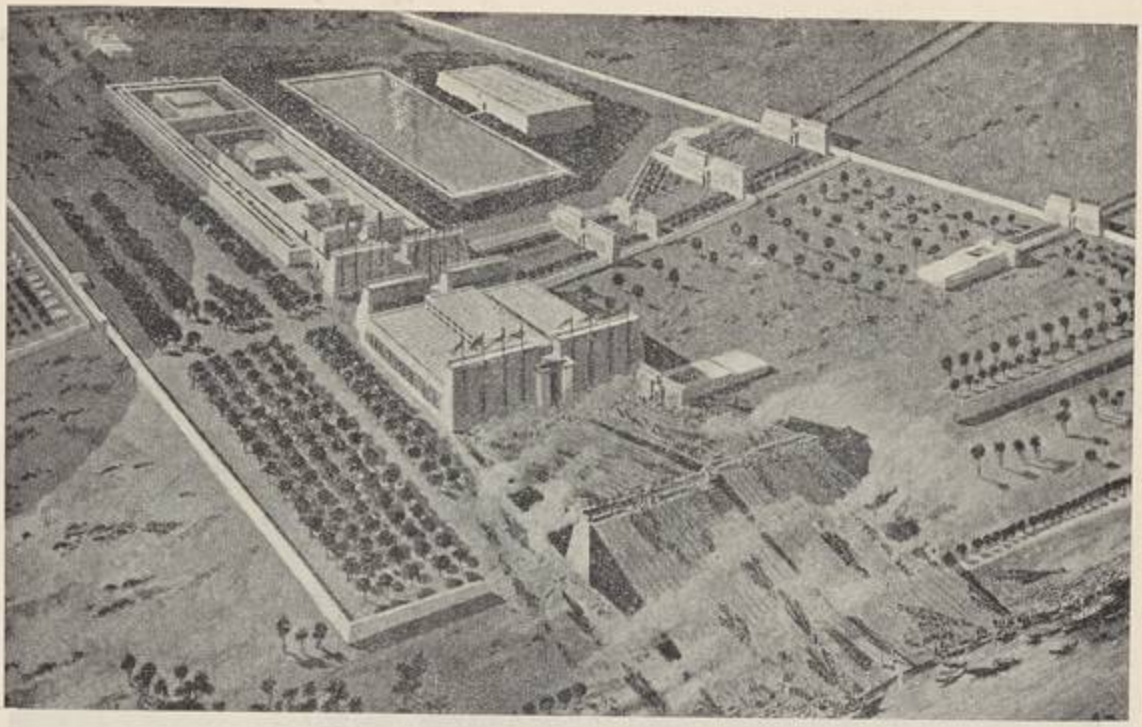

هكذا كانت تبدو معابد الكرنك فى عصر طيبة الذهبي أيام شوشنق الأول (الأسرة ٢٢) حوالى سنة ٩٢٤ ق . م . الذى ترك صروح معبد آمون الخارجية قبل اتمامها وظلت لليوم كما تركها هذا الملك وأمامها السقالات المعمولة من اللبن حتى رفعت حديثاً .

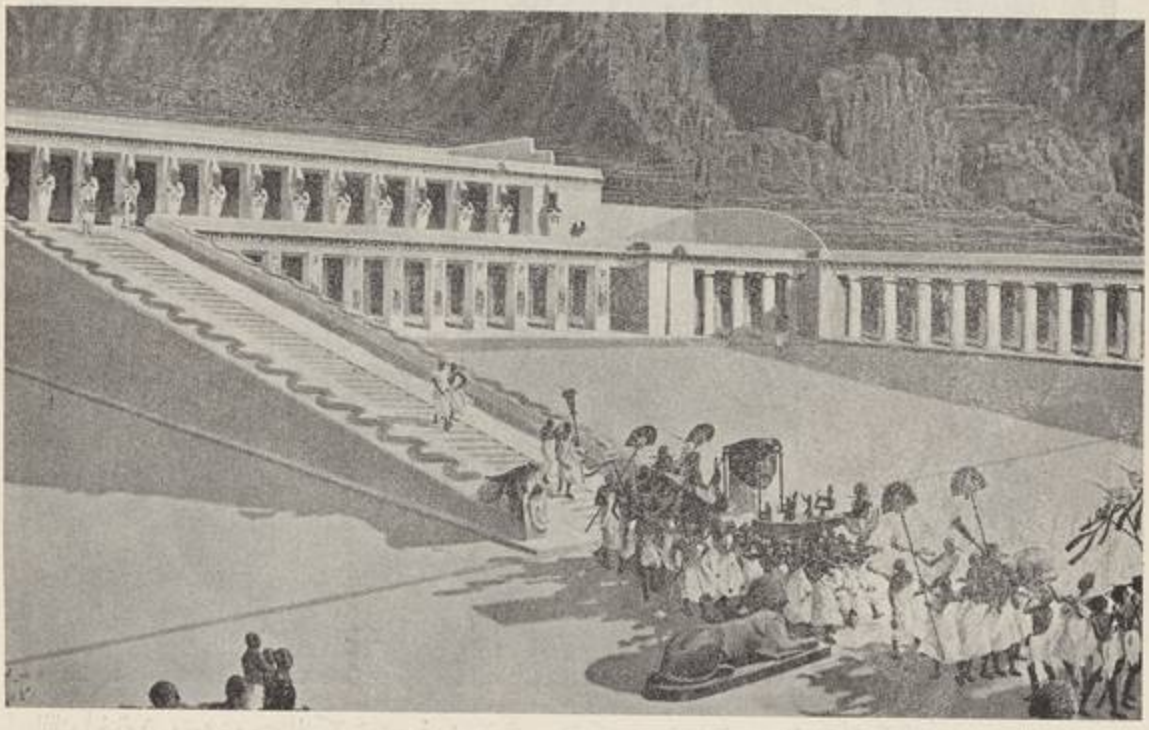

ولما ضاق الكرنك بمعابده انتقلت الملكة حاتشبسوت إلى الجهة المقابلة فى البر الغربى للنيل حيث شيدت معبدها المعروف باسم (معبد الدير البحرى) . ومما يلاحظ أن محور هذا المعبد يتفق مع محور معابد الكرنك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

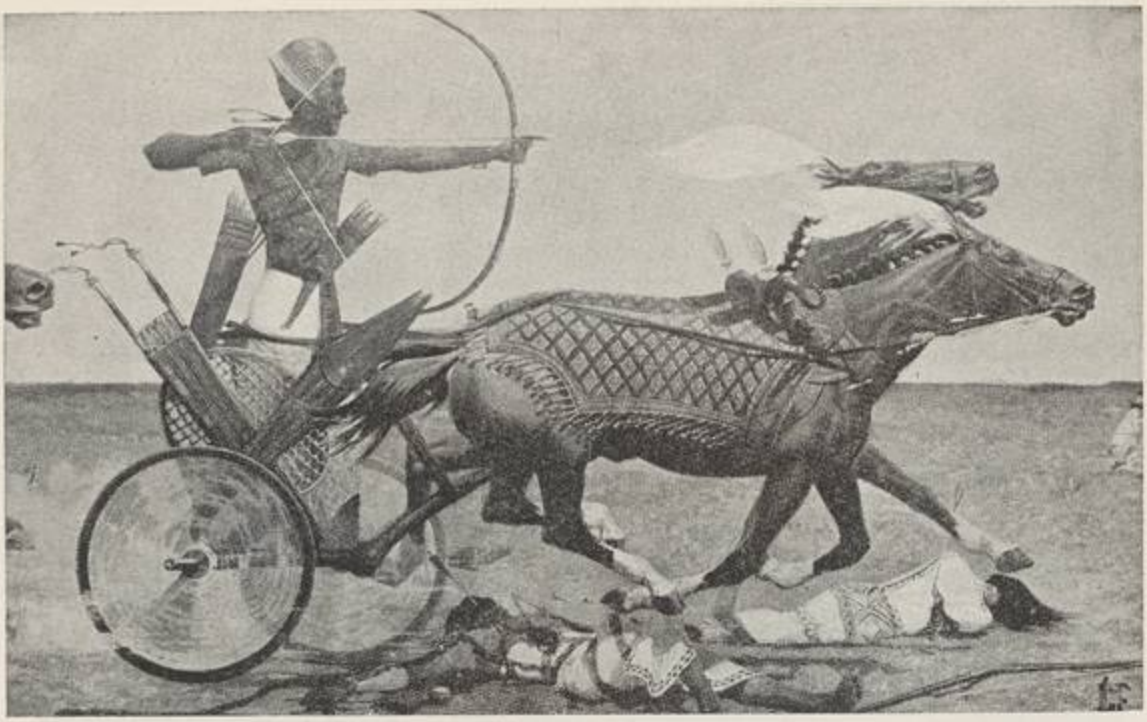

تحوتمس الثالث فى مركبته الحربية يجرها حصانان مزينان أحسن زينة وهو يهجم على أعدائه فى معركة ماجيدو . وترى على رأسه قلنسوة زرقاء وهو يحارب بالسهم والقوس . (عن مجلة N. G. M. W.)

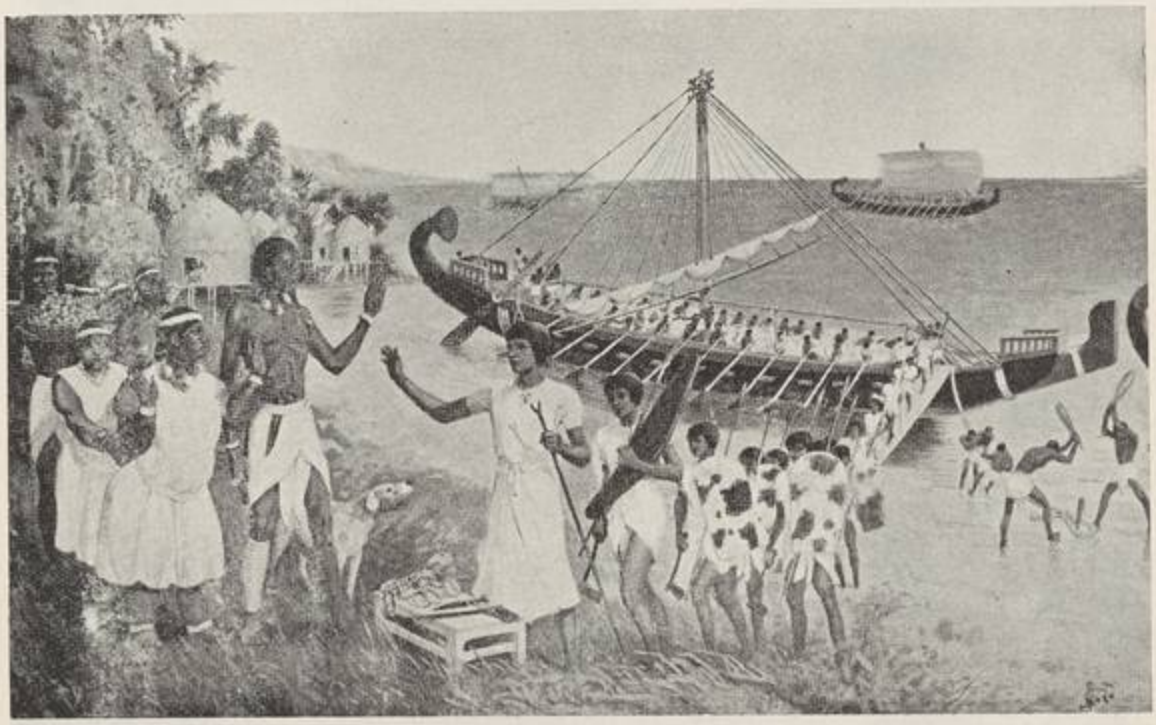

حملة بلاد البونت حوالى سنة ١٤٩٣ ق . م . فى عهد الملكة حاتشبسوت . ويلاحظ أن ملكة « البونت » التى جاءت مع زوجها مستلقية إلى القائد المصرى النبيل « هينو » مصابة بمرض شوه جسمها تشويها تاما . (عن مجلة N.G.M.W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحياة الاجتماعية فى طيبة : عائلة الملك تحوتمس الأول ، حوالى سنة ١٥٢٠ ق . م . وتمثل الصورة الأميرة نفرو — رع بنت حاتشبسوت وتحوتمس الثانى وقد مرضت بعد زواجها بقليل فجاء مربيها الحكيم سانموت لعيادتها . وقد وقف تحوتمس الثالث زوج الفتاة وشقيقها بجوار السرير . وأسندت الفتاة رأسها على صدر أمها حاتشبسوت . (عن مجلة N.G.M.W.)

مشاهد من الحياة العامة بمدينة طيبة فى عصر الملك تحوتمس الرابع (١٤٢٠ — ١٤١١) ق . م . من ملوك الأسرة ١٨ . أحد الأعيان واسمه « منيا » وقد خرج لصيد الطيور فى بركة من البرك الواقعة فى املاكه الشاسعة . (عن مجلة N.G.M.W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

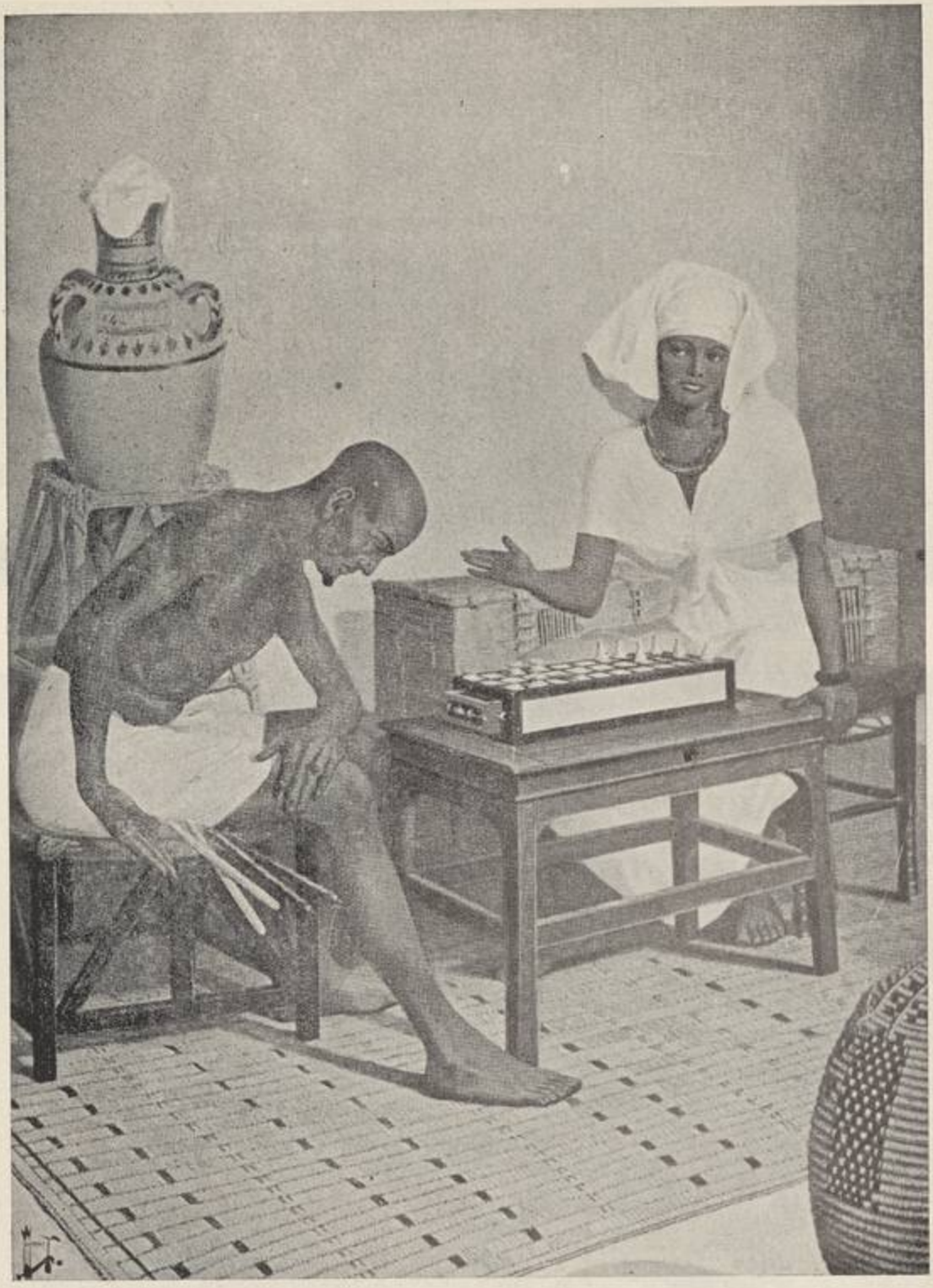

الحياة الاجتماعية فى طيبة : عائلة مصرية من الطبقة الوسطى مكونة من الزوج وهو كاتب بديوان المالية وزوجته وهى مغنية بمعبد آمون وتراهما يلعبان لعبة « السانيت » فى دارهما .

(هذه الصورة والتسع صور السابقة مأخوذة عن المجلة الجغرافية الأهلية بواشنطن N. G. M. W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

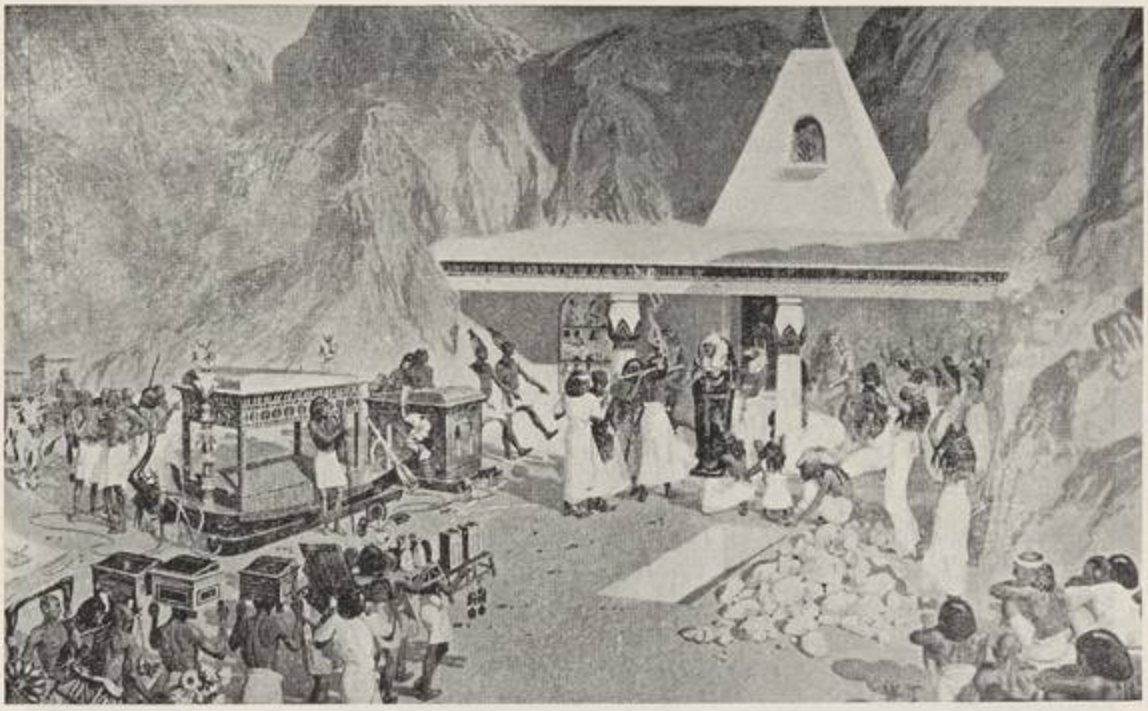

٢٨ الحياة الاجتماعية فى مدينة طيبة — جنازة عظيم من عظماء طيبة وهو يدفن مع أثاث منزله . (عن مجلة N. G. M. W.)

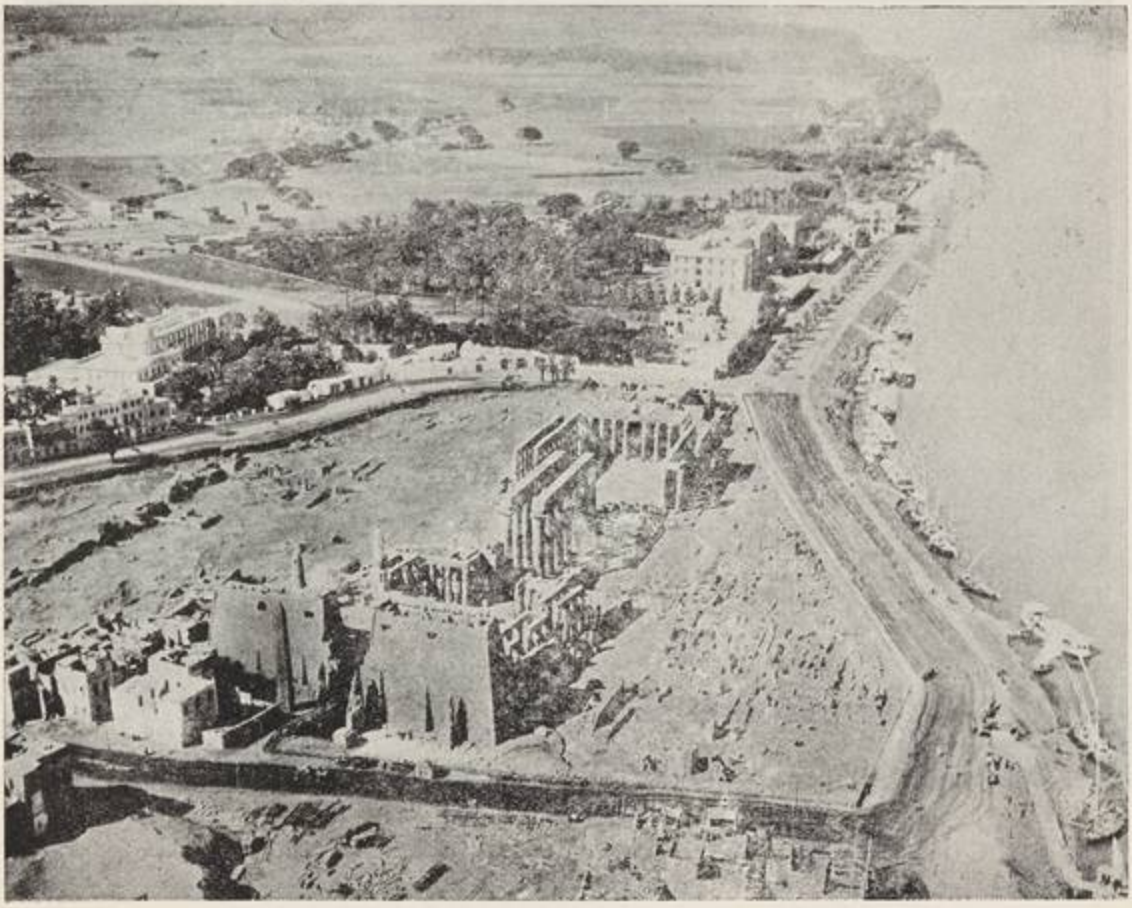

معبد الأقصر بعد أن رفعت عنه الأتربة حديثاً . وقد ظهرت حوله أطلال مساكن السكهنة وخدم المعبد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مدينـــة طيبة اليوم !

جزء من معبد الأقصر حول إلى جامع فى العصر الاسلامى وتحت هذا الجامع كنيسة قديمة . وقد يكون اسم أبو الحجاج مجرد تخليد لذكرى حج الإلـــه آمون فى مركبه المقدسة من معبد الكرنك إلى معبد الأقصر . ولا تزال بهذا الجامع مركب لها قدسية خاصة يطوفون بهـا حول المعبد فى مولد سيدى أبو الحجاج .

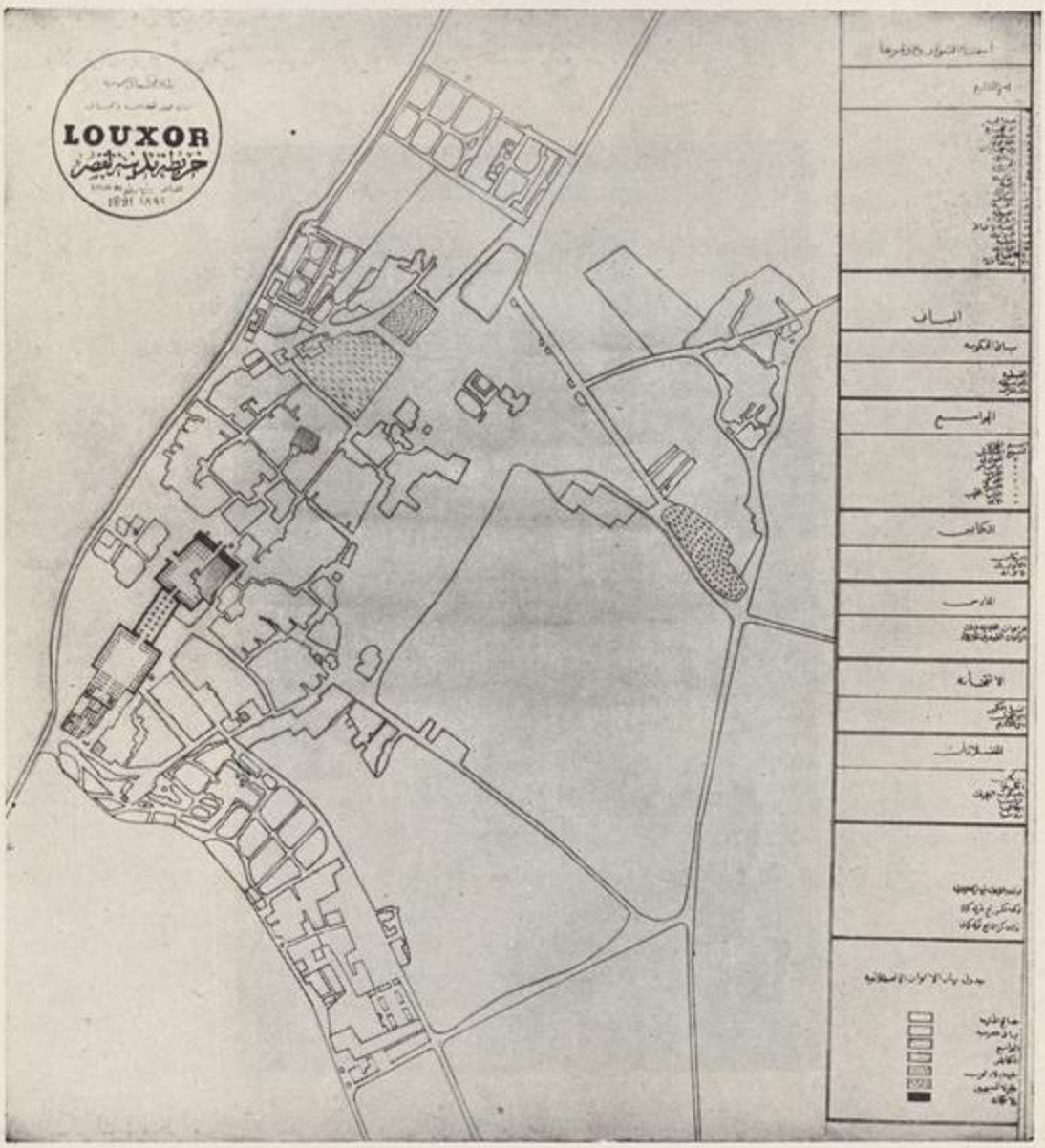

مدينة طيبة اليوم ! — خريطة الأقصر كما كانت سنة ١٨٩١

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

يمتاز معبد الأقصر من بين جميع المعابد القديمة بأنه استعمل مكانا للعبادة فى العصر الوثنى وفى العصر المسيحى وفى العصر الاسلامى .
ولا يزال برج أجراس الكنيسة القديمة قائما بجوار مئذنة جامع سيدى أبو الحجاج الذى بنى فوق هذه الكنيسة .

معابد الكرنك : منظر مسلتى تحوتمس الثالث والملكة حاتشبسوت وسط أطلال معبد الكرنك وقد وقفتا تتناجيان على ضوء القمر وتتذاكران ما كان لمدينة طيبة الخالدة من عز وهيبة وقوة وجمال ! ! . .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مدينة طيبة اليوم ! جامع المقشقش يوم السوق بالأقصر .

مدينة طيبة اليوم ! . الكرنك وأشجار الدوم وسط الأكواخ الحقيرة التى تسكنها الآن طبقة من أفقر الطبقات بالقطر المصرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العاصمة السابعة — مدينة صان الحجر

ومن سنة ١٠٩٠ إلى سنة ٩٤٥ ق . م . لمدة ١٤٥ سنة حكمت الأسرة الحادية والعشرون البلاد وجعلت عاصمتها مدينة (صان) .

وكان غرض ملوك هذه الأسرة من الإقامة (بصان) السيطرة على سياسة البحر الأبيض المتوسط .

وقد ذكرت (صان) فى التوراة باسم (صوعن) واسمها الفرعونى سبات — محت (Zébat-Meht) ومعناها المدينة الكبيرة الواقعة فى نهاية المسير إلى الشرق أو عاصمة الوجه البحرى — وعرفت فى العصر اليونانى باسم (تانيس) وهى معروفة الآن باسم صان الحجر بمركز فاقوس بمديرية الشرقية .

وسبق فى أثناء عهد الملك رمسيس الثانى الذى حكم من سنة ١٢٩٢ إلى ١٢٢٥ ق . م . لمدة ٦٧ سنة ، أنه أنشأ مدينة ملكية جديدة اسمها (بير رمسيس) للاقامة فيها ، بالرغم من أن العاصمة كانت مدينة طيبة . وكان ذلك نتيجة عاملين : أحدهما هياج اليهود المقيمين منذ حكم الهكسوس بأرض جاسان وقد نموا وكثروا وامتلأت الأرض بهم حتى خاف فرعون على البلاد من غدرهم فاستعبدهم بعنف فبنوا له مدينتى مخازن مدينة (فيثوم) ومدينة (رعمسيس) .

والعامل الآخر هو نشاط التجارة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ووجوب سيطرة مصر عليها .

ومدينة فيثوم هى بى ثوم أو بيتوم ومكانها اليوم قرية التل الكبير بمركز أبو حماد بمديرية الشرقية .

مدينة بير رمسيس — يختال متحف تورينو بايطاليا عجباً بتحفة فنية نادرة ، هى تمثال كامل دقيق الصنع للملك رمسيس الثانى فى شبابه . وقد ظهرت زوجته الملكة نفرتارى بجوار قدميه . (عن مجلة N.G.M.W.)

أما مدينة (رعمسيس) أو (بير رمسيس) فمكانها اليوم قرية قنتير الواقعة على بعد ٩ كيلومتر إلى شمال فاقوس بمديرية الشرقية . ومع أن إقامة الملوك المؤقتة فى هذه المدن الملكية لم يتسبب عنها نقل العاصمة من طيبة إلا أن الأسباب المذكورة سابقاً كانت من بين البواعث التى حملت ملوك مصر على نقل عاصمتهم إلى (صوعن) فى عصر الأسرة الحادية والعشرين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

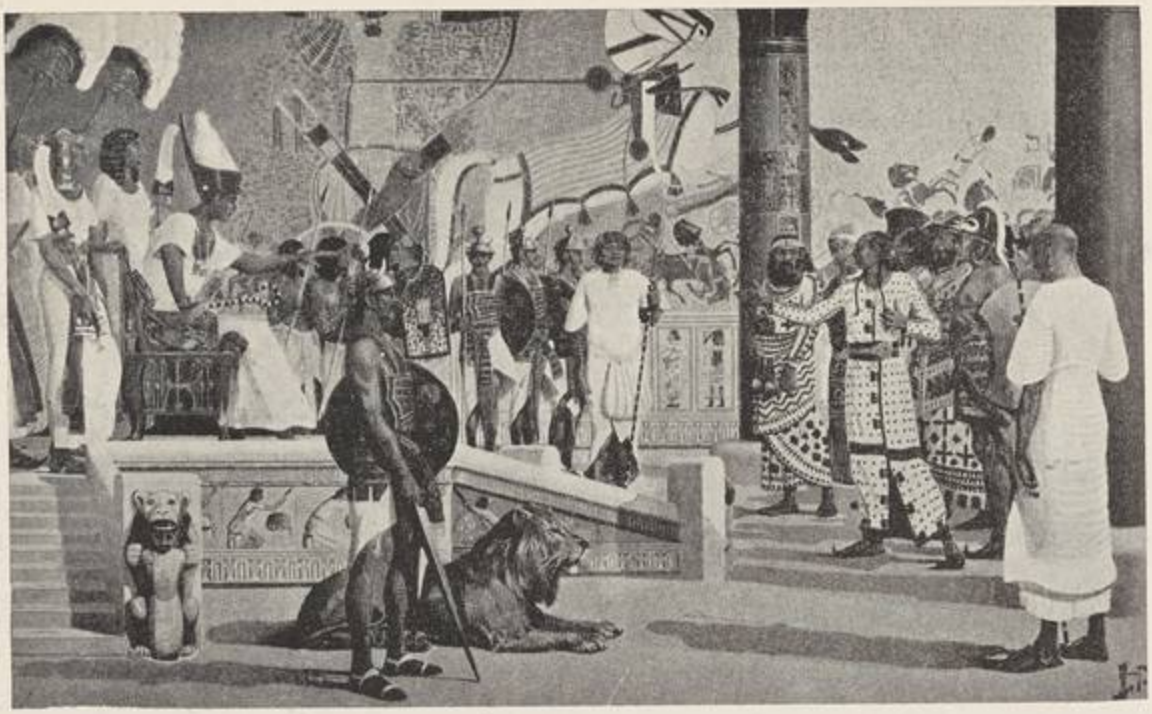

فى عهد الأسرة ١٩ شيد رمسيس الثانى مدينة ملكية سماها بير رمسيس دلت الحفريات الحديثة على أنها كانت تقع فى مكان قرية قنتير الحالية الواقعة على بعد ٩ كيلومتر إلى شمال فاقوس بمديرية الشرقية . ولما تمت مبانيها وأخذت زخرفها ، انتقل رمسيس الثانى إليها وجعلها مقراً له ومقاماً للملك . وتراه فى الصورة يستقبل ملك الحيثيين . (صورة مأخوذة عن مجلة N.G.M.W.)

وعند حدود مصر الجنوبية كانت القلاع والحصون المشيدة تحمى مصر من غارات سكان الجنوب . (عن مجلة N.G.M.W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العاصمة الثامنة — مدينة بوباست

وفى عهد الأسرتين ٢٢ و ٢٣ من سنة ٩٤٥ إلى ٧٣٠ ق . م . أى لمدة ٢١٥ سنة جعلت مدينة (بى باست) أو (بوباسطس) عاصمة البلاد المصرية .

وقد ذكرت بوباسطس فى التوراة باسم (فيبسته) وفى النصوص الهيروغليفية باسم (بى باست) وتعرف آثارها الآن باسم تل بسطا بجوار الزقازيق .

العاصمة التاسعة — مدينة صالحجر

ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة (صاو) التى سميت فى العصر اليونانى (سايس) وتعرف الآن باسم (صالحجر) بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية . وبقيت (صاو) عاصمة للقطر المصرى لأول مرة تحت حكم الأسرة الرابعة والعشرين من سنة ٧٣٠ إلى ٧١٦ ق . م . أى لمدة ١٤ سنة فقط .

العاصمة العاشرة — مدينة ناباتا

وتحت حكم الأسرة الخامسة والعشرين الحبشية انتقلت العاصمة إلى مدينة ناباتا (Napata) بالسودان وهى تقع فى سفح جبل بركة وقد هدمت فى سنة ٢٤ قبل الميلاد .

وظلت ناباتا عاصمة للقطر المصرى من سنة ٧١٦ إلى ٦٦٣ ق . م . لمدة ٥٣ سنة .

العاصمة الحادية عشرة — مدينة صالحجر ثانيا

وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية التى حكمت من سنة ٦٦٣ إلى سنة ٥٢٥ ق . م . كانت (صاو) عاصمة القطر المصرى للمرة الثانية لمدة ٣٨ سنة .

واحتل الفرس مصر سنة ٥٢٥ وأسسوا الأسرة السابعة والعشرين التى حكمت أيضا بصاو من سنة ٥٢٥ إلى سنة ٤٦٤ ق . م .

غير أن المصريين ثاروا سنة ٤٦٤ وأسسوا الأسرة الثامنة والعشرين التى حكمت (بصاو) أيضاً من سنة ٤٦٤ إلى ٣٩٨ ق . م .

وعلى ذلك تكون مدينة (صاو) أو (صالحجر) الحالية بقيت عاصمة للقطر المصرى للمدد الآتية :

١٤ + ٣٨ + ٦١ + ٦٦ = ١٧٩ سنة .

وقد اشتهرت هذه العاصمة بمدرستها الطبية التى كانت تغذى مصر بالأطباء والعرافين كما اشتهرت بمصانعها الهائلة لنسج الكتان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العاصمة الثانية عشرة — مدينة مندس

وفى عهد الأسرة التاسعة والعشرين المصرية أيضاً ، كانت العاصمة مدينة مندس (Mendès) ومكانها اليوم تل عبد الله بن سلام بناحية تمى الأمديد . وظلت مندس عاصمة القطر المصرى من سنة ٣٩٨ إلى سنة ٣٧٩ ق . م أى لمدة ١٩ سنة . وبقى اسم مندس فى اسم مدينة تمى الأمديد الحالية بمركز السمبلاوين بمديرية الدقهلية . وسبب إضافة اسم الأمديد إلى تمى أن ناحية الأمديد اندثرت فأضيف زمامها إلى ناحية تمى فصارتا ناحية واحدة باسم تمى والمنديد كما ورد بالتحفة السنية لابن الجيعان — ثم حذفت واو العطف وحرفت المنديد إلى الأمديد فصار اسمها الحالى تمى الأمديد الذى ذكر فى دفتر مساحة سنة ١٢٢٨ هـ فى عهد محمد على باشا .

العاصمة الثالثة عشرة — مدينة سمنود

وفى حكم الأسرة الثلاثين المصرية من سنة ٣٧٩ إلى سنة ٣٤١ أى لمدة ٣٨ سنة ، كانت العاصمة مدينة (Zébat-Neter) سبات نتر التى عرفت فى العصر اليونانى باسم (سبينيتوس) ، واسمها الحالى سمنود . وعاد الفرس فاحتلوا الملك وأسسوا الأسرة ٣١ التى حكمت بسمنود أيضاً — من سنة ٣٤١ إلى سنة ٣٣٢ ق . م . لمدة ٩ سنين . أى أن سمنود بقيت عاصمة القطر المصرى لمدة ٤٧ سنة .

العاصمة الرابعة عشرة — مدينة الاسكندرية

وفى سنة ٣٣٢ احتل الإسكندر المقدونى البلاد المصرية وأسس مدينة الإسكندرية وجعلها عاصمة للبلاد . وظلت الإسكندرية من سنة ٣٣١ ق . م . إلى سنة ٦٤١ بعد الميلاد عاصمة القطر المصرى لمدة ٩٧٢ سنة تقريباً أى المدة التى بقيت فيها مصر تحت الحكم اليونانى والحكم الرومانى .

العاصمة الخامسة عشرة — مدينة الفسطاط

وفى سنة ٦٤١ م أو سنة ٢٠هـ احتل العرب مصر وأسسوا مدينة الفسطاط أول عواصم الإسلام بها . وظلت الفسطاط عاصمة البلاد لأول مرة من سنة الفتح إلى سنة ١٣٢ هـ (سنة ٦٤١ إلى سنة ٧٥٠ ميلادية) لمدة ١١٢ سنة هجرية ، حتى زالت دولة بنى أمية .

العاصمة السادسة عشرة — مدينة العسكر

ثم خلفتها مدينة العسكر مع العباسيين من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٥٤ هـ (سنة ٧٥٠ م إلى سنة ٨٦٨ م) . وظلت العسكر ، وهى مجرد ضاحية لمدينة الفسطاط إلى شمالها الشرقى ، عاصمة البلاد لمدة ١٢٢ سنة هجرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الاسكندرية :

الاسكندرية القديمة . بوابة القمر عند مدخل
شارع كانوب القديم (شارع فؤاد الأول الآن) .

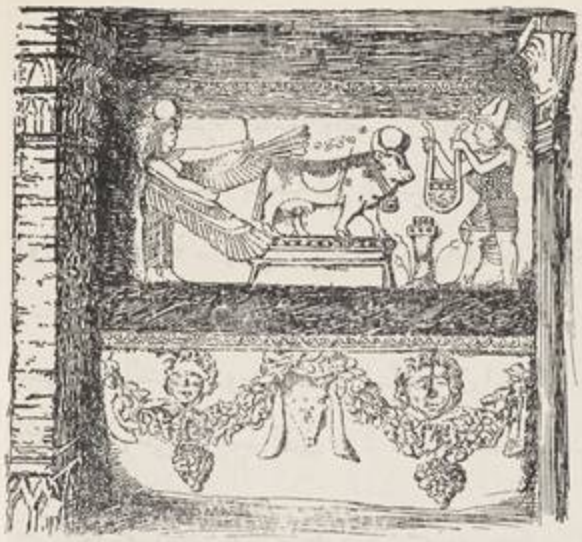

الاسكندرية القديمة — آثار كوم الشقافة
فوق — الملك بطليموس يلبس العجل أبيس عقداً ثميناً
وتحت — زخارف من العصر اليونانى

اسكندرية البطالسة حيث كانت أشعة الشمس لا تنعكس إلا على الذهب والبرنز والرخام اللامع المصقول .
آخر ليلة فى حياة كليوباترا (صورة مأخوذة من متحف الشمع بالقاهرة) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحياة العامة في الاسكندرية القديمة.

حجر رشيد بالمتحف البريطاني بلندن - وهو عبارة عن قرار اتخذه كهنة « منف » ومضمونه أن عرش مصر يؤول شرعاً إلى الشاب الصغير بطليموس الخامس « أبيفان » وكان عمره ١٥ عاماً فقط . وقد دونوا هذا القرار بخطوط ثلاثة وهي من أعلى إلى أسفل : الخط الهيروغليفي المقدس ، ثم الخط الديموطيقي الشعبي ثم الخط اليوناني أو خط المحتل .

وقد توصل شامبليون إلى حل رموز اللغة الهيروغليفية بمقارنة هذه النصوص ببعضها . (عن مجلة N. G. M. W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتحد مدينة العسكر من الجنوب بحائط مجرى الماء (العيون) — ومن الشمال بخط بعضه شارع الخليج المصرى وبعضه ميدان السيدة زينب وبعضه شارع مراسينا إلى جامع الجاولى — ومن الشرق بخط مفروض يمتد من جامع الجاولى إلى شارع الأشرف إلى السيدة نفيسة — ومن الغرب بشارع الخليج المصرى من قنطرة السد عند تقابل شارع الخليج المصرى بشارع مدرسة الطب إلى جنينة لاظ .

العاصمة السابعة عشرة — مدينة القطائع

ثم انتقل الولاة إلى القطائع فى عصر ابن طولون من سنة ٢٥٤ إلى سنة ٢٩٣ هـ (سنة ٨٦٨ إلى سنة ٩٠٥ م) لمدة ٣٩ سنة هجرية .

وتحد مدينة القطائع من الغرب بشارع السد — ومن الجنوب بحارة الشيخ سليم بالبغالة ثم إلى قلعة الكبش فجنوب ميدان صلاح الدين — ومن الشرق بميدان صلاح الدين المعروف سابقاً باسم ميدان محمد على مكان قره ميدان — ومن الشمال بشارع شيخون وشارع الصليبة والخضيرى ومراسينا إلى ميدان السيدة زينب .

العاصمة الثامنة عشرة — مدينة الفسطاط ثانيا (مصر)

ثم عاد الولاة إلى الفسطاط ثانياً (مدينة مصر) من سنة ٢٩٣ إلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٠٥ إلى ٩٦٩ م) لمدة ٦٥ سنة هجرية . وقد حرقت الفسطاط سنة ٥٦٥ هـ (١١٧٠ ميلادية) وكان عمرها إذ ذاك ٥٤٥ سنة هجرية ظلت منها فى الواقع ٣٤٢ سنة هجرية عاصمة للقطر المصرى .

العاصمة التاسعة عشرة — مدينة القاهرة :

وأخيراً خلفتها القاهرة سنة ٣٦٢ هـ الموافقة سنة ٩٧٣ م .

ففى يوم ٧ رمضان المقبل سنة ١٣٦٢ هـ ، الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ م تكون القاهرة قد سلخت ألف عام هجرى من عمرها المديد ، وهى عاصمة القطر المصرى .

وقد اتصلت فى عصرنا الحالى مبانى عواصم مصر الاسلامية ببعضها فصارت كلها مدينة واحدة فى وسطها قصر عابدين العامر الذى شيده الخديوى اسماعيل وجعله مقراً له ولأبنائه الكرام الذين ورثوا الملك من بعده ، ويقيم اليوم فيه مليك النيل المفدى فاروق الأول أعزه الله وأطال باليمن بقاه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفسطـاط :

منظر فى حفائر الفسطاط

أطلال الفسطاط منظر حفائر الفسطاط وترى القلعة فى نهاية الصورة

فوق أطلال الفسطاط .
مبانى الطبقات الفقيرة جنوبى مصر القديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القـــاهرة :

القاهرة بشعرها وجاذبيتها وسحرها الشرقى الفتان ! .

القاهرة — أهرام الجيزة .
الطريق الصاعد من ميناهاوس إلى الهرم الأكبر .

القاهرة — قلعة صلاح الدين وتبدو مآذن مساجدها نقطاً بعيدة غامضة فى الأفق الوسيع الرحيب تعيد ذكرى تاريخها الطويل المجيد .

القاهرة — ما أعظم الشبه بين أمس واليوم !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثانى

موقع مدينة القاهرة

من الوجهة الجيولوجية

تقع مدينة القاهرة على خط طول ١٥ َ ٣١ °، وخط عرض ٣ َ ٣٠ °، وهى تبعد ٢٣ كيلومتراً عن رأس الدلتا الحالى إلى الجنوب

تلتوى طبقات الأرض شرقى النيل عند القاهرة مكونة جبل المقطم فى شبه قوس متوسط الارتفاع . وكذلك تلتوى الطبقات الأرضية غربى النيل عند القاهرة مكونة قوساً آخر من التلال يكاد يشبه القوس الشرقى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتنقسم الظواهر الطبيعية المكونة لموقع منطقة القاهرة إلى ثلاثة عناصر : أولا الهضبة الصحراوية ، وثانياً النهر ، وثالثاً الوادى .

ففيما يختص بالعنصر الأول نلاحظ أن طبقات الأرض تلتوى شرقى النيل عند القاهرة مكونة جبل المقطم فى شبه قوس متوسط الارتفاع تقرب قمته من القلعة ، حيث يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ متراً ، وينتهى طرفه الشمالى عند مصر الجديدة ، وطرفه الجنوبى عند المعادى .

وتقع جنوبى المعادى هضبة متوسطة الارتفاع أعلى قممها جبل حوف ويبلغ ارتفاعه ٣٧٥ مترا .

وتتكون تلال المقطم من الحجر الجيرى الرسوبى الذى يدل على أنها كانت قديماً مغمورة بمياه البحر .

وكذلك تلتوى الطبقات الأرضية غربى النيل عند القاهرة أيضاً مكونة قوساً آخر من التلال يكاد يشبه القوس الشرقى .

ويستدل البعض بذلك على أن وادى النيل لا بد قد هبط بين هذين القوسين .

يقول علماء الجيولوجيا : إن هذه المنطقة مرت عليها تقلبات كثيرة إذ كان يغمرها البحر ثم ينحسر عنها فى عصور جيولوجية مختلفة مما سمح للبحر الطباشيرى وللبحر النيومولیتى أن يتركا رواسبهما على السطح ويكونا طبقات جيرية كثيفة .

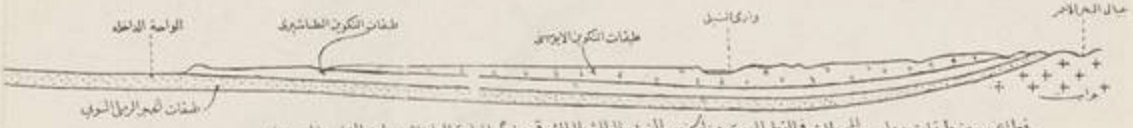

قطاع يبين طبقات رواسب الحيطات فى القطر المصرى من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى مارا بالواحة الداخلة ووادى النيل بزاسيوط وأبوسنبل الى الجبال الجرانيتية بالصحراء الشرقية

ولا بد لنا هنا من كلمة عن جيولوجية القطر المصرى بصفة عامة فنقول :

منذ انحسار مياه البحر عن هذا القطر نهائياً شوهد فى سطحه ميل مزدوج :

أولا — ميل خفيف من الجنوب إلى الشمال فى اتجاه نهر النيل .

وثانياً — ميل شديد الانحدار يبتدئ من الشرق إلى الغرب أى من الجبال الموازية لشواطىء البحر الأحمر إلى إقليم الواحات .

وهذان الميلان يرجع سببهما بلا نزاع إلى الظواهر البركانية التى حدثت فى الجهة الشرقية منه وفى إقليم السودان .

ففى هذا العهد السحيق كانت الهضبتان المعروفتان الآن باسم الصحراء الشرقية والصحراء الغربية ، متصلتان ببعضهما ، ولكن فى نهاية العصر البلايوسينى حصل انهيار طولى هائل فشقت الهضاب الصحراوية ابتداء من إدفو إلى القاهرة ، ونتج عن ذلك أخدود مستطيل شديد الانخفاض .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفيما يختص بالعنصر الثانى فقد شق نهر النيل مجراه وسط هذا الانخفاض بخط يكاد يكون مستقيما وكون من هذا الإقليم منطقتين منفصلتين تختلفان اختلافاً بيناً من حيث الارتفاع والشكل : إحداهما شرقية وهى التى تسمى الآن الصحراء الشرقية أو صحراء العرب والثانية غربية وهى التى تسمى الآن الصحراء الغربية أو صحراء ليبيا .

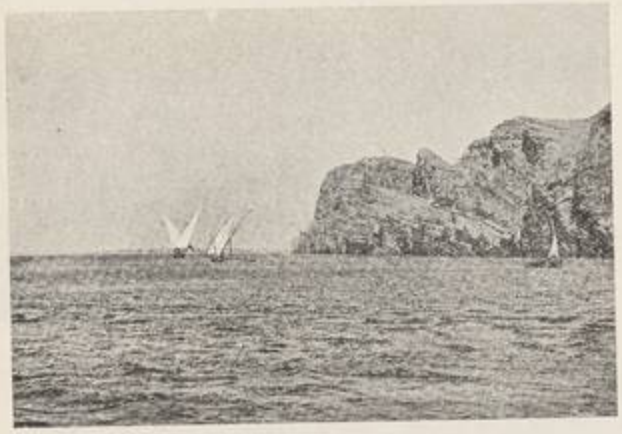

ثم شق نهر النيل مجراه وسط هذا الانخفاض بخط يكاد يكون مستقيما

وكان عرض مجرى النيل فى هذا العهد يمتد من جبل المقطم شرقاً إلى هضبة أهرام الجيزة غرباً . وكان مصبه جزءا من مدينة القاهرة الحالية عند سهل العباسية . وذلك لأن دلتا النيل لم تكن قد تكونت بعد بل كان بحر الروم يصل جنوباً حتى جبل المقطم وكان متصلا بالبحر الأحمر .

وفيما يختص بالعنصر الثالث وهو الوادى فقد أخذت الرواسب النيلية بعدئذ تغمر مجرى النهر شيئاً فشيئاً وكانت تتألف من الحصى الذى كان يندفع مع التيار ، وفى آخر الأمر غطى الغرين أى الطمى الحديث هذه الرواسب وأخذ المجرى الواسع ينكمش تدريجاً حتى أصبح عرض النهر لا يزيد فى اتساعه عن مئات من الأمتار . وظهر وادى النيل أخضر يانعاً . وهكذا تكونت عناصر هذا الموقع .

ثم إنه فى العصر الجليدى كانت تتساقط فى هذا الإقليم سيول جارفة من الأمطار تماثل فى شدتها الأمطار الاستوائية الحالية وقد كونت هذه الأمطار عدة مجار من الماء قامت مقام العمال فى نحت وديان كثيرة فى الصخور .

وهذه الوديان قد جف ماؤها منذ أزمان بعيدة غير أن أماكنها لا تزال باقية إلى الآن دالة على وجودها رغم نضوب الماء منها مثل وادى التيه ووادى حوف ووادى الطميلات .

وقد كونت هذه الأمطار البحيرات الشاسعة التى كانت تسبح فيها التماسيح وجاموس البحر كما كونت المستنقعات التى كانت تحلق فوقها الطيور .

وما الواحات الحالية ومنخفض الفيوم ووادى النطرون إلا بقايا هذه البحيرات .

وكان سطح ما نسميه الآن الصحراء الشرقية وصحراء ليبيا مغطى بالغابات والأشجار الباسقة .

وعلى هذه الحال كانت تظهر للعيان الأرض فى مصر عند بداية الزمن الجيولوجى الرابع وهو الوقت الذى ظهرت فيه أول قبيلة بشرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

منظر واد عميق نحرته مياه السيول فى الصخور الجيرية بالصحراء الشرقية .

منظر سيل جارف ينحط من الجبل بعد مطر شديد .

وادى حوف — منظر نحر مياه السيول فى الصخور الجيرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا شك أن الأسنان والعظام التى استخرجت من مصب النيل عند سهل العباسية الحالى، ومصانع الظران التى عثر عليها فى الجبل الأحمر الواقع فى الشمال الشرقى من القاهرة ، والآلات التى وجدها الأب « ريشار » فى الغابة المتحجرة الواقعة إلى شرقى القاهرة تعطى فكرة عن الجنس البشرى فى هذه الفترة من الزمن .

البشارين من أبناء حام وهم الذين تسلسل منهم قدماء المصريين .

ولما انتهى هذا العصر الجليدى منذ زهاء عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف سنة — أخذ هطول الأمطار يقل بالتدريج وانسدت مجارى الأنهار بجبال صخرية فتكونت من ذلك بحيرات تبخر سطحها على مرور الزمان الى أن جفت واختفت الغابات وحلت مكانها الحشائش ونباتات الرعى .

ولما تكونت دلتا النيل وانفصل بحر الروم عن البحر الأحمر ، أصبحت بلاد العرب وشمال أفريقيا هضبة واحدة يهيم فى أرجائها أقوام من البدو الرحل يسعون وراء المطر والحيوانات البرية لقنصها واستئناسها . وكان هؤلاء القوم من أبناء حام الذين تسلسل منهم قدماء المصريين .

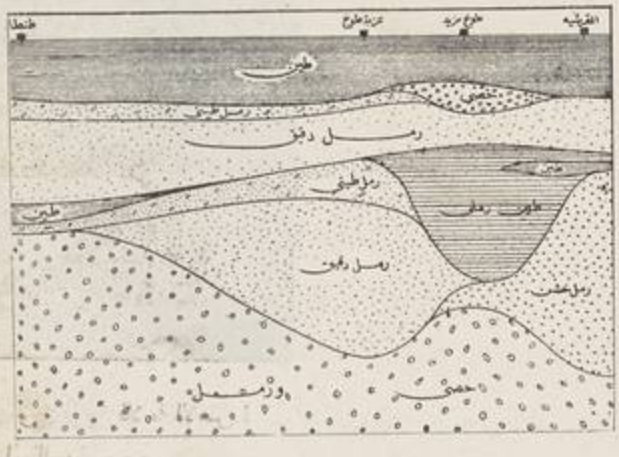

ولما تكونت دلتا النيل . . .
قطاع بين ططا والفرشية يبين طبقات الرواسب النهرية التى تتكون منها دلتا النيل .

ثم استمر الجفاف وقل المطر حتى انعدم تقريباً ما عدا قرب ساحل بحر الروم ، فتحولت الهضاب الى صحراء جدباء زادها قحولا ما يهب عليها من الرياح الشمالية الغربية الشديدة الدائمة . وقد أخذت الحشائش والأعشاب والأشجار تقل فى جزئى مصر الشرقى والغربى فقل معها ما كان يهيم فى وديانها من آكلات العشب وما كان يفترسها من الوحوش الكاسرة فهجرها معظم من كان يسكنها من الناس الذين كانوا يعيشون من اصطيادها ونزحوا إلى مستنقعات وادى النيل وهى التى كانوا يخشونها لما كان بها إذ ذاك من الوحوش كالفيلة والعسنت

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والتماسيح والأسود وغير ذلك . واحترف بعضهم صيد الأسماك والطيور ولجأ بعضهم الى رعى الماشية وفلاحة الأرض فتحولوا من بدو رحل أشداء الى فلاحين آمنين وادعين .

ثم ثبتت أحوال مصر الجوية على ما هى عليه الآن من نحو ستة آلاف سنة مضت .

وهكذا نشأت فى مصر المنطقة التى تعرف الآن باسم منطقة القاهرة والتى قدر لها أن تظل منذ القدم الى الآن مقر العواصم الفرعونية والعواصم العربية أعنى مقر منف وعين شمس ثم الفسطاط والعسكر والقطائع ثم القاهرة فتنة الشرق وسيدة العواصم « وأم الدنيا » .

فلاحة اليوم و فلاحة الأمس !
فى طريقها إلى السوق . . .
فتحولوا من بدو رحل أشداء إلى فلاحين آمنين وادعين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثالث

الصحراء الغربية أو صحراء ليبيا

تتمشى الحدود الغربية لوادى النيل مع جوانب صحراء ليبيا حيث تقوم تلال تنحدر نحو الغرب . ويزعم البعض أن هذه التلال كانت تحصر بينها وبين النيل عدة مناقع كان للنيل بها بعض الفروع . ويستدلون على ذلك بالمجارى والأودية القديمة كانت من آثارها ترعة السوهاجية وبحر يوسف . وتدل الدلائل على أن هذه الفروع كانت تصب فى البحر قريبا من منطقة الفيوم قبل أن ينحسر البحر الى مكانه الحالى .

ومنخفض الفيوم أوطأ من مستوى سطح البحر بنحو ٤٠ متراً . وأغلب الظن أنه كان متصلا بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق منخفض القطارة وبحيرة مريوط ، وان النيل كان يصب فى منخفض الفيوم قبل أن عدل مجراه الى الشق الحالى .

الصحراء الغربية — وتتكون معظم صخورها السطحية من حجر الجير

وقد ساعد على هذا التعديل تغضن القشرة الأرضية فاستقل النيل عن منخفض الفيوم أولا ، ولكن رواسب النهر رفعت منسوب أرض الوادى وتبعاً لذلك ارتفع منسوب الفيضان حتى وصل ثانياً الى أراضى الفيوم .

وتمتد التلال الواقعة غربى منخفض الفيوم وتقترب من النيل عند الجيزة ثم تنفرج حتى تشمل منخفض النطرون وتنتهى غربى الأسكندرية .

وتمتد صحراء ليبيا الشاسعة الأرجاء من غرب وادى النيل الى بلاد طرابلس . وفى الجهة الشمالية منها تتكون معظم الصخور السطحية من حجر الجير . أما فى الجهة الجنوبية فانه يكثر انتشار الحجر الرملى .

ويقع جبل عوينات (١٩٠٧ متراً) وهو أعلى القمم بها فى أقصى الطرف الجنوبى الغربى من الأراضى المصرية وهو يتكون من صخور نارية . كما يبلغ ارتفاع الصحراء نحو ألف متر عن منطقة الجلف الكبير .

والسلاسل الطويلة من التلال الرملية التى لا يمكن عبورها والممتدة من شمال الشمال الغربى إلى جنوب الجنوب الشرقى لمسافات تبلغ ٥٠٠ كيلومتر هى أجلى ظاهرة لصحراء ليبيا التى هى فى جملتها من أكثر مناطق

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الدنيا ذات الأرض القاحلة وغير الآهلة بالسكان غير أن بها عدداً من المنخفضات به آبار وينابيع كافية لرى مساحات قليلة وسد حاجة الآلاف من السكان .

وهذه المنخفضات عبارة عن الواحات الغربية وهى : الواحات الداخلة والخارجة وتتكونان من منخفضات عميقة متسعة . وترتفع الصحراء إلى نحو ٥٠٠ متر بينهما وبين وادى النيل . ثم واحة الفرافرة والواحة البحرية ، وتتدرج الواحة البحرية من الجهة الشرقية فى ارتفاعها حتى تبلغ جبل قطرانى المطل على منخفض الفيوم من الشمال الغربى . كما تتدرج جوانب تلك الواحة من الجهة الغربية حتى تصل إلى منخفض القطارة وواحة سيوه .

كيفية تكوين الآبار الأرتوازية بالواحات .

ومنخفض القطارة هو أوسع وهدان الصحراء الغربية إذ تبلغ مساحته ١٩٥٠٠ كيلومتر مربع ، وهو منخفض عن سطح البحر ، ومنسوب أعمق نقطة فيه ١٣٤ متراً تحت الصفر .

وإمكان الانتفاع اقتصادياً من مشروع توليد القوى الكهربائية من منخفض القطارة لا يزال قيد البحث . . .

الواحات الخارجة — بئر تنفجر منها المياه بقوة كبيرة

وتتصل الواحات الخارجة بوادى النيل بواسطة سكة حديدية تبدأ من محطة مواصلة الواحات الواقعة إلى شمال محطة فرشوط بمركز نجع حمادى بمديرية قنا . وأما معظم الواحات الأخرى فبعد أن كان الوصول إليها فيما مضى يقتضى سفراً طويلاً شاقاً على ظهور الجمال فى أرض مقفرة خالية من الماء أصبح الآن بفضل الطرق التى مهدتها مصلحة الحدود للسيارات على قيد ساعات معدودة من القاهرة .

وتمتاز الصحراء الغربية بكثرة الكثبان الرملية (الغرود) وهى تلال من الرمال تنقلها الرياح من مكان لآخر حتى تحف بوادى النيل من الناحية الغربية أو تحيط بالواحات . وهى تمتد مئات من الكيلومترات وقد يصل أطولها إلى ٤٠٠ كيلومتر فى طوله . وقد يزيد ارتفاعها على ٣٠ متراً . وأغلب امتدادها من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى مما يدل على اتجاه الرياح السائدة بهذه الصحراء وهى الرياح الشمالية الغربية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويعتمد سكان الواحات فى معيشتهم على مياه الآبار التى تتسرب فى الصخور من أمطار كردفان وشمال السودان . ويزرعون النخيل والشعير وبعض الفاكهة كما يشتغلون بالرعى ويعتمدون فى تنقلاتهم على الجمل سفينة الصحراء . ويلفت النظر فى هذه الصحراء شدة عوامل التعرية الظاهرية وشدة القارية التى تساعد على تفتيت الصخور ونقل الرياح لها من مكان لآخر .

عين من عيون الماء بالواحات الخارجة تصب مياهها فى قناة توزعها على الحقول .

والمعادن التى تستخرج من صحراء ليبيا فى الوقت الحاضر هى النطرون أو الصودا الطبيعية التى توجد فى بحيرات وادى النطرون الواقعة على مسافة ١١٠ كيلومتراً إلى شمال غربى مدينة القاهرة . ويستعمل النطرون على الخصوص فى صناعة الصابون . وتقوم باحتكاره حالياً شركة الملح والصودا .

وفى الواحات الداخلة يوجد نوع من صخور الفوسفات .

وفى الواحات الخارجة يوجد حجر الشب .

وفى الواحات البحرية يوجد معدن الحديد .

ولا شك أن تحسين طرق المواصلات الحالية سيجعل مصر تتغلب نهائياً على الصعوبات التى كانت قائمة فيما مضى فى سبيل استخراج هذه المعادن والانتفاع بها تجاريا .

الصحراء الغربية أو صحراء ليبيا
وتمتاز بكثرة الكثبان الرملية (الغرود) وهى تلال من الرمال تنقلها الرياح من مكان لآخر .

والصحراء الغربية شديدة القارية والجفاف إذ يزيد الفرق الحرارى اليومى حتى يبلغ نحو ٢٥ درجة مئوية فى بعض الجهات . كما قد تصل درجة الحرارة فى الصيف إلى أكثر من ٥٠ درجة مئوية . وقد تهبط درجة الحرارة إلى درجة التجمد فى الشتاء .

وتقع الصحراء الغربية خاصة تحت وطأة عواصف السموم فى الربيع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا بد لنا هنا من كلمة عن الأملاح المعدنية الموجودة بكثرة فى الصحراء الغربية فنقول :

أولا — يوجد كلورور الصوديوم (ملح الطعام) فى الملاحات والبحيرات الشمالية وخاصة عند مريوط وفى وادى النطرون .

و بقليل من العناية يمكن استخراج غاز الكلورين من هذه المناطق وهو المستعمل بكثرة الآن فى تعقيم مياه الشرب وفى الصناعات الحربية .

ثانياً — يوجد سلفات الصوديوم و كربونات الصوديوم فى وادى النطرون . وتستخرج هذه الأملاح الآن شركة الملح والصودا المصرية بالطريقة الآتية : تمتلىء بحيرات وادى النطرون بما يتسرب إليها من ماء النيل أثناء الفيضان فإذا جفت بعد ذلك تركت طبقة من أملاح الصوديوم المختلفة على سطح الأرض .

وتنقل هذه الأملاح على خط حديدى ضيق يمتد من وادى النطرون إلى بلدة الخطاطبة بمركز كوم حمادة بمديرية البحيرة ، ومن هناك إلى الإسكندرية حيث تعزل بلورات الأملاح المختلفة .

وتقوم الشركة أيضاً باستخراج النطرون من هذا الوادى و بتحضير الصودا الكاوية التى تدخل فى صناعة الصابون ، وصودا الغسيل — وتصدر بعض الكميات للشرق الأدنى .

ثالثاً — يوجد سلفات الألومنيا (الشب) وسلفات المانيزيا (الملح الإنجليزى) فى الصخور الرملية من الواحات الخارجة والداخلة . وتستعمل سلفات الألومنيا (الشب) خاصة فى دباغة الجلود وفى تقطير مياه الشرب — كما يستعمل (الملح الإنجليزى) كدواء . .

وكانت هذه الأملاح تستخرج كثيراً فى عهد الرومان . وأكثر الاستغلال الحالى من الواحة الخارجة لاتصالها بالخط الحديدى الفرعى الممتد من هذه الواحة إلى محطة مواصلة الواحات بمركز نجع حمادى بمديرية قنا .

وتوجد بالصحراء الغربية محاجر قديمة غنية بأحجارها المختلفة من جيرية ورملية فى جبل أبو رواش وحيط الغراب الواقع إلى شمال درب الفيوم بالقرب من جران الفول مما ساعد على قيام نهضة الأبنية الخالدة من أهرام ومعابد وتماثيل وغيرها منذ أقدم العصور فى منطقة الأهرام المعروفة بالجيزة .

وقد كان الاعتقاد السائد للآن أن أهرام الجيزة بنيت من أحجار مخلوعة ومنقولة من محاجر طرة ولكن الأستاذ سليم بك حسن صحح الواقع فى كتابه النفيس « مصر القديمة » حين قرر أن بناء أهرام الجيزة الأصلى قد قطعت أحجاره من محاجر محلية عثر عليها حديثاً حول الأهرام نفسها ولكن التكسية الخارجية كانت بأحجار من طرة (راجع كتاب « مصر القديمة » صفحة ١٤٦ الجزء الثانى) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما قول الأستاذ « بترى » بأن أحجار الأهرام قطعت من طرة فلا صحة له . و إذا كان كتاب الأغريق

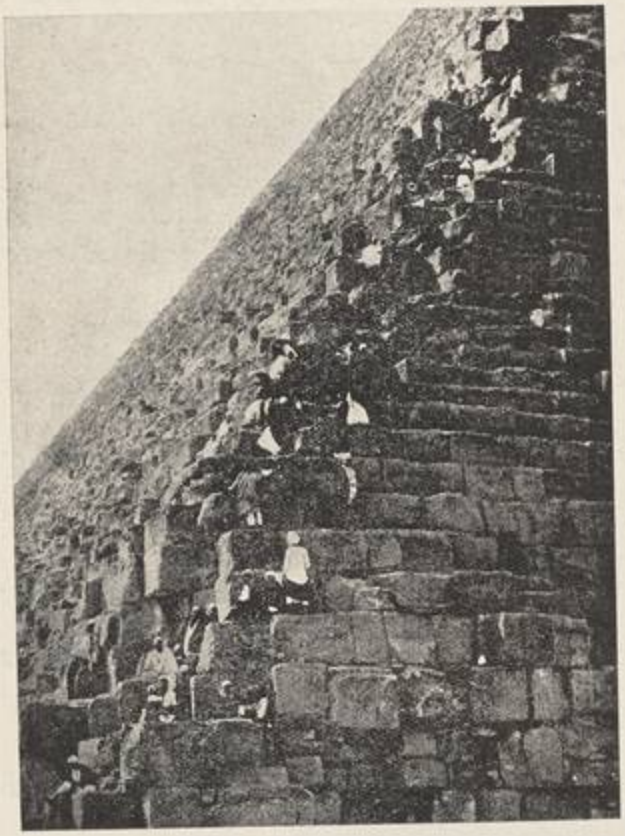

وإذا كان كتاب الأغريق والرومان ذكروا أن أحجار الأهرام قطعت من طرة فقد كان لهم بعض العذر وذلك لأن الأهرام فى عصرهم كانت لا تزال مكسوة بأحجار طرة .

أما الآن فقد ظهر أن الأهرام بنيت بأحجار مقطوعة من محاجر محلية عثر عليها بجوار الأهرام نفسها .

(عن الأستاذ سليم بك حسن)

والرومان ذكروا أن أحجار الأهرام قطعت من طرة فقد كان لهم بعض العذر وذلك لأن الأهرام فى عصرهم كانت لا تزال مكسوة بأحجار طرة . وبذلك حكموا بأن كل الأهرام قد بنيت من هذه الأحجار .

ويوجد كذلك الرخام فى منطقة جران الفول بالقرب من أهرام الجيزة . وتستخرج شركة مصر للمناجم والمحاجر رخام برلا من هذا المكان .

وتنقسم صحراء ليبيا إداريا إلى محافظتين تابعتين لمصلحة أقسام الحدود :

إحداهما تشمل القسم الشمالى بما فيه الواحات البحرية والفرافرة وتعرف بمحافظة الصحراء الغربية .

والأخرى تشمل الجزء الجنوبى بما فيه واحات الخارجة والداخلة وتسمى بمحافظة الصحراء الجنوبية .

منخفض القطارة :

اختصت الطبيعة هذا الجزء من أراضى الصحراء الغربية بمزايا عديدة أوضحها صاحب الدولة حسين سرى باشا فى مذكراته عن هذا المنخفض حين كان وكيلا لوزارة الأشغال فقال :

« يقع المنخفض فى الجزء الشمالى من الصحراء الغربية ، وفى منتصف المسافة بين وادى النيل والحدود الغربية ،

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتبلغ مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلومتر مربع أو ما يقارب مساحة الوجه البحرى والبحيرات ، ويبلغ متوسط عمقه ٦٠ متراً ويقع فيه جزء ينخفض إلى ١٣٤ متراً تحت سطح البحر، وهو يعد أوطأ بقعة عرفت حتى الآن فى أفريقيا . وقد تكوّن من تأثير الرياح فقد حملت من طبقاته الرخوة مكوناتها الرملية إلى الجنوب الشرقى ورسبتها على شكل جبال رملية هائلة يشاهدها رواد الصحراء على خطوط مستقيمة يربى طول بعضها على المائة كيلومتر ويكتنفه من الشمال والغرب شواطىء صخرية تعلو عن قاعه فى بعض الأجزاء حوالى ٣٠٠ متر . أما فى الجنوب والشرق فيعلو قاع المنخفض تدريجاً إلى متوسط منسوب الصحراء » .

ويرجع الفضل فى اكتشاف منخفض القطارة إلى العالم الكبير الدكتور جون بول الذى كان مديراً لمساحة الصحارى المصرية ، فقد كان يقوم فى أوائل سنة ١٩٢٧ بأبحاث فى الصحراء فتنبه إلى مزايا المنخفض ، ثم اشترك مع دولة حسين سرى باشا فى بحث مشروع الانتفاع بهذه المزايا فى توليد القوى المحركة .

وقد كان هذا المشروع ينطوى على استغلال المنخفض فى توليد الكهرباء لادارة طلمبات الصرف فى شمال الدلتا وفى تسيير قطارات السكك الحديدية بالوجه البحرى ، وفى إضاءة المدن والقرى الواقعة بين مديرية بنى سويف والبحر الأبيض المتوسط . هذا إلى جانب إدارة المصانع الوطنية بقوة كهربائية زهيدة الثمن .

أما وسائل الاستغلال فيؤخذ من مذكرات سرى باشا عن المشروع أنها تنحصر فى توصيل المياه من البحر الأبيض المتوسط إلى المنخفض بوساطة ترعتين يمر الماء فى أغلب طولها بنفقين من البناء ويسقط منهما فى القطارة .

ويبلغ طول الخط من البحر إلى المنخفض ٦٥ كيلومتراً ، تقام محطة توليد الكهرباء فى نهايته ، وتتكون الأرض التى يمر فيها النفقان فى أغلب طولها من أحجار جيرية وطفلية يسهل إنشاء النفقين فيها بوساطة حفارات دائرية مركزية جريا على ما هو متبع فى إنشاء نفق السكك الحديدية .

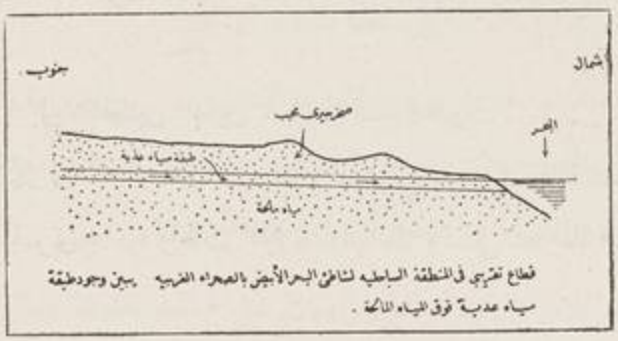

قطاع تقريبى فى المنطقة الساحلية لشمال البحر الأبيض بالصحراء الغربية يبين وجود طبقة مياه عذبة فوق المياه المالحة .

قد يؤدى تنفيذ مشروع منخفض القطارة إلى رفع منسوب المياه الجوفية فى الصحراء الغربية وإلى زيادة المساحات التى تزرع فى الواحات .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد قدرت النفقات التى يحتاج إليها فى توليد قوة كهربائية مقدارها ٥٥ ألف كيلووات بمبلغ ١٧ مليون جنيه ونصف ، وهى نفقات ليست باهظة إذا قورنت بما يتطلبه مشروع عادى لتوليد مثل هذه القوة الكهربائية من محطة تربينات بخارية تقام على النيل وتدار بالفحم ، لأن إنشاءها يحتاج إلى مليونين ونصف ، وتستلزم إدارتها ٧٦٠ الف جنيه فى السنة ، والصيانة ٦٠٠ الف جنيه .

فإذا روعى أن الفرق بين صيانة المحطتين هو ٩١٠ آلاف من الجنيهات وحول هذا الرقم إلى رأس مال بفائدة ٣ ½ ٪ لمدة ٣٠ سنة ، كانت النفقات ٩٠٠و٧٣٤و١٦ جنيه .

ومما انطوى عليه المشروع من المزايا أن وجود بحيرة فى القطارة يدعو إلى التنبؤ بزيادة كمية الأمطار التى تهطل على الساحل من تأثير تبخر ماء البحيرة .

يضاف إلى ذلك رفع منسوب المياه الجوفية فى الصحراء الغربية ، مما يؤدى إلى زيادة المساحات التى تزرع فى الواحات .

وفى الحرب الحاضرة كان منخفض القطارة حصناً طبيعياً لمصر أوقف زحف روميل الجبار وأنقذ مصر من الغزو الألمانى الايطالى إلى الأبد !

منخفض القطارة . . منظر عام لطبيعة الأرض فى منخفض القطارة . وفى الحرب الحاضرة كان منخفض القطارة حصناً طبيعياً لمصر أوقف زحف روميل الجبار وأنقذ البلاد من الغزو الألمانى الايطالى إلى الأبد !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الرابع

وادى النطرون

يسوقنا الكلام عن الصحراء الغربية إلى دراسة وادى النطرون وأديرته وحاصلاته فنقول :

يعرف هذا الوادى أيضاً بالأسماء الآتية : « وادى الأطرون » ، و« وادى هبيب » ، و « برية الأسقيط » ومعناها برية النسك ، و « برية شيهات » وهى محرفة من اللغة المصرية القديمة « شيهيت » ومعناها ميزان القلوب .

وفى الحقيقة فان برية شيهات جزء من أجزاء وادى النطرون طغى اسمها على الوادى كله بمناسبة شهرتها بأديرة الرهبان .

قال سمو الأمير عمر طوسون فى كتابه وادى النطرون يصف هذا الوادى :

« هو واد مستطيل منخفض فى الصحراء الغربية يتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ويبلغ طوله ٦٠ كيلومتراً . وطول البحيرات فيه ٣٠ كيلومتراً . ومتوسط عرضه عشرة كيلومترات . وأحط منسوب فيه وهو بالطبع منسوب بحيراته ٢٢ متراً تحت سطح البحر .

وتبلغ المسافة من طرفه الجنوبى الشرقى إلى مدينة القاهرة ٨٠ كيلومتراً . كما تبلغ المسافة من طرفه الشمالى الغربى إلى مدينة الأسكندرية ٨٥ كيلومتراً .

وماء بحيراته ملح . ولا شك أن جزءاً من مائها مستمد من ماء النيل بدليل أنها تزيد فى زمن فيضانه وتنقص فى وقت التحاريق حتى إن بعض هذه البحيرات يجف جفافاً تاماً فى فصل الصيف . وأكبر عمق فيها لا يزيد عن مترين » .

ويؤخذ من النقوش التى على جدران معبد أدفو أن هذا الوادى كان يسمى فى عهد البطالسة « سخت هام » ومعنى ذلك « حقل الملح » .

قال أسترابون الذى زار مصر فى القرن الأول الميلادى : « إن هذا الوادى كان يقال له إقليم النطرون وإنه يوجد به منبعان يستخرج منهما مقادير كبيرة من ملح البارود (النطرون) » .

ويشمل وادى النطرون « برية شيهات » الشهيرة التى بلغت شهرتها مبلغاً كبيراً ابتداء من القرن الرابع الميلادى ، وقد اكتسبت هذه الشهرة من سيرة الرهبان الذين استوطنوها واتخذوها مقراً لنسكهم وعبادتهم فى عهد القديس مقار وخلفائه .

وقد كان بهذا الوادى فيما بين القرنين الرابع والسابع بعد الميلاد عدد عظيم من الأديرة وكان بعضها مخصصاً لإقامة الرهبان الأجانب مثل الروم والأرمن والسريان والأحباش .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

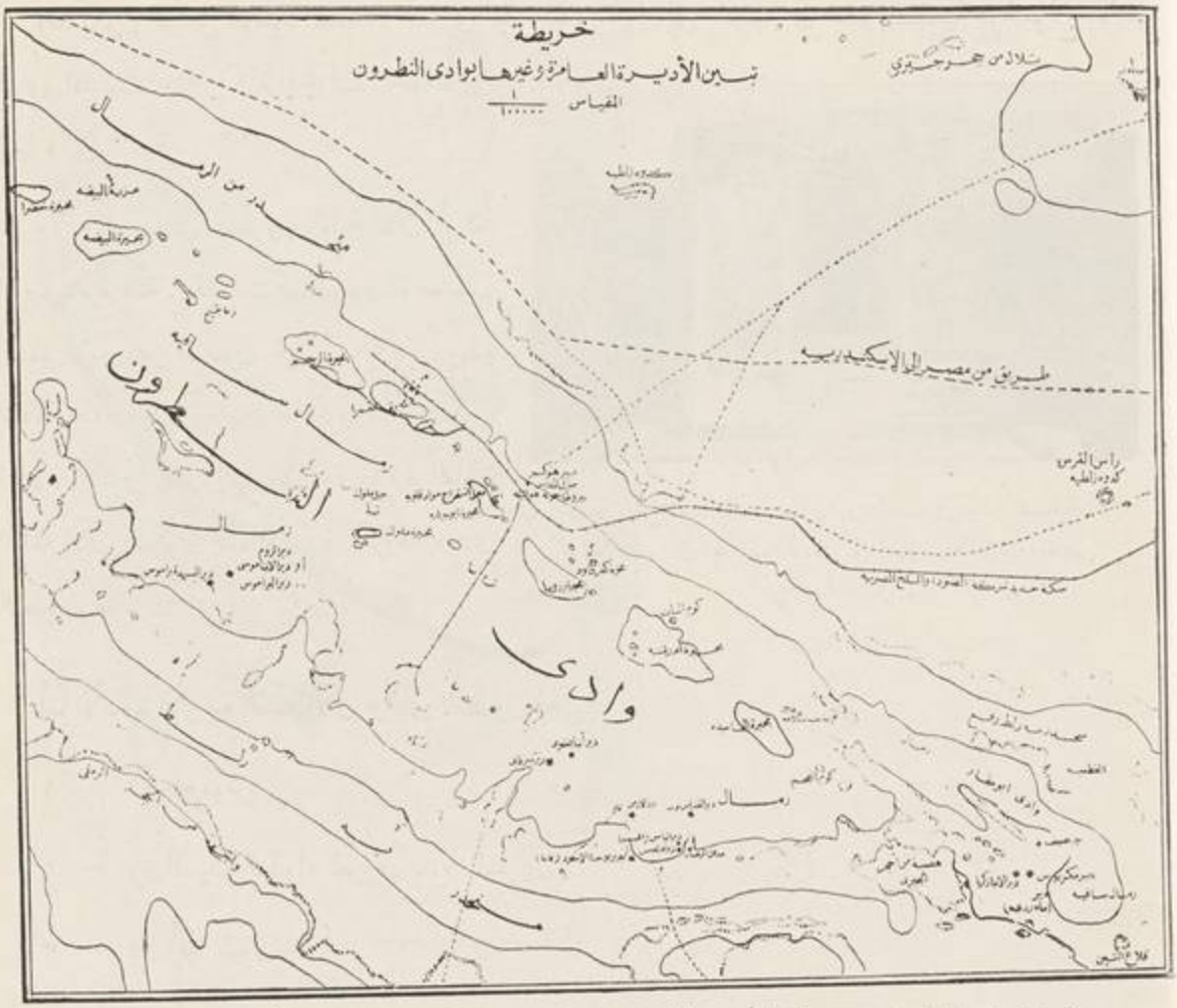

خريطة وادى النطرون تبين مواقع الأديرة العامرة وخلافها ومواقع البحيرات التى تستغلها شركة الملح والصودا .

وأول مبتدع لنظام الشركة فى الرهبنة بمصر هو الأنبا باخوميوس بعد أن كان الرهبان يعيشون على انفراد .

وقد كان باخوميوس قبل اعتناقه المسيحية متوحداً وثنياً سكن مع غيره من النساك معبد سيرابيس بصقاره . وظل على ذلك فيما بعد . وقد حذا حذوه الرهبان المسيحيون فى العصور الأولى فكثيراً ما أبدلوا المعابد الوثنية واستخدموها لسكناهم كما حدث فى معبد حاتشبسوت بمدينة طيبة وهو المعروف للآن باسم الدير البحرى وكذلك فى معبد الأقصر ومعبد دندره وغيرها .

وكان الرهبان يعيشون فى الدير كأخوة يقتسمون كل شىء بينهم بالتساوى . ومن القواعد المتبعة عندهم ألا ينام الراهب إذا غضب عليه أخوه ما لم يصافحه عملا بقول بولس الرسول « لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكانا » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد يكون الهيكل الموجود بمعبد الأقصر فى الجزء الذى حول إلى كنيسة فى صدر المسيحية هو النموذج الأصلى الذى اقتبست منه فكرة المحراب المجوف فى العمارة الإسلامية .

جزء من معبد الاقصر حول إلى كنيسة فى صدر المسيحية . ولا شك أن المحراب المجوف فى العمارة الاسلامية مقتبس من هذا الشكل .

ولا يزال بوادى النطرون لغاية الآن أربعة أديرة عامرة قائمة . وقد استكشف حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون خرائب ٢٦ ديراً بهذه المنطقة يضاف إليها آثار أربعة أديرة قديمة فتكون الجملة ٣٠ ديراً يضم إليها الأربعة أديرة العامرة القائمة الآن فتكون جملة الأديرة المعروفة بوادى النطرون حالياً ٣٤ ديراً .

أما الأديرة الأربعة القائمة الآن بوادى النطرون فهى :

١ — دير البرموس

٢ — دير السيدة العذراء المعروف بدير السريان

٣ — دير أنبا بشوى

٤ — دير أبو مقار

ومن السهل الوصول إليها الآن عن طريق مصر الاسكندرية الصحراوى على شرط استعمال سيارات ذات إطارات عريضة للصحراء . فبعد الوصول إلى استراحة شل بمنتصف الطريق ينحدر الإنسان إلى بير هوكر بوادى النطرون حيث منزل مدير مصنع شركة الملح والصودا الموجود بجواره طاحونة هوائية ومن هناك إلى الأديرة .

كما أنه من الممكن الوصول إليها بواسطة سكة حديد الحكومة المصرية عن طريق مصر — الخطاطبة ثم بواسطة سكة حديد شركة الملح والصودا المصرية لغاية بير هوكر ثم بعد ذلك تستعمل الركائب أو الجمال .

وتحتاج الطريق الثانية إلى تصريح بالسفر من إدارة شركة الملح والصودا بالاسكندرية ، على أنه من المستحسن الاتصال بدار البطريركخانة للأقباط الارثوذكس بمصر للحصول على كافة البيانات والتوصيات اللازمة لهذه الرحلة الجميلة حقاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الطريق إلى . . . .
أديرة وادى النطرون

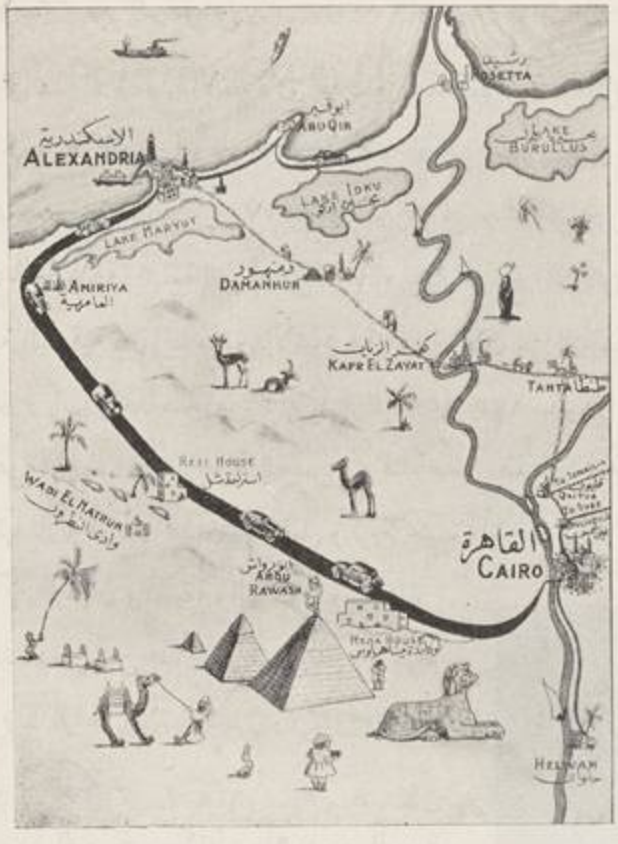

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية .
وترى موقع استراحة شل ووادى النطرون .
وتفهم من هذا الرسم كيفية الوصول إلى وادى النطرون وأديرة برية شيهات .

أديرة وادى النطرون .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١ — دير البرموس[1]

دعى هذا الدير بهذا الاسم لأن القديسين مكسيموس ودوماديوس — أبناء ڤالنتنياس ملك الروم — كانا أول من ترهب به كما ورد فى تاريخ حياة الأنبا مكاريوس الكبير من مؤسسى الرهبنة الذى توفى سنة ٣٩٠ م .

وتبلغ مساحة هذا الدير ١٠٧٠٠ متر مربع وهو مربع الشكل تقريباً . ويقع على مسيرة ساعة واحدة غرب ملاحات وادى النطرون فى البقعة التى تدعى نتريا أو جبل برنوج الذى ورد ذكره فى سير الشهداء ، ويقرب به من الجهة الشمالية الشرقية دير أنبا موسى الأسود وقد اندثر الآن من الوجود .

وللدير باب واحد منخفض لا يزيد ارتفاعه على ١٧٥ سنتيمترا تعلوه منارة صغيرة معلق بها ناقوس .

وعلى يمين الداخل طاحونة للجبس ثم فناء صغير يقع فى الجهة الشرقية ويوصل إلى فناء آخر به حديقة تبلغ مساحتها ثلاثة أرباع الفدان بها نخيل وكروم عنب وأشجار فواكه أخرى وبعض الخضراوات وتحيط بها الكنائس ومساكن الرهبان والمضيفة والطاحون وسواها .

وادى النطرون — دير البرموس

وقد انتخب من هذا الدير خمسة بطاركة آخرهم البطريرك الراحل الأنبا يؤنس وترتيبه ١١٣ فى جدول البطاركة .

بهذا الدير خمس كنائس أهمها من الوجهة الأثرية كنيسة السيدة العذراء وتبلغ مساحتها ١٢٠٠ متر مربع ويغطى صحنها قبو من الطوب .

وتقع الهياكل فى الجهة الشرقية وتعلوها قباب ويفصل صحن الكنيسة عن الجناحين القبلى والبحرى صفان من الأعمدة الرخامية .

ويتكون حجاب الهيكل الأوسط من مصراعين مرتفعين كانا فى الزمن السابق يفتحان فى أثناء إقامة القداس كالمتبع الآن بكنيسة دير السريان ولكنهما أوصدا وفتح فى وسطهما باب صغير ، ويزين الحجاب حشوات منقوشة نقوشاً بارزة من العصر الفاطمى وتنفصل الهياكل الثلاثة بعضها عن بعض بحواجز خشبية .

وفى صحن الكنيسة اللقان وهو حوض من حجر مربع الشكل .

---

(١) راجع دليل المتحف القبطى ج ٢ ص ٧١ وما يليها للعلامة الكبير مرقس سميكه باشا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبجوار هذه الكنيسة من الجهة الغربية كنيستان صغيرتان إحداهما مكرسة على اسم مار جرجس والأخرى على اسم الأمير تادرس وتبلغ مساحة الكنيسة الأولى ٢٥ متراً مربعاً وتستعمل الآن كمخزن للغلال ، والثانية كالأولى من حيث المساحة والبناء ويوجد بها رفات الأنبا موسى الأسود والقس سيداروس .

وقد بنى الأنبا يؤنس البطريرك الراحل كنيسة جديدة باسم يوحنا المعمدان على أنقاض كنيسة أنبا أبلو وأنبا أبيب . وبالدير عدة صور قديمة غير معروف تاريخ صنعها وبعضها حديث لم يمض عليه أكثر من قرنين تمثل أنبا أنطونيوس وأنبا بولا وأبا نفر السائح ، وأنبا أبلو وأنبا أبيب ومكسيموس ودوماديوس وغيرهم من القديسين .

وتقع المائدة فى الجنوب الشرقى من كنيسة العذراء وهى كغيرها من موائد الأديرة مسقوفة بعقد من الطوب الأحمر ويدخل إليها النور من كوتين صغيرتين فى السقف . وبالقرب من مدخلها كرسى القراءة (منجلية) — وهو من حجر على شكل Y وبأحد جوانبه صليب منحوت جميل الشكل — يوضع عليه الكتاب المقدس ويتلو منه أحد الرهبان بعض فصول الكتاب المقدس أثناء الطعام .

وتنقسم المائدة عادة إلى ثلاثة أقسام أولها للشيوخ والثانى للشبان والثالث للمرشحين للرهبنة .

وبأعلى الحصن الذى يقع وسط الدير والذى كان يلجأ إليه الرهبان عند هجوم البدو وغيرهم كنيسة الملاك ميخائيل شيدها المعلم إبراهيم الجوهرى وليس بها ما يستحق الذكر .

وحصن دير البرموس كحصون غيره من الأديرة بناء مرتفع مستقل عن بقية أجزاء الدير له عدة طبقات ويفتح بابه فى الطابق الثانى ويمكن الوصول إليه بقنطرة من خشب تتصل ببناء آخر محاذ للحصن ترفع عند اللزوم حتى لا يتمكن المهاجمون من اللحاق بمن يلجأ إليه من الرهبان .

وكان المتبع أن يوضع بمخبأ بالحصن ما يمتلكه الدير من الأوانى الثمينة ونفائس الكتب إلى غير ذلك . وكذلك كمية من الترمس ليقتات به اللاجئون إليه ويستقون من بئر بداخله .

وقد ورد فى السنكسار أن الذى بنى حصون أديرة برية وادى النطرون هو زينون ملك القسطنطينية (٤٧٤ — ٤٩١ م) الذى كان معاصراً لأنبا أثناسيوس البطريرك الثامن والعشرين .

ويجد الزائر المكتبة بغرفة بالدور الأرضى المخصص للضيوف ويبلغ عدد الكتب الموجودة بها ٧١١ كتاباً منها ٤٢٢ مخطوطاً و ٢٨٩ مطبوعاً . وبالدير ٣٣ راهباً ويقيم رئيسه فى طوخ النصارى بمركز تلا بمديرية المنوفية . أما الأمين فيقيم بالدير .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — دير السيدة العذراء المعروف بدير السريان :

أنشئ هذا الدير كغيره من أديرة برية شيهات فى القرن الرابع وهدم وأعيد بناؤه وأدخلت عليه تعديلات فى أزمنة مختلفة . وتبلغ مساحته ٧٠٠٠ متر مربع ويقع فى الجنوب الغربى من دير البرموس على مسيرة ساعتين منه . ويحيط به كباقى الأديرة سور عال محصن ، على شكل قلعة ، اتقاء لشر هجوم اللصوص .

ولا يخفى أن السريان متناسلون من الأشوريين الذين سكنوا ما بين النهرين (العراق) ، وكانت بابل عاصمة بلادهم .

وتعتبر حضارتهم الثانية بعد حضارة مصر . ولغتهم الآرامية هى التى كانت مستعملة فى الجليل فى عصر المسيح وكان يتكلم بها هو وتلاميذه ولا تزال فى الإنجيل بعض ألفاظ سريانية باقية على أصلها .

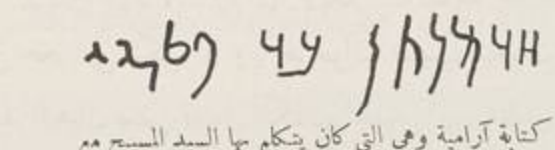

كتابة آرامية وهى التى كان يتكلم بها السيد المسيح مع تلاميذه فى الجليل (فلسطين) .
وقد وجد هذا النص على كفن فى صقارة من العصر القبطى .

اعتنق السريان المسيحية على يد بطرس الرسول واتحدوا مع الأقباط فى العقيدة ولم يوافق بطريركهم ساويرس هو والأنبا ديسقوروس على قرار المجمع الخلقدونى . واحتمل هذان البطريركان مع شعبيهما الإهانة والاضطهاد من الملكيين (أتباع الملك مرقيان) من جراء عدم موافقتهما على القرار السالف الذكر .

ورقة بردى آرامية وجدت بحفريات جزيرة الفنتين بأسوان .
وهذه اللغة هى التى كان يتكلم بها السيد المسيح مع تلاميذه فى الجليل .
وتعرف أيضا باسم اللغة السريانية .

ولاتحاد الأقباط الأرثوذكس مع السريان فى العقيدة لقبهم بعض المؤرخين خطأ « يعاقبة » نسبة إلى يعقوب السريانى تلميذ القديس ساويرس الانطاكى وقد استمرت العلاقات بين الكنيستين القبطية والسريانية على أتم صفاء إلى وقتنا هذا . وكان البطريرك القبطى بمجرد رسامته يبادر بإعلان ترقيته إلى الكرسى الإنطاكى وكانوا يتبادلون الرسائل والزيارات فى كثير من الأحيان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد جلس على الكرسى المرقسى بعض السريان مثل :

١ — سمعان البطريرك الثانى والأربعين (٦٨٤ — ٦٩٢ م) .

٢ — أنبا أبرام البطريرك الثانى والستين (٩٦٨ — ٩٧١ م) .

٣ — أنبا مرقس بن زرعه البطريرك الثالث والسبعين (١١٥٧ — ١١٨٠ م) .

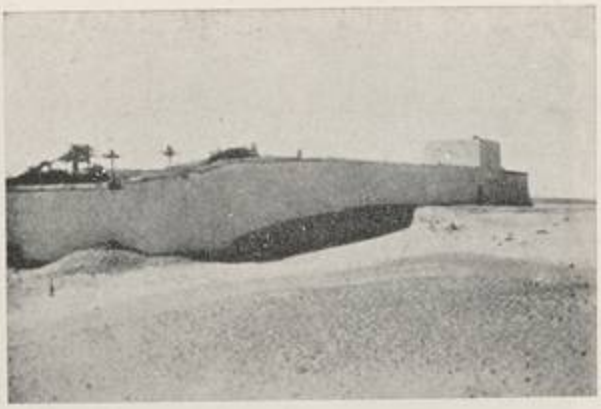

دير السريان — منظر خارجى

وآخر مرة زار القطر المصرى بطريرك السريان منذ ستين عاماً تقريباً فى عهد أنبا كيرلس الخامس . وقد نزل مع حاشيته بدار البطريركية بمصر ، وأقام القداس بالكاتدرائية حسب طقوس كنيسته . وكان الأقباط دائماً يضيفون السريان على الرحب والسعة ويعاملونهم كما يعاملون الأرمن بأن يخصصوا لهم أجزاء من بعض الكنائس القبطية ليقيموا بها الشعائر الدينية بلغتهم وحسب طقوسهم .

دير السريان — منظر داخلى

ويعتبر دير السريان من أهم أديرة وادى النطرون من الوجهة الأثرية والفنية لأنه لما خرب لآخر مرة مع باقى الأديرة فى عهد الأنبا مرقس البطريرك التاسع والأربعين (٧٩٠ - ٨١٠ م) وأعاد بناءه مع الأديرة الأخرى خلفه الأنبا يعقوب البطريرك الخمسون (٨١٠ — ٨٢١ م) حفظت كنائسه شكلها ونجارتها وزخارفها من ذلك العصر .

ومن المرجح أنه كان بهذا الدير منذ تأسيسه مع باقى أديرة وادى النطرون فى أواخر القرن الرابع بعد الميلاد — جماعة من الرهبان السريان لأن بين الكتب التى نقلها منه يوسف السمعانى إلى مكتبة الفاتيكان بروما سنة ١٧١٥م نسخة بهـا وقفية هذا نصها : « صار شراء هذا الكتاب فى اليوم الثلاثين من شهر تموز سنة ٨٨٧ يونانية (٥٧٩ م) فى عهد التقى مار تاوضور الرئيس بنعمة الله الذى اشترى هذا الكتاب وغيره من ماله للدير ببرية شيهات لتعليم كل من يطلع عليها وتقويته فى الإيمان ، والله تعالى الذى أوجد بواسطته هذا الكنز فى ديره يكافئه والذى يتجرأ و يأخذه ولا يعيده يكون نصيبه مع يهوذا الأسخريوطى » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن هذا يرى جليا أن رئيس هذا الدير كان سريانياً فى القرن السادس الميلادى .

ويظهر أن هذا الدير أعيد للقبط فى القرن السابع عشر فقد عثر فى فهرس الكتب الخطية التى نقلت منه إلى المتحف البريطانى على نسخة خطية ذكر بها أنها نسخت فى عهد رئيسه القمص عبد المسيح فى زمن الأنبا متاوس البطريرك سنة ١٣٥٠ قبطية (١٦٣٤ م) .

ويدخل زائر هذا الدير إلى حوش صغير فيجد على يمينه البرج وقد رممه المعلم ابراهيم الجوهرى سنة ١٤٩٩ للشهداء (١٧٨٣ م) وبنى بأعلاه كنيسة على اسم الملاك ميخائيل حجابها مطعم بالعاج البسيط . وبجوار البرج دار

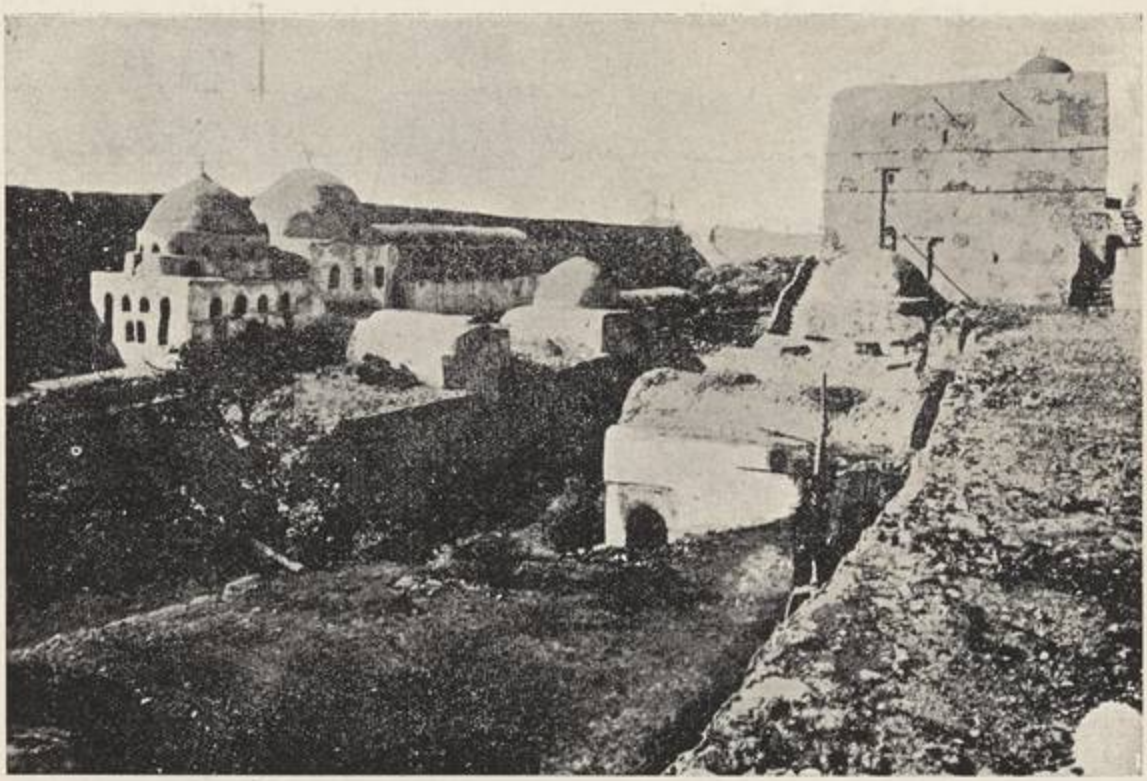

دير السريان — الكنيسة الكبرى من الخارج .

الضيافة . وعن يمين الزائر باب آخر يوصل إلى حديقة صغيرة تحيط بها الكنائس — أما المائدة وبعض مساكن الرهبان فتتصل بحديقة أخرى أكبر من الأولى فى المساحة . وهى واقعة فى الجهة الشرقية تحيط بها باقى مساكن الرهبان .

وبهذا الدير كنيستان على اسم العذراء عدا كنيسة الملاك ميخائيل القائمة فوق البرج وتعتبر كنيسة العذراء الكبيرة أهم هذه الكنائس وأقدمها يبلغ طولها ٣٠ متراً وعرضها ١٢ متراً وارتفاع سقف صحنها نحو ١٥ متراً تقريباً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد بحث « مونيرية » ، عما إذا كان السريان قد بنوا هذه الكنيسة — عند استيلائهم على الدير بشرائه حوالى سنة ٨٥١ م على زعمه — على طراز كنائس العراق فتحقق أن الأقباط هم الذين بنوها على الطراز المصرى قبل الاحتلال السريانى ، فهى لا تختلف عن الكنائس المصرية سواء أكانت أقدم عهداً منها مثل كنائس الدير الأبيض والأحمر ودندرة ودير أبو فانه أو أحدث عهداً مثل كنيستى أبو سرجة والست بربارة بمصر القديمة ، وهى مثل تلك الكنائس على الطراز الباز يليكى لها صحن وجناحان كان يفصلهما عن بعضهما البعض صفان من الأعمدة استبدلت بأكتاف فى زمن غير معلوم .

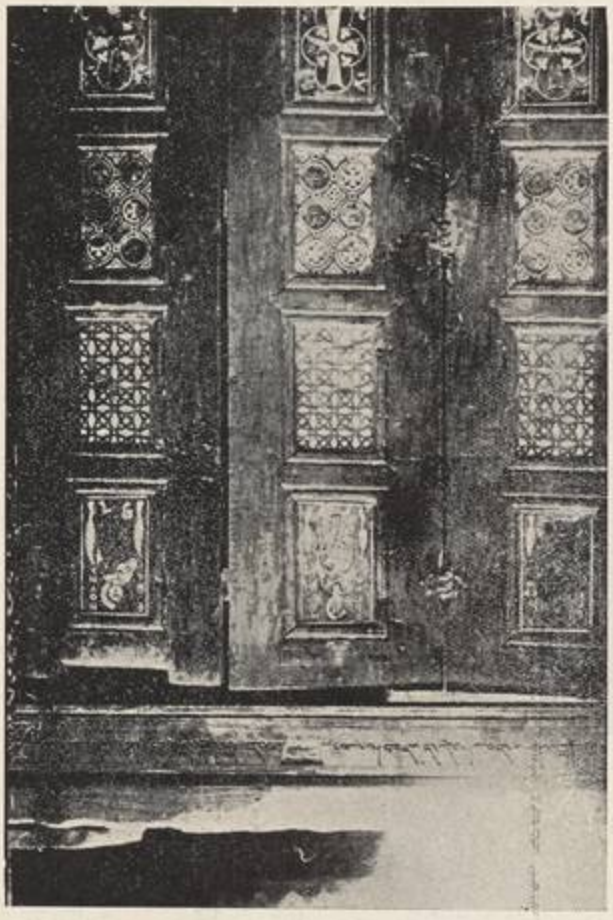

دير السريان — باب الخورس بالكنيسة الكبرى .

ويغطى الصحن والجناحين قبو من الطوب . وبالصحن اللقان . ويغطى الخورس الذى يفصل الصحن من الهياكل ، قبة على جانبيها نصفا قبة رسم على أحدهما نياحة العذراء وعلى الآخر البشارة والميلاد .

ويفصل صحن الكنيسة عن الخورس باب مكون من أربع عوارض كتب على دائرته بالسريانية بأحرف بارزة : « عمل فى سنة ٩٢٦ ميلادية فى عصر البطريركين قزمان الأسكندرى وباسيليوس الإنطاكى » .

ويزين العوارض الأربع حشوات مطعمة بالعاج على أشكال هندسية يتخللها الصليب وبأعلى الباب أربعة ألواح من العاج نقشت عليها الصور الآتية وقد كتبت عليها أسماء القديسين بالقبطية : القديس بطرس ، مريم المجدلية ، صورة غير واضحة ، القديس مرقس .

ويفصل الخورس عن الهيكل حجاب مكون من ست عوارض خشبية يزين كلاً منها حشوات مطعمة بالعاج بأشكال هندسية جميلة يتخللها الصليب وكتب عليها بالسريانية تاريخ إنشاء الباب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبأعلى الحجاب ستة ألواح بها الصور الآتية منقوشة فى العاج وقد كتبت عليها اسماؤها باليونانية وهى من اليسار إلى اليمين : القديس ساويرس ، القديس أغناتيوس ، القديسة مريم ، عمانوئيل ، القديس مرقس ، القديس ديسقوروس .

وفى أثناء القداس تفتح العوارض التى يتكون منها هذا الحجاب فيتمكن المصلون من رؤية المذبح وكل ما بداخل الهيكل .

دير السريان .
زخارف بالجبس بجدران الهيكل الأوسط بالكنيسة الكبرى .

ويزين جدران الهيكل الأوسط ثلاث « صفف » ونقوش بارزة فى الجبس يقول بعض علماء الآثار إن رسمها نقل من بلاد العراق . وتعلو الهيكل قبة عالية وتعلو المذبح قبة خشبية ترتكز على أربعة أعمدة وبين العمودين الشرقيين صورة المسيح وهو فى القبر .

والهيكلان القبلى والبحرى لا يستعملان الآن .

وبجدار الكنيسة الغربى باب يؤدى إلى غرفة المائدة رسم فوقه صورة الصعود . والمائدة لا تختلف عن نظيرتها بدير البرموس .

وعن يسار هذا الباب لوح من الرخام كتب عليه بالقبطية تاريخ وفاة أنبا يخنس كاما فى سنة ٥٧٥ قبطية (٨٥٩ م) .

أما الكنيسة الصغرى وتدعى كنيسة المغارة فتنقسم من الغرب إلى الشرق إلى ثلاثة أقسام : خورس أول من جهة الغرب ، وخورس ثان ، والهياكل يغطيها قباب ، وهى مربعة الشكل ، تبلغ مساحتها ١٤٤ متراً مربعاً ، وينزل إليها الزائر بثلاث درجات تتصل بدهليز يقع فى وسطه باب الخورس وأحجبتها من الخشب المطعم بالعاج تطعيما بسيطا . وفى الجهة البحرية رفات قديسين موضوعة فى صندوق خشبى كبير تعلوها أيقونة جميلة للعذراء . ثم منبر مطعم بالعاج . وأمام مدخل الكنيسة « فسحة » واسعة تعلوها قبتان مرتفعتان . وفوق بابها قطعة من الرخام الأزرق محفور فيها صليب .

ويذهب « مونوريه » إلى أن هذه الكنيسة تشبه فى كثير من الوجوه كنائس أديرة طور عابدين بالعراق .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وخلف كنيسة المغارة شجرة عظيمة من نوع التمر هندى تدعى شجرة الأنبا إبرام يزعمون أنها نبتت من عصا هذا القديس .

قنطرة الحصن المتحركة بدير السريان .

أما المكتبة — كما فى باقى الأديرة — فكانت فى الأصل بالقصر صيانة لها من اللصوص ، والآن خصصت لها غرفة بدار الضيافة ، وقد نقل منها بعض العلماء مثل يوسف السمعانى وكرزون وغيرهما كثيراً من المخطوطات السريانية الثمينة . ويوجد أهمها بمكتبة المتحف البريطانى . ومن الاطلاع على الفهرس الخاص بها يرى أن أغلبها مؤرخ فى ما بين القرنين الرابع والتاسع

ويذكر كرزون أنه رأى أيضاً بالأديرة البحرية عدداً كبيراً من القناديل الزجاجية المحلاة بالميناء وقد زالت الآن من الوجود .

وتحتوى المكتبة الآن على ٦١٥ مجلداً منها ٥٤٧ كتاباً خطياً لا يوجد بينها كتاب واحد باللغة السريانية . ويوجد بهذا الدير الآن ٢٥ راهباً والرئيس والأمين .

٣ — دير أنبا بشوى

الأنبا بشوى هو مؤسس الدير الأحمر القريب من سوهاج ، أما دير الأنبا بشوى بوادى النطرون فقد بناه بعض أتباع هذا القديس فى القرن الرابع ، يؤيد ذلك ورقة خطية عثر عليها الرحالة كرزون . وقد أعيد بناؤه فى عهد أنبا يعقوب البطريرك الخمسين (٨١٠ — ٨٢١ م) ورمم فى عهد أنبا بنيامين البطريرك الثانى والثمانين سنة ١٣١٩ م وعمل آخر ترميم به منذ ١٦٠ سنة تقريباً .

وتبلغ مساحة دير أنبا بشوى ١١٣٠٠ متر مربع وهو أكبر أديرة وادى النطرون ويقع شرقى دير السريان على بعد نصف كيلو متر منه .

ولهذا الدير باب واحد من الجهة البحرية يدخل منه الزائر فيجد إلى يمينه ساقية لرفع الماء وفناء كبيراً على جوانبه الثلاثة القلالى وعلى جانبه الرابع كنيسة الأنبا بشوى .

وبهذا الدير حديقة متسعة تزيد على الفدان بها بعض أنواع الفاكهة والخضراوات .

ورغم اتساعه فإن رهبانه كانوا ولا يزالون أقل عدداً من غيرهم فى أديرة وادى النطرون . ويرجع السبب فى ذلك إلى قلة دخله . وعدد رهبانه حالياً ١٥ راهباً فقط . ويقيم رئيس الدير فى كفر داود . وأما أمين الدير

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فيقيم مع الرهبان . وأجمل ما به من الأبنية كنيسة الأنبا بشوى لها ثلاثة أبواب واحد فى كل من جهاتها البحرية والقبلية والغربية .

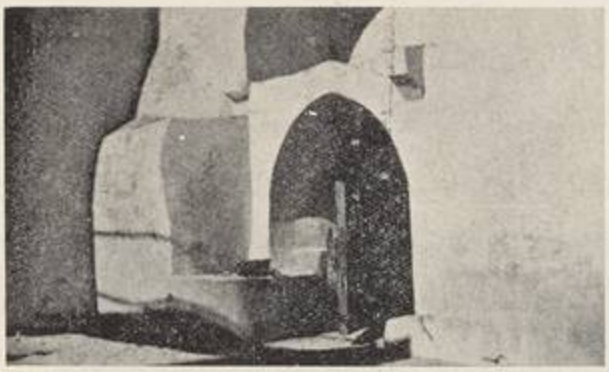

دير الأنبا بشوى

يدخل الزائر من الباب الغربى إلى صحن الكنيسة الذى تفصله عن الجناحين القبلى والبحرى أكتاف من الحجر ويغطى الصحن والجناحين جملون من الطوب الأحمر أما الهياكل فتغطيها قباب .

وينقسم الصحن إلى ثلاثة أقسام تفصلها عن بعضها البعض جدران من البناء لا يزيد ارتفاعها عن ١٥٠ سم ويتوسطها باب صغير . ويفصل القسم الشرقى عن الهيكل الأوسط حجاب من الخشب المطعم بالعاج . وبالهيكل المذبح وخلفه بالجدار الشرقى مدرج مكسو بالرخام .

وإلى يسار الكنيسة الكبرى كنيسة صغيرة بها رفات الأنبا بشوى وبها مذبح واحد ويغطيها قباب وعلى يمينها كنيسة أخرى على اسم الشهيد أبسخيرون تعلوها قبة جميلة وخلف هيكلها المعمودية وهى الوحيدة فى كنائس الأديرة .

وفى الزاوية القبلية الغربية كنيسة مار جرجس وقد سقط سقفها وأعيد بناؤها حديثاً .

وتقع المائدة بجانب هذه الكنائس كما هو الحال فى دير البرموس . وهى غرفة مستطيلة فى وسطها مائدة من حجر على ارتفاع متر وعلى جانبيها مصطبتان لجلوس الرهبان ارتفاعهما ٥٠ سم وفى آخر المائدة كرسى من حجر للقراءة أثناء الطعام .

وليس بالحصن ما يستحق الذكر سوى كنيسة بالدور الثانى على اسم العذراء بها ثلاثة هياكل وكنيسة أخرى بالطابق الأعلى على اسم الملاك ميخائيل حجابها من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس وقد انهارت قبابها وسقط حجابها منذ بضع سنين عقب نزول مطر غزير . ويبلغ عدد الكتب الموجودة بمكتبة هذا الدير ٢٣٥ مجلداً منها ١٤٨ كتاباً خطياً يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٣٥٣ م .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٤ — دير أبو مقار

يقع هذا الدير جنوب غربى دير أنبا بشوى وتبلغ مساحته ٨٠٠٠ متر مربع . ويقال إن مساحته كانت فى الأصل أربعة أفدنة وخمسة قراريط . وحوله بقايا مبانى متهدمة كانت على الأرجح أجزاء من بقايا الدير الأصلى . وهو على مسيرة عشر ساعات من قرية بنى سلامة القريبة من وردان بمركز امبابة بمديرية الجيزة حيث تبدأ طريق القوافل وتمر على آثار كثير من الأديرة التى اندثرت .

أنشىء هذا الدير فى عهد القديس مكاريوس (أبو مقار) الذى عاش فى القرن الرابع وهدم وأعيد بناؤه وأدخلت عليه تعديلات كان يقوم بها بعض البطاركة فى أزمنة مختلفة .

ويعتبر هذا الدير من قديم الزمان أهم أديرة القطر المصرى وتكاد لا تخلو سيرة أحد بطاركة الاسكندرية من ذكره وقد تخرج فيه ودفن به أكبر عدد من البطاركة .

وجرت العادة أن المنتخب للبطريركية — بعد تكريسه بالاسكندرية — يتوجه تواً إلى دير أبو مقار لإتمام الرسامة وللتقديس به واستمرت هذه العادة إلى أن أبطلت أخيراً .

وحدث أن مقاره البطريرك التاسع والستين (١٠٩٤ — ١١٢٢ م) بعد رسامته بالاسكندرية — ذهب تواً إلى مصر للتقديس بكنيسة المعلقة فحضر وفد من رهبان دير أبو مقار واعترض على عمله هذا فاضطر إلى الذهاب إلى دير أبو مقار للتقديس كالعادة التى كانت متبعة .

وكان يسكن هذا الدير عدد عظيم من الرهبان . وكانت تخصص قلالى للوافدين منهم من أكبر المدن ومن الأقاليم المختلفة . فقد ورد فى كتاب سير البطاركة المؤرخ فى القرن الرابع عشر المحفوظ فى مكتبة الدار البطريركية أنه نسخ فى قلاية الدماهرة (نسبة إلى دمنهور) .

وذكر المقريزى أنه كان به ١٥٠٠ راهب لم يبق فى وقته منهم سوى القليل ، وروى الشماس ابن مفرج الاسكندرى أنه لما زار هذا الدير سنة ٨٠٤ للشهداء (١٠٨٨ م) وجد به ٤٠٠ راهب .

وقد ترجمت بهذا الدير الكتب المقدسة من اليونانية إلى القبطية البحرية ، ومن القبطية إلى العربية والحبشية ، وقد اشتهر رهبان هذا الدير بالتبحر فى العلوم اللاهوتية .

وكانوا يشتركون فى وضع الكتب الكنسية والقداسات والقوانين وسير البطاركة والقديسين .

ويحيط بهذا الدير — كغيره من الأديرة — سور محصن على شكل قلعة وبه باب واحد من الجهة الشرقية يدخل منه الزائر فيجد إلى يساره فناء يوصل

قنطرة الحصن المتحركة بدير أنبا مقار . وترى فى الصورة حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر باشا طوسون .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

إلى المخازن والمائدة والطاحون و إلى يمينه فناء آخر يوصل إلى حوش تحيط به الكنائس والحصن ومساكن الرهبان ودار الضيافة .

ولما كان لا يوجد بهذا الدير بئر بها ماء يصلح للشرب كما هو الحال فى غيره من الأديرة كان الرهبان يقاسون مشاق عظيمة للحصول على الماء من بئر تبعد عن الدير نصف كيلومتر تقريباً . وقد حاولوا عبثاً أن يجدوا داخل حدود الدير ماء عذبا إلى أن أتاح الله لهم حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون فأنشأ على نفقته فى سنة ١٩٢٩ بئراً تفى بحاجتهم .

و يوجد بهذا الدير سبع كنائس ثلاث منها بالدور الأرضى وأربع بالحصن أهمها كنيسة أبو مقار أعاد بناءها وكرسها الأنبا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثون (٦١٧—٦٥٦ م) . و بهذه الكنيسة رفات القديس مكاريوس كما توجد بجوار الهيكل البحرى أجساد ستة عشر بطريركا محفوظة فى صناديق لها جوانب زجاجية .

دير أبو مقار

وقد ورد فى تاريخ خائيـــل البطريرك السادس والخمسين (٨٦١ — ٨٨٦ م) أن خمارويه بن أحمد بن طولون سار إلى برية وادى هبيب ودخل بيعة القديس مكاريوس ونظر إلى الأجساد المحنطة وسأل عنها فقيل إنها أجساد بطاركة فأمر بحل جسد القديس أبو مقار من أكفانه لرؤيته فأجيب إلى طلبه .

ويروى أنه كان بهذه الكنيسة سبعة هياكل وكانت تسع آلاف المصلين ولكنه لما رمم الدير لآخر مرة أنقص حجمها .

والكنيسة الثانية على اسم أبسخيرون وهو شهيد من الاسكندرية .

والكنيسة الثالثة على اسم الشيوخ بنيت فى زمان الأنبا تاودوسيوس البطريرك الثالث والثلاثين فى نحو سنة ٥٢٨ م وكرست فى عهد الأنبا بنيامين الثامن والثلاثين (٦١٧ — ٦٥٦ م) وتداعت للسقوط وجددها المعلم ابراهيم الجوهرى ، و بها هيكل واحد ومدفن شيوخ برية شيهات التسعة والأربعين الذين بنيت باسمهم والذين نالوا اكليل الشهادة لأجل الإيمان .

و بهذه الكنيسة صورة قديمة كبيرة الحجم للمقارات الثلاثة (مكاريوس الكبير، مكاريوس القس الأسكندرى ، مكاريوس أسقف ادكو) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما الحصن فهو مربع الشكل طول ضلعه ١٥ متراً وارتفاعه نحو ٢٠ متراً تقريباً ، ومدخله بالطابق الثانى يصل إليه الإنسان بواسطة قنطرة متحركة .

وبالطابق الثانى منه كنيسة على اسم السيدة العذراء بها ثلاثة هيا كل تتوسطها مذابح كاملة المعدات ولكنها كغيرها لا تستعمل الآن فى إقامة الشعائر الدينية .

وبالطابق الثالث ثلاث كنائس أولاها باسم الملاك ميخائيل فى جدارها البحرى صورة الملاك ميخائيل وفى القبلى صورة لبعض القديسين والشهداء والثانية على اسم القديس أنطونيوس على جدارها القبلى صور الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا والأنبا باخوميوس .

والكنيسة الثالثة على اسم السواح وبها تسع صور رسمها راهب حبشى يسمى « يكلس » فى أيام الأنبا يؤنس الرابع والتسعين سنة ١٢٣٣ للشهداء (١٥١٧ م) .

وأحجبة الكنائس الثلاث السالفة الذكر مصنوعة بغاية الدقة وفى أبواب الأحجبة قطع من الأبنوس مطعمة بالعاج وقد نقشت عليها آيات من الكتاب المقدس .

وبالطابق الأسفل من الحصن حجرة ضيقة مقفلة من جميع النواحى ، لا يصل اليها نور الشمس إلا من كوة صغيرة ، كانت تستعمل كمخبأ للأوانى الثمينة والكتب النفيسة .

المكتبة : كان هذا الدير أغنى الأديرة بما كان يحويه من الأوانى الذهبية والفضية والستور الحريرية التى كان يهديها إليه أعيان النصارى .

وفى عصر الأنبا يؤانس الرابع والسبعين (١١٨٠ — ١٢٠٧ م) ادعى راهب من دير أبو مقار أن بالدير المذكور كنزاً فى بئر من عصر الرومان ، فندب الملك العادل من يحقق الأمر ، وبعد التهديد ، اضطر رئيس الدير أن يخرج الأوانى الفضية وقطعاً من الحرير من مخبأها وقد كتب على كل منها تاريخها واسم صانعها ، ولما أتى الوفد بهذه الأوانى إلى القاهرة قدرت بمبلغ ٣٠٠٠ دينار فطلب الملك العادل ممن يعرف القبطية ترجمة ما عليها ، ولما تأكد أنها ليست من زمن الرومان أمر بردها للبطريرك فزفوها فى المدينة وأعادوها إلى الدير .

وكذلك كانت المكتبة حافلة بنفائس الكتب الدينية وأهم الوثائق التاريخية إلا أنها نهبت لسوء الحظ خمس مرات سنة ٤٠٨ وسنة ٤٣٤ وسنة ٤٤٤ ، وفى أواخر القرن السادس ، وفى سنة ٨١٧ م .

وقد ورد فى سيرة الأنبا بطرس السابع والعشرين (٤٧٢ — ٤٨١ م) أنه كانت بمكتبة دير أبو مقار الرسائل التى تبادلها مع أقاقيوس بطريرك القسطنطينية والتى وصلت من الامبراطور زينون .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويذكر المقريزى (ج ٢ ص ٥٠٨) أنه كان بها الكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب . وقد عثر علماء الفرنج على بقايا مكتبة هذا الدير فى القرن العاشر والحادى عشر ونقل بعضها يوسف السمعانى سنة ١٧١٥ م إلى مكتبة الڤاتيكان بروما . كما نقلت بعض مخطوطات هذه المكتبة إلى مكتبة ريلاند بمنشستر و إلى مكتبة جامعة ليبزج و كمبردج بانجلترا . وبالنسبة لأهمية هذه المكتبة كان بها عدد من النساخ الذين كانوا ينسخون الكتب الدينية و يوردونها لكنائس الوجه البحرى .

والمكتبة حالياً بالدور الأرضى بدار الضيافة بها ٣٥٢ مجلداً منها ٢٨٨ كتابا خطيا يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٠١٨ م . وعدد رهبان هذا الدير حالياً ٣٠ راهباً ويقيم رئيسه فى أتريس بمركز امبابة بمديرية الجيزة أما أمين الدير فيقيم مع الرهبان .

ماصلات وادى النطرون :

فى عصر التكوين البلايوسينى تجمعت بوادى النطرون طبقات بحرية بها حفريات ورواسب أخرى من الجلاميد والرمال .

وفى عصر التكوين الحديث البلايستوسينى كان هذا الوادى جزءاً من دلتا النيل وكان مغموراً بنوع من الحياة الصاخبة تسرح فى أرجائه حيوانات ضخمة هائلة لا تزال حفرياتها شاهداً على ما كان به من أنواعها المختلفة .

فهنا كانت تعيش الزواحف والسلاحف والثعابين الهائلة بجوار العسنت والزراف والفيلة الضخمة ومعها أنواع الحيوان والوحوش الكاسرة كالسبع والضبع وخلافها .

ولا شك أنه كان للنيل القديم فرع يمر بالوادى الفارغ الواقع جنوب وادى النطرون مباشرة بدليل ما اكتشف هناك من آثار الحياة القديمة . وما هو معروف من أن الصحراء الواقع فيها الآن وادى النطرون كانت فى العصور الخالية قسما من ليبيا . وكانت ليبيا قطراً قائماً بذاته ذا كيان سياسى خاص . وكان سكانه الليبيون فى خصام مستمر مع المصريين حتى كانوا يأتون ليقتتلوا معهم فى أرض مصر ذاتها . وطالما نشبت بينهم الحروب الدامية . فكان الليبيون تارة يتغلبون على مصر و ينهبون الجزء الغربى من الدلتا . وطوراً يهزمهم المصريون شر هزيمة .

وقد كانت غارات الليبيين المستمرة على الوجه البحرى من الأسباب التى دعت مينا إلى تأسيس مدينة منف « القلعة البيضاء » لصدهم والتى دعت رمسيس الثالث إلى تجريد حملة قوية فمزقتهم شر تمزيق سنة ١١٧٠ ق . م . ثم خلد انتصاراته عليهم فى معبده الهائل بمدينة هبو على الشاطىء الغربى للنيل مقابل الأقصر .

ولما ثبتت أحوال مصر الجوية على ما هى عليه الآن منذ حوالى ستة آلاف سنة اشتهر أمر وادى النطرون أو برية « شيهات » بما كان يجلب منها من بللورات الصودا أو « الأطرون » الذى استعمل فى صناعة تحنيط

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الموتى فى العصر الفرعونى والعصر اليونانى والعصر الرومانى . ولا زالت هذه البلورات نفسها تستعمل إلى الآن فى صناعة الصابون وتجلب من نفس هذا الوادى .

و إذا كانت « برية شيهات » تحتفظ إلى الآن بشهرتها الماضية فالفضل فى ذلك يرجع بلا شك إلى وجود أديرة الرهبان بها ، هذه الأديرة التى كانت فيما مضى تغص بآلاف اللاجئين الفارين إلى الصحراء من شدة كراهيتهم لما كان يرتكبه المحتل الرومانى من الموبقات والمخازى فى المدن المصرية القديمة . وقد احتفظت هذه الأديرة أو على الأصح هذه الجامعات اللاهوتية مع الزمن بسمو الروح الدينى والفلسفى وظلت حافلة بعلوم مصر وكنوزها القديمة إلى أن نهبت وتهدمت !

فر إلى هذا الوادى إذن ، هؤلاء الرهبان ، ذوو النفوس الكبيرة والفلسفة العميقة والعزيمة المدهشة . وكان عددهم يقدر بالآلاف . أما الآن فها هى أديرة وادى النطرون خاوية خالية تقريباً إلا من حفنة من الرهبان . فما أحمق الحياة الدنيا وتطوراتها ! !

لم يعد بوادى النطرون إذن هذا المحصول الجميل من الروحانيات السامية والفلسفات الخالدة . إنما بقى به فقط محصول مادى غزير وهو « النطرون » و « الملح » ونبات الحلفاء الذى تصنع منه الحصر والحبال .

النطرون — فى شهر مارس من كل عام عند ما تجف سلسلة البحيرات الاثنتى عشرة الممتدة بطول حوالى ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقى من مرتفعات جبل نتريا الحمراء ، تظهر على شواطئها طبقة سميكة من الأملاح ذات اللون الوردى تنبعث منها رائحة ذكية أقرب ما تكون إلى رائحة الورد . وتحت هذه الطبقة يوجد « النطرون » . وهذا النطرون مادة أولية لونها مائل إلى الاصفرار تنتج من تفاعل الأملاح البحرية مع كربونات الجير الذى من مركباته كربونات وسلفات الصودا وكلورور الصوديوم .

وفى عهد قدماء المصريين كان للنطرون شأن عظيم لأنه كان يستعمل فى تحنيط جثث الموتى .

أما فى زمن المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) فقد كان المتحصل من بيع النطرون مال كثير .

قال هذا المؤرخ العظيم فى خططه (ج ١ ص ١٨٦) :

وادى هبيب بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم — ثم قال — وهو كثير الفوائد فيه النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندرانى والملح السلطانى وهو على هيئة ألواح الرخام . وفيه الوكت والكحل الأسود ومعمل الزجاج . وفيه الماسكة وهو طين أصفر فى داخل حجر أسود يحك فى الماء ويشرب لوجع المعدة . وفيه البردى لعمل الحصر . وفيه عين الغراب وهو ماء فى هيئة البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعاً فى عرض خمسة أذرع فى مغار بالجبل لا يعلم من أين يأتى ولا إلى أين يذهب وهو حلو رائق .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقال فى (الصفحة ١٠٩ ج ١) : وأما النطرون فيوجد فى البر الغربى من أرض مصر بناحية الطرانة . وهو أحمر واخضر ويوجد منه بالفاقوسية شىء دون ما يوجد فى الطرانة وهو أيضاً مما حظر عليه ابن مدبر من الأشياء التى كانت مباحة وجعله فى ديوان السلطان . اهـ .

الطرانة : أما الطرانة فهى من البلاد المصرية القديمة . اسمها المصرى «طرنوت» والرومى «طرنوتيس» وسماها العرب « الطرانة » . وهى اليوم قرية صغيرة واقعة على الشاطىء الغربى لفرع رشيد ضمن قرى مركز كوم حماده بمديرية البحيرة جنوبى محطة كفر داود على خط القاهرة — إتياى البارود (خط المناشى) . وهى تبعد ثلاثة كيلومترات عن كفر داود .

ابن المدبر : أما ابن المدبر فكان عاملا على خراج مصر قبيل عام ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) فى خلافة المعتز بالله .

ثم قال المقريزى فى خططه (ج ١ ص ١١٠) .

فلما تولى الأمير محمود بن على الاستادارية وصار مدبر الدولة فى أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكاناً لا يباع فى غيره وهو إلى الآن على ذلك . اهـ .

وعلم الأب فانسلاب (Vansleb) من الكاتب القبطى للكاشف عند زيارته مصر سنة ١٦٧٢ م ومروره بالطرانة مقدار ما تدره بحيرات نيتريا على سلطان تركيا سنوياً . فقد قال له إنه استخرج فى مدى تسعة أشهر من ذاك العام ٢٤ ألف قنطار من النطرون وإنه ما زال باقياً لاستكمال الكمية المعتاد استخراجها ١٢ ألف قنطار . وكان ثمن قنطار النطرون فى القاهرة ٢٥ مديناً أى ٣٦ كيساً (١٨٠ جنيهاً) .

وقال السائح الفرنسى « جرانجار » الذى زار وادى النطرون سنة ١٧٣٠ م : إن النطرون ملك السلطان وإن باشا القاهرة كان يؤجره للبكوات . وكان يستأجره من بين هؤلاء من كان أشدهم بطشاً . وكان الذى يستأجره يورد منه للسلطان ١٥ ألف قنطار . وكان لا يكلف باستخراج النطرون ونقله سوى سكان هذه القرى وهى : الطرانة والخطاطبة والأخماس وأبو نشابة والبريجات التابعة لمركز الطرانة . وكان يقوم بحراسة هذه المادة عشرة من الجنود وعشرون من الأعراب » .

وفى شهر مايو سنة ١٧٩٢ م مر السائح الإنجليزى «براون» بالطرانة قاصداً وادى النطرون . وقد روى أن هذه المنطقة مع مركزها التابع له كثير من القرى كانت من ممتلكات مراد بك كبير المماليك . وأنه كان من اختصاصاته استخراج النطرون الذى كان يؤتى به جميعه الى الطرانة . وكان البك فى الزمن السالف يكلف من يعينه من الكشاف باستخراج النطرون واستغلال هذا المركز . ولكن عند مرور « براون » هذا كان مراد بك قد تخلى عن استخراج النطرون إلى مسيو «روسيتى» أحد تجار البندقية وقنصل المانيا الجنرال فى الوقت عينه ، نظير مبلغ يدفعه له سنويا يقدر بحسب الكمية التى تباع منه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد بلغ إيراد النطرون فى السنة التى وصلت فيها الكمية المستخرجة إلى الحد الأقصى مبلغ ٣٢ ألف باتاك أى ٧٢٠ جنيهاً . وكان القسم الأكبر منه يرسل إلى مرسيليا .

وقال الجنرال اندريوسى يصف طريقة نقل النطرون فى زمن الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ :

« تحتشد قوافل النطرون فى الطرانة وتتألف كل قافلة عادة من ١٥٠ جملا ومن ٥٠٠ إلى ٦٠٠ حمار . وتسافر مع حرسها عند غروب الشمس وتصل فى النهار فتكسر النطرون وتحمله وتعود عاجلا .

وتقف القافلة فى منتصف الطريق وتوقد النيران بروث حمير وجمال القافلة التى مرت قبلها . إذ أن عدم وجود الوقود يضطر القوافل التى تمر بالصحراء على التوالى أن تقف دائماً فى معسكرات القوافل التى سبقتها . فيشرب الرجال وحداة الأبل القهوة ويدخنون فى الغلايين ، ويتزودون ببعض الأرغفة المصنوعة بعجن شىء من الدقيق فى وعاء من الخشب وبخبز العجين على النار . ويشكل قائد الحرس نقطا للخفارة اتقاء شر الإعراب . وبعد ذلك تسير القوافل فى طريقها وترجع إلى الطرانة فى صبيحة اليوم الثالث . ويقدر ما تحمله القافلة الواحدة بستمائة قنطار من النطرون .

وتوجد مستودعات النطرون فى الطرانة فيشحن منها فى المراكب ثم يرسل إلى رشيد ودمياط ومنها يوسق إلى سوريا وأوربا أو يرسل إلى القاهرة فيباع فيها لتبييض الكتان ولصناعة الزجاج » .

وقال « مانجان » فى كتابة (تاريخ مصر فى عهد محمد على) ص ٣٨٥ و٣٩٥ :

« فى سنة ١٨٢١ م كان يسكن فى الطرانة عامل من عملاء محمد على باشا . وكان هذا العامل مكلفاً بمراقبة القوافل التى تحمل النطرون عند سفرها من البحيرات إلى الطرانة . وكان النطرون يرسل من هذه القرية إلى الأسكندرية ليباع فيها . وكان الوالى يستغل هذه المادة لحسابه . وقد بلغت أرباحها فى تلك السنة ٦٠٠ كيس أى ٣٠٠٠ جنيه »

وقال على باشا مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية (ج ١ ص ٥٥) :

« فى ابتداء حكومة العزيز محمد على قد التزم النطرون رجل من إيطاليا اسمه « بافى » كان قبل ذلك مستخدما فى مالية دولته وهرب منها وقت قيام الفتن ، وكان عالماً نبيلا فأعطاه العزيز رتبة أميرالاى وعرف بين الناس باسم عمر بك وبما جدده فى أمر النطرون حدثت فيه أرباح عظيمة . وهكذا كانت عادة النطرون أن يعطى التزاما بشروط مع الحكومة .

والآن أعنى فى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) قد ترك ذلك وصار استخراجه على ذمة الحكومة لأنه أربح وأكثر

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فائدة ، ومبلغ ما يستخرج منه كل سنة يقرب من ٦٠ ألف وزانة . والوزانة ٦٠ أقة وهو يعادل ١٠٠ ألف قنطار . وقيمة القنطار فى المتوسط قريب من ٢٥ قرشاً ميرية وأجرة الجمل فى نقله على كل قنطار ثلاثة قروش ميرية . وقد يمكن استخراج مبلغ من النطرون أكثر من ذلك لكن يلزم حينئذ عمل الطريقة التى تدعو التجار الأجانب إلى الرغبة فيه بأن يخلص من المواد الأجنبية فى محل استخراجه ليخف حمله فيكثر طالبوه . »

أما وادى النطرون الآن فمعطى بالإلتزام لشركة الملح والصودا وهى شركة مساهمة ، ومدة التزامها من ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧ إلى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م .

ويوجد بالبحيرات ثلاثة أنواع من المواد الأولية وهى :

ا — خورطاى وهى مادة صلصالية توجد فى قاع البحيرات غنية بكربونات الصودا .

ب — قورشف وهى مادة متبلورة توجد على شواطىء البحيرات . وهذه المادة غير نقية .

ح — سلطانى وهى مادة متبلورة توجد فى قاع البحيرات وهذه المادة كدرة للغاية .

وهناك خط من السكة الحديد الضيقة ملك شركة الملح والصودا يربط وادى النطرون بوادى النيل ويتفرع من خط سكك حديد الحكومة (مصر — اتياى البارود) أى خط المناشى عند الخطاطبة .

ومنذ سنة ١٩٢٦ تقوم شركة الملح والصودا بتجربة زراعة « السيسال » بأراضى وادى النطرون . والسيسال نبات أوراقه عريضة مسننة تشبه أوراق نبات القلقاس . ويزرع فى خطوط متوازية وعند نضوجه تظهر فوقه زهرة طويلة لها ريش أبيض . ولا تحتاج هذه الزراعة لأكثر من عشرة ريات فى السنة . ولهذا النبات قوة مقاومة غريبة ضد عناصر الطبيعة القاسية . وتنتج أوراقه خيوطاً تصلح لصناعة الحبال والدوبارة . ويظهر أن شركة الملح والصودا تمكنت من استخراج الكحول ومن صناعة عجينة الورق من الجزء الأعلى من سيقان هذا النبات .

وهكذا تعيد الصناعة الحديثة إلى وادى النطرون الشهرة التى كانت له فى العصور الخالية .

قرى وادى النطرون المندثرة

لا بد هنا من كلمة عن قرى هذا الوادى المندثرة فنقول :

نيتريا : ذكر شامبليون نقلاً عن القديس چيروم من أهل القرن الرابع الميلادى أنه كان يوجد فى وادى النطرون قرية يقال لها نيتريا وهى التى كانت تسمى باللغة المصرية « فابيهوسيم » أى بلد النطرون . أما اسم نيتريا فلم يكن إلا ترجمة للكلمة المذكورة . ويحتمل أنهم كانوا يودعون بها النطرون الذى كانوا يستخرجونه من البحيرات

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ليرسلوه بعد ذلك إلى تيرينوتيس (الطرانة) ومنها إلى الجهات الأخرى من الديار المصرية كما هو جار فى أيامنا هذه .

بيامون : ذكر أميلينو فى كتابه (جغرافية مصر فى العصر القبطى) أن الذى صان اسم هذه القرية من الاندثار هو مخطوط الفاتيكان الذى ذكرت فيه قصة نقل جثث ٤٩ شيخاً هرماً ذبحهم البربر فى برية شيهات . والظاهر أن جثث هؤلاء الرهبان كانت مدفونة فى مقابر بجوار بيامون حيث كانت توجد قلعة ترابط فيها طائفة من الجند مكلفة بحراسة الذين يأتون للبحث عن النطرون وحمايتهم من غارات البربر .

وكانت قرية بيامون قائمة فى الصحراء على مسافة قريبة من دير القديس مقار فلما قتل الرهبان التسعة والأربعون المذكورون نقلت جثثهم من هذا الدير ودفنت فى المغار المجاور لقرية بيامون[1] .

الصحراء الشرقية — وادى حوف .
طريق القوافل منذ القدم .

(١) راجع كتاب « وادى النطرون » لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ص ٧ وما يليها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الخامس

الصحراء الشرقية أو صحراء العرب

تعرف المنطقة الواقعة بين وادى النيل والبحر الأحمر باسم صحراء العرب أو الصحراء الشرقية ولو أنها تشبه صحراء ليبيا فى عدم وجود الماء بها غير أنها تختلف كثيراً عنها ، فبدلا من الهضاب المتماثلة الواسعة الأرجاء التى تتكون منها الصحراء الغربية فإن بالصحراء الشرقية ظواهر طبيعية متنوعة أهمها سلسلة الجبال الوعرة المرتفعة التى تمر فى وسطها ، ويتكون معظمها من طبقات الصخور النارية وتمتد فى الشمال الغربى من بلاد الحبشة إلى ما يقرب من السويس وهناك تظهر كأنها كتلة منفصلة عن جبال شبه جزيرة سينا .

وأشهر قمم هذه الجبال الموجودة بالقطر المصرى هى جبل غريب (ارتفاعه ١٧٥٦ متراً) وجبل أبو دخان (١٦٦٢ متراً) وجبل الشايب (٢١٨١ متراً) وجبل حماتة (١٩٧٨ متراً) وجبل فريد (١٣٦٦ متراً) وجبل چيرف (١٤١٩ متراً) وجبل شنديب (١٩١٢ متراً) وجبل علبة (١٤٢٨ متراً) .

الصحراء الشرقية أو صحراء العرب وتدل ظواهرها على أنها تعرضت فى عصر من عصورها الجيولوجية لتقلبات بركانية حادة.

وتحيط بسلسلة الجبال من الجهة الغربية بين محورها ووادى النيل هضاب من الحجر الرملى والجيرى تخترقها وديان كثيرة الطول والعمق بها كثير من الآبار ومنابع المياه وكذا الأعشاب البرية. ولما كان محور هذه الجبال أقرب إلى البحر الأحمر منه إلى النيل كانت منحدرات الجبال الشرقية على الدوام أكثر انحداراً منها فى الجهات الغربية ، ولذا تنعدم الهضاب لمسافات طويلة على شاطىء البحر الأحمر .

ويكثر وجود الآبار والينابيع فى الجهات الجنوبية من الصحراء الشرقية عن الجهات الشمالية منها لأن الجهات الجنوبية قريبة من مناطق خط الاستواء الممطرة

وتكثر الطرق الممتدة فى الصحراء الشرقية بين الوديان الشهيرة من بئر إلى بئر . وقد ترى هنا وهناك أكواخاً صغيرة للأعراب الرحل الذين من عددهم القليل يتكون سكان هذه البقاع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتسكن قبائل البشارين فى الجهات الجنوبية للصحراء الشرقية لا سيما بالقرب من جبل علبة وتقوم هذه القبائل بتربية الهجين السريعة العدو . وتتكوّن الصحراء الشرقية من جملة هضاب أخصها فى الشمال هضبة الجلالة ويبلغ ارتفاعها ١٤٧٣ متراً . ثم هضبة جبل عتاقة الذى يبلغ ارتفاعه ٨٧١ متراً .

وتمتاز الصحراء الشرقية بالأودية العديدة التى تجرى فيها السيول فى بعض السنين فتصل إلى النيل وبعضها ينصرف إلى البحر الأحمر . وفيما عدا ذلك فهى جافة تعيش فيها قبائل من الأعراب الرعاة ويحصلون على المياه بحفر الآبار ومن بعض الينابيع وهى أكثر فى الجهات الجنوبية من الصحراء منها فى الجهات الشمالية لأن الجهات الجنوبية أقرب إلى منطقة المطر المدارية من الأخرى .

ومن أهم أودية الصحراء الشرقية : وادى كوم أمبو — ووادى قنا — ووادى العميان عند بنى سويف — ووادى عرابة بالقرب من بلدة الصف ، وتقع إلى شماله هضبة الجلالة — ووادى دجلة — ووادى التيه بين المعادى وحلوان — ووادى حوف — ووادى الرشيد — ووادى جرّاوى بالقرب من حلوان — ووادى الطميلات فى شرق الدلتا .

ويساعد على انسياب السيول فى تلك الأودية الرملية أن المياه لا تتخلل طبقاتها الرملية الشديدة الجفاف وذلك لأن الهواء الذى يتخلل ذرات الرمال يحول دون تسرب المياه فيها .

وقد سبق القول أن هذه الوديان ليست إلا أماكن النهيرات الجانبية التى كانت تصب فى النيل أو فى أحد فروعه فى العصر الجليدى وتدفع بسيول جارفة من الأمطار فى النهر فتزيد من مياهه ومن قوة اندفاعه ومن قدرته على حفر مجراه ، ومن طاقته على حمل الحصى والغرين والقذف بهما بعيداً فى عرض البحر . وقد جفت مياه هذه النهيرات من أزمان بعيدة غير أن أماكنها لا تزال باقية إلى الآن تخترق الصخور والهضاب .

وليس وادى التيه الحالى الواقع إلى جنوب القاهرة إلا مكان نهر قديم كانت تنساب فيه السيول الجارفة النازلة من جبل عتاقه وجبل أبو درج لتصب فى نهر النيل عند المعادى . وليس وادى حوف ووادى الدجلة ووادى السدير المعروف أيضاً باسم وادى الطميلات إلا أمثلة أخرى لهذه الظاهرة الطبيعية .

وما لبثت هذه الوديان بعد جفافها أن أصبحت طرقاً للقوافل والتجارة والحج تربط ما بين القاهرة والبحر الأحمر وسائر ممالك الشرق . كما أنها كانت طريقاً ممهداً للأسر المهاجرة وفيالق الجيوش الغازية ، وفلولها الهاربة ، لكثرة ما بها من الآبار ومنابع المياه والأعشاب البرية . ولذا كانت الصحراء الشرقية منذ القدم بالنسبة للقاهرة طريقاً ممهدة عامرة تربطها مع العالم الخارجى بينما كانت الصحراء الغربية سداً منيعاً وحصناً طبيعياً يقيها من غزوات الغرب حتى أن جيش الفاطميين لم يدخل مصر إلا من جهة الساحل وهذا ما حاولته عبثاً جيوش المحور بقيادة الفيلد ماريشال روميل فى الحرب الحاضرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الصحراء الشرقية — وادى حوف .

الصحراء الشرقية — وادى حوف .
منظر نحر مياه السيول فى الصخور الجيرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الثروة المعدنية فى الصحراء الشرقية .

ولا تخلو الصحراء الشرقية من الثروة المعدنية ، وقد عملت فى السنين الأخيرة محاولات جدية للبحث عن إيجاد مراكز معينة لهذه المعادن الموجودة فى بعض الأماكن لاستخراج ما فيها والانتفاع بها . وتبشر المقدمات بالنجاح المطرد .

وصناعة التعدين قديمة فى مصر ترجع إلى عهد قدماء المصريين . وكانت الصحراء الشرقية فى عهدهم أكثر نشاطاً وعمراناً مما هى عليه الآن لما كان بها من أودية وفيرة الماء ومن أحوال جوية ملائمة لأعمال التعدين .

ونحن إذ نذكر عهد أمنمحعت الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة نذكر تطور صناعة التعدين والأحجار الكريمة ، كما نذكر صناعة النقود والآلات . وإذ نذكر عهد الملكة حاتشبسوت نذكر تقدم صناعة الحلى والمعادن والأحجار الكريمة . ولعل آثار توت عنخ آمون الذهبية من أوضح الدلائل على تقدم هذه الصناعة .

ونكاد لو استثنينا عهد الفاطميين وما حوله إبان القرون الوسطى ألا نرى اهتماماً مذكوراً بأمر التعدين أثناء العصر العربى وما تلاه لغاية الآن .

على أن عصر محمد على شهد اهتماماً عظيماً بالتعدين لارتباط ذلك بالصناعات الحربية التى أدخلها فى مصر .

وقد بلغ من اهتمام محمد على بالمعادن أن تناول البحث فى عهده عن الفحم فى بعض الجهات وخاصة فى الغابة المتحجرة شرقى القاهرة . ومهما يكن من عدم الوصول إلى نتيجة مرضية فإن العناية بالتعدين ظلت قائمة وازداد البحث نجاحاً على ضوء أحدث التجارب التى وصل إليها العلم الحديث .

وأهم المعادن الموجودة بالصحراء الشرقية هى :

١ — **الفوسفات** : ويوجد بالقصير وسفاجة (حيث منجم أم الحويطات على ساحل البحر الأحمر) والسباعية الواقعة إلى جنوب إسنا .

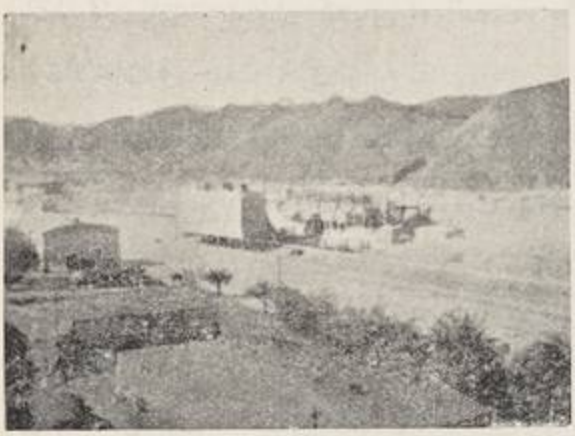

منظر عام لمناجم الفوسفات قرب سفاجة بالصحراء الشرقية .

ويحتوى الفوسفات على مادة فوسفات الكلسيوم وتسمد بها الأرض بعد طحن أحجارها — ولكن لا تحسن استفادة الأرض منها إلا بعد تحويلها إلى سنوبر فوسفات — ولا بد لذلك من تحضير مادة حامض الكبريتيك — وهو الأمر الذى يتجه إليه التفكير فى مصر لصناعة الفوسفات . وقبل الحرب الحاضرة كانت تصدر مقادير من الفوسفات المصرى إلى اليابان لهذا الغرض .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتقوم باستغلال مناطق الفوسفات فى سفاجة شركة إنجليزية (شركة الفوسفات المصرية) وقد أصلحت مرفأ سفاجة ليمكن نقل الفوسفات منه .

وتعمل فى القصير شركة أخرى (إيطالية) وكلا الشركتين يدفع ضريبة للحكومة تعادل ٢ ½ ٪ من المقادير المستخرجة .

ويبلغ دخل الحكومة من ذلك نصف مليون من الجنيهات تقريباً .

وبسبب الحرب الحاضرة أنشئت ميناء حربية من الدرجة الأولى بسفاجة ، وتم توسيع ميناء القصير كما تم امتداد خط سكة حديد بين قنا والقصير وسفاجة .

٢ — **زيت البترول** : دلت الآثار المصرية القديمة على أن البترول كان معروفاً فى مصر منذ القدم .

وإلى وجوده يعزى اسم جبل الزيت الذى سمى بهذا الاسم منذ العصر القديم .

وأهم مناطق البترول فى الصحراء الشرقية هى :

منظر لجزء من حقول البترول بالغردقة

ا — **جمسة** : وتقع عند رأس جمسة جنوبى خليج السويس حيث بدأت بعض الشركات الأجنبية البحث عنه هناك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وعملت الحكومة الآبار سنة ١٨٨٥ ثم كللت أعمال البحث بالنجاح فى مستهل القرن العشرين وأعطى الامتياز للشركات الإنجليزية (أنجلو اجبسيان أويل فيلد كومبانى) واتسعت دائرة الأبحاث فى جهات أخرى .

وقد بلغ مقدار المستخرج من جمسة أقصاه سنة ١٩١٤ (أكثر من ٨٨ ألف طن) ثم أخذ فى النقصان حتى بلغ سنة ١٩٢٧ (١٧٠ طناً فقط) إذ تسربت مياه البحر إلى الآبار ونضب بذلك معينها فانتقل الاستغلال إلى :

ب — **الغردقة** : وتقع جنوبى جمسة ويمكن الوصول إليها عن طريق (قنا — القصير) . وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٩٢٠ (١٤٥ ألف طن) وفى سنة ١٩٢٨ (٢٦٩,٠٠٠ طن) وفى سنة ١٩٣٨ (١٥٠,٠٠٠ طن) ولذا وجد أن محصولها آخذ فى النقصان مما دعا إلى زيادة البحث فى جهات أخرى .

حـ — **رأس غارب** : وقد أصبح من أهم موارد البترول الآن فى مصر .

فاستخرج من هذا الثغر سنة ١٩٣٨ (٢٢٦ ألف طن) أى أكثر بكثير مما استخرج من ينابيع الغردقة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى نفس هذه السنة . ثم عقد الأمل على زيادة ما يستخرج من آبار رأس غارب وفعلا بلغ محصول البترول من هذه الجهة نحو ثلاثة أرباع مليون طن أو أكثر فى الحرب الحاضرة .

وشجع الشركة ما لقيت من نجاح فى رأس غارب على البحث فى مناطق أخرى فى شبه جزيرة سينا وفى الصحراء الغربية . ولا يخفى أنه لما زاد ما استنبط من البترول المصرى عن مليون طن استطاعت مصر أن تسد حاجتها منه مع انقطاع موارد الفحم والبترول الخارجى عنها فى الحرب الحاضرة .

بئر فى أول إنتاجه يتدفق البترول من فوهته بقوة عظيمة .

وتأخذ الحكومة من شركات الاستغلال ضريبة عينية قدرها ٥ ٪ وقد زيدت إلى ١٢ ½ ٪ للآبار الجديدة .

وتكرر الحكومة الكميات التى تتقاضاها فى معمل التكرير الحكومى بالزيتية وتمون بها مصالح الحكومة بثمن قليل ، وتشترى بعض الكميات من الولايات المتحدة والقوقاز ورومانيا (قبل الحرب) لسد النقص فيما تحتاجه البلاد . كما أن معمل الحكومة يكرر البترول للبلاد الأخرى كالهند و إيران .

أما المصنع الكبير للتكرير فى السويس فهو لشركة شل التى تنتج للاستهلاك المحلى العام وقد اتخذت السويس مقراً للتكرير لوقوعها على الخليج الذى تنتشر حوله مواطن البترول فيمكن نقله بواسطة بواخر خاصة من منابعه إليها .

منتجات البترول : يكرر البترول الخام لفصل مقوماته المختلفة بعضها عن بعض بواسطة التقطير — وذلك لأن عناصر البترول المختلفة تتبخر فى درجات حرارية متفاوتة (بين ٤٥° ٦٠ ° مئوية)

فيمكن أولا استخراج المواد الطيارة و إمرارها فى أنابيب خاصة إلى أحواض خاصة حيث تبرد وتكثف وتجمع سائلا هو البنزين الخاص بتسيير الطيارات ثم مرتبة منه خاصة بتسيير السيارات ثم بعد ذلك تستخرج الزيوت والشحوم ومشتقات البترول العديدة الأخرى وأهمها الكيروسين وهو الزيت المكرر الذى يستخدم فى الإضاءة والوقود ، والمازوت وهو الزيت الغير مكرر أو الوسخ ويستخدم فى إدارة بعض الآلات وخاصة الآلات الزراعية (وهو زيت ديزل) . وزيت سولار وهو أقل نقاء من سابقه . والأسفلت الذى يستعمل لرصف الشوارع . والفازلين الذى يستعمل فى الشؤون الطبية . والنفتالين وغيرها .

وزيت البترول أصبح فى الواقع من أنفع المعادن فى العصر الحديث ، ويزيد من شأنه سهولة استخراجه من باطن الأرض وسهولة نقله إلى مسافات بعيدة بواسطة الأنابيب . لذلك تتكالب الدول على امتلاك مناطقه واستغلالها . كما هو مشاهد فى الحرب الحاضرة . وأشهر بلاد العالم به القوقاز والولايات المتحدة ورومانيا .

٣ — **الحديد** : توجد أكاسيد الحديد فى الصخور الرملية المكونة للطبقات السطحية عند أسوان فى مساحات واسعة لا تقل عن ٨٣٠ ألف فدان . ولا تقل نسبة الحديد فيها عن ٦٠ ٪ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

على أن هذا المشروع مرتبط بمشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان .

٤ — **الذهب** : اتجهت عناية الحكومة أخيراً إلى استغلال مناجم الذهب بجبل السكرى حيث تستخرج كميات مناسبة .

أحد عروق المرو الحاملة للذهب بمناجم سمنا بالصحراء الشرقية .

ومن أشهر مواطن الذهب القديمة التى لا زالت موجودة فى مصر هى وادى الحمامات بين قنا والقصير — ووادى البرامية شرقى أدفو — ووادى العلاقى جنوب شرقى أسوان — وأم الروس جنوبى القصير — ورنجا جنوبى أم الروس على ساحل البحر الأحمر — وأم الطيور — وأم الجاريات بالقرب من الحدود الجنوبية فى الصحراء الشرقية . ومما يسهل العمل الآن فى استغلال منجم السكرى سهولة الوصول إليه بطريق السيارات .

٥ — **الأملاح المعدنية — نترات الصوديوم** : وتستعمل للتسميد وتوجد فى الأحجار الطفلية الممتدة بين قنا وإدفو خاصة عند قفط . ويباح استخراجها للأهالى — وتستخرج الحكومة كميات كبيرة منه كل عام .

٦ — **الأصباغ المعدنية** : وهى خليط من أكسيد الحديد الأحمر والأصفر ومواد أخرى . وتدل النقوش المصرية القديمة التى لا زالت حافظة لزهائها وروعتها وكأنها بنت اليوم على مهارة قدماء المصريين فى تحضير تلك الأصباغ . وقد اكتشف هذه المواد فى العهد الحديث الأستاذ البارع لبيب حنا نسيم بالقرب من أسوان . وبدأ استغلالها سنة ١٩١٨ فتأسست شركة مصرية للأصباغ وأقيم لها مصنع لحرقها وتحضيرها فى حلوان . وتستعمل تلك الاصباغ فى النقش والتلوين على الخشب والحديد والخزف والحوائط .

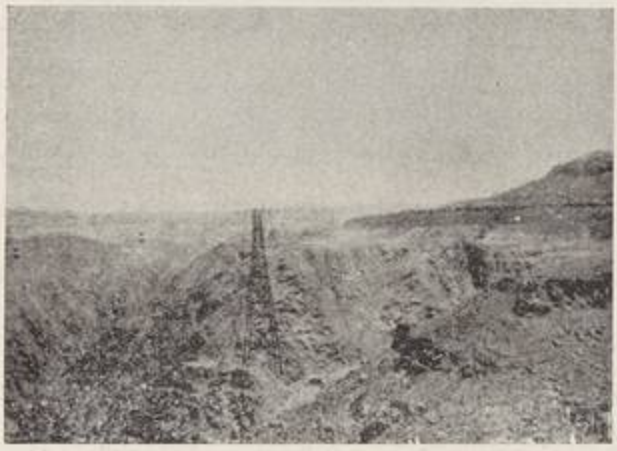

منظر منطقة مناجم المنجنيز بشبه جزيرة سينا

٧ — **الطلق** : وهى مادة أخرى تستخرج فى بعض جهات الصحراء الشرقية ويدخل الطلق الأبيض فى صناعة (البودرة) ويدخل الطلق الأحمر والأخضر فى عمل الفخار الملون .

وقد بدأت استغلال الطلق شركة أجنبية منذ سنة ١٩١٨ من جنوب الصحراء الشرقية — ويستخرج الطلق أيضا بالقرب من أسوان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٨ — **الرصاص** : دلت الأبحاث على وجود الرصاص جنوبى القصير ولم يبدأ استغلال مناجمه بعد .

٩ — **الزنك** : دلت الابحاث أيضا على وجوده جنوبى القصير ولم يستغل بعد .

١٠ — **المياه المعدنية** : لم تحرم مصر من وجود المياه المعدنية التى تصلح للاستشفاء لما لها من خواص طبية — فقد عرف أن لعيون المياه الساخنة الكبريتية فى حلوان شهرة قديمة فكان الناس يؤمونها للاستشفاء منذ عهد الحكيم أمحوتب وزير الملك زوسر (٢٧٨٠ — ٢٦٧٢ ق . م) والذى جعل بعد موته إلها للطب .

ثم اهتم بأمرها فى القرون الوسطى عبد العزيز بن مروان فى العهد الأموى فأنشأ بجوار المدينة المصرية القديمة مدينة عربية تعرف مكانها اليوم باسم (حلوان البلد) . وقد أهملت فيما بعد وظلت مهملة حتى عهد محمد على باشا وعباس الأول حيث وجهت العناية إليها من جديد خصوصاً فى عهد إسماعيل باشا وتوفيق باشا وعباس حلمى باشا فتأسست مدينة حلوان الحمامات الحالية التى سنتكلم عنها فيما بعد .

ويعزى انبثاق هذه العيون إلى انحدار المياه من مرتفعات البحر الأحمر وإذابتها كميات من الكبريت وأملاح الصوديوم والجير وغيرها .

وقد تفجرت حديثاً عين معدنية جديدة بحلوان دل التحليل الطبى على كثرة ما لمياهها من الفوائد الصحية .

البحر الأحمر — منظر عام لأحد الشعاب المرجانية بالبحر الأحمر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

خريطة تبين أهم مواقع الصحراء الشرقية والصحراء الغربية ووادى النيل بالقطر المصرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وهناك نبع معدنى آخر يسمى « السخنة » جنوبى السويس ثم نبع « حمام فرعون » على الساحل الشرقى لخليج السويس بالقرب من بلدة الطور وله مميزات طبية جديرة بالاهتمام .

وهناك نبع « عين الصيرة » بالقرب من الامام الشافعى بالقاهرة .

وكل هذه العيون لا تحتاج إلا لبعض العناية والفحص الطبى ونشر الدعاية عنها لتدر على من يقدم على إدارتها الأموال الطائلة .

١١ — **الأحجار الكريمة** : تدل الآثار القديمة على اهتمام المصريين القدماء أيضاً بقطع الأحجار الكريمة و بصناعة صقلها وأهمها :

(ا) الزبرجد ويوجد فى عروق صخرية خضراء فى البحر الأحمر ولا يزال يستخرج منها بللورات غاية فى الجودة

(ب) الزمرد وأهم مواطنه عند مرتفعات زبارا جنوبى القصير

(ح) الفيروز ويوجد فى عروق زرقاء صافية أو خضراء فى شبه جزيرة سينا

١٢ — **محاجر مصر** : **الحجر الجيرى** : وهو من أهم أحجار البناء ويوجد على جانبى الوادى من القاهرة إلى أسوان وأهم المحاجر فى المعصرة وحلوان وفى المنيا وأسيوط وفى الدخيلة بالمكس وعند السويس والاسماعيلية .

وتقوم عليه صناعة حرق الجير . كما تقوم صناعة الأسمنت (من الحجر الجيرى والطفل) فى طرة والمعصرة على خط حلوان .

ويوجد الجبس أيضاً على جوانب الوادى بين القاهرة وأسيوط ولكنه ليس من النوع الجيد . وأجود أنواع الجبس المصرى ما يوجد فى منطقة البلّاح شمالى الاسماعيلية وفى شبه جزيرة سينا .

و يصنع المصيص والجبس فى الاسماعيلية وفى البلّاح .

وظل قدماء المصريين يستعملون الحجر الجيرى حتى منتصف عهد الأسرة الثامنة عشرة اذ أخذ يحل محله بكثرة الحجر الرملى .

وأحسن أنواع هذا الحجر كانت له محاجر خاصة تقطع منها كمحاجر طرة والمعصرة والجبلين وهى التى يمكن مشاهدة آثارها القديمة إلى يومنا هذا .

وقد عثر فى محاجر طرة على نقوش يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة وتمتد إلى الأسرة الثلاثين غير أننا لدينا وثائق ونقوش تدل على أن قطع الأحجار من طرة يرجع عهده إلى الأسرة الرابعة . ولكن مما لا شك فيه أن أحجار هذه الجهة كانت تستعمل فى بناء آثار سقارة منذ الأسرة الثالثة لا بل منذ الأسرة الأولى إذ وجدت بعض أحجار من طرة داخلة فى مبانى هذه العهود المتوغلة فى القدم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما محاجر المعصرة فالنقوش التى عليها ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر البطالسة . وفى محاجر الجبلين نجد نقوشاً من الأسرة التاسعة عشرة حتى العصر الرومانى .

١٣ — **البازلت** : ويدل وجوده على أثر البراكين — ويقطع الآن من محاجر أبو زعبل بجوار القاهرة . ولمصلحة السجون محجر هناك لتشغيل المسجونين ومد مصلحة الطرق بهذا الحجر لاستعماله فى الرصف .

وكان البازلت يستعمل فى عهد الدولة القديمة لرصف بعض أجزاء من المعابد كما يشاهد ذلك فى رقعة هرم « خوفو » التى لا يزال جزء منها باقياً إلى الآن .

ومن هذا الحجر كذلك رصفت بعض أجزاء من معابد ملوك الأسرة الخامسة فى سقارة كالردهات والطرق الجنائزية ، و بعض الحجر وكذلك بعض أجزاء معابد الشمس فى « أبو صير » الواقعة بين الجيزة وسقارة .

ويوجد حجر البازلت فى جهات عدة من القطر كمحاجر « أبو زعبل » والمحاجر الواقعة فى الشمال الغربى من أهرام الجيزة فى منطقة أبو رواش وفى صحراء السويس وفى الفيوم وعلى مسافة قريبة من الجنوب الشرقى من سمالوط وفى أسوان وفى واحة البحرية وفى الصحراء الشرقية وسيناء .

وقد ذكر صاحب السعادة الدكتور حسن باشا صادق فى خطاب له سنة ١٩٣٣ بأنه ليس هناك أدلة على أن محاجر بازلت أبو رواش قد استعملت قديماً . وقبل أن يستعمل البازلت فى البناء كان يستعمل رغم صلابته فى عمل الأوانى ورءوس البلطات وفى عمل التوابيت والتماثيل .

١٤ — **الحجر الرملى** : ويستخرج خاصة من الجبل الأحمر بالعباسية بالقاهرة وفى بعض الجهات بين اسنا وأسوان . وتوجد منه أنواع نقية تدخل فى صناعة الزجاج .

١٥ — **الجرانيت** : ويستخرج فقط بالقرب من الشلال الأول عند أسوان . وقد استعمل لبناء خزّان أسوان وإقامة بعض مشاريع الرى الضخمة واستعمل أخيراً فى بناء قناطر محمد على الجديدة . وفى صناعة التماثيل كتمثال نهضة مصر فى القاهرة وقاعدتى تمثال سعد باشا فى القاهرة والاسكندرية وتكسية ضريح سعد بالقاهرة .

وقد بدأت شركة مصر للمناجم والمحاجر فى استغلاله .

١٦ — **المرمر أو الألاباستر** — ويوجد فى وادى سنور فى الجنوب الشرقى من بنى سويف وبالقرب من أسيوط وتستغل شركة مصر للمناجم والمحاجر هذه المحاجر .

١٧ — **البورفير الأرجوانى** : ويوجد بجبل الدخان فى الصحراء الشرقية — وقد صنعت منه قاعدة تمثال المغفور له الملك فؤاد الأول الذى أقيم فى البهو الفرعونى بدار البرلمان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٨ — وهناك أنواع من الطفل تقوم عليها صناعة الخزف والقرميد من النوع الجيد كما فى كفر عمار بالجيزة وصناعة الفخار من طفل قنا .

وتستغل شركة سرناجا وشركات أخرى طفل اسوان لاستعماله فى صناعة الطوب والخزف

١٩ — الكروم :

كشف حديثاً عن هذا المعدن المعروف أيضاً باسم النيكل بكميات كبيرة فى صحراء البرامية فى منطة أدفو .

وتدل معلومات مصلحة الچيولوچيا على أن كميات الكروم التى عثر عليها تكفى مصر مدة طويلة ، وأن هذا المعدن موجود بنسبة ٥٧ ٪ وهى أكبر نسبة عرفت حتى الآن ، وأن حجارته تمتد حتى حدود السودان ، و إن وسيلة نقله لا تكلف شيئاً يذكر إذا قيست بالفائدة العظيمة التى تجنى من استخراجه .

هذه هى المعادن والخامات الموجودة بالصحراء الشرقية وكلها تود لو تكون مصدر رزق لشبابنا المثقف .

وتقع الصحراء الشرقية تحت إشراف مصلحة أقسام الحدود وتعرف إدارياً بقسم البحر الأحمر وتمتد شمالاً إلى طريق القاهرة — السويس ، وجنوباً إلى حدود السودان .

منظر أحد شوارع القاهرة وقد غمرته مياه السيول بعد أمطار شديدة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السادس

جبل المقطم

تلتوى طبقات الأرض شرقى النيل عند القاهرة مكونة جبل المقطم فى شبه قوس متوسط الارتفاع تقرب قمته من القلعة حيث يبلغ ارتفاعه نحو ٢٤٠ متراً وينتهى طرف القوس شمالاً عند مصر الجديدة وجنوباً عند المعادى . وتقع جنوبى المعادى هضبة متوسطة الارتفاع أعلى قممها جبل حوف ويبلغ ارتفاعه ٣٧٥ متراً .

وتتكون تلال المقطم من الحجر الجيرى (الرسوبى) الذى يدل على أنها كانت قديماً مغمورة بمياه البحر . (أنظر صفحة ٩٧)

ويتصل هذا البحث بدراسة العصور الجيولوجية التى مرت على حوض النيل . فلم تكن إفريقيا فى العصر الأول واضحة المعالم بل كانت متصلة بالهند وأستراليا مكونة القارة القديمة التى يتحدث عنها الجيولوجيون باسم قارة (جندوانا) . وكان يغطى شمال إفريقيا بحر هائل هو بحر التتز تقلص فيما بعد إلى البحر الأبيض المتوسط الحالى .

وفى هذا العصر الأول ظهرت الصخور الأركية وأخصها صخور النايس والشست والجرانيت وهى تبدو حول الشلال الأول وفى سلاسل جبال البحر الأحمر وفى شبه جزيرة سيناء .

ثم تكونت فى أواخر العصر الثانى الصخور الرملية الرسوبية من رواسب بحر التتز وتبدو فى سهول النوبة وقبلى الأقصر وفى بعض مناطق القاهرة وتسمى بالصخور النوبية الرملية .

وتكونت فى نهاية العصر الثالث الصخور الجيرية (الكلسية) وهى رسوبية أيضاً وقد نتجت من اختلاط المواد الجيرية (المكونة من أشلاء القواقع البحرية) بالمواد الرملية . وهذه الصخور هى المكون منها جبل المقطم موضوع هذا البحث .

وتكونت فى أوائل العصر الرابع الصخور البركانية الحديثة البازلتية نتيجة لثوران البراكين فى بعض جهات الهضبة الاستوائية وفى بعض جهات مصر عند القصير وأبو زعبل .

وقد تناولت فى هذا العصر العالم عامة وإفريقيا خاصة هزات زلزالية عظيمة والتواءات عنيفة فى القشرة الأرضية.

وإلى هذا العصر يعزى الشق الذى يجرى فيه النيل فى المنطقة الواقعة بين أدفو والقاهرة .

ويقسم الجيولوجيون العصر الرابع إلى خمس حقب :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١ — فى العصر الطباشيرى المتوسط غمر البحر الجزء الشمالى من الأراضى المصرية ووصلت مياهه الى جنوب مدينة القاهرة بحوالى عشرين كيلومتراً .

٢ — فى العصر الطباشيرى الأعلى كان البحر يصل جنوباً حتى مدينة اسنا وكان البحر الأحمر متصلا بالبحر الأبيض المتوسط .

٣ — فى عصر تكوين طبقات المقطم العليا كان البحر يصل جنوبا حتى مدينة الفيوم .

٤ — فى عصر المايوسين الأوسط كان البحر يصل جنوباً إلى مدينة القاهرة وكان البحر الأحمر متصلا بالبحر الأبيض المتوسط .

٥ — فى عصر البلايوسين الأوسط اعترى سطح الأرض بعض الهبوط فغمرها البحر وبلغت مياهه فى الوادى حتى الفشن .

مواقع شواطىء البحر الأبيض والبحر الأحمر فى العصور الجيولوجية المختلفة (من وضع بلانكر هورن)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأيوسين — والأوليجوسين — والمايوسين — والبليوسين — والبليوستسين .

وقد كون النيل لنفسه إبان هذه الحقب واديه المغطى بالغرين الخصيب ، من فتات الصخور البركانية الحديثة التى تحملها مياه الفيضان من الحبشة ، ولا زال النهر يلقى برواسبه ويكوّن سهوله الرسوبية لغاية الآن . (أنظر قطاع الوادى صفحة ٩٩)

والجدول الآتى يريك تكوين طبقات الأرض فى منطقة القاهرة :

١ — الصخور النارية : البازلت والدولوريت من عصر الأوليجوسين أو المايوسين الأسفل ومنها جبل خشب بالصحراء الغربية عند أهرام الجيزة وبالصحراء الشرقية عند الغابة المتحجرة شرقى العباسية .

٢ — التكوين الطباشيرى المتوسط : تيرونيان وسينومنيان . حجر جيرى به طبقات رقيقة من الصوان ويحتوى على حفريات ديورانيا وتيرينيا . ومنه بعض صخور الصحراء الغربية .

٣ — التكوين الطباشيرى الأعلى : دانيان وسينونيان . حجر طباشير أبيض وحجر جيرى وطفل وتحتوى على حفريات الأمونيت ومنه بعض أجزاء المقطم الأعلى وهضبة الأهرام .

٤ — التكوين الأيوسينى المتوسط : المقطم الأسفل . طبقات بحرية تحتوى على حفريات نومولايتس . جيزهنسس وخلافها ومنه بعض أجزاء المقطم الأسفل .

٥ — التكوين الأيوسينى الأعلى . المقطم الأعلى . طبقات بحرية رسبت فى مياه قليلة العمق ومنه معظم أجزاء المقطم الأعلى .

٦ — التكوين المايوسينى الأسفل أو الأليجوسينى : طبقات مشكوك فى عمرها الجيولوجى . حصى من الصوان والكوارتز وبه بقايا أشجار متحجرة . ومنه الهضبة الصحراوية خلف المقطم .

٧ — حجر رملى الجبل الأحمر : به ظواهر بركانية وسدادات الفوارات .

٨ — التكوين المايوسينى : أحجار رملية فى طبقات كاذبة وأحجار رملية خشنة وكونجلو مرات .

٩ — التكوين البليوسينى : طبقات بحرية بها حفريات . رواسب أخرى من الجلاميد والرمال .

١٠ — التكوين البليو — بليوستوسينى : أسرة قديمة لنهر النيل وبها حصى صخور نارية . ورمال من جبال البحر الأحمر .

١١ — التكوين الحديث — والبليستوسينى : رمال سافية . رواسب الوديان . أسرة نهر النيل تكونت فى العصر الحجرى القديم .

١٢ — أراضى قابلة للزراعة . رواسب نهر النيل .

وتقع مدينة القاهرة فى سفح جبل المقطم . ومجرد هذا الاسم « المقطم » يدل على مظهر هذا الجبل الذى يبدو للعيان وكله ثنايا وخطوط أفقية متكسرة أو مقطومة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

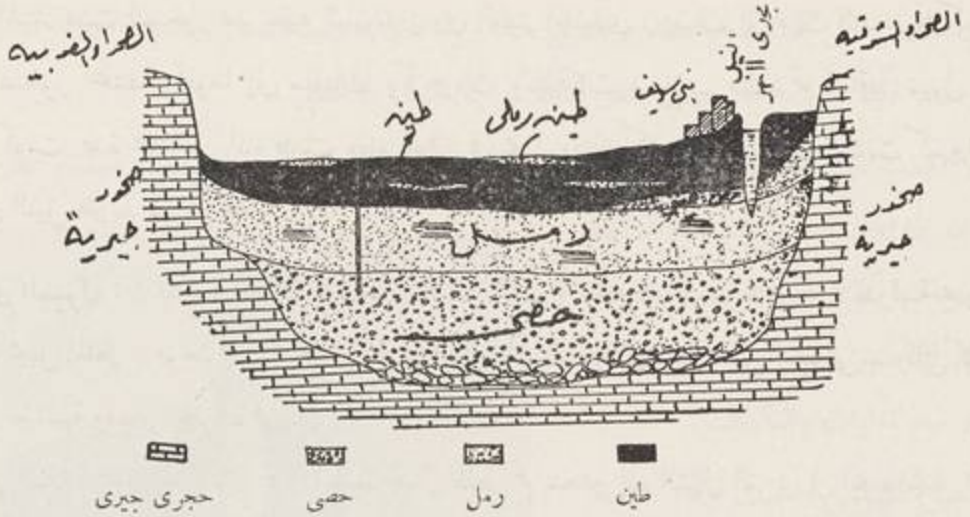

ثم أخذت الرواسب النيلية تغمر مجرى النهر شيئا فشيئا . وترى هنا قطاعا تقريبيا لوادى النيل قرب بنى سويف يوضح أن الوادى عبارة عن قناة فى الصخور الجيرية تملأها رواسب من الحصى ثم الرمل ثم الغرين .

ويقل ارتفاع الجبل فى نهايتى القوس الذى يكونه من الشمال ومن الجنوب . وبالقرب من مصب وادى التيه عند المعادى ينتهى القوس ثم تظهر بعد ذلك هضبة متوسطة الارتفاع تختلط بالقرب من حلوان بحوائط هضبة صحراء العرب .

ويبدو جبل المقطم وهو يطل على أحياء الموتى بالإمام الشافعى وكأنه شاطىء بحر قديم تركت مياهه آثار انسحابها التدريجى خطوطاً واضحة فى ثنايا الجبل .

ويبلغ متوسط ارتفاع الطبقات الجيرية المكونة لهذا الجبل ٢٥٠ متراً . تجد فى معظمها الأسماك والحيوانات والنباتات المتحجرة فى شبه متحف طبيعى ويبلغ متوسط ارتفاع الطبقات التى تكونت فى حقبة الأيوسين الوسطى وحدها من ١٢٠ متراً إلى ١٥٠ متراً . وتعرف هذه الطبقات بلونها الأصفر أو بصخورها الكلسية البيضاء اللامعة التى تكثر فيها بقايا الأحياء المتحجرة . وعدد هذه الطبقات خمسة وتتميز بصلابتها وتجانسها .

وفوق هذه الطبقات تبدو طبقات أخرى تعلوها رواسب حقبة الأيوسين العليا . وتتميز هذه الطبقات بلونها الأسمر وأسطحها المنبسطة العريضة وتكوينها الرملى المخلوط بالزلط . ولا يقل عدد هذه الطبقات عن ثمانية . وتعرف بصخورها الكلسية السمراء والجيرية والطباشيرية المخلوطة بالقواقع النيموليتية .

وكثيراً ما يظهر الرخام فى طبقات جبل المقطم خصوصاً خلف القلعة ، وفى وادى التيه ، وفى شمال وادى الدجلة بالقرب من وادى حوف ومن حلوان .

وقد عملت عوامل التعرية فى هذا الجبل وهى المطر والرياح بشدة ظاهرة ، فساعدت على تفتت الصخور الأقل صلابة . ثم قامت بنقلها من مكان إلى مكان ، فتكدست الصخور المتساقطة فى مجارى السيول وبدا المنظر كأشد ما يكون تعرضاً لأقوى التقلبات الجوية الحادة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد اشتد تفتت الصخور بعد حقبة البليوسين وفى العصر الجليدى . يضاف إلى ذلك التفاعل الكيمياوى بين عناصر الصخور المختلفة وتحولها إلى سلفتات وكربونات وسليكات وخلاف ذلك ثم تساقط سيول جارفة من الأمطار كونت عدة مجار من الماء قامت مقام العمال فى نحت وديان كثيرة فى الصخور وكانت كنهيرات جانبية تصب فى النيل فتزيد من مياهه .

مجارى السيول : و بمناسبة البحث فى أسباب فيضان النهر ونتائجه قام المسيو « فورتو » بدراسة مجارى السيول الموجودة بجبل المقطم . فوجد أن أهم هذه المجارى أو الوديان الواقعة إلى شمال جبل الجيوشى ، والتى كانت تصب فى سهل العباسية ومصر الجديدة هى :

وادى اللبلابة الذى ينزل من شمال سلسلة جبال المقطم ثم ينحدر إلى الشمال الغربى فى اتجاه الجبل الأحمر .

و إلى شمال هذا الوادى يوجد وادى الأسيمر ووادى الحلازونى اللذان ينزلان من الهضبة المجاورة للغابة المتحجرة.

ثم وجد أن هناك وديان أخرى تصب فى سهل العباسية بمقابر المماليك بين القلعة وصحراء العباسية ومنها وادى المعداسة الذى ينزل إلى جنوب بركان « رينيبوم » المطفى و يتفرع متجها إلى الغرب فى اتجاه تربة السلطان برقوق .

ووادى الدويقة الذى انفصل جزء منه واتصل حديثاً بوادى اللبلابة .

و إلى جنوب القاهرة وجد وديان كثيرة أهمها ما يأتى :

وادى التيه ووادى الدجلة بالقرب من المعادى

ووادى أبو سلى ووادى الرشيد ووادى جرّاوى ووادى حوف بمنطقة حلوان .

ولا يزيد طول هذه الوديان عن ١٥ إلى ٢٠ كيلومتراً .

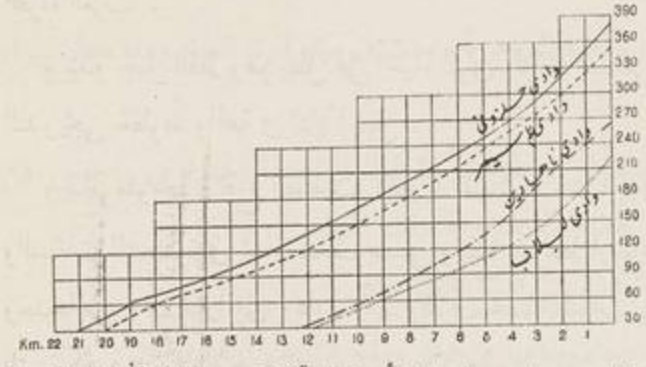

قطاع يبين مناسيب الوديان الأربعة التى تخترق جبل المقطم فى شمال القاهرة وأطوالها بالكيلومتر .

وقد كان وجود هذه الوديان من أهم الأسباب التى نتجت عنها مضار السيول التى اجتاحت مدينة القاهرة فى أوقات كثيرة (أنظر منظر ص ٩٥) .

هضاب المقطم : و يشمل جبل المقطم الهضبة المكونة من الرمل والزلط الممتدة بين الجبل الأحمر والبرج رقم ٢ على الطريق القديم للبوستة الهندية البرية من القاهرة إلى السويس ، كما أنه يشمل الهضبة المرتفعة الممتدة من الجبل الأحمر لغاية وادى التيه .

وسواء نظرنا إلى الجبل من شرقى جامع قايتباى أو من جبل الجيوشى أو من تلول عين الصيرة فلا يبدو لنا إلا الطبقات المتوالية من الصخور البيضاء والصخور السمراء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما القاعدة فهى التى تختلف وحدها من صخور طباشيرية سمراء غير متجانسة إلى صخور جيرية صفراء صلبة إلى صخور غامقة قليلة الصلابة تضرب فى بعض الأماكن إلى اللون الأخضر .

وتتكون الهضبة التى توجد عليها قلعة محمد على المعروفة بين العامة باسم حصن نابليون من صخور جيرية بيضاء صلبة . و بعد ذلك تبدو صخور شستية مختلطة بصخور جيرية بها كثير من القواقع والجبس . وأخيراً توجد الصخور الجيرية الكلسية حيث نقرت كثير من المغارات والكهوف .

جبل المقطم . طبقات جيرية من العصر الأيوسينى . منظر من الجهة الغربية ، حيث جامع الجيوشى .

وأمام جبل الجيوشى ، حيث توجد الهضبة المنعزلة التى تقوم عليها قلعة صلاح الدين ، تمتد عروق كثيرة من جبل المقطم فى اتجاه نهر النيل . وهذه العروق مغمورة اليوم بالرمال وبأكوام الخرائب التى تخلفت عن مدن الفسطاط والعسكر والقطائع .

وقد وصلت الحفريات إلى هـذه العروق الصخرية فى كثير من النقط .

ويذكر المؤرخون أن الأحياء القديمة فى هذه المدن كانت تبنى فوق الصخر ولهذا السبب لم تكن هذه المدن فى حاجة إلى رصف شوارعها بل كان يكتفى بتصليح السطح وتسويته . ولهذا السبب أيضاً اضطرت شركة مياه القاهرة ومصلحة المجارى إلى مد مواسير مياه الشرب ومجارى المياه العادمة فى هذه الأحياء قريبة من سطح الأرض .

ومن العروق الجبلية التى ظلت للآن ظاهرة فى هذه المنطقة ولم تقو على إزالتها عوامل التعرية : العرق الذى يقوم عليه جامع السلطان حسن وجامع الرفاعى فى سفح القلعة ، والعرق المعروف باسم جبل يشكر الذى يقوم عليه جامع ابن طولون وهو يمتد بميل خفيف جهة الشرق وجهة الجنوب كما أنه يمتد بميل شديد الانحدار جهة الشمال الغربى .

وهناك أيضاً عروق أخرى جبلية تراكمت فوقها أنقاض المدن القديمة التى اندثرت مثل الفسطاط والعسكر والقطائع فكونت مرتفعات زين العابدين أو تلول زينهم وكوم الجريح أو تلول عين الصيرة حيث جامع سيدى أبو السعود والجامع الأحمر وأخيراً يوجد إلى جنوب الفسطاط عروق جبلية مكونة لمرتفعات الشرف أو الرصد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما الهضبة المنعزلة التى تقوم عليها قلعة صلاح الدين فمع أن وجودها غير سهل التعليل ، إلا أنه يبدو أنها عزلت بيد الإنسان .

وفى الجنوب عند جبل طره تبدو الصخور الجيرية الصلبة وفوقها صخور قبة الأيوسين الأعلى وفى قاعدة الجبل عند الشمال الشرقى لمدينة حلوان تبدو صخور حقبة الأيوسين الوسطى وأهم مميزات هذه المنطقة هى وجود الحجر الجيرى والطفل وتقوم عليها صناعة الأسمنت وحرق الجير فى طرة والمعصرة على خط حلوان .

بعض الظواهر الطبيعية بجبل المقطم : ويمتاز جبل المقطم بوجود ظواهر طبيعية متنوعة فى هضابه أهمها وجود طبقات من الصخور النارية مثل محاجر أبو زعبل البازلتة والجبل الاحمر والغابة المتحجرة والعيون الساخنة القديمة والأملاح القلوية ، واتحاد البازلت مع الاحجار الجيرية وأحجار الكوارتز المستخرجة من الجبل الأحمر (وهى نتيجة تبلور الرمل تحت تأثير السيليكا) ثم فوهة البركان المطفى المعروف باسم بركان « رينيبوم » مما يدل على أن هذه المنطقة تعرضت فى عصر من عصورها الجيولوجية لتقلبات بركانية حادة .

وسنتكلم عن هذه الظواهر الطبيعية فى الفصول التالية .

ويبدو جبل المقطم وهو يطل على أحياء الموتى بالامام الشافعى كأنه شاطىء بحر قديم تركت مياهه آثار انسحابها التدريجى خطوطاً واضحة فى ثنايا الجبل

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السابع

الجبل الأحمر والغابة المتحجرة وبازلت أبو زعبل .
محاجر طره والمعصرة وصناعة الأسمنت .

يرجع الإنسان فى تقدير الزمن إلى وحدة قصيرة : السنة [١] .

ولما كان عمره على الأرض محدوداً بعدد صغير من هذه السنين ، ولما كان الحادث المعين قد تمر عليه بضع سنين فتمحوه من الذاكرة ، لذلك يبدو الكلام عن العصور الچيولوچية القديمة جداً كشىء يقصر العقل الإنسانى عن أن يحيط بقدمه .

على أن نظرة دقيقة تدلنا لأول وهلة أن حياة الإنسان على الأرض ضئيلة جداً ، وأن الإنسان نفسه حادث على وجه الأرض وهو أحدث المخلوقات جميعاً .

فاذا أردنا أن نتكلم عن العصور الچيولوچية التى تكون فيها جبل المقطم والجبل الأحمر والغابة المتحجرة ومحاجر البازلت بأبى زعبل وخلاف ذلك من الظواهر الطبيعية المحيطة بمدينة القاهرة ، وجب علينا قبل كل شىء أن نجرد عقولنا من القيد الذى نفرضه عليها بمقارنة كل شىء بعدد محدود من السنين . ولا بد أن نفقه أن عوامل الطبيعة المختلفة ما كانت لتحدث ما أحدثته من الظواهر فى وجه الأرض لولا طول الزمن الذى تعمل فيه . ولنضرب لذلك مثلا يقع تحت أنظارنا كل عام ذلك أن نهر النيل يترك وراءه بعد كل فيضان طبقة رقيقة من الغرين يقدرون سمكها بملليمتر واحد أى أنه لا بد من ألف فيضان فى ألف سنة متتابعة لتكوين طبقة من هذا الغرين يبلغ سمكها متراً واحداً . فاذا اعتبرنا أن متوسط سمك التربة الزراعية فى مصر هو عشرة أمتار يكون تكوينها قد تطلب عشرة آلاف سنة . والواقع أكثر من ذلك نظراً لأن ما يتكوّن فى أعوام قد تكتسحه الرياح والسيول فى لحظات .

هذا والتربة الزراعية هى أحدث التكاوين فى وادى النيل وقد سبقت تكوينها عصور طويلة كان نهر النيل يجلب من أعالى مجاريه رمالا وحصى هى التى تملأ جوف الوادى تحت التربة السطحية .

والنيل نفسه ظاهرة حديثة وقد سبقته عصور كان هذا الجزء من القارة الافريقية تغطيه مياه البحار وعلى قاعها تكونت طبقات سميكة من الرواسب الجيرية التى استحالت فيما بعد إلى طبقات الصخور التى تغطى الهضبة المحيطة بجانبى الوادى . وهذه قد سبقتها عصور كانت فيها الأراضى المصرية جزءاً من قارة معرضة لعوامل التعرية . وكانت قبل ذلك بوقت طويل مسرحًا لتفلاعلات بركانية عنيفة تكونت من جرائها الصخور النارية .

(١) راجع كتاب الجيولوجيا لمعالى الدكتور حسن صادق باشا

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

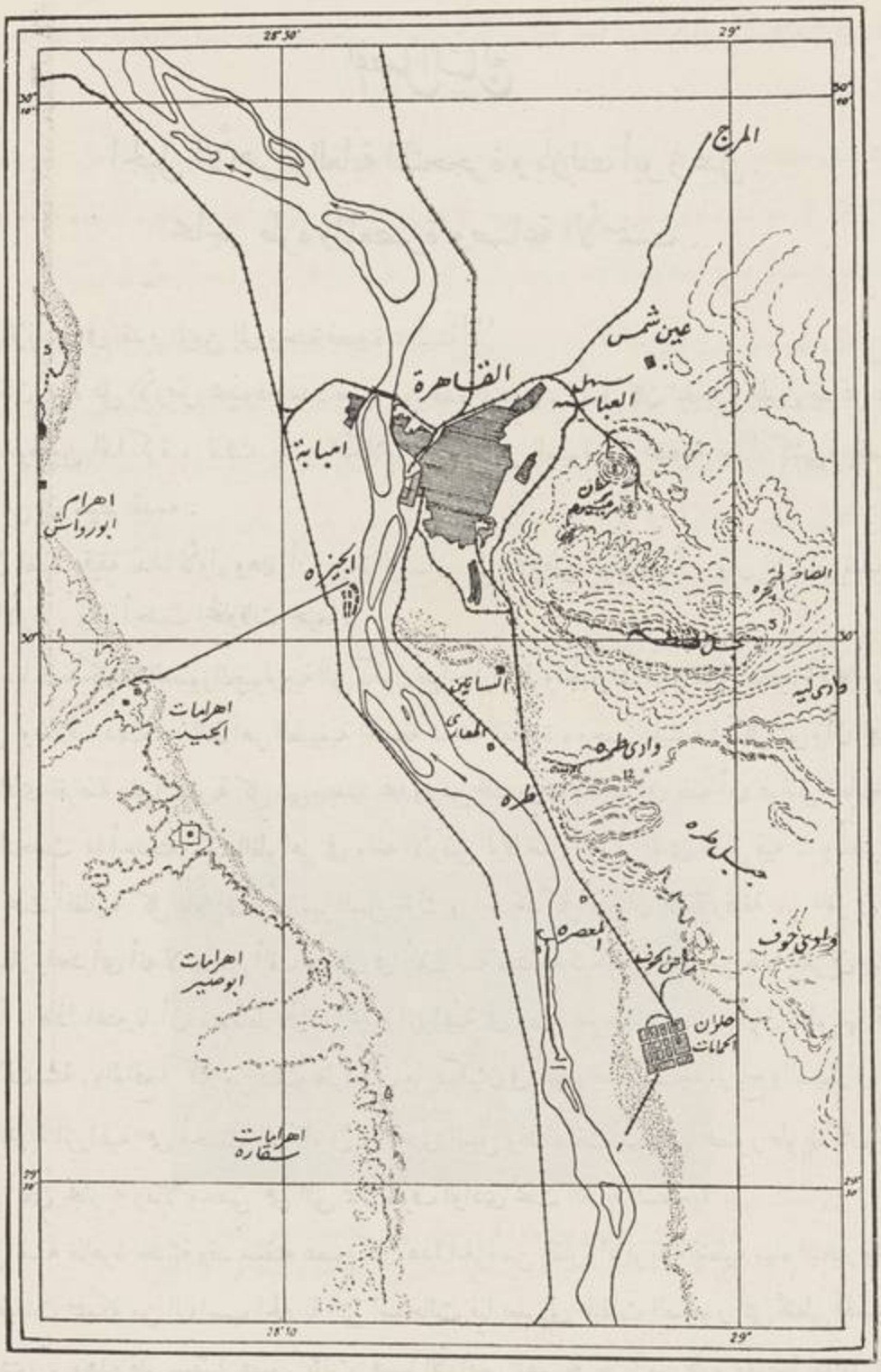

بعض الظواهر الطبيعية المحيطة بمدينة القاهرة :

جبل المقطم — الجبل الأحمر — الغابة المتحجرة — بازلت أبو زعبل — محاجر طره والمعصرة — صناعة الأسمنت .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويرجع بحثنا فى موضوع الجبل الأحمر والغابة المتحجرة ومحاجر البازلت بأبو زعبل إلى هذا العصر بالذات وهو الذى يسمى فى عرف الچيولوچيين عصر التكوين الأوليجوسينى .

وهذا الاسم مشتق من الكلمة اليونانية (أوليجوس) بمعنى قليل والمقصود هنا أن صخور هذا العصر ليس بها إلا قليل من حفريات الحيوانات الرخوة التى لم تنقرض أنواعها بعد .

والحفريات أو الدفينة إصطلاح للدلالة على كل شىء من أصل عضوى نباتى أو حيوانى دفن ضمن الرواسب المكونة للصخور الرسوبية وقت تكوينها .

وصخور الأوليجوسين فى القطر المصرى عبارة عن طبقات من الحصى والرمل والأحجار الرملية تحتوى أحياناً على بقايا أشجار متحجرة وتمتد من وادى النيل قرب القاهرة شرقاً إلى برزخ السويس وغرباً إلى منخفض القطارة قرب واحة سيوة .

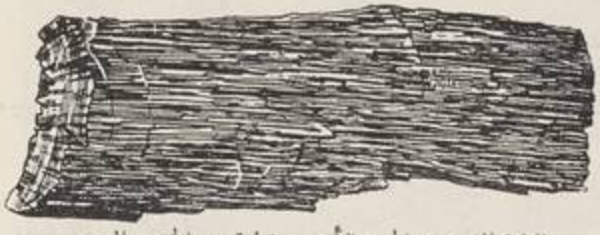

الغابة المتحجرة بالجبل الأحمر . قطعة من الخشب المتحجر .

والغابات المتحجرة هى الأماكن التى تظهر على سطحها هذه الطبقات الرملية التى تحتوى على بقايا الخشب المتحجرة . وبتأثير عوامل التعرية فيها تكتسح الرمال وتبقى الأشجار المتحجرة ملقاة على السطح .

الغابة المتحجرة : ومن أمثلتها « الغابة المتحجرة » المشهورة الواقعة على بعد بضعة كيلومترات شرقى العباسية بالجبل الأحمر حيث ترى كثيراً من سيقان الأشجار يبلغ طول بعضها عشرين متراً وهى محتفظة بدقيق تركيب أليافها حتى أنها لتشبه الخشب فى شكلها الخارجى إلا أنها مركبة من مادة سيليسية بدلا من مادتها الخشبية الأصلية . وقد استبدلت بالمادة الأصلية مادة السيليس ذرة لذرة فى مياه معدنية سيليسية كانت قد تفجرت من عيون فى نهاية ذلك العصر .

منظر الغابة المتحجرة بالجبل الأحمر قرب القاهرة .

وكان عصر الأوليجوسين بمصر كشأنه فى بعض البلاد الأخرى مصحوباً بتفاعلات بركانية أدت إلى إنشقاق القشرة الأرضية وتفجر حمم البازلت إلى السطح وتكوينه فى عروق تخترق الصخور السابقة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بازلت أبو زعبل : ومن أمثلة ذلك محاجر البازالت المعروفة بأبو زعبل ومنه تقتلع الأحجار المستعملة لرصف الطرق فى جميع مدن القطر المصرى .

وكذلك الطفوح البازلتية بجبل القطرانى شمال الفيوم وقرب الواحات البحرية وعلى مقربة من أهرام الجيزة وعلى طريق السويس وفى شمال شبه جزيرة سينا .

الجبل الأحمر : وقد عقب هذا النشاط البركانى تفجر العيون السيليسية التى ذكرناها فكان من جرائها تكوين كتل الأحجار الرملية السيليسية التى منها الجبل الأحمر شرقى العباسية .

وهذا الجبل الصغير مكون فى الغالب من حجر رملى شديد الصلابة حبيباته رملية متماسكة بمادة سيليسية حديدية ترجع إليها شدة صلابته التى تجعل منه حجراً صالحاً لرصف الطرق ولأساسات المبانى فى الجهات الرطبة ولأحجار الطاحون .

سهل العباسية : يرجع تكوين هذا السهل إلى تاريخ تكوين دلتا النيل وهو يمتد من المكان الذى فيه اليوم ميدان الأمير فاروق بباب الحسينية إلى الصحراء التى فيها الآن ضاحية مصر الجديدة فى الشمال الشرقى من القاهرة .

وقد أدى أخذ الرمل والزلط اللازم لمبانى مدينة القاهرة الحديثة منه إلى حفر شريط صحراوى عظيم العمق يبلغ نحو ٣٠ متراً أو يزيد مما سهل درس المنطقة ومحتويات طبقاتها .

وقد وجدت الرواسب النيلية فيها بسمك عشرة أمتار فى المتوسط ، وعثر فى وسط الزلط على الآلات التى تبرهن على توالى صناعات العصر الحجرى القديم تواليا تاريخياً . وقد اختلط بها بعض بقايا الحيوانات المعاصرة . وقد أظهر البحث أن هذه الرواسب لا يتأتى وجودها إلا عند مصب النهر القديم إذ هناك تقف المياه فى طريق مجراها وتترك رواسبها التى لا يمكنها حملها أبعد من ذلك . وقد كان من الطبعى أن تتجمع هذه الرواسب طوال مدة العصر الحجرى القديم حافظة فى طبقاتها التى تكون بعضها فوق بعض بقايا الصناعات المعاصرة لكل طبقة . واستنتج من ذلك أن مصب النيل القديم قبل تكوين الدلتا كان فى سهل العباسية بالقاهرة فى سفح الهضبة الشرقية التى تحد وادى النيل حالياً .

هذه هى أهم الظواهر الطبيعية المحيطة بمدينة القاهرة فى الشمال الشرقى من المدينة .

أما فى الجنوب فأهم الظواهر الطبيعية هى محاجر طره والمعصرة التى اقتلعت منها أحجار الأهرامات ، ثم محاجر مصر القديمة التى تقتلع منها الآن أحجار البناء بالقاهرة .

وهذه المحاجر مكونة من الصخور النومولیتية الناصعة البياض وهى ترجع إلى التكوين الأيوسينى . وهذا الاسم مشتق من اللفظة اليونانية (إيوس) بمعنى فجر والمقصود به هنا فجر الحياة الچيولوچية الحديثة . والواقع أن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عصر التكوين الأيوسينى كان موجوداً قبل عصر التكوين الأوليجوسينى الذى تكون فيه الجبل الاحمر والغابة المتحجرة ومحاجر البازلت التى ذكرناها سابقاً .

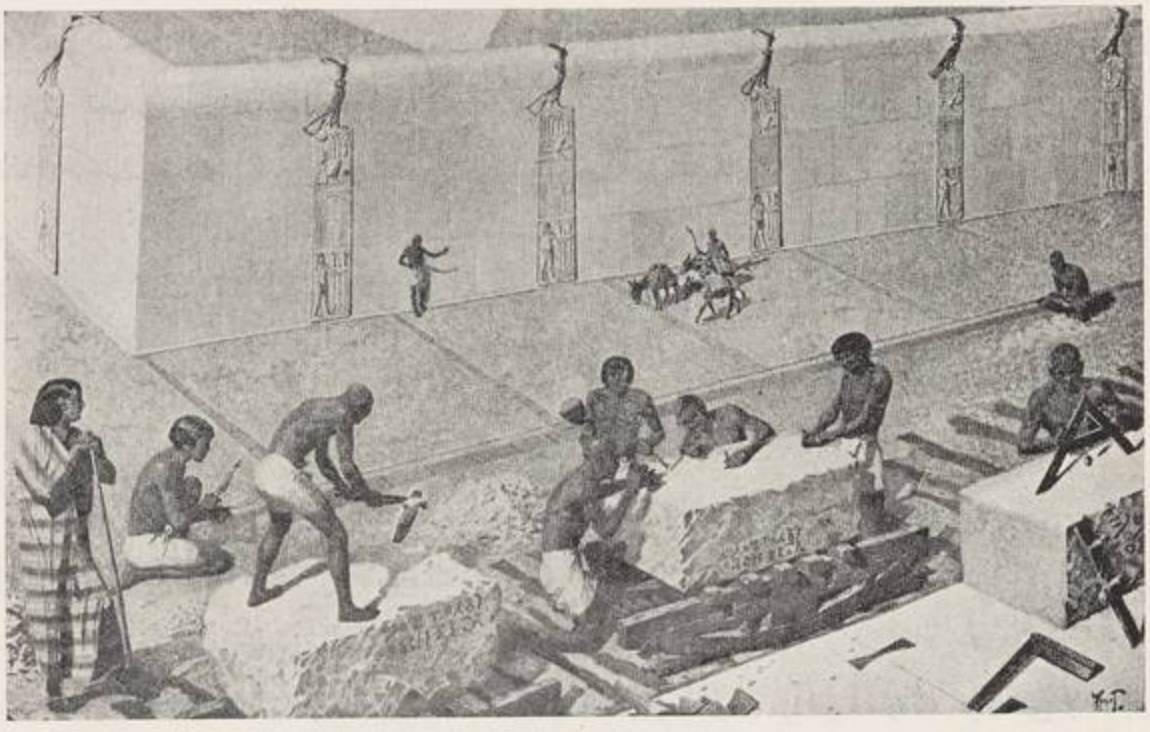

صناعة قطع الأحجار — كان قطع الأحجار السهلة اللينة كالمرمر والحجر الجيرى والحجر الرملى يتم بفصل الكتلة المرغوب فى قطعها من جهاتها الأربع بخوابير من الخشب وعروق مبللة بالماء . والآلات التى كانت تستعمل فى ذلك من المعدن هى أزاميل أو مناقير من النحاس حتى الدولة الوسطى إذ حلت محلها وقتئذ آلات من البرنز ، وكذلك كانت تستعمل مدقات من الخشب ومطارق من الحجر . وكان النحّاتون المصريون أعظم صناع العالم إتقاناً وحذقا لفن البناء . وترى فى الصورة البنائين ينحتون أحجار سور هرم اللشت الذى بنى فى عهد الملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢) من سنة (١٩٨٠ — ١٩٣٩) ق . م . وترى أيضاً طفل يحمل جرار المـاء إلى العمال على الحمير .

وتوجد طبقاب التكوين الأيوسينى فى القطر المصرى ممتدة على جانبى وادى النيل من القاهرة حتى قنا ومنها تتكون الهضاب المتسعة فى الجزء الشمالى من الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سينا وصحراء ليبيا .

و يمكن تقسيم هذا التكوين الأيوسينى إلى قسمين :

(ا) الطبقات السفلى وهى عبارة عن صخور جيرية نومولیتية ناصعة البياض تقتلع منها أحجار البناء بالقاهرة كما قلنا سابقاً وتعرف أيضاً باسم عصر تكوين المقطم الأسفل .

(ب) والطبقات العليا وهى عبارة عن طبقات طينية رقيقة تتخللها طبقات رملية وطفلية وتحتوى جميعها على أنواع مختلفة من الحفريات المحارية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويغلب فى هذه الطبقات أن تكون صفراء أو حمراء اللون من اختلاطها بالمغرة (أكسيد الحديد) .

وتوجد هذه الطبقات فى الأجزاء العليا من جبل المقطم الذى يرى أسفله ناصع البياض وقمته سمراء اللون مائلة للاحمرار .

وتدل المباحث الچيولوچية على أن الطبقات السفلى أى الصخور الجيرية النومولیتية تكونت فى بحار عميقة بينما الطبقات العليا أى الصخور الرملية أو الطينية فتحتوى على حفريات تدل على رسوبها قرب الشاطىء . فيفهم من ذلك أنه كانت هناك حركه أرضية بطيئة أدت إلى رفع قاع البحر تدريجا . وباستمرار هذه الحركة تراجع البحر شمالا وترك الأراضى المصرية جافة فى عصر الأوليجوسين . فكل ما تكون عليها من صخور ذلك العصر هو أما من أنواع الصخور الشاطئية وأما من التى تكونت فى بحيرات أو أنهار أو مستنقعات .

محاجر طره والمعصرة :

نتكلم الآن عن محاجر طره والمعصرة التى اقتلعت منها أحجار الأهرامات .

ترجع معرفة المصريين القدماء بهذه المحاجر إلى عهد قديم جداً ، وقد عثر فى محاجر طره على نقوش يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية عشرة وتمتد إلى الأسرة الثلاثين . غير أنه من الثابت لدينا أن أحجار هذه المنطقة استعملت فى بناء الهرم المدرج ومعابده بسقارة تحت إشراف المهندس الكبير « أمحوتب » وزير الملك « زوسر » الذى أطلق عليه بعد موته لقب إلهَ الطب أيضاً . واستعملت هذه الأحجار أيضاً فى بناء آثار سقارة الأخرى التى ترجع إلى عهد الأسرة الثالثة ، بل ومن المؤكد أنها استعملت منذ عهد الأسرة الأولى ، إذ وجدت أحجار من طره داخلة فى مبانى هذه الأسرة .

أما محاجر المعصرة فالنقوش التى عليها ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة حتى عصر البطالسة كما قال فلندرز بترى .

وقد بقيت محاجر طره والمعصرة وقفا على الملوك وأسرهم وعلى رجال الحاشية الملكية وذلك لأنه لم يكن فى مقدور الأفراد العاديين تحمل نفقة قطع الأحجار ونقلها لكثرة ما كانت تتكلفه تلك العملية من الأموال . ولكن كان فرعون يهب من يشاء من رجال دولته القطع اللازمة لإقامة مقابرهم . وربما كان اسم « الحجر السلطانى » الذى يطلق على أحجار طره حتى الآن قد جاءنا من عهد الفراعنة .

وقد اشتهرت المعصرة منذ القدم بتجارة البلاط المعصرانى والجبس .

قال على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ج ١٠ ص ٨٣) :

« وعادة الحجّارين أن يقطعوا من الجبل مكعبات ضلعها تارة نصف متر وتارة ثلاثة أرباع متر ثم ينشرون ذلك بمناشير الفولاذ فيجعلونه بلاطاً مستطيلاً أو مربعاً . ولا يوجد البلاط عادة إلا فى الطبقات البعيدة عن سطح

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأرض التى على عمق من ١٥ إلى ٢٠ متراً . وفى استخراجه يصنعون آبارا رأسية و يقطعون الحجر فى أسفلها من دهاليز يحفرونها فيها » .

صناعة الأسمنت :

وفى السنوات الأخيرة انتشرت صناعة الأسمنت بطره والمعصرة وحلوان، فبتاريخ ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٧ تأسست بالقاهرة شركة أسمنت بورتلاند طره المصرية الجنسية لمدة ٣٠ سنة . وجعل مركزها الرئيسى والادارى فى القاهرة .

وعمل هذه الشركة هو :

أولاً — حيازة الأراضى واستغلال المحاجر و إنشاء مصنع للأسمنت بجميع ملحقاته فى منطقة طره بجوار القاهرة .

ثانياً — صنع الأسمنت البورتلند والأسمنت الطبيعى والجير المائى وجميع الأصناف التى لها علاقة بصناعة الجير والأسمنت إما بنفسها أو بواسطة شركات وكذلك بيعها فى القطر المصرى وفى الخارج .

ثالثاً — القيام بالعمليات الخاصة بالنقل والعمليات الصناعية والمالية التى لها صلة بأغراض الشركة سالفة الذكر.

وللشركة أن تهتم أو تشترك بأية صفة ما فى المشروعات المماثلة لأعمالها أو التى يمكن أن توصلها إلى تحقيق غرضها سواء كان ذلك فى القطر المصرى أو فى الخارج . وللشركة أن تندمج فى هـذه المشروعات أو تحصل عليها أو تلحقها بها .

تطور أعمال الشركة :

فى سنة ١٩٢٩ حاولت الشركة أن تعقد اتفاقا مع شركتى الأسمنت بالمعصرة و بحلوان لإنشاء مكتب مشترك بينهم لبيع الأسمنت الناتج من مصانع هذه الشركات الثلاث ، فأسفرت هذه الحادثات عن إنشاء متجر لبيع الأسمنت بين شركة المعصره وطره فقط لمدة ٢٠ سنة .

وفى سنة ١٩٣٠ اشتدت المنافسة بين هاتين الشركتين وشركة حلوان فانخفضت أسعار الأسمنت و بذلك لم تتحقق أرباح لجميع هذه الشركات .

وفى سنة ١٩٣١ انضمت شركة بورتلاند حلوان إلى متجر الأسمنت الذى أنشأته شركة طره بالاتحاد مع شركة المعصره على أن يتناسب البيع مع إنتاج كل شركة ، وساعد هذا الاتفاق على رفع سعر الأسمنت الذى كانت تضطر الشركات إلى بيعه بسعر أقل من تكاليفه الفعلية .

ثم أدمجت شركة طره شركة المعصرة فيها ، و بعد بحث مستفيض وجدت الشركة أن من الأصوب عدم إدارة مصنع المعصرة و إنشاء فرن جديد بطره ينتج ١٣٠٠٠ طن فى السنة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى سنة ١٩٣٣ شرعت الحكومة المصرية فى بناء خزان جبل الأولياء بالسودان فمنحت شركة طره حق مد المشروع بالأسمنت اللازم .

وفى نفس هذه السنة اشترت الشركة أغلب أسهم شركة الأسمنت اللبنانية بالاشتراك مع شركة بورتلاند بحلوان . وقد اشترت أيضا شركة زيلع للملاحة .

ثم اشتركت مع شركة بورتلاند بحلوان فى إنشاء مصنع لعمل أكياس ورق للأسمنت وكذلك أنشأت مصنعاً للبلاط فى مكان مصنع المعصرة القديم .

وفى سنة ١٩٣٧ اشتركت مع شركة بورتلاند بحلوان و بنك مصر فى إنشاء شركة مصر لأعمال الأسمنت المسلح برأس مال قدره ٦٠٠ الف جنيه مصرى .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من ١٤١٢٥٠ سهما عاديا لحامله قيمة كل منها ٤ جنيهات مصرية مدفوعة بالكامل .

وقد وزعت الشركة أرباحا فى سنة ١٩٤١ كان نصيب السهم الواحد منها ٩٦ قرشا صاغا وهذا يدلك على مقدار ما تربحه شركات الأسمنت فى الحرب الحاضرة ! !

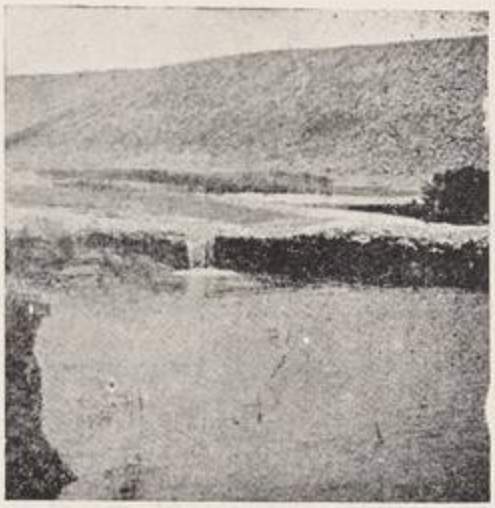

حلوان — الينبوع الجديد (عند ظهوره)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثامن

عيون حلوان المعدنية

ترجع شهرة عيون حلوان المعدنية إلى عهد الحكيم أمحوتب وزير الملك زوسر الذى حكم من سنة ٢٧٨٠ إلى سنة ٢٧٦٢ ق م . فبفضل هذا الوزير الذى عرف فى التاريخ بأنه أول طبيب ، وبعد موته اعتبر إله الطب عند قدماء المصريين ، ذاع أمر هذه العيون بين الناس فجعلوا يقصدونها أفواجاً للاستشفاء بمياهها والانتفاع بجواهرها وخاصاتها . ومع تطور الزمن تجمعت حول هذه العيون طوائف من قدماء المصريين ومن الأشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب ثم من الأوربيين فى عصرنا الحديث قبل أن يصيبها الإهمال الحالى المؤلم .

أمحوتب وزير الملك زوسر (الأسرة الثالثة) . وهو الذى وضع تصميم الهرم المدرج بسقارة وأعده مدفنا لمليكه. كما أنه أول طبيب فى التاريخ . وبعد موته اعتبر إله الطب .

وفى حلوان عدة ينابيع تتدفق منها المياه حاملة جواهر مختلفة ، منها المياه الكبريتية والمياه الحديدية والمياه الملحية ومياه الينبوع المعدنى الجديد .

وتنتج هذه العيون من تسرب مياه الأمطار أو البحار إلى خطوط الفوالق التى حصلت فى صخور هذه المنطقة من جراء الضغط الجانبى لخليج السويس نتيجة حركة الثناء أو تجعيد صخوره . فغارت هذه المياه إلى أعماق كبيرة وارتفعت حرارتها من حرارة جوف الأرض حتى إذا قابلها ما يدعو إلى صعودها إلى السطح انفجرت فى عيون ساخنة بعد أن تكون قد أذابت ما صادفها من الأملاح والمعادن كالكبريت والحديد والأملاح القلوية والمواد الجيرية .

عدد الينابيع - قال الدكتور « رايل » الذى عهد إليه تحليل مياه حلوان سنة ١٨٦٨ : « إن فى حلوان أحد عشر ينبوعاً ، ثلاثة منها بجهة وادى الرشيد جنوباً وثمانية أسفل الجبل ، ويبعد كل ينبوع عن الآخر حوالى ٨٢٤٠ متراً ، وقد أهملنا من هذه الينابيع أربعة لأن كمية المياه المتدفقة منها ضئيلة بالنسبة إلى السبعة الينابيع الأخرى التى تتدفق منها المياه بشدة حتى يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار . ومن هذه الينابيع اثنان مياههما ملحية وثلاثة مياهها كبريتية . »

أما الآن ففى حلوان ثمانية ينابيع ، منها نبعان تستعمل مياههما الكبريتية فى تغذية الحمامات ، ونبعان كبريتيان آخران ينتفع الجمهور بمياههما مجاناً ، ويقعان فى الجهة الغربية أحدهما للرجال والآخر للسيدات وهو الذى انفجر

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أخيراً بسبب حدوث هزة أرضية عنيفة فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٦ .

وفى الجهة البحرية الغربية نبعان مياههما حديدية تحتوى على حمض الكربون كما أن هناك نبعاً آخر بجوار شريط السكة الحديد ماؤه ملحى يحتوى على كبريتات وكلورورات وكربونات ، وهو مسهل ويشبه طعمه ماء «راكوركسى» .

وفى شهر مارس سنة ١٩٣٩ ظهر النبع المعدنى الجديد أثناء قيام العمال بحفر الأرض لتمهيد طريق خط سكة الحديد إلى مخازن قطارات الديزل الكائنة فى الجهة الغربية الجنوبية لمدينة حلوان .

المياه الكبريتية — هذا النوع يحتوى على حمض الكبريت بكثرة ، وهو الذى يجعل لها الرائحة الخاصة بها. وتوجد الينابيع الكبريتية فى الجهة القبلية وهى عديدة ، اثنان منها بنى عليهما حمامات حلوان الحالية واثنان أقيم عليهما أكشاك ، وهناك ينبوع فى الجهة الغربية للمدينة لم يستعمل .

استعمال مياه حلوان الكبريتية — يؤخذ من رسالة المرحوم الدكتور حسن باشا محمود وغيره أن مياه حلوان تستعمل إما من الباطن أو من الظاهر أو من الجهتين معاً . فمن الباطن تستعمل شراباً طبيعياً أو ممزوجاً بأدوية أخرى وذلك للأمراض الصدرية وخلافها كما هو مبين بعد . ومن الظاهر تستعمل بطرق مختلفة فى أمراض الحلق والحنجرة والأنف أو استنشاقاً فى أمراض الأنف المزمنة والفم واللوزتين ، أو حقناً فى بعض التجاويف الطبيعية ، أو مكمدات على بعض أجزاء الجسم أو حمامات عامة أو موضعية أو غسلات فى أمراض الجلد أو حماماً بخارياً أو رشاً بالماء « دوش » وهذا كله يتعلق بنوع المرض وطبيعته والطبيب هو الذى يصف للمريض كيفية استعمال الحمام وتناول المياه . وقد أشار البعض بإضافة طمى «عين الصيرة» إلى الحمام لعلاج بعض الأمراض الجلدية وخلافه .

ومن الأمراض التى تستعمل فيها مياه حلوان الكبريتية ما يلى :

(١) الأمراض الجلدية المنتشرة فى البلاد الحارة ومصر كالحكة والصدفية وأنواع « القوب » المزمن وحب الشباب والجذام والبرص والجرب وداء القمل والقراع وغيره .

(٢) الأمراض الخنازيرية بأنواعها كالعقد وأورام العظام .

(٣) الأمراض الحدادية المزمنة « الروماتزم » كوجع المفاصل والركب والروماتزم العضلى .

(٤) أمراض الصدر كالنزلات والسعال المزمن وداء الربو غير المصحوب بآفة فى القلب .

(٥) الاحتقانات كاحتقان الكبد والكلى .

(٦) أمراض الجهاز التناسلى البولى كاحتقان الخصية عند الرجال وقلة البول ، وعند النساء فى عدم الحمل الناتج عن أمراض الرحم والسيلان الرحمى المزمن ، ولكن يضر استعماله بالنساء الحوامل .

(٧) الشلل والفالج وشلل الحس والحركة وكساح الأطفال .

(٨) بعض الأمراض العصبية كعرق النساء . (٩) الضعف وفقر الدم غير المتعلقين بمرض القلب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المياه الحديدية — فى الجهة البحرية الغربية من المدينة نبعان مياههما حديدية تحتوى على حمض الكربون . وكان قد اكتشفهما المغفور له الخديوى توفيق حين حفر أساسات قصره (مدرسة حلوان الثانوية الأميرية الآن) ولم تستعمل مياههما .

استعمال مياه حلوان الحديدية — طعم هذه المياه مقبول وهى تسهل الهضم كمياه كارلسباد وتستعمل لعلاج فقر الدم والمسالك البولية وأمراض الكبد .

المياه الملحية — فى الجهة البحرية من المدينة ينبوع ماؤه ملحى يحتوى على كبريتات وكلورورات وكربونات . وهو مسهل ويشبه ماء راكوكسى ولم يستعمل .

استعمال مياه حلوان الملحية — تستعمل مسهلا فى أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعوية والإمساك وضعف الهضم وأمراض الكبد والطحال واحتقانات المخ وأمراض القلب .

مياه الينبوع المعدنى الجديد — يحتوى الينبوع المعدنى الجديد على عناصر كثيرة مذكورة على حدة فيما يلى .

استعمال مياه الينبوع المعدنى الجديد — تستعمل هذه المياه فى علاج كثير من الأمراض المذكورة قبلا . ووجود سلفات المغنسيوم فى هذا الماء بكميات خفيفة يجعله منبهاً للكبد وذا أثر مفيد فى الصفراء ، وكذلك وجود أملاح الكلسيوم فيه تفيد ضعاف البنية والمصابين بلين العظام .

الينبوع المعدنى الجديد :

فى أوائل شهر مارس من عام ١٩٣٩ بينما كان عمال مصلحة السكة الحديد يقومون بقطع خندق فى ربوة تبعد عن حدود مدينة حلوان بمسافة كيلومتر واحد لعمل تحويلة لخط السكة الحديد ، إذا بهم يفاجأون بتفجر الماء من الأرض التى يعملون فيها . ثم أخذ الماء يتدفق بغزارة . وقد ظن فى بادىء الأمر أن هذه الظاهرة سوف لا تدوم طويلا ، ولكن هذا الظن لم يحققه الواقع إذ ظلت هذه المياه على تدفقها يوماً بعد يوم بدون انقطاع . فأخذت الجهات المختصة ترقب هذه الحالة بعين ساهرة عسى أن تجد فيها فتحاً جديداً فى عالم الاستشفاء بالمياه المعدنية فتجنى منه مصر مزايا كثيرة من الناحيتين الاقتصادية والأدبية .

وكان من آثار هذه العناية التى وجهتها الجهات المختصة إلى ماء هذا النبع أن قامت معامل وزارة الصحة بالتعاون مع مصلحة المناجم فى مباشرة الإجراءات الأولية اللازمة للوقوف على العناصر التى يتألف منها ماء هذا النبع وعلى بعض خواصه ومدى اتصاله بمياه الرشح حتى يسهل تكوين رأى نحو هذا الماء وتوجيه الجهود إلى الناحية المنتجة المثمرة . وقد أسفرت المباحثات الأولية التى باشرتها الهيئتان السالفتان بتاريخ ١٢ يونيو سنة ١٩٣٩ على المعلومات الآتية :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(١) يقدر تصرف هـذا النبع بحوالى ٢٠ متراً مكعباً فى الساعة . ويتدفق الماء على شكل نافورة ترتفع عن سطح المياه الجارية ببضعة سنتيمترات .

ينبوع حلوان الجديد .

(٢) يقع هذا النبع على منسوب ٤٥ متراً فوق سطح البحر كما يتبين من الخرائط الطوبوغرافية مقياس ١/٢٥٠٠ .

(٣) يقع هذا النبع فى أسفل الخندق السالف ذكره وتعلوه طبقة من الطين بها بعض فتات من الأحجار الجيرية لا تقل سخانة عن ٥٠ سنتيمتراً . وهذا الطين شديد التماسك يعلوه ثلاثة أو أربعة أمتار من الرمال ذات الحبيبات الغليظة .

مياه الرشح وماء هذا النبع :

من العوامل الهامة التى يجب مراعاتها فى هذا الصدد التحقق من مصدر الماء والتثبت من انعدام الصلة بينه وبين مياه الرشح حتى يكون الماء فى مأمن من التلوث ، وقد ثبت هذا مبدئياً من الأمور الآتية :

(١) عدم احتواء الماء إلا على آثار من الأزوتات فى حين أن مياه الرشح بهذه المنطقة تحتوى على كميات كبيرة منها وذلك لأن الطبقة الرملية التى تجتنف هذه المياه مشبعة بالأملاح الأزوتاتية .

(٢) لو كانت المياه المتجمعة فى البركة الواقعة شمالى النبع آتية من مياه الرشح لاختلفت نتائج التحاليل الكيماوية التى اجريت على مياهها خلال شهر بعد تسرب مياه النبع إليها بمقادير كبيرة .

(٣) كمية المياه المتدفقة من النبع كبيرة ولا تتناسب مع ما تستهلكه المدينة من الماء ثم تصرفه إلى جوف الأرض بطريق الرشح فى الاتجاهات الأخرى كجنوب المدينة وغربها .

(٤) يأتى هذا النبع من أسفل طبقة طينية وليس من طبقة الرمال التى تعلوها . ومما يجدر ذكره أن بالمنطقة كلها رشحاً ربما كان مصدره مياه النيل الغائرة فى شقوق غطاها الطين اللزج .

على أن المجهودات لم تقف عند هذا الحد بل رؤى اتخاذ بعض الإجراءات العملية لتدعيم هذا الرأى حتى لا يكون مصدر هذا النبع مثاراً للشكوك . ولذلك قامت المعامل بالإشتراك مع مصلحة المناجم باجراء التدابير الآتية فى نوفمبر سنة ١٩٣٩ وهى :

(١) عمل جسات حول منطقة النبع لكشف الرمال الموجودة وخصوصاً الطبقة الطينية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(٢) عمل جسات على مسافة ٥٠٠ متر من منطقة النبع فى اتجاه المدينة إلى عمق يخترق الطبقة الطينية لدراسة اتجاه مياه الرشح .

(٣) وضع مادة ملونة فى مياه الرى بالحديقة اليابانية بحلوان لمعرفة ما إذا كان هناك تيار يخرج منها متجهاً نحو النبع .

(٤) إجراء تحاليل كيماوية على مياه الرشح بالجسات المختلفة ومقارنتها بماء النبع .

التحاليل الكيماوية :

وقد اهتمت وزارة الصحة بأمر هذا الينبوع الجديد فأناطت بحضرة الدكتور باسيلى فرج الإخصائى فى تحليل المياه والخبير فى معاهد مياه الاستشفاء بأوربا أن يقوم بتحليل مياهه . ثم رؤى إجراء تحليل كيماوى كامل على ماء النبع للوقوف على جميع العناصر الموجودة به ، فقامت المعامل بهذه المهمة ، فتبين من هذا التحليل أن ماء هذا النبع من نوع المياه المعدنية التى يتوفر فيها ملح الطعام وكبريتات الكلسيوم وكلورور المغنسيوم مع كميات متوسطة من سلفات المغنسيوم و بيكربونات الكلسيوم و إلى جانب ذلك يوجد مقدار طفيف من الحديد والكلور وكذلك آثار ملموسة من اليود والزرنيخ .

هذا ولما كان من اللازم البحث فى نقاوة هذه المياه للتأكد من عدم إختلاطها بأية مياه سطحية ، فقد أجرت المعامل بالاشتراك مع مصلحة المناجم عدة إختبارات عملية أتت نتائجها بتأييد نقاوة هذه المياه وعدم اختلاطها بأية مياه سطحية ، فضلاً عن أنه تبين أن مياه هذا النبع ظلت تتدفق بكميات تكاد تكون ثابتة ، وان ما تحتويه هذه المياه من العناصر والمركبات فى غضون بضعة الشهور الماضية ظلت ثابتة أيضاً ، و إن عناصرها الكيماوية تختلف عن عناصر المياه السطحية المجاورة لها ، كل ذلك يؤيد نتيجة التجارب السابق ذكرها ، والتى أدت إلى التثبت من أن مياه هذا النبع نقية وغير ملوثة بمياه الرشح .

ولما كان عنصر الراديوم من أهم العناصر التى يتعين البحث عنها ، وحيث أن معامل وزارة الصحة ينقصها فى الوقت الحاضر بعض الأجهزة التى تعين على إجراء هذا البحث ، فقد رأت الوزارة أن يعهد إلى كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول فى إنجاز البحث المتقدم فى معاملها الخاصة . ولم تتردد هذه الكلية فى إجابة هذا الطلب وأتمت هذا البحث أخيراً وبذلك أصبح لدى الوزارة تحاليل كيماوية كاملة لماء هذا النبع يتسنى على ضوئها الاستفادة من العناصر الموجودة فيه لعلاج الأمراض التى يلائمها تكوين هذه المياه .

نتيجة فحص مياه العين الجديدة : وقد أثبت فحص مياه العين المعدنية الجديدة بواسطة لجنة فنية انتدبتها وزارة الصحة بالاشتراك مع مصلحة المناجم أن هذه المياه نقية وغير ملوثة بمياه الرشح وأن النبع يرتفع عن سطح البحر بمقدار ٤٥ متراً وأن كمية المياه المتدفقة منه تقدر بعشرين متراً مكعباً فى الساعة .

وقد دل التحليل أيضا على أن ماء النبع يتوفر فيه ملح الطعام وكبريتات الكلسيوم وكلورور المغنسيوم مع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كميات متوسطة من سلفات المغنسيوم و بيكربونات الكلسيوم و إلى جانب ذلك يوجد مقدار طفيف من الحديد والكلورور وكذلك آثار ملموسة من اليود والزرنيخ و بعض العناصر المهمة الأخرى .

عنصر الراديوم فى المياه : وقد عهدت وزارة الصحة إلى كلية العلوم تحليل ما تحتوى عليه هذه المياه من عنصر الراديوم وذلك فى معاملها التى تتوفر فيها الأجهزة الدقيقة ، فاثبت التحليل أن النبع الجديد يوضع فى متوسط درجة (ح) إذا فرض تقسيم الينابيع الحارة إلى أربعة أقسام : ا ب ح ى .

وتحتوى ينابيع حلوان الواقعة فى درجة (ح) وهى الضعيفة الاشعاع على الكميات الآتية من وحدات عنصر الراديوم فى اللتر الواحد :

النبع الجديد بحلوان : ست وحدات فى اللتر الواحد

النبع الساخن : ٤٫٥ وحدة

النبع الكبريتى الحكومى : ٣٫٥ وحدة

وقوة النشاط الاشعاعى لماء النبع الجديد ناتجة فى الغالب من أشعاع الراديوم الذائب فى المياه أثناء مرورها من باطن الأرض إلى سطحها .

وأملاح الراديوم فى ماء هذا النبع توجد على شكل آثار بسيطة ، فالنشاط الاشعاعى له يقل إلى نحو النصف بعد مضى أربعة أيام .

ليس من الأمور الهينة المقارنة بين مياه معدنية وأخرى فى جميع أجزائها، لأن الطبيعة قد خصت كل نوع من أنواع هذه المياه بعناصر تختلف كل الاختلاف فى كمياتها عن غيرها حتى لو كانت المياه صادرة من ينابيع تفجرت فى منطقة واحدة . ولذلك يكون أساس الحكم على نوع المياه من الوجهة العلاجية قائما على ما تحتويه من العناصر ونسبة تركيبها . على أننا نستطيع بدون تورط وعلى ضوء التحاليل التى أجريت على مياه هذا النبع ، أن نبين القيمة العلاجية لهذا الماء دون التقييد بمقارنته بالمياه المعدنية الأخرى وذلك للأسباب الطبيعية التى أسلفنا ذكرها فنقول :

(١) أن ماء هذا النبع مشبع بملح الطعام ولذا قد لا يصلح لعلاج مرض ضعاف الكلى أو المصابين بالتهابات مزمنة على اختلاف أنواعها .

(٢) أما وجود سلفات المغنسيوم فى هذا الماء بمقادير خفيفة أو طفيفة قد يجعله منبهاً للكبد ويكون له أثر مفيد فى إضرار الصفراء .

(٣) كذلك أملاح الكلسيوم فإنها تفيد ضعاف البنية والأطفال المصابين بلين العظام .

(٤) ولما كانت التحاليل التى قامت بها الجامعة المصرية أثبتت وجود عنصر الراديوم من القسم الثالث على اعتبار أن مياه ينابيع العالم مقسمة إلى أربعة أقسام ، فيتبين أن هذا الماء من المياه المعدنية ذات الفائدة العلاجية المعروفة للمياه المعدنية الأخرى المماثلة لها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

نتيجة تحليل مياه الينبوع المعدنى

العناصر	الرمز الكيماوى	الكمية مقدرة بأجزاء المليون	الأملاح كما هى موجودة فى المياه	الرمز الكيماوى	الكمية مقدرة بأجزاء المليون
الأزوتات	ز ا ٣	٤,٤	أزوتات البوتاسيوم	بوز ا ٣	٧,٣
الأزوتيت	—	معدوم	كلورور البوتاسيوم	بوكل	٥٧,٨
الكلور	كل	١١٨٠	—	—	—
الفلور	فل	٢,٥	فلورور الصوديوم	ص فل	٧,٢
اليودور	ى ١	٨ جزء فى البليون	—	—	—
الكبريتات	كب ٤	٥٤٦,٧	كلورور الصوديوم	ص كل	٢٤٧٠
البوتاسيوم	بو	٣٣,١	—	—	—
الصوديوم	ص	٩٧٥	كبريتات المغنسيوم	م كب ١/٤	٢٨,٣
الكلسيوم	كا	٢٩١,٢	كلورور المغنسيوم	م كل ٢/١	٦٠٤
المغنسيوم	م	١٧٠,٥	كبريتات الكلسيوم	كا كب ١/٤	٦٦٣
الحديد	ح ٢/١	٠,٠٧	—	—	—
الزرنيخ	خ ٢/١	٠,٨ جزء من البليون	كربونات الكلسيوم موجودة كبيكربونات	كا ك ١/٢ ا	١٧٧,٥
السيليكا	س ٢	١٨	السيليكا	س ٢	١٨
الفوسفات	—	معدوم	بيكربونات الحديد	ج و يد ك ١/٢	٠,٢٢
الرصاص	—	معدوم	—	—	—
المنجنيز	—	معدوم	يودور الصوديوم	ص ٢ ى	٦,٣ جزء من البليون
النحاس	—	معدوم	زرنيخات الصوديوم	ص يد ح ١/٤	٠,٨ جزء من البليون
الألومنيوم	—	معدوم	—	—	—
ثانى أوكسيد الكربون	ى ١/٢	١٥	—	—	—
القلوية مع القليون	ثلثين	معدوم	—	—	—
القلوية مع المثيل	البرتقالى	١٧٨	—	—	—
العسر الدائم	—	١٠٨٨	—	—	—
تركيز ايون الأيدروجين	—	٧,٢	—	—	—
المواد الزلالية على درجة ٨٠ مئوية		٤١٦٠ المجموع			

الامضاء

حسن حسنى راشد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد قال حضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا أن مياه الينبوع المعدنى الجديد تشفى أمراضاً مختلفة مثل الكبد والأمعاء والصفراء ولكنها لا تحتفظ بمزاياها فى الزجاجات أكثر من يومين وذلك لأن نشاطها الاشعاعى يقل إلى النصف بعد أربعة أيام . وأشار بأن جميع المياه الواردة من الخارج هى فى نفس هذه الحالة ، لأن المياه حية فى ينابيعها وميتة فى الزجاجات ، ومع ذلك فإن السواد الأعظم من الجمهور يستعمل المياه الواردة فى زجاجات من الخارج .

ويستنتج من ذلك أنه يحسن شرب المياه من الينبوع رأساً تحقيقاً للفائدة .

ولعدم تكبد الرّواد مشاق الانتقال رؤى عمل مشروع تخطيط عام للأراضى الموجودة بجوار الينبوع وإعدادها لبناء الفيللات والبانسيونات والفنادق والمرافق العامة التى تلزم لمن يريد الإقامة هناك ولمن لا يتيسر له الاستمرار فى التردد يومياً على العين أو السكن فى حلوان . كما رؤى إنشاء مستودعات فى العاصمة وضواحيها لتوريد المياه يومياً من الينبوع و بيعها بأثمان معتدلة لمنع تسربها و بيعها بدون مراقبة .

حلوان — جراند أوتيل

ومن المعروف أنه لما قرر المغفور له الخديوى توفيق باشا الإقامة بحلوان أخذت هذه الضاحية تتحول إلى مدينة عصرية كمثيلاتها من مدن المياه فى الخارج . فأعطى الخديوى التزام خطها الحديدى إلى شركة « سوارس » التى جعلت بداية الخط من باب اللوق ثم نسقت المتنزهات التى تصدح بها الموسيقات الأميرية وشيدت الجراند أوتيل والكازينو للتمثيل والسمر ونظمت فى ساحته حلبة لسباق الخيل كما أقامت النافورات المضاءة بمختلف الأنوار والملاهى للصغار والكبار فانتعشت حركة العمران واتسعت المدينة وصارت مقصد الطلاب . وكان لكل هذه الدعايات أثر فعال فى تضاعف عدد الزائرين والسكان . فأخذ البعض فى إنشاء مصحات مثل « اورفان » و « جلانز » ودور للعلاج ونوادى وبانسيونات . وتكاثر عدد السياح فشجع ذلك الأجانب بعد وفاة الخديوى توفيق باشا على تحويل قصره إلى فندق كما شرع البارون « فون اروت » فى إنشاء « لوكاندة الحياة » .

ولكن قبيل انقضاء أجل امتياز شركة « سوارس » بدأ إهمال الخط الحديدى ، وأغلق فندق توفيق أبوابه ، فانتهزت بعض مدن الحمامات والاصطياف فى الخارج الفرصة لتضاعف الدعاية لنفسها ، ولم يقاوم أحد فى مصر هذا التيار . . .

وهكذا سقطت مدينة حلوان الحمامات بعد أن رفعتها عيونها المعدنية إلى مصاف أرقى مدن المياه فى العالم ، وهى الآن فى انتظار من يثب بها الوثبة الجديرة بهذه المدينة الفادرة !!

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل التاسع

حلوان البلد — وحلوان الحمامات

يسوقنا الكلام عن الثروة المعدنية بالصحراء الشرقية وعن محاجر طره والمعصرة وعن ينابيع حلوان المعدنية إلى دراسة تاريخ هذه البلدة وما جاورها من المدن والقرى والدساكر والوديان والجبال والمحاجر فنقول :

حلوان البلد :

بلدة حلوان من القرى المصرية القديمة وهى واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل ويقال لها حلوان البلد لتمييزها عن مدينة حلوان الحمامات الواقعة فى الصحراء شرقى حلوان هذه وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منها .

ولما ذكر المقريزى فى خططه حلوان قال : « ويقال انها تنسب إلى حلوان بن بابليون بن عمرو بن أمرىء القيس ملك مصر » وبالطبع يعرف كل من درس تاريخ مصر بُعد هذه الرواية عن الصواب وما فيها من خلط لأنه لا يوجد بين ملوك مصر ملك اسمه امرؤ القيس .

وذكر اميلينو فى جغرافيته حلوان هذه فقال ان اسمها القبطى هو « حيلوان » واسمها العربى « حلوان » . وقال انها وردت فى ترجمة حياة البطريرك أسحاق لمناسبة أن حاكم مصر صرح له ببناء كنيسة فى المدينة التى أنشأها هذا الحاكم قبل دخول العرب فى مصر .

والواقع أن من يطلع على ترجمة حياة البطريرك أسحاق فى كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها يتبين له أن البطريرك المذكور لم يكن موجوداً قبل فتح العرب لمصر كما ذكر أميلينو وإنما كان فى عهد ولاية عبد العزيز ابن مروان على مصر .

وقد ورد فى الكتاب المذكور إنه لما مات البطريرك يوحنا أصدر عبد العزيز بن مروان أمراً بالزام القبط أن ينتخبوا بطريركهم الجديد فى بابليون بضواحى الفسطاط وكان قبلا ينتخب فى الإسكندرية . وقد وقع اختيار القبط على راهب من دير أنبا مقار اسمه أسحاق وقد طلب هذا البطريك من عبد العزيز أن يصرح له بإنشاء كنيسة بحلوان فصرح له بذلك ومن هذا يتضح أن كنيسة حلوان البلد أنشئت بعد فتح العرب لمصر وليس قبل ذلك .

قال محمد بك رمزى فى مذكراته الخاصة :

قد تبين لى من البحث أن الذى أنشأ حلوان البلد هـذه (بجوار أطلال المدينة المصرية القديمة بالطبع) هو عبـد العزيز بن مروان والى مصر من سـنة (٦٥ — ٨٦ هـ) (٦٨٤ — ٧٠٥ م) وقد باشر إنشاءها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حلوان البلد وحلوان الحمامات وما حولهما من الجبال والوديان والحاجر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

سنة ٦٧ هـ (٦٨٦ م) أى قبل سنة ٧٠ هـ التى ظهر فيها الطاعون الذى من أجله اضطر عبد العزيز بن مروان أن يغادر الفسطاط و يقيم فى حلوان التى أنشأها قبل ذلك لراحته ونزهته . يؤيد هذا ما ذكره ياقوت فى معجم البلدان إذ قال « إن حلوان قرية من أعمال مصر مشرفة على النيل من جهة الصعيد بينها و بين الفسطاط نحو فرسخين » ثم قال « وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر وضرب بها الدنانير و بنى بها دوراً وقصوراً واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس فيها كروماً ونخلاً » .

و ياقوت معروف بين الكتاب والمؤرخين بدقة بحثه واستقصائه لما يكتبه فى مؤلفاته من الحوادث والبيانات زيادة على تعمقه فى دراسة جغرافية البلاد على اختلاف بقاعها .

وقد اختار عبد العزيز بن مروان المكان الذى أنشأ فيه حلوان لارتفاعها عن الفسطاط مع قربها منها وحسن موقعها من النيل وجودة هوائها . والظاهر أنه اختار لهذه القرية اسم « حلوان » لأن حالتها وموقعها يتفقان مع حالة وموقع حلوان التى بالعراق من وجوه أربعة ذكرها ياقوت فى معجمه وهى :

أولاً — إن حلوان العراق واقعة على نهر دجلة وهذه واقعة على نهر النيل .

ثانياً — إن حلوان العراق قريبة من الجبل وحلوان هذه مثلها قريبة من الجبل .

ثالثاً — إن حلوان العراق بجوارها عيون كبريتية وهذه كذلك بجوارها عيون كبريتية (وهى التى أنشئت بجوارها ولأجلها مدينة حلوان الحمامات) .

رابعاً — إن حلوان العراق أكثر ثمارها البلح والتين وهذه مثلها فى كثرة النخيل والتين .

وقد وردت حلوان فى كتاب البلدان لأبن الفقيه الهمزانى ضمن مدن مصر وكانت حدودها تمتد من النيل إلى الجبل الشرقى بما فى ذلك المنطقة التى بها الآن مدينة حلوان الحمامات يؤيد هذا ما ذكره المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم إذ قال : « حلوان مدينة نحو الصعيد ذات مغاور (فى الجبل) ومقاطع (للحجر) وعجائب بها حمّام فوقه حمّام (لأن هذه الحمامات بنيت فى العصر المصرى فى أول الأمر ثم اندثرت وفوق أطلالها بنيت حمامات فى العصر الرومانى وفوق أساسات هذه بنيت حمامات العصر العربى ، ثم فوق أطلال هذه الأخيرة بنيت الحمامات الحالية) .

وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الارشاد وفى التحفة : من أعمال الأطفحية (أى مركز الصف حالياً) التى كانت تشمل جميع القرى الواقعة شرقى النيل بمديرية الجيزة ، ويستفاد مما ذكره المقريزى نقلا عن ابن عبد الحكم انه كان يوجد بصحراء حلوان عيون ماء عذبة غير عيونها الكبريتية حيث قال ابن عبد الحكم : وخرج عبد العزيز ابن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخل الصحراء فى موضع منها يقال له « أبو قرقورة » وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساق ماءها إلى نخيله التى غرسها بحلوان فى سنة ٦٨٧ م .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قال ابن عبد الحكم الكندى إن عبد العزيز بن مروان توجه إلى حلوان سنة ٧٠ هـ وكان معه جيشه وخفراؤه وبنى هناك جامعاً وسرايات ومقياساً للنيل (وهذا المقياس أقدم من مقياس الروضة) .

وفى الخطط للمقريزى : إن عبد الله أمير المؤمنين « المأمون » لما قدم مصر أقام فى حلوان . وهو الذى أمر باقتحام أبواب هرم خوفو بالجيزة ولكنه وجده منهوباً من زمن قديم .

وقد سعدت حلوان مدة حكم العرب وازداد عمرانها بإقامة الأمراء والأعيان فيها ، ثم أخذت بعد العصر العربى تتقهقر حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى سنة ١٧٤٦ م فتخربت معظم قصورها ومساجدها وكنائسها ثم أتى أحد المماليك المدعو ابرهيم بك القازضغلى الملقب بشيخ البلد فأزال ما بقى فيها من معالم الحياة . ويقول الجبرتى المؤرخ المعروف إنه حرقها فى سنة ١٢٠٠ هـ (١٧٨٦ م) . أما الآن فإنها قرية عادية مدفونة فى غابة من النخيل .

هذه هى الحالة التى نترك عندها حلوان البلد لنتكلم عن مدينة حلوان الحمامات فنقول :

مدينة حلوان الحمامات

تقع مدينة حلوان الحمامات فى الصحراء الشرقية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً إلى جنوب القاهرة وتبعد نحو أربعة كيلومترات عن نهر النيل ، وتجثم تجاهها الأهرامات .

فهى تطل من فوق مرتفع عال على معالم الحضارة المصرية القديمة ، وتحمل فى أرضها أنفس كنوز الصحة .

وتجمع هذه المدينة من مميزات الطبيعة مالم يجتمع فى بقعة أخرى من بقاع الأرض فمن عيون يتفجر منها ماء الحياة إلى عناصر معدنية ثمينة .

منظر نهر النيل بالقرب من حلوان البلد . وترى غابات النخيل التى تغمرها .

وطبقات أرضها مكونة من حجر جيرى وجبس وطفل ، ثم من بلورات من الكبريت وكربونات الجير والباريتا والإسترتسيانا وملح الطعام ورمل أصفر وأزرق وقطع خشب متحجرة تدل على وجود غابة قديمة تحجرت هنا وأرضها خالية من مياه الرشح .

ويعد جو حلوان من أحسن الأجواء الملائمة للصحة صيفاً وشتاء ، فهو فى الصيف لطيف تهب عليه نسمات النيل العليلة ، وفى الشتاء جاف خال من الرطوبة ، وهو فى كلتا الحالتين نقى يملأ الصدر انشراحاً ويبعث فى النفس نشاطاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قال الدكتور موريسون : « من خطأ المصريين اعتقادهم أن طقس حلوان غير صالح للاصطياف فيرحلون إلى الإسكندرية مع أن طقسها لا يوافق أغلبهم بالنسبة لرطوبته . أما حلوان فهواؤها جاف ومنعش ولا يشعر الإنسان بحرارة الصيف إلا فى خارج المنزل من الظهر إلى العصر فقط » .

حلوان — منظر لبعض أحياء المدينة وترى خلفها الجبل المشرف على حلوان.

عهد الأسرة المحمدية العلوية :

ظلت حلوان البلد التى ذكرناها سابقاً قرية مهجورة متخربة ، إلى أن تولى الحكم المغفور له محمد على باشا رأس الأسرة المحمدية العلوية الكريمة فأمر بوضع أول رسم لموقع الينابيع .

وفى ولاية المغفور له عباس باشا الأول سنة ١٨٤٨ حدث أن عسكرت جنوده إلى جوار أطلال حلوان البلد وكان بعضهم مصابا بالجرب . واتفق أن أحدهم اغتسل من مياه إحدى العيون فشفى وأذاع خبر شفائه بين إخوانه فقصدوا إلى العين واغتسلوا فشفوا أيضاً . وحين وصل هذا النبأ إلى عباس باشا أمر ببناء حمام على العين — وقد وافته المنية فى قصره بينها سنة ١٨٥٤ قبل البدء فى بناء الحمام .

عهد الخديوى اسماعيل باشا — بقيت حلوان على حالتها مدة حكم سعيد باشا . ولما ولى الحكم المغفور له اسماعيل باشا وجه عنايته إليها واهتم بينابيعها .

فى سنة ١٨٦٨ أمر الخديوى بايفاد بعثة من الأطباء والعلماء المصريين والأجانب لتحليل المياه الكبريتية ومعرفة حالة الجو فى تلك المنطقة . وكانت هذه البعثة برئاسة الدكتور سالم باشا ومن أعضائها فجوى بك والدكتور رايل والدكتور جستينيل بك وأحمد ندا بك . وقد أسفر بحثها عن أن مياه عيون حلوان نافعة فى علاج جميع الأمراض المحتاجة إلى العناصر الكبريتية كالأمراض الجلدية والزهرية .

ولما رفعت البعثة نتيجة بحثها إلى الخديوى أمر وزارة الأشغال بتشييد مبنى بالقرب من الينبوع . وفى أثناء قيام العمال بالحفر انفجر ينبوع ثان ، فقامت بعثة ثانية مؤلفة من الدكتور رايل واحمد أفندى حسن بفحص مياهه . فظهر أن هذا الينبوع متفجر من أربعة مصادر ومستواه منخفض عن الأول ، وقدر الدكتور رايل كمية المياه الدافقة منه فى كل أربع وعشرين ساعة بما يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ متر مكعب ، وأقر العالم جستينيل بك هذا التقدير .

وحينما تبين للخديوى اسماعيل باشا مزايا مياه حلوان وفوائد الاستحمام فيها وجودة هوائها عزم على جعلها مدينة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مياه صحية يؤمها المصريون والأجانب وأمر بوضع تخطيط شامل للمدينة الجديدة وشجع على إقامة المبانى والفنادق فيها وقدم هو نفسه المثل الصالح فى ذلك بانشاء قصر فخم قرب النيل فى الشمال الغربى من المدينة لتقيم فيه سمو الأميرة والدته وهو الذى كان معروفا بقصر الوالدة . وقد تقادم العهد بهذا القصر الذى بناه خليل أغا سنة ١٨٧٧ وحينما شرع فى هدمه وعرضت أنقاضه للبيع اشتراها الأستاذ فؤاد عبد الملك صاحب امتياز عين حلوان الجديدة وقرر أن تستعمل أحجاره الأثرية الكبيرة فى بناء الكازينو الجديد وتشييد البرج كما استعمل أعمدته الخشبية فى بناء الشرفة الفسيحة وأحاط هذه المجموعة الفريدة بالسياج الذى كان حول بنك سوارس سابقاً ومن المعروف أن سوارس هو أحد أصحاب الامتياز القديم لخط حلوان الحديدى من باب اللوق وبهذا يكون للكازينو ذلك الطابع الأثرى الرائع .

وأمر الخديوى اسماعيل ببناء حمامات على العيون سنة ١٨٦٩ م ومن غرائب الاتفاق أن البنائين عثروا فى ذلك الحين على آثار الحمامات التى كان قد بناها الوالى عبد العزيز بن مروان ومن بينها حوض كبير قطره ثمانية أمتار محاط بحائط من الأحجار . وقد شيد الخديوى بجانب الحمامات مبانى لراحة المستحمين ، ومنها البناء الذى تشغله اليوم المدرسة الثانوية للبنات و إدارة تنظيم حلوان . وأقام كثيرون الدور حين بناء الحمامات منها دار سكنها الدكتور رايل تقع فى الجانب البحرى من الحمامات وهى المعروفة الآن بسراى منصور باشا يكن ، وكان الدكتور رايل الطبيب الخاص لإسماعيل باشا وكريمته الأميرة تفيدة هانم قرينة منصور باشا يكن . وأقام البارون منشة داراً يشغلها الآن « فندق العائلات » وشيد محمد على سيد احمد كاتب يد الخديوى داراً أخرى . وكذا شاهين باشا واسماعيل يسرى باشا ومدام شكور وكانت معلمة لكريمات الخديوى . وتقع هذه الدور فى الجانب الغربى من المدينة .

وفى سنة ١٨٧٣ أمر الخديوى إسماعيل بمد خط حديدى من ميدان المنشية بجوار القلعة بالقاهرة إلى حلوان عن طريق قرية البساتين وعهد بإدارة الحمام وفندقه إلى المرحوم فرج افندى عبد الملك بالاشتراك مع المسيو هلسل . وكثيراً ما كان سموه يزورها ويسعدها بطلعته الميمونة . فظهرت حلوان فى عهده الزاهر فى حلة زاهية شوقت الكثيرين من أصحاب الثراء إلى اتخاذها مقراً لهم ، وقصدها السواح لا سيما فى فصل الشتاء . وقد بلغ من إعجاب الناس بهوائها ومياهها أن المسيو بلان صاحب كازينو همبرج فى ألمانيا عرض على الخديوى مبلغاً كبيراً من المال فى نظير التصريح له بفتح كازينو للمقامرة فى حلوان شبيهاً بمحلاته فى أوربا فرفض سموه هذا العرض خشية ضياع أموال أفراد أمته .

عهد الخديوى توفيق باشا — ولما ولى مصر المغفور له الخديوى محمد توفيق باشا فى سنة ١٨٧٩ اهتم بحلوان اهتماماً عظيما وأقام فيها لما عرفه عنها من مميزات لا توجد فى بلد سواها ، وقد بقى فى طرف المدينة الشمالى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

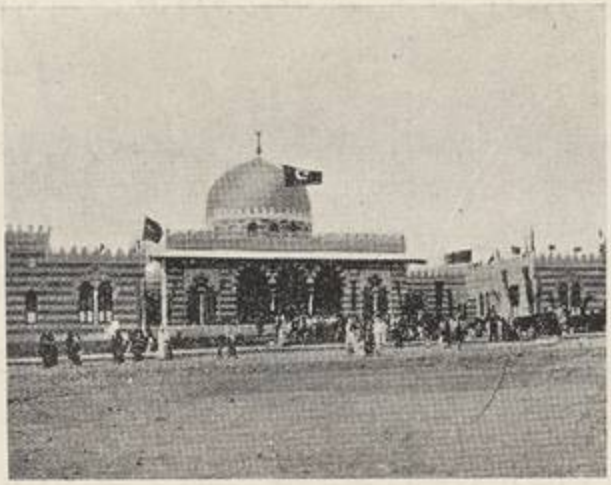

مبنى حمامات حلوان : تصميم المهندس بوتيجللى .

الخديوى عباس الثانى يفتتح مبنى حمامات حلوان فى شهر ديسمبر سنة ١٨٩٩ .

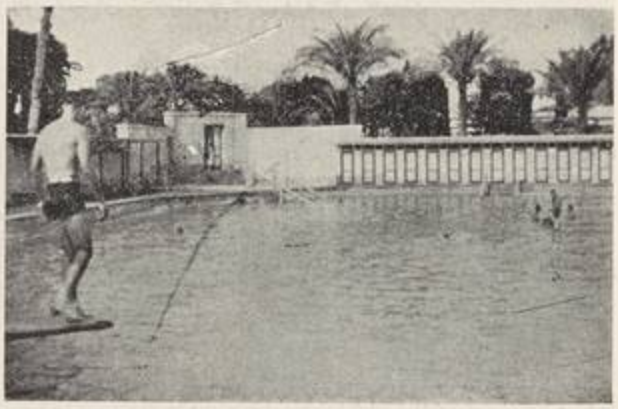

مياه حلوان الكبريتية . حمام السباحة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الغربى قصراً تشغله الآن مدرسة حلوان الثانوية الأميرية بعد أن كان فندقا . وهذا القصر هو قصر توفيق وكثيراً ما انعقدت فيه مجالس النظار وصدرت فيه المراسيم الخديوية .

وحين عرف الناس تقدير الخديوى لحلوان و إقامته فيها نزح إليها الأمراء والثراة و بنوا قصوراً فخمة ما زال كثير منها قائماً حتى الآن يشهد بما كانت عليه المدينة من العمران .

وعهد سموه بأدارة خط حلوان الحديدى إلى شركة ألفت بواسطة المرحوم فيلكس سوارس ومن ذلك الحين نظمت طرق مواصلات المدينة فمد الخط الحديدى من طره إلى باب اللوق ليكون فى وسط القاهرة و بعد ذلك بنى الفندق الكبير « جراند أوتيل » والكازينو ومحطة حلوان الحالية والمتنزه المقابل لها وأقيمت حلبات لسباق الخيل واللعب والرياضة وملاهى للتسلية . وكانت توزع على الزائرين تذاكر يانصيب مجاناً تسحب مرتين فى الأسبوع .

وفى عهد سموه اكتشف نبعا المياه الحديدية بالقرب من القصر ، وقد توفى رحمه الله فى قصره بحلوان سنة ١٨٩٢ .

عهد الخديوى عباس حلمى الثانى : وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى تم إنشاء مبنى حمامات حلوان وقد وضع تصميمها المهندس الايطالى بوتيجللى وأفتتح رسمياً فى ديسمبر سنة ١٨٩٩ .

عهد المغفور له الملك فؤاد الأول : بدأت حلوان فى عهد جلالته تسترد مكانتها ، إذ أحاطها رحمه الله بعنايته وشملها برعايته السامية . وفى أول أبريل سنة ١٩٢٢ ألغى مجلسها المحلى وألحقت أعمالها بمصلحة تنظيم القاهرة . ولكى يبعث جلالة الملك الراحل روح الانتعاش فى المدينة اقتنى سراى الوالدة .

وفى عهد جلالته أدخلت بعض التعديلات على الحمامات التى شيدها المغفور له اسماعيل باشا وجعلتها شركة الفنادق على نسق حمامات أوربا المعدنية فزودتها بجميع معدات الاستحمام الحديثة وأنشأت فى الجزء الغربى بركة للسباحة من المياه المعدنية ، ونظمت الحمامات وجعلت على قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء .

عهد الفاروق : وقد تتبع جلالة الملك الصالح المحبوب فاروق الأول خطوات والده العظيم ومن بينها إحياء هذه المدينة فشاء — حفظه الله — ألا يحرمها من زيارته حاملاً إلى روّادها وسكانها روح الاطمئنان لمستقبلها ، وقد كان هذا العطف الملكى الكريم مما حبب ارتيادها والإقامة فيها . وأمر جلالته بتشييد مرسى فخم على شاطىء النيل هناك كعربون لما سوف يسبغه عليها من فيض رعايته السامية ، وما ذاع نبأ هذه العناية الملكية الكريمة حتى بدأ الاقبال عليها .

وشاءت قدرته تعالى أن يمنح ، فى عهد جلالته الميمون ، أهل هذه البلاد ينبوعا معدنيا شافياً للأمراض — فكأن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حلوان — منظر آخر لجراند أوتيـل .

حلوان — الحديقـــــة اليابانية .

حلوان — كشك الموسيقى بكازينو المحطة وترى خلفه فنـــدق جراند أوتيـل .

(مستشفى للجيش البريطانى حالياً)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الطبيعة أرادت أن تشترك مع الشعب فى اغتباطه بحب مليكه المفدى ففاضت بالخير والبركات وتدفقت الأرض الصماء بالنعم وكان فيها شفاء للعالمين . . . .

تجميل مدينة حلوان الحمامات :

بتاريخ ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٨ قررت وزارة المالية تشكيل لجنة للنظر فى تجميل مدينة حلوان الحمامات من حضرة صاحب العزة عثمان أباظه بك مدير عام مصلحة الأملاك الأميرية ممثلا لمصلحة الأملاك وحضرة صاحب العزة أحمد صديق بك مدير عام مصلحة السياحة والدعاية والمعارض ممثلاً لوزارة التجارة وحضرة صاحب العزة حامد سليمان بك مدير عام مصلحة تنظيم القاهرة ممثلاً لمصلحة التنظيم وحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الجواد حسين بك مفتش صحة مدينة القاهرة ممثلا لوزارة الصحة وحضرة صاحب العزة حسين زكى قاسم بك وكيل عام مصلحة المبانى ممثلا لمصلحة المبانى وحضرة صاحب العزة محمد على نمازى بك المستشار الملكى المساعد لوزارة المالية ممثلاً لاتحاد ملاك حلوان وحضرة صاحب العزة الدكتور باسيلى فرج بك إخصائى المياه بمعامل وزارة الصحة . واختارت اللجنة لسكرتاريتها حضرة حسن رشدى افندى سكرتير مدير عام مصلحة الأملاك .

عقدت اللجنة ٨ جلسات وانتقلت ثلاث دفعات إلى حلوان لمعاينة أهم معالم المدينة وسبب إنشائها وسر جاذبيتها وهى الحمامات المعدنية والوقوف على نظامها ومعاينة الأراضى التى تمتلكها الحكومة بمدينة حلوان بغية تخير المكان الصالح لإقامة حمامات جديدة على غرار ما وصلت إليه أحدث الأساليب الفنية فى الحمامات الكبريتية بأوربا من حيث البناء وأدوات العمل وأساليب الإدارة ووسائل الصحة والرياضة واللهو والتسلية .

ثم قدمت اللجنة تقريرها وهو يشمل لمحة عن حلوان كضاحية ومدينة مياه معدنية و بينت أسباب تأخر المدينة وما صحب ذلك لسوء الحظ من قعود أولى الأمر عن العناية بأمرها وتنظيم مواصلاتها و إصلاح حماماتها ومرافقها العامة . ورأت اللجنة إقامة حمامات جديدة على غرار الحمامات الأوربيـــة الكبرى تخصص للدرجتين الأولى والثانية مع الاحتفاظ بالحمامات الحالية لجمهور الدرجة الثالثة ثم اختارت أرضاً مساحتها ٢٢ ألف متر مربع تملكها الحكومة تجاه السكة الحديد من الجهة الغربية لإقامتها عليها وقدرت تكاليف هذه الحمامات بمبلغ ٨٥٠٠٠ جنيه مفصلاً بيانها فيما يلى :

(١) المبنى الرئيسى ويحتوى على ١٨٠ حماما و٢٠ صالة للعلاج الكهربائى خلاف صالونات الاستراحة وصالات التدليك وتكاليفه ٦٠٠٠٠ جنيه .

(٢) حمام السباحة والكازينو وماكينات تجديد المياه وتجفيفها وأعمال صحية أخرى بمبلغ ١٢٥٠٠ جنيه .

(٣) مبانى الأسوار والمداخل وأعمال كهربائية للزينة بمبلغ ٧٥٠٠ جنيه .

(٤) ماكينات رفع المياه والخزان العالى والمواسير اللازمة له بمبلغ ٣٠٠٠ جنيه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(٥) تنسيق الحدائق بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه .

وفى حالة عدم تنفيذ مشروع الحمامات الجديدة وضعت اللجنة مشروعاً آخر مؤداه تعديل الحمامات الحالية تعديلا جوهريا من شأنه أن يجعلها أكثر ملاءمة لمستلزمات العصر الحديث مع تزويدها بكثير من الأدوات الفنية العصرية المستعملة فى العلاج للحالات المختلفة . وتبلغ تكاليف التعديلات المقترحة ٦٠٠٠٠ جنيه بيانها كما يلى :

(١) ١١٠٠٠ جنيه لاصلاح المبانى وتعديلها .

(٢) ٧٥٠٠ جنيه أعمال صحية .

(٣) ١٥٠٠٠ جنيه لبناء دور علوى .

(٤) ٨٥٠٠ جنيه لحوض السباحة وملحقاته .

(٥) ٦٠٠٠ جنيه لاقامة مبنى المغاسل والماكينات .

(٦) ٦٠٠٠ جنيه لأعمال كهربائية وأعمال الزينة .

(٧) ٢٠٠٠ جنيه طلمبات وخزان عالى لرفع المياه .

(٨) ٤٠٠٠ جنيه أعمال غير منظورة .

هذا مع العلم بأن الحمامات المعدلة سوف تخصص للدرجتين الأولى والثانية فقط .

وترجو اللجنة مع ذلك ألا تدخر الحكومة وسعاً فى سبيل تحقيق المشروع الأول وهو مشروع الحمامات الجديدة لأنه خليق بكل عناية و بكل اهتمام .

ثم أوصت اللجنة بنقل مستشفى الأمراض الصدرية (السل) إلى جهة أخرى بعيدة عن حلوان لأنه أوجد عند العامة و بعض الخاصة عقيدة خاطئة بأنه من الممكن نشر العدوى فى حلوان بسبب وجوده فيها .

ورأت اللجنة تحويل مبناه إلى مصحة « سناتوريوم » للنقاهة أو جعله فندقا للطبقة الوسطى من الناس .

وقد عاينت اللجنة العين المعدنية الجديدة فى ٨ ابريل سنة ١٩٣٩ فظهر أنها تقع على بعد كيلومتر واحد إلى شمال المدينة .

وطلبت اللجنة إلى حضرة صاحب العزة مدير معامل وزارة الصحة عمل المباحث والتحليلات التفصيلية اللازمة لماء هذه العين لتعرّف مدى كفايتها وصلاحيـة مائها للاستعمال الاقتصادى الصحى الواسع النطاق على غرار العيون الحديثة الكبرى بأوربا. فتبين أن تصرف العين فى حالتها الحاضرة يبلغ حوالى عشرين متراً مكعباً فى الساعة الواحدة وأنها ترتفع عن سطح النيل بما يقرب من ٥و٥ متراً وقد دل التحليل أيضاً على وجود آثار الراديوم بمياهها .

وقد تلاحظ أن الشارع الموصل بين المحطة والحمامات الحالية على جانب كبير من الإهمال والقذارة و أن المدينة خالية خلواً تاماً من الميادين والشوارع المنسقة و ينبغى وضع برنامج لتجميلها ينفذ فى وقت قريب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والواقع أن حلوان كمدينة وكضاحية من ضواحى القاهرة فى حاجة قصوى إلى إيجاد أسباب التسلية والرياضة والأندية الاجتماعية بها لكيلا يتركها المقيمون بها لتلمس أسباب التسلية وغيرها فى جهة أخرى .

وقد أوصت اللجنة بتنفيذ المشروعات التالية :

(١) إنشاء ميدان فسيح للرياضة البدنية بجميع أنواعها بما فى ذلك الجولف والتنس والسباحة .

(٢) إنشاء كازينو عصرى يتفق والمكانة التى يجب أن تحتلها هذه المدينة فى عالم مدن المياه على أن يدار على غرار أمثاله فى تلك المدن .

(٣) إنشاء دار عصرية أنيقة للتمثيل والسينما .

(٤) تكوين فرقة موسيقية تصدح بين الفينة والفينة بحدائق المدينة العامة .

(٥) تمهيد الطرق الموصلة إلى وادى حوف ووادى جرّاوى ووادى الرشيد . . . . الخ لمن يريد التجوّل فى الصحراء والاستمتاع بنقاء الجو وأشعة الشمس .

(٦) إنشاء رصيف وميناء على النيل لإمكان الاستفادة من نهر النيل فى الأغراض الرياضية والملاحيّة المتنوعة .

(٧) إنشاء حلبة لسباق الخيل .

وأشارت اللجنة أيضاً إلى أن الحكومة تملك مساحات شاسعة من الأراضى الفضاء بين المدينة والنيل وهى تصلح للتقسيم والبيع وانه مما يدعو إلى الأسف الشديد أن تظل المدينة محرومة من مشروع المجارى العمومية و إن اللجنة توصى بضرورة تنفيذ هذا المشروع الحيوى مراعاة للصحة العامة وتشجيعاً لروح النشاط العمرانى فى أنحاء المدينة .

هذه هى المقترحات التى رأتها اللجنة لازمة لإصلاح مدينة حلوان ورفعها إلى المستوى الذى هى خليقة به بين زميلاتها فى مختلف بلدان العالم المتمدين . ثم أوصت بإنشاء مجلس بلدى للمدينة لا تكون له أية علاقة بالمجلس البلدى المزمع إنشاؤه لمدينة القاهرة بل يكون ككل المجالس الأخرى تابعاً لإدارة البلديات بوزارة الصحة مباشرة لأن وجود مجلس بلدى بالمدينة فيه الضمان الكافى لتعرّف حاجيات الأهالى و إصلاح المدينة صحياً وعمرانياً وتجميلها وتوفير أسباب الرفاهة والتسلية لسكانها والقيام على الشئون والمنشئات الاجتماعية المفروض وجودها فى مدينة كحلوان ذات مكانة خاصة بين سائر المدن باعتبارها مدينة المياه المعدنية الوحيدة بالبلاد ومصدر ثروة طائلة إذا وجدت الاستثمار الصالح ، على أن تساعد الحكومة هذا المجلس مالياً بإعانة سنوية لا تقل عن عشرين ألفاً من الجنيهات فى سنيه الأولى لمدة عشر سنوات مثلاً حتى إذا رسخت قدمه وقوى ساعده أمكن الحكومة فى هذه الحالة إعادة النظر فى أمر هذه الإعانة بتعديلها على ضوء ما تراه من ملابسات حالة المجلس المالية وقتئذ .

ولما كان هذا التقرير قد عمل قبل التأكد من مزايا الينبوع المعدنى الجديد الذى ظهر وتدفقت مياهه فى مارس سنة ١٩٣٩ رأيت من واجبى ذكر كلمة عن مشروع هذا الينبوع ومدينته الساحرة استيفاء للموضوع فأقول :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

النبع الجديد ومدينة الساحرة : ظهر فى شهر مارس سنة ١٩٣٩ بالجهة الشمالية من حلوان وعلى بعد كيلومتر تقريبا منها ينبوع معدنى قدرت كمية المياه المتدفقة منه بعشرين مترا مكعبا فى الساعة . ويرتفع النبع عن سطح البحر بمقدار ٤٥ مترا وهذه المياه صالحة لعلاج الكبد والأمعاء وضعاف البنية والمصابين بلين العظام .

ونظراً لما للأستاذ فؤاد عبد الملك من خبرة خاصة فى هذا الباب اكتسبها من ممارسته الطويلة فى أوربا لمثل هذه الأعمال وافقت مصلحة الأملاك على أن تؤجر له قطعتى الأرض التى خصصت إحداهما لإقامة كازينو ومدينة ساحرة والثانية لعمل بركة للسباحة والتجذيف تقام حولها الملاهى البريئة والألعاب الرياضية وأسباب التسلية وقد أوشك جميع ذلك على الانتهاء ولا ينقص لإتمامه إلا تمهيد طريق للسيارات يتصل بطريق حلوان — القاهرة الرئيسى مع مايلزم من غرس الأشجار وتنسيق المتنزهات ثم إنشاء محطة (هلت) للسكة الحديد أمام العين الجديدة .

مشروع ينبوع حلوان المعدنى الجديد . تصميم المدينة الساحرة للأستاذ فؤاد عبد الملك .

وقد قدم حضرته للمصلحة رسومات وإيضاحات لما يسهل إقامته من المنشآت حالياً لاستغلال العين فى المدينة الجديدة وتعبئة مياهها فى زجاجات وتوزيعها.

وقد طلبت مصلحة الأملاك الأميرية إلى المصالح الأخرى المختصة القيام بما هو فى اختصاصها مثل إزالة التلال الموجودة على جانبى السكة الحديد لمدخل المدينة الجديدة وتمهيد الطرق وغرس الأشجار ليزهو مدخلها ويكون عصريا .

وقد أخذت مصلحة التنظيم فعلا فى تمهيد الطرق وغرس الأشجار على جوانبها وتيسير الإضاءة .

وهكذا يعود إلى حلوان فى عهد مليكنا المصلح ما كانت عليه من مجد فى أيام أجداده الخالدين .

حلوان مدينة المستقبل

لا سبيل إلى المقارنة بين حالة حلوان الآن وبين حالتها حين كان ملتزم مواصلاتها ومرافقها العامة المرحوم فيليكس سوارس حيث كان الجمهور يجد فيها بغيته من الإقامة والتريض والاستشفاء . وإذا قيل إن أكثر الروّاد فى ذلك الحين كانوا من الأجانب وأثرياء المصريين فإن الرد على ذلك أن الزوار الأجانب كان أغلبهم من الروس والألمان وهؤلاء قد كفّوا عن المجىء إلى مصر منذ الحرب العظمى الماضية ومنذ قيدتهم قوانين بلادهم المالية ، أما المصريين فقد امتنعوا لعدم توفر أسباب راحتهم ولصعوبة المواصلات ولارتفاع أجورها ولما جدّ من بلبلة أفكارهم لاستبدال أكبر فندق فى المدينة أى لوكندة الحياة بمصحة الأمراض الصدرية المعروفة ، فإذا أزيلت هذه الموانع أقبل الجميع عليها وهم أجدر وأحوج إلى الانتفاع صحياً بمزايا تلك المنطقة وينابيعها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما السياح الأجانب فلا يمكن اجتذابهم مالم تعادل حلوان مثيلاتها من مدن المياه فى الخارج .

و إذا أريد اجتذاب أثرياء السياح الذين يغشون مدن المياه المشهورة بالعالم و ينفقون فيها ملايين الجنيهات ، فليس ما يمنع من إقامة كازينو أو ناد مستقل فى حلوان من نوع تلك النوادى التى فى فيشى وأوستند ومونت كارلو فيتهافت عليها السياح فى فصل الشتاء و يفضلونها على غيرها من مدن المياه لميزات جوها ومياهها .

أما ما يقال عن تحريم الدين لهذا النوع من الأندية فيرد عليه بأنها ليست أكثر ضرراً من النوادى الموجودة حالياً ومن حلبات سباق الخيل التى يشترك فيها سواد الجمهور المصرى . هذا مع العلم بأن هذا النادى يكون قاصراً على الأجانب كما هو متبع فى بلچيكا ، وإذا صرح للجمهور بغشيانه فيقصر التصريح على بعض ذوى الثروات الخاصة من المصريين . ولا شك بأن هذا النادى سوف يدر على الخزينة أموالاً طائلة ، وسوف يكون مدعاة لتوفير أسباب التسلية واللهو للسياح الأجانب فى مصر لوفرة ما تذخر به برامجه من مهرجانات ومعارض وملاه متنوعة وألعاب رياضية دولية ورحلات لفصل الشتاء فيرغّبهم ذلك فى زيارة البلاد ومضاعفة الإنفاق فتروج الحركة الاقتصادية فى مصر . إذ أنه من المعروف أن العائق الذى يحول دون إطالة مدة إقامة السياح فى مصر الآن هو قلة الوسائل المذكورة .

أما فيما يختص بالنبع الجديد فسبب هبوط نسبة المترددين عليه هو بلا شك صعوبة المواصلات الحالية بقطارات سكة حديد حلوان لبطئها وقلة عددها ثم عدم تمهيد طرق السيارات إلى منطقة الينبوع وارتفاع مصاريف النقل للفرد بسبب عدم وجود أوتو بيسات للنقل المشترك بين القاهرة وحلوان .

ولنا الأمل بأنه عند ما تتحقق جميع المشاريع المختصة بتحسين حلوان وتتزود بما تحتاج إليه مدينة مثلها من مدن المياه ، سوف تقف فى مصاف مدن الاستشفاء فى الخارج بل سوف تفوقها لما حباها الله به من نعم الجمال الطبيعى الساحر والجو الصحى المنعش وما حوته من كنوز السعادة التى لا تعادل فتزهو وتتيه فخورة بعزها وذيوع صيتها بين أقطار العالم فى الشرق والغرب و يرتفع اسمها فى حمى المليك المصلح راعى الكنانة فاروق الأول حفظه الله وحفظ حكومته الموفقة الرشيدة .

مقارنة بين مدينتى حلوان وأسوان :

ولا بد هنا من مقارنة بين مدينتى حلوان وأسوان فإن الشبه بينهما كبير من الأوجه الآتية :

أولا : لقد حبت الطبيعة هاتين المدينتين بجو منقطع النظير فى فصل الشتاء يماثل فى اعتداله جو فصل الربيع فى أجمل مناطق أوربا مناخا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثانيا : جعلت الطبيعة فى ارتفاع هاتين المدينتين فوق منسوب البحر بأكثر من ٦٠ متراً ما أكسبهما جفافا امتازتا به عن سائر المدن . ففى أشهر الشتاء الأربعة تظل الشمس تنشر أسباب الحياة والدفء فى أرجائهما مدة تسع ساعات يومياً . وتظل درجة الحرارة فيهما ثابتة تقريبا .

ثالثاً : ومع أن كلا من حلوان وأسوان مدينة مشرفة على الصحراء إلا أن حلوان تمتاز بأنها خالية من الغبار وذلك يرجع إلى أن ذرات الرمل الصحراوى حولها من كبر الحجم وثقل الوزن بحيث لا تقوى الرياح على نقلها . بينما الرياح فى أسوان تحمل غبارا كثيرا إلى المدينة وذلك بالنسبة لشدة سرعتها و بالنسبة لطبيعة الجبال المحيطة بها

رابعاً : تعد حلوان بالنسبة للقاهرة ، الضاحية الفريدة فى العالم كله بخصياتها الممتعة النافعة بينما تبعد أسوان عن القاهرة بحوالى ٩٠٠ كيلومتر جنوباً ولكنها تقترب من مدار السرطان ولا تبعد عنه بأكثر من ٥٠ كيلو مترا . وبذلك تعد بالنسبة له الضاحية الفريدة بجمالها وجودة جوها .

خامساً : متوسط درجة الحرارة اليومية فى أسوان مرتفع عن متوسط درجة الحرارة فى حلوان بمقدار (٨و٤° ف) ونسبة الجفاف فى أسوان إلى نسبته فى حلوان كنسبة ١٤ : ١٥

سادساً : حرارة الشمس فى أسوان أشد منها فى حلوان بالنسبة لقرب الأولى من مدار السرطان كما ذكرنا أعلاه

سابعاً : حلوان مدينة مياه معدنية وأسوان أيضاً مدينة مياه معدنية .

ضواحى حلوان ووديانها :

تمتاز ضواحى حلوان بوجود كثير من الوديان ذات المناظر الخلابة والمنافع الجمة فى جبالها . أما سبب وجود هذه الوديان فيرجع إلى السيول المتتابعة منذ القدم التى نحرت وديانا عميقة فى طبقات الصخور الجيرية بالجبل الشرقى منها وادى حوف ووادى التيه ووادى دجله ووادى جرّاوى ووادى الرشيد .

وتلتوى هذه الوديان لوجود اختلاف بين صلابة الصخور التى اخترقتها السيول . وقد يكون هذا الالتواء بسيطا فى أول الأمر إلا أنه يتضاعف من تأثير ازدياد قوة الماء على النحر فى الجزء المقعر فيزيد تقعيراً بينما الجزء المحدب تقل فيه سرعة الماء فترسب عليه المواد المنقولة مع السيل فتزيد فى تحديبه .

والسيول ما هى إلا أنهار وقتية تظهر عقب الأمطار الشديدة وتجف بعد ذلك . وتقوم مياه السيول بدور هام فى عملية التعرية إذ تكتسح من جوانب و بطون الصخور ما تقوى على حمله من طين ورمال وقد تجرف أمامها أيضا جلاميد كبيرة من الصخر مما يجعل على بطون خيرانها (جمع خور) أكواما غير منتظمة من جلاميد وحصى ورمال تعوق السير عليها لحد كبير .

وهذه المواد هى الآلات التى تمكن السيول من نحر خيرانها وتعميقها وذلك لأنها فى سيرها ترتطم بباطن الخور وجانبيه وتحتك بها فتبريها . وقد يكون ما يقوم به السيل الواحد فى كل مرة قليلا إلا أن تكرار هذه العملية فى مئات أو آلاف السنين كفيل بأن يجعل لها أثراً محسوساً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد يبدأ الخور كشق ضيق بين الصخور فيصبح بفضل هذه السيول وما تحمله من مواد هوة سحيقة بين حائطين عظيمين ، كما نشاهد الآن فى وادى حوف ووادى دجلة ووادى جرّاوى وغيرها من الوديان التى بجوار حلوان . وتنمو أحياناً فى هذه الوديان بعض النباتات الصحراوية مثل الطرفة وشجر الدوم والعلقم والصبار وكف مريم وما أشبه ذلك .

وكثيراً ما يصادف الانسان فى هذه الوديان آباراً حفرها رجال القوافل القديمة التى مرت هنا منذ أجيال بعيدة كما هو مشاهد فى وادى الرشيد ووادى أبو سلمى ، وكثيراً أيضاً ما يجد الانسان خزّانات طبيعية منقورة فى الصخور مملوءة بمياه الأمطار . وأجمل هذه الخزانات التى توجد بها المياه على مدار السنة يوجد فى وادى الرشيد الأعلى على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً من مدينة حلوان وفى وادى حوف الأعلى على بعد تسعة كيلومترات من المدينة .

ويوجد بوادى جرّاوى الكائن على بعد ١٢ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقى من حلوان بقايا خزّانات قديمة بنيت لحجز مياه الأمطار داخل الوادى للانتفاع بها عند اللزوم . وقد ترجع هذه الخزانات إلى ما قبل عهد الأسرة الرابعة المصرية وبجوار هذه الخزّانات إلى شمال الوادى توجد آثار أساسات لبيوت قديمة من بيوت العمال كما يوجد آثار سور كبير ربما كان لحظيرة من حظائر المواشى . ومن المحتمل أن تكون الخزّانات التى بنيت بوادى جرّاوى كانت لحجز المياه اللازمة لحاجات العمال الذين كانوا يشتغلون هنا فى محاجر الرخام الواقعة على بعد ميل واحد من هذا الموقع . ويرى الانسان للآن آثار الطرق التى كان يسلكها العمال فى طريقهم من منازلهم إلى المحجر كما يرى آثار آبار قديمة كانت محفورة بجوار هذه الطرق للاستقاء منها .

مقابر حلوان : فى شهر يوليو سنة ١٩٤٢ تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله فشمل برعايته مشروع التنقيب عن مقبرة أثرية فى منطقة حلوان يرجع عهدها الى الأسرة الأولى .

أما هذه المقبرة فتقع إلى جوار أملاك الخاصة الملكية على مسيرة خمسة كيلومترات إلى الشمال الغربى من حلوان بين السكة الحديدية والطريق الزراعى . وقد دلت أعمال التنقيب الأولى التى جرت فيها بوساطة المجسات على أن الرمال تغطى جبانة واسعة يبلغ طولها حوالى ثلاثة كيلومترات ، وتضم مقابرها أوانى من المرمر والفخار وحجارة مختلفة يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى .

وأهمية الكشف عن هذه المقبرة ترجع إلى ما عرف عن الأسرة الأولى التى نشأت فى « طينه » (البربا الحالية) بالقرب من جرجا ، هو أنها أسست مدينة منف عند ملتقى حدود المملكتين الكبيرتين السابقتين لعصر التاريخ وذلك عند ما تم توحيدهما فى عهد الملك مينا سنة ٣٢٠٠ ق . م . وهو تاريخ ابتداء الأسرة الأولى . وينتظر أن تؤدى أعمال التنقيب فى حلوان إلى الحصول على معلومات عن تاريخ أجيال مصر الفرعونية الأولى وخاصة عن تاريخ منطقة منف التى تعد الفصل الأول من تاريخ القاهرة ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

علوم الفلك ومرصد حلوان :

اشتهرت مصر منذ القدم بتضلع كهنتها فى علوم الفلك ، ومن الثابت أن كهنة جامعة عين شمس — وهى أول جامعة عرفت فى العالم — كانت لهم اليد الطولى فى رصد حركات الشمس والقمر والنجوم وتعرف تنقلاتها . فلما تعلم سكان وادى النيل على أيديهم تفقد السماء وجدوا فى حركات نجومها واسطة للاستدلال بها على ميعاد فيضان نهر النيل العظيم ، ومن ثم بدأ اهتمامهم بالفلك واتسعت دراستهم له . ويرجع الفضل فى معرفة قياس الزمن إلى هؤلاء الكهنة أيضاً ، ففى سنة ٤٢٤١ ق . م . استعمل المصريون السنة الشمسية وحدة فى توقيتهم وقسموها ٣٦٥ يوماً . لكنهم لم يتمكنوا من معرفة أن هذا العدد ينقصه ربع يوم . وهذا التقصير فى الإدراك مكن المؤرخين من معرفة عدة عصور هامة فى العهد الفرعونى كانت معرفتها متعذرة من دونه . وذلك لأنه من المقرر أن أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تماماً مع اليوم الذى ظهر فيه نجم الشعرى اليمانية « سوتيس » وهو اليوم الذى بدأ فيه فيضان النيل . فاذا ابتدأنا من سنة ١٣٩ م واتخذنا هذا التاريخ نقطة ثابتة ، ورجعنا إلى الوراء به مدة ثلاث مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية « سبد » بالمصرية فى ساعة واحدة ، ويحدث هذا مرة كل ١٤٦٠ سنة بحساب فلكى ثابت ، تكون النتيجة أنه يمكن تحديد سنة ٤٢٤١ ق. م. كالسنة التى ابتدأ فيها المصريون يحسبون بحساب السنة المصرية الشمسية .

حلوان — المرصد المصرى .

ومع ذلك فقد دحض « ادورد مير » هذه النظرية قائلاً : إن نظرية الحساب بواسطة ظهور النجم « سبد » عند الصباح لا علاقة له بالحساب المصرى بل هو خاص بالفلك الإغريقى ولذلك يحتاج الموضوع إلى بحث جديد ! !

ومهما يكن من الأمر فإن إنشاء السنة الشمسية قد ظهر فى عصر قديم ، وأغلب الظن أنه انتشر من جامعة عين شمس .

وقد رسم المصريون السماء وعرفوا نجومها وابتدعوا آلات تعرفهم أهم مراكز النجوم ، وقسموا السماء إلى عدة بروج . ثم إن رسوم النجوم الموضوعة بشكل مناظر منفردة حليت بها سقوف قبرى رمسيس السادس ورمسيس التاسع بجبانة طيبة كان المقصود بها الاستدلال على معرفة ساعات الليل .

وكل من رأى كيفية رسم أبراج السماء فى قبر سيتى الأول ورمسيس الثانى بوادى الملوك بالأقصر وفى معابد دندره والأقصر والكرنك وسواها من الآثار المصرية القديمة يعرف بلا شك قوة تمكن هؤلاء القوم من علم الفلك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وترجع فكرة تقسيم السنة إلى اثنى عشر شهراً إلى المصريين أيضا ، فهم أول من وضع هذا التقسيم ، ثم قسموا الشهر ثلاثين يوماً ، ثم أضافوا إليها فى آخر العام خمسة أيام كى تصبح ٣٦٥ يوماً . وقد قسموا سنتهم إلى ثلاثة فصول فصل البرد وفصل الحصاد وفصل الفيضان . وهم أول من استنبط الساعات الشمسية والمزاول بأنواعها الحجرية منها والمائية .

ولما انتقل مركز الثقافة من جامعة عين شمس إلى جامعة الإسكندرية فى العصر اليونانى والرومانى والمسيحى ظل علم الفلك من أهم العلوم التى اشتغل بها علماء الإسكندرية ، وفى العصر الإسلامى انتقل مركز الثقافة مرة أخرى إلى الفسطاط ثم العسكر ثم القطائع واستقر أخيراً فى القاهرة فى الجامعة الأزهرية وظل علم الفلك من العلوم البارزة فى برامج الأزهر لعدة قرون طويلة واشتهرت مراصد كثيرة فى هذه العواصم الإسلامية بدقة تنبؤاتها .

وفى العصر الحديث ، كان من ضمن الأعمال المجيدة التى قام بها ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا أن أمر فى سنة ١٨٣٨ بإنشاء أول مرصد فلكى بمصر الحديثة فى القلعة تعضيداً للنهضة العلمية الناشئة فى البلاد .

ثم صدرت الإرادة السنية من المغفور له محمد سعيد باشا سنة ١٨٥٩ بنقله إلى العباسية فأقيم فى المبنى المعروف حتى الآن باسم الرصدخانه وقد تحول هذا المبنى بعد ذلك إلى ديوان للقرعة ثم هجر أخيراً لظهور خلل فى مبانيه.

وفى سنة ١٩٠٣ اتسعت الأعمال التى كان يقوم بها المرصد فاشتملت على الأرصاد الخاصة بالمغناطيسية الأرضية وغيرها ، ولما كانت هذه الأعمال تتطلب أن تكون أجهزتها بعيدة عن كل ما يؤثر عليها كالخطوط الحديدية وغيرها رؤى نقل المرصد من مكانه بالعباسية إلى مقره الحالى بحلوان .

ويمتاز موقع مرصد حلوان الحالى ببعده عن خطوط المواصلات الحديدية والاهتزازات العنيفة التى تتسبب عنها وكذا ببعده عن أنوار المدينة التى يتعذر معها القيام بأخذ لوحات فوتوغرافية فلكية شديدة الحساسية .

ويقع مرصد حلوان على خط عرض شمالى ٣١° ٥١′ ٢٩° وخط طول شرقى ٢٧° ٢٠′ ٣١° وهو مرتفع عن سطح البحر بمقدار ١١٦ متراً .

وتنحصر أهم أعمال المرصد فيما يأتى :

أولا — الرسم الفوتوغرافى للأجرام السماوية بواسطة التلسكوب العاكس الذى يبلغ قطر مرآته ٣٠ بوصة .

ثانياً — أخذ الأرصاد الخاصة لمقارنة الساعات بواسطة الإشارات اللاسلكية الزمنية الدولية . وكذلك ارصاد الإشعاع الشمسى والأرصاد الجوية والأرصاد المغناطيسية المستمرة والزلازل .

وتؤخذ أرصاد خاصة بتعيين اتجاه الرياح وسرعتها فى الطبقات العليا من الجو بواسطة منطاد الاستطلاع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويسمح للجمهور بزيارة المرصد من الساعة الثالثة والنصف إلى الساعة الخامسة بعد الظهر من كل يوم أربعاء فقط وذلك ابتداء من ١٥ أكتوبر لغاية ٣٠ أبريل . أما رؤية القمر وبعض الكواكب بواسطة المنظار الاستوائى فيخصص لها أوقات أخرى يعلن عنها .

والمطبوعات الآتية تنشر بواسطة إدارة مرصد حلوان وهى :

(١) **تقرير الطقس اليومى** — هذا التقرير يبين الأرصاد الواردة يومياً بالتلغراف من محطات معروفة بالقطر المصرى والسودان وكذلك من حيفا وغزة . وبه أيضاً مقاسات النيل اليومية المأخوذة فى جهات مقاس النيل .

ويوزع التقرير عقب الظهر ويصدر يومياً ما عدا أيام الجمعة والعطلة الرسمية على أن تقارير أيام العطلة تصدر فيما بعد بأول فرصة ، أما تقارير أيام الجمع فتوزع على الأخص فى أيام الآحاد التالية لها .

وتنشر المصلحة فى أوائل كل شهر ملخصاً مختصراً عن أحوال الطقس وأحوال النيل إبان الشهر مع كشف بالتصرفات المقاسة على النيل وفروعه إبان الشهر السابق .

وترسل تقارير الطقس اليومية مع الملخص الشهرى لها لمن يطلبها نظير دفع مبلغ مائة قرش عن كل سنة فى داخل القطر .

ويطبع الآن رسم مبينة به مقارنة قراءات مقياس النيل للسنة الحالية بمتوسط قراءات السنين الماضية لأحد عشر مقاساً شهرياً (وأسبوعياً أيام الفيضان) ويرسل هذا الرسم لمن يطلبه داخل القطر نظير دفع مبلغ ١٥ ص سنوياً .

(٢) **تقرير الأرصاد السنوى** — ينقسم هذا التقرير إلى جزءين :

الجزء الأول : — يبحث فقط فيما يختص بالأرصاد المأخوذة بمرصد حلوان حيث تؤخذ الأرصاد المستمرة للضغط الجوى ودرجة الحرارة ودرجة الرطوبة وسرعة واتجاه الريح والسحاب وساعات ضوء الشمس والمطر والتبخر والمغناطيسية الأرضية والتشعع الشمسى وسرعة واتجاه الريح فى الطبقات العليا بواسطة المنطاد .

أما الجزء الثانى : — فيشمل الأرصاد المأخوذة من محطات الرصد الأخرى (عبارة عن ٩٦ محطة) الموضوعة تحت مراقبة مصلحة الطبيعيات وكذلك أرصاد الأمطار المأخوذة من ٧٨ محطة فرعية فى القطر المصرى والسودان وبلاد الحبشة والصومال .

(٣) **تقرير عن الأمطار التى نزلت بحوض النيل وعن الفيضان** : — هذا التقرير يشتمل على جداول عن نزول الأمطار ومقاسات النيل وسيشتمل فى المستقبل على تصرفات النهر .

(٤) تنشر أبحاث خاصة بمواضيع طبيعية فى مطبوعات تسمى « صحائف مصلحة الطبيعيات » وينشر الآن ، كذلك الأعمال المتعلقة بالأرصاد الفلكية فى « التقرير الرسمى لمرصد حلوان » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قسم تنظيم حلوان

تباشر مصلحة التنظيم بالقاهرة الأعمال البلدية بمدينة حلوان الحمامات حاليا . ويدير قسم تنظيم حلوان محطتان إحداهما للمياه والثانية للإنارة بهذه المنطقة :

عملية ترشيح المياه الصالحة للشرب بحلوان

تقع هذه العملية بناحية كفر العلو وتقوم بتوريد المياه المعقمة بغاز الكلورين لمدينة حلوان الحمامات والعزب الملحقة بها ولبعض النواحى القريبة من هذه المدينة مثل حلوان البلد وعزبة الوابور والضاحية الناشئة المعروفة باسم المعصرة الجديدة وكفر العلو البلد .

ويوجد مأخذ مياه هذه العملية على النيل ، أما أحواض الترسيب والمرشحات فمن النوع المعروف باسم جهازات الترشيح الرملية البطيئة وسبق لنا شرحها والكلام عن نظريتها فى كتابى « الاسكندرية » ومنطقة قنال السويس فلا داعى للعودة إليها الآن . وعلى من يريد الإلمام بها الرجوع إلى ما كتبناه عنها هناك .

وتوزع المياه فى شبكة مزدوجة من المواسير الزهر : الخط الأول منها خاص بالمياه المرشحة الصالحة للشرب والخط الثانى خاص بالمياه العكرة لرى المنتزهات والحدائق واطفاء الحرائق .

وتورد المياه للأهالى والمصالح الأميرية بواسطة العدادات فقط بسعر ١٥ مليما للمتر المكعب من المياه الرائعة و ٨ مليمات للمياه العكرة .

محطة توليد التيار الكهربائى بحلوان

هذه المحطة موجودة بالمدينة ذاتها وهى تقوم بتوريد تيار كهربائى مستمر ضغط ٢٢٠ ڤولت للأهالى والمصالح بواسطة العدادات بسعر ٢٣و٤ مليما للكيلوات .

ويقوم قسم تنظيم حلوان بإنارة جميع شوارع المدينة من هذه المحطة و بإنارة جزء طوله خمسة كيلومترات من الطريق الرئيسى الموصل بين مدينة حلوان والقاهرة وذلك بتيار كهربائى ذى ضغط عال .

أعمال مقاومة الملاريا بحلوان

توجه مصلحة المجارى الرئيسية بالقاهرة عناية خاصة لمكافحة حمى الملاريا بمدينة حلوان ، لأنها مدينة صحية يؤمها كثير من المرضى والناقهين لطيب مناخها وجودة هوائها ولوجود ينابيع معدنية فى كافة أنحائها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان أول ما راعته المصلحة وضع نظام لتصريف المياه المتدفقة من الينابيع المعدنية باستمرار ، بحيث لا تفيض تلك المياه على ما حولها من الأراضى فتركد وتأسن وينتشر بسببها الناموس ويضايق الأهالى ويضر بصحتهم ، ولهذه الغاية أنشأت خزانا بعيداً عن المدينة وعزبها تنحدر إليه مياه جميع العيون فى مواسير من الزهر فى الجزء المار بالمدينة ثم تصب جميعها فى مصرف مكشوف فى الجزء الآخر القريب من الخزان . وهناك تتبخر المياه بعيداً عن المساكن والعمران .

وقد راعت المصلحة أيضاً أن تعطى لتلك المواسير الانحدار الكافى لتنظيفها ولسهولة سير المياه داخلها .

وقد أتمت المصلحة عمل مصارف أخرى لتصريف مياه الينابيع المختلفة وتجفيف المستنقعات ثم قامت بردم البرك والمستنقعات المتفرقة بالمدينة وهى :

(ا) البرك القريبة من مصحة فؤاد للأمراض الصدرية (لوكندة الحياة سابقاً) وهى التى تكوّنت من خلع الأحجار لمنسوب منخفض جداً .

(ب) المستنقعات التى حول طريق مطار حلوان وهى التى تكوّنت من أخذ الأهالى ما يلزمهم من الأتربة والرمال لبناء مساكنهم .

(ح) البرك الصغيرة الموجودة إلى جنوب عزبة حلوان القبلية . وهى التى تكونت من حفر آبار صغيرة فى الأرض لسقى الخنازير .

وهكذا انتصرت هذه المصلحة فى مكافحة حمى الملاريا الخبيثة وطهّرت مدينة حلوان الجميلة منها .

ويبلغ عدد سكان هذه المنطقة حسب تعداد سنة ١٩٣٧ ما يأتى :

حلوان البلد	٥٦٠٤	نفساً
حلوان الحمامات	٧٤٤٤	»
عزبة حلوان البحرية	٢٨١٢	»
عزبة حلوان القبلية	٤١٠٩	»
كفر العلو	٢٦٥٦	»
فيكون المجموع	٢٢٦٢٥	نفساً

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل العاشر

حلوان وأثر السكة الحديدية فيها

يبدأ خط سكة حديد حلوان الحالى من محطة أنيقة بنيت حديثاً بشارع منصور بباب اللوق .

وقد حل هذا الخط محل خط سكة حديد قديم كان يصل ما بين القاهرة وحلوان مبتدئاً من محطة الميدان بجوار القلعة .

ومع أن طول خط حلوان بسيط جداً (٢٥ كيلومتراً) إلا أن له تاريخاً مضطرباً يمكن حصره فى خمس فترات مختلفة منذ سنة ١٨٧٣ إلى الآن .

١ — الفترة الأولى من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٩ أو الخط الحربى :

لما حصل الخديوى اسماعيل سنة ١٨٧٣ من الباب العالى على امتياز بزيادة الجيش المصرى من ١٨ ألفاً إلى ٣٠ ألف جندى، مما سهل له مد الحدود المصرية إلى الحبشة ، دعت الحاجة إلى تزويد البلاد بالمصانع الحربية التى اقتضاها الموقف الجديد ، فأنشأ الخديوى معملاً للبارود خلف القلعة كما أنشأ مسبكاً للمدافع على النيل بجوار طره . ثم أمر بمد خط حديدى لخدمة هذه المصانع . ولما كان هناك خط حديدى ممتد بين محطة مصر والدمرداش والعباسية والقلعة منذ سنة ١٨٦٥ (وهو المعروف الآن باسم خط المحاجر) ، فقد بدىء بمد هذا الخط إلى المصانع المذكورة ، ماراً بالبساتين وطره عن طريق المعادى واقتصر استعماله على خدمة الجيش الصناعية .

ثم أنشأت السلطة الحربية محطة الجبخانة (حيث يتفرع خط معمل البارود خلف القلعة) ومحطة البساتين ومحطة المعادى الأولى على النيل حيث كان الخط الأصلى الواصل بين محطة المعادى الحالية والنيل ، ولا يزال رصيف هذه المحطة موجوداً بالطبيعة ، ثم محطة طره البلد وهى المستعملة لغاية اليوم .

ولما اتضحت للحكومة فوائد ينابيع حلوان الكبريتية ومياهها المعدنية سنة ١٨٦٨ ، رأى الخديوى ، تسهيلاً لاستغلالها ، مد هذا الخط إلى مدينة « حلوان الحمامات » وتم ذلك سنة ١٨٧٥ بمعرفة رجال الجيش .

وفى سنة ١٨٧٧ بدىء باستغلال الخط تجارياً ، فرؤى لراحة الجمهور جعل محطته الرئيسية بميدان القلعة (حيث محطة الميدان الآن) وقد اقتضى ذلك مد فرع يتصل بالخط الأصلى عند محطة المواصلة .

وخصص قطاران للركاب أحدهما يسير بين محطة الميدان ومحطة حلوان الحمامات والثانى يسير بين محطة مصر ومحطة حلوان الحمامات عن طريق العباسية . وقد ألغى سير القطار الثانى بعد مضى ثلاثة أشهر لعدم إنتاجه واقتصر عمله على نقل الجيوش المعسكرة بمنطقة العباسية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — الفترة الثانية من سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٨٨

وفى سنة ١٨٧٩ تنازل الخديوى اسماعيل عن العرش ، وكانت المالية المصرية فى حالة اضطراب شديد ، فقررت الحكومة وقف الإنفاق على هذا الخط ، وسلمت إدارته إلى نظارة الأشغال العمومية التى خفضت عدد القطارات إلى اثنين فى الذهاب ومثلها فى الإياب اقتصاداً فى النفقات . وكانت إيرادات ومصروفات هذا الخط فى هذه الفترة كما يلى :

سنة	الايراد	المنصرف
	جنيه	جنيه
١٨٨٥	٧٧٣٢	٥٧٥١
١٨٨٦	٨٤٩٠	٥٨٢٤
١٨٨٧	٩٥٤٦	٥٤٧٣
١٨٨٨	٩٣٩٣	٤٩٤٦

ولقد كان للادارة الحربية التى تولت امتداد الخط إلى حلوان فضل إنشاء مبانى محطات الميدان وطره وحلوان المستعملة لغاية اليوم كما قلنا سابقاً .

ويوجد فى محطة الميدان أثر ورشة للوابورات ، ومعالم صينية لتدويرها قطرها ١٣ متراً . وقد أحيطت المحطة بسور أقيم جزؤه الغربى فوق سور مصر القديم .

وقد تفرع من هذا الخط عند محطة الجبخانة والمواصلة خطوط موصلة للمحاجر يقطعها عند محطة طره والمعصرة خطوط حديدية واصلة بين محاجر طره والمعصرة و بين النيل .

وقد كانت القضبان المستعملة فى هذا الخط من الحديد ومركبة على القصع .

هذه كانت حالة خط حلوان لغاية ٣٠ إبريل سنة ١٨٨٨ وهو تاريخ إعطاء امتياز استغلاله لشركة سوارس .

٣ — الفترة الثالثة من ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٨ الى ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤

فى ٣٠ إبريل سنة ١٨٨٨ أصدر مجلس النظار قراراً بمنح امتياز خط حلوان الممتد من محطة الميدان بالقلعة إلى محطة حلوان الحمامات مع إنشاء خط جديد بين المعادى و باب اللوق ماراً بالبساتين أو بالقرب منها و بمصر القديمة و بمدافن الافرنج (فم الخليج) إلى بعض رجال الأعمال وعلى رأسهم قطاوى وولده وأولاد منشة وإخوان سوارس .

واحتفظت الحكومة بالحق فى إلزام هذه الشركة بإيصال الخط الجديد المطلوب تنفيذه بين المعادى و باب اللوق فى أى وقت تشاء لغاية باب الحديد على أن يمر فى المناطق التى تعيّنها الحكومة بمعرفتها على حساب الشركة الخاص .

و بكل أسف لم تستعمل الحكومة هذا الحق . ولغاية الآن لم يتصل خط حلوان بمحطة مصر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولما كانت الآراء كلها متفقة على ضرورة كهربة خط حلوان سواء فى الحال أو الاستقبال ، ولا بد فى هذه الحالة من إيصال هذا الخط إلى باب الحديد ، فأنى أترك تقدير ما كانت وفرته الحكومة من مبالغ طائلة ستضطر لصرفها فى المستقبل القريب ، لو أنها طلبت من الشركة فى الوقت المناسب تنفيذ الشرط الذى التزمت به !!!

أما من الجهة الأخرى فقد قامت الحكومة بتسليم الشركة ، بموجب عقد الامتياز ، مبانى محطات :

الميدان — والبساتين — والمعادى — وطره — والمعصرة — وحلوان — ، وملحقاتها ، والأراضى التابعة لها ، كما سلمتها جسر السكة الحديد والأدوات الثابتة والمتحركة والإشارات وأجهزة التغذية والماكينات ما عدا أدوات التلغراف وقد اعتبرت خارجة عن الامتياز .

واحتفظت الحكومه لنفسها بخطوط مخازن معامل البارود المتفرعة من هذا الخط عند محطة الجبخانة و بالخطوط الواصلة بين المحاجر والنيل والمتقاطعة مع خط حلوان بالقرب من محطة طره فيما بين الكيلو (٦) و (٧) و بالقرب من محطة التحويلة المعروفة الآن باسم محطة طره الأسمنت بين فيما بين الكيلو (٩) و (١٠) .

وقد أزيل الخط الأول واستبدل سنة ١٩٢٤ بخط حديدى يمر فوق كوبرى علوى عند الكيلو (١٣,٥٠) وقد أنشأت مصلحة السكة الحديد هذا الخط لحساب مصلحة السجون .

بعض شروط عقد الامتياز : و ينص العقد على إعطاء أصحاب الامتياز حق مد خطوط حديدية بين المحاجر الجارى استغلالها حالياً أو التى ستستغل فى المستقبل و بين نهر النيل . على أن يكون للحكومة الحق فى تعديل أو إلغاء أى فرع من هذه الفروع . كما ينص على ضرورة اعتماد الحكومة للرسومات التصميمية الخاصة بإنشاء الخطوط الحديدية أو بإنشاء المبانى .

وتتكون الرسومات التصميمية المنوه عنها من :

١ — رسم الموقع

٢ — قطاع طولى للخط المطلوب تنفيذه .

٣ — قطاعات عرضية كافية للخط .

٤ — مذكرة تفسيرية عن المشروع وعن مواقع انحدار وارتفاع واستواء الجسر وعن قطر المنحنيات وعن الشوارع والطرق والمساقى والترع التى ستتقاطع مع الجسر وعن مواقع المحطات والبرابخ والكبارى وغير ذلك .

وينص العقد أيضاً على قيام أصحاب الالتزام بشراء الأراضى اللازمة للمشروع إما بطريق الممارسة مع أصحاب الأرض أو بطريق نزع الملكية مع تحضير الرسومات التفصيلية اللازمة عن الأرض المطلوب نزع ملكيتها لاعتمادها من نظارة الأشغال العمومية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وينص أيضاً على أن يكون عرض الشريط ١٫٤٣٥ متراً كعرض خطوط مصلحة السكة الحديد ويحدد عروض وميول الجسور المردومة والمكسية وسمك الزلط وغير ذلك .

ويحدد العقد أيضاً نصف قطر المنحنيات بحيث لا يقل عن ٥٠٠ متر بين الخطوط المستقيمة خارج السكن و ٣٠٠ متر داخل سكن القاهرة ومصر القديمة .

ويحدد طول المسافة المستقيمة بين منحنيين (صد ورد) ١٠٠ متر والنهاية العظمى للانحدارات والارتفاعات الطولية ١٥ ملليمتراً فى المتر الطولى مع حفظ مسافة مستوية طولها ١٠٠ متر بين كل انحدارين أو ارتفاعين طوليين .

ومن الاشتراطات المقررة فى عقد الامتياز أيضاً إلزام الشركة بنزع ملكية الأرض على اعتبار أن الخط سيكون مزدوجاً بين المعادى وباب اللوق وذلك بعد الاتفاق على مواقع وعروض المحطات مع نظارة الأشغال العمومية .

واشترط أيضاً ألا تتقاطع المجازات مع الخط الحديدى على زاوية أقل من ٤٥° . وعلى أن تكون هذه المجازات مبلطة أو مرصوفة بعرض الشارع المتقاطع على الأقل وأن يمتد الرصف إلى خمسة أمتار من الشريط من كل ناحية مع وضع إشارات ليلية ونهارية لهذه المجازات طبقاً لما تقرره الحكومة .

وأن تقوم الشركة بإعادة حفر الترع والمصارف والمساقى التى تعترض خطوطها وتضطر لقطعها أو تغيير مجراها .

وأن تكون مهمات الخطوط من أحسن صنف وأن توافق الحكومة عليها وعلى طريقة تثبيتها فى الفلنكات وعلى نوع الفلنكات وعلى جميع الجهازات اللازمة لحسن سير الخط .

كما اشترط أن تكون بالمحطات الإشارات اللازمة لضمان منع وقوع الأخطار مع وجوب اعتمادها من نظارة الأشغال وأن تتعهد الشركة بتغيير قضبان ومهمات الخط بين محطة الميدان ومحطة المعادى فى ظرف سنتين من تاريخ عقد الامتياز . وأن تستبدل هذه القضبان والمهمات بغيرها من صنف مماثل للتى ستستعملها فى الخط بين المعادى وباب اللوق .

وحددت الحكومة للشركة مدة سنتين لمد الخط بين المعادى وباب اللوق من تاريخ عقد الامتياز .

وتعهدت الشركة بصيانة الخطوط وجعلها دائماً فى حالة تضمن سلامة مرور القطارات عليها . أما القاطرات فتكون من أحسن وأمتن صنف ويشترط أن توافق الحكومة على استعمالها . وتكون عربات الركاب من أحسن طراز ومطابقة لمواصفات مصلحة السكة الحديد .

وللشركة حق الاتفاق مع أصحاب المحاجر والمناجم والمصانع لتمد لهم أفرع مخازن تصل محاجرهم أو مصانعهم بالخط الرئيسى على شرط ألا يعوق ذلك حركة مرور القطارات على الخط الرئيسى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتنشأ هذه الأفرع على حساب الملاك وتصان على حسابهم ويكون للحكومة الحق فى إلغائها متى شاءت .

وتعهد أصحاب الالتزام بمد الخطوط التلغرافية اللازمة لإدارة حركة الخط فقط ، وبشرط أن تعتمد نظارة الأشغال العمومية نوع هذه الخطوط وطريقة تشغيلها .

عقود جديدة : بتاريخ ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ ، عمل اتفاق قائم بذاته بين أصحاب الالتزام ومصلحة السكة الحديدية بخصوص مبادلة النقل .

وبتاريخ ١٢ يونيو ١٨٩٠ أعطى لأصحاب هذه الشركة التزام ميدان سعيد بحلوان بالشروط التالية :

أولاً — يتعهد الملتزمون بإنشاء كازينو وقهوة وكشك للموسيقى إلخ . على أرض هذا الميدان لخدمة الجمهور .

وقد عمل عن هذه المنشآت رسم اعتمدته نظارة الأشغال العمومية وأعطت لهم مهلة سنتين من تاريخ التوقيع على عقد الامتياز لإنشاء الميدان وتنظيمه وإقامة الأفاريز والشوارع والمنشآت المقرر عملها مثل القهوة وكشك الموسيقى .

وتركت الحكومة لهم حرية إنشاء المنشآت الكبيرة فى الوقت الذى يناسبهم . مع ضرورة إعتماد كل إضافة أو تعديل من وزارة الأشغال العمومية قبل التنفيذ .

وعلى أن تكون الشركة خاضعة للوائح البوليس الحالية والمستقبلة وتدفع الضرائب والعوائد المقررة على العقارات المبنية .

وعلى أن تنتهى مدة هذا الامتياز بعد خمسين سنة أى فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

التنازل عن الالتزام :

فى أول مايو سنة ١٨٩٦ تنازل أصحاب الالتزام الأول عن استغلال خط حلوان وملحقاته إلى شركة أسسوها هم أنفسهم تحت اسم « شركة سكة حديد القاهرة — حلوان » وصدر بها مرسوم خديوى فى سنة ١٨٩٠ ، برأس مال قدره ١٢٠٫٠٠٠ جنيه مقسمة على ٦٠٠٠ سهم .

ومدة الامتياز خمسون سنة . على أن تتم الشركة الجديده فندق حلوان والحمامات الكبريتية وتوابعها بحلوان . وبشرط أن تبقى كل هذه المنشآت ملكا للحكومة بعد انتهاء مدة الامتياز .

الأعمال التى قامت بها شركة سكة حديد القاهرة — حلوان بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٤ : (١)

١ — تم امتداد الخط بين محطة المعادى وباب اللوق وقد صدر عنه أمر عال فى ١٨٨٨/١٠/٣٠ وآخر بتعديله فى ١٨٨٩/٢/٥ ومعهما رسمان .

---

(١) عن مقال نشر بمجلة سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية بالعدد ٣ و ٤ سنة ١٩٤٢ للاستاذ حسن محمد وكيل قلم الأملاك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — تم إنشاء المحطات الآتية : محطة مارى جرجس — محطة مصر القديمة (واسمها الآن محطة المدابغ) — محطة البساتين (التى سميت محطة الساحل القبلى فيما بعد وقد ألغيت الآن) — محطة المدافن (واسمها الآن محطة فم الخليج وهى غير مستعملة إلا للاشارات) .

وقد صدر عنها أمر عال فى ١٨٨٩/١/٤ مرفقة به رسوماتها .

٣ — تم امتداد خط المعادى إلى طره (وهو عبارة عن الخط الحالى أما الخط القديم فكان يمر بمخزن النيل بالمعادى ومن ثم ينحرف بمنحنى نحو طره وقد ألغى هذا الانحناء وكذا المحطة التى كانت على النيل وأنشئت بدلها المحطة المجاورة لمحطة المعادى الحالية والتى تعرف الآن باسم محطة المعادى القديمة) . وتم كذلك امتداد الخط من البساتين لطره (وهو الخط الحالى أما الخط الذى كان يصل بين البساتين والمعادى ثم منها إلى طره فقد ألغى وحل محله طريق عمومى) .

وقد صدر عن هذين الخطين أمر عال فى ١٨٨٩/٤/١ وأرفق به رسمان .

٤ — تم امتداد الخط بين محطة السيدة زينب ومحطة المواصلة ماراً بعين الصيرة وترتب على ذلك اختراق هذه العيون الأثرية عند مخزن سلخانة القاهرة .

وقد صدر عنه أمر عال فى ١٨٩٠/١٠/٥ وتعدل بأمر آخر صدر فى ١٨٩٢/٣/٢٢ وأرفق بهما رسمان .

٥ — قامت الشركة بتعديل تخطيط خط حلوان فى المسافة بين محطة المعصرة وحلوان ، واعتمد رسم هذا التعديل من نظارة الأشغال العمومية فى ١٨٨٩/٣/٦ .

٦ — مدت الشركة الخط بين محطة حلوان والنيل وهو الخط المسمى بخط كفر العلو . بعد اعتماد رسم الموقع ورسم القطاع الطولى المرفق به وتصميم الكبارى وغير ذلك من نظارة الأشغال العمومية فى ١٨٩٠/٣/٥ .

٧ — أنشأت الشركة أفرع المحاجر بحلوان فى سنة ١٨٩٣ ، وأنشأت أيضاً مخزنا لمعامل الاسبرتولكوتسيكا بين طره والمعصرة ومخزنا خاصاً لشركة الأسمنت بالمعصرة ، ومخزن المحاجر بمحطة الساحل القبلى (البساتين) ، ومخزنا للحجر الدستور عند تحويلة النيل بطره ، ومخزنا للسجون بمحطة الميدان .

وقد صدرت الأوامر العالية السابقة باعتبار الأعمال المطلوبة من المنافع العمومية ونزع ملكية المسطحات المذكورة بها .

ومارست الشركة الملاك أمام محافظ القاهرة والذين لم يتفق معهم — وهم نظار الأوقاف — حررت معهم حجج تحكير أو عقود إيجار . أما الأهالى فقد حررت معهم عقوداً عرفية وسجلتها ، وكل هذا مبين بالتفصيل فى خرائط الاستلام المعمولة سنة (١٩١٤ — ١٩١٥) بمعرفة مصلحة السكة الحديد وشركة سكة حديد الدلتا والأملاك الأميرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الخط بين باب اللوق ومحطة المعادى :

بدأت الشركة فى مد الخط بين باب اللوق والمعادى سنة ١٨٨٩ وجعلته مفرداً بين باب اللوق والسيدة زينب ومزدوجا بين السيدة زينب ومحطة الساحل القبلى (كيلو ٦) ثم مفرداً إلى طره وحلوان وشيدت المحطات الآتية :

ا — محطة باب اللوق (التى هدمت الآن) . وكانت مبدأ الخط وشغلت جزءا من شارع القاصد بعد إلغائه بأمر عال صدر فى ٥ / ٢ / ١٨٨٩ .

ب — محطة السيدة زينب (القديمة) — وبها ورشة للقاطرات البخارية وحوش لتخزين العربات وتنظيفها ومنها يتفرع خط عين الصيرة — المواصلة فالميدان .

حـ — محطة فم الخليج (وكانت تسمى فى الأصل محطة المدافن) .

ء — محطة مارى جرجس .

هـ — محطة المدابغ (وكانت تسمى فى الأصل محطة مصر القديمة) .

و — محطة الساحل القبلى (البساتين) وقد ألغيت الآن .

ز — محطة المعادى (القديمة) .

وبعد أن مدت الشركة خط السيدة زينب — عين الصيرة — المواصلة مخترقا العيون الأثرية عند سلخانة القاهرة ، أنشأت به مخزنا لمحاجر عين الصيرة .

وكانت تسيّر على الخط بين باب اللوق والسيدة زينب وعين الصيرة بعض قطارات للركاب فى أيام الأعياد والمواسم . أما فى باقى الأيام فكان استعمال هذا الخط قاصرا على البضائع ونقل القاطرات إلى عنابر بولاق لإصلاحها (عن طريق خط المحاجر المار بالعباسية) .

وقد أحاطت الشركة خطها من باب اللوق إلى محطة المدابغ — أعنى الجزء الواقع من هذا الخط فى منطقة السكن — بأسوار من الخشب أو من البناء .

وكان بين محطة باب اللوق ومحطة حلوان مجازات (مزلقانات) مخفورة بخفراء يحملون الاشارات الحمراء والخضراء لمنع التصادم بين القطارات والمارة وبيانها كالآتى :

مزلقان شارع الشيخ ريحان — مزلقان شارع مدرسة المبتديان — مزلقان شارع مدرسة الطب — مزلقان شارع فم الخليج — مزلقان أرض السادات — مزلقان جامع عمرو — مزلقان مارى جرجس — مزلقان المدابغ — مزلقان الساحل القبلى — مزلقان المعادى — مزلقان طره (تقاطع خط سكة حديد محاجر السجون) — مزلقان المعصرة — مزلقان حلوان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم تنشىء الشركة مساكن لعمال الدريسة أو لموظفى المحطات إلا فى محطتى السيدة زينب وحلوان .

وكانت القاطرات تغذى بمياه شركة القاهرة وشركة مياه حلوان .

الفترة الرابعة من ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤ الى يناير سنة ١٩١٥ .

فى ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤ تنازلت « شركة سكة حديد القاهرة — حلوان » بدورها عن حق امتيازها فى استغلال خط حلوان وتوابعه وفى استغلال الحمامات الكبريتية والفندق والكازينو وميدان سعيد إلى « شركة سكة حديد الدلتا » وصدقت الحكومة على هذا التنازل بقرار صادر من مجلس النظار فى ٢٦ / ١١ / ١٩٠٤ .

وقد تعهدت الشركة الجديدة بانفاق مبلغ ستين ألف جنيه لتحسين الخط وشراء مهمات ثابتة ومتحركة . وقد اشترطت الحكومة إتمام ذلك فى خلال خمس سنوات ، وإلا كان من حقها أن تلغى عقد الامتياز .

وقد نفذت الشركة فعلا تعهداتها فجعل تاريخ انتهاء الامتياز فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٧ .

الأعمال التى قامت بها شركة سكة حديد الدلتا :

١ — بدأت الشركة بازدواج الخط ابتداء من محطة الساحل القبلى (البساتين) لغاية طره ثم إلى حلوان مع تغيير القضبان بأخرى تقل المتر الطولى منها ٣٧ كيلوجراما تقريباً . واستبدلت القصع بفلنكات خشب وأحاطتها بدقشوم من الحجر الجيرى . ونظمت الإشارات وحسنت نظام سير القطارات واشترت بعض أراضى الوقف المحكرة أو المؤجرة وأنشأت مركز دريسة بطره .

٢ — أنشأت الشركة المحطة الحالية لضاحية المعادى وهى تمتاز كثيراً عن محطات الشركة السابقة التى روعى فى مبانيها الاقتصاد الشديد مما كان يتعارض كثيراً مع جمال هذه المواقع .

٣ — أضافت الشركة الجديدة للقاطرات التى استلمتها من الشركة القديمة قاطرتين وأربعة عربات درجة أولى وأربعة أخرى درجة ثانية و١٢٢ عربة بضاعة .

٤ — مدت الشركة الجديدة خطوط المخازن الفرعية الآتية :

خط مخزن البترول بمحطة المدابغ . خط مخزن السباخ بخط عين الصيرة . خط مخزن النيل بالمعادى . بعض مخازن للمحاجر بحلوان .

٥ — أنشأت الشركة ضاحية المعادى البديعة وخططتها تخطيطاً حديثاً جذاباً وجهزتها بكل وسائل الراحة الحديثة فأضافت بذلك إلى القاهرة ضاحية ضاحكة زاهرة جميلة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثم استمرت الشركة تستغل الخط وملحقاته بما فى ذلك الفندق والحمامات الكبريتية وميدان سعيد إلى أن رأت هى والحكومة أن من الصالح تنازلها عن حق الامتياز قبل ميعاده باثنتى عشرة سنة .

فابتاعت الحكومة الخط فى سنة ١٩١٥ وأضافته إلى خطوطها الحديدية مقابل تسعين ألف جنيه منها عشرون ألفاً ثمن فندق حلوان والحمامات الكبريتية وميدان سعيد .

الفترة الخامسة من سنة ١٩١٥ الى الآن :

استلمت مصلحة السكة الحديد الخط بصفة نهائية من الشركة سنة ١٩١٥ واستمرت فى تحسينه هو ومحطاته . وقد صرفت على ذلك مبلغ ٣٥ ألف جنيه لغاية سنة ١٩٢٧ .

وفى الفترة بين سنة ١٩١٥ و سنة ١٩٣٨ أنشأت المصلحة الخطوط الفرعية الآتية لخدمة أصحاب الأعمال .

١ — مخزن الحربية بالمعادى .

٢ — امتداد مخزن شركة الأسمنت بالمعصرة .

٣ — مخزن لشركة سيجوارت بالمعصرة .

٤ — مخزن شركة الأسمنت بكفر العلو (خط كفر العلو) .

٥ — مخزن شركة مصبغة بنك مصر بخط كفر العلو .

٦ — مخازن شركة الأسمنت بمحطة التحويله بطره .

٧ — مخازن الطيران البريطانى بحلوان (خط كفر العلو) .

وزادت على محطات الخط المواقف الآتية :

هلت كوتسيكا — وهلت شركة الأسمنت بتحويلة النيل بطره .

وألغت محطة الساحل القبلى (البساتين) ، ورفعت مخزن السباخ بالساحل القبلى وسلمت أرضه لمصلحة الأملاك سنة ١٩٢٨ نظير استنزال ثمنه من رأس مال المصلحة كالمعتاد ، ووضعت كبارى علوية ينتقل بواسطتها الركاب بين الأرصفة ، وعدلت محطة المعادى بأن أوجدت رصيفا خاصا للبضاعة فى سنة ١٩٣١ .

ولما كان الخط ماراً بمنطقة صحراوية ومعرضاً للسيول التى تنحدر من الجبل الشرقى فقد أنشأت المصلحة برابخ لمرور السيول إلى الجهة الغربية من الجسر حتى تنساب فى النيل أو فى ترعة الخشاب .

هذا وقد رأت المصلحة فى سنة ١٩٣٧ قطع الاتصال بين خط عين الصيرة وخط حلوان بالسيدة زينب وجعلت نهاية خط عين الصيرة عند سلخانة مصر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما محطة طره فقد عدلت لقبول وفرز البضائع الواردة والصادرة من و إلى محطات هذا الخط .

و بالجملة فقد قامت المصلحة من يوم استلامها للخط بما جعله من أحسن الخطوط تخطيطا وثباتا وقوة وجعلت قطارات الركاب مثل أحسن القطارات المستعملة فى خطوط المصلحة الأخرى .

أثر خط حلوان فى عمران هذه المنطقة :

لا نزاع فى أن وجود هذا الخط كان من أهم العوامل فى انتشار العمران والأعمال الصناعية وفى تسهيل استغلال المحاجر والعيون المعدنية بهذه المنطقة .

فمن جهة العمران ، تأسست ضاحية المعادى الجميلة على بعد بضعة كيلومترات من القاهرة ، وزاد عدد سكان حلوان الحمامات زيادة محسوسة ، ونشأت بالمعصرة ضاحية جديدة ضاحكة تعرف الآن باسم المعصرة الجديدة .

ومن جهة الصناعة ، تأسست شركة لصناعة الأسمنت بالمعصرة سنة ١٩٠١ ثم تأسست شركتان أخريان مماثلتان لها بطره وكفر العلو سنة ١٩٢٧ وكانت هناك قبل ذلك جباسة عنان . أضف إلى هذا قيام شركة سيجوارت لصناعة المواسير والأعمدة من الأسمنت المسلح ، ومعامل كوتسيكا لصناعة الأسبرتو من فضلات القصب ، وغير ذلك من الصناعات الكثيرة . . .

ومن جهة استغلال المحاجر ، اتسعت صناعة قطع الأحجار والبلاط بالمعصرة وطره وحلوان ومحطة المواصلة . أما منتجات هذه الأعمال الصناعية فتشحن الآن إلى مدن القطر المصرى المختلفة مارة بطرة ومنها إلى محطة الميدان بالقلعة أو إلى محطة مصر عن طريق العباسية ومن هناك إلى سائر جهات القطر .

وقد بينا فى الفصل السابق أسباب شكوى أهالى هذه المنطقة وخصوصاً أهالى حلوان من توقف امتداد العمران بمدنهم مع ما فيها من المميزات التى لو توفرت فى مدن أخرى لكان لها شأن آخر . . .

وعرفنا أن أهم أسباب هذا الركود يرجع إلى قلة عدد قطارات الركاب والى بطء سرعتها . إذ لو أريد لحلوان أن ينتشر فيها العمار كما انتشر بمصر الجديدة مثلا لوجب أن تكون مواصلاتها مع العاصمة مماثلة لمواصلات مصر الجديدة بترام المترو والترام الأبيض وخطوط السيارات المختلفة السريعة الكثيرة العدد .

ولذا وجدت الحكومة نفسها مضطرة إلى التفكير فى تيسير الوصول إلى حلوان بواسطة قطارات عديدة جداً وسريعة جداً ، فطرحت موضوع كهربة خط حلوان على الخبراء لدراسته .

و إلى أن يبت فى هذا المشروع الحيوى الجليل ، رأت الحكومة فى سنة ١٩٣٨ استبدال القطارات العادية بعربات ديزل مما ترتب عليه هدم محطة باب اللوق القديمة و إنشاء محطة جديدة بدلاً منها . وقد وضعت المحطة الجديدة وسط شارع منصور بحيث أمكن إعادة فتح شارع القاصد بعد أن سد من سنة ١٨٨٩ لإنشاء المحطة القديمة .

وجعل رصيف الركاب لقبول عربة ديزل مع ازدواج الخط بين باب اللوق والسيدة زينب وفتحت جميع الشوارع التى كان يقطعها الخط المذكور ووضعت للمارة بها علامات كهربائية للتحذير من مرور العربات الديزل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

واتفقت مصلحة السكة الحديد مع مصلحة التنظيم على إنشاء ممرات سفلية فى النقط التالية وقد تم إنشاؤها فعلا حوالى سنة ١٩٣٩ وهى :

أولاً — ممر سفلى أمام كوبرى الملك الصالح بدير النحاس بقسم مصر القديمة .

ثانياً — ممر سفلى بمحطة طره

ثالثاً — ممر سفلى بطره البلد

ثم أعادت المصلحة بناء محطة السيدة زينب و إنشاء ورشة لعربات الديزل بحلوان ، ووصلت خط كفر العلو بخط حلوان عند وادى حوف .

ومع كل هذه التسهيلات ، اقتضت الاحتياجات العسكرية فى الحرب الحاضرة إعادة تشغيل القطارات الكاملة ، فزيد طول أرصفة محطة باب اللوق لهذا الغرض وأقيمت حولها من الجانبين أسوار عالية من المبانى .

هذه هى أهم آثار مصلحة السكة الحديد فى تقدم مدينة حلوان وضواحيها ولا شك أنها آثار بارزة ناطقة لا تحتاج إلى مزيد من الثناء . و إذا كان خط حلوان لم يتصل بعد بباب الحديد كما كان منتظراً ، و إذا كانت فرصة رخص أثمان الأراضى فى سنة ١٨٨٨ وما بعدها قد فاتت الآن فيمكن مع ذلك عمل هذا الاتصال ولو إلى محطة المترو النهائية بشارع عماد الدين لإيصال حلوان بمصر الجديدة وفى هذا الاتصال فوائد لا يستهان بها لمدينة القاهرة . .

على أن هذا لا يكون إلا بعد كهربة خط حلوان . ومسألة كهربته هذه مسألة يتكفل الزمان بحلها ! !

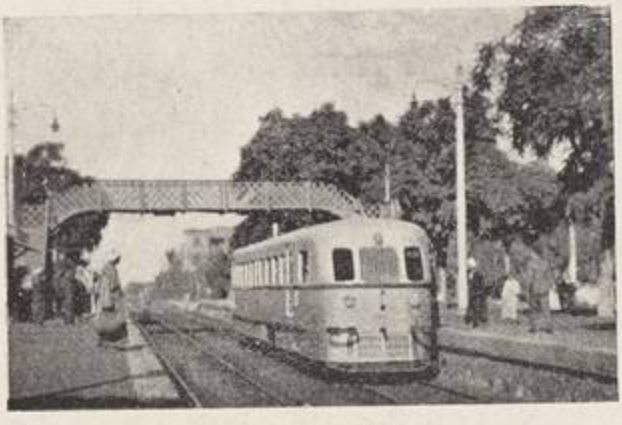

خط حلوان . عربة الديزل الفاخرة فى محطة المعادى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الحادى عشر

تعليقات على بعض القرى والأماكن الأثرية الواقعة على خط حلوان وفى القاهرة وضواحيها

لابد من كلمة الآن عن بعض القرى والنواحى والأماكن الأثرية الواقعة على خط حلوان وفى القاهرة وضواحيها لارتباطها المباشر بالظواهر الطبيعية التى تكلمنا عنها سابقاً . هذا مع العلم بأن أغلب هذه البيانات مأخوذة عن مذكرات حضرة صاحب العزة محمد بك رمزى الذى تفضل باعارتها لنا فله منا جزيل الشكر والعرفان .

أما الضواحى التى نريد الكلام عنها فهى :

١ — **المعصرة** : بمركز الجيزة بمديرية الجيزة .

هى من القرى القديمة اسمها القديم شهران . ذكر الشيخ أبو صالح الأرمنى فى تاريخه أن شهران قرية كبيرة واقعة جنوبى طرا كانت عامرة آهلة على الشاطىء الشرقى للنيل .

ولما تكلم المقريزى فى خططه على الديورة ذكر دير شـــعران قال : « وانما هو دير شهران كان من حكماء النصارى وقيل بل كان ملكا » . (وهذه بالطبع قصص وأساطير ليس لها سند تاريخى) .

قال محمد بك رمزى : إن هذا الدير لا يزال موجوداً إلى اليوم باسم دير العريان على شاطىء النيـــل بناحية المعصرة هذه .

وأقول : إن دير شهران هذا كان يعرف قديماً باسم دير مرقوريوس أو مرقورة . ومرقوريوس هذا كان جندياً اعتنق المسيحية فقتله دقلطيانوس حوالى سنة ٢٩٧ م . ولما سكنه برصوما ابن التبان عرف بدير برصوما . وله عيد يعمل فى الأسبوع الخامس من الصوم الكبير فيحضره أكابر النصارى وينفقون فيه مالاً كثيراً .

وقد بنى هذا الدير فى الأصل بالحجر واللبن بين غابة من أشجار النخيل ، ثم جدده بمين الراهب أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وقد أدخلت عليه تعديلات وترميمات كثيرة فى العصور التالية كان آخرها فى عهد البطريرك الراحل الأنبا يؤانس التاسع عشر أو البطريرك الثالث عشر بعد المائة حتى أصبح على وضعه الحالى ، ويعرف بين الناس الآن باسم دير أنبا برسوم العريان .

هذا وقد ذكر بعض المؤرخين أن موسى بن عمران ولد بقرية شهران (المعصرة) وألقى فى اليم هناك . وأقول : إن كل من درس تاريخ إقامة اليهود فى مصر يعرف بُعد هذه الرواية عن الصواب . فموسى ولد فى أرض جاسان

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى شرق الدلتا أثناء عهد اضطهاد اليهود تحت حكم رمسيس الثانى . وكانت عاصمة مصر فى ذاك العهد هى مدينة « صان » التى ذكرت فى التوراة باسم « صوعن » وسماها اليونان « تانيس » وهى معروفة الآن باسم صان الحجر بمركز فاقوس بمديرية الشرقية . (راجع كتاب « منطقة قنال السويس » ص ٢٨) .

نقل رمسيس الثانى الذى حكم من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٢٢٥ ق . م . لمدة ٦٧ سنة عاصمة ملكه من طيبة إلى صان الحجر نظراً إلى الظروف السياسية والاقتصادية فى ذاك العهد . ثم كلف اليهود ببنـاء مدينته الجديدة « بير رمسيس » بمنطقة صان الحجر حين قرر نهائياً الإقامة فى شمال الدلتا .

وقد أظهرت الحفريات الحديثة أن مدينة بير رمسيس كانت تقوم مكان قرية قنتير الحالية الواقعة على بعد تسعة كيلومترات إلى شمال فاقوس بمديرية الشرقية .

ومن المعلوم لنا أن فرع النيل التانيسى كان يمر بهذه المدينة ، وأن الاسرائيليين قاموا بصناعة اللبن (الطوب النى) و بخلع ونقل الأحجار اللازمة لبناء قصر فرعون ومعابد المدينة الناشئة ، ولقوا من العنت والاضطهاد ما توجعوا له

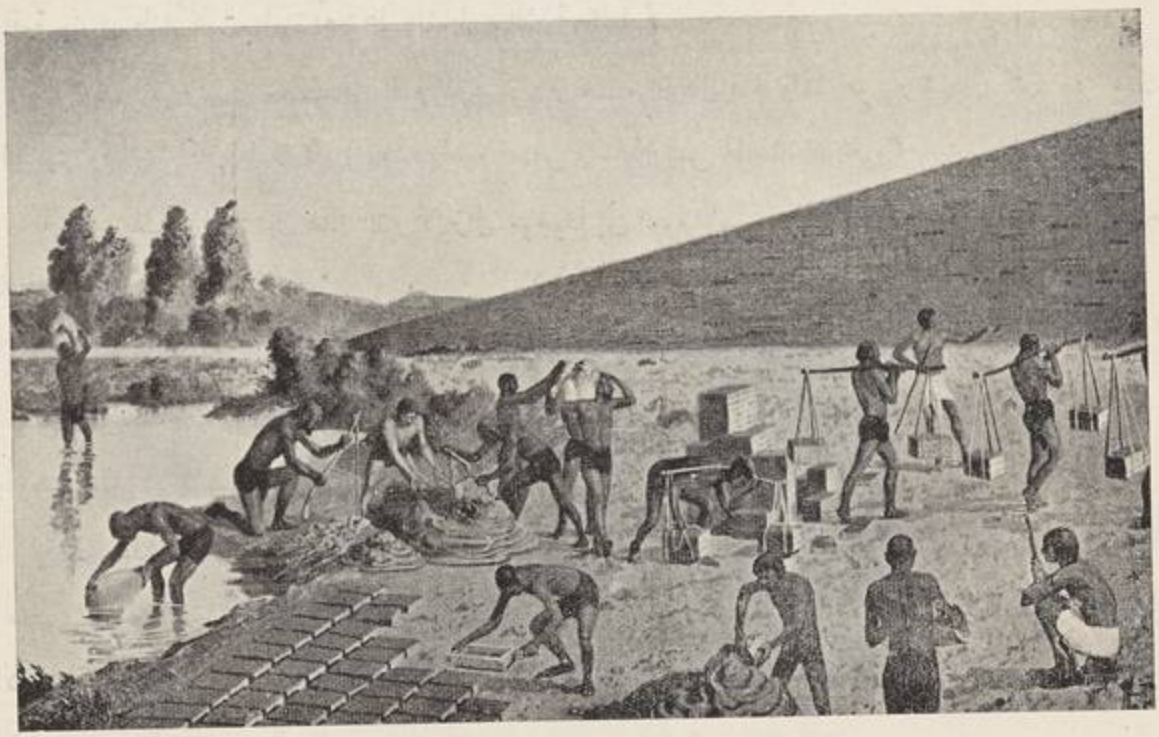

صناعة اللبن (الطوب النىء) — كانت المبانى القديمة فى عصر ما قبل التاريخ وفى العصر العتيق وفى عصر الدولة القديمة والدولة الوسطى والامبراطورية الحديثة كلها من اللبن ، تبنى به قصور الملوك ومنازل الأغنياء وبيوت الفقراء والقلاع والأسوار التى تحيط بالمدن والقرى ، والصورة أعلاه تمثل اليهود وهم يصنعون الطوب اللازم لبناء أسوار مدينة « بير رمسيس » فى عهد رمسيس الثانى الذى حكم من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٢٢٥ ق . م . (صورة مأخوذة عن مجلة N.G.M.W.)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبكوا منه ، ودونوه فى كتبهم المقدسة ، ثم سرعان ما برموا بحالهم التعسة ونزعوا إلى الثورة . وعرف منهم ذلك عيون فرعون وأعلموه بما عرفوا ، فأوجس منهم خيفة ، وأمر بذبح كل صبى يولد لهم وذلك لكى يقل عددهم ثم ينقرضون .

ومن المعلوم لنا أيضاً و إن موسى بن عمران ولد فى أثناء هذا الهول ، فخافت أمه عليه أن يكون من الهالكين ، فأوحى إليها أن تضعه فى التابوت وتلقيه فى اليم ، فرأته ابنة فرعون والتقطته ، ثم أحضرت له المراضع ، ولكن موسى كره المراضع كلهن إلا واحدة ، ظهر فيما بعد إنها أمه .

وحيث أن لفظة موسى هى تحريف للكلمة المصرية القديمة مويس بمعنى طفل النيل . وحيث أن بحر مويس وهو فرع النيل التانيسى القديم لا يزال محتفظا للآن باسمه القديم الذى يرجع إلى هذه الحادثة .

فأنت ترى من وقائع هذه الحالة ، أن ما ذكره بعض المؤرخين ، من أن موسى عليه السلام ولد بقرية شهران — أعنى المعصرة — وألقى فى اليم هناك بعيد كل البعد عن الصواب . بدليل أن جميع المعالم الباقية والتى لها صلة بهذه الحادثة مثل قصر فرعون و بحر مويس و إقامة اليهود بأرض جاسان بشرق الدلتا ، تدل على وقوع هذه الحادثة بمدينة صان الحجر أو بمدينة بير رمسيس (قرية قنتير الحالية) بمركز فاقوس بمديرية الشرقية ، أثناء قيام اليهود بصناعة اللبن (الطوب النىء) لبناء هذه المدينة الجديدة ، لا بجهة المعصرة .

هذا وقد ورد اسم المعصرة فى مشترك تحفة الإرشاد باسم المعصرة من الجيزة ووردت فى قوانين الدواوين باسم المعيصرة بالأعمال الجيزية . وفى تاريخ مصر لابن إياس ، المعيصرة ضيعة بقرب طرا . وفى دليل سنة ١٢٢٤ هـ معصرة دير شهران . وفى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣ م باسمها الحالى .

وفى الخطط التوفيقية معصرة اطفيح لأنها كانت تابعة فى ذاك الوقت لقسم اطفيح وهو مركز الصف الآن .

أما الآن فالمعصرة قرية ريفية على خط حلوان مساكنها مبنية بالدبش ومونة الطين . ولكن بمناسبة ارتفاع منسوب أراضيها وجودة هوائها أنشئت إلى جنوبها بجوار « شركة سيجوارت » ضاحية جميلة ضاحكة تعرف باسم « المعصرة الجديدة » قامت فيها مبانى حديثة غاية فى الرخص والرشاقة . وقد جلبت شركة تقسيم أراضى المعصرة الجديدة لهذه المبانى المياه النقية من حلوان ، وأنشأت بها محطة للانارة الكهربائية ، وخططت شوارعها وزينتها بالأرصفة والأشجار . أما عدد سكان المعصرة فيبلغ ٥١٥٨ نفساً طبقاً لتعداد سنة ١٩٣٧ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — **طره** . بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة ذكر لها جوتييه فى قاموسه عدة أسماء فقال أن اسمها المصرى (Taraou) ومعنى ذلك « أرض المغارات المخيفة » أى المحاجر ، ووردت فى ورقة الأستاذ جولينشيف باسم (Daraou) بعد منفيس ، قال وهى واقعة على الشاطىء الشرقى للنيل وهى شهيرة بمحاجرها التى تخرج الحجر الجيرى الأبيض الجميل . وحرف اليونان اسمها إلى (Troya) أو (Troy) ومن ذلك اسمها القبطى (Troya) وهى طره من أقدم مدن مصر .

ووردت فى معجم البلدان طرا قرية فى شرقى النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد . وفى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة طرا من أعمال الاطفيحية . ووردت فى الخطط المقريزية عند الكلام على ما كانت عليه أرض مصر (ج ١ ص ٧٢) باسم طرى .

وكانت القرى الواقعة شرقى النيل جنوبى مصر القديمة كلها تابعة لأقليم اطفيح الذى يعرف اليوم بمركز الصف . ويقال لها اليوم طره البلد تمييزاً لها من قريتين أخرتين فصلتا منها وهما طره الحجارة وطره الأسمنت وهما مجاورتان لها فى السكن . ووردت فى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣ م برسمها الحالى . أما مساكنها فقديمة وريفية وعدد سكانها ١٢٨٥٧ نفساً طبقاً لتعداد سنة ١٩٣٧ .

حفائر طره :

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٤١ بينما كان عمال مصلحة الآثار يقومون برفع الأتربة عن بعض المغارات القديمة فى جبل طره ، إذ عثروا على عدد من المخطوطات الاغريقية ، منسوخة على ورق البردى ، وكانت مخبأة فى ذلك المكان منذ عهد قديم . وقد عرضت هذه المخطوطات على المسيو جيرو ، من أمناء المتحف المصرى ، ومن الاخصائيين فى اللغة الاغريقية القديمة ، فتبين أنها تتضمن تفسير الكتاب المقدس وأنها ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد .

أما لماذا خبئت تلك المخطوطات منذ ١٥٠٠ سنة فى مغارة بجبل طره فأمر ليس من الصعب إدراك سببه ، إذا عرف المرء أن المغارات المشار إليها قائمة بجانب المكان الذى أسس فيه القديس أرسنيوس الدير المشهور المعروف باسمه . وكان ارسنيوس هذا معلم نجل القيصر تيودوسيوس الأول ، ثم عرف بالرهبنة ، وقد عاش بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس من الميلاد .

أما الدير فكان عامراً بكثير من رهبان طائفة الروم الملكيين ، واشتهر مدة طويلة بأنه من أجمل أديرة وادى النيل ، وكان قياصرة الروم ، فالخلفاء ، فالسلاطين من بعدهم يشملونه دائماً بعطفهم ورعايتهم . وقد ظل

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قائماً حتى القرن الرابع عشر . وكان يعرف بدير القصير ثم عرف بعد ذلك بدير البغل من أجل أنه كان به بغل يستقى عليه الماء فإذا خرج من الدير أتى الموردة وهناك من يملأ عليه فإذا فرغ من الماء تركه فعاد إلى الدير .

وفى رمضان سنة ٤٠٠ هـ أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام . ومع ذلك ظلت بقية منه عامرة حتى اندثرت فى القرن الرابع عشر .

هذا وكانت جمعية الآثار القبطية قد أبدت اهتماما كبيراً بأمر ذلك الدير العظيم ، واستطاعت بجهود بعض أعضائها أن تتحقق من أن بقاياه ليست غير هذه الآثار هى والمغارات التى توجد الآن فى جبل طره إلى جانب المكان الذى عثر فيه على أوراق البردى .

وعلى هذا يكون الكشف الأثرى المتقدم ذكره ، قد أشار إلى مكتبة القديس أرسينوس ، التى يمكن الآن البحث عنها بحثاً يبعث على كثير من الأمل فى استكشافها .

ليمان طره : وبلدة طره مشهورة الآن بوجود ليمان طره وورشه المختلفة بها وبما لمصلحة السجون هناك من محاجر وإدارات .

أما أن السجن تأديب وإصلاح وتهذيب ، فهذا هو الأساس الذى سارت عليه مصلحة السجون فأنشأت بليمان طره هذا ورش عديدة يزاول فيها المسجونون صناعات مفيدة لها شأنها فى إصلاح حالهم وفى تكييف أخلاقهم وفى منعهم من العودة إلى الإجرام فى مستقبل حياتهم . وأهم هذه الورش هى :

١ — ورشة نسج الأقمشة القطنية التى تلزم لملابس السجانين والعساكر والمستخدمين والمسجونين وبعض الأقمشة الحريرية التى تلزم لموظفى المصلحة والأفراد .

٢ — ورشة نجارة لتشغيل وإصلاح ما يلزم لليمان وبعض السجون ومصالح الحكومة الأخرى وموظفى المصلحة والأفراد من أشغال النجارة المختلفة — وقسم لعمل عجل عربات النقل الخاصة بالمصلحة .

٣ — ورشة خياطة لتفصيل وخياطة وإصلاح ملابس السجانين والعساكر والتمورجية والأسطوات والمذنبين الموجودين بالليمان .

٤ — ورشة برادة لصناعة ما يلزم لليمان والمصلحة من أشغال البرادة المتعددة .

٥ — مسبك لسبك كل ما يلزم للمصلحة من أنواع الظهر والنحاس مثل باظات الأفران بأنواعها وأغطية البالوعات والمجارى وغيرها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٦ — أقسام للبرشمة والحدادة والسمكرية وكلها تقوم بصنع ما يلزم لليمان أو السجون الأخرى من الأشغال المتعددة التى تدخل تحت أشغال كل قسم منها .

٧ — ورشة جزمجية لتشغيل وإصلاح جزم سجانى وعساكر وتمورجية ومذنبى الليمان نفسه وتصليح وتشغيل جزم لموظفى المصلحة .

٨ — ورشة خوّاصة تقوم بصناعة ما يلزم لأشغال الجبل من المقاطف وما يلزم أيضاً لأشغال الليمان الداخلية من مقطف وقفف .

٩ — ورشة حصر ومشايات ليف تقوم بتشغيل جميع الحصر التى تلزم للمسجونين وكذا مشايات الليف التى تلزم لكافة مصالح الحكومة والأفراد .

١٠ — ورشة صابون تقوم بتشغيل جميع الصابون الذى يلزم لمصلحة السجون نفسها وجميع مصالح الحكومة والموظفين وما يطلب منها لاحتياجات الأفراد .

١١ — ورشة لبد تقوم بتشغيل وإصلاح لبد مذنبى الليمان .

١٢ — مزارع خضراوات وهى عبارة عن جنائن يزرع فيها مايلزم للمذنبين من الخضراوات ومايزيد عن حاجة الليمان يباع لموظفيه ومستخدميه .

١٣ — ورشة جير وهى عبارة عن كوش لحريق الجير اللازم لمبانى الليمان والسجون الأخرى .

١٤ — ورشة أحجار لاستخراج الأحجار ومبيعها لمصالح الحكومة وغيرها .

١٥ — وتوجد بهذا الليمان ورش مخصصة لتعليم المذنبين بعض هذه الصناعات .

٣ — **معادى الخبيرى** : بمركز الجيزة بمديرية الجيزة . (عن مذكرات محمد بك رمزى)

ويقال لها المعادى وهى مدينة من الضواحى القبلية للقاهرة واقعة على السكة الحديدية الموصلة بين القاهرة وحلوان على بعد أحد عشر كيلومترا من محطة باب اللوق . ولها طريق آخر على شاطئ النيل تسير فيه السيارات بينها وبين القاهرة وحلوان .

وتنقسم المعادى من جهة السكن إلى قسمين أحدهما قديم والثانى حديث .

القسم القديم :

فأما القسم القديم فهو قرية المعادى الأصلية وهى من القرى القديمة كانت تسمى منية السودان وردت به فى نزهة المشتاق وفى نسخة أخرى منها ورد محرفا باسم منية السندان . قال الادريسى : « ومن خرج من مصر يريد الصعيد سار من الفسطاط إلى منية السودان وهى منية جليلة تتصل بها عمارات بضروب من الفلات» .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قال وهى فى الضفة الغربية من النيل .

قال محمد بك رمزى فى مذكراته : والصواب أن منية السودان واقعة على الضفة الشرقية منه بدليل أن أبا صالح الأرمنى ذكر فى كتاب الديوره والكنائس أن دير العدوية واقع بأرض منية السودان ولا يزال هذا الدير واقعا على شاطىء النيل الشرقى بين المعادى وطره ويعرف بدير العدوية نسبة إلى سيدة مغربية تسمى العدوية وهى التى أنشأته وتسميه النصارى الآن كنيسة العذراء .

وأنا أضيف : وكان دير العدوية يعرف أيضاً باسم دير النسطور وفيه كنيسة السيدة المعروفة بالمرتونى . ويقال إنه فى هذا المكان نزلت العذراء أيام كانت بمصر .

ثم أقول : يتضح من دراسة تنقلات مجرى النيل فى العصور الچولوچية القديمة ، ومن دراسة طبقات الأرض فى منطقة حلوان وضواحيها ، ومن الظواهر الطبيعية المحيطة بهذه المنطقة ، أن النهر فى العصر الجليدى المطر كان يجرى تحت سفح الجبل الشرقى حيث تجد لغاية الآن مصاب وادى حوف ووادى الدجلة ووادى الرشيد ووادى جرّاوى وسواها من الوديان .

وهذه الوديان كانت مجارى سيول قديمة أو نهيرات جانبية قوية تقذف فى النيل ما تحمله من جلاميد ومن صخور مفتتة .

فمع مرور الزمن تكدست تلك الرواسب بجوار شاطىء النيل الشرقى ثم زحفت غرباً حتى كادت تسد منافذ مياه النهر مما اضطره إلى تحويل مجراه نحو الغرب ولما كانت منطقة حلوان صخرية صلبة دارت المياه حول هذه المنطقة وحفر النهر مجراه إلى غربيها .

ولهذا السبب رجح الكثيرون أن مدينة حلوان الأصلية وينابيعها المعدنية كانت قديماً فى البر الغربى من النيل وكانت من أجمل ضواحى منف ثم لما دار النهر حولها بسبب تراكم رواسب الوديان فى مجراه الأصلى أصبحت حلوان إلى الشرق منه كما هى الآن .

فهل كانت رواية الأدريسى المذكورة أعلاه ، من أن منية السودان ، وهى من البلدان الواقعة فى منطقة حلوان ، تقع فى الضفة الغربية للنيل ، مجرد ترديد لهذه الذكرى القديمة ؟ ! . . . ربما .

ووردت العدوية فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الارشاد : من أعمال الأطفيحية (مركز الصف) . وورد فى معجم البلدان العدوية قرية ذات بساتين قرب مصر (مصر القديمة) على شاطىء شرقى النيل تلقاء الصعيد . ووردت فى الانتصار ضمن ضواحى القاهرة بين بركة الحبش (دير الطين) وطرا . وفى التحفة من ضواحى القاهرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وذكر أميلينو فى جغرافيته أن الاسم القبطى لقرية العدوية هو « تاكالبى » وفى نسخة أخرى « كالابى » قال وقد اختفت فى توسيع مدينة القاهرة ظنا منه أنها بجوار القاهرة .

وفى عهد الحكم العثمانى ألغيت ناحية العدوية من عدد النواحى ذات الوحدة المالية وأضيف زمامها إلى أراضى ناحية البساتين وبذلك أصبحت العدوية من توابع ناحية البساتين المذكورة . ومن ذلك العهد عرفت العدوية أيضاً على ألسنة الجمهور باسم « معادى الخبيرى » حيث كان بها مرسى المراكب المخصصة لتعدية الناس والجند المتوجهين من و إلى مصر والقاهرة و بلاد الصعيد لأن النيل هناك أضيق مجرى وأسهل اجتيازاً منه تجاه مصر والقاهرة لوجود الجزر أمامهما مما ينشأ عنه تعطيل النقل وتعدد مرات التعدية .

وكان يتولى رياسة تلك المعادى رجل يسمى الحاج على الخبيرى فنسبت إليه واشتهرت باسمه .

ومن سنة ١٨٦٠ عرفت العدوية فى الدفاتر الرسمية باسم « عزبة برنجى آلاى » لأنه كان يجاورها مبنى ثكنات الآلاى الأول من آلايات الجيش المصرى فى ذلك العهد .

وفى سنة ١٨٩٢ أصدرت نظارة الداخلية قراراً بجعل عزبة برنجى آلاى المذكورة ناحية إدارية قائمة بذاتها من الوجهة الإدارية لحفظ الأمن فى طريق حلوان مع بقائها تابعة لناحية البساتين من الوجهتين العقارية والمالية .

القسم الحديث :

وأما القسم الحديث من المعادى فهو الواقع فى أراضى شركة الدلتا ومعظمه شرقى السكة الحديدية وقليله وهو الذى أقيم فيه مبنى الجامع الجديد فى غربيها القريب من النيل .

وقد بدأت الشركة فى إنشاء هذا القسم من سنة ١٩٠٨ ببناء بعض المنازل على قطع مما تملكه من الأراضى الواسعة فى تلك الجهة وأعقب ذلك بيع الكثير من القطع المبينة على خريطة تقسيم أراضى الشركة إلى الراغبين فى سكنى المعادى من كبار الموظفين والأعيان .

ومن تلك السنة أخذت المعادى فى الاتساع والعمران وزادت شهرتها بين الضواحى لحسن موقعها وجودة هوائها و بعدها عن ضوضاء المدينة فكثر الإقبال على السكنى فيها .

كل هذا والمعادى اسمها الرسمى فى دفاتر الحكومة (عزبة برنجى آلاى) . ولما كانت جميع المصالح العامة فى ضاحية المعادى كمحطة السكة الحديدية ومكاتب البريد والتلغراف والتليفون ونقطة البوليس ومكتب شركة الدلتا وغيرها كلها منسوبة إلى المعادى ، و إن اسم (عزبة برنجى آلاى) ليس له وجود إلا فى جدول وزارة الداخلية ، فقد رفع الأستاذ الجليل محمد بك رمزى اقتراحاً إلى مجلس مديرية الجيزة بتغيير هذا الاسم وتسميتها « معادى الخبيرى » لشهرتها العامة بذلك . وقد وافق مجلس المديرية على هذا الاقتراح ثم وافقت عليه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وزارة الداخلية بقرارها الصادر فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٠ . وبذلك أصبح اسم « المعادى » اسماً رسمياً فى جدول وزارة الداخلية وفى جميع مصالح الحكومة وفروعها .

ولا زالت المعادى ناحية إدارية قائمة بذاتها من الوجهة الإدارية مع بقائها تابعة لناحية البساتين من الوجهتين العقارية والمالية ولمحافظة القاهرة فى الضبط والصحة والقرعة ولمركز الجيزة فيما عدا ذلك

ويبلغ عدد سكان مدينة المعادى ٩١٢٢ نفساً طبقاً لتعداد سنة ١٩٣٧ ، وقد توفرت فيها أسباب الراحة والنظافة من كل الوجوه ، فمن مياه نقية للشرب إلى أنوار كهربائية ساطعة إلى حدائق يانعة إلى شوارع مرصوفة وعلى أفاريزها الأشجار الباسقة تظلل الطرق وتجعل منها جنات للعالمين .

ثكنات الجيش المصرى بالمعادى :

يقيم الآلاى الأول من آلايات الجيش المصرى فى ثكنات المعادى منذ سنة ١٨٦٠ . ومن أهم المشروعات التى نفذت بالمعادى فى السنوات الأخيرة مشروع تصريف مياه هذه الثكنات بعد توسيعها وتجديد مبانيها ونلخص هذا المشروع فيما يأتى :

تنحدر المياه الواردة من مبانى القشلاق حتى تصب فى مجرى بيضاوى طوله ٣٠٠ متر ، و إبعاده الداخلية ٠٫٦٨ × ٠٫٤٥ متراً ، ثم تسير المياه فيه حتى المطبق العمومى ، وهناك ترفع بواسطة وحدتين من الطلمبات المزدوجة ذات المروحة ، قطرها ٤ بوصات تدار بواسطة وحدتين من المحركات الكهربائية قوة كل منهما ٣٥ حصاناً ، وتقذف فى ماسورة صاعدة من الزهر قطرها الداخلى ٩ بوصات ، وطولها ٢٣٦٠ متراً

وقد عمل الترتيب اللازم لغسل السطح الداخلى لهذه الماسورة من آن لآخر ، وتصب هذه الماسورة عند نهايتها فى أحواض سجن طره المعدة للترسيب ، و بعد تنقيتها تستعمل المياه فى رى أراضى المزرعة .

ويبلغ عدد الأشخاص الموجودين بالقشلاق ١٧٠٠ نفس ، وعدد الحيوانات ٨٠ رأساً .

ويبلغ متوسط كمية المياه المستهلكة يومياً وقت الصيف ٢٤٥ متراً مكعباً ، ووقت الشتاء ٢٠٠ متر مكعب .

وقد ابتدىء فى تنفيذ هذا المشروع فى ١٠ مارس سنة ١٩٢٨ ، وانتهت جميع الأعمال وسلمت للجيش المصرى بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٩ . و بلغت التكاليف ٩٩٦٤ جنيهاً .

٤ — **أثر النبى** : بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

أصلها عزبة قديمة من ضواحى مصر القديمة عرفت باسمها الحالى نسبة إلى مسجد الآثار النبوية الموجود بهذه القرية . وفى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣م ضمت الأراضى الزراعية الواقعة فى منطقة البستان المعشوق و بركة شطا و بركة الشعبية إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ناحية أثر النبى و بذلك أصبحت هـذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الوجهتين الإدارية والمالية وهى الآن تابعة لمحافظة مصر فيما يختص بأعمال الإدارة و الضبط والصحة والقرعة ولمركز ومديرية الجيزة فيما عدا ذلك ، و يسميها العامة أتر النبى بالتاء بدل الثاء فى أثر . و يبلغ عدد سكانها ١٨٣٨ نفساً طبقاً لتعداد سنة ١٩٣٧ .

٥ — **دير الطين** : بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة . ورد فى معجم البلدان دير الطين موضع بأرض مصر على شاطئ النيل فى طريق الصعيد قرب الفسطاط متصل ببركة الحبش وورد اسمها فى الانتصار ضمن الديورة والكنائس التى بمصر القديمة .

وكانت الأرض الزراعية التابعة لهذه القرية مقيدة فى دفاتر المكلفات والأموال باسم بركة الحبش التى كانت من النواحى المالية القديمة من عهد الفتح العربى . وفى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨هـ الموافقة سنة ١٨١٣ م قسم زمام بركة الحبش على ناحيتى دير الطين والبساتين و بذلك اختفى اسم بركة الحبش وأصبحت دير الطين ناحية قائمة بذاتها .

وذكر أميلينو فى جغرافيته اسمها القبطى Bmonasterion Biomi ومعناها دير الطين وهى ترجمة الاسم من القبطية إلى العربية وقال إنه يرجح أن هذه التسمية سببها بناء الدير فى أول أمره بالطين أو بالطوب اللبن بدل الآجر وهو الطوب الأحمر .

ودير الطين تابعة لمحافظة القاهرة فى أعمال الضبط والصحة والقرعة ولمديرية الجيزة فيما عدا ذلك .

و يعرف دير الطين أيضاً باسم دير مارى حنا

قال الشابشتى فى كتاب الديارات :

« دير مارى حنا على شاطىء بركة الحبش وهو قريب من النيل و إلى جانبه بساتين أنشأ بعضها الأمير تميم ابن المعز ، ومجلس على عمد حسن البناء مليح الصنعة مسور أنشأه الأمير تميم أيضاً .

و بقرب الدير بئر تعرف ببئر مماتى عليها جميزة كبيرة يجتمع الناس إليها و يشربون تحتها .

وهذا الموضع من مغانى اللعب ومواطن القصف والطرب وهو نزه فى أيام النيل وزيادة البركة . حسن المنظر فى أيام الزرع والنواوير . لا يكاد حينئذ يخلو من المتنزهين والمطربين .

وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه .

وهذا الدير يعرف اليوم بدير الطين بالنون .

وفى سنة ١٩٣٧ كان عدد سكان ناحية دير الطين ٢٠٧١ نفساً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٦ — **بركة الحبش** : (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هذه البركة كانت واقعة جنوبى مدينة مصر (القديمة) فيما بين النيل والجبل . وذكر المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على البرك (ص ١٥٢) : بأن هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وبركة حمير وباصطبل قرة وباصطبل قامش وبركة الأشراف وبركة الحبش وهو الاسم الذى اشتهرت به .

وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنوياً بواسطة خليج بنى وائل الذى كان يأخذ ماءه من النيل جنوبى مصر القديمة ، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ولهذا سميت بركة . وبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث لليونها بل تلاق لوقا وتزرع أصنافاً شتوية أسوة بأراضى الملق التى فى حياض الوجه القبلى .

وأما اليوم فقد بطلت طريقة الرى الحوضى لهذه الأرض وأصبحت تروى رياً صيفياً وشتوياً من ترعة الخشاب التى تأخذ مياهها من النيل بواسطة طلمبات الليثى ببلدة الصف فى أيام الصيف ، وبواسطة طلمبات بلدة الكريمات فى أيام فيضان النيل .

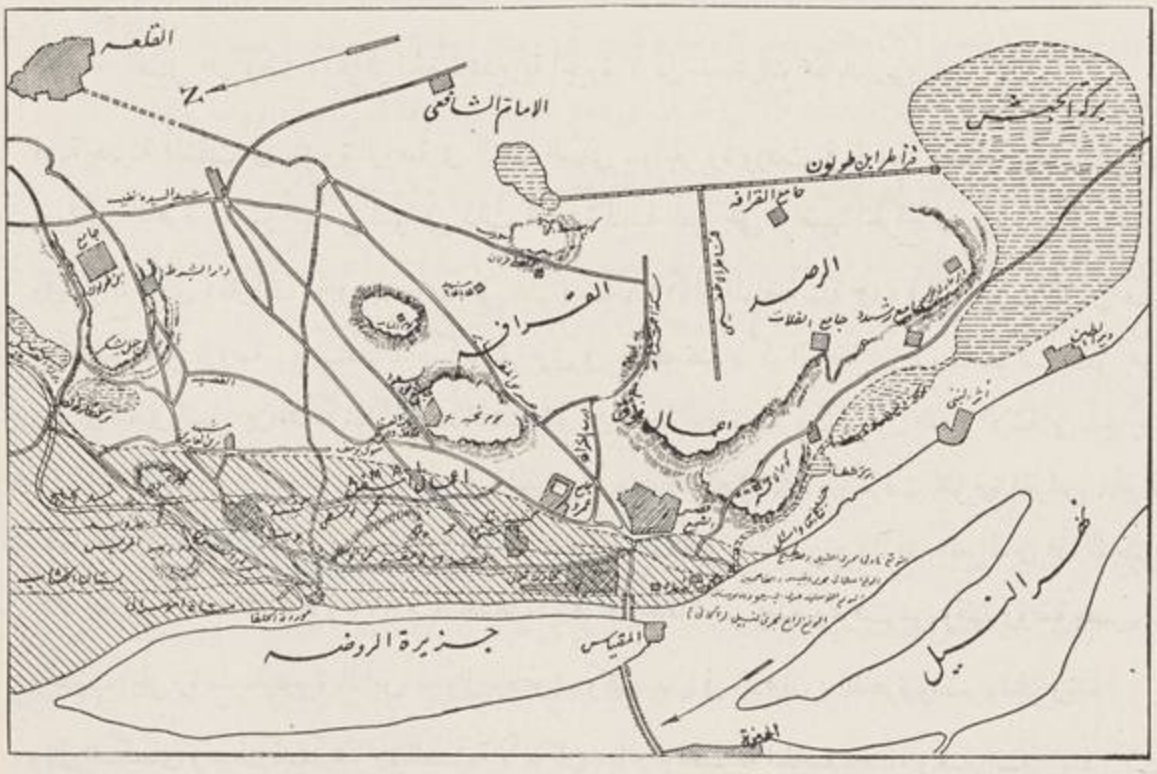

رسم يبين موقع شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة فى عصر الفتح العربى بالنسبة لموقعه فى العصر الحالى .
وترى بركة الحبش وخليج بنى وائل وجبل الرصد وأهم المعالم الأخرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويتضح مما ذكر المقريزى أنها سميت بركة الحبش لأنه كان يوجد بجوارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش فنسبت إليها البركة .

ويستفاد مما ذكره أبو صالح الأرمنى فى كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش ، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى أيضاً عند الكلام على هذه البركة حيث قال : « وفى تواريخ النصارى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصارى رباع الكنائس بالإسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر » .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لهذه البركة على موضعها اليوم يتبين أنها كانت تشغل من الأرض مساحة قدرها نحو ١٥٠٠ فدان منها ٢١٣ فداناً وهو مجموع الزمام المنزرع من أراضى قرية دير الطين ، والباقى من ناحية البساتين .

وتحد هذه المنطقة اليوم من الشمال : بصحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر وأرض قرية أثر النبى فى الحد الفاصل بينها وبين دير الطين . ومن الغرب : بجسر النيل فيما بين قرية دير الطين ومعادى الخبيرى . ومن الجنوب والشرق بباقى أراضى ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة .

٧ — *منيل الروضة* : بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

قرية حديثة أنشئت فى جزيرة الروضة فى العصر العثمانى . والجزيرة وردت فى قوانين الدواوين باسم الروضة من ضواحى القاهرة باعتبار أنها من النواحى ذات الوحدة المالية المقرر على أراضيها الخراج .

وفى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣ م ، قيدت أطيان هذه الجزيرة بإسم منيل الروضة . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند ذكر الروضة أن الروضة هو اسم يطلق على الجزيرة الواقعة فى النيل بين مدينة مصر (مصر القديمة) وبين مدينة الجيزة . عرفت فى أول العصر الإسلامى بالجزيرة وبجزيرة الفسطاط وجزيرة مصر . ولما أنشىء فيها المقياس فى سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) عرفت بجزيرة المقياس ، ثم لما أنشأ فيها أحمد بن طولون الحصن فى سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) عرفت بجزيرة الحصن ، ولما قدم المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب فى سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢ م) اتخذها متنزها له ولخلفائه من بعده وعرفت من وقتها بروضة مصر .

وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها والٍ وقاضٍ . وكان يقال فى الديوان : القاهرة ومصر والجزيرة .

وقال الكندى وتعرف قديماً بجزيرة الصناعة لأنه كان بها دار الصناعة الخاصة بإنشاء وتعمير السفن والمراكب من سنة ٥٤ هـ إلى سنة ٣٢٣ هـ (٦٧٤ — ٩٣٥ م) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ووردت فى المسالك لابن حوقل باسم الجزيرة وذكرها المقدسى فى كتاب أحسن التقاسيم فقال الجزيرة خفيفة الأهل يقع الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر مما يلى المصر (مصر القديمة) ، وبها بساتين ونخيل ومتنزه أمير المؤمنين عند الخليج (يعنى سيالة الروضة) بموضع يسمى المختارة (وهو بستان محمد بن طغج الأخشيدى وفى الروضة الآن شارع اسمه المختار يقع فى موضعه) .

ولما تكلم على مدينة الجيزة قال ويلقى الخليج (يعنى سيالة الروضة) العمود (يعنى مقياس النيل) تحت الجزيرة عند المختارة (يعنى بستان ابن طغج الأخشيدى بملاصقة المقياس و إلى شماله) .

وفى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) أنشأ الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى فى شمال هذه الجزيرة مكاناً نزهاً سماه الروضة ومن ذاك الوقت صارت الجزيرة تعرف بالروضة .

وذكرها الادريسى فى نزهة المشتاق فقال ومن شاء الانحدار (بطريق النيل) من مصر (مصر القديمة) إلى الأسكندرية خرج من مصر منحدراً إلى جزيرة انقاش وفى نسخ أخرى منها وردت محرفة أيضاً باسم أنقاس وأبقاس والعاس وكلها غلط فى النقل صوابه جزيرة المقياس . ثم قال ومنها إلى نبابه و إمبابه وهما مدينتان بين شطى النيل كانتا برسم تربية الوحوش فيهما فى مدة الأمير صاحب مصر و يقصد به الأمير أحمد بن طولون .

ووردت فى الانتصار لابن دقاق باسم الروضة وكانت فى زمنه تابعة لمدينة مصر (مصر القديمة) . ولا تزال تعرف إلى اليوم باسم جزيرة الروضة ، كما أنها تعرف فى دفتر المساحة والمكلفة باسم منيل الروضة .

وهى تابعة لمحافظة مصر فى أعمال الضبط والصحة والقرعة ولمركز الجيزة فيما عدا ذلك .

و يبلغ عدد سكان الروضة (أى الجزء الواقع إلى جنوب شارع الروضة) ٥١٠٧ نفساً وعدد سكان منيل الروضة (أى الجزء الواقع إلى شمال شارع الروضة) ٧٥٠٠ نفساً وذلك طبقاً لتعداد سنة ١٩٣٧ .

هذا وسنتكلم عن جزيرة الروضة بتوسع فى فصل على حدة من هذا الكتاب لأهميتها .

٨ — **الجيزه** قاعدة مديرية الجيزه بالوجه القبلى . (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من المدن القديمة التى أنشئت وقت فتح العرب لمصر . قال ياقوت فى معجم البلدان : الجيزة فى لغة العرب معناها الوادى أى أفضل موضع فيه . والجيزة بلد على النيل فى غربى فسطاط مصر قبالتها . وفى الخطط المقريزية قال : الجيزة الناحية والجانب والجيز جانب الوادى وقد يقال فيه الجيزة ثم قال والجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر . وذكر فى كتاب الانتصار أن مدينة الجيزة هى مدينة إسلامية بنيت فى سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) . وورد فى أحسن التقاسيم للمقدسى أن الجيزة مدينة خلف العمود (يقصد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مقياس النيل) كانت الطريق إليها من الجزيرة على جسر إلى أن قطعه الفاطمى ، والجادة (أى الطريق) منها إلى المغرب .

قال محمد بك رمزى فى مذكراته :

ذكر أميلينو فى كتابه جغرافية مصر إن اسمها القديم « تبرسيس » وهذا خطأ فان « تبرسيس » هو الاسم القديم لقرية « ترسا » الواقعة جنوبى الجيزة وهى من عهد الرومان وأما الجيزة فهى مدينة إسلامية أنشئت فى سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) كما ذكر سابقاً .

والجيزة هى قاعدة إقليم الجيزة من وقت إنشاء الكور إلى اليوم كما أنها قاعدة مركز الجيزة من سنة ١٨٨٤ م . ولكثرة سكان مدينة الجيزة وزيادة الأعمال الإدارية وأعمال الضبط بها صدر قرار فى سنة ١٩٢٥ بفصل مدينة الجيزة عن مركز الجيزة وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم مأمورية بندر الجيزة .

هذا وسنتكلم عن مدينة الجيزة ومعالمها الحالية كجامعة فؤاد الأول وسواها فى فصل على حدة لأهميتها .

٩ — ترسا بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة . ذكر أميلينو فى جغرافيته قرية باسم تبرسيس وقال إن هذا هو اسم مدينة الجيزة كما وردت فى كشف الإبراشيات وقال إنها وردت أيضاً فى السلم هكذا : الجيزة = تبرسيو

قال محمد بك رمزى فى مذكراته : إن ورود اسم الجيزة مع تبرسيس فى كشف الإبراشيات وفى السلم ليس معناه أن مدينة الجيزة كانت مدينة قديمة وأن اسمها الرومى هو تبرسيس بل الغرض من ذكر هذين الاسمين معاً هو الدلالة على أن مدينة الجيزة كانت تابعة لأبراشية تبرسيس كما ورد ذلك فى كثير من أسماء المدن الواردة فى كشف الأبراشيات مع أسماء أسقفياتها . ثم قال : وبالبحث تبين لى أن تبرسيس هى قرية ترسا هذه الواقعة على بعد خمسة كيلومترات جنوبى مدينة الجيزة وقد حرف اسمها من تبرسيس إلى ترسا كما وقع لأغلب القرى المصرية .

وإن ترسا من القرى القديمة التى وجدت من عهد الرومان وأما الجيزة فهى مدينة عربية أنشأها العرب فى سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) . وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة من أعمال الجيزية .

وورد فى الانتصار ترسا من أعمال الجيزة قال وهى بلدة قديمة ذكر أن القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر عمّر هذه البلدة . وأقول إنه يقصد أنه زاد فى عمارتها وإصلاح حالتها .

وقد ذكرت ترسا فى عهد الحملة الفرنسية على مصر بقيادة بونابرت بمناسبة هروب إبراهيم بك منها إلى الصعيد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٠ — **البدرشين** بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة . ورد فى تاج العروس بأن اسمها الأصلى بدرش كجعفر والنسبة إليها بدرشى ويقال بدرشين . قرية من أعمال الجيزة . وفى الانتصار البدرشين أم عيسى قال وهذه البلدة هى مدينة منف وكانت مصر الاقليم .

قال محمد بك رمزى فى مذكراته : وأقول إن هذه البلدة تقع فى منطقة من مدينة منف القديمة ووردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة البدرشين من أعمال الجيزية ووردت فى تاريخ الجبرتى باسم أمانة البدرشين (ص ١٠٠ ج ١)

وأم عيسى المنسوب إليها البدرشين فى الانتصار هى قرية أخرى كانت مجاورة للبدرشين وردت فى قوانين إبن مماتى وفى تحفة الإرشاد ضمن أعمال الجيزية ثم أضيفت مساكنها وأرضها إلى البدرشين و بذلك اختفى اسمها .

١١ — **ميت رهينه** بمركز العياط بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة اسمها الأصلى منية رهينه وردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة من أعمال الجيزية ثم حرف اسمها من منية إلى ميت فوردت بها فى تاريع (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣م .

وذكر جوتييه فى قاموسه كلمة « مات رهنت » وقال إن هذه الكلمة تطلق على طريق الكباش أمام معبد فتاح بمدينة منف ثم قال وقد نسب الأستاذ سبيجيلبرج كلمة « مات رهنت » إلى قرية ميت رهينه هذه التى هى فى مكان مدينة منف . وأنا أقول : إن جميع الظواهر تدل على صحة هذا التفسير .

ووردت فى تاريخ مصر للجبرتى محرفة باسم مائة رهينه من الجيزية (ص ١٠٠ ج ١)

١٢ — **سقاره** بمركز العياط بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من النواحى القديمة ، وردت فى قوانين ابن مماتى سقاره من أعمال الجيزية ، وفى التحفة أرض السدر قال وهى سقاره من حقوق أبو صير السدر من الأعمال المذكورة وهى تجاور أبو صير ، وورد فى التحفة ناحية أخرى باسم سقاره من الأعمال الجيزية كذلك وقال إنها من صفقة طمويه (طموه) وهذه قد اندثرت وتوزع زمامها على ناحيتى منيل شيحه وأبو النمرس .

وذكر جوتييه فى قاموسه قرية باسم « ساهوره » وقال إنها سقاره التى فى منطقة أبو صير بالجيزه ثم ذكر فى موضع آخر ناحية باسم « ساخت » وقال إنها مدينة بقسم منفيس ولم يرجعها إلى ما يقابلها من القرى الحالية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قال محمد بك رمزى فى مذكراته : ومن دراستى لتكوين أسماء المدن والقرى أرجح أن « ساخت » هو اسم سقارة المصرى ، وأن « ساهورة » هو اسمها العبرى ومن هذين الاسمين أتى اسمها العربى سقارة .

وأنا أقول : إن اسم بلدة سقاره مشتق من إسم الإله « سَقَر » وهو إله جبانة منف وكان يمثل على شكل إنسان يحمل رأس صقر ويعد إلهاً للموتى ، وقد أطلق اسمه على المنطقة أو الجبانة التى كان يسيطر عليها والتى كانت تعتبر فى نظر المصريين الطريق المقدس الذى يؤدى إلى الآخرة . وتقع قرية سقارة فى حدود هذه المنطقة .

١٣ — أبوصير بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة ، وردت فى معجم البلدان بوصير السدر بليدة من كورة الجيزة ، وفى قوانين ابن مماتى بوصير رجب وهى بوصير السدر ، وفى تحفة الارشاد بوصير رجب وهى بوصير الله ، وفى التحفة أبوصير السدر من أعمال الجيزية ، وفى تاريخ مصر للجبرتى ورد العجز محرفاً باسم أبو صير الصدر (ص ١٠٠ ج ١) والصواب أبوصير السدر وهو شجر النبق فاشتهرت به . وفى تاريخ (أى دفتر المساحة فى عهد محمد على باشا) سنة ١٢٢٨ هـ الموافقة سنة ١٨١٣ باسمها الحالى المختصر .

وأنا أقول : إن هـذا الاسم مشتق من إسم الإله « بوزيريس » القديم وهو إدماج لاسم الإله أوزيريس مع اسم العجل أبيس . وكان هذا الاسم يطلق على جميع القرى التى كان بها معابد لهذا الإله فسميت بوزير ومعناها معبد الإله بوزيريس ثم حرف الاسم إلى أبو صير .

١٤ — أبو النمرس بمركز الجيزة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة ، ذكرها أميلينو فى جغرافيته باسم « بونمنروس » وهو اسمها الأصلى ، ووردت فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد بو النمرس من أعمال الجيزية ، وفى التحفة باسمها الحالى .

١٥ — دهشور بمركز العياط بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى القديمة إسمها القديم « أقنطوس » ذكرها استرابون فى جغرافيته وقال أنها واقعة فى جنوبى منف على الجانب الليبى أى المجاور للجبل الغربى . وذكرها أميلينو فى جغرافيته باسم « اقنطون » .

قال محمد بك رمزى فى مذكراته : وبالبحث تبين لى أن « أقنطوس » هو الإسم الرومى لقرية دهشور هذه . ذكرها الأدريسى فى نزهة المشتاق دهشور عند الكلام على إهرامات الجيزة . ووردت فى معجم البلدان بأنها قرية كبيرة من أعمال مصر غربى النيل من الجيزية . وفى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد وفى التحفة دهشور من أعمال الجيزية .

وذكر محمد بك النجّارى فى قاموسه Acanthe وأمامها دهشور قرية بمصر والنسبة اليها Acanthien دهشورى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٦ — **أوسيم** بمركز امبابه بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من المدن القديمة ذكرها جوتييه فى قاموسه فقال إن اسمها المصرى الدينى « أريت » والمدنى « سخم » والقبطى « أوشم » ومنه اسمها العربى « أوسيم » والرومى « ليتوبوليس » . قال وهى قاعدة القسم الثانى بالوجه البحرى . وذكر لها إسماً آخر وهو « بوشيم » أى بزيادة حرف « ب » وهو علامة المكانية لاسم القرية . ويلاحظ هنا أن أوسيم اعتبرت بالوجه البحرى لأن رأس الدلتا كان فى هذا العصر إلى جنوب موقع القاهرة كما سترى ذلك فيما بعد .

وذكرها أميلينو فى جغرافيته فقال إن اسمها القبطى (Bouschim) .

ووردت أيضاً فى كتب القبط باسم Bouschêm و Ouschêm و Schem و Wasim و Ousim ، وهو اسمها الحالى . واسمها العربى القديم وسيم وردت به فى كتاب المسالك لابن خرداذبه ، وفى كتاب البلدان لليعقوبى ضمن كور مصر ، ثم وردت به أيضاً فى معجم البلدان فقال وسيم كورة بمصر فى الضفة الغربية من النيل دون الجيزة وعلى بعد ثلاثة فراسخ منها ، ثم وردت فى تحفة الإرشاد أوسيم وهو لفظها على لسان العامة . وقال فى الانتصار وهى أم الكورة أى قاعدتها ، وفى التحفة أوسيم من الأعمال الجيزية وفى الخطط التوفيقية وسيم وهو اسمها القديم .

وكانت أوسيم قاعدة قسم أول جيزه ويعرف بقسم أوسيم لوجود مقره بها ثم نقل منها ديوان المركز والمصالح الأخرى إلى امبابة لوقوعها على السكة الحديدية فى سنة ١٨٨٤ على أن يبقى باسم مركز أوسيم . وفى سنة ١٨٩٦ صدر قرار بتسميته مركز امبابة لوجوده بها .

وورد فى الخطط التوفيقية عند ذكر وسيم أن اليونان كانت تسميها « أقنطوس » أو « أقنطه » أو « أقنطون » قال محمد بك رمزى : إن أقنطوس (Acanthus) ذكرها أسترابون فى جغرافيته وقال إنها واقعة جنوبى منفيس على الجانب الليبى أى بجوار حاجر الجبل وبالبحث تبين أن « أقنطوس » هى القرية التى تعرف اليوم باسم « دهشور » بمركز العياط وليست أوسيم .

١٧ — **أمبابه** : قاعدة مركز أمبابه بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

وردت فى نزهة المشتاق للادريسى باسم « نبابه » ثم حدث أن قسمت هذه البلدة إلى خمس نواح : وهى منية تاج الدولة التى تعرف اليوم باسم تاج الدول ، ومنية كرداك التى تعرف اليوم باسم ميت كردك ، ومنية أبو على التى تعرف اليوم باسم كفر الشوام ، وكفر الشيخ إسماعيل ، وجزيرة أمبابه .

وهذه النواحى مدرجة فى جدول أسماء البلاد الحالية باسمائها المذكورة . كل ناحية قائمة بذاتها إلا أنه بسبب تجاورها فى السكن لا يزال يطلق على مجموعها اسم «امبابة» وإليها ينسب مركز امبابة أحد مراكز مديرية الجيزة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٨ — **منبوبة** : بمركز أمبابة بمديرية الجيزة (عن مذكرات محمد بك رمزى)

ويقال لها أنبوبة فهذه تعرف اليوم باسم أمبوبة وقد أضيفت إلى ناحيتى وراق الحضر وميت النصارى وأصبح يتكون من هذه النواحى الثلاث قرية واحدة مشتركة فى الزمام والإدارة باسم « وراق الحضر وأمبوبة وميت النصارى » بمركز أمبابة بمديرية الجيزة .

١٩ — **المطرية** : بمأمورية ضواحى مصر بمديرية القليوبية . (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى المصرية القديمة وردت فى معجم البلدان لياقوت حيث قال : إنها من قرى مصر و بأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطبى ، ووردت المطرية فى كتاب التحفة السنية لأبن الجيعان بأنها من مصر ، وفى الخطط المقريزية باسم منية مطر .

قال محمد بك رمزى فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة (ص ٢٦٨ ج ٦) :

إن المطرية هذه لا تزال موجودة فى الضواحى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة ، و بها محطة للسكة الحديدية الموصلة بين محطة كوبرى الليمون و بين قرية المرج . وكان بأراضى ناحية المطرية مدينة عين شمس القديمة التى تسمى بالمصرى « آن » أو « رع » أى الشمس ، وبالعبرى « أون » و يقال لها « عون » و بالرومى « هليو بوليس » أى مدينة الشمس . وقد اندثرت المدينة ولم يبق من آثارها إلا إحدى المسلتين اللتين كان أقامهما على الباب الكبير لمعبد « رع » الملك سينوسرت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وأما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م .

واليوم يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية فى شمال محطة المطرية .

كما يطلق اسم « هليو بوليس » على المدينة الجديدة التى أنشئت فى سنة ١٩٠٦ بالصحراء الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وهى المعروفة « بمصر الجديدة »

و يوجد بأراضى المطرية بستان قديم يعرف ببستان البلسم به شجرة و بئر يزعمون أنهما من آثار السيدة مريم العذراء عند مرورها بأرض مصر مع ولدها عيسى عليه السلام . ولا تزال هذه الشجرة موجوده إلى اليوم . وتعرف بشجرة العذراء ، يعظمها النصارى و يقصدونها للتبرك بها .

وأقول : أننى تكلمت عن هذا الموضوع بالاسهاب الكافى فى كتاب « منطقة قنال السويس » بالفصل الحادى عشر صفحة ١٠٣ و ١٠٤ فارجع إليه لزيادة الايضاح .

هذا أما مدينة عين شمس القديمة وضاحية مصر الجديدة الحالية فسنتكلم عنهما بأسهاب فى فصل خاص للأهمية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢٠ — أم دُنين (عن مذكرات محمد بك رمزى)

هى من القرى المصرية القديمة لها ذكر فى فتح العرب لمصر. ولما تكلم المقريزى فى خططه على المقس (ص ١٢١ ج ٢) قال أن المقس قديم وكان فى الجاهلية قرية تعرف بأم دنين وهى الآن أى فى زمنه محله بظاهر القاهرة فى بر الخليج الغربى على ساحل النيل حيث كانت واقعة علية وقت إنشاء القاهرة ثم قال وأنشأ الإمام المعز لدين الله أبوتميم معد فى المقس الصناعة وبه أيضاً أنشأ الإمام الحاكم بأمر الله أبوعلى منصور جامع المقس. وقال القاضى أبو عبدالله القضاعى المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين وإنما سميت المقس لأن العاشر وهو صاحب المكس كان يقعد بها لأخذ المكس فقيل لها المكس ثم قلبت الكاف فقيل لها المقس

والمكس فى اللغة الجباية مكسه يمكسه مكساً. والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق ثم صارت تؤخذ على الوارد إلى المدن من أنواع المأكولات وغيرها.

وقال ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة وسمعت من يقول أن المقس هو المقسم قيل لأن قسمه الغنائم عند الفتوح كانت به.

قال محمد بك رمزى: ومما ذكر يتبين أن أم دنين والمكس والمقس والمقسم كلها أسماء مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عمادالدين ثم شارع الملكة نازلى من النهاية البحرية لشارع عماد الدين ثم ميدان محطة مصر ثم شارع غمره إلى فم الترعة الاسماعيلية.

وقرية أم دنين يسميها الروم « تندونياس » Tendunyas وبالبحث عن المكان الذى كانت فيه هذه القرية وقت فتح العرب لمصر تبين لى أنها كانت تشغل المنطقة التى تحد اليوم من الغرب: بميدان باب الحديد فشارع الملكة نازلى فشارع عماد الدين. ومن الجنوب: بشارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة. ومن الشرق: بشارع الكنيسة المرقسية (الدرب الواسع سابقاً) وسكة شق الثعبان وحارة الحدره. ومن الشمال: بشارع بين الحارات إلى أن ينتهى الحد بباب الحديد.

ويدخل فى هذه المنطقة القسم البحرى من شارع إبراهيم باشا وفيه جامع أولاد عنان وهو فى مكان الجامع الذى أنشأه فى المقس الحاكم بأمر الله أبو منصور على فى سنة ٣٩٣ هـ باسم الجامع الأنور ويقال له جامع المقس أو جامع المقسى أوجامع باب البحر.

لا يدخل فى حدود قرية أم دنين شارع كامل (الذى كان جزءا من شارع إبراهيم باشا) ولا حديقة الأزبكية لأن قرية أم دنين كانت واقعة على شاطئ النيل فى أرض ذات منسوب مرتفع لا تغمره مياه النيل وقت الفيضان. وأما شارع كامل وحديقة الأزبكية فأرضهما منحطة عن منسوب أرض سكن أم دنين وكان فى موضعهما

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أراض زراعية يغمرها ماء النيل سنوياً وكان يتخلف فيها بعد الفيضان بركة كانت تعرف ببركة الأزبكية . و إلى هذه البركة ينسب شارع وجه البركة الذى يرى كل من مر فيه أنه أوطى من منسوب شارع القبيلة والحارات المتفرعة بينه و بين شارع وجه البركة . وعادة تكون المساكن فى الأراضى المرتفعة وليست بأرض البرك كما يظهر من تحديدنا لهذه القرية . اه .

وأنا أقول : إن جامع أولاد عنان أصله كنيسة قديمة باسم مارى جرجس كانت قائمة على شاطىء النيل قبل الفتح العربى بزمن طويل . وفى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى هدمت هذه الكنيسة بأمر الحاكم ثم جددت بأمر آخر أصدره قبل موته وحولت إلى جامع . . ولذا يزوره النصارى والمسلمون على السواء لغاية الآن فى يوم الجمعة مساءا من كل أسبوع تبركا .

قال الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض صاحب المجلة القبطية عند كلامه على الكنائس والديورة فى الملحق (د) بدليل المتحف القبطى (ص ٢١١ ج ٢) ما يأتى :

من المعلوم أنه قد هدمت كنائس جمة فى أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى ثم جدد بعضها بعدئذ بسجل أصدره قبل موته . وقد ترك لنا الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس مسعود الذى توفى بعد سنة ١٢٠٩ م كتاباً خاصاً بالكنائس والديورة التى كانت قائمة فى القرن الثانى عشر ضاع منه ما ضاع و بقى منه مائة ورقة خاصة بالوجه البحرى . يليه جزء خاص ببعض كنائس بلاد آسيا وأوربا والقدس وسوريا و إنطاكية والقسطنطينية وملخص تاريخ الشابشتى فى ثلاث وتسعين ورقة ، وثلاث ورقات خاصة بعجائب الدنيا السبع و بعض عجائب أخرى وكراسى الاسقفيات .

وقد أخذ ڤانسليب جزءا من هذا الكتاب لما زار الديار المصرية فى سنة ١٦٧٤م أودعه المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٣٠٧ نسب لأبى صالح الأرمنى وطبع فى أكسفورد بالعربية والإنجليزية فى سنتى ١٨٩٤ و ١٨٩٥ م وترجمة إڤيتس بحواش من العلامة بتلر .

و يتضمن هذا الجزء كنائس وديورة الوجه القبلى و بعض بلاد أفريقيا وآسيا وقد جاء متمماً للقسم الأول الموجود فى حيازتنا .

و يظهر أنه نسب إلى أبى صالح الأرمنى لذكر اسمه بالورقة الأولى وهى بغير الخط الأصلى وفيها خطأ وقد استخرجنا من هذين الجزءين جدولاً يتضمن الكنائس والديورة إلى سنة ١٢٠٠ م مع العلم أن بهما لسوء الحظ نقصاً كبيراً لفقدان عدة أوارق منهما .

ثم قال بمناسبة الكلام عن كنائس مصر القاهرة وضواحيها (ص ٢١٤) : بيعة جرجس (فى مكانها جامع أولاد عنان) اه .

و يتضح من هذا ومن مراجع أخرى أن جامع أولاد عنان يقوم اليوم مكان كنيسة مارى جرجس القديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثانى عشر

تنقلات العواصم المصرية القديمة فى منطقة القاهرة

تنقلات العواصم تبعاً لتطورات النهر :

مما يلفت النظر فى دراسة العواصم المصرية القديمة التى نشأت عند رأس الدلتا منذ عهد « منف » إلى الآن ، أن تنقلات هذه العواصم كانت خاضعة للعوامل الطبيعية الخاصة بتطورات نهر النيل فى المنطقة التى تعرف الآن بإسم منطقة القاهرة .

و يمكننا حسب نظام القوانين الطبيعية لتكوين الأنهار أن نتتبع تطورات نهر النيل ومحاولاته المستمرة فى تنظيم مجراه بهذه المنطقة . وتنحصر هذه المحاولات فيما يلى :

أولاً : — تنقل مجرى النيل من الشرق إلى الغرب .

ثانياً : — تنقل رأس الدلتا من الجنوب إلى الشمال .

وبديهى أن هذه المحاولات ترجع إلى زمن متوغل فى القدم .

و بديهى أيضاً أن تطورات العواصم المصرية التى قامت عند رأس الدلتا منذ أقدم العصور التاريخية المعروفة ترتبط بهذه المحاولات ارتباطاً وثيقاً .

فإلى الحركة الأولى أى تنقل مجرى النيل من الشرق إلى الغرب يرجع السبب فى نقل العواصم المصرية من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية للنهر . فمنف مثلاً كانت على ضفة النيل الغربية ولكن مصر والفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة أقيمت على الضفة الشرقية للنهر .

و إلى الحركة الثانية أى تنقل رأس الدلتا من الجنوب إلى الشمال ترجع حركة تنقل العواصم المصرية من الجنوب إلى الشمال أيضاً . فإذا كانت مدينة منف أقيمت فى العصر الفرعونى فى موقعها المعروف عند البدرشين وميت رهينة فذلك لأن رأس الدلتا أى نقطة تقابل الوجه القبلى بالوجه البحرى كانت إلى جنوب هذا الموقع . كما أن هذا المكان كان ملتقى الطرق الذى اعتاد الليبيون الهجوم على وادى النيل منه فأقيمت فيه أولاً قلعة لحماية الطريق من جهة ، وللتحكم فى مدن الوجه البحرى المفتوحة حديثاً من جهة ثانية .

وإذا كانت العواصم المصرية التالية التى أقيمت عند رأس الدلتا مثل مدينة مصر ومدينة الفسطاط ومدينة العسكر ومدينة القطائع وأخيراً مدينة القاهرة وقعت إلى شمال موقع منف فذلك لأن رأس الدلتا كانت تتنقل من الجنوب إلى الشمال .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكانت الفكرة عند انتخاب موقع العاصمة الجديدة أن تكون دائماً عند رأس الدلتا .

وإذا كان لا يوجد بمجرى النيل الحالى فى المسافة الواقعة بين حلوان جنوباً ودير الطين شمالاً جزائر متسعة يستشهد بوجودها على تفرع النيل قديماً من هذه النقط (وذلك فيما عدا جزيرة البدرشين) فهذا نتيجة اتصال الجزائر القديمة بالشاطىء كما هو معروف .

على أنه لدينا ما يثبت أن رأس الدلتا فى العصر الفرعونى كانت إلى جنوب مدينة منف وأن حلوان وينابيعها المعدنية كانت أولا على شاطىء النيل الغربى ثم لما تحول مجرى النهر الأصلى ، الذى كان يجرى تحت سفح الجبل الشرقى ، نحو الغرب ، بسبب تراكم رواسب الوديان فيه ، دارت المياه حول منطقة حلوان الصخرية الصلبة وحفرت مجراها إلى الجهة الغربية منها .

ومن الأدلة التى تثبت أن رأس الدلتا فى عهد مينا كانت إلى جنوب مدينة منف ، ما نلاحظه الآن من الظواهر الطبيعية التى تدل على أن النهر كان يتفرع عند قناطر قشيشة الحالية بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف .

ذكر هيرودوت أن الفرع الأكبر للنيل كان يمر بجوار صحراء ليبيا .

ولا يزال المجرى الأصلى للنهر ظاهراً للآن فى بحر اللبينى المار بمحازاة هذه الصحراء والذى كان مستعملاً فى رى حياض مديرية الجيزة إلى عهد قريب . وفم هذا البحر عند قناطر قشيشة المذكورة أعلاه .

ومن المعروف أن لفظة « بحر » لا تزال تطلق للآن على مجارى المياه التى كانت فى الأصل من فروع النيل القديم مثال ذلك بحر يوسف وبحر شبين والبحر الصغير وبحر تيره الخ الخ . . . فبحر اللبينى إذن عبارة عن فرع قديم كان يخرج من النيل عند موقع قناطر قشيشة الحالية . ومعنى ذلك أن رأس الدلتا كانت تقع هناك أعنى إلى جنوب منف .

وهناك أدلة أخرى تثبت أيضاً أن رأس الدلتا فى العصر الفرعونى كان إلى جنوب مدينة منف منها ما نلاحظه من فحص القوائم التى خلفها الفراعنة منقوشة على جدران المعابد والمقابر أو مدونة على أوراق البردى وبها أسماء مقاطعات الوجه البحرى وأسماء مقاطعات الوجه القبلى . فمقاطعتى منف وأوسيم تدخلان ضمن مقاطعات الوجه البحرى ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت رأس الدلتا إلى جنوب منف .

ومما يلاحظ أيضاً أن مقاطعة منف انتقلت فى قوائم المقاطعات ، إبان العصر اليونانى ، من قائمة مقاطعات الوجه البحرى إلى قائمة مقاطعات الوجه القبلى ، وبعد ذلك انتقلت أيضاً مقاطعة أوسيم من قائمة الوجه البحرى إلى قائمة الوجه القبلى ، فهذه من الدلائل التى تثبت أن رأس الدلتا تنقلت من جنوب هذه المقاطعات إلى شمالها فى العصور المتتالية .

وإذا كان كشف الأبروشيات القبطية القديمة يعد إطفيح (بمركز الصف الآن) ودلاص (بمركز الواسطى الآن) أول مدينتين فى الوجه القبلى إلى جنوب رأس الدلتا فلم يكن هذا الوضع فى العصر القبطى إلا تذكاراً للحالة التى كانت فى العصور السابقة .

ولا بد لنا الآن من بيان مقاطعات الوجه البحرى ومقاطعات الوجه القبلى فى العصر الفرعونى ثم بيان الأبروشيات القبطية القديمة والحديثة فى كل من الوجهين البحرى والقبلى إثباتاً لما سبق ذكره .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كشف ببيان مقاطعات الوجه البحرى فى العصر الفرعونى وعددها ٢٠ مقاطعة وهى :

رقم المقاطعة	شعار المقاطعة (مصرى)	معنى شعار المقاطعة	آلهة المقاطعة	الاسم المصرى لعاصمة المقاطعة	الاسم اليونانى للمقاطعة	الاسم الحالى لموقع العاصمة
١	إنب — حز	القلعة البيضاء ...	أبيس ، فتاح ، سخمت ، نفرتم ، سقر (إله الجبانة)	إنب — حز ، ثم من — نفر	منفيس	البدرشين وميت رهينة
٢	دواو ...	الفخد	الصقر المحنط	اسمها الدينى سخم واسمها المدنى أوشين	ليتوبوليس	أوسيم
٣	إمن (الغرب)	ريشة نعام ...	أمنتى إلهة الغرب وعلى رأسها ريشة	بحدتى	هرموبوليس برفا ...	دمنهور
٤	سابى شيا ..	سهما الجنوب ...	نيت	زكا	بروزوبيتس	بالقرب من منوف ؟
٥	سابى مح ..	سهما الشمال ...	نيت	ساو	سايس	صالحجر
٦	كا خا ست	ثور الصحراء ...	رع وآمون رع ...	بوتو	فراجونيس. اكسوويس	أبطو (تل الفراعين) ثم تل سخا بمركز كفر الشيخ
٧	نيفر أمنتى ..	الخطاف الغربى	حا إله الجبل والثالوث أوزير وأزيس وحور الطفل	برحانب أمنتى ومعناه بيت الاله حا سيد الغرب	ميتليس	فوه
٨	نيفر إيابتى ..	الخطاف الشرقى	آتوم	بر — آتوم أو تكو أو فيثوم	بتاموس ، بيتوم ، هيرون بوليس ...	التل الكبير ثم تل المسخوطة بجوار الاسماعيلية
٩	عنزتى ..	الحامى	عنزتى ، أوزير	بر — أوزير — نب — زد ومعناه بيت أوزير سيد زد	بوزيريس	أبو صير بنا بقرب سمنود
١٠	كم ور ...	الثور الأسود العظيم	حور خنتى خت	حث — تا — حرى — إب ومعناه قصر الأقليم الأوسط	أتريبيس	تل أتريب بجوار بنها
١١	كا حسب ...	ثور حسب ...	حور مرتى	حسبت	فاربوتس	شدنو ثم هربيط بمركز كفر صقر
١٢	—	عجل بقر	أنحور ، إزيس	زبات نتر	سبنوتس ، إزيوم	سمنود
١٣	حكا عز ..	العمود	الفنكس ، الثور منفيس ، آتوم ، رع والتاسوع	أون ثم بر — رع ...	هليوبوليس	عين شمس (تل الحصن)
١٤	خنت إيابتى	نهاية الشرق ...	الصقر حور	زبات مح مسنت ثم بحدت محت ومعناه هيكل الوجه البحرى للاله حور ...	تانيس	صان الحجر
١٥	تحوت ...	أبو قردان ...	الاله تحوت	بر — تحوت	هرموبوليس برفا ...	تل الناقوس بمركز المنصورة
١٦	—	الدرفيل ...	التيس «خنوم» ثم «أوزير»	بر — با — نب — زد ومعناه بيت روح سيد زد	منديس	تل الربع (تمى الأمديد)
١٧	بحدتى ...	معبد حور ...	«أنوبيس» ثم «حور» ثم «آمون رع» ...	بحد ثم بر — إبو — إن — إمن ومعناه بيت جزيرة آمون	ديوسبوليس برفا (السفلى)	تل البلامان بناحية كفر الترعة القديمة بمركز شربين
١٨	إموخنتى ...	الطفل الملكى العلوى	الاله «باست» القطة	بو باست	بوبسطس	تل بسطا بجوار الزقازيق
١٩	إموبحو ...	الطفل الملكى السفلى	وزيت ، بوات ، حور الطفل	إمت ثم بوتو	بوتو	تل فرعون بجوار فاقوس
٢٠	عخم ..	صقر محنط على سرير	حور سبد	بر سبد	العرب	صفط الحنه

لحظ أن مقاطعتى منف وأوسيم تدخلان ضمن مقاطعات الوجه البحرى وهذا يدل على أن رأس الدلتا فى هذا العصر كانت إلى جنوب مدينة منف .

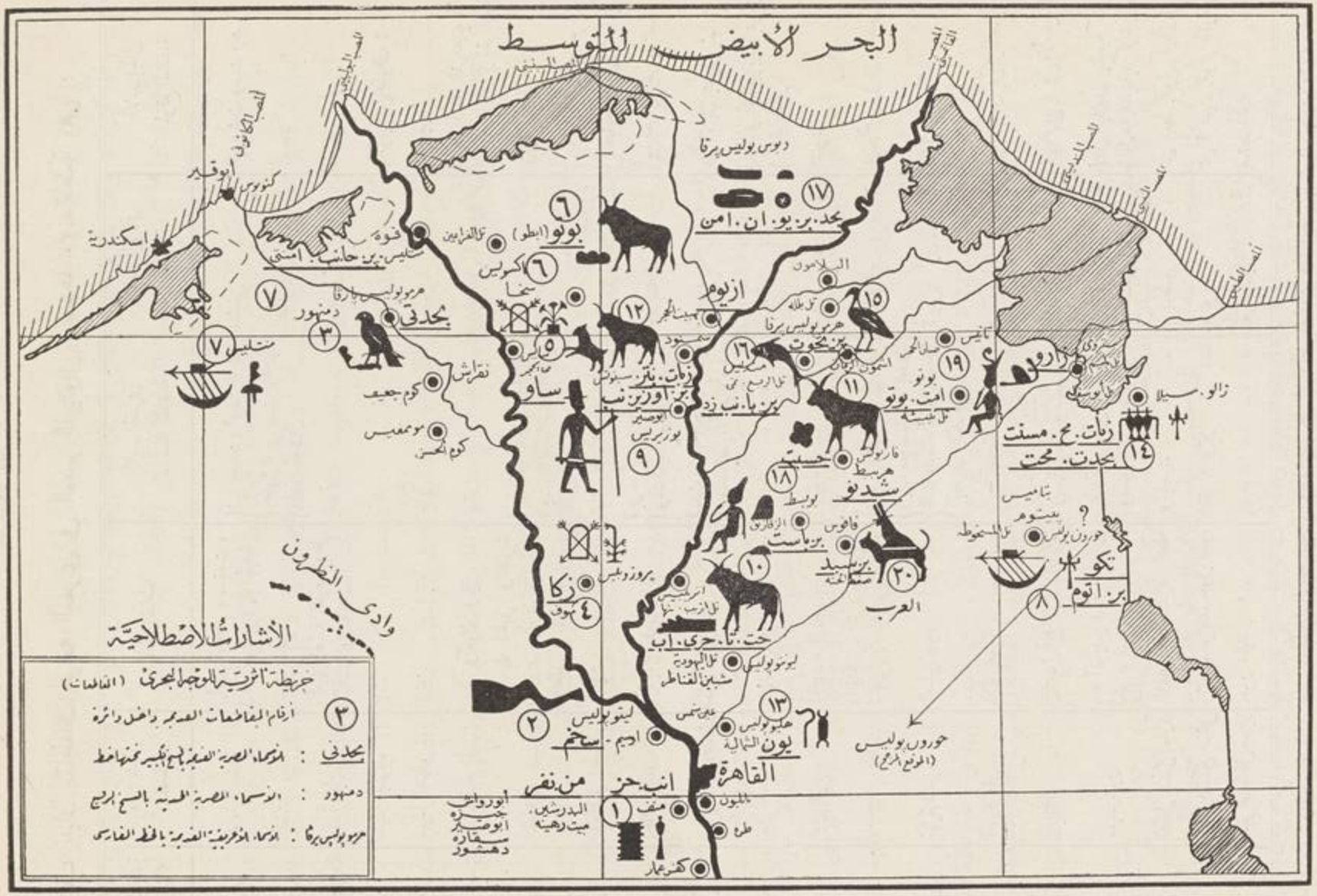

خريطة المقاطعات بالوجه البحرى فى العصر الفرعونى ويلاحظ أن عددها ٢٠ مقاطعة ولكل مقاطعة منها شعار خاص مرسوم عليها
كما يلاحظ أن مقاطعتى منف وأوسيم تدخلان ضمن مقاطعات الوجه البحرى وهذا يدل على أن رأس الدلتا فى هذا العصر كانت إلى جنوب مدينة منف

(رسم مأخوذ من كتاب « مصر القديمة » تأليف الأستاذ الكبير سليم بك حسن)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كشف ببيان مقاطعات الوجه القبلى فى العصر الفرعونى وعددها ٢٢ مقاطعة وبيانها كالآتى :

شعار المقاطعة (مصرى)	معنى شعار المقاطعة	آلهة المقاطعة	الاسم المصرى لعاصمة المقاطعة	الاسم اليونانى للمقاطعة	الاسم الحالى لموقع العاصمة
تا ستت ...	أرض الالهة «ستت»	خنوم . ستت . عنوقيت . ست	آبو مدينة الفيلة ...	الفنتين	جزيرة أسوان
وتست حر	عرش حور ...	حور	زبات بجدت ، مسنت هيكل الوجه القبلى للصقر	أبولو نوبوليس ...	أدفو
نخن	ريشتان	نخبت . حور . نيت ...	العاصمة الدينية نخب العاصمة المدنية نخن ثم ايونيت	اليتياسبوليس هراكنبوليس ...	بيخاب : الكاب بالقرب من المحاميد مركز ادفو. نخن : الكوم الأحمر ايونيت : إسنا
واس ...	الصولجان عليه ريشة	منتو . آمون رع . موت . خنسو .	برمنتو . واست مدينة الصولجان وتسمى نت آمون. مدينة آمون (طيبه)	لاتوبوليس. هرمنتر ديوسبوليس مجنا .	أرمنت . الأقصر والكرنك
نتروى ...	الصقران ...	مين حور . إزيس . ست . نوبتى	جبتيو (بلد رجال القوائل)	قبتوس . أمبوس ...	قفط
زام	التمساح وعلى رأسه ريشة	حتحور . حور بحدتى . إيحى .	تا إيونت نترت (عمود الآلهة)	تانتيريس	دندره
سشت ...	رأس بقرة ثم شخشيخة	نفتس . حتحور	حت	ديوسبوليس برفا ...	بلدة هو مركز نجع حمادى
نا ور ثم آب	الأرض العظيمة	خنت – أمنتى ، أوزير فى الجبانة على شكل ذئب	تنى وفى الجبانة أبدو ..	أبيدوس	العرابة المدفونة مركز البلينا
خم	صاعقة الاله «مين» والريشة	مين	آبو	بانوبوليس	إخميم
وزيت ...	ثعبان على رأسه ريشة	البقرة «حتحور» ...	زبتى . بروازيت ...	أفروديتوبوليس ...	بلدة النعلين مركز أبوتيج وكوم إشقاو « طما
ست ...	حيوان الاله ست وفى رأسه سكين	ست . الكبش «خنوم»	شاس حنب	هيبسيليس	شطب « أسيوط
« زوحفت »	جبل الثعبان ..	حور نبتى . ميتيت ...	بر حر نبتى	هراكنبوليس أنتيوبوليس ...	قاو الكبرى « طما
آتف خنتت	شجرة البطم العليا	وبوات	ساوتى	ليكوبوليس	أسيوط
آتف بحوت	شجرة البطم السفلى	حتحور	جسا	كوساى	القوصية « منفلوط
ون	الأرنب البرى	نحوت	ونت . خنو	هرموبوليس مجنا ...	الأشمونين « ملوى
ما حز ...	المها الأبيض يحمل الصقر فوق ظهره	« حور » قاهر المها ..	حبنو	هيبيس	زاوية الأموات « المنيا
أنوبيس ...	الذئب على ظهره ريشة	أنوبيس . حور	كاسا . حت نيسوت (قصر ملك الوجه القبلى)	كينوبوليس . سينوبوليس	القيس « بنى مزار
سبا	صقر محلق ...	حور	سبا . حت بنو (قصر الفنكس)	هبونوس	الحيبة « الفشن
وابو ...	الصولجان ...	ست . ارو شبسس (الصورة الفخمة)	واب سب مرى . برمزد	أوكسيرنيكوس ...	البهنسا « بنى مزار
نعرت خنتت	شجرة النخيل أو الرمان العليا	الكبش « حرشف »	حفن نيسوت (بلد طفل الملك)	هراكليوبوليس مجنا	إهناسية المدينة « بنى سويف
نعرت بحوت	شجرة النخيل أو الرمان السفلى	«حور» والكبش «خنوم»	شدت . برشدت (بيت التمساح)	كروكوديلوبوليس	الفيوم
دمات ...	السكينة	حتحور . إزيس ...	بر حمت (بيت البقرة حمت)	أفروديتوبوليس الشمالية	أطفيح « الصف

ويلاحظ أن أطفيح معتبرة أول مدينة فى الوجه القبلى وهذا يدل على أن رأس الدلتا كانت إلى شمالها مباشرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

خريطة المقاطعات بالوجه القبلى فى العصر الفرعونى ويلاحظ أن عددها ٢٢ مقاطعة ولكل مقاطعة منها شعار خاص مرسوم عليها.
كما يلاحظ أن إطفيح معتبرة أول مدينة فى الوجه القبلى وهذا يدل على أن رأس الدلتا كانت إلى شمالها مباشرة.
(رسم مأخوذ من كتاب « مصر القديمة » تأليف الأستاذ الكبير سليم بك حسن)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأبروشيات القبطية قديما وحديثا :

أبروشية لفظ قبطى معناه مطرانية أى المدينة التى بها مقر المطران ، وهى تعادل لفظ مركز فى التقسيم الحالى للقطر المصرى . و إليك الآن ما نعرفه عن الأبروشيات القبطية قديماً وحديثاً .

كان عدد هذه الأبروشيات فى العصر القبطى حوالى المائة والستين لم يبق منها سوى ثلاثة وعشرين ما بين بطريركية ومطرانية وأسقفية .

ونظراً لما لحق الأسماء القبطية أو اليونانية لهذه الأبروشيات من تغيير وتبديل ثم نظراً لاندثار بعض المدن المذكورة فى كشف الأبروشيات ، يبدو من الصعب جداً الاستدلال على مواقعها الآن .

ولكن بالرجوع إلى : (١) تاريخ المجمع الأفسسى بالصعيدية . (٢) جداول كراسى الأسقفيات فى نسخ مخطوطة عتيقة نقل عنها ڤانسليب وجمعها بارثى فى قاموسه القبطى . (٣) كتاب السلم الكبير لابن كبر العلامة القبطى . (٤) جداول وجدت فى دار الكتب الأهلية بباريس . (٥) كتاب أبى المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود . (٦) تاريخ البطاركة . (٧) داراسى المؤرخ الكنسى بالإفرنسية . (٨) كتب تكريس الميرون . (٩) أميلينو فى جغرافية المدن القبطية . أمكن الأستاذ الكبير جرجس فيلوثاؤس عوض وضع قائمة بأسماء الأبروشيات القبطية القديمة والاستدلال على مواقعها الحالية ونشره فى دليل المتحف القبطى ونحن نقتبس منه ما يأتى :

أبروشيات الوجه البحرى : (مرتبة حسب مواقعها فى المحافظات والمديريات الحالية) .

١ — أبروشية القاهرة وهى الآن مركز بطريرك الديار المصرية والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية .

٢ — « بابيلون وتسمى أيضاً أبروشية مصر وتطلق على مصر العتيقة جنوبى القاهرة (الفسطاط و بابيلون) .

٣ — « أون وهى عين شمس القديمة وقد اندثرت ولا تزال أطلالها بجوار المطرية من ضواحى القاهرة .

٤ — « الخندق : والخندق بلدة قديمة كانت تقع فى المكان الموجود به الآن دير أنبا رويس وكنيسة بطرس غالى باشا بشارع الملكة نازلى وتمتد إلى المكان الموجود به الآن دير الملاك البحرى بشارع الملك بالقاهرة .

٥ — « رقوده وهى قرية قديمة مكانها الآن منطقة عمود السوارى بالاسكندرية .

٦ — « قانوب ومكانها الآن أبو قير من ضواحى الاسكندرية .

٧ — « الفرما (بيلوز) ومكانها الآن تل الفرما على بعد ٣٥ ك م إلى شرقى بورسعيد .

٨ — « قاسيسوس (ومكانها الآن على رأس قيصرون بسيناء) ، من الأسقفيات التى كانت تابعة لمطرانية الفرما .

٩ — « العريش وهى الآن عاصمة شبه جزيرة سيناء .

١٠ — « القلزم (سرسنى — ومكانها الآن السويس) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١١ — أبروشية شطا كانت كرسى دمياط واندمجت فيها .

١٢ — « سنهور مع الفرما وقد اندثرت ولم يبق لها أثر .

١٣ — « شمت ودميره البحرية وقد اختفت معالمها فى بحيرة المنزلة .

١٤ — « تنيس وقد غمرت بحيرة المنزلة أراضيها ومكانها الآن جزيرة صغيرة وسط البحيرة بقرب بورسعيد .

١٥ — « طونه كانت فى جزيرة ببحيرة المنزلة واندثرت وتعرف بطونه والثلاثة قصور ومكانها الآن شرقى بلدة المطرية على بعد أربعة كيلومترات منها حيث كوم ابن سلام .

١٦ — « محلة السدر من البلاد التى اختفت فى بحيرة المنزلة مع طونه .

١٧ — « مراقية — جاء فى معجم البلدان إذا قصد القاصد من الإسكندرية إلى افريقية فأول بلد يلقاه مراقية ثم لوبية فهى مربوط وما معها .

١٨ — « درنة وهى ميناء مشهورة بطرابلس وكان اسمها أرسينوى من الخمس مدن الغربية .

١٩ — « قيرينى أو قورينى أو قورنه إحدى المدن الخمس الغربية بطرابلس وتبعد ١٥ كيلو متراً عن مرسى سوسه . وهى غير القيروان بتونس

٢٠ — « برقة (برقية) من الخمس مدن الغربية وأطلالها الآن بقرب طولمت التى كانت تعرف أيضاً باسم بطولماس .

٢١ — « برنيقة (بنغازى) من طرابلس الغرب على خليج سدرة وهى إحدى المدن الخمس الغربية .

٢٢ — « بنداوليس أى الخمس مدن الغربية . (وقد يكون المقصود هو مقر رئاسة الأبروشيات الخمسة السابقة لا اسم مدينة معينة) .

٢٣ — « خربتـــــا بمركز كوم حماده بمديرية البحيرة .

٢٤ — « ترنوط (الطرانة) « « « « «

٢٥ — « دمنهور وهى قاعدة مديرية البحيرة (ودمنهور هذه مكونة من سبع قرى : شبرا والدمنهورية وقرطسا ونقرها وسكنيدة وطموس والاثلة وكلها الآن مدينة واحدة) .

٢٦ — « رشيد وهى قاعدة مركز رشيد بمديرية البحيرة .

٢٧ — « لقانة (نقانة) بمركز شبراخيت بمديرية البحيرة .

٢٨ — « أتكو أو أدكو بمركز رشيد بمديرية البحيرة .

٢٩ — « الملايد (ذكرها أبو المكارم فى جدوله) ورشـيد وهى المنيلايد من البلاد التى كانت تقع بين الإسكندرية ورشيد وقد اندثرت .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣٠ — أبروشية الأفراجون أو الفراجين بقرب سخا وقد اندمجت فى تيدة بمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية .

٣١ — « البرلس بمأمورية البرلس غربية .

٣٢ — « بوطو من البلاد المندثرة ومكانها الآن تل الفراعين على بعد ١١ كيلومتر إلى شرق دسوق . وكانت بحيرة البرلس الحالية تنسب قديماً إلى هذه المدينة وتعرف باسم بحيرة بوطو .

٣٣ — « دفرى بمركز طنطا بمديرية الغربية .

٣٤ — « برما بمركز طنطا بمديرية الغربية .

٣٥ — « فوه والمزاحمتين بمركز فوه غربية (مصيل أو متيليس) .

٣٦ — « قيريط بمركز فوه غربية .

٣٧ — « طنسان أو طوه أو طنطو أو طنتا أو طنتدا أو طنتدتا أو طنطا وهى قاعدة مديرية الغربية .

٣٨ — « قطور بمركز طنطا بمديرية الغربية .

٣٩ — « أبو صير بنا (بوصير) بمركز سمنود بمديرية الغربية .

٤٠ — « البنوان بمركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية .

٤١ — « صندفا (وأبو صير) فى المحلة الكبرى وهى الآن جزء من هذه المدينة .

٤٢ — « المحلة الكبرى وهى قاعدة مركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية .

٤٣ — « طلخا وهى قاعدة مركز طلخا بمديرية الغربية .

٤٤ — « دميرة بمركز طلخا بمديرية الغربية .

٤٥ — « بساط (بساط الأخلاف) بمركز طلخا بمديرية الغربية (بساط قروص من الغربية) .

٤٦ — « سمنود وهى قاعدة مركز سمنود بمديرية الغربية .

٤٧ — « إبيار (وجزيرة بنى نصر — وتعرف قديماً بنقيوس المدينة) بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية .

٤٨ — « صا (صالحجر) بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية وتعرف بصا وصاصف .

٤٩ — « بطرا (ذكرها أبو المكارم فى جدوله) وهى قرية بمركز شربين بمديرية الغربية .

٥٠ — « سخا بمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية .

٥١ — « منوف السفلى وهى غالباً محلة منوف غربية .

٥٢ — « منية زفتى (منية زفتا) غربية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٥٣ — أبروشية منية طانة من البلاد التى اندثرت فى الغربية واشتهرت بدير المغطس حيث كان قدم يسوع (بخا إيسوس) مطبوعاً فى حجر كما يقولون وكان مقرها بين سمنود والست دميانة فى البلاد التى بادت .

٥٤ — « نستراوه أو نستروه من المدن المندثرة على بحر الملح غربى دمياط جهة البرلس .

٥٥ — « نقيزة على البحر الملح شرقى نستراوه وكان بها دير شاهق ينظر من دمياط وقد اندثرت .

٥٦ — « منوف العليا وهى قاعدة مركز منوف بمديرية المنوفية .

٥٧ — « مليج وحصتها بمركز شبين الكوم بمديرية المنوفية .

٥٨ — « أشمون وهى قاعدة مركز أشمون بمديرية المنوفية

٥٩ — « أبشادى (نقيوس أبشادى) ومكانها اليوم كوم مانوس الواقع شمالى زاوية رزين بمركز منوف بمديرية المنوفية .

٦٠ — « المنصورة وهى قاعدة مديرية الدقهلية .

٦١ — « أشمون الرمان بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

٦٢ — « أشمون طناح وكانت قصبة البشمور (البحر الصغير) ويعرف أيضا باسم البشروط أو البشرود أو البشردات . والآن بمركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

٦٣ — « بساط كريم الدين بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية .

٦٤ — « دقهلة ومنية السودان بمركز فارسكور ودكرنس بمديرية الدقهلية .

٦٥ — « المورده أو تمى الاماديد بمركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية .

٦٦ — « نوسا البحر ونوسا الغيط بمركز أجا بمديرية الدقهلية .

٦٧ — « صهرشت (صهرجت الكبرى) بمركز ميت غمر بمديرية الدقهلية .

٦٨ — « منية غمر وهى ميت غمر قاعدة مركز ميت غمر بمديرية الدقهلية .

٦٩ — « هلا بمركز ميت غمر بمديرية الدقهلية.

٧٠ — « بسطا (أم السباع) وهى الآن خربة أطلالها بجوار الزقازيق وتعرف باسم تل بسطا بمديرية الشرقية .

٧١ — « بلبيس وهى قاعدة مركز بلبيس بمديرية الشرقية .

٧٢ — « البلقاء من الشرقية وقد خربت وقيل فربيط أو هربيط بمركز كفر صقر بمديرية الشرقية . وقيل طرافية أو طرابية ومن قراها بلبيس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٧٣ — أبروشية تمى من تلبانة عدى بالشرقية .

٧٤ — « صان الحجر (تانيس أو طانيس أو صوعن) بمركز فاقوس بمديرية الشرقية .

٧٥ — « فاقوس (فقوسه ، البلقاء) وهى قاعدة مركز فاقوس بمديرية الشرقية .

٧٦ — « المحمة من الشرقية وقد درست .

٧٧ — « نوسا والبجويم من الشرقية .

٧٨ — « أتريب لم يبق منها سوى قرية تدعى نصف أتريب والتل المجاور لها مقابل بنها العسل قاعدة القليوبية .

٧٩ — « دجوه بمركز طوخ بمديرية القليوبية .

٨٠ — « قليوب وهى قاعدة مركز قليوب بمديرية القليوبية .

٨١ — « منية صرد أو مسطرد من مأمورية ضواحى مصر بمديرية القليوبية .

٨٢ — « نامون (نامون السدر) من أعمال القليوبية وهى نامول بمركز طوخ بمديرية القليوبية .

٨٣ — « منف ومن بقاياها سقارة وميت رهينة والبدرشين وغير ذلك .

٨٤ — « منا الأمير بمركز الجيزة بمديرية الجيزة .

٨٥ — « طموه من الجيزية .

٨٦ — « الجيزية أو الجيزة وهى قاعدة مديرية الجيزة .

٨٧ — « أوسيم بمركز امبابه بمديرية الجيزة .

أبروشيات الوجه القبلى : (مرتبة حسب كشف الأبروشيات القديمة)

١ — أبروشية أطفيح بمركز الصف بمديرية الجيزة .

٢ — « دلاص بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف .

٣ — « بنى سويف وهى قاعدة مديرية بنى سويف .

٤ — « أهناس (أهناسية الخضراء أو المدينة) بمركز بنى سويف .

٥ — « اللاهون (نيلو بوليس) بمركز الفيوم بمديرية الفيوم .

٦ — « الفيوم وهى قاعدة مديرية الفيوم .

٧ — « أشنين (النصارى) بمركز مغاغه بمديرية المنيا .

٨ — « طنبدى أو طمبدى « « « « .

٩ — « طحا (المدينة) الأعمدة بمركز سمالوط « «

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٠ — أبروشية البهنسا بمركز بنى مزار بمديرية المنيا .

١١ — « القيس « « « « «

١٢ — « منية بوفيس أو منية ابن خصيب أو المنية أو المنيا وهى قاعدة مديرية المنيا .

١٣ — « الأشمونين بمركز ملوى بمديرية أسيوط .

١٤ — « أنصنا (الشيخ عباده) بمركز ملوى بمديرية أسيوط .

١٥ — « ملوى وهى قاعدة مركز ملوى « «

١٦ — « منفلوط وهى قاعدة مركز منفلوط بمديرية أسيوط .

١٧ — « قسقام (قوص قام) وهى الآن القوصية بمركز منفلوط بمديرية أسيوط .

١٨ — « صنبو بمركز ديروط بمديرية أسيوط .

١٩ — « أسيوط (ليكوبوليس) وهى قاعدة مديرية أسيوط .

٢٠ — « شطب (المحبوبة) بمركز أسيوط « «

٢١ — « الخصوص (كانت قبالة أسيوط فى البر الشرقى وتغير اسمها) ولعلها الواسطة أو المعصرة .

٢٢ — « أبو تيج وهى قاعدة مركز أبو تيج بمديرية أسيوط .

٢٣ — « أسبهت قهقا و (أسفحت — أبولون) كوم اسفحت بمركز أبو تيج بمديرية أسيوط .

٢٤ — « أبصاى (المنشاه — بطولمايس) وتسمى منشاة النيدة شمالى جرجا بمركز جرجا بمديرية جرجا .

٢٥ — « أخميم وهى قاعدة مركز أخميم بمديرية جرجا .

٢٦ — « البلينا وهى قاعدة مركز البلينا بمديرية جرجا .

٢٧ — « قاو ولم يبق منها سوى قرى صغيرة وهى : قاو غرب بمركز طما جرجا . وقاو شرق أو قاو الخراب ويفصلهما النيل وتسمى الشرقية قاو الكبرى .

٢٨ — « هو بمركز نجع حمادى بمديرية قنا .

٢٩ — « قوص وهى قاعدة مركز قوص « «

٣٠ — « نقادة بمركز قوص « «

٣١ — « قفط بمركز قنا « «

٣٢ — « قنه أو قنا وهى قاعدة مديرية قنا .

٣٣ — « دندرة بمركز قنا بمديرية قنا .

٣٤ — « الأقصر أو لقصر أو طيبة أو الأقصرين وهى قاعدة مركز الأقصر بمديرية قنا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣٥ — أبروشية أرمنت (ونزلتها) بمركز الأقصر بمديرية قنا .

٣٦ — « الدمقراط أو الدمقرات بين الأعمال القوصية وهى من قرى أرمنت .

٣٧ — « أسنا وهى قاعدة مركز أسنا مديرية قنا .

٣٨ — « أدفو أو أتفو أو أمبون أو أمبو وهى قاعدة مركز أدفو بمديرية أسوان .

٣٩ — « أسوان (صوان) وهى قاعدة مديرية أسوان .

٤٠ — « بلاق (بلاق الجنادل) ناحية الشلال بمركز أسوان .

٤١ — « الدر كانت قاعدة مركز الدر (الديوان) وكانت تسمى بوخرداس وقداندثرت بعدتعلية الخزان .

٤٢ — « أبريم أو أفريم بمركز الدر بمديرية أسوان .

٤٣ — « قالاهدس فى أقاصى مصر الجنوبية ولعلها الكلح أو قلعة أده فى شمال جزيرة سرس فى أبو سمبل (وسميت كالخيدس) .

٤٤ — « قرطه أو قورته بمركز الدر بمديرية أسوان .

هذا وكان يوجد أبروشيات أخرى فى بلاد النوبة والسودان وليبيا وجزائر البحر الأبيض المتوسط وفلسطين وسوريا وغير ذلك لأن سلطة الكنيسة المصرية كانت ممتدة إلى هذه البلاد . ثم أخذت تتضاءل وتقل لما قل عدد المنضوين تحت لوائها فنقصت الأبروشيات وضاع الكثير ولم يبق سوى بعض أبروشيات القطر المصرى والسودان و بلاد الحبشة وأورشليم .

الخلاصة : والخلاصة فأنت ترى من كشف المقاطعات فى العصر الفرعونى أن مقاطعتى منف وأوسيم كانتا معتبرتين من مقاطعات الوجه البحرى وهذا يدل على أن رأس الدلتا فى هذا العصر كانت إلى جنوب مدينة منف ، ثم ترى من كشف الأبروشيات أن القبط لم يغيروا أوضاع بلادهم القديمة فاعتبروا أيضاً منف وأوسيم من أبروشيات الوجه البحرى ثم جعلوا إطفيح ودلاص على رأس مدن الوجه القبلى أى إلى جنوب رأس الدلتا مباشرة . وهذا بالطبع مجرد ترديد لذكرى الحالة القديمة التى كانت موجودة سابقاً ، لأنه فى العصر القبطى كانت رأس الدلتا قد انتقلت شمالاً مما جعل الروم يعتبرون منف أولاً ثم أوسيم ثانياً من مدن الوجه القبلى فى قوائم المقاطعات المصرية .

و إليك الآن بيان تنقلات رأس الدلتا بعد عصر منف .

تنقلات رأس الدلتا بعد عصر منف :

بعد اجتياز ناحية دير الطين الواقعة إلى جنوب أثر النبى يتسع مجرى النهر إلى ضعف عرضه المتوسط وتظهر فى وسطه سلسلة متتالية من الجزائر وهى : جزيرة الذهب ثم جزيرة الروضة ثم جزيرة الزمالك ثم جزيرة الوراق ثم جزيرة أبو الغيط ثم جزيرة القراطيين ثم جزيرة الشعير .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتدل القوانين الطبيعية لتكوين الأنهار ، كما يدل وجود هذه الجزائر الواسعة فى وسط المجرى ، على أن النيل كان يتفرع عند هذه النقط قديماً . وحيث أن هذه الجزائر ظهرت فى عصور متتالية بعد العصر الفرعونى ، فلا بد أن تكون رأس الدلتا قد انتقلت عندها بالتوالى فى العصر اليونانى وفى العصر الرومانى وفى العصر القبطى وفى العصر العربى .

ومع أن هذه التنقلات تبدو حديثة إلا إنه من الصعب جداً تحديد الزمن الذى كانت فيه دلتا النيل تبدأ من كلٍّ من هذه النقط . ولذا لا بد لنا من الرجوع إلى عهد حفر ترعة تراجان لنهتدى إلى شىء فى هذا الموضوع .

كانت رأس الدلتا إلى شمال فم ترعة تراجان بنحو سبعة كيلومترات تقريباً حسب تقدير نومان .

وفى عصر أسترابون سنة ٥٠ م تقريباً كانت رأس الدلتا مقابل مدينة عين شمس ومرصد إيدوكس وكركسوره (قرقصورة وقد تكون شبرا البلد ؟) .

قال هيرودوت الذى زار مصر قبل أسترابون بحوالى ٥٠٠ سنة : « يتفرع النيل إلى ثلاثة فروع عند قرقصورة » . فيستنتج من ذلك أن رأس الدلتا ظلت فى هذا المكان طول مدة العصر اليونانى والعصر الرومانى .

وهنا نقطة لا بد من إيضاحها . كانت قرقصورة تقع غربى النيل بالقرب من جزيرة الوراق الحالية . فماذا حصل حتى أصبحت هذه المدينة شرقى النيل (مكان شبرا البلد) عند نقطة تفرع النهر سابقاً ؟ حصل ما يأتى : فى العصر الفرعونى كانت مدينة عين شمس تقع على شاطىء النيل مباشرة ، ثم تحول النهر عنها إلى جهة الغرب ، بعد أن دارت مياهه حول قرقصورة التى اتصلت بالبر الشرقى ، تماماً كما حصل بالنسبة لحلوان . وهكذا أصبحت قرقصورة على الشاطىء الشرقى للنيل بعد أن كانت على الشاطىء الغربى .

والأرجح إنه فى أثناء هذه الحركة انتقلت رأس الدلتا من بابليون حيث جعل فم ترعة تراجان فيما بعد إلى شبرا البلد حيث كانت قرقصوره .

وقد قدر بلين و بطليموس واسترابون المسافة بين رأس الدلتا وموقع مدينة منف فى العصر الرومانى بما يتفق مع وجود رأس الدلتا عند شبرا البلد مقابل جزيرة الوراق الحالية .

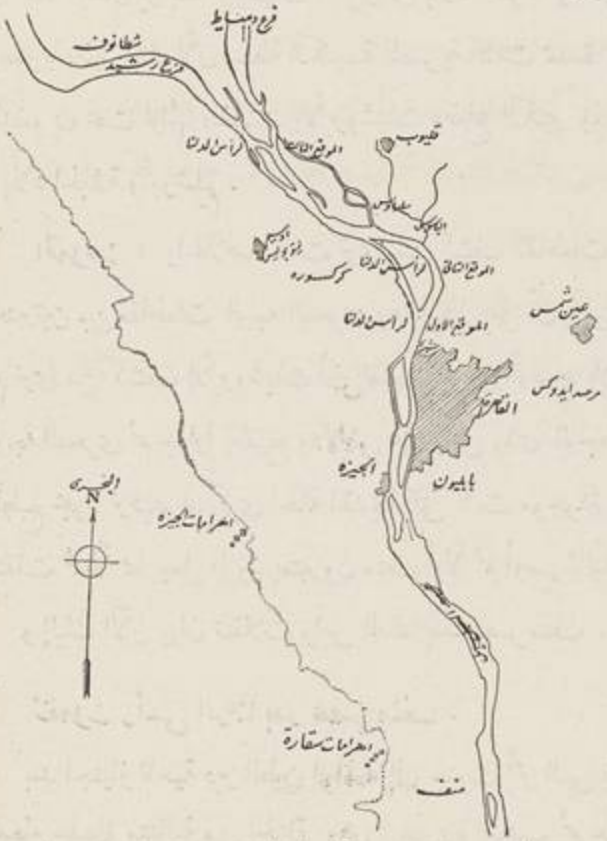

خريطة تبين مواقع تنقل رأس الدلتا فيما بين مدينة منف جنوبا وموقعها الحالى عند ابتداء شبه جزيرة الشعير شمالا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما بعد العصر الرومانى فلم تنتقل رأس الدلتا إلى الشمال كثيراً حتى أنه فى نهاية العصر القبطى كان النيل يتفرع إلى ثلاثة فروع عند سردوس (الباسوس) كما ذكر ذلك ابن سرابيون وأميان مرسلان . ولا تبعد ترعة الشرقاوية بقرب الباسوس أكثر من كيلومترين عن شبرا البلد . وهى تقع عند نقطة تفرع النيل فى هذا العصر .

وفى العصر العربى انتقلت رأس الدلتا للمرة الأخيرة مسافة عشرة كيلومترات شمالاً إلى موقعها الحالى حيث تفرع النيل إلى فرعين : فرع دمياط وفرع رشيد عند جزيرة الشعير الحالية . هذا بينما كانت فروع النيل القديمة عند الباسوس لما تزل فى موقعها الأصلى . ثم اندثرت هذه الفروع نهائياً وحلت محلها ترع الرى التى أنشأها الولاة والحكام متتبعين أثر هذه الفروع القديمة .

وفى عصر المماليك لما بنيت قناطر الموازنة على فم ترعة أبو المنجا (الفرع البيلوزى القديم) ثبتت رأس الدلتا فى موقعها الحالى بصفة نهائية . . . .

هذه هى تنقلات رأس الدلتا من الجنوب إلى الشمال بعد عصر منف وقد ترتب عليها ما يلى :

أولا — تنقل العواصم المصرية التى نشأت فى المنطقة المعروفة الآن باسم منطقة القاهرة من الجنوب إلى الشمال. فزحفت منف أولا جهة الشمال حتى وصلت إلى موقع الجيزة الحالى . ثم انتقلت إلى البر الشرقى للنيل وهناك عرفت باسم مدينة « منف الشرقية » و بعد ذلك باسم « مدينة كيمى » ومعناها مدينة مصر . و بجوار مدينة مصر هذه أنشأ العرب مدينة الفسطاط و إلى شمالها مدينة العسكر ، ثم مدينة القطائع وأخيراً مدينة القاهرة إلى أقصى الشمال .

ولا شك أن حركة تنقل هذه العواصم من الجنوب إلى الشمال كانت تتبع حركة تنقل رأس الدلتا من الجنوب إلى الشمال كما قلنا سابقاً .

ثانياً — ترتب على هذه التنقلات أيضاً ، نقل مقاطعة منف أولا ثم مقاطعة أوسيم ثانياً من قوائم مقاطعات الوجه البحرى إلى قوائم مقاطعات الوجه القبلى فى العصر اليونانى وفى العصر الرومانى .

و إليك الآن بيان تنقلات مجرى النهر منذ عصر منف .

تنقلات مجرى النهر منذ عصر منف :

يبدو من الصعب أيضاً تحديد الزمن الذى انتقل فيه مجرى النهر من الشرق إلى الغرب فى العصور القديمة . غير أنه لدينا ما يثبت أنه فى العصر الفرعونى أقيمت رؤوس حجرية فى النهر عند مدينة منف لحماية الشاطىء الغربى من التآكل ، وهذا وحده يثبت أن مجرى النهر كان منذ القدم يحاول التنقل من الشرق إلى الغرب .

ثم أن الوضع الحالى لمجرى النيل فى منطقة القاهرة ، وموقع أهرامات الجيزة غرباً ، ومدينة عين شمس شرقاً ، وما نعرفه من أن النهر كان يمر بهذه المواقع فى هذا العصر ، يجعلنا نرجح أنه فى أيام الفراعنة كان النهر يسير فى خط ملتو بين منف وجبل طره وأهرامات الجيزة ومدينة عين شمس . (أنظر الرسم صفحة ١٨٨)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

هذا مع ملاحظة أن هناك مناطق صخرية مرتفعة كجبل الرصد وجبل يشكر والقلعة . فلا بد أن تكون هذه المرتفعات قد أثرت تأثيراً مباشراً فى اتجاه هذه التعريجات بحيث اضطرت النهر أن يدور حولها .

ذكر المقريزى أنه عند حفر بئر بالقرب من الإمام الشافعى عثر العمال فى الأرض على مركب قديمة . فهل كانت هذه المركب من آثار مرور النيل قديماً بهذا المكان ؟ . . ربما .

ثم أن هناك أساطير تؤيدها آثار من الرواسب النهرية تثبت أن مجرى النهر فى عصور مختلفة كان يمر بين جبل المقطم وهذه المرتفعات الصخرية .

قال كازانوفا أن نهر « الياوكو » المار بين جبلين والمذكور فى قصة فرار الأمير سنوهى فى عهد الملك سنوسرت الأول قد يكون عبارة عن مجرى نهر النيل القديم حينما كان يمر فى النقطة الواقعة بين جبل المقطم وجبل يشكر (قلعة الكبش) .

على أنه يبدو أن البروز الصخرية فى جبل الرصد (اسطبل عنتر) وجبل يشكر (قلعة الكبش) كانت أولاً جزائر فى وسط مجرى النهر ثم اتصلت بالشاطىء بعد ذلك وأصبحت جزءاً منه .

وقيل فى تعليل وجود فاصل بين الصخرة التى تقوم عليها قلعة صلاح الدين و بين جبل المقطم أن فرعاً من فروع النهر القديم كان يمر هناك وهو الذى حفر هذا الفاصل ولكن الظواهر الطبيعية ومناسيب الأرض لا تؤيد هذه النظرية . . . .

أما بعد انتهاء عصر منف فيمكننا متابعة تنقلات مجرى النهر من الشرق إلى الغرب بمسايرة الخطوط المتوازية التى رسمتها سلسلة البرك الكبيرة التى كانت بمنطقة القاهرة قديماً مثل بركة الحبش و بركة الفيل و بركة الشيخ قمر و بركة الحج أولاً . ثم بركة الفراعين و بركة الناصرية و بركة الأزبكية و بركة الطبالة و بركة السقايين ثانياً . ثم بركة الفوالة و بركة السبع و بركة قارون وسواها ثالثاً . وهى بلا شك خطوط متوازية متخلّفة عن مرور النهر قديماً بهذه الأماكن أثناء حركة تنقله من الشرق إلى الغرب .

ومما يجب ملاحظته بهذه المناسبة أن فرع النيل الموجود إلى شرق جزيرة الروضة الآن (سيالة الروضة) يزداد ضيقاً يوماً بعد يوم بسبب تراكم النهرية فيه . وقياساً على الماضى لا بد من اندثار هذا الفرع فى يوم ما ، ولا بد من اتصال جزيرة الروضة الحالية بالشاطئ ، إن لم تقف الأعمال الهندسية الصناعية حائلا دون ذلك .

أما منذ الفتح العربى إلى الآن فقد كانت حركة تنقلات شاطىء النيل الشرقى تجاه مدينة مصر والقاهرة من أجل الدراسات التى قام بها الأستاذ الجليل محمد بك رمزى وسوف نتكلم عنها فى فصل على حدة من هذا الكتاب لأهميتها فى دراسة تطورات مدنية القاهرة الحديثة و فى دراسة تخطيط أحيائها الغربية الجديدة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كيف نبتت فكرة انشاء الترع مكان مجرى النيل القديم — الخليج المصرى ؟

ترتب على انسحاب النهر المستمر إلى جهة الغرب منذ القدم أن بعدت عنه العواصم الأولى التى كانت على الضفة الشرقية منه ، مثل عين شمس ، وهددت بالعطش . وهنا نبتت فكرة إنشاء الترع مكان المجرى القديم لتوصيل مياه النيل إلى هذه المدن التى هجرها النهر ثم نقل فم هذه الترع إلى الغرب كلما أمعن النهر فى انسحابه من الشرق إلى الغرب .

وهذا هو السبب الأصلى فى حفر خليج تراجان فى مكانه المعروف أعنى أنه حفر أول الأمر مكان مجرى النيل القديم لتغذية مدينة عين شمس بمياه النهر بعد انسحابه من جوارها . ثم امتد من هناك حتى اتصل بمكان ترعة الملوك القديمة . (راجع تطورات هذه الترعة منذ القدم فى كتاب منطقة قنال السويس من ص ١٢٣ إلى ص ١٣٤) .

كما أن السبب الأصلى فى تنقل فم هذا الخليج فى المسافة الواقعة بين مدينتى عين شمس وبابيلون (مصر القديمة) يرجع إلى متابعة النهر فى انتقالاته إلى الغرب .

وهو هو نفس السبب الذى دعا فى العصور التالية إلى حفر الخليج الناصرى وخليج أبو المنجا وسواها لتوصيل مياه النيل إلى المدن القديمة الواقعة فى هذه المناطق بعد أن هجرها النهر .

قال القلقشندى : « حفر خليج أبو المنجا فى موضع فرع ساردوس القديم » أعنى فرع النيل الذى كان يبدأ من الباسوس .

وكان فرع ساردوس القديم هذا يخرج من النيل سابقاً عند شبرا كما ذكر ذلك ابن دقماق . وهذا الفرع كان يعرف قديماً باسم فرع بيلوز . (راجع كتاب منطقة قنال السويس ص ١٠٦ إلى ص ١١٦) .

ملخص تطورات نهر النيل بمنطقة القاهرة :

الآن وقد ألممنا بتطورات النهر فى هذه المنطقة يمكننا تلخيصها فيما يلى :

أولاً — فى الفترة الأولى سار النهر فى خط مستقيم تقريباً من الجنوب إلى الشمال طبقاً للخط المرموز له بالرقم I (أنظر الرسم صفحة ١٨٨) وكانت تخرج منه فروع كثيرة شرقاً وغرباً .

ثانياً — كانت الفترة التالية فترة تراكم الرواسب وظهور تعريجات شديدة فى مجرى النهر مع ارتفاع منسوب القاع ارتفاعاً محسوساً (أنظر الخط IIa و IIb فى نفس الرسم) .

وكانت أشد النقط تعرضاً للتآكل بسبب هذه الحالة الجديدة هى : من الجهة الغربية هضبة أهرامات الجيزة ، ومن الجهة الشرقية المنطقة الواقعة إلى شمال جبل طره و إلى شمال بابليون وفى سهل عين شمس .

وقد نتج عن هذا التآكل عزلة البروز الصخرية المعروفة بجبل الرصد (اسطبل عنتر) وجبل يشكر (قلعة الكبش) عن جبل المقطم لأن النهر أكل كل ما عدا هذه الصخور من الأراضى الرملية التى كانت هناك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما سبب تكوين البرك القديمة فيرجع إلى مرور النهر بهـذه المناطق ثم إلى انسحابه التدريجى منها تاركاً آثاره خطوطاً متوازية من البرك بطول الشاطئ الشرقى .

أما السبب الأصلى فى نقل فم الخليج إلى شمال بابليون فى عهـد تراجان فكان لتغذية مدينة عين شمس بمياه النيل بعد انسحاب النهر من جوارها ثم امتد الخليج من هناك حتى اتصل بمكان ترعة الملوك القديمة .

وقد نشأت فكرة حفر الترع والخلجان بمصر مكان مجرى النيل القديم بسبب انسحاب النهر من جوار المدن التى كان يغذيها بمياهه .

ثالثاً — فى الفترة الثالثة ارتدم قاع النهر واعتدل المجرى وسار فى الخط المستقيم الأصلى ماراً بجوار بابليون والرصد (أنظر خط III فى الرسم)

رابعاً — وفى الفترة الرابعة تراكمت الرواسب من جديد وحاول النهر مرة أخرى السير فى خط متعرج لولا قيام الأعمال الصناعية التى حالت دون ذلك .

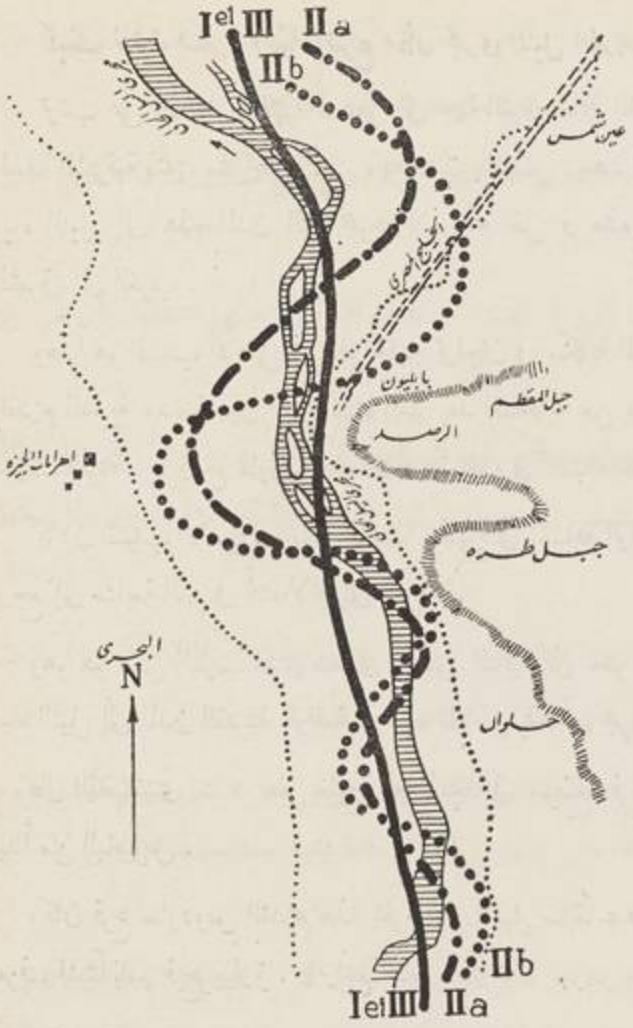

خريطة تبين تحول مجرى النهر فى منطقة القاهرة فى العصور المختلفة فقد كان المجرى أولا يتبع الخط المرموز له بالرقم I ثم تبع الخط II a ثم الخط II b ثم عاد إلى الخط I وأخيراً تبع الخط الحالى المشهر .

وبينما كانت هذه هى حالة النهر ، فتح العرب مصر .

نقل العواصم المصرية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية للنهر :

وقد كانت حركة تنقل مجرى النيل من الشرق إلى الغرب هى السبب المباشر فى نقل العواصم المصرية من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية للنهر . وإليك بيان الخطوات التى اتبعت فى هذا النقل .

كانت منف منذ القدم مدينة الفن والعلم والنور والجمال ولكن فى العصر اليونانى سلبها الروم جمالها وتحفها ونقلوها إلى مدينة الاسكندرية منذ تأسيسها . وقد جعلوا منها عاصمة القطر المصرى فى العصر اليونانى والرومانى لمدة تقرب من ألف سنة حتى ضاع مجد منف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فلما اضمحلت منف العظيمة هاجر سكانها إلى البر الشرقى من النيل وأسسوا عدة قرى بين مزارعهم وضياعهم فى الأراضى الجديدة التى نتجت من طرح البحر .

وظلت هذه القرى تنمو وتمتد وتتلاحق كلما زاد طرح البحر حتى أوشكت أن يتصل بعضها ببعض من فرط اتساعها وانتشارها .

فلما وصلت هذه المجموعة إلى هذا الحد من الاتساع أطلق عليها القدماء اسم مدينة « منف الشرقية » ثم سموها مدينة « كيمى » ومعناها مدينة مصر . وكانت قلعتها تعرف باسم قلعة كيمى وهى نفس القلعة التى حاصرها العرب شهوراً طويلة فى عصر الفتح وأطلقوا عليها بعد الفتح اسم قصر كيمى أو قصر خيمى أو قصر شيمى أو قصر الشمع .

وإلى هذه الحالة القديمة يرجع السبب فى إطلاق اسم مصر على القاهرة وضواحيها لغاية الآن .

وبجوار مدينة مصر هذه أسس العرب عاصمتهم الجديدة الفسطاط و إلى شمال هذه أسسوا مدينة العسكر ثم مدينة القطائع وأخيراً إلى شمال هذه المجموعة مدينة القاهرة الحالية التى امتدت واتسعت حتى شملت هذه العواصم القديمة جميعها . أما تطورات هذه العواصم واتساعها فترجع بلا شك إلى زيادة الأراضى التى أضيفت إلى الشاطىء الشرقى للنيل من طرح البحر . (أنظر الرسم) .

وهكذا تنقلت العواصم المصرية القديمة فى منطقة القاهرة من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق تبعاً لتنقلات رأس الدلتا أولا ولتنقلات مجرى النهر من الشرق إلى الغرب ثانياً .

خريطه تبين نوع التربة فى منطقة القاهرة . فالمرموز له بالرقم I عبارة عن الطبقة الصحراوية المحيطة بالمدينة — والمرموز له بالرقم II عبارة عن الرواسب النهرية القديمة المكونة من الرمال الخرشة ومواد طفلية — والمرموز له بالرقم III عبارة عن رواسب مكونة من طبقة طينية متماسكة . والمرموز له بالرقم IV عبارة عن رواسب مكونة من طينة حديثة مخلوطة برمال ناعمة. وتدل هذه الطروح المختلفة على مدى تطورات العواصم المصرية المتتالية التى نشأت على الضفة الشرقية للنهر.

وسنتكلم عن هذه العواصم فى الأجزاء التالية من هذا الكتاب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهرست

الجزء الأول من كتاب « القـــاهرة »

صحيفة

عطف سام ملكى ٥

إهداء كتاب « القاهرة » إلى مليك النيل المفدى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول حفظه الله ٦

آراء الصحف فيما ظهر من سلسلة كتب المدن المصرية : الأسكندرية ومنطقة قنـال السويس ٩

مقدمة كتاب « القاهرة » ١١

أهم المراجع العربية ١٤

أهم المراجع الأفرنجية ١٧

بيانات عن العيد الألفى لمدينة « القاهرة » كعاصمة للقطر المصرى ... ١٩

بيانات عن بلدية القاهرة ٢١

الفصـــــل الأول — استعراض عواصم القطر المصرى فى العصور المختلفة ٢٣

العاصمة الأولى مدينة طينة . العاصمة الثانية مدينة منف . العاصمة الثالثة أهناسية المدينة . العاصمة الرابعة مدينة طيبة . العاصمة الخامسة مدينة أفاريس . العاصمة السادسة مدينة طيبة ثانياً . العاصمة السابعة مدينة صان الحجر (صوعن) . العاصمة الثامنة مدينة بوباست . العاصمة التاسعة مدينـة صالحجر (صاو) . العاصمة العـاشرة مدينة ناباتا . العاصمة الحادية عشرة مدينة صالحجر ثانياً . العاصمة الثانيـة عشرة مدينة مندس . العاصمة الثالثة عشرة مدينة سمنود . العاصمة الرابعة عشرة مدينة الأسكندرية . العاصمة الخامسة عشرة مدينة الفسطاط . العاصمة السادسة عشرة مدينة العسكر . العاصمة السابعة عشرة مدينة القطائع . العاصمة الثامنة عشرة مدينة الفسطاط ثانيا (مصر) . العاصمة التاسعة عشرة مدينة القاهرة .

الفصـــــل الثانى — موقع مدينة القاهرة من الوجهة الچولوچية ٤٩

الفصـــــل الثالث — الصحراء الغربية أو صحراء ليبيا ٥٥

منخفض القطـارة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

الفصل الرابع — وادى النطرون ٦٢

دير البرموس . دير السيدة العذراء المعروف بدير السريان . دير أنبا بشوى . دير أبو مقار . حاصلات وادى النطرون . قرى وادى النطرون المندثرة : نتريا وبيامون .

الفصل الخامس — الصحراء الشرقية أو صحراء العرب ٨٤

الثروة المعدنية فى الصحراء الشرقية . الفوسفات . زيت البترول . جسة . الغردقة . رأس غارب . منتجات البترول . الحديد . الذهب . الأملاح المعدنية . نترات الصوديوم . الأصباغ المعدنية . الطلق . الرصاص . الزنك . المياه المعدنية . الأحجار الكريمة . محاجر مصر . الحجر الجيرى . الحجر الرملى . الجرانيت . المرمر أو الألابستر . البورفير الأرجوانى . الكروم .

الفصل السادس — جبل المقطم ٩٦

مجارى السيول (الوديان) . هضاب المقطم . بعض الظواهر الطبيعية بجبل المقطم

الفصل السابع — الجبل الأحمر والغابة المتحجرة وبازلت أبو زعبل . محاجر طره والمعصرة وصناعة الأسمنت ١٠٣

الغابة المتحجرة . بازلت أبوزعبل . الجبل الأحمر . سهل العباسية . محاجر طره والمعصرة . صناعة الأسمنت . تطور أعمال الشركة .

الفصل الثامن — عيون حلوان المعدنية ١١١

عدد الينابيع . المياه الكبريتية . استعمال مياه حلوان الكبريتية . المياه الحديدية . استعمال مياه حلوان الحديدية . المياه الملحية . استعمال مياه حلوان الملحية . مياه البنبوع المعدنى الجديد . استعمال مياه البنبوع المعدنى الجديد . البنبوع المعدنى الجديد . مياه الرشح وماء هذا النبع . التحاليل الكيماوية . نتيجة فحص مياه العين الجديدة . عنصر الراديوم فى المياه

الفصل التاسع — حلوان البلد . وحلوان الحمامات ١١٩

حلوان البلد . مدينة حلوان الحمامات . عهد الأسرة المحمدية العلوية . عهد الخديوى اسماعيل باشا . عهد الخديوى توفيق باشا . عهد الخديوى عباس حلمى الثانى . عهد المغفور له الملك فؤاد الأول . عهد الفاروق . تجميل مدينة حلوان الحمامات . النبع الجديد ومدينته الساحرة . حلوان مدينة المستقبل . مقارنة بين مدينة حلوان ومدينة أسوان . ضواحى حلوان ووديانها . حفائر حلوان . علوم الفلك ومرصد حلوان . تقرير الطقس اليومى . تقرير الأرصاد السنوى . تقرير عن الأمطار التى نزلت بحوض النيل وعن الفيضان . قسم تنظيم حلوان . عملية ترشيح المياه الصالحة للشرب بحلوان . محطة توليد التيار الكهربائى بحلوان . أعمال مقاومة الملاريا بحلوان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

الفصـــــــل العاشر — حلوان وأثر السكة الحديدية فيها ١٤٠

الفترة الأولى من سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٧٩ أو الخط الحربى . الفترة الثانية من سنة ١٨٧٩ إلى سنة ١٨٨٨ . الفترة الثالثة من ٣٠ أبريل سنة ١٨٨٨ إلى ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤ التزام شركة سكة حديد القاهرة — حلوان بأدارة الخط . بعض شروط عقد الامتياز . عقود جديدة . التنازل عن الالتزام . الأعمال التى قامت بها شركة سكة حديد القاهرة . حلوان بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩٠٤ . الخط بين باب اللوق ومحطة المعادى . الفترة الرابعة من ١٠ يونيو سنة ١٩٠٤ إلى يناير سنة ١٩١٥ . الأعمال التى قامت بها شركة سكة حديد الدلتا . الفترة الخامسة من سنة ١٩١٥ إلى الآن . أثر خط حلوان فى عمران هذه المنطقة .

الفصل الحادى عشر — تعليقات على بعض القرى والأماكن الأثرية الواقعة على خط حلوان وفى القاهرة وضواحيها ١٥١

١ المعصرة . ٢ طره . حفائرطره . ليمان طره . ٣ معادى الخبيرى . القسم القديم . القسم الحديث . ثكنات الجيش المصرى بالمعادى . ٤ أثر النبى . ٥ دير الطين . ٦ بركة الحبش . ٧ منيل الروضة . ٨ الجيزة . ٩ ترسا . ١٠ البدرشين . ١١ ميت رهينة . ١٢ سقاره . ١٣ أبو صير . ١٤ أبو النمرس . ١٥ دهشور . ١٦ أوسيم . ١٧ امبابة . ١٨ منبوبة . ١٩ المطرية . ٢٠ أم دنين .

الفصل الثانى عشر — تنقلات العواصم المصرية القديمة فى منطقة القاهرة ١٧١

تنقلات العواصم تبعا لتطورات النهر . مقاطعات الوجه البحرى فى العصر الفرعونى . مقاطعات الوجه القبلى فى العصر الفرعونى . الأبروشيات القبطية قديماً وحديثاً . أبروشيات الوجه البحرى . أبروشيات الوجه القبلى . الخلاصة . تنقلات رأس الدلتا بعد عصر منف . تنقلات مجرى النهر منذ عصر منف . كيف نبتت فكرة إنشاء الترع مكان مجرى النيل القديم — الخليج المصرى . ملخص تطورات نهر النيل بمنطقة القاهرة . نقل العواصم من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية للنهر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهرست الصور واللوحات الهندسية

صحيفة

تمثال نهضة مصر (وقد انتخبناه شعاراً لعاصمتنا الخالدة لأنه يمثل فكرة ربط القديم بالحديث) ٣

صورة حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر المعظم ٧

خريطة منطقة القاهرة : يبدأ الفصل الأول من تاريخ القاهرة منذ تأسيس مدينة منف ١٢

شواطىء النيل البكر الجميلة الساحرة الممتدة من حلوان جنوبا إلى فم ترعة الاسماعيلية شمالا ٢٢

استعراض العواصم :

مدينة «بوتو» . عاصمة الوجه البحرى قبل تاريخ الأسر وكانت تحيط بها الغابات والمستنقعات التى تعج بالوحوش والحيوانات الكاسرة ٢٤

خريطة تبين مواقع العواصم المصرية وأهم معالمها القديمة ٢٥

مدينة طيبة . حرب الاستقلال بين ملوك طيبة والهكسوس . صورة الاستعدادات الحربية لهذه الحرب ... ٣٠

مدينة اختاتون . بجوار تل العمارنه بمركز ملوى، بمديرية أسيوط . أخناتون ونفرتيتى فى شرفة القصر الملكى ٣١

مدينة طيبة . صورة معابد الكرنك فى عصر طيبة الذهبى ٣٢

مدينة طيبة . صورة معبد الملكة حاتشبسوت فى البر الغربى للنيل (الدير البحرى) ٣٢

مدينة طيبة . صورة تحوتمس الثالث فى مركبته الحربية ٣٣

مدينة طيبة . صورة حملة بلاد البونت ٣٣

مدينة طيبة . عائلة الملك تحوتمس الأول وترى فى الصورة الملكة حاتشبسوت و بنتها نفرو — رع وتحوتمس الثالث فى شبابه ٣٤

مدينة طيبة . صورة النبيل منيا وزوجته وكريمته فى قارب يصطادون الطيور . عصر تحوتمس الرابع . ٣٤

مدينة طيبة . صورة لعبة السانيت الشعبية ٣٥

مدينة طيبة . صورة مقبرة أحد العظماء وحفلات دفنه مع أثاث منزله ٣٦

مدينة طيبة اليوم . صورة معبد الأقصر بعد أن رفعت عنه الأتربة حديثاً ٣٦

مدينة طيبة اليوم . صورة جزء من معبد الأقصر حول إلى جامع فى العصر الإسلامى وتحت هذا الجامع كنيسة قديمة ٣٧

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

مدينة طيبة اليوم . خريطة الأقصر كما كانت سنة ١٨٩١ ... ... ٣٧

مدينة طيبة اليوم . صورة معبد الأقصر ويظهر فى مؤخرتها جامع سيدى أبو الحجاج . ولا يزال برج أجراس الكنيسة القديمة قائماً بجوار مئذنة الجامع ٣٨

مدينة طيبة اليوم . صورة مسلتى تحوتمس الثالث والملكة حاتشبسوت وسط أطلال معبد الكرنك فى ضوء القمر ٣٨

مدينة طيبة اليوم . صورة جامع المقشقش يوم السوق بالأقصر ٣٩

مدينة طيبة اليوم . صورة أكواخ الكرنك وأشجار الدوم ٣٩

مدينة بير رمسيس . صورة تمثال كامل دقيق الصنع للملك رمسيس الثانى فى شبابه بمتحف تورينو بايطاليا ٤٠

مدينة بير رمسيس . صورة الملك رمسيس الثانى يستقبل ملك الحيثيين فى قاعة العرش ٤١

صورة القلاع والحصون التى كانت تحمى حدود مصر الجنوبية فى عصر رمسيس الثانى ٤١

مدينة الاسكندرية القديمة . بوابة القمر عند مدخل شارع كانوب ٤٤

مدينة الاسكندرية القديمة . آثار كوم الشقافة ٤٤

مدينة الاسكندرية القديمة . آخر ليلة فى حياة كليوباترا ٤٤

مدينة الاسكندرية القديمة . حجر رشيد بالمتحف البريطانى بلندن ٤٥

مدينة الفسطاط . مناظر فى حفائر الفسطاط ٤٧

مدينة القاهرة . القاهرة بشعرها وجاذبيتها وسحرها الشرقى الفتان ٤٨

مدينة القاهرة . قلعة صلاح الدين وتبدو مآذن مساجدها خطوطاً رشيقة فى الأفق الوسيع ٤٨

مدينة القاهرة . الطريق الصاعد من مينا هاوس إلى الهرم الأكبر (رمز لربط أحدث مدنية بأقدم المدنيات التى عرفها العالم) ٤٨

مدينة القاهرة . مقارنة بين سيدة مصرية من العصر الفرعونى وسيدة مصريه من العصر الحديث ... ٤٨

الموقع وأصل المصريين :

خريطة القطر المصرى الجيولوچية ٤٩

قطاع يبين طبقات الرواسب البحرية فى القطر المصرى ٥٠

نهر النيل يشق مجراه وسط الهضاب الصحراوية ٥١

منظر وادٍ عميق نحرته مياه السيول فى الصخور الجيرية بالصحراء الشرقية ٥٢

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

منظر سيل جارف ينحط من الجبل بعد مطر شديد ٥٢

وادى حوف . منظر نحر مياه السيول فى الصخور الجيرية ٥٢

البشارين من أبناء حام وهم الذين تسلسل منهم قدماء المصريين ٥٣

قطاع يبين طبقات الرواسب النهرية التى تتكون منها دلتا النيل ٥٣

مقارنة بين فلاحة الأمس وفلاحة اليوم ٥٤

الصحراء الغربية :

تتكون معظم صخور الصحراء الغربية السطحية من حجر الجير ٥٥

كيفية تكوين الآبار الإرتوازية بالواحات ٥٦

بئر تتفجر منها المياه بقوة كبيرة بالواحات الخارجة ٥٦

عين تصب مياهها فى مستق لرى الحقول بالواحات الخارجة ٥٧

الكثبان الرملية المتنقلة (الغرود) فى الصحراء الغربية ٥٧

صورة تظهر أن أهرام الجيزة بنيت من محاجر محلية وكسيت بأحجار طرة ٥٩

قطاع يبين وجود طبقة مياه عذبة فوق المياه المالحة فى المنطقة الساحلية لشاطئ البحر بالصحراء الغربية ٦٠

منخفض القطارة بالصحراء الغربية . منظر لطبيعة الأرض ٦١

وادى النطرون :

خريطة وادى النطرون وموقع البحيرات والأديرة العامرة وخلافها ٦٣

الأنموذج الأصلى للمحراب المجوف فى العمارة الإسلامية ٦٤

الطريق إلى أديرة وادى النطرون ٦٥

دير فى وادى النطرون ٦٥

دير البرموس ٦٦

كتابة آرامية وجدت على كفن بسقارة . وهذه اللغة هى التى كان يتكلم بها السيد المسيح مع تلاميذه فى الجليل (فلسطين) وتعرف أيضاً باسم اللغة السريانية ٦٨

دير السريان . منظر خارجى ٦٩

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

دير السريان . منظر داخلى ٦٩

دير السريان . الكنيسة الكبرى من الخارج ٧٠

دير السريان . باب الخورس بالكنيسة الكبرى ٧١

دير السريان . زخارف جصية بالكنيسة الكبرى ٧٢

دير السريان . قنطرة الحصن المتحركة ٧٣

دير الانبا بشوى ٧٤

دير الانبا مقار . قنطرة الحصن المتحركة ٧٥

دير أبو مقار ٧٦

الصحراء الشرقية :

وادى حوف . طريق القوافل منذ القدم ٨٣

بعض ظواهر الصحراء الشرقية ٨٤

وادى حوف . منظر نحر مياه السيول فى الصخور الجيرية ٨٦

منظر عام لمناجم الفوسفات قرب سفاجا ٨٧

منظر لجزء من حقول البترول بالغردقة ٨٨

بئر فى أول إنتاجها يتدفق البترول من فوهتها بقوة عظيمة ٨٩

أحد عروق المرو الحاملة للذهب بمناجم سمنا ٩٠

منظر منطقة مناجم المنجنيز بشبه جزيرة سينا ٩٠

منظر عام لأحد الشعاب المرجانية بالبحر الأحمر ٩١

خريطة تبين أهم مواقع الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وحوض النيل بالقطر المصرى ٩٢

منظر أحد شوارع القاهرة وقد غمرته السيول بعد أمطار شديدة ٩٥

جبل المقطم :

مواقع شواطىء البحر الأبيض والبحر الأحمر فى العصور الجيولوجية المختلفة ٩٧

قطاع تقريبى لوادى النيل ٩٩

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

قطاع يبين مناسيب الوديان الأربعة التى تخترق جبل المقطم فى شمال القاهرة وأطوالها بالكيلومتر ... ١٠٠

طبقات جيرية من العصر الأيوسينى بجبل المقطم حيث جامع الجيوشى ١٠١

يبدو جبل المقطم وهو يطل على أحياء الموتى بالإمام الشافعى كأنه شاطىء بحر قديم ١٠٢

الجبل الأحمر :

خريطة لمنطقة القاهرة تبين الظواهر الطبيعية المحيطة بالمدينة ١٠٤

منظر الغابة المتحجرة ومنظر قطعة من الخشب المتحجر ١٠٥

صناعة قطع الأحجار . عمال ينحتون أحجار سور هرم اللشت الذى بنى فى عهد الملك سنوسرت الأول ١٠٧

عيون حلوان المعدنية :

الينبوع الجديد عند ظهوره ١١٠

أمحوتب وزير الملك زوسر أول طبيب فى التاريخ ١١١

ينبوع حلوان الجديد ١١٤

حلوان جراند أوتيل ١١٨

حلوان البلد وحلوان الحمامات :

خريطة حلوان وضواحيها ١٢٠

منظر نهر النيل بالقرب من حلوان البلد ١٢٢

منظر لبعض أحياء المدينة ١٢٣

مبنى حمامات حلوان ١٢٥

الخديوى عباس حلمى الثانى يفتتح مبنى حمامات حلوان ١٢٥

مياه حلوان الكبريتية . حوض السباحة ١٢٥

منظر آخر لجراند أوتيل ١٢٧

الحديقة اليابانية ١٢٧

كشك الموسيقى وكازينو المحطة ١٢٧

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

تصميم المدينة الساحرة لمشروع ينبوع حلوان الجديد ١٣١

مرصد حلوان ١٣٥

خط حلوان :

عربة الديزل الفاخرة فى محطة المعادى ١٥٠

تعليقات على بعض القرى والنواحى الأثرية :

صورة تمثل اليهود وهم يصنعون اللبن (الطوب النئ) اللازم لبناء أسوار مدينة « بير رمسيس » فى عهد رمسيس الثانى ١٥٢

رسم يبين موقع شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة فى عصر الفتح العربى بالنسبة لموقفه فى العصر الحالى . وترى فيه بركة الحبش وخليج بنى وائل وجبل الرصد الخ الخ ١٦١

تنقلات العواصم المصرية القديمة فى منطقة القاهرة :

خريطة مقاطعات الوجه البحرى فى العصر الفرعونى ١٧٤

خريطة مقاطعات الوجه القبلى فى العصر الفرعونى ١٧٦

خريطة تبين مواقع تنقل رأس الدلتا فيما بين مدينة منف جنوباً وموقعها الحالى عند جزيرة الشعير شمالا ١٨٤

خريطة تبين تحول مجرى النهر فى منطقة القاهرة فى العصور المختلفة ١٨٨

خريطة تبين نوع التربة فى منطقة القاهرة . وحدود الطروح المختلفة ومدى تطورات العواصم المتتالية التى نشأت على الضفة الشرقية للنهر ١٨٩

هنا ينتهى الجزء الأول من كتاب القاهرة ويليه الجزء الثانى

١٩٤٣/٩/١/١٠٣٦

7821 - (053)
(021)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Date Due

Demco 38-297

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

BOBST LIBRARY
3 1142 01570 1520

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Faraj, Fuad
al-Qahirah
al-Qāhirah

المدن المصرية

وتطوراتها مع العصور

مجموعة فنية تاريخية

المجلد الرابع

القاهرة

(٢)

V.2

تاريخ المدن القديمة ودليل المدينة الحديثة

١٩٤٤

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

فؤاد فرج

مهندس بالبلديات بمصر

ملتزم طبعه ونشره

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

7821 10-3

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Near East

DT
143
.F3
v.2
c.1

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تصدير

يسرنى أن أسجل على هذه الصفحات آراء الكتّاب والجرائد وقادة الفكر فى الجزء الأول من كتاب « القاهرة » الذى ظهر فى ٧ رمضان الماضى سنة ١٣٦٢ هـ تحية لعيد عاصمة المملكة المصرية الألفى ما

المؤلف

رأى مجلة هدى الاسلام :

نشرت مجلة « هدى الإسلام » فى العدد ٤٧ من السنة التاسعة الصادر يوم الخميس ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤٣ بقلم الأستاذ حسن قاسم مدير المجلة تحت عنوان « المدن المصرية » — « القاهرة » ما يأتى :

القاهرة هى المدينة العظمى ونهاية العواصم المصرية ، ولها تاريخ حافل مجيد ، وماض زاهر — بيد أنه محفوف بشىء من الغموض — وبالرغم من هذا الستار الكثيف الذى أسدل عليها ولم يستطع الباحثون كشفه حتى هذه الساعة ، فقد اشترك فى الكتابة عن تاريخها من نواحٍ شتى ، العدد الكثير من الكاتبين ، وهم على اختلاف منازعهم ومشاربهم يقصدون وجهة واحدة هى (القاهرة) دار الخلافة الإسلامية ، ونهاية العواصم المصرية . ففريق تصدى للكتابة عن تراجم من أنجبت من علماء وأدباء وأمراء وكتاب فى كل عصورها الماضية . وفريق كتب عن حياة مؤسسيها ونحلتهم وسياستهم إلى غير ذلك . وفريق نحا ناحية تخطيطها فذكر معالمها وآثارها إلى غير ذلك مما لها من تاريخ عمرانى مجيد تطور بدورة الزمن . وفريق وقف قلمه عند هذا الستار الكثيف الذى أسدل عليها زهاء عشرة قرون كاملة ، فطرق باب الكتابة عن الأسباب الصحيحة التى من أجلها تسمت بالقاهرة ، ومن أجلها اختيرت لها هذه المنطقة مع بعد الشقة بينها وبين الفسطاط والعسكر والقطائع ، وهى العواصم التى سبقتها وكان لها شأواً بعيداً فى الحضارة والتمدن ، وأين هى العواصم التى سبقتها ، ومن أسسها ، وما يحيط بها من ضواحٍ ومدن ، وطبيعة أرضها ومناخها ، وتحول نيلها وآثار أممها السابقة ، إلى غير هذه النواحى التى يجدر بالكاتبين فى تاريخ القاهرة أن يبحثوها على ضوء العلم الصحيح ، هذا بوصف ما غبر من تاريخها ، وأما الحاضر منه ، فهذا ما لا يحيط به إلا كاتب واسع الاطلاع ، فيستطيع أن يكتب عن مدى عمرانها وعن التطورات الزمنية التى تسير بالقاهرة بخطى سريعة فتحولها من صورة محدودة النطاق إلى صورة أوسع مدى وأكثر عمراناً ؛ والمجال فى هذه الحقبة مترامى الأطراف متشعب النواحى ، ولا يحيط به كما قلنا إلا كاتب قدير .

هذه النواحى من تاريخ القاهرة العظمى — كما كانت تسميها دول أوربا فى عصورها الماضية — كانت تجيش

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى نفسى ، وأتمنى أن لو يحقق الله هذه الفكرة بهمة من تصدى للكتابة عن القاهرة من الكتاب المعاصرين ؛ لكن شيئاً من هذا لم يظهر ، تتحق معه هذه الأمنية .

حتى ظهر كتاب (القاهرة) للأستاذ فؤاد فرج المهندس بإدارة البلديات ، فأخذت أتصفح الكتاب ، ثم استوعبته قراءة ودرساً ، و إذ ذاك شعرت بأن الأستاذ قد وفق إلى ما كانت تصبو إليه نفس كل باحث فى تاريخ القاهرة ، ذلك لأن تاريخ القاهرة بوضعه الحالى مبتور أقطع ، ويجب أن يوصل لتتم الحلقة المفقودة منه .

وهذا ما تصدى له الأستاذ فؤاد فرج فى كتابه هذا ، ففى الجزء الأول منه الذى صدر فى ٢٠٠ ص يزينها ١١٣ صورة من الصور المختلفة التى يربطها بصلة تاريخ القاهرة رباط وثيق ، قد بحث هذه الحلقة المفقودة ؛ فأظهرها فى بسط من القول وتحقيق دقيق لم يضطلع به سواه ، فى إثنى عشر فصلا ، عن عواصم القطر المصرى فى العصور المختلفة وعن موقع مدينة القاهرة من الناحية الطبيعية ، وعن صحراوات القاهرة ، ووديانها ، ومقطمها ، وعن ضواحيها : حلوان المدينة الصحية العظيمة ، وهى الوطن الثانى لكاتب هذا المقال ، ثم مرفأ طرا وشهران (المعصرة حالياً) وهى القرية المشهورة بمعاصرها العظيمة فيما غبر من الزمان ؛ ثم منية السودان (المعادى حالياً) وهى القرية الطولونية ، إحدى القرى المصرية القديمة التى أقطعها أحمد بن طولون لاثنى عشر ألفاً من غلمانه السود ، فعرفت بهم بعد تسميتها بالعدوية (سيدة من الطائفة النسطورية) وتعرف الآن بمعادى الخبيرى نسبة إلى الريس حسين بن حماد الخبيرى المستشهد فى يوم الأحد ٤ من المحرم سنة ١٢٢٤هـ . وقد انشطرت هذه القرية إلى شطرين : القسم الشرقى وهو سكن الطبقات الراقية ، ويتصل من شماليه بقرية بساتين الوزير و ببعض أرض بركة المعافر (الحبش) ، والقسم الغربى ويقع على النيل مباشرة ، وهو سكن الطبقات الفقيرة والمتوسطة . ثم ذكر قرية دير مارى حنا (دير الطين حالياً) وهى القرية التى اشتهرت بتصدير الطين الأصفر لعمل الخزف بمصانع العدوية (المعادى) وغيرها — و به عرفت منذ عهد سحيق إلى غير ذلك من المباحث التى لا تجدها فى كتاب غير مؤلف « الأستاذ فؤاد فرج » .

وهذا الجزء بمجموع ما فيه مما أشرنا إليه فى هذه العجالة الصحفية ، يعتبر كمدخل للأجزاء التالية . وسيتناول الجزء الثانى الكلام عن عواصم مصر : الفسطاط ، العسكر ، القطائع وسواها . ويخصص الجزء الثالث للناحية العمرانية وغيرها فى القاهرة من أقدم عصورها حتى الآن .

وستكوّن من مجموع هذه الأجزاء الثلاثة ، سفر عظيم عن (القاهرة) سيبقى أثراً خالداً تعتزبه الأجيال القادمة .

والقاهرة من الناحية العمرانية غنية بهذا التراث فمجموع ما تبقى لدينا من آثارها وعددها حول ٦٠٠ أثر من ألف أو تزيد ، قد جعل منها مدينة مقدسة ذات حرمة ومهابة .

ثم دارت دورة الزمان عليها . فبلغت مبلغاً عالياً من التقدم والسعة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وهذا ما دعانا لأن نفرد لهذا الباب بنوع خاص مؤلفا ضخما فى اثنى عشر جزءا أستوعبنا فيه كل ما يتعلق بالقاهرة من الناحية الطبوغرافية والأثرية وصححنا به أغلاط من كتب فى هذه المباحث منذ عصر المقريزى حتى اليوم ، مستدركين ما فات على الكاتبين مما جهل أو غمض عنهم من هذه المعالم والآثار ، بصورة بسطنا فيها القول وأوسعنا المدى .

فكتاب (القاهرة) إذ يأتى اليوم محققاً لفكرتنا ، قد أدى فيه الأستاذ فؤاد فرج مجهوده خير أداء ، وليس بدعاً أن يوفق الأستاذ فى كتابه هـذا ، فقد وفق فى كتابيه (الاسكندرية) و (منطقة قنال السويس ومدينة القنال) أيما توفيق .

ولقد سدت هذه الكتب فراغا كبيراً ، وأضافت إلى المكتبة العربية ذخراً باقياً وكنزاً ثميناً .

والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً بمطبعة المعارف الشهيرة ، وقد أصدرته فى الوقت المناسب ، فشكر الله سعى القائمين عليها ، وشكر الله الأستاذ فؤاد فرج ، وبيّض وجهه ، فقد ملأ قلبى سروراً بكتابه هذا ؟

حسن قاسم

رأى جريدة المصرى :

ونشرت جريدة « المصرى » الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٣ تحت عنوان : « العيد الألفى لمدينة القاهرة » ما يلى :

وضع الأستاذ فؤاد فرج المهندس بادارة البلديات كتابه الثالث عن « المدن المصرية » وقد عنى فى هذا الكتاب خاصة « بالقاهرة » عاصمة الديار المصرية فتناول فيه بالبحث والتفصيل الدقيق عواصم القطر المصرى قديماً ومقارها ومؤسسيها وما لعبته هذه العواصم من أدوار فى تاريخ مصر القديم مستنداً فى بحوثه الممتعة إلى عمد التاريخ العربى والأفرنجى وثقاته مستعيناً بالخرائط والرسوم ولوحات الآثار المودعة كثيراً من المتاحف وقد عقد لذلك إثنى عشر فصلا تناول فيها وادى النيل من أقصاه إلى أقصاه .

وقد جاء فيه عن العيد الألفى لمدينة القاهرة أنه ينعقد صحيحاً فى يوم ٧ من رمضان الحالى سنة ١٣٦٢ هـ (٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣) لأن القاهرة المعزية لم تعتبر عاصمة للدولة الفاطمية إلا بعد أن اكتملت فيها عناصر ثلاثة : أولها المنشئات الدينية والسياسية والمدنية ، وثانيها ، الملك ، وثالثها ، الشعب . ولا عبرة بتاريخ ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الذى بدأ جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى فى وضع أساسها فيه لأن العواصم لا تقوم إلا على الاعتبارات السابقة لا على تاريخ الانشاء .

وقد عرض المؤلف فى بحث من بحوثه لمسألة خلو المدينة من بلدية تنظم شئونها ، وتعنى بعمرانها ، مع اتساعها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

و بلوغها منزلة رفيعة بين مدن العالم ، وعجب لهذا التخليط والتنافى البادى فى تخطيط جاردن ستى، والزمالك ، وقيام عمارات شاهقة بجوار فلات متواضعة مما يتنافى مع مظاهر الجمال والذوق والفن معاً .

ومن طريف ما عرض له الدعوة إلى إنشاء مصيف فى القاهرة للعمال ومتوسطى الحال يقوم على الطريق البديع الممتد على النيل من مصر القديمة حتى حلوان ، وهو عمل سهل لا يكلف الحكومة جهداً كبيراً ولا عناء عظيما فضلا عن أنه يجعل هذا النهر الحزين الكئيب مرحا سعيداً كنهر الدانوب فى ڤينّا ولا ينهض بمثل هذا العمل الفنى الكبير إلا (مجلس بلدى) .

رأى جريدة المقطم

ونشرت جريدة « المقطم » الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ تحت عنوان : « القاهرة فى ألف عام » ما يلى :

عنيت مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر بتسجيل تحيتها الطيبة للقاهرة عاصمة المملكة المصرية اليوم ٧ رمضان سنة ١٣٦٢ بمناسبة عيدها الألفى لأن العاصمة أنشئت فى مثل هذا اليوم منذ الف عام فاصدرت كتاب « القاهرة » لمؤلفه البارع الأستاذ فؤاد فرج المهندس بالبلديات بمصر فى حلة جميلة وعناية فائقة .

ولقد أجلنا الطرف فى هذا السفر النفيس فوجدنا صاحبه المفضال جهزه بخير المواد وأدق البحوث ورجع إلى ٨٦ مصدراً عربيا و ٦٨ مصدراً إفرنجيا فجاء متحليا بالاتقان والإجادة وقسمه إلى ١٢ فصلا فيها وصف دقيق لعواصم المملكة المصرية فى العصور المختلفة وموقع القاهرة جيولوجيا والصحراء الغربية أو صحراء ليبيا وغور القطارة ووادى النطرون والصحراء الشرقية أو صحراء العرب وما فيها من معادن ، وجبل المقطم ، ومحاجر طره ، والمعصرة ، وصناعة الأسمنت ، وعيون حلوان المعدنية ، وحلوان البلد ، وحلوان الحمامات ، وتأثير سكة الحديد فيها الخ . .

وصدر الكتاب بصورة وسيمة لجلالة الملك وزين بكثير من الصور التى استلزمها البحث فجاء كتاب (القاهرة) هذا تحفة فنية تفخر بها المكتبة العربية .

وعنيت مطبعة المعارف بالفجالة بمصر باصداره بالاتقان اللائق وجعلت ثمنه ٥٠ قرشا فنوجه إليه الأنظار .

رأى جريدة الأهرام

ونشرت جريدة « الأهرام » الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٣ تحت عنوان : « مدينة القاهرة ٧ رمضان ٣٦٢ — ١٣٦٢ هجرية » ما يلى :

تلقينا من الأستاذ فؤاد فرج المهندس بإدارة البلديات العامة ومؤلف سلسلة كتب « المدن المصرية » كلمة لمناسبة مرور ألف عام على اتخاذ القاهرة عاصمة سياسية لمصر ، قال فيها :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ قدم الخليفة المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب ، بعد رحلة طويلة شاقة ونزل فى القصر الكبير الذى أعده لنزوله فى القاهرة قائده المحنك جوهر الصقلى .

لم يكن قد مضى على إنشاء القاهرة — تلك المدينة الجديدة التى أنشأها جوهر فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ، غداة فتح مصر واختراق جيوشه لمدينة الفسطاط — إلا أربع سنوات كاملة ، ومع ذلك ظهرت أمام أعين المعز ، كأتم ما تكون مدينة ملكية حسنا ورونقا .

ولقد كان يبدو فى اختيار موقع هذه المدينة ، وفى تخطيط شوارعها وميادينها ، وفى اختيار موقع القصر الكبير وطريقة بنائه ، وفى توزيع الحارات أو الأحياء الجديدة بين وحدات الجيش الفاطمى المختلفة الأجناس والمشارب ، وكذلك فى اختيار موقع جامع القاهرة إلى جوار مقر الحاكم ، وهو الذى سمى فيما بعد الجامع الأزهر ، وكان أهم منشآت العاصمة الجديدة دينياً وسياسياً ، كان يبدو فى هذا كله أن جوهر الصقلى لم يكن مجرد قائد عسكرى وحسب ، بل كان فوق ذلك مهندساً مبدعاً وفناناً اجتماعياً .

قلنا إن المعز قدم فى يوم ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ ونزل فى القصر الكبير وتولى شئون مملكته الجديدة بنفسه وعند ذلك فقط ، أصبحت القاهرة عاصمة البلاد السياسية ومقر الخلافة الإسلامية . وبذلك تكون القاهرة قد سلخت اليوم — ٧ رمضان ١٣٦٢ — ألف عام هجرى من عمرها ، وهى العاصمة السياسية للبلاد .

وقد أهدى إلينا الأستاذ فؤاد فرج ، لهذه المناسبة ، الجزء الأول من كتابه « القاهرة » ، الذى اعتزم إصداره فى ثلاثة أجزاء .

وهو يشتمل على اثنى عشر فصلا ، أفرد فصلا منها للحديث عن عواصم مصر وتاريخها ، هذا إلى دراسة دقيقة لموقعها ، والظواهر والعناصر الطبيعية التى تتعلق بها . ثم أورد دراسة وافية لمدينة حلوان ووصف البلاد الواقعة بينها وبين القاهرة . واختتم كتابه ببحث فى تنقل مراكز العواصم المصرية القديمة ، تبعاً لتطورات حالة النهر وانتقالات رأس الدلتا .

وقد أخرجت مطبعة « المعارف » هذا الكتاب فى ثوب قشيب ، مزدان بالصور والخرائط ، تحية منها لعاصمة المملكة المصرية فى مناسبة عيدها الألفى .

ويقع الكتاب فى ٢٠٠ صفحة من الورق الجيد المصقول .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بسم الله العلى الكبير أفتتح كتابى الرابع

القاهرة

٢

مقدمة الجزء الثانى

ظهر الجزء الأول من كتاب « القاهرة » فى ٧ رمضان الماضى سنة ١٣٦٢ هـ ، تحية لعيد عاصمة المملكة المصرية الألفى .

وطبيعى أنه ما دام موضوعنا هو « المدن المصرية » وما دمنا نتكلم عن مدينة « القاهرة » فأول ما كان يجب علينا ، هو دراسة المنطقة التى نشأت فيها هذه المدينة !

فخصصنا الجزء الأول من هذا الكتاب لدراسة منطقة القاهرة وجيولوجيتها والصحراوات المحيطة بها ومقطمها وغاباتها المتحجرة ووديانها ونيلها الخ الخ ....

أما الجزء الثانى ، وهو موضوع كتابنا الحالى ، فقد خصصناه ، كما قلنا فى مقدمة الجزء الأول ، لدراسة العواصم القديمة التى قامت فى هذه المنطقة قبل القاهرة مع ذكر ما امتازت به حضارات تلك العواصم وثقافاتها من ظواهر كان لها أثرها الاجتماعى الواضح فى حياة عاصمتنا الخالدة .

ثم خصصنا الجزء الثالث لدراسة مدينة « القاهرة » بمعناها التاريخى وتتبع تطوراتها من يوم إنشائها إلى الآن .

ولما كان كتاب «القاهرة» بأجزائه الثلاثة وحدة وثيقة الارتباط ، يتمم بعضها البعض ، فإن المراجع التى ذكرت فى صدر الجزء الأول من هذا الكتاب كانت بالطبع هى مراجع الأجزاء الثلاثة . وإذا كنا وضعناها هناك بدون ترتيب خاص فإننا نعيدها هنا معدلة ومنسقة ومرتبة طبقاً للحروف الأبجدية كرغبة الكثيرين من أصدقائنا الكرام .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا يفوتنى هنا أن أقرر أننى توسعت عن قصد فى دراسة الظواهر الطبيعية المحيطة بمدينة القاهرة وفى موارد الثروة الموجودة بها وفى دراسة حلوان وضواحيها والكنوز الهائلة الكامنة فى جوفها ، وسأستمر فى إبراز هذا الجانب من موارد بلادنا الطبيعية وذلك لألفت النظر إلى ناحية من نواحى الثقافة التى ننشدها للشباب المصرى ليتطلع إلى الأعمال الحرة فى مستقبل حياته ، لأنه إذا ما ألمّ إلماماً طيباً بما تحويه بلاده من هذه الموارد ، وإذا ما تعلم طرق استغلالها ، وعرف ما تدرّه من ثروات هائلة على المشتغلين بها ، لا شك أنه سيقبل عليها فى مستقبل حياته العملية ويستفيد منها أيما فائدة .

وإنى أرجو صادقاً أن يكون فى عملى هذا ما يحفز رجال وزارة المعارف العمومية على تقرير مادة « جغرافية المدن التاريخية » Geographie Urbaine كمادة أساسية فى التعليم ، تدون فى كتبنا المدرسية ، وتعمم فى معاهدنا ومدارسنا ، لما يترتب على ذلك من فتح أبواب رزق واسعة فى المستقبل ، وإعداد طرق ممهدة للعمل الحر المثمر أمام الألوف من رجال مصر المتعلمين .

وإليك مثلاً ما وصلت إليه فى دراستى لإحدى الظواهر الطبيعية المحيطة بمدينة القاهرة ، فمجرد رفع مياه النيل العذبة فوق جبل المقطم يكفى لتجميل هذا الجبل ولإنشاء مدينة صحية فوق أسناده ، وزرع غابات جميلة فوق أنجاده ، وتحويله من جبل صخرى قاحل إلى حدائق غناء ، وإلى مدينة مرتفعة Super-Town تشرف من علٍ على النهر والوادى والأهرام ، وتضارع فى جمالها وتخطيطها ونظامها ومبانيها وفنادقها وملاهيها أفخر وأبدع المدن الجبلية الشهيرة فى العالم .

مكان بديع فوق جبل المقطم
يصلح لإنشاء مدينة صحية وغابات جميلة ومصيف جذاب بالقاهرة ! !

وكم فى هذا المشروع وحده من جهود تستنفد نشاط الشباب المتعلم لمدة جيل كامل ، ومن ثروات تتدفق على من يعمل فى مجاله المتسع ! !

وإليك الآن بيان هذا المشروع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مشروع تجميل مدينة القاهرة

يبلغ عدد سكان القاهرة الآن طبقاً للاحصائيات الرسمية مليوناً ونصف مليون نسمة ، ولكن هذه الإحصائيات لا تتضمن عاملين مهمين يعملان باستمرار فى زيادة عدد سكان القاهرة :

العامل الأول — هو الزيادة الناتجة من تقاطر العمال الذين جاءوا من الريف ليشتغلوا فى الصناعات الحربية التى خلقتها الحرب الحاضرة واحتياجات الجيوش التى تستعمل الآلات الميكانيكية المتحركة .

والعامل الثانى — هو الزيادة الناتجة من وجود السكان الذين هاجروا من المدن الأخرى أثناء الغارات الجوية وأقاموا نهائياً فى القاهرة .

وبما أنه من المنظور أن هؤلاء وأولئك سيظلون فى العاصمة حتى بعد أن تضع الحرب أوزارها ، كما أنه من المنظور أن تتحول هذه الصناعات الحربية إلى صناعات مدنية للتعمير بعد الحرب ، وسيظل يشتغل فيها هؤلاء العمال ، فلابد إذن من إضافة عددهم إلى عدد سكان المدينة الحالية ، وبذلك يصبح عدد سكان القاهرة الآن حوالى مليونَىْ نسمة .

وتبدو القاهرة اليوم على اتساعها المفرط ومساحتها الهائلة وقدرها ٤٠ ألف فدان مكتظة اكتظاظاً هائلاً بهذين المليونين من السكان . فليس هناك مكان خال فى طريق أو مبنى ولا فى سيارة عمومية ولا فى ترام ولا فى قطار من قطارات الضواحى .

فاذا استمرت الزيادة فى عدد السكان تسير بالنسبة التى هى عليها الآن ، سيبلغ عدد سكان هذه العاصمة أربعة ملايين نسمة فى سنة ١٩٦٠ أى فى أقل من عشرين عاماً .

فأين تذهب هذه الزيادة ، وما مصير هذه العاصمة ؟

يمتد العمار بمدينة القاهرة الآن فى خمسة اتجاهات مختلفة :

أولاً — فى الاتجاه الشمالى الشرقى نحو العباسية ومصر الجديدة وقد كادت هذه المناطق يتصل بعضها ببعض من تلاحق المبانى واتساع العمران .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

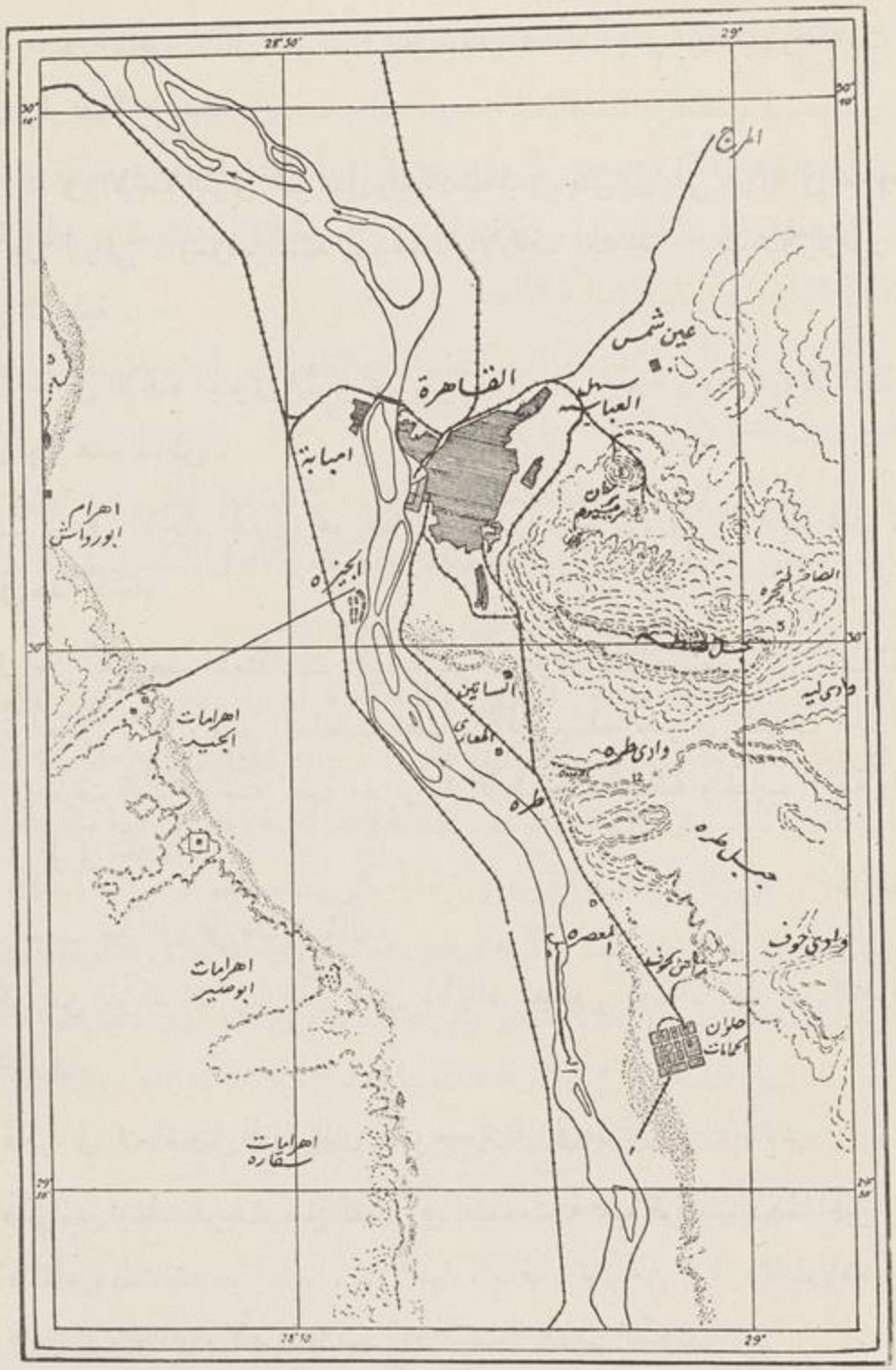

خريطة لبيان اتجاهات العمار الخمسة بمدينة القاهرة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثانياً — فى الاتجاه الشمالى نحو شبرا الخيمة المعروفة أيضاً باسم شبرا البلد وقد كادت المبانى تصل إلى فم ترعة الإسماعيلية .

ثالثاً — فى الاتجاه الغربى نحو الدقى وقد كادت المبانى تصل إلى مبنى وزارة الزراعة ومتحف فؤاد الأول الزراعى . وسوف تمتد إلى مدينة الأوقاف الجديدة — مدينة الزهور والنور والشمس الساطعة .

رابعاً — فى الاتجاه الجنوبى الغربى نحو جزيرة الروضة والجيزة والأهرام وقد كادت المبانى تصل إلى نهاية هذه المناطق .

خامساً — فى الاتجاه الجنوبى نحو المعادى والمعصرة وحلوان ، ولا زال هناك مجال لامتداد العمران فى هذا الاتجاه .

ولكن هل تكفى هذه الامتدادات الخمسة لاستيعاب الزيادة الهائلة المنظورة فى سكان القاهرة ؟ أو بعبارة أخرى ، هل تتسع المساحات الفضاء الباقية بهذه الضواحى لضعف عدد السكان الحاليين فى ظرف العشرين سنة المقبلة مع مراعاة الاحتياجات الصحية وأسباب الراحة والرفاهية المطلوبة فى المبانى الحديثة ؟

من الصعب جداً الرد على هذا السؤال .

ولكن من المؤكد أننا إذا فكرنا فى الاتجاه الطبيعى لامتداد العمار فى القاهرة وهو الاتجاه الشرقى .

إذا فكرنا فى اقتحام جبل المقطم الذى يقف حجرة عثرة فى سبيل هذا الامتداد .

إذا فكرنا فى ارتقاء مدرجات جبل المقطم وفى إنشاء مدينة صحية فوق أسناد هذا الجبل ، لأضفنا إلى أحياء القاهرة الممتازة ، حيا جديداً ، نقى الهواء ، صافياً ، خالياً من الغبار والقاذورات ، يشرف من علٍ على النهر والوادى والأهرام والصحراء ويتسع لملايين من السكان .

ويخيل لنا إن أنجاد الجبل ومرتفعاته أوفق وأصلح مكان لتحقيق الاتجاه الجديد الملاحظ فى العمارات الحديثة بالقاهرة وهو الخاص بإنشاء الحدائق السطوحية «Roof Gardens» فوق أسطح

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

العمارات الشاهقة مثل عمارة الچنفواز وعمارة توفيق دوس باشا وعمارة الأنيون دى باريس وسواها .

فالجبل ، بطبيعة مسطحاته المتسعة العالية حديقة سطح طبيعية لا تحتاج إلا لتمهيد طرق بسيطة تتصل بشوارع القاهرة الحالية . وهذا أمر سهل ، بل الواقع أن هذه الطرق موجودة فعلا الآن ، أوجدتها احتياجات الحرب الحاضرة وحركات الجيوش المحاربة التى مهدت مفاوز الجبل ودروبه واخترقتها فى كل اتجاه وأوصلتها بشوارع العاصمة .

فمدينة المقطم إذن ليست إلا امتداداً طبيعياً للعمران فى القاهرة تفى باحتياجات المستقبل لعاصمة القطر المصرى فى العشرين سنة المقبلة وما يليها .

ومجرد رفع مياه النيل العذبة بواسطة الطلمبات الحديثة ، ذات الضغط العالى ، فوق الجبل ، يحوّل هذا الجبل من صخور قاحلة جرداء إلى جنان وحدائق وغابات ، وذلك فى المناطق المشرفة على المقابر والجبانات ، كتلك التى تطل على الإمام الشافعى وباب الوزير والخفير .

أما المرتفعات الجبلية المشرفة على الوادى والنهر والأهرام والممتدة من مصر القديمة إلى العباسية فتصلح جداً لإنشاء مدينة جبلية مرتفعة Super-Town تتصل بشوارع القاهرة عند نفق دير النحاس المقابل لكوبرى الملك الصالح بمصر القديمة وعند القلعة وعند العباسية بواسطة خطوط السيارات العامة ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها أمكن إنشاء خطوط هوائية للسكك الحديد الجبلية تربط هذه المدينة الناشئة بنقط مركزية فى قلب العاصمة وتوصلها بها فى دقائق معدودة .

هذا وقد دلت التجارب على أن الأشجار والزراعات الأخرى تنمو فوق الجبل نمواً بديعاً متى وصلت إليها مياه النيل العذبة ، وعلى أن التربة هناك صالحة صلاحية تامة للزراعة ، وهناك مثال حىّ على ذلك فى الأشجار الباسقة المحيطة بجامع المغاورى بجبل المقطم خلف القلعة .

وإنى أترك لتصور رجال الإصلاح ما سيعود على مدينة القاهرة من المنافع بسبب إنشاء هذه المدينة الجبلية :

فأولاً — من جهة تجميل العاصمة ، سوف تختفى صورة هذه الصخور القاحلة وتلك التلال الجرداء الموحشة التى تجعل من المشارف البعيدة لهذه المدينة منظراً صحراوياً منفراً ، وترسم محلها فى الأفق صوراً فيها من الجاذبية والجمال والروعة ما يدهش .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهنا حيث لا يرى المسافر المقبل على القاهرة من بعيد إلاّ جبلاً صخرياً قاحلاً سوف ترتسم أمام ناظريه ڤيلات وعمارات فخمة تحيط بها الأشجار الباسقة والغابات الجميلة والحدائق الغناء .

هنا حيث لا يرى المسافر المقبل على القاهرة من بعيد إلا تلالاً موحشة تربض فوق صدر المدينة وتكتم أنفاسها وتمنعها من الحركة والانتشار شرقاً ، سوف ترتسم أمام عينيه الفنادق بنوافذها الزرقاء والملاعب بأعلامها الخضراء والملاهى بجاذبيتها الساحرة ، والمآذن بقدها المشوق .

هنا حيث لا يرى المسافر المقبل من بعيد إلا صحراء وفناء وشقاء ، سوف يرى دنيا منيفة وحياة يانعة ونعيماً مقيماً .

وثانياً — أما من الوجهة الصحية فسوف تتخلص القاهرة بهذا المشروع مما ينتشر فى أجوائها أيام الخماسين ، من الرمال السافية التى تسد الأنفاس وتقبض الصدور ، سوف تتخلص من هبوب الصحراء الملتهبة وحرارتها المحرقة التى تلحف الوجوه صيفاً ، سوف يتمتع من يرقى مرتفعات هذا الجبل صيفاً فى ظلال الغابات المورقة بنسيم منعش لا يتوفر فى الوادى ، ويستنشق هواء صحياً صافياً خالياً من الغبار والميكروبات ، وبدرجة حرارة منخفضة عن درجة حرارة الوادى . سوف يشفق وهو فوق هذه المرتفعات الصحية على سكان الوادى المعرضين لكل أنواع المرض والشقاء .

وثالثاً — أما من الوجهة الحربية ، فلو أن القاهرة حوصرت مدة أسبوع واحد عند ما تقدم الألمان إلى العلمين فى الحرب الحاضرة ، وقطعت مواصلاتها ببلاد الريف المصرى ، لتبين المدافعون عنها ، قيمة استبقاء الأراضى الزراعية الموجودة داخل نطاق المدينة حالياً ، وقيمة استصدار أمر عسكرى يحتم زراعة هذه الأراضى بالخضراوات لتموين المدينة عند اللزوم حتى لا تضطر إلى التسليم جوعاً .

ورابعاً — أما من الوجهة التاريخية ، فطالما انتفع العرب بجبل المقطم ، وطالما أقاموا فوقه المدن والمساجد والتحصينات ، وطالما رفعوا مياه النيل العذبة فوق أنجاده بواسطة تلك الحوائط المعروفة باسم حوائط العيون ، وهى التى كانت تحمل مياه النيل قديماً فى قنوات إلى الجبل ، ولم تزل ماثلة منذ عهد أحمد بن طولون عند بئر أم السلطان بالقرب من ناحية البساتين ، ومنذ عهد قنصوه الغورى بناحية فم الخليج بمصر القديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم ير أمراء مصر وملوكها منذ عهد صلاح الدين الأيوبى، لا بل منذ عهد الطولونيين، إلى نهاية عهد محمد على باشا الكبير، مكاناً أوفق وأصلح مسكناً لهم ولذويهم من مرتفعات القلعة، فأقاموا فوق قمم الصخور المنبسطة هناك، القصور والقلاع والمساجد، التى لم تزل إلى اليوم مفخرة القاهرة القديمة وشعارها الخالد.

طالما انتفع العرب بجبل المقطم وأقاموا فوقه المدن والمساجد والتحصينات !!

إذن لماذا لا تمتد القاهرة الحديثة فوق أنجاد المقطم ؟

لماذا لا تنتشر تلك الأحياء القديمة المكتظة اكتظاظاً هائلا بالمساكن والأهالى إلى أعالى الجبل، لتفرغ ما فى رئتيها من الهواء الفاسد المحبوس ؟

لماذا لا ترتقى أحياء الخليفة والدرب الأحمر ومصر القديمة وسواها مدرجات الجبل وتستنشق الهواء الصحى الخالى من الغبار والقاذورات ؟

الأمر فى منتهى السهولة :

فمجرد تكوين شركة مساهمة وطنية، برأس مال يغطى النفقات اللازمة لتمهيد الطرق ولامتداد شبكة المياه والمجارى والكهرباء فوق الجبل، يكفى لإنشاء مدينة المقطم. ولا نظن أن حكومتنا الرشيدة تضن على مثل هذه الشركة بامتياز الألف فدان اللازمة لهذا المشروع فوق الجبل.

وفى هذا المجال متسع بالطبع لاستثمار مئات الألوف من رؤوس الأموال المصرية ولاستنفاد نشاط مئات من الشباب المتعلم لمدة جيل كامل !!

ومجرد إقرار الحكومة لمشروع إنشاء غابة فوق الجبل مقابل أحياء الموتى يكفى لتلطيف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

جو القاهرة صيفاً ولإنشاء مصيف بديع للفقراء الذين ليس فى مقدورهم السفر إلى الإسكندرية أو رأس البر .

هذا هو المشروع الذى هدتنى إليه دراستى للجغرافية التاريخية لمدينة القاهرة Sa Géographie Urbaine فهدت لى هذه الدراسة سبيل التفكير فى جبل المقطم (راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٩٦) ، وفى طريقة استثماره بهذه الوسيلة لخير القاهريين ! !

والآن لقد أصبح تنفيذ هذا المشروع الواضح الجذاب واجباً فى عنق الأجيال المقبلة لتجنى القاهرة ما فيه من ثمار وارفة ما أشهاها وما ألذها . وخصوصاً متى تحقق مشروع إنشاء بلدية القاهرة فى القريب العاجل إن شاء الله بعد مرور قانون البلديات الجديد فى البرلمان . فهل نحن فاعلون ! !

إلى وزارة الأشغال العمومية وإلى رجالها العاملين وإلى قادة الفكر فيها نرفع هذا المشروع .

وإلى رجال وزارة المعارف العمومية الأجلاء وإلى المسئولين عن سياسة التعليم فى بلدنا نوجه هذه الكلمة راجين تقرير مادة « جغرافية المدن التاريخية » كمادة أساسية فى التعليم ! ! .

والله الموفق والسلام ؟

المؤلف

الأشجار الباسقة المحيطة بتكية السلطان عبد الله المغاورى بجبل المقطم خلف القلعة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كتاب « القـــــاهرة »

أهم المراجع العربيـــة

أعدنا هنا بيان مراجع كتاب « القـاهرة » بأجزائه الثلاثة معدلة ومنسقة ومرتبة طبقاً للحروف الأبجدية كرغبة الـكثيرين من أصدقائنا الـكرام :

١ — ابراهيم محمد المصرى المعروف بابن دقماق — الانتصار بواسطة عقد الأمصار طبعة سنة ١٣١٤ م

٢ — ابن الجيعان — التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية : توفى سنة ١٣٩٨ م

٣ — ابن بطوطة — تحفة النظار فى غرائب الأمصار : توفى سنة ١٣٧٨ م

٤ — ابن جبير — رحلة ابن جبير : توفى سنة ١٢٠٤ م

٥ — ابن حوقل — المسالك والممالك

٦ — ابن عبد الحـكم — فتوح مصر : توفى سنة ٨٧١ م

٧ — أبو البركات محمد بن إياس — بدائع الزهور فى وقائع الدهور . ثلاثة أجزاء : طبعة سنة ١٨٩٣ م

٨ — أبو العباس أحمد القلقشندى — صبح الأعشى فى صناعة الإنشا فى ١٤ جزء توفى سنة ١٤١٨م (طبعة القاهرة سنة ١٩١٤)

٩ — أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . طبعة دار الكتب المصرية وتعليقات محمد بك رمزى عليها (١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣٢ و ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٨ و ١٩٣٩)

١٠ — أبو صالح الأرمنى — أخبار من نواحى مصر : توفى سنة ١١٥٥ م

١١ — إحصاء شركات المساهمة — دليل الحـكومة — طبعة سنة ١٩٤٣

١٢ — أحمد شفيق باشا — الرق فى الإسلام تعريب أحمد زكى باشا

١٣ — أحمد شفيق باشا — مذكراتى فى نصف قرن : طبعة سنة ١٩٣٤

١٤ — أحمد كمال باشا - الحضارة المصرية القديمة

١٥ — اسماعيل سرهنك باشا — حقائق الأخبار عن دول البحار فى مجلدين طبعة سنة ١٨٩٦

١٦ — أطلس مصر : سنة ١٩٣٨

١٧ — الأدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : توفى سنة ١١٥٣ م

١٨ — الأرصاد الجوية : نشرات المرصد المصرى بحلوان

١٩ — الأطلس المتيورولوجى لمصر : طبعة سنة ١٩٣١

٢٠ — البستانى — دائرة المعارف : توفى سنة ١٨٧٠ م

٢١ — التقارير السنوية لوزارة الأشغال العمومية من سنة ١٩٣٠ إلى الآن

٢٢ — السخاوى — الضوء اللامع

٢٣ — المتحف المصرى — موجز فى وصف الآثار الهامة طبعة سنة ١٩٣٧

٢٤ — المجلة الطبية المصرية ومجلة العمارة ومجلة السكك الحديدية وسواها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢٥ — المقدسى — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم : توفى سنة ٩٩٠ م

٢٦ — إلياس الأيوبى — تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل فى مجلدين

٢٧ — أمين سامى باشا — تقويم النيل فى ستة مجلدات طبعة سنة (١٩١٣ و ١٩٢١ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦)

٢٨ — أنطون زكرى — الحكومة الاشتراكية منذ ٣٥٠٠ سنة — مصر الاقتصادية فى عهد الأسرة ١٨ الفرعونية : طبعة سنة ١٩٣٥

٢٩ — بتلر — فتح العرب لمصر تعريب الأستاذ فريد أبو حديد طبعة سنة ١٩٣٣

٣٠ — بيانات ومحاضر لمصلحة المناجم

٣١ — تقويم الحكومة سنة ١٩٣٩

٣٢ — تقى الدين المقريزى — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار فى أربعة مجلدات توفى سنة ١٤٤١ م

٣٣ — جورجى زيدان — تاريخ التمدن الإسلامى فى خمسة أجزاء طبعة سنة (١٩١٤و١٩٢٦و١٩٣١و١٩٢٧و١٩١٩)

٣٤ — جورجى زيدان — تاريخ مصر الحديث فى مجلدين : طبعة سنة ١٩٢٥

٣٥ — حسن صادق باشا (الدكتور) — الجيولوجيا طبعة سنة ١٩٣١

٣٦ — حسن ابراهيم حسن (الدكتور) — الفاطميون فى مصر : طبعة سنة ١٩٣٣

٣٧ — خرائط مجسمة بالجمعية الجغرافية الملكية المصرية

٣٨ — خرائط مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ١٠٠٠

٣٩ — خرائط مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ٥٠٠٠

٤٠ — خريطة مدينة القاهرة وضواحيها ١ : ٧٥٠٠٠

٤١ — دليل الجمعية الجغرافية الملكية المصرية : طبعة سنة ١٩٣٤

٤٢ — دليل المتحف القبطى فى جزئين : طبعة سنة (١٩٣٠ و ١٩٣٢)

٤٣ — دليل متحف سكك حديد الحكومة المصرية : سنة ١٩٣٣

٤٤ — سليم بك حسن — مصر القديمة فى جزئين طبعة سنة ١٩٤٠

٤٥ — صالح بك على — الخرائط التاريخية

٤٦ — عبد الرحمن الجبرتى — عجائب الآثار فى التراجم والأخبار فى أربعة مجلدات توفى سنة ١٨٢٥

٤٧ — عبد الرحمن بك الرافعى — تاريخ الحركة القومية فى ثلاثة أجزاء : طبعة سنة ١٩٢٩

٤٨ — عبد الرحمن بك الرافعى — عصر اسماعيل فى مجلدين طبعة سنة ١٩٣٣

٤٩ — عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين السيوطى — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة جزءان طبعة ١٩٠٩

٥٠ — عبد الرحمن زكى (البكباشى) — القاهرة فى جزئين طبعة سنة (١٩٣٤ و ١٩٣٥)

٥١ — عبد الرحمن زكى (البكباشى) — الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير طبعة سنة ١٩٣٩

٥٢ — عبد الهادى حماده ومحمد زكى فور — دليل آثار الأقصر : طبعة سنة ١٩٤٢

٥٣ — عبد اللطيف البغدادى — وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ ميلادية : طبعة سنة ١٩٣٢

٥٤ — على بك بهجت واليير جبريل — حفريات الفسطاط : طبعة سنة ١٩٢٨ (ترجمة على بك بهجت ومحمود عكوش)

٥٥ — على باشا مبارك — الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وقراها فى عشرين جزء طبعة سنة ١٨٨٨

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٥٦ — سمو الأمير عمر طوسون — وادى النطرون طبعة سنة ١٩٣٥
٥٧ — سمو الأمير عمر طوسون — البعثات العلمية فى عهد محمد على طبعة سنة ١٩٣٤
٥٨ — سمو الأمير عمر طوسون — صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على طبعة سنة ١٩٤٠
٥٩ — عمر عبد العزيز أمين — تاريخ البريد فى مصر طبعة سنة ١٩٣٤
٦٠ — فؤاد فرج — الإسكندرية طبعة سنة ١٩٣٧
٦١ — فؤاد فرج — منطقة قنال السويس ومدن القنال طبعة سنة ١٩٤٢
٦٢ — فؤاد عبد الملك — مذكرات عن حلوان الحمامات وينابيعها المعدنية
٦٣ — كراسات الإحصاء سنة ١٩٣٧
٦٤ — كلوت بك — لمحة عامة إلى مصر في مجلدين (ترجمة محمد بك مسعود) طبعة سنة ١٨٤٠
٦٥ — محمد السيد النعناعى — حوض النيل طبعة سنة ١٩٤٠
٦٦ — محمد أمين حسونه — مصر والطرق الحديدية : طبعة سنة ١٩٣٨
٦٧ — محمد حسنين مكاوى — التقدم العمرانى لمدينة القاهرة والمدن المصرية الأخرى طبعة سنة ١٩٣٨
٦٨ — محمد بك رمزى — مذكرات خاصة
٦٩ — محمد صابر — يوم مع قدماء المصريين فى منف طبعة سنة ١٩٣٩
٧٠ — محمد صابر — من أدب الفراعنة طبعة سنة ١٩٣٧
٧١ — محمد عبد الجواد الأصمعى - قلعة محمد على لا قلعة نابليون طبعة سنة ١٩١٤
٧٢ — محمد عبد العزيز مرزوق — مساجد القاهرة قبل عصر المماليك طبعة سنة ١٩٤٢
٧٣ — محمد عبدالله عنان — تاريخ الجامع الأزهر طبعة سنة ١٩٤٢
٧٤ — محمد عبد الله عنان — مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية طبعة سنة ١٩٣١
٧٥ — محمد عبد الله عنان — مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام طبعة سنة ١٩٢٩
٧٦ — محمد عوض محمد (الدكتور) : نهر النيل
٧٧ — محمود ابراهيم عطية — مذكرة عن المياه الغائرة فى الأرض فى القطر المصرى
٧٨ — محمود باشا أحمد — دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة طبعة سنة ١٩٣٨
٧٩ — معالى الأستاذ محمود سليمان غنام — المعاهدة المصرية الإنجليزية طبعة ١٩٣٦
٨٠ — مصلحة المساحة — الدليل الجغرافى لأسماء المدن والنواحى طبعة سنة ١٩٤٠
٨١ — مقتبسات عن النيل والرى والفلاح المصرى وعواصم مصر الإسلامية من الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية
٨٢ — لبيب حبشى وزكى تاوضروس — في صحراء العرب والأديرة الشرقية طبعة سنة ١٩٣٩
٨٣ — ناصرى خسرو — رحلة ناصرى خسرو فى مصر ليحي الخشاب (مخطوط بمكتبة جامعة جامعة فؤاد الأول)
٨٤ — نشرات من متحف فؤاد الأول الزراعي ومتحف سكك حديد الحكومة المصرية والمتحف المصرى ودار الآثار العربية ومتحف الشمع وشركات الملاحة
٨٥ — ياقوت الحموى — معجم البلدان توفى سنة ١٢٢٤ م
٨٦ — يوسف جرجس — الرحلة البطريركية إلى الأمبراطورية الآثوية : طبعة سنة ١٩٣٠

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كتاب « القـــــاهرة »

أهم المراجع الأفرنجية

1— Abbate — Les Origines du Caire — 1880.
2— A. D. Mechenzi — The Story of Ancient Egypt.
3— A. Moret — Le Nil et la Civilisation Egyptienne.
4— A. Moret — La Nation Egyptienne.
5— Architecture Antiquités.
6— British Museum — A Guide to the Egyptian Collections.
7— Brooks — Climate throughout the Ages.
8— Brugsch — Dictionnaire Géographique de l'Ancienne Egypte.
9— Budge — Books on Egypt and Caldea XIV, XV, XVI.
10— Bulletins de la Société de Géographie d'Egypte.
11— Mrs. Butcher — The Story of the Church of Egypt. 2 vols. 1899.
12— Casanova — Essai de Reconstitution Topographique de la ville d'Al-Foustat ou Misr. Le Caire 1919.
13— Capt. Creswell — Chronology of Muslim Monuments. 1917.
14— Capt. Creswell — The Foundation of Cairo 1933.
15— Capt. Creswell — The Citadel of Cairo.
16— Mrs. Devonshire — Rambles in Cairo 1917.
17— Mme Devonshire — L'Egypte Musulmane et les Fondateurs de ses Monuments 1926.
18— E. Amélineau — La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Copte.
19— Emil Ludwig — The Nile in Egypt.
20— Encyclo. Britannica.
21— Expédition de Bonaparte. Description de l'Egypte.
22— F. E. Griffith — The Religious Revolution in Egypt.
23— Fernand Leprette — Egypte, Terre du Nil. 1939.
24— Flinders Petrie — The Egyptians.
25— Flinders Petrie — The Arts and Crafts of Ancient Egypt.
26— Fraser. R. — Cairo Past and Present 1892.
27— Gabriel Hanotaux — Histoire de la Nation Egyptienne 7 vols.
28— G. Ebers — Egypt : Descriptive, Historical & Picturesque. 1878.
29— Guides Bleus Illustrés — Le Voyage d'Egypte : Alexandrie, Le Caire. 1929.
30— Hautecœur et M. Wiet — Les Mosquées du Caire. 1933.
31— Henri Gauthier — Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hiéroglyphiques.
32— Henry Lyons — Physiography of the River Nile.
33— Herodote I & II
34— H. R. Hall — Egypt in the Brillance of Decay.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

35— Hume F. — Survey of Egypt, Geological Depart. Cairo 1925.
36 — J. Leibovitch — Ancient Egypt.
37— Karl Baedeker — Egypt and the Sudan.
38— La Grande Encyclopédie.
39— Le Monde Illustré.
40— Le Tour du Monde.
41— L. Gaidey — Voyage du Sultan Abd El Aziz de Stamboul au Caire. 1865
42— Linant de Bellefond — Mémoires sur les Principaux travaux d'Utilité Publique Exécutés en Egypte. 1872.
43— Lionel Wiener — L'Egypte et ses Chemins de Fer. 1932.
44— Mallet — Histoire Romaine.
45— Marcel Clerget — Le Caire. 2 vols. 1934.
46— Margolioth — Cairo, Jerusalem and Damascus. 1907.
47— M. Briggs — Mohammedan Architecture in Egypt and Palestine.1927
48— Migeon. G — Le Caire, Le Nil et Memphis. 1928.
49— S. A. Le Prince Omar Toussoun — Mémoires sur les Anciennes Branches du Nil. Tome IV.
50— S.A. Le Prince Omar Toussoun — Mémoires de l'Institut d'Egypte.
51— S.A. Le Prince Omar Toussoun — Mémoires sur l'Histoire du Nil.
52— Page May — Helwan and the Egyptian Desert. 1901.
53 — Pauty E.—Les Palais et les Maisons d'Epoque Musulmane au Caire.1932
54— Phil. Schan — Through Bible Lands.
55— Poole E.W.L. — Cairo Fifty years Ago. 1896.
56— Ravaisse P. — Essai sur l'Histoire et sur la Topographie du Caire d'aprés Makrisi 1887 — 1890.
57 — Recueil Général des Contrats. Ministere des Finances. 1908.
58— Reynolds Ball — The City of the Califs. 1897.
59— Rhoné A. — L'Egypte à Petites Journées. 1865.
60— Rev. Shenouda Hanna — The Coptic Church of El-Muallaka and others at Old Cairo.
61— S. H. Robinson — Civilisation.
62— Sladen D. — Things ought to be seen in Cairo.
63 — Stanley, Lane Poole : 1) The Story of Cairo. 2) Cairo, Sketches of its History, Monument and Social Life. 1895.
64— The National Geographic Magazine Wasington P.C.
65— The Overland Route — Europe — India — Thomas Waghorn.
66— Voyage dans la Basse et dans la Haute Egypte, pendant les Campagnes de Bonaparte. 2 vols.
67— W. Willcocks and Craig — Egyptian Irrigation.
68— Y. Breasted — A History of Egypt.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة

٢

الفصل الأول

مدينة منف

أتممنا دراسة الظواهر الطبيعية المحيطة بمنطقة القاهرة فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، وعرفنا أسباب تنقلات العواصم التى نشأت فى هذه المنطقة منذ القدم . ونتكلم الآن عن هذه العواصم فنقول :

يبدأ الفصل الأول من تاريخ القاهرة فى الواقع ، منذ تأسيس مدينة منف عند ملتقى حدود المملكتين الكبيرتين السابقتين لعصر التاريخ بعد ما تم توحيدهما فى عهد الملك « مينا » سنة ٣٢٠٠ ق . م .

ويرجع اختيار موقع هذه المدينة ، بجوار رأس الدلتا القديمة ، فى المكان المعروف الآن باسم قرية ميت رهينة بناحية البدرشين بمديرية الجيزة إلى سببين :

السبب الأول هو أن وجود هذه المدينة عند رأس الدلتا يجعلها تسيطر على طرق الملاحة فى جميع فروع النيل القديمة المؤدية للوجهين القبلى والبحرى . وبهذه الطريقة يمكن بسهولة ارسال الحملات العسكرية اللازمة فى النيل فى أى اتجاه لأخماد أى ثورة تقوم فى مدن المملكة الشمالية التى أخضعت حديثاً ودخلت فى حكم ملوك الجنوب .

والسبب الثانى هو أن وجود منف فى هذا الموقع ، يجعلها مركز دفاع هام يسيطر على طرق القوافل فى الصحراء الغربية فيمكن بذلك صد غارات الليبيين الذين كانوا يسايرون فرع النيل الغربى القديم حتى نقطة تفرعه عند بداية الدلتا للهجوم من هناك على مدن ومقاطعات الوجه البحرى الغربية وهى التى كانت تقوم فى مكان مديرية البحيرة الحالية.

أمر « مينا » أذن بتحويل هذا الفرع الأكبر من النيل من الغرب إلى الشرق بواسطة سد عظيم أقامه عند فم هذا الفرع .

قال هيرودوت إن الفرع الأكبر للنيل فى عهد « مينا » كان يمر بجوار صحراء ليبيا وإن السد الذى أقيم لتحويله شرقا كان يبعد مائة ستاد تقريباً إلى جنوب منف . فأين هو موقع هذه المعالم الآن ؟

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لا يزال مجرى النيل الأصلى ظاهراً للآن فى بحر اللبينى الذى يمر بجوار صحراء ليبيا . ويقع فم هذا البحر عند قناطر قشيشة الحالية بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف وينتهى بالقرب من قرية نكله مركز امبابه بمديرية الجيزة ثم يحل محله ريّاح البحيرة المتفرع من النيل عند قناطر محمد على (القناطر الخيرية سابقاً) .

ويمكن رؤية بحر اللبينى هذا فى القاهرة ماراً تحت كوبرى جديد أنشىء بمناسبة توسيع شارع الهرم سنة ١٩٣٥ فى مكان قناطر الجيزة القديمة التى بناها صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٧٧ م فى عهد إنشاء قلعة القاهرة . وتجد فى محازاة هذا البحر مصرف المحيط الذى حول جزء من شاطئه الأيمن إلى طريق مرصوف يؤدى إلى ستوديو مصر للسينما .

هذا فيما يختص بفرع النيل الأصلى الذى حول مينا مجراه من الغرب إلى الشرق ، أما السد الذى أقيم لتنفيذ هذه التحويلة فلا تزال بقاياه موجودة للآن عند قناطر قشيشة المذكورة أعلاه ، والظاهر أن هذا السد حصل به خلل فى العصور التالية لعصر مينا بدليل أنه عند ما تفتح قناطر قشيشة فى زمن الفيضان لرى الحياض الباقية بمديرية الجيزة ، لابد من تقوية مكان هذا السد كل عام لمنع المياه من الطغيان على موقع مدينة منف القديمة .

وتدل جميع الظواهر الطبيعية للآن على أن النهر كان يتفرع قديماً عند موقع قناطر قشيشة هذه . فكان الفرع الأكبر يمر بجوار صحراء ليبيا ، والفرع الأصغر يمر تحت سفح الهضبة الشرقية . ومعنى ذلك أن رأس الدلتا فى عصر مينا كانت أولا فى هذه النقطة ، فلما أنشىء السد انتقلت رأس الدلتا شمالا وتفرع النيل عند البلدة المعروفة الآن باسم كفر العلو بحلوان .

وقد يكون أصل اسم كفر العلو واسم حلوان أو علوان مشتقان من هذا المعنى أى الأراضى العالية الواقعة وسط النيل.

والأرجح أن بحر اللبينى المذكور أعلاه هو نفس فرع النيل القديم الذى كان يمر بالوادى الفارغ الواقع جنوبى وادى النطرون مباشرة وكان يروى القطر الليبى الذى اندثر الآن وأصبح يعرف باسم صحراء ليبيا .

ولا تزال فى الوادى الفارغ آثار من الحياة الصاخبة التى كانت تعمر صحراء ليبيا قديماً . وتعد زيارة هذه الآثار الآن من أمتع الرحلات التى يمكن أن يتمتع بها سكان القاهرة .

ومن المعروف أن ليبيا كانت فى العصور الخالية قطراً قائماً بذاته ذا كيان سياسى خاص . وكان سكانه الليبيون فى حروب مستمرة مع المصريين . فلما اشتدت غارات القوم على الوجه البحرى قرر مينا تحويل مجرى النهر حتى تنقطع عن الليبيين أسباب الحياة فيهلكون ولكن يظهر أن قطع المياه عنهم زادهم ثورة فاشتدت غاراتهم على البلاد . ولما كانت جحافلهم تتبع فى سيرها إلى وادى النيل هذا الفرع القديم ، أقام مينا بالقرب من فم هذا الفرع قلعة قوية لصد هجماتهم . وكانت هذه القلعة تقع فى الأرض البكر التى تخلفت عن هذا الفرع بعد انسداده . فلما نجح مينا فى كبح جماح هؤلاء الليبيين بفضل هذه الفكرة ، قام بتأسيس مدينة بجوار القلعة وزودها بكل ما يلزم الجنود المقيمين بها من مرافق الحياة الضرورية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أنشأ إذن الملك مينا الأول مدينته الجديدة عند رأس الدلتا (وكانت رأس الدلتا حيث كفر العلو الآن) وسط الوادى فى منتصف المسافة بين الجبل الشرقى والجبل الغربى على الأراضى التى تخلفت من تحويل النهر شرقاً. وفى جنوب هذه المدينة الجديدة شيّد معبد الأله « فتاح » ومن حوله المبانى الحكومية ومساكن الكهنة وبيوت العمال والخدم وثكنات الجنود والحرس.

وفى عهد « أتوثيس » ابن « مينا » أقيمت حول المدينة الناشئة أسوار ضخمة لحمايتها من غارات الليبيين التى كانت لم تزل مستمرة وللدفاع عنها ضد هجمات الأعداء فى الحروب التى كانت لم تزل محتملة مع مدن الشمال. ثم زيد فى تحصينات قلعتها زيادات هائلة.

وقد بنيت هذه الأسوار وهذه الحصون الحربية على الأرجح من الأحجار الضخمة الناصعة البياض المخلوعة من محاجر طره والمعصرة، فكانت المدينة تبدو من بعيد فى جلال وهيبة مخيفة ولذا سميت بالهيروغليفية « إنب — حز » ومعناها الأسوار البيضاء أو القلعة البيضاء.

ولم تكن هذه المدينة فى عهد الأسرتين الأولى والثانية من سنة ٣٢٠٠ إلى سنة ٢٨٩٥ ق. م. عاصمة المملكة المتحدة كما ذكر الكثيرون خطأ، لأن ملوك هاتين الأسرتين لم يغادروا الصعيد موطنهم الأصلى فى هذه الفترة من الزمن بل بقوا هناك وجعلوا هذه المدينة الناشئة معقلاً متسلطاً على طرق الملاحة فى جميع فروع النيل يشرفون منه على حكم بلاد الدلتا التى فتحت حديثاً وضمت إلى ملكهم.

ولكن منذ حكم الأسرة الثالثة سنة ٢٨٩٥ ق. م. زادت أهمية مدينة « إنب — حز » (الأسوار البيضاء) زيادة هائلة فقرر ملوك هذه الأسرة ترك الصعيد والإقامة فيها نهائياً فكان ذلك بدء سطوع شمس منف.

وفى عهد الأسرة السادسة بلغت هذه المدينة أوج عظمتها فأنشأ الملك بيبى الأول حياً جديداً إلى جنوبها وجعله مقراً ملكياً وشيد بالقرب منه هرمه المعروف وأطلق على الحى الجديد والهرم اسم « من — نفر » ومعنى ذلك « يبقى الجمال » وقد تطور هذا الاسم فيما بعد إلى اسم « منف » بالقبطية، ومنفيس باليونانية، ومنف بالعربية، وأطلق على المدينة بأكملها.

على أنه مما يلفت النظر أن منف هذه ذكرت فى التوراة باسم « نوف » ! !

فهل كانت هذه الكلمة جزء من مركبات الاسم الهيروغليفى لعاصمة مصر الأولى ؟ ! هذا مانعتقده ! !

جاء فى التوراة على لسان حزقيال النبى النبوءات المرعبة التالية التى ذكرت فيها « منف » باسم « نوف » وذلك بمناسبة غزو بختنصر ملك بابل لمصر. جاء فى (ج ١٣ من الإصحاح ٣٠):

« هكذا قال السيد الرب وأبيد الأصنام وأبطل الأوثان من نوف. ولا يكون بعد رئيس من أرض مصر. وألقى الرعب فى أرض مصر. »

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثم جاء فى (ج ١٦) : « وأضرم ناراً فى مصر . سين تتوجع توجعاً . ونو تكون للتمزيق . ولنوف ضيقات كل يوم . »

و « سين » هى الفرما أو بيلوز ومكانها اليوم تل الفرما على بعد ٣٥ كيلومتراً شرقى بور سعيد كما سبق علمنا . أما « نو » فهى « نو آمون » أى « مدينة آمون » أو « طيبة » ومكانها اليوم الأقصر والكرنك . ونوف هى منف أو منفيس موضوع هذا البحث .

ومنذ إنشاء مدينة منف ، وتوحيد مملكتى القطر المصرى فى عهد الملك مينا ، لقب ملك البلاد الشرعى فى البروتوكول بالألقاب التالية :

« ملك الوجه القبلى وملك الوجه البحرى » وكذلك « رب الأرضين » و « نسر الجنوب وصل الشمال » ومعنى ذلك سيد الجنوب وسيد الشمال .

وكان الملك فى أول الأمر يحمل التاج الأبيض الخاص بالجنوب أو التاج الأحمر الخاص بالشمال ، ولم يحمل التاج المزدوج إلا فى أواسط حكم الأسرة الأولى .

وقد وجدت فى حفائر « هيرا كنبوليس » وهى مدينة « نيخاب » القديمة التى تعرف الآن باسم الكاب بمركز أدفو بمديرية أسوان ، وكانت عاصمة المملكة الجنوبية قبل توحيد المملكتين ، أقول وجدت فى حفائر هذه العاصمة لوحة من الأردواز وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

ولهذه اللوحة وجهان محفوران حفراً بارزاً يشهد لصانعها بالدقة والمقدرة .

والجزء الأعلى من كلا الوجهين يحمل اسم « نارمر » وهو الملك « مينا » مكتوب بالهيروغليفية بين رأس بقرتين تمثلان الإلهة هاتور .

وأحد الوجهين يشمل منظرين : فالمنظر العلوى يمثل الملك لابساً التاج الأبيض (تاج الوجه القبلى) متبوعاً بحامل نعليه وقابضاً بيده اليمنى على عصا قصيرة لها رأس على شكل كرة يضرب بها عدوه الراكع أمامه ، بينما أمسكت يده اليسرى شعر هذا العدو المسمى « واش » . وقد ذكر فوقه ما يعنى أن الإله « حور » قد أحضر الملك أسرى من الدلتا (أرض نبات البردى) . والمنظر السفلى يمثل عدوين عاريين فارين .

أما الوجه الثانى من اللوحة فيحوى ثلاثة مناظر : فالمنظر العلوى يمثل الملك لابساً التاج الأحمر (تاج الوجه البحرى) متبوعاً بحامل نعليه ومسبوقاً بوزيره و بأربعة من حملة الأعلام وأمام هؤلاء عشرة أسرى قطعت رؤوسهم ووضعت بين أقدامهم ، وقد كتب فوقهم أسماء المدن التى فتحها مينا فى الوجه البحرى وفى ليبيا .

والمنظر الأوسط يمثل حيوانين عجيبين والمنظر الأسفل يمثل ثوراً ينطح قلعة وهذا رمز انتصار الملك على أعدائه .

وتعتبر هذه اللوحة الفريدة فى بابها أجمل ذكرى بقيت للآن عن توحيد أراضى مصر الشمالية والجنوبية تحت

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حكم ملك واحد ، وما ترتب على ذلك من تأسيس مدينة جديدة أصبحت فى عهد الأسرة الثالثة عاصمة الدولتين القديمتين وكانت تقع عند نقطة تلاقيهما بالقرب من رأس الدلتا .

والصورة المنشورة تحت هذا الكلام تمثل بطريقة حديثة ملخص ما جاء على وجهى هذه اللوحة . .

الملك مينا وتوحيد البلاد . وتراه فى هذه الصورة وقد لبس التاج الأبيض تاج الوجه القبلى متبوعاً بحامل نعليه وقابضاً بيده اليمنى على عصا قصيرة لها رأس على شكل كرة يضرب بها ملك الليبيين بينما أمسكت يده اليسرى شعر هذا الملك المسمى «واش» . وأمام مينا حملة الأعلام وعليها شعار المقاطعات التى فتحها مينا فى شمال الدلتا . وبجواره وزيره وقد فر جنود المملكة الليبية وسقط أغلبهم صرعى ونلاحظ على ركبهم وأذرعهم الوشم كما نلاحظ النيران التى تلتهم مدنهم .

وظلت منف عاصمة القطر المصرى السياسية إبتداء من حكم الأسرة الثالثة حتى نهاية حكم الأسرة الثامنة أى من سنة ٢٨٩٥ ق . م إلى سنة ٢٣٦٠ ق . م . لمدة ٥٣٥ سنة .

و بعد أن نقل منها مركز الملك بمدة طويلة كانت لم تزل مع ذلك مدينة مشهورة عظيمة .

ومع أنها وقعت سنة ٧٢٢ ق . م . فى يد بعانجى الحبشى . ثم وقعت مرة ثانية فى يد الأشوريين عند ما غزوا مصر فى سنة ٦٧١ ق . م فى عهد الملك طهراقة الذى فر مع جنوده إلى مصر العليا تاركا زوجته الجليلة الملكة « آمون — دياك — هت » أسيرة فى يد الملك « آزارهاوون » الأشورى . ثم وقعت مرة ثالثة فى يد الفرس عند ما استولى قمبيز على مصر سنة ٥٢٥ ق . م . بعد انتصاره على بسامتيك الثالث فى مدينة بيلوز (تل الفرما على بعد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣٥ كيلومتر شرقى بور سعيد) — أقول بالرغم من أن مدينة منف وقعت فى أيدى هؤلاء الغزاة الذين نهبوا الكثير من كنوزها ، فإنها ظلت مع ذلك محتفظة بعظمتها وجمالها وسعتها وغناها .

ولم تفقد منف أهميتها إلا بعد تأسيس مدينة الأسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م . وذلك لكثرة ما كان قد أصابها من التضعضع والضعف و بعد أن بلغ عمرها حوالى ٣٠٠٠ سنة . حتى صارت أغلب معابدها وقصورها خرابا ، و بعد أن نقلت مهمات مبانيها العظيمة لبناء الأسكندرية .

ومع ذلك فبعد مضى ٣٥٠ سنة على تأسيس الأسكندرية زار استرابون مدينة منفيس وقال يصف بعض ما رآه فيها :

« على بعد ثلاثة فراسخ من بداية الدلتا توجد مدينة « منفيس » (كانت بداية الدلتا إذ ذاك حيث جزيرة الوراق الآن) هذه المدينة القديمة التى كان يقيم بها ملوك مصر الفرعونية ، ولا يزال بها كثير من المعابد أهمها معبد العجل « أبيس » وهو الحيوان الذى يتقمص روح الأله « أوزيريس » على الأرض . و بداخل هذا المعبد يوجد محل خاص يقيم به العجل يأكل و يعبد .

فى سنة ٦٧١ ق . م . غزا الأشوريون مصر — ففر الملك طهراقه وجنوده إلى مصر العليا . واستولى الأشوريون على مدينة منف ووقعت الملكة « آمون — دياك — هت » زوجة الملك طهراقه (الأسرة ٢٥ وعاصمتها مدينة نباتا بجوار جبل بركة بالسودان) أسيرة فى يد الملك «آزارهاوون» الأشورى . وتراه فى هذه الصورة يستجوب الملكة الأسيرة التى لبست على رأسها تاجها الذهبى ذى الريشتين وقرنى هاتحور وقرص الشمس وقبضت فى يمناها شعار كهنة معبد هاتحور .

وللعجل أبيس جبين أبيض كما أن ببعض أجزاء صغيرة من جسمه نقط بيضاء وفيما عدا ذلك فجسمه أسود فاحم . وهذه العلامات هى التى يتميز بها العجل أبيس . ولا بد من توفرها عند انتخاب خليفة للعجل الذى يموت .

وأمام القسم الذى يقيم فيه العجل أبيس يوجد حوش كبير به مكان خاص تقيم فيه البقرة التى ولدته .

وفى ساعة معينة من النهار يخرج العجل أبيس إلى هذا الحوش لكى يراه الشعب ، لأنه و إن كان للقسم الذى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

يقيم فيه بالمعبد شباك خاص يمكن رؤيته منه ، إلا أن الشعب يحتم رؤية العجل يمرح بحريته التامة بجوار أمه فى الحوش الكبير الموجود أمام المعبد .

و إلى جوار معبد «أبيس» يوجد معبد « هفستريوم » و به جزء كبير مخصص أيضاً للعجل أبيس ينتقل إليه فى بعض المناسبات الخاصة بطقوس عبادته . وأمام مدخل هذا المعبد يوجد تمثال هائل للإله أوزيريس مصنوع من حجر وحيد وجرت العادة أن تقام بحوش هذا المعبد معركة للثيران التى تربى خصيصاً لهذا الغرض كما تربى الخيول للسباق . وعند خروج الثيران إلى هذا الحوش تنشب المعركة بينها ، ومن ينتصر يهلل له الشعب طويلا و يعطى علفاً زائداً كمكافأة له على انتصاره .

و يوجد بمدينة منفيس أيضاً معبد « ڤينوس » أو « أفروديت » و بها أيضاً معبد « السرابيوم » ولكن هذا المعبد الأخير كاد يختفى تحت الرمال . وعند ما زاره استرابون وجد تماثيل أبو الهول الموجودة أمامه قد اختفى بعضها إلى رأسها و بعضها إلى منتصف جسمها فى الرمال .

ثم قال : ومنفيس مدينة كبيرة كثيرة السكان وهى ثانى مدن القطر المصرى بعد الأسكندرية . ومداخل المدينة وكذا مداخل قصور ملوكها محصنة تحصيناً متيناً وأمام أبوابها بحيرات عميقة لحمايتها عند اللزوم .

وكانت هذه القصور — وهى الآن (أى فى عصر استرابون) خربة ومهجورة — تقوم على رأس تل مرتفع وتنحدر معه حتى تصل إلى منسوب شوارع المدينة الأصلية حيث تنتهى ببحيرة وغابة كبيرة .

ومنفيس كالأسكندرية يوجد بها كثير من الأجانب من جميع الأجناس ففيها السورى واليهودى والأسيوى وكلهم يقيمون بحى الآلهة « باست »

أما الفينيقيون واليونان والكار بتيون فكانت أحياؤهم الخاصة بهم منعزلة عن غيرها .

ولكل طائفة فى منفيس آلهتها الخاصة فهنا تجد معبد « أفروديت » اليونانية و بجواره معبد « أبيس المصرى . »

هذه هى منفيس كما رآها استرابون الذى زار مصر فى القرن الأول الميلادى حوالى سنة ٢٢ م . فانظر كيف تداولت على هذه المدينة أمم مختلفة ومع ذلك فقد قاومت وعاشت بعد ذلك مدة طويلة .

وفى العصر المسيحى سنة ٣٧٩ م صدر مرسوم الإمبراطور تيودوسيوس الذى جعل المسيحية الدين الرسمى للبلاد ، فتعرضت مدينة منف للتخريب والنهب ولم ينج من الهدم والحريق لا « معبد فتاح » العظيم ولا معبد « أبيس » ولا معبد « افروديت » . . . وتكسرت تماثيل الآلهة القديمة ، وقام المسيحيون بهدم و إخفاء معالم المدينة الشهيرة واستعملوا أحجارها فى بناء كنائسهم الجديدة .

ومن ذلك العهد والمدينة تسير إلى الاضمحلال والموت .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى وقت فتح العرب لمصر على يد عمرو بن العاص كانت أطلال منف لا تزال ماثلة فى الموضع الذى كانت فيه عاصمة لدولة الفراعنة . وكان فيها مساكن عدة لا تزال آهلة .

فلما استقر الأمر للعرب وشرعوا فى بناء مدينة الفسطاط بجوار حصن بابليون استعملوا الحجارة المنقولة من مبانى مدينة منف عاصمة مصر القديمة فى تشييد ما أقاموه هناك من مساجد وحصون ودور حكومية وغير ذلك . ومنذ ذلك الحين هجرت منف وسارت إلى الموت بخطوات واسعة فمن أحجارها المنحوتة أذن بنيت العاصمة الجديدة للاسلام . ثم بعد قليل تحولت مدينة منف العظيمة إلى أنقاض مبعثرة متهدمة .

قال ابن الفقيه : « منفيس مدينة فرعون لها أسوار ضخمة بها سبعون باباً من الحديد والنحاس . »

وقال اليعقوبى : « إن مدينة منفيس متهدمة »

وقال أبو بكر المتوفى سنة ٧٣٥م. : «أدركت مقياس النيل بمنف ويدخل القياس بزيادته كل يوم إلى الفسطاط».

وكان ماء النيل قديماً يصل إلى مقياس معبد منف بسهولة .

وفى زمن ديدور وأسترابون كان هذا المقياس أشهر جميع المقاييس التى كانت بالجهات الأخرى .

والواقع إن أول ما تطرق الخراب والنقص على مدينة منف كان من ابتداء حكم الفرس أرض مصر . ومع ذلك فقد وصف الشيخ عبد اللطيف الطبيب البغدادى الذى زار مصر سنة ١٢٠٠ ميلادية بقايا منفيس كما يأتى :

كانت حدود منفيس تقدر بمسيرة نصف يوم من جميع جهاتها وقد رأيت بها آثاراً ضخمة منها أثر جليل مصنوع من حجر وحيد يسمونه « البيت الأخضر » ، ومنها تماثيل عالية وحوائط سميكة وعقود مرتفعة وأعمدة هائلة كما أن أسوار المدينة المبنية من الأحجار الصغيرة والطوب لا تزال باقية . ثم قال : وبالرغم من عظم هذه المدينة ، ومهما فعلت الشعوب المختلفة لمحوها وتضييع معالمها ومهما أجهدوا أنفسهم فى نقل الأحجار والمواد التى كانت مبنية بها ومهما خرّبوا فى مبانيها ، ومهما شوهوا فى تماثيلها ، فإن أنقاض هذه المدينة تظهر أمام الناظرين كمجموعة مدهشة من العجائب التى تحير الألباب ، ومن المستحيل على أى إنسان مهما كان بليغاً أن يصفها » .

وأما « البيت الأخضر » الذى ورد ذكره فى وصف الشيخ عبد اللطيف البغدادى فلم يجرؤ إنسان على مسه إلا فى القرن الرابع عشر الميلادى سنة ٧٥٠ هـ أى سنة ١٣٤٩ م حين أتى الوزير سيف الدين شيخو العمرى فى عهد ولاية السلطان حسن الثانية من سلاطين دولة المماليك البحرية فأمر بكسر هذا الأثر ونقل أحجاره لإدخالها فى أبنية مسجده المعروف الآن باسم جامع شيخون القبلى بالصليبة تجاه جامعه البحرى وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة فى جهة القلعة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

واليوم ماذا بقى من منفيس العظيمة ! !

حتى الأنقاض اختفت ! !

وفى هذا السهل الذى يمتد من شواطىء النيل إلى هضبة صحراء ليبيا لم يبق من المدينة العظيمة ظل قائم ! !

ولكن الطبيعة أعاضتها عن ذلك بمدفن يليق بعظمتها ! !

فهنا حيث كانت الشوارع والميادين والمعابد والقصور والمنازل لم تعد إلا أشجار عالية من النخيل بشكل غابة عليلة النسيم ! !

هنا حيث كانت تموج المدينة بالسكان لم يعد إلا تمثالان ضخمان راقدان تحت ظل النخيل الهادى ! !

وهذه الغابة تحتم على الانسان السكون والتأمل والهدوء وهو يسير فى طرق منفيس القديمة إلى مدافن السرابيوم حيث كانت تدفن العجول أبيس فى توابيت هائلة من الجرانيب ظلت مخفيـة إلى أن كشفها مريت باشا العظيم ! !

كيف بنى الهرم المدرج وسبب بنائه : عثر على أول قبر بنى للملك زوسر فى « بيت خلاف » القريبة من العرابة المدفونة وهو على شكل مصطبة . غير أن زوسر لم يرض بأن يكون مقره الأخير هناك ويحتمل أن « أمحوتب » مهندسه المعمارى العظيم وجه نظره إلى منطقة سقارة القريبة من محاجر طرة حيث يسهل قطع الأحجار الجميلة لبناء القبور والمعابد القريبة من مقر الحكم بمدينة منف . وتدل الظواهر على أنه أقام لنفسه مصطبة من الحجر الجيرى المهذب ، ثم بنى فوقها ثانية أقل مساحة ، ثم ثالثة أقل مساحة من الثانية وهكذا ، حتى بلغ عدد المصاطب سبعاً وهو الرقم المقدس فى جميع الأديان وكان غرض زوسر أن يشرف قبره على قبور رجال بلاطه وعظماء دولته التى كانت حول قبره . ويكون أول بناء ترسل الشمس أشعتها عليه من كل جوانبه عند ما تشرق فى الصباح

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم يزل اسم طريق الكباش الذى كان ممتداً أمام معبد « فتاح » بمنفيس وهو « مات — رهنت » باقياً للآن فى اسم قرية ميت رهينة الحالية .

وبالقرب من هذه القرية توجد الهضبة الصحراوية التى تضم مقابر الأجيال التى تعاقبت لمدة خمسين قرناً فى مدينة منفيس !

هنا وهناك بعض الأحجار المبعثرة فى السهل !! تماثيل ضخمة ملقاة وسط الحقول !! ومدافن كثيرة تحت الرمال .

هذا هو كل ما تبقى من عظمة منفيس !!

أما من جبانتها فقد بقيت آثار هائلة تمتد من هرم أبو رواش شمالا إلى هرم اللاهون عند مدخل مديرية الفيوم جنوباً بطول ٨٠ كيلومتراً تقريباً !!

بقيت شوارع بين القبور ترى على جوانبها هرم « زوسر » المدرج ، وهرم « أوناس » ، وآثار هرم «تيتى» ، وهرم الملكة « أبويت »، ومصطبة فرعون .

لم يكن القبر الملكى يشمل الهرم وحده . بل كان لكل هرم معبدان . وقد كشفت الحفائر الحديثة بجوار هرم خفرع (الثانى) عن المعبد الجنائزى الملاصق للهرم من جهته الشرقية وكذلك عن الطريق الموصل إلى معبد الوادى وطوله ٦٠٠ متر تقريباً . وقد أثبت الكشف الحديث أن تمثال « أبو الهول » صنع فى عهد الملك « خفرع » وعلى صورته . وفى سنة ١٩٣٧ اكتشف الأستاذ سليم بك حسن أكثر من ١٥٠ لوحة تذكارية لزيارات الملوك لهذا التمثال .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبالقرب من الجيزة بقيت أهرامات الأسرة الرابعة كالجبال الشامخة وهى هرم « خوفو » ويبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً كما يبلغ حجمه ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ متر مكعب وهرم « منكاورع » وهرم « خفرع » وبجواره تمثال أبو الهول الصامت ! !

هذا كل ما تبقى من جبانة الأجيال التى تعاقبت لمدة خمسين قرناً فى مدينة منفيس ! !

وربما تكون لفظ « إيجيبت » التى سميت بها مصر فى العصر اليونانى مجرد تحريف لأحد أسماء هذه الجبانة الهائلة باللغة الهيروغليفية وهو « هت — كا — بتاح » ومعناها (أرض قرينة الإله فتاح) فنطقها الوافدون من الأغريق محرفة هكذا « إيجبتاه » ثم أضافوا إلى هذا الاسم المقطع « أوس » كما هى عادتهم فأصبح الاسم « أيجبتاوس » ثم « إيجبتوس » وأخذها عنهم الرومان . ثم انتقلت بعد ذلك إلى اللغات التى أخذت عن اليونانية هكذا « إيجيبت » وعرف أهلها عند العرب باسم « جبت » أو « قبط » .

ومما يجب ذكره بهذه المناسبة أن « مصر » لم تكن معروفة بهذا الاسم عند أهل البلاد أنفسهم فى العهد القديم ، إنما كانت تعرف باسم « كيمى » أى الأرض السوداء ومنها اشتقت لفظة الكنانة .

أما لفظ « مصر » فيظهر أنها الاسم العبرى الذى سميت به هذه البلاد فى التوراة وظلت معروفة به إلى الآن !

فهل فى هذه الدنيا أعجب من مصر وتطوراتها ! !

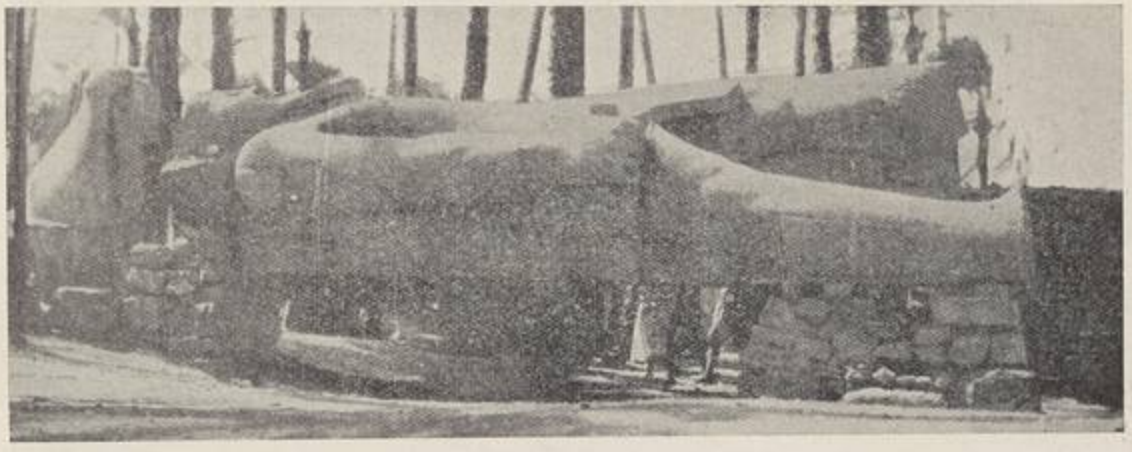

منف — أحد تمثالى رمسيس الثانى الهائلين اللذين كانا يقومان يوماً ما على مدخل معبد « فتاح » بمدينة منف . وهو الآن ملقى على ظهره فى العراء بجوار قرية ميت رهينه يمر به الانسان فى طريقه من البدرشين إلى سقاره وكان ارتفاع هذا التمثال فى الأصل ٤٢ قدماً

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثانى

مدينة منف وفنها المبتكر

حديث الفن فى مدينة منف هو حديث نشأة العالم الأولى ، أو حديث الحضارة والنور . فإن منف هى التى بثت فى العالم الروح الفنية التى تقدر الحسن وتفهم معانى الجمال . وموضوع الفن فى تاريخ منف هو موضوع الحياة المصرية القديمة كلها فى مدار الحكم الفرعونى . فكل شىء وكل حركة وكل عمل كان للفن فيه أثر . ويكفى أن تشاهد قبراً واحداً من مقابر جبانة منف ، كقبر « تى » مثلا ، لترى معالم الحياة المصرية القديمة ، منقوشة نقشاً ناطقاً بارزاً ، ينم بدقته وقوته عن استعداد وأهلية وفن راسخ مستقر فتى ممتلىء بالقوة والنشاط ،

الفن فى عصر منف . عنى الملوك والعظماء بقبورهم المنحوتة فى داخل الصخور عناية فائقة . وصرفوا على إنشائها الأموال الطائلة . وزينوا حوائطها من الداخل بالنقوش والصور التى تمثل حياتهم اليومية وحروبهم . وترى فى الصورة عمال النحت يقومون بعملهم بينما وقف المبيضون والرسامون والفنانون يطلون الأجزاء التى انتهى نحتها ويقسمونها مربعات متساوية ، وأخذ النقاش يرسم فى هذه المربعات صورة الميت من رسم أصلى وضعه رئيس النقاشين على لوحة صغيرة موضوعة أمامه على أرض المقبرة . وأخذ فنان آخر فى تحضير الألوان التى يستعملها النقاشون . أما الرئيس الأعلى للعمل فوقف فى ركن الصورة بجوار القدر الملأى بالماء يصدر الأوامر إلى العمال . ويلاحظ فى الصورة ترتيب شعر الطفل الصغير الذى يشتغل فى نقل الأحجار الناتجة من النحت .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كله رشاقة وجمال ، خرج من يد فنان ، طرزه تطريزاً على الحجر الأصم ، فبدا حيًّا لا ينقصه إلا الكلام .

هنا فى قبر « تى » ابن الفلاح الذى وصل بجده ونشاطه إلى أعلى مراتب الدولة وتبوأ مركز الوزارة ورئاسة الكهنة فى عهد الأسرة الخامسة ، ترى فن « منف » وحياة « منف » .

هنا ترى الجزارين فى عملهم اليومى يقومون بذبح الماشية وسلخ جلودها .

هنا ترى الأوز يسمّن والبجع يغذى .

هنا ترى حصاد القمح وصناعة الزجاج وحليب الأبقار وتحصيل الضرائب الحكومية وصيد الطيور .

هنا ترى صالات الرقص والمراكب المعدة لصيد التمساح والعسنت (جاموس البحر المعروف أيضاً باسم فرس البحر).

هنا ترى القزم يقود قرداً وكلباً .

هنا ترى الحياة طبيعية ناطقة منقوشة بدقة وأمانة .

هذا هو سر العظمة مع الفخامة والقوة مع النبالة التى تشاهد فى فن منف .

وبالرغم من بعض التغييرات القليلة فى بعض النواحى فقد احتفظ فن منف طول مدة حياته ، وتقدر بنحو ٥٠ قرناً بطرازه الأصلى .

وإنك لترى هذه الميزة ظاهرة تماماً ليس فقط فى المبانى ولكن أيضاً فى الرسوم المحفورة على الأحجار وفى التماثيل حيث تجد نفس الأوضاع ونفس الحركات ونفس القواعد محترمة بدقة متناهية .

وليس معنى ذلك أن هذا الفن فن رجعى لم يتقدم مع الأجيال . كلا ! فسوف ترى معنا بعد قليل بأى مهارة عرف أهل منف زخرفة مبانيهم بزخارف مختلفة جذابة تتطور مع الزمن تطوراً وقوراً متئداً يساير كل عصر من عصوره الطويلة . ولا شك أنك ستحكم بعد ذلك بأن هؤلاء القوم هم بلا مراء أساتذة العالم فى كل فن من فنونهم سواء فى الزخرفة أو التصوير أو فى فن تأثيث منازلهم أو حتى فى صناعة أدواتهم البسيطة الشائعة الاستعمال .

لا بد أنك ستلمس تلك المهارة الفائقة فى صناعة أوانى منف ومنسوجات منف وأثاثات وحلى نساء منف .

لا بد أنك ستلمس تلك المهارة الفائقة فى الطريقة التى كانت تزرع بها حقول منف ، وفى الطريقة التى كانت تدار بها دواوين الحكومة فى منف ، وفى الطريقة التى كان يمارسها كهنة منف لتعليم الشعب ولإقامة طقوسهم الدينية وختان أطفالهم ، وفى الطريقة التى كان يتبعها الكتبة فى منف لضبط حساب المحصولات الزراعية وتحصيل الضرائب الحكومية ، وفى الطريقة التى كان يتدرب عليها جيش فرعون بمنف ويمارس بها الفنون الحربية المختلفة .

لا بد أنك سترى فى أزياء الرجال وفى أزياء الأطفال وفى أزياء الخدم وذوى الحرف الأخرى وفى أغطية الرأس وفى صناعة النعال ما يجعلك تقر بأن هذه الأزياء تناسب بيئة منف وطقس منف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لا بد أنك ستجد فى عادات القوم وفى ألعابهم الرياضية وولائمهم بمناسبة الأعياد والمواسم وأيام العطلة والحفلات العائلية ما يبهج النفس ويدخل عليها السرور والغبطة .

لا بد أنك ستجد فى حياتهم المنزلية وفى ألعاب أطفالهم وفى نظام مدارسهم ما يدلك إلى أى حد بلغت مدنية منف وحضارتها .

أنظر إلى الصور المنشورة بعد هذا الكلام ثم احكم على منف وحضارة منف وحياة منف وفن منف ! !

ومع وجود كل ما لدينا من ذخائر فن منف فاننا ما زلنا نجهل الكثير من الحقائق والنواحى التى ستكشفها لنا الحفائر المنتشرة فى نواحى عاصمة مصر القديمة العظيمة فى يوم من الأيام إن شاء الله .

وإذا دل فن منف على شىء من صفات أهله ، فانما هذا الشىء الناطق فى ثنايا هذا الفن هو الوقار المتناهى فى طباع هذا الشعب العظيم ، ولا غرابة فى ذلك ، فهذا فن نشأ فى أرض الآلهة ، أرض الصمت والوقار والتعبد ، وليس من صفات العبادة ، إظهار الغبطة ولا اللهو ولا المزاح ، ولذا فانك تجد كل شىء فى هذا الفن من تماثيل وزخارف ونقوش وغير ذلك وقوراً محترماً .

الطريقة التى كانت تدار بها دواوين الحكومة فى منف .

جماعة من الكتبة المتعلمين فى ديوان من دواوين الحكومة . وقد جعلت تيجان أعمدة الديوان بشكل زهر اللوتس . وبجانب كل كاتب صندوق صغير من الخشب فيه أدوات الكتابة وهى مقلمة بها أقلام القصب (البوص) الرفيع ، ومحبرتان باحداهما حبر أسود وبالأخرى حبر أحمر وبجوارها القوالب التى يصنع منها الحبر بواسطة مزجه بقليل من الماء وقد وضعت أمامه لفائف أوراق البردى التى يستعملها لتدوين ما يمليه عليه رئيس كتاب السجلات الملكية .

وكانت وظيفة الكاتب فى العصر المنفى وظيفة مرغوبا فيها جداً . والواقع أن الكتاب كانوا مخورين بمعلوماتهم وبخاصة أنهم كانوا بحكم عملهم واقفين على كل القرارات الهامة فى مصالح الحكومة .

وكانت لهم ألقاب شرف خاصة مثل رئيس أسرار كل أوامر الملك ، رئيس أسرار كل القرارات القضائية ، رئيس أسرار الكلام المقدس ، رئيس أسرار محكمة العدل وغير ذلك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحياة الاجتماعية فى عصر منف — مأدبة رسمية أقامها رئيس الكهنة وقد وقفت الخادمات العاريات يقدمن للضيوف ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات والزهور بينما كانت الموسيقى تشنف آذانهم

تدريب الجيش فى عصر منف . وترى المصارعة بين جنديين من أبطال الرياضة البدنية فى حضرة الأمير وزوجته الجميلة !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أثر الطقوس الدينية فى فن منف :

كان قوام الديانة المصرية فى عهد منف الاعتقاد الثابت بالحياة الأخرى ، و بوجود القرينة أو بما يسمى « خا » وربما تكون لفظة أخ وأخت العربية مشتقة من هذه الكلمة المصرية .

فكل إنسان يولد تولد معه القرينة ، وهى صورة طبق الأصل لجسمه ولروحه . وهذه القرينة تحيا بعد موته ولكن بشرط واحد وهو أن يحتفظ لجسمها بشكله الأصلى تماماً .

ومن أجل هذا الاعتقاد ، بذل أهل منف أكبر ما يمكن من الجهود البشرية ، فى سبيل الاحتفاظ بأجسامهم سليمة أطول مدة ممكنة ، وفى سبيل حمايتها من أى شىء يمكن أن يلحق بها الضرر . فاستعملوا التحنيط فى بادئ الأمر . ولكن خوفهم من أن لا تقوى المومياء على البقاء إلى الأبد ، جعلهم يضعون فى المقابر بجوارها صوراً حية للجثة فى أيام شبابها ، وصوراً تمثل الميت فى جميع أطوار حياته ، وتمثل ما كان يمارسه من الأعمال ، وصوراً تمثل كل حركة وكل شىء فى حياته الدنيا ، وذلك حتى تهتدى القرينة إلى صاحبها فتحيا معه حياة سعيدة ناعمة فى حقول أوزيريس اليانعة أى فى الحياة الأخرى .

وكانت نتيجة هذه الاعتقادات الدينية إقامة المبانى الضخمة المتناهية فى المتانة والتى لا تزال للآن أعجوبة الزمان وهى المعابد والأهرامات والمصاطب والمقابر المنحوتة فى الصخور . مع التفنن فى إخفاء المومياءات فى طياتها حتى تبقى سليمة إلى يوم البعث .

وقد كثرت هذه المقابر أو قلاع الموتى حتى اكتظت بها جبانة منف اكتظاظاً هائلا فانتشرت وامتدت من أهرام أبو رواش شمالا حتى هرم اللاهون عند مدخل مديرية الفيوم جنوباً بطول ٨٠ كيلو متراً تقريباً كما قلنا سابقاً .

وكان بهذه الجبانة كثير من معابد الشمس مصدر الحياة كما كان بها مقبرة للعجل « أبيس » . (السرابيوم)

الطراز الفرعونى فى فن العمارة :

وتتمثل عظمة المجهود الأول الذى بذله العقل البشرى فى المظهر الرائع الذى ظهر به هذا الطراز الفرعونى الجذاب فى معابد ومقابر مدينة منف .

هذا الطراز الذى يتميز بطابع خاص فى تاريخ فن العمارة .

فهو فى أصله وتفاصيله وليد طبيعة بلاده لا يشوبه عنصر ولا طراز أجنبى . فهذه الأعمدة المضلعة فى معبد هرم « زوسر » الجنائزى ، وهذه الأعمدة ذات التيجان التى تمثل فروع النخيل وزهر اللوتس فى معبد فتاح ، وهذه المصاطب وهذه الأهرامات الناقصة أو الكاملة وهذه المسلات الرشيقة فى معابد الشمس ، إنما كلها مقتبسة من الطبيعة المحيطة بهذا المكان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فن منف منذ عهد زوسر

يعد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة والذى حكم سنة ٢٨٩٥ ق . م . تقريباً لمدة ٢٩ سنة أول ملك بنى لنفسه مقبرتين : واحدة منهما بصفته ملكا للوجه القبلى أقامها فى بيت خلاّف إلى شمال العرابة المدفونة بمديرية جرجا وجعلها على شكل مصطبة ضخمة من اللبن وبها منحدر عميق وعدة حجرات تحت الأرض .

أما المقبرة الثانية فقد شيدها بصفته ملكا للوجه البحرى بجبانة منف على الهضبة الليبية وهى المعروفة الآن باسم هرم سقارة المدرج . ويقول علماء الآثار إن هذا البناء هو الحلقة المتوسطة بين المصطبة والهرم الحقيقى .

والمهندس الذى وضع تصميم هذا البناء الغريب الذى يعتبر أول وأضخم بناء من الحجر فى القطر المصرى هو « أمحوتب » الذى كان فوق نبوغه فى الهندسة ، رئيساً للكهنة ومؤلفاً قديراً له علم تام بالفلك والسحر والفلسفة والإدارة ، وكان فوق ذلك طبيباً ماهراً حتى إنه بعد موته اعتبر إلها للطب .

وقد عثر أخيراً فى أحد سراديب الهرم المدرج على تمثال جميل للملك زوسر كما كشفت الحفريات عن معبدة الجنائزى وعن مقبرتى ابنتيه . ويعد هرم زوسر ومعبده الجنائزى وملحقاته الأخرى ، أفخم وأجمل مجموعة من المبانى شيدت من الحجر السلطانى الجميل الناصع البياض المخلوع من محاجر طرة ، فى تاريخ فن المعمار .

حوالى ٢٨٩٥ ق . م اعتلى الفرعون زوسر رأس الأسرة الثالثة عرش مصر . وكان وزيره أمحوتب مهندساً قديراً ، فبنى له هرم سقارة المدرج ليدفن فيه بعد موته . وهذا الهرم مؤلف من سبع مصاطب بعضها فوق بعض ، وارتفاعه ١٩٠ قدماً وفى داخله أبهاء تنتهى ببئر كبيرة فى قاعها مخدع الملك . وكان الهرم مغطى بطبقة من الحجر الجيرى الدقيق ، يحيط به سور عظيم . وقد أقام أمحوتب حول هذا الهرم مدينة كاملة بها المخازن والأحواش والمصاطب والمقابر المخصصة لأفراد العائلة المالكة وكبار رجال المملكة . وخطط أمحوتب الهرم ومدينته الجنائزية وبناها دفعة واحدة . وتعتبر هذه المجموعة من أقدم المبانى الحجرية المعروفة فى العالم .

وتراه فى الصورة أمام مليكه فوق أحد أسوار مدينة الهرم ، وقد ارتدى جلد النمر شعار رئيس الكهنة وهى وظيفة من وظائفه العديدة يشرح المبنى وتفاصيله .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتعد الأعمدة المضلعة الجميلة التى تزين ردهات وواجهات المعبد الجنائزى ، ذات الست عشرة ضلعاً المقعرة والثمانى عشرة ضلعاً المحدبة ، بشكلها الكامل ونسبها البديعة وقطاعها المتناسق ، من أجمل الابتكارات التى ترفع فن أمحوتب إلى القمة .

أما فكرة هذه الأعمدة فمأخوذة عن شكل حزمة من جزوع البردى موثوقة من الأسفل فتظهر فيها الأضلاع المقعرة والأضلاع المحدبة إذا ما أخذ فيها قطاع . ولا شك أن أمحوتب اقتبس قطاع أعمدته من هذا المنظر . ثم نقل عنه اليونان هذا الأنموذج الفذ وحوّلوه إلى العمود الدوريكى المشهور .

والآن يرجع الفن المعمارى الحديث إلى فكرة الأعمدة المضلعة غير المستقلة والمتصلة بالحائط بعد أن ابتكرها أمحوتب فى المعبد الجنائزى لهرم زوسر منذ ٥٠ قرنا مضت ! !

وقد عثر أخيراً فى دهاليز الهرم المدرج على أوان من الأحجار الصلبة النادرة مثل المرمر والشست والجرانيت والديوريت والأردواز وغير ذلك ، يبلغ عددها أكثر من ثلاثين ألفاً ، غير أن معظمها وجد مهشما ، وربما يرجع ذلك إلى زلزال أرضى أو إلى أنها قد كسرت عمداً لأسباب جنائزية . وقد وجد من بين هذه الأوانى أشكال تنم عن منتهى الرقى فى دقة الفن وحسن الذوق والأناقة والتنسيق إلى حد يعجز القلم عن وصفه . وقد وجد على بعضها أسماء الأشخاص الذين أهدوها إلى الملك مكتوبة بالمداد الأسود .

وقد كان لهذا الكشف أثر عظيم فى تحويل آراء علماء الآثار إلى الأهرام الكبيرة أهرام خوفو وخفرع ومنكاورع وعما عساه أن يوجد فيها من المخلفات .

وقد قام الأستاذ زكى سعد مفتش الآثار بمنطقة سقارة بتنسيق كثير من هذه الأوانى بعد إصلاحها فى شبه متحف ملحق بمسكنه بطريقة جذابة مدهشة .

وإنه لحظ بديع لكل من تيسر له زيارة هذ المتحف ليرى بعينه ما لا يمكن وصفه ، خصوصاً وقد وضع الأستاذ زكى سعد داخل هذه الأوانى أنواراً كهربائية ، فجعلت من متحفه منزلا سحرياً مشوقاً .

ولما حكم الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة سنة ٢٨٤٠ ق . م . تقريباً أراد أن يقلد جده العظيم زوسر ، فبنى لنفسه مقبرتين : الأولى فى ميدوم بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف بشكل هرم ناقص على درجتين يبلغ ارتفاعه ٤٣و٦٥ متراً ، ويسميه العامة الهرم الكذاب لعدم انتظام شكله . وربما لعدم وجود تابوت فى حجراته الجنائزية . وقد وجد بجوار هذا الهرم المصاطب التى دفن فيها عظماء المملكة فى عصر سنفرو مثل « متين » حفيد الملك الذى تدل النصوص الهيروغليفية الموجودة على صفحات جدران مدفنه على تاريخ حياته ، وهى مرجع ثمين لتاريخ هذا العصر . وبالقرب من هذه المصطبة وجدت مصطبة « راحوتب » و « نيفرت » أصحاب التمثالين الشهيرين الموجودين بالمتحف المصرى بالقاهرة . أما راحوتب فقد كان رئيساً للكهنة بعين شمس وقائداً . . . الخ ، ولقبه « الأمير الملكى » . وأما زوجته « نيفرت » فكانت إحدى أميرات الأسرة المالكة . وهذان التمثالان أكثر التماثيل إظهاراً للحياة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا يزال لونهما محفوظاً بدرجة مدهشة . ويلاحظ فيهما الفارق المعتاد بين لون بشرتيهما ، فقد اتخذوا للرجال اللون الأحمر أو الأسمر القاتم وللنساء اللون الأصفر .

أما المقبرة الثانية التى بناها سنفرو فتوجد فى دهشور بمركز العياط بمديرية الجيزة ، وهى على شكل هرم كامل مربع القاعدة ، يبلغ ضلع قاعدته ٢١٥ متراً وارتفاعه ٩٥ متراً . وهذا أول هرم حقيقى تطورت إليه فكرة المصطبة منذ القدم .

أما خلفاء سنفرو الثلاثة أى الملك خوفو والملك خفرع والملك منكاورع فهم أصحاب الأهرامات الثلاثة الكبرى التى بنيت على الهضبة الليبية بالجيزة .

وربما كان السر فى انتخاب هذا الموقع هو قرب هذه الهضبة من عين شمس مقر عبادة « رع » ثم اتساع هذه الهضبة وارتفاعها بحيث تشرف الأهرامات المقامة فوقها على كل ما حولها . وربما كان السر أيضاً ما ظهر من أن هذه الأهرامات بنيت بأحجار صلبة ومتينة قطعت من صخور هذه الهضبة نفسها ، وبذلك هدمت — كما قال الأستاذ سليم بك حسن فى كتابه مصر القديمة (ج ١ ص ٢٨٨) — نظرية هيرودوت القائلة بأن أحجار الأهرام كانت تجلب إليها من محاجر طرة .

وهذا الخطأ وقع فيه بعض الأثريين الحاليين كما وقع فيه هيرودوت ، ولكن الحقيقة أن الأحجار التى كانت تكسو الأهرامات من الخارج فقط هى التى جلبت من محاجر طرة .

ولم تزل المحاجر التى قطعت منها أحجار الأهرامات ظاهرة واضحة بجوار كل منها يمكن لكل من يريد أن يراها الآن أن يفعل ذلك خصوصاً بعد أن أزيحت عنها الرمال والأتربة التى غطتها آلاف السنين .

وكذلك دلت الكشوف الحديثة على أن المصريين كانوا يستعملون « البكر » لرفع الأحجار ، وقد عثر فى حفائر الجامعة المصرية (جامعة فؤاد الأول) على بكرتين إحداهما وجدت بجوار الهرم الثانى ، والأخرى عثر عليها فى بيت من بيوت العمال الملحقة بالهرم الرابع .

وبذلك هدمت النظرية القائلة إن بناء الأهرامات كانت تبذل فيه نفوس الشعب وجهوده كما كان موضوع اضطهاد اليهود وغير ذلك مما كنا نقرأه فى الكتب القديمة والحديثة أيضا .

ويبلغ طول قاعدة هرم خوفو أى الهرم الأكبر الآن ٢٢٧,٥ متراً وارتفاعه الحالى ١٣٧ متراً ، ويبلغ حجمه ٢ ½ مليون متر مكعب ، وعدد أحجاره ٢,٣٠٠,٠٠٠ ، ويبلغ وزن كل حجر منها ٢ ½ طن ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ ستة ملايين طن موزعة بمعدل ٥ ½ كيلوجرام على السنتيمتر المربع ، وهذا شىء يتفق اتفاقا مدهشا مع أحدث قواعد تحميل الأرض الصخرية فى هندسة المعمار الحديثة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

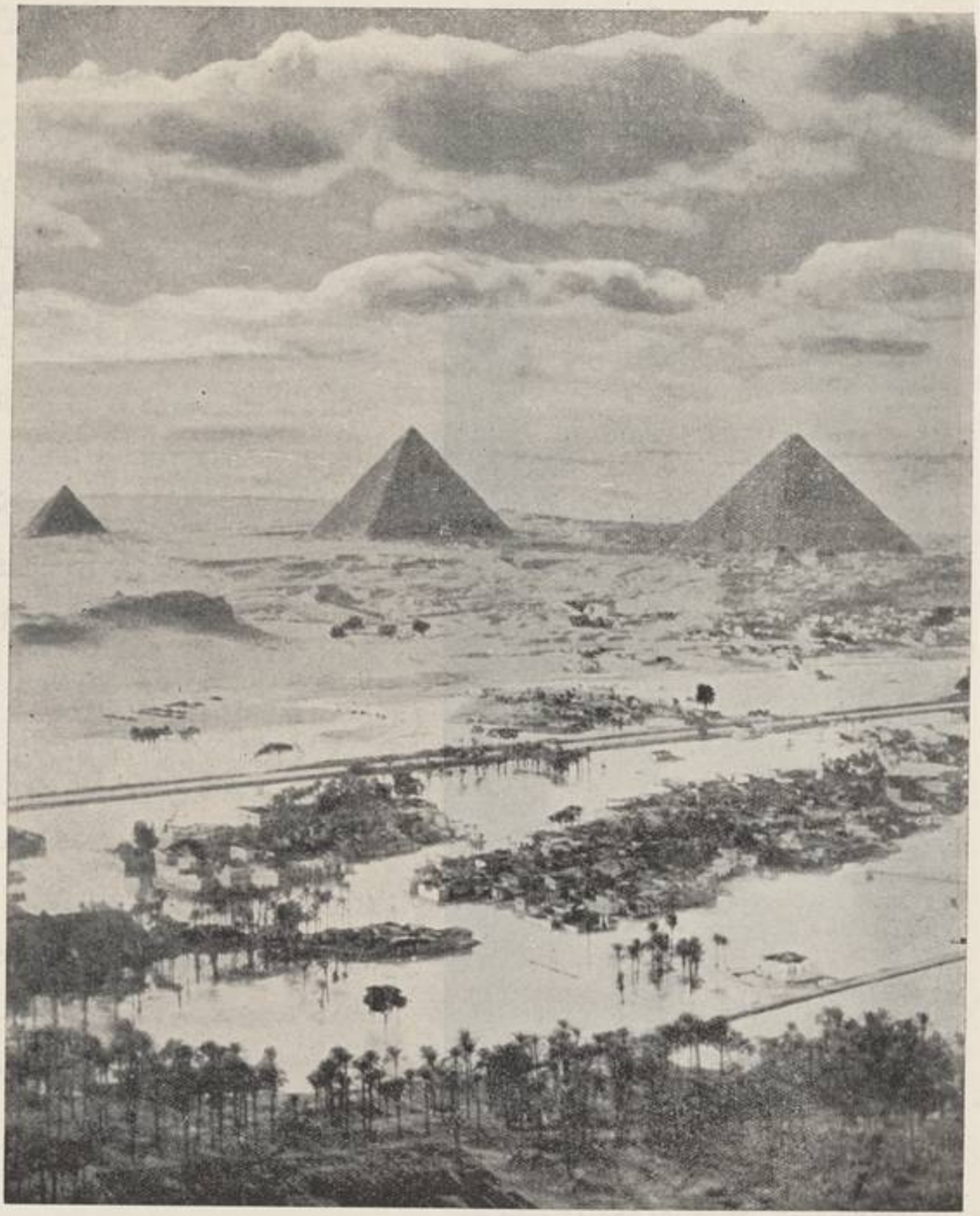

الهضبة الليبية التى أقيمت فوقها اهرامات الجيزة
صورة مأخوذة فى زمن الفيضان والحياض ملأى بمياه النيل وذلك قبل تحويل هذه الحياض إلى رى صيفى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا شك أن السر فى إنجاز هذا العمل العظيم بسرعة فى الفترة التى ملك فيها الملك خوفو وقدرها ٢٠ عاما فقط يرجع إلى تنظيم العمل و إدارته بالطرق الفنية المنظمة .

ورغم أن الهرم الأكبر يعد أعجب شىء فى مصر ، فإنه لم يكشف عنه من كل جهاته ، ولا يزال معبده الجنائزى ومعبد الوادى مطمورين تحت الأرض . ولكن يظهر أن الطريق الموصل بين المعبدين كان ظاهراً فى عهد « هيرودوت » الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد قال عنه إنه كان أعجب من الهرم نفسه .

وقد عثر فى الحفائر الحديثة إلى شرق الهرم الأكبر على صورة الملك خوفو وعلى سفينتين للشمس يبلغ طول الأولى ٥٥ متراً وطول الثانية ٤٠ متراً .

و بعد وفاة خوفو اعتلى العرش ابنه « ددف رع » لمدة ثمانى سنوات ، وهو الذى بنى هرم « أبو رواش » الذى تهدم ولم يبق منه إلا قاعدته .

ثم عاد الملك إلى « خفرع » صاحب الهرم الثانى وصاحب تمثال « أبو الهول » الذى يمثل أسداً برأس إنسان ، وقديكون وجه هذا التمثال هو وجه الملك « خفرع » نفسه .

قال الأستاذ سليم بك حسن فى كتابه « مصر القديمة » :

تدل جميع الآثار التى كشفت فى هذه المنطقة على أن تمثال أبى الهول رمز للإله « رع » معبود عين شمس عند الغروب ، وهو

منكاورع صاحب الهرم الثالث وزوجته .

تمثال منكاورع وزوجته وهو من حجر الشست . وقد عثر عليه العالم الأمريكى «ريزنر» فى معبد الهرم الثالث بالجيزة . ويمثل الملك وزوجته واقفين . ويمتاز هذا التمثال بالدقة المتناهية فى الصنع ، وهو يعد من أهم قطع الفن فى الدولة القديمة . وقد نقل هذا التمثال النادر المثال إلى متحف بوسطن بأمريكا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ما يسمى باللغة المصرية « آتوم » . وكان يعتبر فى نظر المصريين حارس الجبانة . وقد بقى اسم « حول » إله السوريين والكنعانيين ، وهو الذى أطلقوه على هذا التمثال فى عهد الأسرة الثامنة عشرة حين سكنوا فى القرية التى اقتطعها لهم الملك « آى » والتى سموها « حورنا » فى قرية « الحرانية » الحالية التى تقع على بعد ٢ ½ كيلومتر إلى الجنوب الشرقى من تمثال أبى الهول — كما بقى اسم الإله « حول » فى « بى حول » الذى حرف إلى « أبى الهول » .

وبعد موت خفرع خلفه منكاورع صاحب الهرم الثالث .

وقد دخل اللصوص هذا الهرم سنة ١٢٢٦م ونهبوا ما فيه من ذهب وحلى . وفى سنة ١٨٣٧ دخله الكولونيل « هاورد فيس » فوجد قطعاً من تابوت الملك منكاورع الخشبى كما وجد تابوتا من البازلت عمل على شحنه إلى إنجلترا ، ولكنه غرق مع السفينة التى كانت تحمله فى لجهورن فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٣٨ ولا يزال فى قاع البحر إلى الآن .

وقد كشف الدكتور « ريزنر » فى معبد الوادى « لمنكاورع » نفائس فنية ودينية ، وهذه المجموعة تعد أنفس مجموعة وجدت من مخلفات الأسرة الرابعة ومن بينها مجاميع إلهات المقاطعات . وكشف كذلك تمثالا لمنكاورع وزوجته فى قطعة واحدة بالحجم الطبيعى تقريباً من حجر الشست وتعد هذه القطعة من أجمل قطع الفن المصرى فى هذا العصر . ويمتاز هذا التمثال بالدقة المتناهية فى الصنع وهو يمثل الملك وزوجته واقفين .

وقد نقل هذا التمثال ومعه المجموعة الأخرى التى عثر عليها الدكتور ريزنر إلى متحف بوسطن بأميركا .

ولم يجد المتحف المصرى بداً من أخذ قالب لهذا التمثال لأهميته ليعرضه فى خزائنه . بينما يظل التمثال الأصلى لأحد ملوك مصر فى متحف بوسطن ! !

نظام المبانى وتنسيق الحدائق فى منف

كانت مساكن الطبقة الغنية فى منف تبنى من الحجارة ، وكانت كبيرة المساحة تشيد فى وسط حديقة واسعة تحتوى فى أركانها على مطابخ وورش واصطبلات .

والبيت مربع الشكل تقريباً ينقسم إلى ثلاثة أجزاء كل جزء منها قد اتسعت أرجاؤه وزادت غرفه فى العدد والحجم فشيدت الأعمدة فى بعضها . وهو يحتوى على بعض الحجر المستعملة كمخازن للغلال والزيت والنبيذ فى الأدوار السفلى . كما يحتوى أجنحة خاصة باستقبال الضيوف والزوار وإقامة الولائم فى الأعياد والحفلات ، وأخرى خاصة بإقامة صاحب البيت وأسرته .

أما السلم فكان يشيد فى بعض البيوت فى البهو ويشيد فى البعض الآخر خارجها . وقد اقتصرت المبانى على دور واحد أو دورين فقط .

وكان لسطح المسكن أهمية خاصة إذ أنه كان يستعمل كمخزن ، كما كان يستعمل للنوم فى أيام الصيف حيث

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

منزل أحد أعيان منف بحديقته البديعة المنمقة بالزهور والأشجار البديعة تتوسطها بركة جميلة ينمو فيها البشنين وزهر اللوتس ويلعب حولها الأطفال

يشتد الحر ويكثر الذباب والبعوض فى الأدوار السفلى ، وكثيراً ما كان يشيد فوق السطح مظلات بأعمدة بديعة الشكل ليأوى إليها سكان الدار والنساء عند انتهاء العمل اليومى .

وكانت جدران هذه المساكن كلها مزخرفة بالنقوش والصور الجميلة ، وكان أمام مدخل المنزل شرفة مرتفعة سقفها محمل على عمودين ضخمين ، وكانت السقوف محلاة برسوم تمثل السماء والنجوم والشمس والقمر أو الطيور . كما كانت أرض الغرف تحلى برسوم البط والأوز بأشكال وأوضاع بديعة .

أما البوابة الرئيسية الخارجية للمسكن فكانت دائماً مرتفعة عن الأسوار المحيطة بها تبدو ضخمة هائلة مزخرفة باعتناء زائد .

وإذا ما دخل الإنسان إلى حديقة منزل أحد الأغنياء بمنف يجدها حديقة بديعة منمقة بالزهور والأشجار الجميلة تتوسطها بركة صناعية ينمو فيها البشنين واللوتس ، لها حوائط مبنية باعتناء . بها درجات ينزل بواسطتها الإنسان إلى الماء ، وهى مقامة فى الجهات الأربع من البركة . وكثيراً ما يقف المالك تحت شرفة منزله مع أفراد أسرته يشرف على الحديقة وقد اجتمع أطفال الجيران للعب فيها مع أطفال صاحب المنزل . وتبدو على الجميع مظاهر النعمة والرفاهية . وها هى خادمة تعود من الحقل وعلى رأسها سلة مليئة بالخضراوات وفى يدها بعض الطيور .

ومما يلاحظ أن الصبيان كانوا يلعبون دائماً على انفراد لعبتهم المحبوبة « دورى يا دوارة » وهم عراة تماماً ، وقد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

زيارة أم الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر لابنها فى قاعة العرش . وترى الملكة الوالدة « حتب — حرس » محمولة فى كرسيها الثمين على أكتاف رجال حاشيتها وخلفها جماعة من نساء الحرم الملكى . وتحت هذا الكرسى سار الفزم المقدس وعلى أكتافه قرد صغير لمنع تأثير العين والسحر

قصت شعورهم ما عدا خصلة واحدة تترك على الجانب الأيمن من الرأس للدلالة على أن صاحبها ابن أحد النبلاء أو الأغنياء . أما البنات فكن يلعبن كذلك على انفراد بالكرة لعبتهم المحبوبة ولهن فيها حركات رشيقة .

وقد وقف طفل صغير يلاعب كلبه . أما الطفلة الصغيرة فوقفت بجوار قطتها تحمل لعبتها ، وهناك طفل آخر يصطاد السمك من البركة .

ونظرة واحدة إلى الصور المنشورة مع هذا الكلام تعطيك فكرة واضحة عن حياة النبلاء بمنف ، وعن نظام مبانيهم وتنسيق حدائقهم وطرق تزينهم . فها هى الملكة « حتب حرس » أم الملك خوفو وزوجة الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة وهى محمولة فى كرسيها الثمين وذاهبة فى حاشية ملكية براقة لزيارة نجلها الملك فى قاعة العرش . أنظر إلى الثياب المصنوعة من الكتان الرقيق الأبيض التى تلبسها نساء الحرم الملكى ، وهى كما تراها فى الصورة ضيقة بدون أكمام تكسو الجسم من الصدر إلى الرجلين وتعلق على الكتفين بشريطين ، أنظر إلى شعورهن وقد أرسلنها إرسالاً أو ضفرنها بضفائر من الشعر المستعار ، وربطن شعورهن بشرائط رفيعة .

ثم انظر إلى صورة هذه السيدة الجميلة الأميرة « ست حاتور يونت » بنت الملك سنوسرت الثانى وشقيقة الملك سنوسرت الثالث وعمة الملك أمنمحات الثالث . أنظر كيف تهتم بشؤون الزينة فقد وضعت القلائد والعقود فى صدرها وحول عنقها ، والأساور الذهبية فى معصمها والكحل فى عينيها وعلى حواجبها ، ثم هى تنظر بعد ذلك فى مرآتها الفضية لترى سحر جمالها الفتان وتأثير نظراتها الخلابة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما جواهر هذه الأميرة المسكينة وأدوات زينتها التى طالما اعتزت بها فقد دفنت بجوارها فى مقبرتها الملكية بجوار أهرام والدها باللاهون لتتمتع بها فى الحياة الأخرى كما تمتعت بها فى هذه الحياة الدنيا ، ولكن تشاء الأقدار أن تذهب هذه النفائس إلى متحف المتروبوليتان بنيويورك بأمريكا ، ولا ينال مصر منها إلا الشىء التافه القليل ! !

الأميرة « ست — حاتور — يونت » بنت الملك سنوسرت الثانى وشقيقة الملك سنوسرت الثالث وعمة الملك أمنمحات الثالث .

ولا بد هنا بمناسبة ذكر هرم اللاهون من كلمة عن مدينة العمال التى أنشئت بجوار هذا الهرم لأنها أول أنموذج لتخطيط المدن فى العالم ، فقد رسمت شوارعها بنظام دقيق على خطوط مستقيمة تتقاطع على زوايا قائمة كتقسيم لوحة الشطرنج وجعلت فيها مجار عمومية لتصريف فضلات بيوت العمال وللمحافظة على الصحة العامة . وهذا أول مشروع مجارى عمومية لمدينة عرف فى العالم .

ثم انظر بعد ذلك إلى الكاهن « خا — آبر » المعروف تمثاله الخشبى بالمتحف المصرى باسم تمثال « شيخ البلد » وذلك لما وجده العمال الذين عثروا عليه من تشابه قريب بين شكل هذا التمثال وشكل شيخ البلد بسقارة وقتئذ عند اكتشافه بواسطة ماريت باشا سنة ١٨٦٠ .

أنظر إلى الحياة الطبيعية الناطقة فى عينى هذا التمثال ، إن شفته تكاد تتحرك !

أنظر إلى الدقة والأمانة فى التعبير عن هذه التقاطيع المصرية الصميمة التى لم يغيرها الدهر منذ آلاف السنين .

العينان مرصعتان ، وحافتهما من النحاس الأحمر ، وبياضهما من الرخام ، وقرنيتاهما من الحجر المتبلور ، أما أنساناهما فيمثله رأس مسمار من النحاس الأصفر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تصور هذا الكاهن بعباءته المصنوعة من جلد الفهد يلبسها فوق ردائه الواسع المصنوع من الكتان الأبيض وفى رجليه حذاء بسيط مصنوع من نبات البردى وقد أسرع إلى المعبد لإقامة الطقوس الدينية أو لعقد زواج أو للإشراف على عملية ختان الأطفال .

تصوره وقد أسرع إلى البلاط الملكى لحضور مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة فرعون ، ثم قل أليس هذا الكاهن فى هذا الوضع صورة طبق الأصل لرجال الأعمال الحاليين ! !

عظماء منف

تمثال من الخشب يكاد ينطق عرف باسم « شيخ البلد » ، ذلك أن العمال الذين عثروا عليه رأوا فيه شبهاً كبيراً بشيخ بلدة سقارة وقتئذ . العينان مرصعتان ، وحافتاها من النحاس الأحمر ، وبياضهما من الرخام ، وقرنيتاها من الحجر المتبلور ، أما إنسانتاها فيمثله رأس مسمار من النحاس الأصفر . وقد عثر ماريت باشا على هـذا التمثال فى سنة ١٨٦٠ وهو تمثال لكاهن مصرى (خا — آبر) من الأسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠) ق . م

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثالث

أهرامات الجيزة وسقارة

وبعض آثار منف الأخرى

تريد الأساطير أن تنشر حول هذه الصروح الضخمة المتوغلة فى القدم فصصاً خيالية عجيبة نلخصها فيما يلى :

١ — تصور بعض الكتاب القدماء من ذوى الخيال الخصيب ، أن أهرام الجيزة ، إنما هى مخازن الغلال ، التى شيدها يوسف الصديق ، لجمع الفائض من القمح فى السبع سنوات المخصبة لأجل مواجهة المجاعة فى السبع سنوات المجدبة .

٢ — وفى القرون الوسطى ، اعتقد العرب ، أن هذه الجبال الشامخة المشيدة من الأحجار الضخمة ، إنما أقيمت لإخفاء كنوز الفراعنة العظام فى باطنها ، فاقتحموا مداخلها للوصول إلى هذه الكنوز ولكنهم وجدوها خاوية ومنهوبة منذ القدم .

٣ — وعاد بعض الباحثين يقررون أن أهرام الجيزة ، إنما كانت مستعملة كمرصد لدراسة حركة تنقلات بعض الكواكب السيارة فى السماء .

٤ — وقال آخرون إن هذه الصروح الضخمة ، إنما سخر اليهود فى بنائها لما اشتد فرعون على بنى إسرائيل فى عهد اضطهادهم الطويل بمصر .

٥ — وهناك أيضاً من يقول إن أهرام الجيزة أقيمت تخليداً لذكرى أهم ظاهرة فلكية عرفت فى العالم ، ألا وهى تاريخ ظهور النجم المعروف باسم « الشعرى اليمانية » أو « سوتيس » فى السماء . ويعتبر هذا التاريخ فى علم الفلك تاريخ ابتداء الحساب بالسنة الشمسية فى العالم ، وهو فى الوقت نفسه تاريخ تنظيم نتيجة السنة المصرية القديمة بجامعة عين شمس . ومما يلاحظ أن أول هذه السنة يوافق بداية فيضان النيل .

٦ — ولكن كتاب الإغريق القدماء هم وحدهم الذين وفقوا إلى تحديد الغرض الأصلى الذى من أجله أقيمت هذه الأهرام ، وهى أن تكون مجرد مقابر لملوك مصر فى عهد الدولة القديمة .

من المصطبة الى الهرم :

طبقاً لاعتقادات قدماء المصريين ، كان من الضرورى ، لأجل احتياجات روح المتوفى ، أن تحنط جثته بعد موته .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولأجل حماية الجثة المحنطة من عوامل التحليل كمياه الرشح مثلاً ، ومن لصوص المقابر ، خصوصاً إذا كانت الجثة جثة ملكية ، كان من الضرورى وقايتها و إخفاءها باحكام تام . فقرر الكهنة فى عصر الأسر القديمة الأولى وضع التوابيت التى تحوى جثث الملوك فى سراديب منقورة فى الصخر الأصم تحت طبقات من المصاطب المستطيلة المبنية من أحجار ضخمة بشكل مهرم ناقص . وقرروا أيضاً أن تكون هـذه المقابر الملـكية أعلى منسوباً وارتفاعاً عن المقابر أو المصاطب المحيطة بها ، إبرازاً للشخصية الملكية من جهة ، ولتكون مشرفة على مصاطب الرعية بعد الموت كما كان الملك مشرفاً على أصحابها فى الحياة من جهة أخرى .

وعلى أساس هذه النظرية ، كلف المهندسون بتصميم المقابر الملكية . فلأجل أن يجعلوها أعلى من المقابر المحيطة بها ، وضعوا المصاطب درجات متوالية فوق بعضها ، فتكوّن من هذا الوضع هرم مدرج يعتبر هرم الملك زوسر المدرج بسقارة الأنموذج الأول منه فى تاريخ العمارة بالعالم ، وتعتبر كل درجة من درجات هذا الهرم مصطبة مستقلة عن سواها . ثم أرادوا بعد ذلك تهذيب هذا الشكل فبنوا هرم ميدوم للملك سنفرو كهرم مدرج بقاعدة مربعة لا مستطيلة .

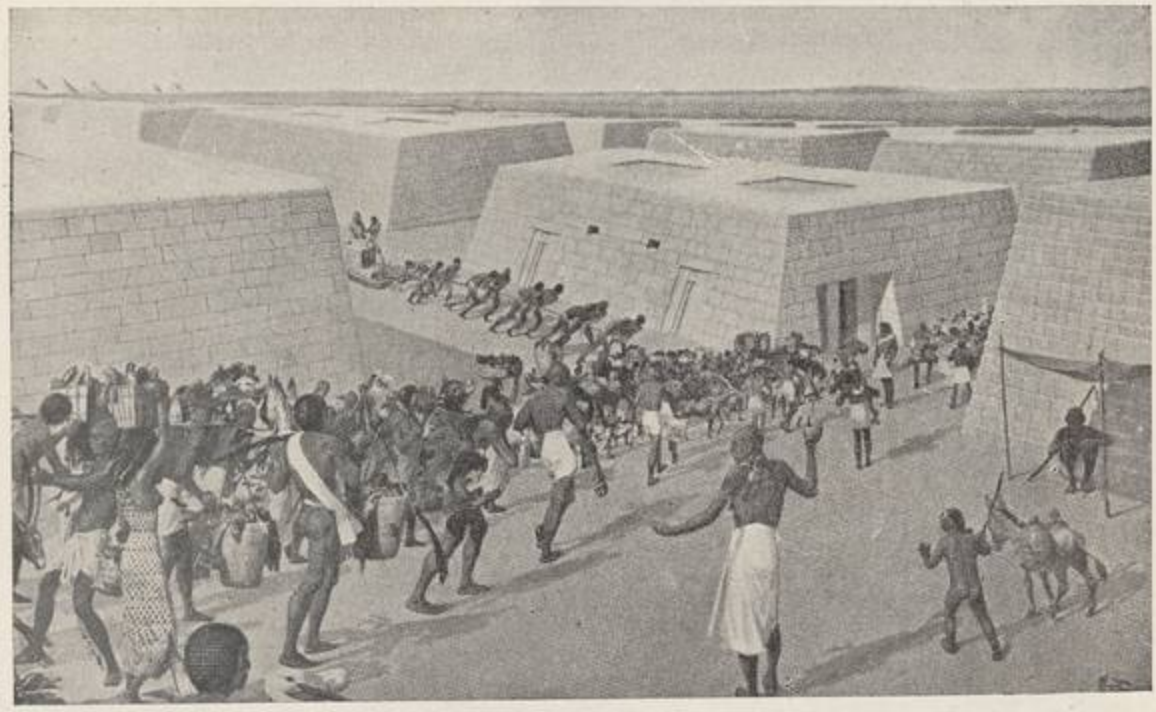

جبانة منف — زيارة الموتى وتزويد المصاطب فى جبانة منف بجميع أنواع المأكولات والزهور والخضراوات واللحوم والذبائح والطيور والفواكه ، حتى إذا ما عادت روح الميت إلى الجثة المحنطة تجد ما تقتات به فى القبر . وهذه صورة خدم أحد العظماء ينقلون إلى قبر سيدهم كل أنواع المآكل يوم الزيارة . وقد جلس حارس الجبانة الشيخ تحت مظلة بجوار إحدى المصاطب بينما أخذ هذا الطفل ينقل قرب الماء إلى العمال الذين يشتغلون فى نقل أحد التماثيل إلى مقبرة من المقابر . وأخذ أحد رؤساء الخدم يحث إخوانه على سرعة المرور قبل وصول التمثال إلى طريقهم . وفى أوائل عصر الأسرة الثالثة حل محل القبر الذى يعلوه بناء آخر ، بناء من اللبن على شكل مستطيل عظيم الحجم يطلق عليه حالياً اسم مصطبة . ويختلف شكل المصطبة فى العصر المنفى عن سابقه ، فقد أصبح مستطيلا وجدرانه من الحجر الجيرى المهذب . وقد تحتوى المصطبة على أكثر من باب واحد ويقام بابها الوهمى فى الجهة الشرقية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان هذا الهرم مكوناً من درجتين عاليتين فى الأصل ، ثم فكروا فى ملء ما بين الدرجتين بالمبانى للحصول على شكل هرمى كامل ، فكانت النتيجة الحصول على شكل برج بقاعدة مربعة . ولذا فقد اعتبر هذا الهرم الحلقة الوسطى بين الهرم المدرج والهرم الكامل فى تطور بناء الأهرام .

هرم ميدوم بجوار مدينة الواسطى على بعد ٦٠ ميلاً جنوبى القاهرة . بناه الملك سنفرو ولكنه لم يدفن فيه . ويعد هذا الهرم المرحلة الأولى فى التطور المعمارى بين الهرم المدرج والهرم الكامل الذى أقيم بالجيزة .

ثم استمر التطور للحصول على الشكل الهرمى الهندسى الكامل وكان لا بد للنجاح فى هذا الغرض من التعديلات الآتية :

أولا — جعل قاعدة الهرم مربعة بدلا من القاعدة المستطيلة التى اقتبست فى الأصل من مصاطب منف المستطيلة الشكل .

ثانيا — الانتقال من الشكل الهرمى الناقص المنتهى من أعلى بسطح أفقى إلى الشكل الهرمى الكامل المنتهى من أعلى بقمة مدببة .

ثالثا — بناء أضلاع الهرم بشكل مثلث متساوى الساقين . ثم جعل أضلاع الهرم الأربعة متساوية تماماً .

وسرعان ما توصل المهندس المصرى القديم إلى بناء الهرم الكامل ببراعة فائقة . وإليك البيان :

يوجد فى دهشور هرم كامل ولكن أضلاعه مبنية على زاويتين مختلفتين بحيث يبدو ضلعه كخط متكسر ، وقد يكون صاحب هذا الهرم هو الملك « حونى » آخر ملوك الأسرة الثالثة ، ولو أن ذلك أمر لم يتحقق بعد .

وقاعدة هذا الهرم مستطيلة يبلغ أكبر أطوالها ١٨٨٫٥٦ متراً كما يبلغ ميل الجزء الأسفل على الأفقى ٥٤° والجزء الأعلى ٤٢° . وينتهى هذا الهرم من أعلى بسهم مدبب ويبلغ ارتفاعه ٢٠٫٩٧ متراً . ويسمى هذا الهرم « الهرم ذو الخطوط المنكسرة » أو الهرم المصنم .

ولا توجد نصوص فى غرف هذا الهرم تدل على صاحبه ، وإذا كان البعض يفرض أن صاحب هذا الهرم هو

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الملك « حونى » فذلك لأنه يمثل خطوة الانتقال الأخيرة بين هرم زوسر المدرج وبين هرم سنفرو الكامل الذى أقامه فى دهشور بعد أن نبذ هرمه الأول المبنى بشكل برج مربع بميدوم .

وتبدو أبعاد هرم سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة بدهشور وقد بلغ طول قاعدته المربعة ٢١٣ مترا وارتفاعه ٩٩ مترا الخطوة الأولى فى طريق بناء أهرام الجيزة ذات الأبعاد المتناهية فى الضخامة والعظمة .

كما يعد بناء هذا الهرم الخطوة النهائية الحاسمة التى وفق بواسطتها المهندس المصرى القديم إلى شكل الهرم الهندسى الحقيق .

فلما تحققت فكرة الهرم الهندسى كاملة واضحة ، قرر الكهنة تعديل مواقع الأمكنة المخصصة لإقامة الطقوس الدينية والجنائزية فى الأهرام ، فنقلت قاعة القرابين والذبائح والتقدمات التى كانت تقام فى الأصل داخل المصاطب إلى الخارج ، وأطلق عليها اسم « معبد الهرم الجنائزى » . و بعد أن كان هذا المعبد يقام إلى شمال الهرم تقرر نهائياً أن يقام شرقى الهرم فى اتجاه الشمس وفى اتجاه شاطىء نهر النيل .

القاهرة — منظر بالطيارة لمجموعة الأهرام المعمارية بالجيزة
وترى فى الصورة الصغيرة أبا الهول ومعبد الوادى والطريق المقدس الخاص بالهرم الثانى أى هرم خفرع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما قاعة الدفن فبقيت داخل الهرم ، فى مركز ثقل المبنى أو جعلت فى سراديب منقورة فى الهضبة التى أقيمت عليها الأهرام .

وجعل مدخل الدهليز المؤدى إلى قاعة الدفن فى الضلع الشمالى من الهرم مع إخفائه جيداً بأحجار ضخمة لتضليل لصوص المقابر .

وكان لكل هرم معبد ثان خلاف المعبد الجنائزى المذكور سابقاً يقام فى الأراضى الزراعية المجاورة ويسمى « معبد الوادى » . وكان معبد الوادى هذا يتصل بالمعبد الجنائزى بطريق مائل يسقف أحيانا ويعرف باسم « الطريق المقدس » . وكانت أرضية الطريق المقدس ترصف بأحجار جيرية ضخمة .

فمن المبنى الهرمى الشكل ومن معبد الوادى ومن الطريق المقدس ومن المعبد الجنائزى كانت تتكون المقبرة الملكية المعروفة لدى مهندس مصر القديمة باسم « مجموعة الهرم المعمارية » .

وقد كشف الأستاذ سليم بك حسن فى حفرياته بسقارة سنة ١٩٣٧ طريق معبد الوادى أو الطريق المقدس الخاص بهرم « أوناس » فوجد طوله ٦٦٠ متراً وعرضه ستة أمتار وسبعين سنتمترا بما فى ذلك سمك الحوائط المقامة على الجانبين ، كما وجد أن عرض الممر المؤدى من سرداب الهرم إلى الطريق المقدس المذكور ٢٫٦٠ متراً . وكان هذا الطريق مسقوفا بأحجار سمكها ٤٥ سنتمتراً .

حقول الاهرام بوادى النيل

يوجد بمصر والسودان حقلان مشهوران من حقول الأهرام .

فالحقل الأول يقع على الهضبة الليبية التى تتمشى مع حدود الوادى الغربية .

ويمتد هذا الحقل من هرم أبو رواش شمالا حتى هرم هوّاره بمديرية الفيوم جنوباً .

أما الحقل الثانى فيقع بالسودان بمنطقة « ميرويه » « ونابانا » .

وقد بنيت هذه الأهرام فى عهد ملوك ميرويه يوم كانت « نابانا » عاصمة القطر المصرى تحت حكم الأسرة الخامسة والعشرين الحبشية من سنة ٧١٦ إلى سنة ٦٦٣ ق . م .

أهرام أخرى

وقد أقام أيضاً بعض ملوك الدولة الوسطى أهراماً أخرى فى منطقة طيبة (الأقصر) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

منظر جبل أبو رواش حيث توجد محاجر قديمة غنية بأحجارها المختلفة من جيرية ورملية بنى منها هرم أبو رواش وسواه من أهرام الجيزة . وترى فى الصورة جزءاً من طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية .

مواقع بعض الأهرام

أقصى هرم معروف الآن بمصر إلى جهة الشمال هو هرم أبو رواش الواقع على بعد ثمانية كيلومترات إلى شمال أهرام الجيزة على الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية . إلا أنه كان يوجد هرم آخر أقصى منه شمالا وكان يقع بأتريب بجوار بنها . وقد رأى علماء الحملة الفرنسية هذا الهرم وذكروه فى مؤلفاتهم .

وقد اختفت آثار هذا الهرم الآن ولكن موقعه معروف لدى علماء الآثار .

حقل الأهرام الكبرى بالهضبة الليبية

يشمل هذا الحقل الأهرام التالية :

١ — هرم أبو رواش — بناه الملك « ددف رع » ابن الملك « خوفو » من ملوك الأسرة الرابعة . ولسوء الحظ تهدم هذا الهرم وكاد أن يندثر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — أهرام الجيزة و بيانها كالآتى :

هرم خوفو من ملوك الأسرة الرابعة

هرم خفرع « « « «

هرم منكاورع « « « «

هرم الملكة خنت كاوس بنت منكاورع من ملوك الأسرة الخامسة

٣ — هرم زاوية العريان — وهذا هرم غير تام البناء ربما يكون خاصاً بالملك نفرخا من ملوك الأسرة الثالثة لأن اسم هذا الملك وجد محفوراً على بعض أحجار جلبت من بقايا هذا الهرم .

٤ — أهرام أبو صير — وهنا توجد أهرام ومعابد الشمس الخاصة بالملوك الآتية أسماؤهم :

هرم أوسرخاف ابن الملكة « خنت كاوس » من ملوك الأسرة الخامسة

هرم سحو رع من ملوك الأسرة الخامسة

هرم نفر إركارع (كاكاو) من ملوك الأسرة الخامسة

هرم نوسر رع من ملوك الأسرة الخامسة .

٥ — أهرام سقارة وهى :

هرم زوسر المدرج من ملوك الأسرة الثالثة ، وقد قام ببناء هـذا الهرم ومعبده ذى الأعمدة المجذعة المهندس أمحوتب . و بعد كشف هـذا المعبد ظهر لأول مرة أن العمود الدوريكى المجذع منشأه بمصر لا ببلاد اليونان كما كان الاعتقاد منتشراً قبل هذا الكشف .

هرم أوناس من ملوك الأسرة الخامسة

هرم تيتى من ملوك الأسرة السادسة

هرم مرن رع « « « «

هرم بيبى الأول « « « «

هرم بيبى الثانى « « « «

وقد ظهر فى حفريات سنة ١٩٣٧ بسقاره أنموذج جديد لهرم خاص بنبيل اسمه « نيبتكا » كان يعيش فى عصر الأسرة الأولى فى عهد الملك « أوديمو » (دن) .

وكان هرم « نيبتكا » هذا هرماً مدرجاً مبنياً بالطوب ، وقد ترك قبل إتمامه ثم أقيمت فوقه مصطبة مستطيلة الشكل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى سنة ١٩٣٠ اكتشفت الأهرام التالية بسقارة وهى :

هرم خنزر — من ملوك الأسرة الثالثة عشرة . وقد نقلت القمة المهرمة التى كانت بأعلى هذا الهرم إلى المتحف المصرى بالقاهرة وهى من حجر البازلت المصقول .

هرم آبا — من ملوك الأسرة السابعة .

وأخيراً هرم الملكة أودجبتن زوجة ببى الثانى (الأسرة السادسة) . وهذا الهرم قريب جداً من المقبرة التى يطلق عليها حالياً اسم مصطبة فرعون وهى مقبرة الملك شبسسكاف آخر ملوك الأسرة الرابعة .

٦ — أهرام دهشور وهى :

هرم بسيط مبنى باللبن للملك سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢

هرم سنفرو الشمالى وهو مبنى من الأحجار الضخمة وهو أول ملوك الأسرة الرابعة

هرم الملك امنمحات الثانى وهو مبنى من اللبن وهو من ملوك الأسرة ١٢

هرم الملك امنمحات الثالث « « « « « « « « «

ثم هرم آخر غير معروف صاحبه ، وهو مبنى من الأحجار الضخمة . وقد يكون صاحبه الملك « حونى » آخر ملوك الأسرة الثالثة كما قلنا سابقاً .

ثم يلى هذه الأهرامات إلى الجنوب الأهرام التالية :

٧ — أهرام اللشت

٨ — أهرام ميدوم

٩ — أهرام هوّارة

وهذه خارج منطقة القاهرة . وسنتكلم عنها فى المكان الخاص بها .

ويبلغ عدد الأهرام بمصر والسودان نحو سبعين هرماً لم يبق منها قائماً إلا ثلاثين هرماً فقط .

وإليك الآن بعض البيانات المفيدة عن أهرامات الجيزة وسقارة وسواحلها .

خوفو صاحب الهرم الأكبر

هرم خوفو :

كان ارتفاعه فى الأصل ١٤٦٫٥٠ متراً ، وأما اليوم فارتفاعه ١٣٧ متراً بسبب تساقط أحجار قمته ، وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدته فى الأصل ٢٣٠٫٣٥ متراً ، ومن تساقط الأحجار أصبح طول الضلع الواحد ٢٢٧٫٥٠ متراً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومقاس الزاوية بين وجهات هذا الهرم والأفق ٥٠ َ ٥١ °، وتبلغ مساحته ١٣ فداناً . ويبلغ حجمه نحو مليونين ونصف مليون من الأمتار المكعبة . أما عدد أحجاره فيبلغ نحو ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ . ووزن كل منها ٢ ونصف طن ، أى أن مقدار وزن الهرم يبلغ نحو ستة ملايين طناً موزعة بمعدل ٥ ونصف كيلومتر على السنتيمتر المربع . وهذا شيء يتفق اتفاقاً مدهشاً مع أحدث قواعد تحميل الأرض الصخرية فى هندسة المعمار الحديثة كما قلنا سابقاً . وقد تم بناؤه حوالى سنة ٣٧٣٣ ق . م . وهو أقدم عجائب الدنيا السبع .

خفرع صاحب الهرم الثانى

هرم خفرع :

كان ارتفاعه فى الأصل ١٤٣٫٥٠ متراً ، وبسبب تساقط أحجار قمته أصبح ارتفاعه ١٣٦٫٤٠ مترا . وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢١٥ مترا ، وبسبب تساقط الأحجار أصبح طول الضلع الواحد ٢١٠ مترا . وهو أقل حجما من هرم خوفو وقد فتحه « بلزونى » سنة ١٨١٨ . وهو يقع على طريق مصر — الفيوم الصحراوى . وقد تم بناؤه حوالى سنة ٣٦٦٦ ق . م .

منكاورع صاحب الهرم الثالث

هرم منكاورع :

فتحه الكولونيل هوارد فيس سنة ١٨٣٧ . ويبلغ ارتفاعه الحالى ٦٣ متراً وطول كل ضلع من أضلاع قاعدته الحالية ١٠٣٫٥٠ متراً . وقد تم بناؤه حوالى سنة ٣٦٣٣ ق . م .

هرم سقارة المدرج :

قاعدته مستطيلة وأبعادها ١٢٣٫٩ × ١٠٣٫٢ متراً . ويبلغ مجموع ارتفاع الدرجات السبع المكونة لهذا الهرم ٦٠ متراً ، وتبلغ مساحته ومساحة معبده الجنائزى حوالى عشرة أفدنة .

متون الاهرام :

يجب هنا أن نذكر أنه حتى فى عهد المباحث الحديثة لم يعثر على أى نصوص منقوشة على أهرام الجيزة الكبرى ، ولم يذكر اسم « خوفو » فى الهرم الأكبر إلا فى موضعين اثنين وهما فى القاعتين الرابعة والخامسة من سلسلة القاعات الخمس الفارغة التى أقيمت فوق قاعة تابوت الملك لتخفيف الحمل عن سقف هذه القاعة . وحتى فى هاتين القاعتين لم يكتب اسم الملك « خوفو » إلا بالبوية الحمراء ، بواسطة رؤساء عمال محجر طره الذين كتبوا هذا الاسم على الأحجار المخلوعة من هناك خصيصاً لبناء الهرم الملكى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ذكر الشيخ عبد اللطيف الطبيب البغدادى الذى زار مصر بعد هيرودوت بألف سنة أن الحجر الذى كان عند مدخل الهرم الأكبر ، وقد اختفى الآن ، كان يحمل بعض الكتابات الهيروغليفية .

وكان لكل هرم اسم خاص ، فمثلا كان اسم هرم خوفو « آخت خوفو » ومعنى ذلك « أفق خوفو » . واسم هرم سنفرو المبنى بشكل برج بميدوم « أفق سنفرو الجنوبى » واسم هرم سنفرو المبنى بشكل هرم كامل بدهشور « أفق سنفرو الشمالى » .

وبعكس ما هو حاصل فى الأهرام التى أقيمت بالجيزة ، فقد وجد العالم مسبرو فى أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة بسقارة سنة ١٨٨١ النصوص المعروفة باسم « متون الأهرام » . وتحوى هذه النصوص — وهى مكتوبة بلغة بليغة — كل ما سيحصل للملك صاحب الهرم فى العالم الآخر بعد موته . ونعلم من هذه النصوص أن جلالته يريد ألاَّ يعامل بنفس الطريقة التى يعامل بها سائر الناس ، بل يريد أن يكون مساويا للآلهة . ويريد أن يشرف على العالم مع الشمس (الإله رع) فى المركب المقدسة ، ويريد أن يكون هو نفسه إلها ، وبالطبع كان الكهنة يلقبونه باسم الاله بعد موته .

تمثال أبى الهول :

تمثال أبى الهول من أعجب الآثار التى توجد بجبانة منف الكبرى بمنطقة الجيزة الحالية ، وتريد الأساطير أن تنشر حول هذا التمثال الرابض بجوار « الطريق المقدس » لهرم خفرع قصصاً وتفاسير غريبة تشابه ما نشر حول الأهرامات نفسها .

فقد زعم كتاب اليونان أنه يمثل حيواناً خرافياً من الآلهة اليونانية القديمة مع أن أصله مصرى صميم .

والواقع أن العلاقة بين أبى الهول وعبادة الشمس عند قدماء المصريين ترجع إلى عصور قديمة جداً . فاسم التمثال بالمصرية « آتوم » وباليونانية « حر ماكيس » ومعنى ذلك « الإله حور فى الأفق » . وكان هذا الإله يمثل فى الآثار المصرية الأولى بشكل سبع له رأس صقر . ومن هذا الشكل تولدت فكرة تمثيل الحيوان الخرافى فى الأساطير المصرية بشكل سبع له أجنحة ورأس صقر .

منف — منظر تمثال أبى الهول (وهو فى رأى بعضهم يمثل خفرع صاحب الهرم الثانى) و بين يديه لوحة تذكارية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وانتشر هذا الشكل فى جميع آثار الشرق القديم ومنها اليونان ، ثم تطور فى العصور التالية بتغيير رأس الصقر الذى يرمز به للإله حور ، إلى رأس إنسان ، وهو الأنموذج الأخير فى شكل أبى الهول .

و يعتقد البعض أن أبا الهول يمثل الملك خفرع صاحب الهرم الثانى ، مع أنه لم يعثر على اسم هذا الملك فى أى جزء من أجزاء هذا الأثر .

والتمثال على شكل سبع راقد على نواجذه الأربعة وله رأس إنسان . وغطاء رأسه هو الغطاء الكتانى العادى المعروف عند قدماء المصريين باسم « نمس » وكان يلبسه ملوك مصر القديمة ، وله عصابة فى وسطها تمثال الحية الملكية « يوراس » وخلفها نسر منتشر الأجنحة . وكانت هذه الحية تقذف النار والسم فى وجه من يحاول رفع نظره إلى وجه الملك .

أما تمثال النسر الناشر الجناحين فقد سقط بكل أسف من فوق رأس التمثال . و يحتفظ المتحف البريطانى بلندن بجزء منه و بجزء من تمثال الحية الملكية المقدسة . كما يوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة أنموذج مصنوع من الجبس لهذه الأجزاء المفقودة من تمثال أبى الهول .

و يوجد أمام تمثال أبو الهول معبده الصغير ، بينما وضعت بين رجليه الأماميتين اللوحة الشهيرة المعروفة باسم « لوحة حلم الملك تحوتمس الرابع » وفيها يقص هذا الملك كيف أخذته سنة من النوم فى ظل أبى الهول فرأى فى الحلم الإله الأكبر (حور) . وقد طلب منه إزالة الرمال التى تكدست حوله .

وقد اكشف الأستاذ سليم بك حسن فى معبد صغير ، يقع فى الشمال الشرقى بجوار تمثال أبى الهول ، لوحة كبيرة ارتفاعها ٤٫٢٥ متراً وعرضها ٢٫٥٣ متراً ، وهى خاصة بالملك أمينحوتب الثانى ، وفيها يذكر الملك حوادث حفلات الصيد التى أقيمت بمناسبة حفلات تتويجه . وفى السطر الأخير من هذه اللوحة يقول الملك إنه أتى ليمتع نفسه فى منطقة الصيد المجاورة لأهرام « حرما كيس » .

و يبلغ محيط وجه تمثال أبى الهول إذا قيس بالعرض ٣٫٩٠ متراً ، كما يبلغ طول أنفه متراً ونصف متر وعرض فمه ٢٫١٠ متراً ، و يبلغ طول التمثال نفسه ٤٦ متراً وارتفاعه من الأرض إلى قمته ٢١ متراً . وهو مصنوع من قطعة وحيدة نحتت فى صخرة محلية .

أما تاريخ إزالة الرمال عن هذا التمثال الضخم فهو نفسه تاريخ أثرى . فقد ذكر بعض الفراعنة الذين زاروا أبا الهول أنهم رفعوا الرمال التى تكدست حول هذا الإله .

كما أنه فى العصر الحديث أى فى سنة ١٨١٨ قام الكابتن كاڤيليا برفع الرمال من حول التمثال ، واكتشف المعبد الصغير الواقع بين ساقيه الأماميتين . وفى سنة ١٨٣٧ قام الكولونيل ڤايس بعمل جسات فى جسم أبى لهول

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

آملاً أن يجد فى داخله كنوزاً مخفية طبقاً للأساطير المتداولة بين الشعب . ولكنه لم يصادف فى هذه الجسات العميقة إلا صخراً صلداً . وفى سنة ١٩٣٧ قامت مصلحة الآثار المصرية برفع الرمال مرة أخرى عن هذا التمثال ، وقد كان من حسن حظنا اليوم أن تتاح لنا الفرصة لمشاهدة جمال هذا التمثال فى كامل روعته وعظمته الأولى .

تمثال آخر لأبى الهول بسقارة

فى مكان مدينة منف القديمة ، اكتشف سنة ١٩١٢ تمثال آخر لأبى الهول له جسم أسد ورأس إنسان . وربما يرجع تاريخ هذا التمثال إلى عهد رمسيس الثانى . وهو مصنوع من المرمر (الألابستر) ويقع فى الحقول بين أشجار النخيل المجاورة لقرية ميت رهينة الحالية ، وهو تمثال صغير جداً بالنسبة لتمثال أبى الهول بالجيزة ، ويبلغ طوله ٧٫٨٠ متراً وارتفاعه من الأرض إلى قمته ٤٫٢٠ متراً .

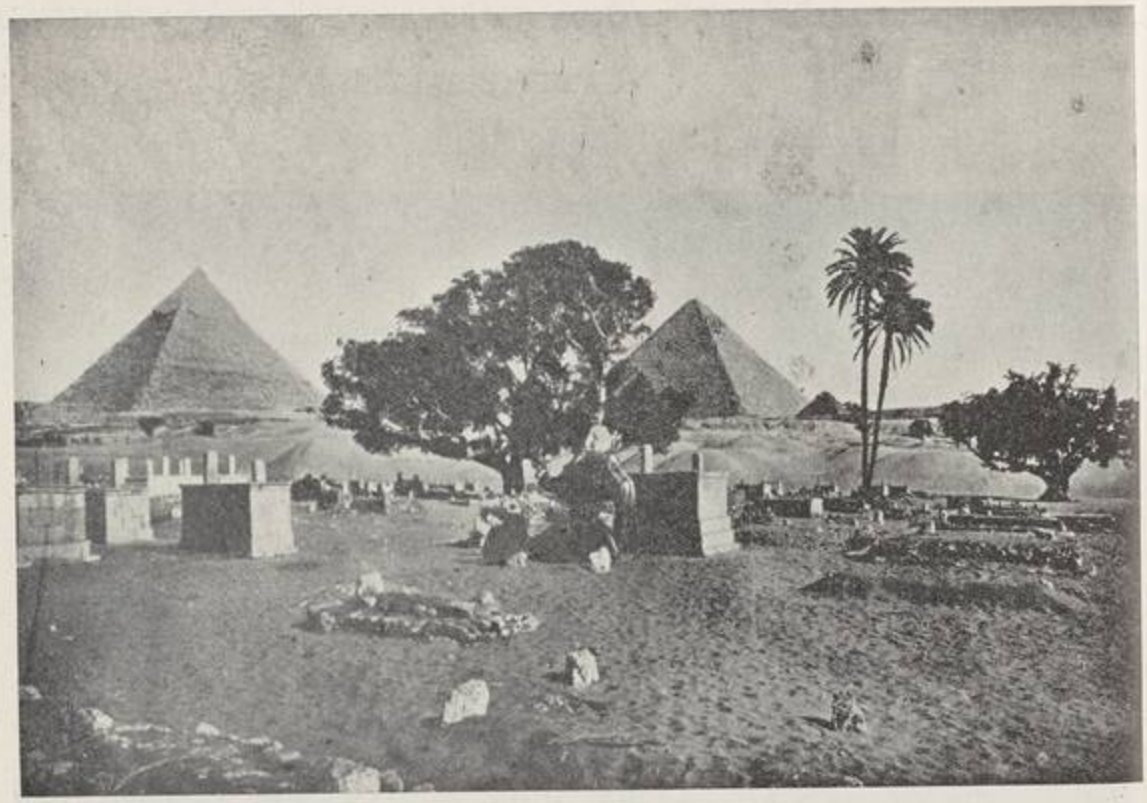

أهرام الجيزة : هل تطورت هذه المقابر الإسلامية الحديثة من شكل تمثال أبى الهول أم من شكل مصاطب منف ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المصـــــــاطب

مصاطب الجيزة

توجد بجبانة الجيزة بجوار الأهرام الكبرى مقابر تعرف حالياً باسم المصاطب لتشابهها بها ، وهى خاصة بأعضاء العائلات الملكية وأتباعهم .

وقد دفن بهذه المصاطب بعض الشخصيات البارزة فى تاريخ مصر القديمة ، مثل الملكة « حوتب حورس » زوجة الملك « سنفرو » وأم الملك « خوفو » . كما أن هناك بعض الأهرام الصغيرة الخاصة بأعضاء عائلة خوفو وعائلة منكاورع . وبجوار أحد الأهرام الثلاثة الصغيرة الخاصة بأبناء خوفو توجد بقايا معبد صغير يرجع تاريخه إلى الأسرة الحادية والعشرين اسمه معبد أزيس « سيدة الأهرام » . وقد وجد بداخل هذا المعبد اللوحة الشهيرة باسم « لوحة بنت خوفو » وهى موجودة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .

جبانة منف — صورة مأخوذة من فوق هرم خوفو . وترى بها صفوفاً طويلة من المصاطب . وهى عبارة عن مقابر الأشراف والعظماء وأفراد العائلات المالكة التى كانت تدفن بجوار هرم الملك

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم تكن جبانة الجيزة مقصورة فقط على دفن أعضاء العائلات الملكية بل نجد فيها مقابر كثير من النبلاء والكهنة وكبار موظفى الدولة . ومما يلاحظ أن هؤلاء القوم كانوا يحملون ألقاب شرف عديدة ، منها : رئيس المرتلين ، والكاتب الإلهى ، ورئيس كل الوظائف الإلهية ، وقريب الملك ، والمعروف لدى الملك ، والأمير والسمير الوحيد ، ومدير القصر ، وحارس التاج ، وحاكم القصر ، ومدير مالية القصر ، وحامل نعل الملك ، ومنظم شعر الملك ، وطبيب خاص الملك ، وغسّال ومنظف أظافر الملك ، ومدير بيت التطهير المزدوج ، وحامل أختام الملك ، ورئيس أسرار كل أوامر الملك ، ورئيس أسرار كل القرارات القضائية ، ورئيس أسرار كل الأشياء التى يراها الإنسان ، ومدير كل الأشغال الملكية ، ومدير القيودات ، والمقرب لدى الناس والملك ، وحاكم القصر العظيم ، والمشرف على مصانع الملك ، والمشرف على خدمة قرينة الملك ، والمشرف على حدائق الملك ، والكاهن الملكى ، وكاهن الملك ، ومغنى البيت الكبير ، والمشرف على ملابس الملك ، والقائد الأعلى لجيوش الملك ، والمشرف على مراكب الملك ، وضابط جنود الملك ، ورئيس كتبة الملك ، ومفتش المحصولات الزراعية ، والمشرف على مدينة هرم خوفو ، والوزير ، والقاضى ، والمشرف على مخازن غلال الملك ، والمشرف على أدوات زينة الملك ، وغير ذلك .

وقد رسمت على حوائط مصاطب الجيزة مناظر كثيرة تمثل الحياة العامة فى هذا العصر ، مثل أشخاص يحملون القرابين والهدايا والدبائح للمتوفى . و بعض هذه المناظر دقيقة جداً مثل منظر الحاتى الذى يقوم بشى اللحم على النار و بيده مروحته ، ومنظر من يقوم بحليب البقر ، ومنظر صياد السمك بالشباك ، ومنظر صيد الغزلان ، ومنظر الراقصات اللاتى يرقصن على نغمات الموسيقى و بجوارهن لاعبو القيثارة والمصفقون بالأكف .

مصاطب سقارة :

ومع كل ما ذكرناه هنا فجبانة سقارة تفوق جبانة الجيزة دقة وفخامة ، وهى بلا نزاع أهم جبانات مدينة منف القديمة وأدهش حقول الآثار بمصر وأكثرها جاذبية للسواح . فهناك مصاطب الأسرة الأولى بحوائطها المبنية من اللبن تبرز منها الأعمدة المجذعة المماثلة للأعمدة الدوريكية المجذعة التى سبق ذكرها فى معبدهرم زوسر . ولكن ليس عليها نقوش أو كتابات ، فقط كانت بها تجاويف ملونة بشكل أبواب وهمية .

ولم يبدأ المصريون القدماء فى تدوين مناظر الحياة العامة على أحجار مقابرهم المنحوتة فى الصخر الأصم إلا ابتداء من عهد الأسرة الثالثة .

وكان سمك حوائط مصاطب الأسرة الأولى فى منتهى الضخامة يبلغ أحيانا أربعة أو خمسة أمتار .

وإليك الآن بعض البيانات عن أهم مصاطب سقارة الجديرة بالزيارة :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١ — مصطبة نى :

كان النبيل نى من كبار موظفى الدولة المصرية ، عاش فى عهد الأسرة الخامسة ، وكان لقبه « المشرف على الأهرام ومعابد الشمس » ، وقد صنع لنفسه مقبرة غاية فى الدقة والاناقة ، وحفر على حوائطها نقوشاً ومناظر تمثل الحياه اليومية بمنف أدق تمثيل . فهناك منظر أحواش الطيور ، ترى فيها الأوز تمشى الهوينا ثم تسبح فى البركة القائمة فى وسط الحوش وقد جاء الخدم لإطعامها .

وهناك منظر صيد البط بالشباك بالطريقة التالية : أخفى رئيس الصيادين نفسه خلف شجرة صناعية ، وجعل يراقب الطيور فلما امتلأت الشباك بالطير الذى أتى ليأكل الحبوب المنثورة فوقها وقف رئيس الصيادين فجأة وأعطى الاشارة لسحب الحبال بأن نشر قطعة من القماش خلف رأسه . فلما سحبت الحبال قفلت الشباك على الطيور وقبض عليها باليد وأرسلت فى أقفاص خاصة إلى أسواق المدينة .

وترى هناك أيضاً صورة البجع وقد فتح فمه متنبئاً بقرب العاصفة الجوية المقبلة .

مشاهد من الحياة العامة فى منف — الصيد بالعلقة — قام الصيادون فى الصباح الباكر جدا إلى برك دهشور وهناك نصبوا شباكا يختلف ارتفاعها بين متر ومتر ونصف، ووضعوا بجوارها « خيال » بط من خشب ملون مكسو بالريش . وذلك بعد أن غطوا من ساحل البركة مساحة تتراوح بين ٢٠ و١٥٠ متراً بطبقة رقيقة من التبن ليلفتوا بها نظر الطير . ثم نثروا فوقها حبوب الدنبية أو كسر الأرز، وهى كناسة الجرن المسماة (قيشه) والطيور ميالة بطبيعتها إلى الاتجاه نحو جسر البركة . ولهذا تراها تندفع نحو العلقة . فتتجمع زرافات بجوار الشباك لتلتقط الحب . وعند ذلك يعطى رئيسهم اشارة لزملائه فيجذب الصيادون حبال الشباك فتطبق على الطيور فيمسكونها حية . وفى جانب الصورة ترى طفلين وأمامها السبات توضع فيها هذه الطيور وتحمل إلى أسواق منف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى هذه المقبرة ترى المتوفى فى مناظر مختلفة تمثله فى حياته العادية أو ربما فى الحياة التى يريد أن يحياها فى العالم الآخر .

وفى أحد دهاليز هذه المقبرة ترى منظراً يمثل طريقة نقل التماثيل الضخمة فى مصر القديمة على الزحافات يجرها الرجال ، بينما يمثل غيرها الطريقة التى يتبعها الجزارون فى ذبح البقر والجاموس ، ويمثل غيرها الموسيقيين والراقصين وصناع المراكب .

وتمثل مناظر أخرى طريقة صنع البيرة ، وصنع الكعك ، وصنع الفخار .

وتمثل مناظر أخرى أعمال زراعية مختلفة كالحصاد بالمناجل وحرث الأرض ونقل المحاصيل والغلال على ظهور الحمير ودرس الغلال . والصورة التالية تمثل بطريقة حديثة بعض الأعمال الزراعية بمنف .

ومما يلفت النظر فى هذه النقوش الجميلة منظر صاحب المقبرة ورجاله وهم يصطادون جاموس أو فرس البحر (العسنت) فى مراكبهم بين الأحراش فى البرك والمستنقعات . ثم تمثال « تى » الذى يبدو حياً خلف الأبواب الوهمية .

الطريقة التى كانت تزرع بها حقول منف . وترى الفلاح المصرى يحرث ويبذر القمح فى الحقول بعد انسحاب مياه الفيضان مباشرة . كما ترى فى الرسم القرية المصرية والخمس وأكياس البذور وقد وقف الكتبة يحصون عدد ما يفرغ منها . ومما يلاحظ أن القمح كان يبذر أمام المحراث لا خلفه كما هو الحال الآن ثم يأتى الرعاة بأغنامهم ويسيرون خلف المحراث لتقلب الأرض بحوافرها وتغطى البذور .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — مقبرة خا — جمنا

كان خا — جمنا وزيراً من وزراء مصر فى عهد الأسرة السادسة وكان يحمل الألقاب التالية : « مراقب الكهنة » و « المشرف على مدينة هرم الملك تيتى » وغير ذلك .

وأهم المناظر التى يمكن مشاهدتها فى مقبرته هى :

ا — منظر للراقصين والقائمين بألعاب بهلوانية وحولهم نساء يصفقن بالأكف على نغمات الموسيقى .

ب — مناظر لصيد السمك وصيد جاموس أو فرس البحر (العسنت) وصيد الطيور .

ح — مناظر جمع التين من الشجر .

ء — مناظر تغذية الضباع الأليفة . ومناظر الأوز والبط وهى تسبح فى بركة بحوش الطيور .

هـ — منظر صاحب المقبرة محمولا فى محفة وقد ارتدى ثوبا من الكتان الثمين . ومنظر قزم يقود قرداً وكلاباً . ومنظر العمال يقطفون العنب و يعصرونه على طريقتهم الأولية بالأرجل . وفى خارج المعصرة وقف عامل يجمع العصير فى قدور خاصة ينقلها الحمالون إلى أقبية منزل المالك لتخزينها . و يلاحظ فى شكل المنزل ملاقف الهواء والمدخل الرئيسى والشرفات . كما يلاحظ مياه الرى التى ترفع من القناة بالشادوف . والصورة التالية تمثل هذه المناظر بطريقة حديثة .

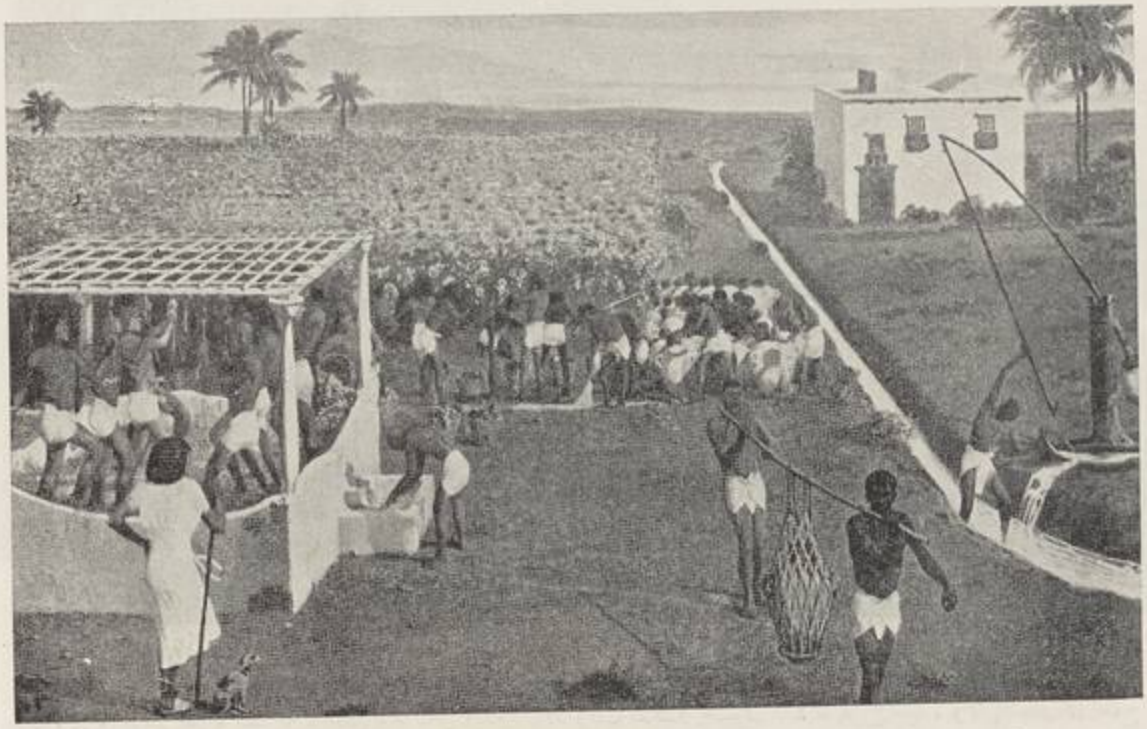

مشاهد من الحياة العامة فى منف — وترى فى الصورة صاحب المقبرة وقد ترك منزله الريفى القائم فى حقوله : ذهب إلى مزرعة الكروم ليراقب العمال وهم يقومون بقطف العنب وعصره على طريقتهم الأولية بالأرجل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣ — مقبرة ميريروكا

كان ميريروكا من كبار موظفى الدولة المصرية الذين عاشوا فى عهد الأسرة السادسة .

وأهم المناظر التى يمكن مشاهدتها فى مقبرته هى :

ا — منظر صاحب المقبرة و بجواره زوجته وهما فى قارب يصطادان الطيور والأسماك بينما يقوم الخدم بضرب جاموس أو فرس البحر (العسنت) بالرماح لإبعادها عن مركب سيدهم . ويبدو فرس البحر هنا بشكل متوحش ضارى . ويظهر فى أحراش البوص نوع من الجراد الصغير (أبو النطيط) والضفدع . بينما تسبح التماسيح والأسماك من جميع الأجناس فى المياه . وهذا المنظر من أبدع مناظر هذه المقبرة .

ب — مناظر الفنون والحرف المختلفة : كصناعة الفخار ، ومنظر رجل يبنى سقالة للبناء ، ومنظر حجّارين يقطعون الحجر ، ومنظر عمال يصبون المعادن ، ومنظر مصنع الجعة (البوظة) وترى عاملا يدق الحبوب بمدقة خشبية و بجواره سيدة تطحنها فى مطحنة خاصة ثم تعطى الدقيق لآخر فيعجنه و بعد ذلك يوضع فى أوانى خاصة لتخميره بالأرجل . ثم يصفى ويحفظ فى قدور لها أغطية طينية و يخزن . والصورة التالية تمثل هذه المناظر بطريقة حديثة .

حـ — مناظر للرقص الدينى أو الجنائزى .

ء — مناظر للراقصات والألعاب البهلوانية .

مشاهد من الحياة العامة فى منف — مصنع الجعة (البوظة)
وقد دخل رئيس صانعى الجعة وبيده عصا خاصة وجعل يستحث العمال على إنهاء العمل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٤ — مقبرتا اخت — حتب وبتاح — حتب :

كان اخت — حتب يحمل لقب : المشرف على مدينة هرم الملك « ددكارع » من ملوك الأسرة الخامسة ولقب المشرف على الخزينة المزدوجة : خزينة الوجه القبلى وخزينة الوجه البحرى ، وخلاف ذلك من الألقاب

وأهم مناظر مقبرته هو : منظر النوتية يتقاتلون بالمجاديف وبجوارهم أقفاص بها بعض الطيور .

وقد أقيمت مقبرة « بتاح — حتب » والد « اخت — حتب » داخل مقبرة ابنه . وعلى امتدادها . ولا تزال الصور المنقوشة على حوائط مقبرة الأب محتفظة بروعتها الأصلى احتفاظاً مدهشاً .

وكان « بتاح — حتب » يحمل لقب : مراقب كهنة هرم الملك « نو — سر — رع » .

وأهم مناظر مقبرته هى :

ا — مناظر صيد الطيور والأسماك وصناعة المراكب وتقاتل النوتية — والرقص والألعاب البهلوانية .

ب — مناظر ألعاب الأطفال . وبعض هذه الألعاب لا يزال يمارس بمصر للآن ومنها :

لعبة « دورى يا دوارة » ، ولعبة « التحطيب » التى تمارس خصوصاً فى الوجه القبلى ، والألعاب الرياضية الأخرى ، كالمصارعة ، والمشى فى الطابور ، والألعاب البهلوانية ، ولعبة الكعب ، ولعبة الإغماء ، ولعبة جمال الملح ، وفى هذه المناظر ترى الصبيان يلعبون وهم عراة تماماً وقد قصت شعورهم ما عدا خصلة واحدة تركت على الجانب الأيمن من الرأس .

ح — مناظر معاصر الزيوت ، ومصانع تمليح وحفظ الأسماك ، ومصانع الحبال ، ومصانع النجارة ، وترى هؤلاء الأساتذة الأول فى فن النجارة يصنعون صندوقاً من خشب ثمين وعلى وجوههم سيماء البشر والانشراح .

وترى الآلات الأولية التى كانت تستعمل فى هذه الصناعة ومنها خرجت قطع فنية حيرت عقول البشرية بدقتها ومتانتها .

والصورة التالية تمثل هذه المناظر بطريقة حديثة .

ء — مناظر عودة الصيادين من الغابات ومعهم وحوش ضارية أسيرة داخل الأقفاص .

ومقبرتا « بتاح حتب » و « اخت حتب » منحوتتان فى صميم الكتلة الصخرية ، ولهما واجهتان مشيدتان .

وكان سرداب « بتاح حتب » يشتمل على تسعة تماثيل خشبية بعضها بالحجم الطبيعى .

كما كان فى هيكل مقبرة « اخت حتب » ١٤ تمثالا نحتت فى الصخر نحتاً بارزاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

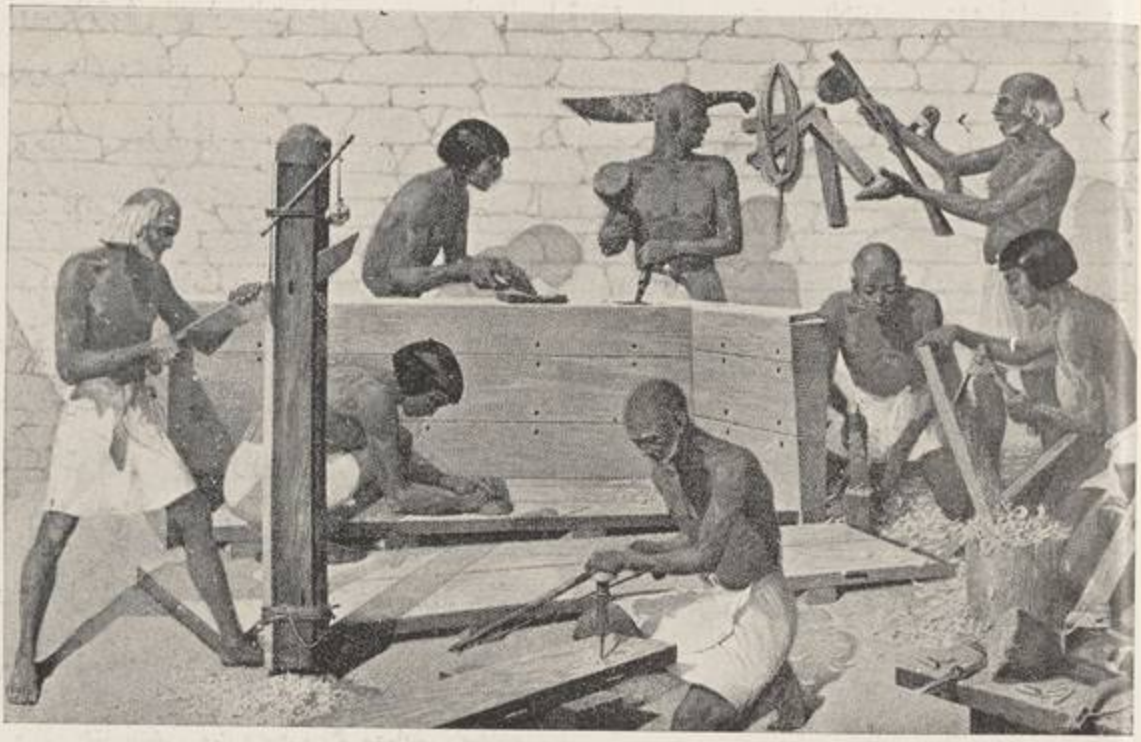

مشاهد من الحياة العامة فى منف . مصنع نجارة دقيقة . وترى هؤلاء الأساتذة الأول فى فن النجارة يصنعون صندوقاً من خشب ثمين بدقة متناهية وعلى وجوههم سيماء البشر والانشراح . وترى الآلات الأولية التى كانت تستعمل فى هذه الصناعة ومنها خرجت قطع فنية حيرت عقول البشرية بدقتها ومتانتها .

٥ — مصاطب أخرى :

وفى سنة ١٩٤٠ أدى البحث الذى قام به الأستاذ زكى سعد مفتش الآثار بسقارة ، فى المنطقة الواسعة الواقعة بين الهرم المدرج وهرم أوناس ، إلى العثور على عدد كبير من التوابيت الخشبية يرجع بعضها إلى العصر « الصاوى » والبعض الآخر إلى عصر « البطالسة » .

وكان فى القسم الأكبر منها عدد لا بأس به من التحف كالأوانى المصنوعة من الفخار والمرمر والقاشانى والجعلان المطلية بالميناء ، ومساند الرأس المصنوعة من الخشب والمرمر ، وقلائد مختلفة الأنواع .

وعثر أيضاً على ٢٧ باباً وهمياً ، من الحجر الجيرى ، مختلفة الأحجام ، وقد نقش عليها أسماء أصحابها وألقابهم ، وأغلبهم من موظفى الملك أوناس وكهنة معبده وكاهناته .

وكشف قريباً من هرم أوناس عن مصطبة كبيرة ، نقش عليها اسم ملكة تدعى « نبت » مما لا يشك معه فى أن هذه الملكة كانت زوجة لأوناس ، وإن لم يكن يعرف عنها شىء قبل هذا الكشف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن النقوش التى لوحظت على جدران هذه المصطبة نقش يمثل سيدة من الأقزام ، وتلك أول مرة يظهر فيها رسم لسيدة قزم .

وهناك مصطبة أخرى متهدمة وجد عليها اسم السيدة « خنوت » ويستنتج من موقعها ومشابهتها لمصطبة « نبت » أن تكون هذه السيدة أم أوناس ، أو زوجة ثانية له .

وكشف عن ثلاث مصاطب أخرى ، أولاها لأحد أبناء الملك واسمه « أوناس عنخ » والثانية لوزير اسمه « انفرت » والثالثة لموظف كبير يدعى « كاى » ، وعن مصطبة رابعة سليمة لرجل يدعى « محو » عاصر الملوك الثلاثة الأول من ملوك الأسرة السادسة ، وكان وزيراً ، تزوج أميرتين من أميرات البيت المالك ، هما « نبت » و « نفركاوس » .

ولا تزال جدران هذه المصطبة محتفظة برونق ألوانها . أما ما عليها من النقوش التى حفرت بمهارة بلغت حد الكمال فكانت مغطاة وأظهرت . وتبدو هذه النقوش الآن باللون الأصفر الزاهى حتى ليخيل إلى الناظر أنها صنعت من الذهب .

وإلى هنا ننتهى من وصف أهم مصاطب سقارة .

أما أهم المعالم الأخرى بنفس منطقة المصاطب فهى :

أولاً — بيت ماريت باشا :

أوجست ماريت باشا عالم فرنسى من أكبر علماء الآثار المصرية ، حضر إلى مصر فى عهد عباس الأول ، ثم كشف مقبرة العجول بسقارة سنة ١٨٥١ . وقد أنشأ بجوار حفائره هناك منزلا من اللبن جعله مركزاً لأعماله ومحلا لاستراحته .

ولا زال هذا المنزل ، فى وسط مصاطب سقارة ، مكان استراحة للزائرين والسياح ، يتناولون فى ظلال شرفاته وقاعاته المطلة على الصحراء الشاسعة الجميلة ، غذاءهم مع بعض المرطبات الأخرى ، ويجدون فيه مجالا لراحتهم بعد عناء السير فى رمال الصحراء ، كما يجدون به المياه العذبة اللازمة جداً فى هذا المكان .

ثانياً — مقبرة العجول أو السرابيوم :

وعلى بعد مائة متر تقريباً من بيت ماريت باشا توجد مقبرة العجول المعروفة أيضاً باسم السرابيوم .

ومن المعلوم أن العجل أبيس كان يعبد بمدينة منف ، وكان يحنط بعد موته كما يحنط الملوك ، وكان يدفن بجميع مراسم التكريم فى مقبرة خاصة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما مقبرة العجول فهى عبارة عن نفق سفلية هائلة منحوتة فى صميم الكتلة الصخرية ، وقد كشفها أوجست ماريت باشا سنة ١٨٥١ .

وقد كان نجاح ماريت باشا فى كشف هذه المقبرة ، فى مستهل حياته العملية ، من أكبر العوامل التى ساعدته على السير فى أعمال الكشف الواسعة عن الآثار المصرية الأخرى ، تحت رعاية الخديوى اسماعيل باشا بنجاح باهر ، وخلدت اسمه فى عالم الآثار إلى الأبد .

وقد وجد ماريت باشا أن الكنوز الثمينة التى كانت موجودة فى توابيت العجول قد نهبت منذ القدم بمعرفة الغزاة السابقين الذين احتلوا مصر فى العصور الخالية ، ولم يبق فى هذه المقبرة التى كانت تغص بالعقود والذهب والقلائد واللآلئ والأحجار الكريمة إلا توابيت فارغة ، توابيت هائلة مصنوعة من الجرانيت الأحمر والبازلت الأسود كانت تدفن فيها العجول آبيس بعد موتها وتحنيطها .

وقد أزيحت أغطية هذه التوابيت قليلا من مكانها الأصلى بمعرفة لصوص المقابر القدماء للاستيلاء على ما فيها من هذه الكنوز الثمينة .

ومع ذلك فقد وجد ماريت باشا فى السرابيوم ما لا يقل عن ٤٠٠٠ لوحة تذكارية ، ذكر فيها الملوك زيارتهم لهذه المقبرة وأعمالهم فيها ، كما ذكرت فيها حوادث تتعلق بالعجول نفسها كحادثة العجل الذى قتله قمبيز بضربة من خنجره . وتريد الأساطير أن تؤكد بعد ذلك أن قمبيز نفسه مات مقتولا بنفس هذا الخنجر . كما وجد تابوتاً سليما لم يفتحه اللصوص ففتحه هو ونقل محتوياته إلى المتحف المصرى كما نقل اللوحات التذكارية جميعها إلى متحف اللوفر بباريس .

ويبلغ عدد توابيت العجول بالسرابيوم الآن ٢٥ تابوتاً كلها متشابهة ، اللهم إلا تابوتين أو ثلاثة عليها كتابات هيروغليفية مفيدة جداً لبعض الطقوس الدينية ، تراها على ضوء الشموع أو المسارج التى يحملها الدليل .

أما كيف توصل قدماء المصريين إلى نقل هذه التوابيت الضخمة وترتيبها فى داخل القاعات المعدة لها بنظام هندسى دقيق على جوانب هذه الممرات السفلية المظلمة ، فأمر يبدو عجيباً ! ! ولكنها مهارة المهندس المصرى القديم البارع تبدو فى كل ناحية من نواحى الحياة العامة بمصر ! !

وكانت مقبرة العجول التى كشفها ماريت باشا سنة ١٨٥١ بجبانة سقارة تشمل قديماً جزئين مستقلين عن بعضهما .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الجزء الأول أنشأه أمنحوتب الثالث وهو عبارة عن الممرات السفلية وما بها من قاعات الدفن الجانبية وكلها منحوتة فى الصخر الأصم .

وقيل إن عدد المقابر الجانبية وصل إلى ٦٤ قبراً بعد توسيع المقبرة فى العصور التالية لعصر أمنحوتب ، وكان بها ٦٤ عجلاً محنطاً بما عليها من جواهر وحلى وكنوز .

أما الجزء الثانى فعبارة عن المعبد الذى أنشأه بطليموس الأول سوتير فوق مقبرة العجول . وقد عرف هذا المعبد فى العصر اليونانى باسم السرابيوم .

ولهذا الاسم قصة تتعلق بالاعتقادات المصرية القديمة وهى : كما أن الإنسان بعد موته كان يحاكم أمام محكمة « أوزيريس » فإذا زادت حسناته عن سيئاته تحول هو نفسه إلى أوزيريس ودخل حقول السموات اليانعة كذلك كان العجل أبيس بعد موته يتحول إلى أوزيريس — أبيس .

ومن هذا الاسم الأخير اشتق اليونان اسم الإله الأغريقى سرابيس واسم السرابيوم الذى أطلقوه على مقبرة العجول المقدسة .

وفى عهد الملك نخاو الثانى أقيم لهذا المدفن معبد من معابد الوادى .

وحوالى سنة ١٩٤١ عثر الدكتور أحمد بدوى مدرس الآثار بجامعة فؤاد الأول ومعه الأستاذ مصطفى الأمير المهندس ، فى بلدة ميت رهينة التى تقوم حالياً على انقاض منف عاصمة مصر الأولى ، على أربع موائد قربانية من المرمر منها واحدة مؤرخة باسم الملك نخاو . ثم عثرا على سريرين من المرمر الخالص كانا يستعملان لتحنيط العجل أبيس ، وعلى مكيالين للسوائل من المرمر الخالص أيضاً أحدهما سليم ومؤرخ باسم الملك دارا الأول الفارسى وعليه مقدار ما يسع من السوائل (حوالى ٣٢ لتراً) أما الثانى المكسور فسعته ثلاثة أضعاف الأول .

ويعد السرير الأكبر من القطع الفنية المنقطعة النظير فى تاريخ الفن المصرى إذ يبلغ طوله حوالى ٤٫٦٠ مترا وعرضه ٢٫٨٠ متراً وارتفاعه ١٫١٠ متراً ، وهو قطعة واحدة من المرمر .

أما السرير الآخر فهو أقل حجما وأقل قيمة من الأول .

ويظن أن هذا المكان كان متصلا عن قرب أو عن بعد بمعبد العجل أبيس الذى ذكر هيرودوت وأسترابون أنه من غرائب مدينة منف ، ولم يكشف بعد .

وكانت عملية تحنيط العجل أبيس تكلف الدولة نفقات كثيرة . فقد روى بعض المؤرخين من اليونان أن بطليموس الأول سوتير قد أنفق كل ما فى خزانة الدولة واستعان بقرض ليجهز جنازة أحد العجول الذى مات فى عهده .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولا غرابة فى ذلك ، إذا علمنا أن تابوت الدفن وحده كان يصنع من حجر وحيد وكان طوله ٤ أمتار وعرضه ٢,٥٠ متراً ووزنه أكثر من ٦٠ طناً .

ثالثاً — دير أنبا أرميا :

بنى هذا الدير فى آخر القرن الخامس الميلادى وخربه العرب حوالى سنة ٩٦٠م، ولحسن الحظ طغت الرمال على خرائبه إلى أن كشفه كويبل سنة ١٩٠٦ ونقل ما به من آثار إلى المتحف المصرى .

وقد ظهر أن هذا الدير بنى بأحجار منقولة من آثار منطقة سقارة القديمة ، إذ وجد على بعض هذه الأحجار نقوش هيروغليفية ومناظر فرعونية لصيد فرس البحر أو العسنت ترجع إلى عهد الدولة القديمة .

ولا تزال أطلال هذا الدير ، الذى يرجع إلى عهد المسيحية الأولى بمصر ، ماثلة فوق تل صغير تقابله فى طريقك إلى الهرم المدرج بسقارة .

هنا تجد المكان غاصًّا بالأعمدة المكسرة والأحجار المبعثرة والحوائط المبنية من اللبن .

هنا يريك الدليل معاصر الزيوت والأفران التى كان يستعملها الرهبان قديماً .

ويريك حجراً عليه آثار أقدام قديس زار هذا المكان منذ آلاف السنين .

ويريك الكتابات القبطية والعربية التى لم تزل باقية على الحوائط القائمة كما يريك بعض الصور والنقوش التى كان تزين جدران هذا الدير قديما .

وقد نقلت معظم أحجار هذا الدير المأخوذة من آثار الأسرة الثامنة عشرة إلى المتحف المصرى بالقاهرة .

رابعاً — تمثالا رمسيس الثانى :

فى وسط غابات النخيل التى تحتل الآن موقع مدينة منف العظيمة المندثرة ، وبالقرب من قرية ميت رهينة ، تقابل فى طريقك بين البدرشين وسقارة ، تمثالين هائلين لرمسيس الثانى كانا فيما مضى يقومان عند مدخل معبد فتاح بعاصمة مصر الخالدة .

التمثال الأول :

عثر على هذا التمثال سنة ١٨٨٨ . وهو مصنوع من حجر واحد من الجرانيت الأحمر المحبب وتجده الآن ملقى على ظهره فى العراء على يمين السائر إلى سقارة . ووجه التمثال يتجه إلى أعلى . ويبلغ طول هذا التمثال ٢٦ قدماً

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وطول التاج الملقى بجواره ٦ ½ أقدام . أما مكان هذا التاج فظاهر فى رأس التمثال ، يعينه ثقب مربع عميق كان يركب فيه .

وعلى أكتاف وصدر وأذرعة وسروال هذا التمثال تجد نقوشاً هيروغليفية تحمل اسم الملك رمسيس الثانى .

وعلى شمال هذا التمثال تجد تمثالا صغيراً بارزاً للأميرة « نبت آنت » وعلى رأسها لوحة مستديرة رسم عليها الإله فتاح والإله سقر بشكل إنسان يحمل رأس صقر .

التمثال الثانى :

أما التمثال الآخر لرمسيس الثانى بسقارة فكان طوله فى الأصل ٤٢ قدماً . وهو مصنوع من حجر وحيد من المرمر البديع (الألابستر) . وقد أقامت مصلحة الآثار المصرية حوله مظلة بنيت حوائطها من اللبن وجعلت فيها سلماً حديدياً يؤدى إلى شرفة يصعد إليها المتفرج ليرى التمثال من أعلى .

وتقع هذه المظلة على يسار السائر إلى سقارة بعد موقع التمثال الأول بقليل . وترى على كتف هذا التمثال الأيمن وعلى ذراعه نقوشاً هيروغليفية ذكر فيها اسم رمسيس المحبوب من الإله آمون .

وقد عثر كاڤيليا وسلون على هذا التمثال سنة ١٨٢٠ .

وإلى هنا نكتفى بما ذكرناه عن أهم معالم جبانة سقارة .

ولكن لا بد قبل نهاية هذا الفصل من كلمة ختامية عن أهرام الجيزة .

ملاحظات هامة على أهرام الجيزة

١ — تواجه أضلاع الأهرام الجهات الأربع الأصلية بالضبط .

٢ — تقع مداخل الأهرام فى الضلع الشمالى دائماً .

٣ — ضبطت لحامات الأحجار الهائلة التى بنيت منها الأهرام بحيث لا يمكنك إدخال سلاح رقيق بين حجرين من أحجارها .

٤ — لم يستعمل فى بناء الأهرام آلات معدنية بتاتاً . بل كانت ترفع الأحجار إلى مكانها بواسطة البكر والحبال التى عثر عليها فى حفائر جامعة فؤاد الأول .

٥ — دخل لصوص المقابر فى هذه الأهرامات فى عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق.م) وأعيد إصلاح ما أحدثوه فيها من ضرر فى عهد الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين (٧١٢ — ٦٦٣ ق . م) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٦ — يقول هيرودوت إن عدد العمال الذين اشتغلوا فى بناء هرم خوفو ١٠٠٫٠٠٠ عامل ، اشتغلوا ثلاثة أشهر كل سنة ، لمدة عشرين سنة .

٧ — كان ارتفاع هرم خوفو فى الأصل ٤٨١ قدما . أما الآن فيبلغ ارتفاعه ٤٥٠ قدما بسبب تساقط الأحجار .
ويبلغ ارتفاع كل ضلع من أضلاعه الآن ٥٦٨ قدما وكان فى الأصل ٦١٠ قدم .
كما يبلغ طول الضلع الآن ٧٤٦ قدما وكان فى الأصل ٧٥٦ قدما .

٨ — تكفى أحجار هرم خوفو لبناء مدينة حديثة كاملة يبلغ سكانها ١٢٠٫٠٠٠ نفس .

٩ — إذا أريد بناء هرم مماثل لهرم خوفو الآن تصل تكاليفه إلى ٥١ مليون جنيه .

١٠ — إلى شرق هرم خوفو تجد ثلاثة أهرام صغيرة دفن فيها أولاد الملك .

١١ — يستغرق الصعود إلى قمة الهرم الأكبر ١٥ دقيقة بمساعدة رجلين من الأدلاء الأقوياء .

١٢ — يبلغ مسطح قمة الهرم الأكبر ٣٥ قدما مربعاً . ومن فوق هذه القمة تشرف على أبدع منظر فى وادى النيل فترى النهر ينساب بين الحقول الخضراء وتشرف على القاهرة بمآذنها العالية وعلى جبل المقطم المحاط بجو أثيرى أزرق وضّاح ، ومن الناحية الأخرى ترى الصحراء برمالها الصفراء كبحر من الذهب الوهاج فى وسطه جزائر بارزة هى الأهرام القريبة والبعيدة التى تصعد بقممها العالية فى اتجاه الشمس .

١٣ — وفى داخل الهرم تجد قاعة الدفن الخاصة بالملك خوفو فارغة وتجد التابوت الملكى المصنوع من الجرانيت الوردى . وقد ضاع غطاؤه . وإذا ضربت جوانب هذا التابوت بيدك يرن مثل الجرس . وقد سرق كل ما فى هذا الهرم منذ القدم . وعند ما اقتحم العرب بابه فى عصر المأمون وجدوه خالياً .

١٤ — للدخول إلى الهرم ، اذهب إلى مقابل الباب الشمالى واصعد الدرجات الخارجية حتى تصل إلى علامة حمراء تشير إلى المدخل الذى فتحه لصوص الهرم قديماً فى المدماك السادس . لاحظ أن المدخل الأصلى للهرم يقع فى المدماك السابع عشر ، ولا يزال هذا المدخل مغلقاً لأن نظر اللصوص لم يقع عليه إذ كان الهرم كله مكسواً بطبقة ملساء من الحجر الجيرى الناصع البياض المخلوع من محاجر طره والمعصرة .

١٥ — فى عصر المماليك هدمت هذه التكسية البديعة واستعملت فى بناء جامع السلطان حسن بجوار القلعة وفى جوامع أخرى بالقاهرة .

١٦ — عند المدخل تجد ممراً مائلاً داخل الهرم يقودك إلى غرف الدفن السفلى .

١٧ — على بعد ٦٣ قدماً من المدخل تجد ممراً آخر يقودك إلى أعلى . وعند ملتقى الممر السفلى بالممر العلوى ينتهى النفق الذى نقبه لصوص الهرم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٨ — بعد ذلك يتسع الممر العلوى فى العرض والارتفاع و يصبح دهليزاً كبيراً .

١٩ — ينتهى هذا الدهليز بمسطح أفقى يقودك إلى الغرفة الخارجية لقاعة الدفن الملكى .

٢٠ — من هذه الغرفة تصل إلى قاعة الدفن الخاصة بالملك خوفو فتجد تابوتاً فارغاً خالياً من النقوش .

٢١ — تبلغ أبعاد قاعة الدفن ٣٤ ½ قدماً عرضاً و ١٩ قدماً ارتفاعاً .

٢٢ — سقف هذه الغرفة مصنوع من تسع كتل من الجرانيت هائلة طول الواحدة منها ١٨ ½ قدماً .

٢٣ — يوجد أعلى غرفة الدفن خمس غرف فارغة تقع كل منها فوق الثانية على خط رأسى مستقيم .

٢٤ — يمكن الوصول إليها بسلم من السرداب الأكبر

٢٥ — المعتقد أن هذه الغرف جعلت لتخفيف الحمل عن سقف غرفة الدفن الملكية .

٢٦ — تجد اسم الملك خوفو مكتوباً بالبوية الحمراء فى الغرفتين الرابعة والخامسة ويظن أن الحجارين هم الذين كتبوا هذا الاسم فى محاجر طره .

٢٧ — تبلغ ابعاد التابوت ٧ ½ قدماً طولا و ٣ ½ أقدام عرضاً وثلاثة أقدام وأربعة بوصات ارتفاعاً . وهو مصنوع من حجر واحد من الجرانيت ومصمم ليوضع داخله صندوق الميت الذى لا يوجد له أى أثر .

٢٨ — عند تقابل الدهليز بالممر العلوى يوجد ممر أفقى يقودك إلى غرفة دفن الملكة .

٢٩ — أرض هذه الغرفة وسقفها مصنوع من الحجر الغير مهذب .

٣٠ — هناك منفذان للهواء من غرفة دفن الملك ومن غرفة دفن الملكة إلى الخارج ، الغرض منهما إمداد العمال بالهواء الخارجى الصالح للتنفس .

٣١ — يمكن مشاهدة هذان المنفذان على ارتفاع ثلاث أقدام فوق أرضية قاعات الدفن .

٣٢ — أثناء حملة نابليون بونابرت على مصر وقف هذا القائد أمام جنوده فى معركة امبابة قائلا :

أيها الجنود ، من فوق قمة هـذه الأهرام ، أربعون قرناً تنظر إليكم ، وسوف تكون شاهد عدل على نصركم المبين .

٣٣ — من المؤلم أن ينتصر الفراعنة على كل عناصر الطبيعة فى الاحتفاظ بمومياتهم سليمة إلى يوم البعث داخل هذه الصروح الضخمة ولكنهم ينهزمون أمام جشع لصوص المقابر وسارق الأكفان والباحثين عن الكنوز ، فتضيع مومياتهم وتنتهك حرمة مقابرهم !

أيها الإنسان يا لك من وحش وأى وحش ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

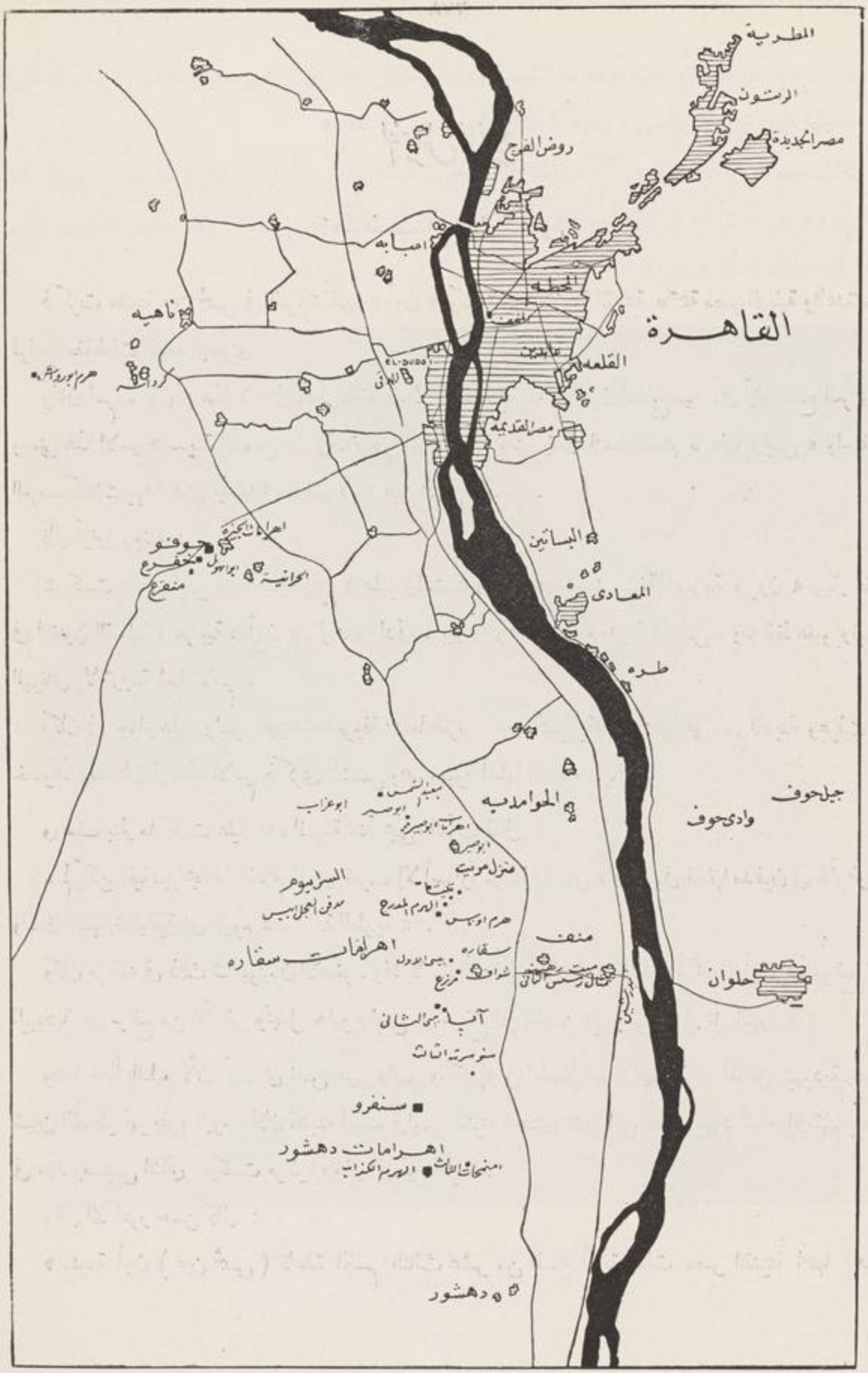

خريطة لبيان حقل الأهرام على الهضبة الليبية التى تتمشى مع حدود الوادى الغربية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الرابع

مدينـــة عين شمس

ذكرت مدينة عين شمس فى التوراة باسم « أون » وكانت فى الأزمنة القديمة عاصمة مصر الدينية وقاعدة من قواعد مقاطعات الوجه البحرى .

وكان اسم « أون » هذا لا يزال باقياً يطلقه القبط على هذه المدينة فى القرن السابع الميلادى أيام الفتح العربى ، ومعنى هذا الاسم « مدينة الشمس » . وقد ترجم اليونان هذا المعنى فجعلوا اسمها عندهم « هليو بوليس » واحتفظ العرب كذلك بهذا المعنى فجعلوا اسمها العربى « عين شمس » .

قال أرتور رونيه :

« كانت هليو بوليس قديماً قصبة إقليم « هليو بوليت » وكان اسمها الدينى باللغة المصرية « يون » وعثر عليه فى اللغتين القبطية والعربية « أون » ، واسمها المدنى « بير — رع » ومعناه مدينة الشمس ، وما لفظ هليو بوليس اليونانى إلا ترجمة لهذا الاسم .

وكان فى جوار هليو بوليس عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها على اسم المدينة وعرفت به خصوصاً وقد كان فى هذا الاسم ذكرى الشمس وهى معبود أهلها القدماء » .

ووصف بتلر ما كانت عليه هذه المدينة عند مجىء العرب فقال :

« لم يكن باقيا من مجدها القديم لما أتى العرب إلا أسواراً مهدمة وتماثيل لأبى الهول نصفها مدفون فى الأرض ، والمسلة الشهيرة الباقية إلى اليوم عند قرية المطرية » .

وكان مرجعه فى ذلك شامبوليون الأصغر . وقد لاحظ أن الخريطة الحربية الحديثة تجعل أون فى موضع تل اليهودية على مرتفع من الأرض وتجعل هليو بوليس فى موضع تل الحصن فى الجنوب من تل اليهودية .

وهذا خطأ بالطبع لأن أون هى نفس هليو بوليس ومكانها تل الحصن بجوار المطرية . أما تل اليهودية بجوار شبين القناطر فهو يقوم اليوم مكان مدينة ليونتوبوليس القديمة إحدى المدن التى بناها اليهود أثناء إقامتهم بمصر فى عهد رمسيس الثانى . وكانت مركز أبروشية قبطية قديمة .

وقال الدكتور حسن كمال :

« مدينة أون (عين شمس) قاعدة القسم الثالث عشر من أقسام أو مقاطعات مصر القديمة اسمها المدنى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

« بير — رع » أى معبد أو بيت أو مدينة الشمس ، واسمها القبطى « ثرى » بمعنى مدينة الشمس وهو الأصل فى تسميتها باليونانية هليو بوليس . وقد ذكرت فى التوراة باسم « أون » .

كانت منبع الديانة المصرية ومركزاً لدراسة علم اللاهوت والفلسفة . وقد اختط بجانبها مدينتان شهيرتان هما «أحو» و « حا — بن — بن » والأخيرة هى مدينة بابيلون ومكانها الآن مصر القديمة . وكان لهاتين المدينتين شأن عظيم فى حروب « أوزيريس » .

موقع مدينة أون (عين شمس) والمعبد والمسلة وشجرة العذراء
بجوار المطرية من ضواحى القاهرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن المعروف أن مدن الوجه البحرى هى التى نشرت الحضارة المصرية ووسعت نطاقها لأن الصلوات والقصائد التى مدحت بها المعبودات وصارت بعد ذلك أصولا للكتب المقدسة كان منشؤها فى مدينة « أون » كما يقال لها أيضاً مدينة « يون » .

ولما انقسمت مصر إلى أعمال إدارية انتهى بها الأمر إلى قسمين مستقلين . فكانت « أون » فى الجهة البحرية مركزاً للحكومة ومنها انبثق نور المدنية على سكان الأراضى الخصبة واهتدى به أهل الأباطح ، وأنشأ فيها الكهنة مدارس وجامعات بحثت أصول الديانات المحلية واعتنت بها ورتبتها وأوجدت التنسيع الذى نجح وانتشر بهمة امراء الوجه البحرى . وعلى ذلك نشأ نظام الملك فى العالم لأول مرة فى مدينة « الشمس » على أساس أن الملك ابن الإله رع وممثل الآلهة على الأرض ، وشخصه مقدس ، و إرادته فوق كل إرادة ، وكلمته العليا يجب على الشعب إطاعتها بدون مناقشة .

وكانت مدينة الشمس فى الجهة الشمالية من المعبد حيث نشاهد الآن أطلالها عالية . ولم يبق من آثارها ما يستحق الذكر غير أنه أقيم فى مكانها قرية عرفت باسم « تل الحصن » وربما سرى إليها هذا الاسم لمجاورتها لحصن المدينة الأصلية .

وكان حول المدينة ومعبدها سور مبنى من اللبن كما كان الحصن يقوم فى شمالها . وكان للسور أبواب على أبعاد متساوية . وكان لكل باب برجان من الحجر الأبيض الجيرى مشحونان بالكتابة الهيروغليفة كما رواه مكسيم ديكان فى كتابه « النيل » . وقد ظهر حديثاً عند ما قامت وزارة الأشغال العمومية برفع الأحجار التى ألقيت خلف وتحت مبانى بئر مقياس النيل بالروضة لتقويتها أن كثيراً من هذه الأحجار عليها كتابات هيروغليفية تثبت أنها منقولة من معابد وأبواب مدينة أون القديمة (عين شمس) .

وقد نقل ابن سعيد عن كتاب « لذة اللمس فى حلى كورة عين شمس » أنها كانت فى قديم الزمان مدينة عظيمة الطول والعرض ، متصلة البناء بمدينة مصر (القديمة) حيث قامت مدينة الفسطاط فيما بعد .

ومعنى ذلك أنهم كانوا يطلقون اسم « عين شمس » على موقعها الحقيقى وعلى ما يليه من الأماكن إلى بابليون وحصنها .

وكانت المسافة بين المدينتين قصيرة على أن أرباضهما كانت فى القرن السابع الميلادى عبارة عن منازل وكنائس متفرقة .

وكانت المدينة فى ذلك العصر تقع على نهد من الأرض يمتد فى نهر النيل الذى كان يمر فى هذا العهد بها .

وفى أول العصر التركى وقعت المعركة الحاسمة بين السلطان سليم الأول والمماليك فى الحقول المحيطة بمسلة عين شمس سنة ١٥١٧ م وانتهت باحتلال الترك للبلاد المصرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى عصر الحملة الفرنسية تغلب القائد « كليبر » فى نفس هذه الحقول على الجيش التركى فى واقعة عين شمس وأخرج الترك من البلاد المصرية فى سنة ١٨٠٠ م .

معبد رع بعين الشمس

تدقق النصوص المعروفة باسم متون « الأهرام » فى الكلام عن معبد « رع » بمدينة « أون » ، وتسمى هذا المعبد « هيت سار » ومعناه « قصر الأمير » . وتشير إلى الممر المعروف باسم طريق الكباش الذى يؤدى إلى الأبواب المحروسة بتماثيل العجول .

أما هذا المعبد فقد بناه سنوسرت الأول من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، الذى عرفه اليونان باسم سيزوستريس ، سنة ٢٤٣٣ ق . م . بمناسبة عيد الأله ست إله الصحراء . ولم يبق منه الآن سوى مسلة واحدة من الجرانيت لا تزال ماثلة فى مكانها الأصلى يبلغ ارتفاعها ٦٦ قدماً وهى تحمل كتابات هيروغليفية على وجهاتها الأربع ذكر بها اسم الملك سنوسرت المحبوب من رع إله أون . كما ذكر بها بناء المعبد بمناسبة عيد الأله ست إله الصحراء . ويحيط بهذه المسلة الآن سياج حديدى فوق حوائط أربعة أقيمت حول قاعدتها بشكل حوض صغير يمتلئ بمياه الرشح التى ترتفع مع فيضان النيل وتنخفض مع انخفاضه .

وقد كان بهذا المعبد هيا كل لتأدية الفروض الدينية ، كما كان به معاهد وجامعة للعلوم الدينية ومراصد لمراقبة النجوم ، لأن رئيس كهنة عين شمس كان يحمل من أقدم العصور لقب « الراصد الأكبر » .

وكان يوجد به أيضاً أماكن مخصصة للحيوانات المقدسة مثل عجل « منافيس » والطائر « مالك الحزين » الذى سماه اليونان « الفنكس » واسمه المصرى « بنو » ويعرفه الفلاح المصرى الآن باسم « البلشون » .

وكانت مدينة عين شمس مقر عبادة وتقديس هذا الطائر . وكان كهنة هذه الجهة يرون فيه إما الإله « أوزيريس » أو روح الإله « رع » . والفكرة الأخيرة كانت هى السائدة .

والمعروف عن هذا الطائر على وجه التحقيق أنه يلد على شجرة فى معبد عين شمس ، ومن المحتمل أنها الشجرة القديمة المقدسة التى كانت الآلهة تكتب على أوراقها أسماء ملوك مصر تخليداً لذكراهم . وهى شجرة الجميز المقدسة .

ويقال إن الشجرة التى كانت تزار بجهة عين شمس والمعروفة الآن باسم شجرة العذراء بناحية المطرية هى من نسل هذه الشجرة المقدسة .

فلما جاءت عائلة السيد المسيح أو العائلة المقدسة إلى مدينة أون ، حين هروبها إلى مصر فى عصر هيرودوس حاكم فلسطين الرومانى ، استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة . ومن هذا الوقت وهى تعرف باسم شجرة العذراء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتحت هذه الشجرة ضرب الطفل يسوع الناصرى الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبة المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف وحمارهم حتى ارتووا . وغسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم ألقت بالمياه المتخلفة على عصا يوسف النجار التى كان قد غرسها فى الأرض فتحولت إلى شجرة البلسم المعروف أيضاً باسم البلسان ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة ذكية . ولما نمت زارعة البلسم وغدا عصيره دواء ناجعاً لجميع الجروح وللأمراض الجلدية المستعصية ، أصبح البلسان من أثمن ما يقتنى ويعتنى به .

وفى العصر العربى أحيط هذا الموضع بسور متين وجعل الشرطة حول مزرعة البلسان لحراستها فى زمن الحصاد ، وأحياناً كان يعهد بهذه الحراسة إلى الأسرى المسيحيين .

وكانت طريقة حصاد البلسان هى فصد فروع الشجرة وجمع السائل المتخلف من هذا الفصد فى أوانٍ فضية . وتعمل هذه العملية فى فيضان النيل .

أما عين المياه التى انفجرت تحت شجرة العذراء فلا تزال للآن بالمطرية من ضواحى القاهرة . وقد ركبت فوقها ساقية تروى بستاناً من أملاك الحكومة . ومن المدهش أن تكون المياه الجوفيه فى هذه المنطقة كلها مياه ملحه ما عدا مياه هذه العين فإن مياهها عذبة منعشة ! ! .

وتريد الأساطير أن ترينا الآن كيف أن سكان ضاحية المطرية لا يخمر لهم خبز نظراً لما أظهروه من البخل قبل العائلة المقدسة حين قصدت إلى هذا المكان جائعة .

جامع عين شمس :

قلنا إنه لم يبق من مدينة « أون » القديمة شىء للآن فيما عدا شجرة العذراء بالمطرية التى استراحت الأسرة المقدسة بجوارها ، وفيما عدا العين التى انفجرت تحتها ، ثم مسلة منفردة من المسلتين اللتين أقامهما سنوسرت الأول عند مدخل معبد « رع » ، أما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م .

بقيت هذه المسلة المنفردة وسط الحقول كشاهد حزين على مجد عين شمس الذى زال واندثر ! ! ولا يزال فى تل الحصن المجاور لهذا المكان آثار سور قوى قديم ارتفاعه حوالى عشرين قدما .

وقد علا سطح السهل ، الذى كانت تقوم عليه مدينة « أون » ، بضعة أمتار منذ القرون الماضية ، ويدل على ذلك العمق الذى توجد فيه المسلة اليوم ، والعمق الذى توجد فيه الآثار الأخرى تحت مستوى سطح السهل .

وكانت مدينة « أون » معروفة بعظمة آثارها كما كانت معروفة بأنها قبلة لأهل العلم وكعبة الدين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهنا بجوار هذه المسلة الوحيدة التى بقيت على الزمن شاهداً على ما كان لهذا الموقع من روعة وفخامة ، كانت تقوم جامعة عين شمس ضمن معبد رع .

المسلة التى أقامها سنوسرت الأول عند مدخل معبد « رع » بمدينة عين شمس منذ ٤٠٠٠ سنة تقريباً . ولا تزال موجودة بالقرب من المطرية وعلى أقدامها تجد أكواخ عربان تل الحصن القرية البائسة التى تقوم اليوم على أطلال مدينة عين شمس القديمة .

هنا فى مدينة عين شمس كانت تقوم أقدم جامعة عرفتها المدنية فى العالم وهى أم الجامعات كلها ، خلفتها جامعة الاسكندرية فى العصر اليونانى والرومانى والمسيحى ثم جامعة الفسطاط فجامعة القطائع فالجامعة الأزهرية فى العصر العربى وبعد ذلك جامعة فؤاد الأول بالقاهرة وجامعة فاروق بالاسكندرية فى العصر الحديث .

هنا فى جامعة أو معبد « رع » العظيم بمدينة أون القديمة تمت مراسم حفلة زواج يوسف الصديق ، بعد أن صار وزير مصر الأكبر ، بابنة الكاهن الأكبر لمعبد عين شمس .

هنا فى هذا المعبد الجامعى أقام تحوتمس الثالث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة مسلتين نقلتهما الملكة كليوبترا فيما بعد إلى الاسكندرية وأقامتهما أمام معبد السيزاريوم . وظلت هاتان المسلتان بالاسكندرية إلى أن نقلت إحداهما إلى مدينة لندن سنة ١٨٧٧ ونصبت على ضفاف نهر التاميز ، ثم نقلت الثانية إلى الولايات المتحدة بأميريكا ونصبت فى سنترال بارك بنيويورك .

هنا فى جامعة عين شمس تلقى موسى الكليم عليه السلام ، حكمة المصريين وعلومهم على أيدى كهنة معبد « رع » .

هنا فى هذه الجامعة تناقش هيرودوت مع أكبر الكهنة علماً وثقافة .

هنا فى هذه الجامعة تلقى أفلاطون علومه ، ودرس أدوكسيس الرياضى الحكمة والفلسفة وعلم الفلك ، وتخرج كلود بطليموس الجغرافى الخالد الذكر .

هنا رأى أسترابون المنازل التى كان يقيم بها هؤلاء العلماء فى العصر اليونانى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

هنا فى هذه الجامعة تعلم الناس قياس الزمن على أساس أن السنة الشمسية وحدة فى التوقيت .

هنا قسم الكهنة السنة إلى ٣٦٥ يوماً ، ولكنهم لم يتمكنوا من معرفة أن هذا العدد ينقصه ربع يوم . وهذا التقصير فى الإدراك مكّن المؤرخين من معرفة عدة عصور هامة فى العهد الفرعونى كانت معرفتها متعذرة من دونه.

هنا قسم الكهنة السنة اثنى عشر شهراً ، وقسموا الشهر ثلاثين يوماً ثم أضافوا إليها فى آخر العام خمسة أيام كى تصبح ٣٦٥ يوما .

هنا قسم الكهنة السنة ثلاثة فصول : فصل الزرع وفصل الحصاد وفصل الفيضان .

هنا أطلق الكهنة أسماء الآلهة على شهور السنة ، وظلت هذه الأسماء محفوظة للآن فى أشهر السنة القبطية : فشهر توت مأخوذ من اسم الإله توت إله المعارف ورب القلم ومخترع الكتابة ومقسم الزمن ، وهو المعروف عند اليونان باسم هرمس ، وعند العرب باسم إدريس ، وعند اليهود باسم أخنوخ . ويقابل هذا الشهر شهر « تهوتى » فى الشهور المصرية القديمة ومعناه شهر الرخاء لأن عيد تكامل الفيضان يوافق اليوم الأول من هذا الشهر .

وكان الاحتفال بهذا العيد يبقى أسبوعا كاملا فى العصر الفرعونى .

وفى العصور التالية سمى اليوم الأول من شهر توت بالنيروز ، وهى كلمة فارسية معناها اليوم الجديد أو رأس السنة.

وكانت الحكومات المصرية تحتفل بهذا العيد رسميا من أقدم العصور المعروفة ، وظل الاحتفال الرسمى حتى أيام السلطان برقوق أول سلاطين دولة المماليك الجراكسة ، فأمر بابطاله فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى . ولكن هذا الأمر لم يمنع نصارى مصر ومسلميها من الاحتفال بهذا العيد القومى احتفالا شعبيا عظيما فى الماضى . فعند تكامل الفيضان يمتلئ النهر بالسفن والزوارق ، وينزل فيها الرجال والنساء ويختلط الحابل بالنابل وتدور كؤوس الراح على النغمات الموسيقية ويظل القوم فى سرور وانشراح حتى يسدل الليل ستاره ، فينصرفون إلى دورهم . وظل هذا الاحتفال الشعبى حياً حتى استبدل فى العصور الحديثة بعيد وفاء النيل المعروف .

أما شهر بابه فاسمه مأخوذ من اسم إله الزراعة « بى — بيت » وهو شهر عيد آمون وفيه يضرب المثل « بابه خش واقفل الدرّابه » .

أما شهر هاتور فاسمه مأخوذ من اسم الإلهة هاتحور إلهة الحب والجمال وملكة السماء والفرح والمحبة التى يقابلها عند اليونان « أفروديت » .

ويزرع القمح فى هذا الشهر فى الوجه البحرى ولذا يقال فى الأمثال « هاتور أبو الذهب المنثور » .

أما شهر كيهك فقد قيل إن اسمه من « كا — ها — كا » إله الخير ، وهو الثور المقدس المعروف عند العامة باسم العجل أبيس . وفيه يبلغ الليل نهايته من الزيادة ولذلك يقولون فى الأمثال : « كياك صباحك مساك » .

أما شهر طوبة فقد قيل إن اسمه مشتق من لفظة « دُبَه » المصرية القديمة بمعنى غسل أو تطهر كما قيل إنه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مشتق من «طو بيا الأعلى» إله المطر، ومن إسمه سميت مدينة طيبة (الأقصر والكرنك) . ويقع عيد الغطاس عند النصارى يوم ١١ طو به ، ويبدأ نضج القمح فى هذا الشهر وفيه يضرب المثل : « طو بة تخلى العجوزه كركو بة » .

أما شهر أمشير فيقابله « ماج — يبر » ومعناه إنتهاء البرد ، وقيل إن اسمه أخذ من اسم إله الشياطين لحصول الزوابع والتقلبات الجوية الحادة فيه ، ولذلك يقولون « أمشير أبو الزعابيب الكثير ، فيه الزرع القصير يحصل الزرع الطويل » .

أما شهر برمهات فينسب إلى « با — منحات » إله الحرارة . وفيه يقال : « برمهات روح الغيط وهات » .

أما شهر برموده فينسب إلى إلهة الحصاد « نوت » . ويقابل هذا الشهر شهر « بارنوت » فى الشهور المصرية القديمة . وفيه يتم حصاد القمح والشعير والفول والحلبة . وفيه يقال : « برموده دق بالعمودة » .

أما شهر بشنس فينسب إلى الإله « خونسو » ابن الإله « آمون » والإلهة « موت » . وفيه يقال : « بشنس يكنس الغيط كنس » .

أما شهر بؤونة الحجر فينسب إلى الحجر لشدة القيظ فيه . ويقابله فى الشهور المصرية القديمة « با أنت » ومعناها مقابر طيبه . وفيه يزور الناس موتاهم . وفيه أيضاً نزول النقطة وهى علامة بدء الفيضان . وكانت نساء منف وعين شمس يتنبأن ببدء الفيضان بوضع قليل من العجين فوق أسطح منازلهن . فإذا نزلت النقطة تخمر العجين وكان هذا فألا حسنا لهن ولأهل منازلهن طول العام .

أما شهر « أبيب » فقيل إن أصله « هور با » إله الفرح ، ويقابله الشهر المصرى « أبيب » وهو شهر قطع الأحجار وفيه يقال « أبيب طباخ العنب والزبيب » .

أما شهر مسرى فنسبة إلى « ميسورع » ومعناه ولادة الشمس . وفيه يقال : مسرى تجرى فيه كل ترعة عسره » .

وهكذا بقيت علوم جامعة عين شمس القديمة إلى الآن فى أسماء الشهور القبطية أو شهور الفلاح والزراعة ! !

والآن تفكر وزارة المعارف العمومية فى إنشاء جامعة جديدة بمدينة القاهرة .

فما أجمل إحياء ذكرى جامعة عين شمس القديمة !

وما أروع هذه الفكرة وأسماها ! ! لو انشئت هذه الجامعة الجديدة فى نفس الموقع الذى كانت تقوم فيه جامعة عين شمس القديمة أو بالقرب منه !

وجدير برجل المعارف ووزيرها الجليل احمد نجيب الهلالى باشا أن يعيد إحياء ذكرى جامعة عين شمس فى عهد وزارة الشعب تحت رئاسة صاحب المقام الرفيع الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا . وتحت كنف حضرة صاحب الجلالة مليك النيل المفدى فاروق الأول حفظه الله ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الخامس

مدينـــة مصر

الظاهر أنه منذ القدم ، انتشرت على الشاطىء الشرقى للنيل ، مقابل مدينة منف وضواحيها ، مجموعة من القرى أطلق عليها القدماء اسم مدينة « منف الشرقية » .

وظلت هذه القرى تنمو مع الزمن وتمتـد وتتلاحق حتى أوشكت أن يتصل بعضها ببعض من فرط اتساعها وانتشارها .

ولما وصلت هذه المجموعة إلى هذا الحد من الاتساع أطلق عليها اسم مدينة « كيمى » ومعناها مدينة « مصر » و إلى هذه الحالة القديمة يرجع السبب فى إطلاق اسم مدينة « مصر » على القاهرة وضواحيها لغاية اليوم .

وقد تداولت على هذه القرى أسماء كثيرة فى العصور المتتالية . وكانت أهمها القرى الآتية :

أولاً — قرية « تندونياس » التى سماها العرب فى عصر الفتح «أم دنين» وموقعها الآن فى قلب القاهرة ، وهى التى عرفت أيضاً باسم المقس ، وقد تكلمنا عنها فى الصفحات ١٦٩و١٧٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب ، وكانت تشمل المواقع التى فيها اليوم جامع أولاد عنان بشارع ابراهيم باشا وجزء كبير من قسم الأزبكية .

و يقوم جامع أولاد عنان اليوم مكان كنيسة قديمة كانت تعرف فى العصر المسيحى باسم كنيسة مار جرجس ، ولذا يقصده النصارى والمسلمون على السواء لغاية الآن للتبرك .

ثانياً — قرية الخندق وكانت تشمل المواقع التى فيها اليوم دير أنبا رويس والكنيسة البطرسية بشارع الملكة نازلى وتمتد حتى دير الملاك البحرى بشارع الملك بحدائق القبة وتشمل فوق ذلك جزءا كبيراً من قسم الوايلى .

ثالثاً — قرية بابليون وقلعتها وكانت تشمل المواقع التى فيها اليوم الحصن الرومانى المعروف باسم «عقبر الشمع» وهذا الاسم تحريف ظاهر لاسم قصر كيمى أو قصر شيمى ومعنى ذلك حصن مدينة مصر .

رابعاً — قرية دير الطين وكانت تعرف أولا باسم قرية دير مار حنا ولكن شهرتها بتصدير الطين الأصفر الذى كان يستعمل فى صناعة الخزف بمصانع العدوية وغيرها جعل اسم قرية دير الطين يتغلب على اسمها الآخر .

وكانت الأرض الزراعية التابعة لهذه القرية مقيدة حتى عهد محمد على باشا باسم بركة الحبش . وكانت بركة الحبش

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

هذه من النواحى المالية القديمة ثم قسم زمامها على قرية دير الطين وعلى قرية بساتين الوزير المعروفة اليوم باسم البساتين فقط واختفى اسم بركة الحبش .

خامساً — قرية العدوية المنسوبة إلى سيدة مغربية تسمى العدوية وهى التى أنشأت بها دير النسطور نسبة إلى الطائفة النسطورية المعروفة . وفى عهد احمد بن طولون أقطعت هذه القرية لاثنى عشر ألفاً من غلمانه السود فسميت منية السودان . وتعرف هذه القرية اليوم باسم معادى الخبيرى نسبة إلى الريس حسين بن حماد الخبيرى المتوفى سنة ١٢٢٤هـ وكان متعهد المعادى فى النيل بهذا الموقع .

سادساً — قرى الحجّارة أو مرافىء طره وشهران (المعصرة الحالية) التى ذاع صيت معاصرها القديمة فى العصر المسيحى .

وكانت طره وشهران تطلان على النيل مباشرة ، وكانت بها مرافىء معدة إعداداً تاماً لتحميل السفن بالأحجار الضخمة الناصعة البياض المعروفة باسم الحجر السلطانى . وقد خلعت هذه الأحجار من محاجر طره والمعصرة لتكسية واجهات اهرامات الجيزة ولبناء حجرات الدفن الداخلية .

سابعاً — قرى الاستشفاء حيث حلوان البلد وحلوان الحمامات وكفر العلو الآن . وكانت هذه القرى تقع قديماً فى شبه جزيرة بين فرعى النيل الرئيسيين لأن الدلتا كانت تبدأ عند قرية كفر العلو الحالية فى عهد من عهود منف الطويلة .

وربما ترجع تسمية كفر العلو وحلوان أو علوان إلى هذا المعنى أى الأرض العالية الواقعة بين فرعى النيل .

كل هذه المجموعة من القرى — وقد تكلمنا عنها بالأسهاب الكافى فى الجزء الأول من هذا الكتاب . كان يطلق عليها قديماً اسم مدينة « منف الشرقية » . و بعد ذلك عرفت باسم مدينة « كيمى » أو مدينة « مصر » .

وفى العصر المسيحى وصلت هذه المدينة لأن تكون مدينة هامة لها خطرها فى الحرب ولها مركزها بين المدن المصرية العريقة فى القدم وكان مركزها الرئيسى حول حصن بابيلون ولذا طغى هذا الإسم على المدينة كلها وعرفت باسم مدينة بابيلون . وكان لموقعها أهمية خاصة إذ أنها تسيطر على طرق القوافل الآتية من الوديان المنتشرة فى الصحراء الشرقية كما كانت تسيطر على رأس الدلتا وتتبعها فى تنقلاتها من الجنوب إلى الشمال وتشرف هكذا على طرق الملاحة فى النيل المؤدية للوجهين القبلى والبحرى ، وتحمى مدينة منف ، وكانت لها بمثابة حصن أمامى .

قلنا سابقاً إنه بعد تأسيس مدينة الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م ابتدأت مدينة منف فى الاضمحلال إذ نقلت أحجارها وأعمدتها لاستعمالها فى تشييد مبانى عاصمة البطالمة الجديدة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولما صدر مرسوم الأمبراطور تيودوسيوس سنة ٣٧٩ م الذى جعل المسيحية الدين الرسمى للبلاد تعرضت مدينة منف للتخريب والنهب ، ولم ينج من الهدم والحريق لا معبد « فتاح » ولا « معبد أبيس » ولا معبد « أفروديت » ... وتكسرت تماثيل الآلهة الوثنية وقام أنصار الدين الجديد بهدم و إخفاء معالم المدينة الشهيرة ، ثم استعملت الأحجار المنحوتة والأعمدة المصقولة المتخلفة من معابد منف فى بناء الكنائس والحصون وسواها بمدينة مصر .

ولما أنشأ العرب مدينة الفسطاط فى القرن السابع الميلادى فى عهد الفتح العربى ، ظلت نفس هذه العملية — عملية نقل أحجار وأعمدة منف — مستمرة واستعملت هذه الأحجار وهذه الأعمدة فى بناء المساجد ودور الحكم والتحصينات بعاصمة الإسلام الجديدة .

وقد استمرت هذه العملية أيضاً فى بناء العواصم الإسلامية التالية وهى : العسكر والقطائع والقاهرة المعزية . حتى اندثرت مدينة منف تماماً واختفت من الوجود .

ولا تزال أحجار وأعمدة معابد منف الوثنية موجودة للآن فى بعض كنائس وجوامع القاهرة الحالية .

وقد حصل فى العصر العربى أن هدمت كنائس كثيرة من الكنائس المسيحية القديمة ، إما بسبب هجرة أصحابها للدين القديم واعتناقهم الإسلام أولأسباب سياسية أخرى ، واستعملت أحجارها وأعمدتها مرة أخرى فى بناء المساجد والقصور الأسلامية وهى هى نفس الأحجار التى سبق نقلها من المعابد المصرية ، واستعمالها فى بناء هذه الكنائس . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ! !

ولا زال الباحثون يعثرون لليوم فى كثير من أحياء القاهرة القديمة على حجارة كبيرة عليها نقوش هيروغليفية من عهد منف وعين شمس .

حصن بابيلون أو قصر الشمع :

طغى اسم بابيلون على اسم مدينة مصر فى العصر الرومانى كما قلنا . ولكن اسم مدينة بابيلون لم يعلو إلا فى العصر المسيحى حيث كانت مركز الحكومة المحلية كما كانت قلعتها المعروفة باسم حصن بابيلون والمطلة على شاطىء النيل الشرقى مقراً لأقوى رباطات جيش الاحتلال الرومانى بالقطر المصرى .

وقد بلغ طول أسوار هذا الحصن فى عهد استرابون ٣٠٠ متر وعرضها ٢١٥ متراً .

وقد قاومت هذه الأسوار الغزوات الأجنبية قروناً عديدة حتى سقطت سنة ٦١٧م فى أيدى الفرس تحت قيادة كسرى أنوشروان . ثم ما لبثت أن سقطت مرة ثانية سنة ٦٤١ م فى أيدى العرب تحت قيادة عمرو بن العاص بعد حصار دام ثمانية أشهر تقريباً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

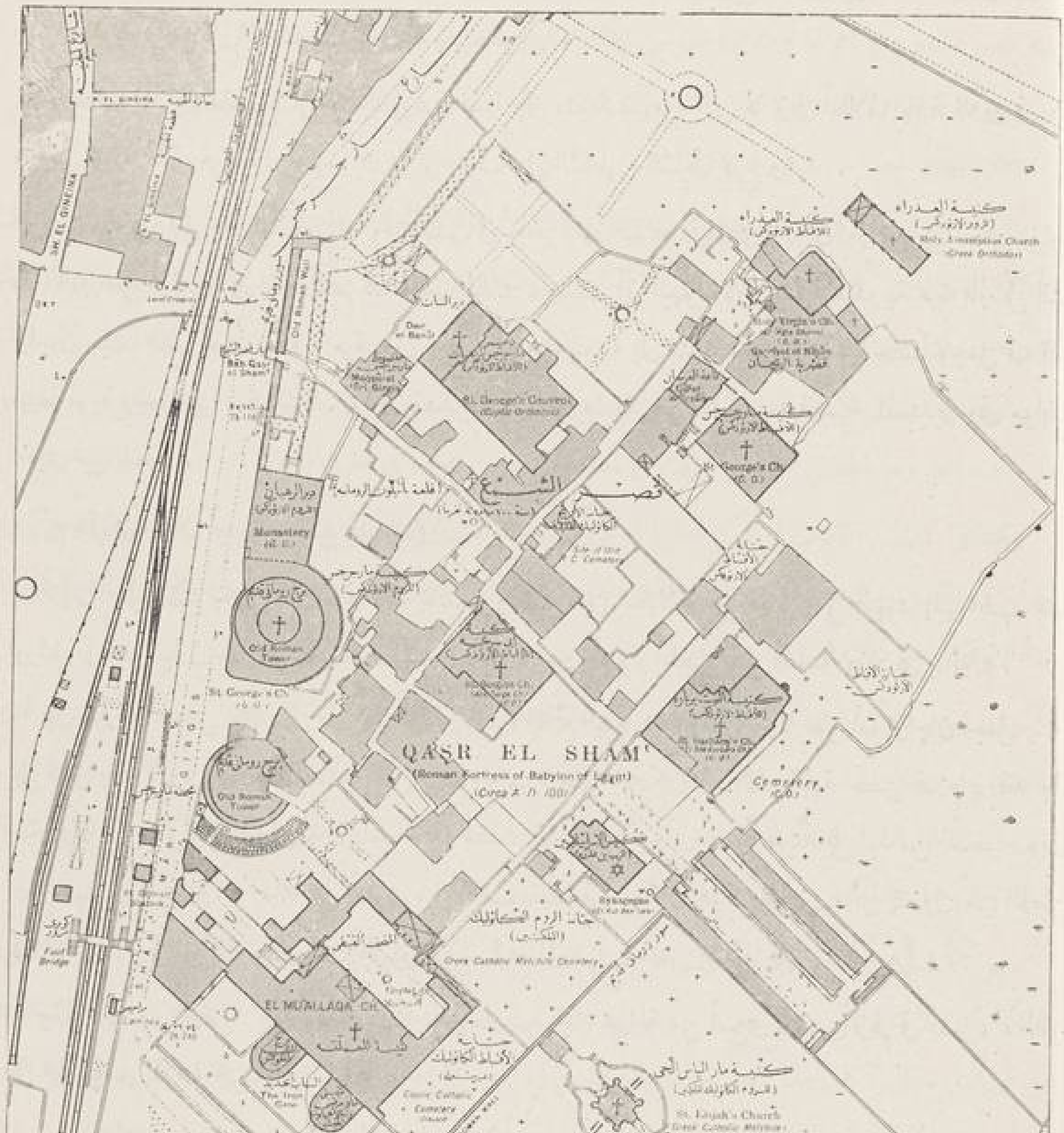

خريطة تبين موقع حصن بابيلون أو قصر الشمع بقسم مصر القديمة بالقاهرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد ترك لنا حنا النقيوسى الأسقف القبطى الذى كان معاصراً لزمن الفتح العربى ديوانا ممتعاً عن حوادث هذا العهد ذكر فيه تاريخ حصن بابيلون باسهاب طويل .

ويعرف هذا الأسقف باسم حنا النقيوسى نسبة إلى مدينة نقيوس التى لا تزال أطلالها باقية للآن فى كوم مانوس الواقع شمالى قرية زاوية روزين بمركز منوف على الشاطىء الشرقى لفرع رشيد .

وقد جاء فى ديوان هذا الأسقف — وقد كتب فى أواخر القرن السابع الميلادى — أن أول من بنى حصن بابيلون هو الامبراطور تراجان فى العام المتمم للمائة بعد الميلاد ، وذلك أن اليهود ثاروا بالإسكندرية مرة فأرسل إليهم تراجان جيشاً عظيما تحت قيادة « مرقيوس تربو » ثم جاء بنفسه إلى مدينة مصر وبنى بها حصناً وجعل فيه قلعة منيعة قوية وجعل فيها ماء كثيراً . ولعله يقصد بالماء الكثير ما حفر من الآبار عند الصرح المستدير وفى مواضع أخرى من الحصن .

ثم قال فى مكان آخر من نفس هذا الديوان :

«إن أصل ذلك الحصن كان بناء أقامه بختنصر وذلك حين استيلائه على مصر ونفى اليهود إليها عقب هدم أورشليم وسماه بابيلون باسم عاصمة بلاده آشور . فأقام تراجان أسوار الحصن على أساسه وزاد فى بنائه » .

قال بتلر : «وعلى كل حال فلا شك فى أن البناء القائم اليوم بناء رومانى . ولا نظن أن تراجان جعل بناءه على نسق بناء كان فى ذلك الموضع من قبل . مع أنه من المحقق أنه كان فى تلك الجهة حصن قديم . فقد جاء أسترابون إلى مصر قبل عهد تراجان بنحو ١٣٠ سنة ، وقد ذكر أنه رأى حصناً قديماً على نهد من الصخر . وقال إن السبب فى تسميته أن جماعة من أسرى بابل كانت مقيمة فيه . وكان هناك طريق مائل للنزول من الحصن إلى شاطىء النيل . وكان حول هذا الطريق آلات لرفع المياه إلى الحصن يشتغل فيها ١٥٠ أسيراً » .

وقال ديودور الصقلى : « إن ملك مصر سيزوستريس جاء بجماعة من أسرى بابل وأنزلهم فى قصر ، فأطلقوا على القصر اسم المدينة التى جاءوا منها » .

ويقول المؤرخ يوسفوس : « إن الحصن لم يبن إلا فى أيام غزوة الفرس فى حكم الملك قمبيز » .

وقال ابن بطريق : « إن آخوس وهو أرتخشيارش أو خوس هو الذى بنى الحصن »

وأقول : يتبين مما ذكر أنه كان على مقربة من موضع حصن بابيلون المعروف الآن باسم قصر الشمع بمصر القديمة حصن قديم كانوا يطلقون عليه أيضاً اسم بابيلون مدة قرون طويلة قبل أيام تراجان — وكان ذلك الحصن القديم على نهد صخرى كما قال أسترابون . ولا يزال ذلك النهد الصخرى إلى اليوم ماثلا ويرى داخلا فى مصر (القديمة) فى المكان الذى يعرف باسم اسطبل عنتر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد هجر هذا الحصن منذ القدم بسبب صعوبة وصول المياه إليه كما يتبين من قول أسترابون أيضاً ، وأنشىء بدله قصر الشمع وهو أهم ما تركه الرومان من الآثار بالديار المصرية بعد أن حكموها أكثر من ٦٠٠ سنة ! !

و يعرف الحصن الآن باسم قصر الشمع وكان اسمه باللغة القبطية فى وقت الفتح العربى بابيلون — آن — كيمى، ومعناها بابيلون مصر .

وليس من السهل أن نعرف أصل تسميته بقصر الشمع باللغة العربية . فقد تكون لفظ « الشمع » تحريف للكلمة المصرية « كيمى » ومعناها مصر كما قلنا ، فصارت جيمى ثم شمع ويكون اسم قصر الشمع تحريفاً لاسم قصر مصر أو حصن مدينة مصر .

ولكن قد نصت الأخبار على أنه كان فى حصن بابليون القديم هيكل للنار ، وأنه قد بنى هيكل آخر مثله فى صرح من الصروح بالحصن الرومانى وذلك فى مدة حكم الفرس للبلاد فى القرن السابع .

ونجد فى كتاب « ياقوت » ذكر « قبة الدخان » ولعل منشأ ذلك أن الصروح العالية كانت تتخذ فى وقت الحروب مراقب تبعث منها الإشارات . فلعله قد جعل على أحد الصرحين أو عليهما معاً منائر توقد فيها النيران للاشارة فنشأ عن ذلك اسم قصر الشمع .

وهنا يجدر بنا أن نقول : إن فكرة الصروح منقولة عن قدماء المصريين . ففى صدر كل معبد مصرى قديم كان يوجد برجان أو صرحان شاهقان كانا يستعملان فى وقت الحرب للاستكشاف ومعرفة حركات جنود العدو و إرسال الإشارات المناسبة إلى الجنود المدافعين . وفى وقت السلم كانت تستعمل لمراقبة حركات الكواكب فى السماء وللأرصاد الفلكية .

ومن الأسباب الأخرى التى ذكرت عن أصل تسمية الحصن باسم قصر الشمع باللغة العربية ما قاله ابن اسحاق : « لأنه كان لا يخلو من الشمع » . ونقل عنه ذلك الواقدى فى فتوح الشام . وذكر المقريزى ذلك فى خططه عن الواقدى . قال : كان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر فيعلم الناس أن الشمس انتقلت من البرج الذى حلت فيه إلى برج آخر غيره .

وذكر المقريزى فى مكان آخر : « أنه عرف بقصر الشمع لأن الفرس بنوه وجعلوا فيه بيت النار وكان له باب يقال له باب الشمع » .

قال بتلر : « ومهما يكن من أمر العرب وتحريفهم لاسم الحصن فقد ظل كتاب أوربا فى القرون الوسطى يطلقون على ذلك الموضع اسم بابيلون وليس اسم مصر وحفظوا تلك التسمية إلى ما بعد بناء قاهرة المعز فصاروا يطلقون على مدينة مصر اسم « بابيلون » و يسمون حاكمها « سلطان بابيلون » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم معالم الحصن القديمة :

استعمل فى بناء هذا الحصن أحجار أخذت من مبانى مدينة منف ومدينة عين شمس الفرعونيتين ، ولم يزل على بعضها نقوش هيروغليفية ، كما استعمل فى بنائه أيضاً طوب كبير الحجم يبلغ مقاس الطوبة منه ٣٠ × ٢٠ × ١٥ سنتمترا ، مداميك منتظمة خمسة من الحجر وثلاثة من الطوب .

ولم يبق من هذا الحصن العظيم الآن إلا الباب القبلى يكتنفه برجان كبيران يبلغ إرتفاعهما نحو ٢٠ متراً و يبلغ سمك جدرانهما مترين ، و بوسط أرضية الممر المؤدى لداخل الحصن قناة لتصريف مياه الأمطار فى النيل ، وهذه الأرضية مرصوفة بالحجر ، وهى على عمق عشرة أمتار تقريباً تحت منسوب سطح الشارع الخارجى .

وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بإزالة ما كان يطمس هذه المبانى من الأتربة والرمال ورممتها على يد المرحوم هرتس باشا والمسيو باتريكولو .

ولم يزل باقياً أيضاً بعض أجزاء أسوار هذا الحصن فى الجهات الشرقية والقبلية والغربية ، و برجان مستديران أحدهما أمام باب المتحف القبطى والآخر مقابل له فى حيازه الروم الأرثوذكس من قديم الزمان وعلى قمته كنيسة لهم تعرف باسم كنيسة مار جرجس تجدد بناؤها بعد أن احترقت ١٩٠٠ .

ولا يعلم إتساع الحصن بالضبط اليوم ، غير أنه يمكن تقديره قياساً على ما ذكره القدماء بنحو نصف الكيلومتر المربع ، و بداخله الآن عدا كنيسة مارجرجس المشار إليها ، المتحف القبطى وست كنائس قبطية وهى :

١ — كنيسة المعلقة التى نراها اليوم بعد أن أن مضى عليها من العمر ثلاثة عشر قرنا وهى معلقة على قمة البرجين الجنوبيين من أبراج الحصن القديمة بطريقة تختلف عن الطريقة التى أقام بها الروم كنيسة مارجرجس فوق قمة البرج الثالث الغربى ، ولكن الظاهر أن نفس الفكرة التى حدت بالقبط إلى إنشاء كنيسة المعلقة فوق الأبراج القبلية هى هى نفس الفكرة التى حدت بالروم إلى أنشأ كنيستهم فوق البرج الغربى . وربما كانت هذه الفكرة هى جعل بيوت العبادة أعلا منسوباً من بيوت الناس المحيطة بها . أو إمكان الإحتماء بها على اللزوم .

٢ — كنيسة أبو سرجة و بها مغارة ينزل إليها الإنسان بدرجات كثيرة ، ومنسوب أرضها منخفض عن منسوب أرض الشارع الخارجى بحوالى عشرة أمتار ، و يقال أن العائلة المقدسة ، عائلة السيد المسيح ، لجأت إلى هذه المغارة أثناء هروبها إلى مصر . ومن المدهش أن الانسان يتمتع داخل هذه المغارة بنسيم عليل مهما كان الجو حارا أو باردا فى الخارج ! !

٣ — كنيسة الست بربارة

٤ — كنيسة مارجرجس للقبط وهى غير كنيسة مارجرجس الرومانى المقامة فوق البرج الغربى للحصن وهى مملوكة للروم كما قلنا سابقا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٥ — كنيسة قصرية الريحان

٦ — كنيسة دير البنات .

وسنتكلم عن هذه الكنائس الستة وعن المتحف القبطى بتوسع فى نهاية هذا الفصل .

وهناك أيضاً بيعة لليهود كانت فى الأصل كنيسة من كنائس الأقباط باسم كنيسة الملاك غبريال ، بيعت لليهود الذين يعتقدون أنها بنيت على مكان أقام به أرميا النبى ، والذى باعها لهم ميخائيل البطريرك السادس والخمسون بين ما باعه من العقار ليتمكن من دفع عشرين ألف دينار فرضها على الأقباط أحمد بن طولون فى أواخر القرن التاسع الميلادى ، وقد ورد ذكر ذلك فى كتاب الخطط والآثار للمقريزى . وقد هدم اليهود جزءاً من الكنيسة الأصلية وأقاموا محله بيعتهم المذكورة ، كما هدموا جانباً عظيما من سور الحصن .

وكان بالحصن خلاف الكنائس المذكورة مقياس للنيل بقيت آثاره إلى أيام المقريزى . قال : « وكان هذا المقياس يقع بصدر زقاق غير نافذ يسمى زقاق القمارية . ثم عمر الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ابن النعمان مسجد النصر وقيل مسجد الفتح الذى عرف فيما بعد بزاوية الشيخ شمس الدين بن نعمان الفاسى بالقرب من الكنيسة المعلقة واشتهر بأنه موضع مبارك . وقد بقيت هذه الزاوية بيد أولاد النعمان إلى ما بعد سنة ٧٩٣ هـ . وكان بأسفل المسجد سقيفة تعرف به تجاور كنيسة الروم الملكيين »

وذكر ابن المتوج : إن عمود المقياس موجود فى زقاق مسجد ابن النعمان .

وأضاف المقريزى : وهذا العمود باق إلى يومنا هذا (يعنى سنة ٨٢٠ هـ) .

وقد عين « أبو المحاسن » فى « النجوم الزاهرة » موقعه بأنه بالقصر خلف الباب يمنة من يدخل منه فى داخل الزقاق . وإن أثره كان لا يزال قائماً فى زمنه وقد بنى عليه وحوله .

ولما ذكر المقريزى دير البنات بقصر الشمع قال : وهو على اسم بوجرج وكان به مقياس النيل قبل الإسلام ولا يزال به آثار ذلك .

وأقول : أنه يوجد لغاية الآن بمدافن الروم الأرثوذكس بدير مارجرجس بمصر القديمة كتل كبيرة من الحجر على عمق أربعة أمتار من أرض الدير ، يرجح أن تكون من بقايا بئر مقياس النيل القديم !

الحصن منذ عهد الحملة الفرنسية :

ولما زار « أرتور رونيه » قصر الشمع عقب قدومه إلى مصر سنة ١٨٦٤ لم يكن باقياً منه غير مدخله الرئيسى ويتكون من الباب الكبير تكتنفه من الجانبين بدنتان بارزتان .

وقد ذكر هذا الرحالة أن إحدى لوحات كتاب « وصف مصر » لعلماء الحملة الفرنسية مرسوم فيها الباب الكبير وثلاثة أبراج . وقد تهدم منها البرج الغربى وأصبح باب القصر مطموراً فى الأرض أكثر مما كان عليه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقت رسمه بأن علا التراب على واجهته إلى نحو النصف من ارتفاعها واختفى عقده . ولم يكن فى الإمكان رؤية حجارته إلا بعد إزالة التراب عنه ، لأن هيكله لم يكن ظاهراً منه غير جبهته أو الجزء العلوى من الوجهة . وكانت تكاد تملأ الفراغ الواقع بين البرجين . وقد سقط منها الأفريز واتخذ كقاعدة للجزء العلوى . وصار فى متناول اليد ولم يبق منه غير كابولين بطرفيه . وقد استند عليهما الجزء العلوى من الجهتين .

وعلى الوجه الأسفل من الكابولين صورة النسر الرومانى بالنقش البارز بوضع يدل على أنه من عصر الانحطاط البيزنطى وقد نقله رسامو الحملة الفرنسية ولكنهم أتقنوا رسمه وجعلوه على الأسلوب البيزنطى المتواتر رغم ما فى رسم استداراته من التراخى والتهاون فى تمثيل الهيئة الأصلية . وهما من علامات انحطاط الفن وخورة وتوقع ظهور أسلوب جديد .

قال بتلر : « كان يتخلل كل من الجانبين الجنوبى والشرقى من أسوار الحصن أربعة أبراج بارزة بينها مسافات غير متساوية . وكانت ثلاثة من هذه الأبراج الأربعة التى إلى الجنوب لا تزال ظاهرة إلى عهد قريب . أما الآن فإن برجاً منها تهدم واندثر ولم يبق إلا اثنان .

أما السور فكان بناؤه حقيراً وقد جدده المسيحيون الذين كانوا يعيشون فى هذا المكان بعيداً عن المجتمع القاهرى محتفظين بعوائدهم وعبادتهم .

أبراج الحصن وأبوابه :

يبلغ قطر كل من البرجين المستديرين بالحصن الرومانى الواقعين فى اتجاه جزيرة الروضة حوالى ثلاثين متراً .

وبداخل كل منهما دائرة أخرى من البناء . وما بين الدائرتين الخارجية والداخلية قواطيع ضخمة تقسمه إلى ثمانية أقسام . وكان بين هذين البرجين سور مرتفع وكان به باب تهدم ولم يبق له أثر .

قال المقريزى : « وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن إلى بابه الغربى الذى يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس السفن فى النيل » .

ويعرف كل من درس معالم هذا الحصن أن الباب الحديد المذكور فى رواية المقريزى ما هو إلا الباب الجنوبى الموجود للآن أسفل الكنيسة المعلقة .

وكان النيل فى وقت فتح العرب لمصر يصل إلى هذا الباب الجنوبى حيث كانت مراسى السفن الرومانية . وكان له درج يوصل إلى الماء إذا هبط النيل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولما أزاحت لجنة حفظ الآثار العربية ما تراكم من الأتربة والأنقاض على هذه المواقع التى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الفتح الإسلامى ظهر الباب الحديد المذكور وظهر درب المعلقة وهو درب أسفل كنيسة المعلقة يؤدى إلى داخل القصر الرومانى .

بقايا الحصن الرومانى .
دهليز بداخل باب الحديد تحت الكنيسة المعلقة
يصل إليه الزائر بسلم من حديقة المتحف القبطى .

وكانت للقصر أبواب أخرى منها الباب الشمالى الشرقى المعروف باسم «باب درب الحجر» والباب الشمالى المعروف باسم «باب محط القرب» لأن السقايين كانوا يردون عليه بالقرب يستقون الماء من النيل .

وكانت المسافة بين باب الحديد و باب محط القرب فضاء . وكان الرومان يسمون هذا الفضاء « بروبونيا كولوم » وكان يستخدم للمقاومة إذا تمكن العدو من اقتحام الباب الأول .

وكان بدائر الجدران فى أعلى الحصن ممر يتجمعون فيه لضرب العدو المقتحم .

وقد أصبح هـذا الفضاء مسقوفاً منذ توسيع كنيسة المعلقة . وكانت فى الأصل راكبة على جزء من الحصن فقط شرقى الباب الجنوبى .

وكانت بالجهة الشرقية من الحصن فى وقت الفتح مزارع و إلى شماله حدائق و كروم وفيما يليها إلى الجبل الشرقى كنائس وأديرة متصلة إلى الموضع الذى به اليوم جامع ابن طولون وقلعة الكبش .

حصن بابيلون اليوم :

قال بتلر : بقى من حصن بابيلون إلى نحو أوائل القرن العشرين ما يدل على ما كانت عليه هيئته وعظمة خطره . وكان الفضل للقبط فى حفظ تلك البقية إذ اجتمعت لهم كنائس عدة فيه منذ أول عهد المسيحية لأنهم وجدوا وراء أسواره منعة لهم فى أيام المحنة والشدة . وكانت كل أسوار الحصن للقبط إلا ما كان منها للروم الملكانيين وهو موضع كنيسة مار جرجس و إلا ما كان منها لليهود وهو موضع بيعتهم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والظاهر أن المسلمين لم يحفلوا بالمحافظة على ذلك الأثر مع ما كان له من الخطر فى أيام فتحهم ومع كثرة ما كتبه مؤرخوهم عنه .

وقد خرّب الحصن تخريباً يرثى له فى السنين التى تلت الاحتلال الإنجليزى لمصر . إذ شعر أهله بالاطمئنان والأمن بعد أن استقرت الأمور فى مصر وأصبح الأمر فى غير حاجة إلى الأسوار المنيعة . فشرع القبط واليونان واليهود وكأنهم يتبارون فى هدم أسواره كلما بدا لهم فتح باب فى ناحية أو إقامة بناء فى جانب منه .

وقد تكون السنوات الثمانية عشرة بين سنة ١٨٨٤ وسنة ١٩٠٢ قد شهدت من تهدم هذا الحصن أكثر مما شهدته القرون الثمانية عشر التى قبلها .

فلما انتهى الأمر إلى ذلك وحدث الضرر الذى كان يخشى حدوثه تدخلت الحكومة و بسطت حمايتها على ما بقى من الحصن .

ولكن ما أقل ما قد بقى منه ! !

ومع ذلك تدل البقية الباقية من هذا الحصن الآن على ما كان لساكنيه من المصريين المسيحيين المعروفين باسم القبط من شخصية تتجلى فى تمسكهم بلغتهم إبان حكم الدولة البيزنطية فى مصر و بعده ، وفى الخواص التى تميز فنهم عن الفن البيزنطى فهم بلا نزاع حلقه الاتصال بين مصر الفرعونية ومصر الإسلامية .

وفى المتحف القبطى الذى أنشأته الحكومة المصرية بفضل مساعى العالم الجليل مرقص سميكه باشا بجوار كنيسة المعلقة داخل أسوار حصن بابيلون القديم وأفتتحه جلالة الملك فؤاد الأول رحمه الله سنة ١٩٣٠ بدائع رائعة لهذا الفن ! !

ويتصل هذا البحث بتاريخ القبط فلا بد هنا من كلمة عن القبط وعن الفن القبطى فنقول :

القبط والفن القبطى :

ليست لفظ « قبط » فى الواقع إلا تحريف ظاهر لكلمة « جبت » التى سميت بها مصر فى العصر اليونانى . وهذه الكلمة اليونانية نفسها مأخوذة من أحد أسماء جبانة منف باللغة الهيروغليفته بعد تحريفها . وهذا الإسم هو « هت — كا — بتاح » ومعناه أرض قرينة الأله فتاح ، فنطقه الوافدون من الإغريق محرفاً هكذا « أيجبتاه » ثم انتقل هذا الإسم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى ونطق هكذا « أيجيبت » وأطلق على مصر التى عرف أهلها عند العرب باسم « جيبت » أو « قبط » .

وقد أجمع العلماء على أن القبط هم سلالة قدماء المصريين وأن تسعة أعشار المصريين الحاليين متناسلون من القبط الذين اعتنقوا الدين الإسلامى .

ولذا تعرف الكنيسة المصرية فى أوربا وفى الخارج الآن باسم الكنيسة القبطية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لقد كان فتح اليونان لمصر سنة ٣٣٢ ق . م . حداً فاصلاً بين عهدين فى تاريخ مصر السياسى ، عهد العظمة والاستقلال وعهد العبودية والاستعمار .

كانت مصر قبل العهد اليونانى والعهد الرومانى أمة واحدة يحكمها المصريون بحكمة ووطنية وتدبير و إحكام وكرامة وفن ، أما بعد الاحتلال اليونانى والرومانى فقد حكمها الروم بالعنف والصرامة ، ورغم ذلك احتفظت بقوميتها وحاطتها بمذهب دينى مستقل حافظت عليه أشد المحافظة .

وما كانت محافظتها على مذهبها الدينى إلا صورة من صور الحرص على بقاء شخصيتها ودوام استقلالها .

فلما اشتد ساعد المقاومة السلبية للمحتلين ، الذين فرضوا على البلاد دينهم ولغتهم ، ظهرت اللغة القبطية وهى لغة قدماء المصريين ، استعيض فيها عن الرموز الهيروغليفية بالحروف اليونانية بعد أن أضيفت إليها سبعة حروف أخذت من الديموتيقية .

وكان ظهور هذه اللغة هو رمز الثورة على الروم وعلى أساليبهم التعسفية فى حكم البلاد .

وفى سنة ٢٨٤ م لما اشتد الإمبراطور ديوكلسيان فى اضطهاد القبط ليردهم عن النصرانية إلى الوثنية ، فقتل منهم من قتل وعذب من عذب بأشد قساوة عرفت فى التاريخ ، سمى القبط هذا العهد عهد الشهداء واتخذوه بداية لسنتهم القبطية المعروفة باسم سنة الشهداء ، تماماً كما كان يفعل أسلافهم قدماء المصريين فى اتخاذ الحوادث المهمة بداية لتواريخهم . ولا تزال النتيجة القبطية معمولا بها للآن فى الكنيسة القبطية وهى تقل ٢٨٤ سنة عن السنة الميلادية التى أرخها الرومان .

فبفضل هذه المقاومة السلبية من شعب أعزل للاحتلال الأجنبى المسلح ، بفضل هذه الرغبة عن الامتزاج بالروم ثم الفناء فيهم ، بقيت لمصر حتى اليوم الآثار القبطية التى نراها للآن ماثلة بمدينة مصر القديمة أو بمدينة بابيلون القديمة ، والتى تعتبر حلقة الاتصال بين الفن الفرعونى والفن الإسلامى .

ومن المعروف أنه فى عهد النصرانية الأولى ، أيام حكم الرومان ، كان القبط الذين اعتنقوا المسيحية يرزحون تحت عبء اضطهاد ثقيل ، ولم يكن مسموحاً لهم حتى بإقامة الشعائر الدينية ، فكانوا يجتمعون سراً للصلاة بالمغاور والمقابر المهجورة بأنحاء البلاد كافة كما يتضح ذلك من كتابات قبطية لا تزال موجودة على جدران تلك الأماكن .

ولما اعتنق الإمبراطور « تيودوسيوس » الدين المسيحى سنة ٣٨٩م ، أصبحت المسيحية هى الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية . ولما كانت مصر فى هذا العهد جزءاً من هذه الإمبراطورية ، وكانت من أول الدول التى انتشرت فيها المسيحية سراً بسرعة مدهشة ، فإنها قابلت مرسوم تيودوسيوس بترحاب وحماس . وعلى أثر ذلك قام القبط بتحويل المعابد الوثنية القديمة إلى كنائس فنقشوا الصلبان على أبوابها وأعمدتها ، وحطموا تماثيل الآلهة وغطوا

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ما كان منقوشاً على جدرانها من صور الملوك والآلهة والكتابات الهيروغليفية بطبقة من الجبس رسموا عليها صور السيد المسيح والرسل والقديسين وبنوا عليها مذابح لإقامة القداس . ولا تزال آثار ذلك ظاهرة إلى يومنا هذا بمعابد الوجه القبلى خصوصاً بأسوان والأقصر والكرنك ودندره .

ولكن لما كان الشعب المصرى لا يميز كثيراً بين الوثنية والدين الجديد ، وكان يسجد أمام آلهة أجداده القديمة كما كان يسجد أمام المسيح على حد تعبير قياصرة الرومان، رأى زعماء المسيحية إبعاده عن المعابد الوثنية، فقرروا منذ القرن الرابع الميلادى تشييد كنائس وأديرة جديدة بقى منها للآن، دير سمعان بأسوان ، وكنيسة دندرة بجوار معبد دندرة بالقرب من قنا ، وآثار دير أنبا أرميا بسقارة الذى أنشىء فى آخر القرن الخامس وخرب حوالى سنة ٩٦٠ م ولحسن الحظ غطت الرمال خرائبه إلى أن استكشفه كويبل سنة ١٩٠٦ ونقل ما به من آثار إلى المتحف المصرى ، وآثار كنيسة أنبا مينا بمريوط بجوار الإسكندرية التى استكشفها كاوفمان سنة ١٩٠٧ ، وهى أقدم كنيسة عرف تاريخ إنشائها بالضبط ، فقد بدأ عمارتها الإمبراطور أركاديوس سنة ٣٩٥ م وتم بناءها الأنبا تيموثاوس البطريرك السادس والعشرون ، ودفن بها الأنبا مينا الذى كان يؤم ضريحة الحجاج المسيحيين من جميع أقطار العالم ويعودون من هناك ومعهم أوانى خزفية عليها صورة هذا القديس وبها مياه مقدسة كانوا يعتقدون أنها تشفى الأمراض .

وقد نقلت كثير من أعمدة هذه الكنيسة وأحجارها المنقوشة وصور القديسين المرسومة بالألوان التى وجدت فى حفائرها إلى المتحف اليونانى الرومانى التابع لبلدية الإسكندرية ، وإلى المتحف المصرى بالقاهرة ، وإلى بعض متاحف أوربا وأمريكا .

ومن هذه الكنائس والأديرة القديمة جداً مالم يزل معداً لإقامة الشعائر الدينية رغم تصاريف الزمن وتقلباته مثل كنيستى الديرين الأبيض والأحمر بجوار سوهاج ، وكنيسة العذراء بدير الطير بمركز سمالوط ، وديرى أنطونيوس وبولا بصحراء العرب بالقرب من البحر الأحمر، وأديرة وادى النطرون التى سبق تكلمنا عنها بإسهاب فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٦٦ وما يليها ، وكنائس مدينة مصر القديمة موضوع هذا البحث

طراز كنائس مدينة مصر :

شيدت هذه الكنائس على طراز يجمع بين الباز يليكى والبيزنطى .

أما الطراز الباز يليكى فمأخوذ عن المبانى الرومانية بمدينة الإسكندرية ومدينة بابيلون أعنى عن المبانى الرومانية التى أقيمت بمدينة مصر نفسها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد وجد مهندسو هذه الكنائس الجديدة من القبط نماذج جاهزة لمعابدهم الحديثة فى الكنائس التى شيدها مهندسو الإمبراطور قسطنطين بمصر وفلسطين وسوريا .

مدينة مصر — منظر طواحين حجرية كانت تطحن فيها الغلال وبجوارها فرن . وتدل هذه المبانى على أن إنشاء العقود فى فتحات الأبواب والشبابيك كان منتشراً فى مدينة مصر منذ القدم .

ومن مميزات هذه الكنائس أنها كانت تبنى على شكل مستطيل وتنقسم — من اليمين إلى اليسار — إلى ثلاثة أقسام كما هو الحال فى كنائس أبوسرجه والسيدة بربارة وأنبا شنودة بمصر القديمة ، أو إلى أكثر من ثلاثة أقسام ، كما يشاهد ذلك فى كنيسة المعلقة أو فى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة بقسم باب الشعرية .

ويفصل هذه الأقسام عن بعضها ، صفوف من الأعمدة يرتكز عليها سقف صحن الكنيسة وهو غالباً على شكل جملون . وهذا هو الطراز البازيليكى .

أما الطراز البيزنطى — وأهم أنموذج باق له للآن هو كنيسة أجياصوفيا بالقسطنطينية — فيمتاز بأن كنائسه كانت تبنى على شكل صليب وتغطيها القباب المبنية من الطوب .

وقد نقلت بيزنطة استعمال القباب على الأرجح عن المصريين وهم أول من استعملوها سقوفاً فى مبانيهم لقلة الأخشاب فى بلادهم .

فلما قام القبط بتشييد كنائسهم بمصر القديمة بنوها على الطراز البازيليكى المذكور سابقاً . مع استعمال القباب التى كانت شائعة فى بلادهم وهى من أهم مميزات الطراز البيزنطى . فطراز هذه الكنائس إذن يجمع بين البازيليكى والبيزنطى .

وقد كسيت جدران هذه الكنائس وأعمدتها وقبابها من الداخل بطبقة من المصيص النقى وزينت بصور مشرقة الألوان للقديسين والشهداء تماماً كما كان يفعل قدماء المصريين فى تزيين معابدهم وبرابيهم .

كنيسة المعلقة

عرفت هذه الكنيسة بالمعلقة لأنها شيدت ، فوق أبراج حصن بابيلون ، الذى تكلمنا عنه سابقاً ، على ارتفاع ١٣ متراً فوق سطح الأرض الأصلية لهذا الحصن . ولم يزل جزء منها وبه المعمودية بأعلى أحد البرجين القائمين على جانبى الباب القبلى المعروف عند العرب باسم باب الحديد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بنيت هذه الكنيسة على الأرجح فى القرن الرابع كما يتضح ذلك من لوحة من أخشاب العمارة الأولى المحفوظة بالمتحف القبطى وهى تمثل دخول السيد المسيح إلى أورشليم، فى أحد الشعانين، وقد ركب أتاناً وفرشت أمامه الطريق بغصون النخيل واستقبلته الجماهير على أبواب المدينة بالتهليل والفرح. وقد كتب على هذه اللوحة بالحروف اليونانية تاريخ سنة ٣٤٩ م. ومن هذا يتضح أن هذه الكنيسة أقدم كنيسة بنيت فى حصن بابيلون.

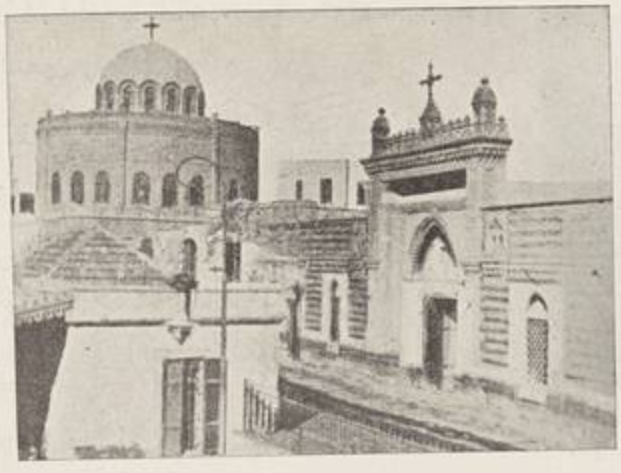

كنيسة المعلقة وكنيسة مار جرجس.
الواجهة المطلة على شارع مار جرجس بمصر القديمة.

وقد كانت فى الأصل متسعة جداً ولكنها صغرت من كثرة ما أدخل عليها من تعديلات كان آخرها على يد المعلم عبيد أبى خزام سنة ١٤٩١ قبطية (١٧٧٥ م). وبعد ذلك على يد المرحوم نخله بك الباراتى سنة ١٨٩٠ تقريباً. وهو الذى يرجع إليه الفضل فى المحافظة على كثير مما كان بها من الأحجبة النفيسة والإيقونات والمنبر الرخامى.

ويبلغ طول هذه الكنيسة اليوم ٢٣٫٥ متراً وعرضها ١٨٫٥ متراً وارتفاعها ٩٫٥ متراً. وينقسم الصحن إلى أربعة أقسام يفصلها عن بعضها صفوف ثلاثة من الأعمدة الرخامية يبدو من طراز تيجانها أنها ترجع إلى القرن الثالث. والغالب أنها منقولة من المعابد الرومانية الوثنية القديمة.

ويغطى صحن الكنيسة والهياكل جملون من الخشب. وهى الوحيدة فى الكنائس القبطية القديمة بحصن بابيلون التى لم تغط هياكلها بالقباب.

ولهذه الكنيسة شهرة عظيمة منذ القدم فقد ظلت مركزاً لأبروشية بابيلون المعروفة أيضاً باسم أبروشية مصر منذ عهد البطريرك بنيامين سنة ٦١٧ م إلى عهد البطريرك يوساب سنة ٨٢٣ م. ثم أصبحت مقراً للكرسى البطريركى منذ قرر أنبا خريستودولوس البطريرك السادس والستون نقل مقر البطريركية القبطية من الاسكندرية إلى مدينة مصر سنة ١٠٣٩ م. وهو أول من أقام بها صلاة القداس، بعد وصوله إلى مصر مخالفاً فى ذلك العادة التى جرى عليها البطاركة السابقون فى إقامة القداس بكنيسة أبو سرجه بعد الإسكندرية ودير أبى مقار بوادى النطرون. وقد لاقى معارضة شديدة من كهنة كنيسة أبو سرجه لما أعلن عن هذا العزم ولكنه تغلب عليها.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومنذ ذلك العهد وكنيسة المعلقة قبلة طالبى العلم من رجال اللاهوت وعلماء الدين . وقد اشتهر رجالها أيضاً بالتعمق فى علم الفلك .

وفى القرن العاشر الميلادى كان بها مكتبة تحوى من كتب الفلك ما كان مرجعاً لرجال البحث فى القرون الوسطى لتقرير مواعيد أعياد النصارى فى العالم كله .

وظلت كنيسة المعلقة مقراً للكرسى البطريركى مدة طويلة إلى أن نقل منها إلى كنيسة أبى السيفين فى القرن الرابع عشر للميلاد .

وتحوى هذه الكنيسة للآن بدائع رائعة من بدائع الفن القبطى ففيها تسعون أيقونة يرجع أقدمها إلى القرن الخامس عشر الميلادى وأغلبها مؤرخ فى سنة ١٤٩٣ قبطية (١٧٧٧ م) والباقى صور من أيام نخله بك الباراتى حوالى سنة ١٨٩٠ وهى موزعة على جدران الكنيسة فيجد الزائر على الحائط الغربى صفين منها ، ويرى على الحائط القبلى أيقونات أخرى من صناعة يونانية .

ثم يمر الزائر من باب من خشب الصنوبر مزخرف بنقوش بارزة ومطعم بصفائح شفافة من العاج ، يرجع تاريخه إلى القرن الحادى عشر للميلاد ، ونقش بأسفله بالخط الكوفى : « العز الدايم والسعادة الدايمة لصاحبها » ، فيجد إلى يمينه حجاب هيكل مار مرقص وهو مطعم بالعاج والأبنوس المنقوش نقوشاً بارزة جميلة ، يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر . وقد نقل من أعلى البرج إلى مكانه الحالى محافظة عليه وقد فقدت بعض حشوات الباب . وعلى يسار الحجاب نافذة تطل على مدخل الحصن الرومانى أى باب الحديد وأمامها « المعمودية » وهى من حجر الجرانيت عليها نقوش على شكل خطوط متكسرة رمزاً للماء فى اللغة الهيروغليفية . ولم تزل بجدران هذه المعمودية الفسيفساء الجميلة التى كانت فى الماضى تزين كل جدران الكنيسة ، ولكنها أزيلت للأسف فى العمارات الأخيرة .

وقد كتب على حجاب هذه المعمودية بالقبطية والعربية اسم المعلم عبيد أبو خزام وتاريخ سنة ١٤٩٣ للشهداء (١٧٧٧ م) مع دعوات أخرى .

ويجد الزائر بعد ذلك هيكلا باسم القديس تكلا هيمانوت الحبشى وفيه صور لبعض القديسين يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادى مع بعض كتابات قبطية من الإنجيل . أما حجاب هذا الهيكل فيرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر وهو مطعم بالعاج المنقوش وفوقه وتحته كتابات بارزة من آيات الإنجيل .

أما الهياكل التى فى صدر الكنيسة فبها مدرجات نصف دائرية وأمامها المنبر الرخامى الدقيق الصنع المرتكز على خمسة عشر عموداً كل عمودين منها من طراز يختلف عن الطراز السابق وأحجبتها محشوة بالنقوش ومطعمة بالعاج .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم يبق من الصور التى كانت فى الزمن الماضى تزين جدران هذه الكنيسة وأعمدتها ، والتى محيت فى أزمنة الاضطهادات ، إلا التى بالجدار الشرقى لهيكل تكلا هيمانوت بجانب المعمودية وصورة شماس على أحد الأعمدة التى تفصل الخورس القبلى عن صحن الكنيسة .

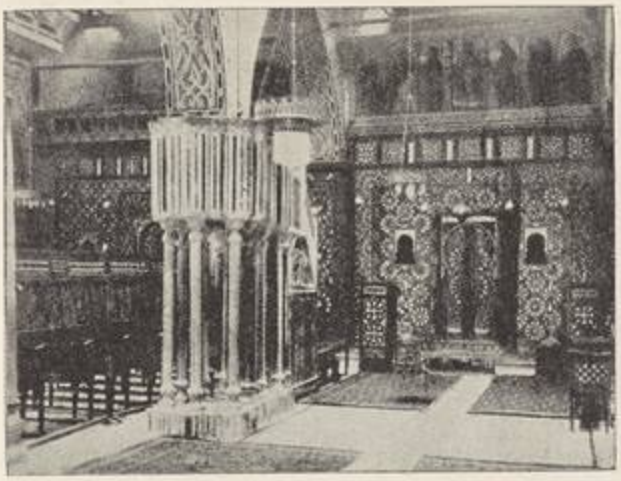

كنيسة المعلقة من الداخل . وترى أحجبة الهياكل فى صدر الكنيسة وهى مطعمة بالعاج والأبنوس بدقة ورشاقة . كما ترى المنبر الرخامى الدقيق الصنع المرتكز على خمسة عشر عموداً كل عمودين منها من طراز يختلف عن الطراز السابق .

وقد ذكر الأب فانسليب الذى أوفده لويس الرابع عشر ملك فرنسا لدرس حالة كنائس وأديرة القطر المصرى حوالى سنة ١٦٧١ م ، أنه رأى على أحد جدران كنيسة المعلقة كتابة بخط يد عمرو بن العاص يوصى بها المسلمين بألا يتعرضوا لهذه الكنيسة بأذى .

ومما يذكر بمناسبة هذه الكنيسة ، أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، استحضر الأنبا ابرآم البطريرك الثانى والستين سنة ٩٦٩ م وطلب منه نقل جبل المقطم عملا بما جاء بالإنجيل : « لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل » (متى ١٧ : ٢٠) .

فوقع البطريرك فى حيرة ما بعدها حيرة ولكنه رجع إلى ربه وقضى ثلاثة أيام فى الصلاة والصوم ، ويؤثر أن السيدة العذراء ظهرت له فى رؤيا وطمأنته . ويذكر التاريخ أنه فى اليوم المحدد حصل فعلا زلزال شديد تشقق منه المقطم ، فأكرم الخليفة ذلك البطريرك ، وسمح له بترميم هذه الكنيسة وإعادة بناء كنيسة أبى السيفين أيضاً .

وتعتبر كنيسة المعلقة أهم الكنائس القبطية فناً وجمالا وصناعة . ففى أبوابها المحشوة المطعمة بالعاج والأبنوس بدقة ورشاقة وهندسة ونظام ، وفى هيا كلها المصنوعة من خشب الصنوبر المخروط والمحشو ، وفى صورها المشرقة وفى منبرها البيزنطى الرشيق بدائع تستحق عناية الفنان .

رموز كنائس مدينة مصر :

وهناك رموز كثيرة تستحق الوقوف عندها .

فالحمامة فى الرسوم الكنائسية طائر يرمز به إلى الطهارة والوداعة وقد أراد الفنان بوضعه فى صور كثيرة من صور هذه الكنائس أن يشير إلى هذا المعنى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما الكرمة والكرام فتشير إلى السيد المسيح و إلى الكنيسة المسيحية التى أسسها و يرعاها .

أما غصن الزيتون فرمز السلام الذى أراد السيد المسيح أن تنتشر مبادئه فى هذا العالم بتعاليم الإنجيل .

أما الزعف وغصون النخيل فرمز النصر فى مواقف كثيرة من مواقف المسيحية .

وأما الصليب ، وهو شعار المسيحية الأول ، فيرمز إلى مفتاح الحياة ، وهو مشتق من الرمز المصرى القديم « أونخ » ☥ الذى يعرف أيضاً باسم مفتاح النيل .

أما بيض النعام الذى يعلق فى الكنائس والجوامع أيضاً فرمز الثبات فى العقيدة لما يؤثر عن هذا الحيوان من أنه يظل ثابتاً أمام بيضة فى الصحراء ينظر إليه باستمرار حتى يفقس فإذا تحول نظره عنه فسد البيض .

أما الأعمدة فى الكنائس وكان عددها فى الأصل اثنى عشر عموداً فيرمز بها إلى تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر الذين قامت على أكتافهم و بمجهوداتهم الكنائس المسيحية وانتشرت فى العالم .

أما الزيوت والطيب فيرمز بها إلى الحالة النفسية التى يجب أن تكون عليها نفس المؤمن .

أما أحجبة الهياكل فى الكنائس القبطية فترجع فكرتها إلى ما كان متبعا فى معابد قدماء المصريين من فصل الهيكل عن الجماهير ، ثم استعملت بعد ذلك لحماية القبط من القتل حين كان يعتدى عليهم فى الطرق العامة من إخوانهم المصريين الذين اعتنقوا الإسلام ، فمجرد التجاء القبطى إلى الهيكل كان يكفى لوقف زميله عن قتله سواء لتأثير قديم فى نفس المعتدى أو غير ذلك من الاعتقادات القديمة . ولذا يلاحظ أن أحجبة الهياكل لا توجد فى الكنائس الغربية قط إنما توجد فقط فى الكنائس المصرية .

كنيسة أبى سرجه

شيدت هذه الكنيسة فى المكان الذى أقامت به العائلة المقدسة ، عائلة السيد المسيح ، لما هربت إلى مصر من وجه هيرودوس ملك اليهود المعين من قبل روما . ولهذا السبب يحج إليها الزائرون من جميع أنحاء العالم المسيحى . ولا يزال هناك مغارة على عمق عشرة أمتار تقريباً تحت منسوب سطح الشارع الخارجى يقال إن العائلة المقدسة أقامت فيها مدة وجودها بمدينة مصر . وقد حولت هذه المغارة الآن إلى كنيسة صغيرة طولها ستة أمتار وعرضها خمسة أمتار وارتفاعها متران ونصف متر تقريباً ، وبها صفان من الأعمدة الرخامية يقسمانها إلى ثلاثة أقسام : فى القسم الأيمن مذبح بتجويف فى الحائط القبلى عليه صليب بارز ومعمودية فى الشرق ، وفى القسم الأوسط مذبح بتجويف فى الجدار الشرقى ، وفى القسم الأيسر مذبح بتجويف فى الجدار البحرى . ويحتفل فيها كل سنة بتذكار دخول السيد المسيح أرض مصر فى ٢٤ بشنس الموافق أول يونيو .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبالمغارة سلم يؤدى إلى الهيكل البحرى ، وبهذا الهيكل بئر ، وحجابه من الخشب المطعم بالسن البسيط كتب على بابه بالقبطية والعربية آيات وأدعية . ومما يلفت النظر النسيم العليل الذى ينتشر فى جو هذ المغارة صيفاً وشتاء .

وفوق هذه المغارة تقوم كنيسة أبى سرجه ، وقد أنشئت فى أواخر القرن الرابع باسم القديس سرجيوس الذى استشهد فى عهد الإمبراطور مكسيميان سنة ٢٩٦ م . ويبلغ طولها ٢٧ متراً وعرضها ١٧ مترا وارتفاعها ١٥ مترا تقريباً ، وهى على عمق ثلاثة أمتار من منسوب الشارع الخارجى . ولا تقل فى الأهمية عن كنيسة المعلقة من الوجهة التاريخية والفنية .

وتقع هياكل هذه الكنيسة فى القسم الشرقى وتحت هذا القسم توجد « المغارة » . ويحيط صحن الكنيسة من الجهات الشمالية والجنوبية والغربية ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية لا يزال ظاهراً على بعضها صور القديسين . وترتبط هذه الأعمدة ببعضها من أعلى بعوارض خشبية مكتوب عليها آيات من المزامير بالقبطية والعربية . ويغطى صحن الكنيسة والهيكل الأوسط جملون من الخشب ، أما الهيكل الشمالى فقد شيدت فوقه قبة مرتفعة .

وكان الدور العلوى المحيط بصحن الكنيسة مخصصاً للسيدات ، أما الآن فقد خصص لهن القسم الشمالى لصحن الكنيسة . ويرى الزائر بهذه الكنيسة كثير من الأيقونات الكبيرة الحجم ، وأحجبة الهياكل المطعمة بالعاج البسيط والمنقوش عليها آيات عربية وقبطية من الإنجيل وأدعية كثيرة أخرى . ويرجع تاريخ هذه الأحجبة إلى القرن الثالث عشر . وتقع المعمودية إلى غرب صحن الكنيسة . ويقابلها الهيكل الأوسط وداخله مذبح تعلوه قبة من الخشب مرتكزة على أربعة أعمدة مزينة بالصور . وخلف المذبح مدرّج نصف دائرى من الرخام كان يجلس عليه القسوس حسب درجاتهم أثناء قراءة الرسائل وبأعلى المدرّج كرسى البطريرك . والجدار المحيط به مزين بالفسيفساء . وبصحن الكنيسة منبر رخامى يرتكز على عشرة أعمدة جدد حديثاً .

كنيسة الست بربارة

كانت الست بربارة ابنة ديفوروس أحد أغنياء مدينة نيكوميديا بآسيا الصغرى . وقد اعتنقت المسيحية على يد العلامة أوريجانس المصرى فى أوائل القرن الثالث الميلادى . وكان أبوها وثنياً يعبد الأوثان ، فعابت على أبيها عبادته لها فغضب عليها وقتلها .

وقد شيدت هذه الكنيسة فى القرن الرابع الميلادى باسم هذه السيدة الشهيدة داخل حصن بابيلون . ويبلغ طولها ٢٦ مترا وعرضها ١٤٫٥ مترا وارتفاعها ١٥ مترا . وهى تعد من أجمل كنائس الأقباط . وقد تهدمت فى القرن العاشر الميلادى وأعاد بناءها هى وكنيسة أبى سرجه المذكورة سابقاً الوزير يوحنا ابن الأبح أو الأمح وزير أحد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الخلفاء الفاطميين . ويروى أنه كانت له حظوة عظيمة عند الخليفة . فاتهمه حساده بالخيانة . ولما تبينت للسلطان براءته أجابه إلى طلبه أن يعيد بناء كنيسة أبى سرجه . وبعد أن بناها تبقى من الأدوات ما يكفى لبناء كنيسة أخرى ، فأعاد بناء كنيسة الست بربارة بدون تصريح من السلطان . فشكاه أعداؤه . ولما تحقق السلطان الأمر حكم عليه بهدم إحدى الكنيستين ، فصار الوزير ينتقل من الواحدة إلى الأخرى ليختار إحداها غير مستقر على حال . ولما أعياه التعب سقط ميتاً . ولما بلغ خبر موته إلى مسامع السلطان عدل عن هدم الكنيسة الثانية قائلا أنا أمرت ببناء الواحدة وقد وهبت الثانية دية له .

وقد عثر العلامة مرقص سميكة باشا على بعض أحجار منقوشة من آثار الكنيسة الأصلية ، كما عثر على باب يعد آية من آيات الفن القبطى فى القرن الرابع ، فنقلها جميعها إلى المتحف القبطى كما نقل أيضاً بعض أبواب وأحد أحجبة العمارة الثانية .

وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم هذه الكنيسة الجليلة وأعادت لها رونقها القديم فغدت من أشهر الكنائس وأجملها .

يحيط بصحنها ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية من الشمال والجنوب والغرب . أما الجانب الشرقى فتقع فيه الهياكل .

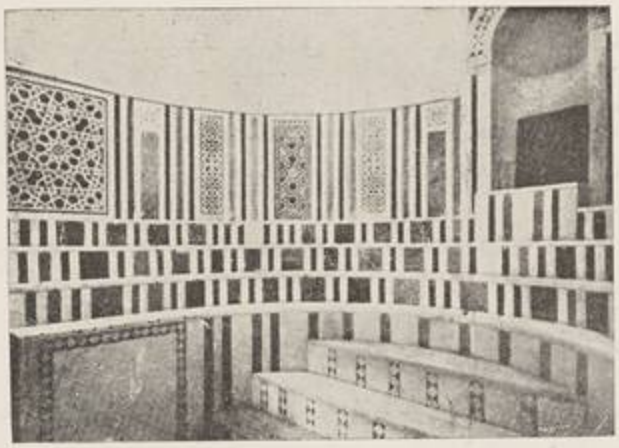

كنيسة الست بربارة
مدرّج نصف دائرى مزين بالفسيفساء خلف المذبح .

ويغطى صحن الكنيسة والهيكل الأوسط جملون . وكان الدور العلوى المحيط بصحن الكنيسة مخصصاً للسيدات . وبهذه الكنيسة كثير من الأيقونات الجميلة والأخشاب المطعمة بالعاج والمنقوش على حشواتها نقوش بارزة وآيات من المزامير بالخط العربى الجميل من القرن الثالث عشر .

وبداخل الهيكل المذبح وخلفه مدرّج مزين أعلاه بالفسيفساء كالموجود فى كنيسة أبى سرجه . وفى صحن الكنيسة يوجد المنبر الرخامى وهو يرتكز على عشرة أعمدة ومزين بنقوش بارزة يتخللها الصليب . وبأرضية الصحن لقان مستدير الشكل .

وتقع بالجهة الشمالية من هذه الكنيسة ، كنيسة أخرى باسم القديسين أبى قير ويوحنا رممتها لجنة حفظ الآثار العربية أيضاً . وبجوارها أيضاً كنيسة مار جرجس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كنيسة مار جرجس المعروفة أيضاً باسم قاعة العرسان

كانت هذه الكنيسة من أجمل كنائس الحصن الرومانى ، شيدها كاتب ثرى اسمه اثناسيوس حوالى سنة ٦٨٤ م ولكنها حرقت لسوء الحظ منذ حوالى تسعين سنة و بنى مكانها كنيسة جديدة ليس فيها شىء يستحق الذكر .

ولم يبق من الكنيسة القديمة إلا قاعة استقبال بخارجها تعرف باسم قاعة العرسان يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر .

و يبلغ طول هذه القاعة ١٥ مترا وعرضها ١٢ متراً وتنقسم إلى درقاعة و إيوانين . بالإيوان القبلى بعض نوافذ من الخشب عليها نقوش بارزة وتزين جدرانه نقوش بارزة من الجبس وعلى سقفها رسوم ملونة .

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإعادة هذه القاعة إلى رونقها القديم .

كنيسة قصرية الريحان

تقع هذه الكنيسة بزقاق بنى حصين . أقام بها البطريرك أنبا خائيل حوالى سنة ٨٦٥ م لما أتى يفاوض الوالى فى أمر خراج الكنائس .

وقد تهدمت وأعيد بناؤها فى القرن الثامن عشر . ويبلغ طول هذه الكنيسة ١٦ متراً وعرضها ١٤ متراً وارتفاعها عشرة أمتار . و يغطى صحنها وهيا كلها قباب من الطوب مرتكزة على أعمدة رخامية . وبها كثير من الأيقونات والأخشاب المطعمة بالعاج البسيط وعليها نقوش وكتابات بارزة .

دير مار جرجس للراهبات :

يقع دير مار جرجس للراهبات بجوار كنيسة قصرية الريحان و إلى يمينها . وبهذا الدير أربعون راهبة . و به مقصورة شاهقة البناء يرجع تاريخها إلى القرن العاشر . طولها ٢٣ متراً وعرضها ٩ أمتار تقريبا . زال سقفها وقد استبدلته لجنة حفظ الآثار العربية بسقف جديد . ولحسن الحظ توجد للآن كثير من نجارتها الأصلية أهمها باب ارتفاعه سبعة أمتار و بجانبه بابان صغيران . جميعها مزينة بنقوش بارزة آية فى الاتقان تمثل طيوراً وحيوانات .

و بجوار هذا الدير باب الحصن الرومانى الغربى وهو مصفح بحديد وله متراس على شكل ضبة كبيرة و يبلغ هنا سمك جدار الحصن مترين تقريباً .

وتقع جميع الكنائس المذكورة سابقا داخل أسوار هذا الحصن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كنائس مدينة مصر الواقعة خارج أسوار الحصن الرومانى .

دير أبى السيفين :

فيما عدا كنائس حصن بابيلون لم يبق من الكنائس القديمة التى ذكرها أبو صالح الأرمنى والمقريزى بمدينة مصر ، إلا أربع كنائس ، ثلاث منها بدير أبى السيفين وواحدة بدير مار مينا .

ويقع دير أبى السيفين بشارع جامع عمرو بقرب مزلقان سكة حديد حلوان . ويحيط به سور عال . وكان له فى الزمن الماضى مدخل واحد بالجهة الغربية بابه من خشب الجميز المصفح بالحديد وقد نقل إلى المتحف القبطى وفتح للدير باب آخر بالجهة الجنوبية .

وكان النيل يصل قديما إلى هذا الموقع . وكان شاطئه يعرف إذ ذاك باسم ساحل الشعير .

ولا يزال اسم الطريق الرئيسى بداخل هذا الدير يعرف لليوم باسم « حارة البطريرك بدرب البحر » . وفى داخل هذا الدير ثلاث كنائس :

(١) كنيسة أنبا شنوده (٢) كنيسة أبى السيفين (٣) كنيسة العذراء الدمشيرية .

وفيه أيضا دير للراهبات على اسم القديس مرقوريوس جدد بناءه الأنبا كيرلس الخامس .

كنيسة أنبا شنوده :

يدخل الزائر من الباب القبلى للدير فيجد على يمينه كنيسة أنبا شنوده ويرجع عهدها إلى القرن الخامس . وقد بنيت على الطراز البازيليكى . ويبلغ طولها ٣٥ متراً وعرضها ١٥ متراً وارتفاعها ١٥ متراً تقريبا . وهى منخفضة مترين عن منسوب سطح الشارع . وتقع هيا كلها فى الجهة الشرقية كالعادة ويحيط بصحن الكنيسة ثلاثة صفوف من الأعمدة الرخامية فى الجهات الأخرى . ويغطى الصحن جملون من الخشب . أما الهيكل الأوسط فوقه قبة من طوب يرجع عهدها إلى القرن الثانى عشر .

وكان بالدور الأعلى المحيط بصحن الكنيسة عدة كنائس صغيرة اندثرت كلها ونقلت أحجبتها إلى كنيستى حارة السقايين والست دميانه ببولاق بأمر الأنبا كيرلس الخامس .

أما الصور والأخشاب المطعمة بالعاج والمذبح والمدرّج الموجودة بهذه الكنيسة فتماثل ما سبق ذكره فى كنائس الحصن الرومانى .

والأنبا شنوده صاحب هذه الكنيسة راهب ولد بقرب أخميم فى أوائل القرن الرابع ووصل إلى مركز رئيس الرهبنة بمصر .

وقد حضر مجمع أفسس الذى عقد سنة ٤٣١ م مع الأنبا كيرلس البطريرك الرابع والعشرين لمحاكمة نسطور المجدّف صاحب المذهب النسطورى المعروف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد عاش الأنبا شنوده ١٢٠ سنة وترك مؤلفات كثيرة عثر عليها بكنيسة الدير الأبيض بسوهاج ، ونقلت إلى دار الكتب الأهلية بباريس .

وقد عنى أميلينو وريفيو من أعضاء المعهد الفرنسى للآثار بمصر بترجمتها ونشرها . وتوجد بمكتبة المتحف القبطى بمصر القديمة نسخة منها الآن .

كنيسة أبى السيفين :

بعد الانتهاء من زيارة كنيسة أنبا شنوده يتجه الزائر إلى كنيسة أبى السيفين .

وأبو السيفين هذا كان ضابطاً فى الجيش الرومانى استشهد حوالى سنة ٣٦٢ م فى عهد الامبراطور يوليانوس الذى جحد الدين المسيحى وارتد إلى عبادة الأوثان بعد أن كان نصرانياً واضطهد المسيحيين .

وترسم صورة هذا القديس بملابسه العسكرية ممتطيا جوادا وقد شهر سيفين فوق رأسه وأخذ يدوس يوليانوس تحت سنابك جواده .

واسم هذا القديس الأصلى مرقوريوس وينتسب إلى عائلة شريفة .

ويبلغ طول هذه الكنيسة ٣١ متراً وعرضها ٢١ متراً وبها أكبر مجموعة صور وايقونات فى كنائس القبط .

أنشئت هذه الكنيسة فى القرن السادس الميلادى ، وتعتبر من أهم كنائس مدينة مصر من الوجهتين التاريخية والفنية . وقد هدمت ضمن ما هدم من الكنائس فى القرن الثامن وحولت إلى شونة قصب ثم أعيد بناؤها فى عصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٩٧٠ م على يد الأنبا ابرآم السريانى البطريرك الثانى والستين وصاحب أعجوبة نقل جبل المقطم التى ذكرناها سابقا . فعقب الزلازل التى حصلت فى هذا العهد وشقت جبل المقطم سمح الخليفة لهذا البطريرك باعادة بناء الكنائس . فأعيد بناؤها على نفقة الشيخ أبى اليمن قرمان بن مينا الذى كان وزيرا فى عهد الأخشيد وأقره المعز فى الوزارة وأولاه ثقته .

وفى سنة ١١٦٨ م أحرقت هذه الكنيسة فى عهد شاور السعدى وزير العاضد لدين الله ثم رممت سنة ١٨٧٦م.

أما عن جمال صور هذه الكنيسة وعن جمال أخشابها المطعمة بالعاج والأبنوس وعن قيمتها الفنية والتاريخية فحدث ولا حرج .

وبعد الانتهاء من زيارة كنيسة أبى السيفين يميل الزائر إلى شماله فيجد دير أبى السيفين للبنات الذى جدد بناءه الأنبا كيرلس الخامس البطريرك الأسبق . وبه مقصورة بديعة وقد وصفه الدكتور بتلر فى كتابه عن الكنائس وصفا بديعا .

ثم يخرج الزائر من الدير ويتجه إلى الشمال الغربى فيجد كنيسة العذراء الدمشيرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كنيسة العذراء الدمشيرية :

سميت بالدمشيرية لأن الذى قام بترميمها فى القرن الثامن عشر أحد أعيان دمشير إحدى قرى مديرية المنيا .

ويبلغ طول هذه الكنيسة ١٩ متراً وعرضها ١١ متراً وارتفاعها ٩ أمتار ويغطى صحنها جملون من الخشب ، أما الهيكل فتغطية قبة من الطوب . وفوق الهيكل القبلى كنيسة مهملة باسم الملاك .

وحجاب هذه الكنيسة من الخشب المطعم بالعاج يرجع تاريخه إلى سنة ١٤٧٧ قبطية (١٧٦١ م) . أما منبرها فخشبى ومثبت بالحائط الشمالى وعلى يساره المعمودية .

وبعد زيارة هذه الكنيسة يتجه الانسان شمالا فى شارع أبى السيفين وشارع الديوره حتى يصل إلى ميدان الطيبى حيث يجد كنيسة مار مينا بفم الخليج

كنيسة مار مينا :

كان الخط الذى تقع فيه هذه الكنيسة الآن يعرف قديماً باسم الحمراء .

قال أبو صالح : كانت الحمراء تقع بين الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة .

واختلف المؤرخون فى أصل هذه التسمية فذهب الكندى إلى أنه اسم القبائل التى كانت تقيم به وهى بنو نبيه وبنو الأزرق وبنو ربيل وكانوا من الروم واليهود ودعاهم عمرو بن العاص « بالحمرا » لأنهم من العجم الذين أسلموا .

وذهب غيره من المؤرخين إلى أن هذا الاسم أخذ عن الراية الحمراء التى نصبت بهذه النقطة عند فتوح العرب ليستظل بها من يريد أن يستأمنهم .

وكانت الحمراوات تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الحمراء القصوى ، والحمراء الوسطى ، والحمراء الدنيا .

أما أنبا مينا صاحب هذه الكنيسة فكان جندياً فى الجيش الرومانى ، ولد فى نقيوس (زاوية روزين بمركز منوف) فى القرن الثالث الميلادى ، وكان والده أودكس حاكماً لإفريچيا ببلاد المغرب .

ولما خالف مينا أمر الإمبراطور دقلديانوس ورفض أن يترك الدين المسيحى ويعبد الأوثان ، قطع رأسه بعد أن سامه العذاب ألوانا وهو ثابت على الإيمان ، ودفن بمريوط ، واكتشف أحد رعاة الغنم بالقرب من ضريحه ينبوع ماء يشفى الأمراض الجلدية المستعصية لم يلبث أن ذاع صيته فكان الناس يؤمونه من كل البلاد للاستشفاء . وكان من بين من شفى منه ابنة أحد ملوك الرومان ، فأنشأ الإمبراطور اركاديوس فى أواخر القرن الرابع على هـذا الضريح كنيسة أنبا مينا التى اشتهرت فى العصر المسيحى وكان يؤمها الحجاج من كافة أقطار العالم . ولا تزال آثارها ماثلة فى ضواحى الإسكندرية الغربية بالقرب من العجمى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويعتبر أنبا مينا من أشهر قديسى الكنيسة القبطية ، وقد شيدت كنائس فى كثير من بلاد القطر المصرى على اسمه أقدمها كنيسة أنبا مينا بمريوط سنة ٣٩٥ م ثم كنيسة مار مينا بفم الخليج فى آخر القرن الخامس وهى موضوع هذا البحث . وقد هدمت هذه الكنيسة وتجددت عمارتها عدة مرات .

ذكر أبو صالح الأرمنى أن كنيسة مار مينا هدمت فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وولاية ابن رفاعة سنة ١٠٦ هـ (٧٢٤ م) وتجددت فى عهد الأنبا يوحنا البطريرك الرابع والسبعين سنة ١١٨٠ م باهتمام أعيان قبط الحمراء .

ثم حرقت فى وزارة شاور السعدى فى الخلافة العاضدية حوالى سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٨ م) وجددت بعد ذلك باهتمام الشيخ الأسعد صليب بن الإيغومانوس .

وقد أدخلت على الكنيسة تعديلات كثيرة فى أزمنة مختلفة أهمها النزول للأرمن عن الجانب الشمالى منها ليقيموا الشعائر الدينية بلغتهم وحسب طقوسهم . وفصل هذا الجانب عن باقى الكنيسة وظل فى حيازة الأرمن إلى أن ردوه بطريق الاستبدال سنة ١٩٢٦ . وقد انتهزت لجنة حفظ الآثار العربية الفرصة وأعادت الكنيسة إلى رسمها الأصلى .

ومن المعلوم أن الأرمن استوطنوا مصر فى القرن الحادى عشر الميلادى فى خلافة المستنصر بالله ووزارة بدر الدين الجمالى الأرمنى الجنس . ذكر أبو صالح الأرمنى أن بطريركى القبط والأرمن اجتمعا بحضور جمع غفير من رجال الدين والأعيان وأعلنا اتفاق الأقباط والأرمن والسريان والأحباش وأهل النوبة فى العقيدة الأرثوذكسية وتنازل القبط للأرمن عن جملة كنائس منها واحدة بدير الخندق لعسكر الأرمن الذين أقطعوا خط الحسينية وكنيسة يوحنا بأعلى العذراء بحارة زويلة والجانب الشمالى لكنيسة مار مينا موضوع هذا البحث .

ومن التعديلات التى أدخلت على هذه الكنيسة عمارة المعلم لطف الله لها سنة ١٧١٠ م وعمارة المعلم ابراهيم وأخيه المعلم جرجس الجوهرى سنة ١٧٧١ م . وكان المعلم جرجس الجوهرى زعيم الأقباط فى زمن الحملة الفرنسية وتوجد صورته مع صور معاصريه الشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ السادات بقصر فرساى بالقرب من باريس . وقد نقلت عنها الصورة الموجودة الآن بمكتبة المتحف القبطى بمصر القديمة .

ويبلغ طول هذه الكنيسة ٢٠ متراً وعرضها ١٥ متراً وارتفاعها ١٣ متراً . وتقع هياكلها فى الجهة الشرقية كالعادة وقد استبدلت أعمدتها الرخامية بأكتاف حجرية بمعرفة لجنة حفظ الآثار العربية لقلة المال اللازم لإعادة حالتها إلى أصلها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويغطى صحن الكنيسة جملون من الخشب . وكان القسم الأعلى المحيط بالصحن مخصصاً للسيدات . وبهذه الكنيسة كثير من الصور والأيقونات القبطية واليونانية . أما منبرها الرخامى وأحجبتها المصنوعة من الخشب المطعم بالعاج فتماثل الصناعة القبطية التى سبق ذكرها فى الكنائس السابقة .

المتحف القبطى :

يقع هذا المتحف بجوار الكنيسة المعلقة بحصن بابيلون بمصر القديمة .

ويدين بوجوده إلى مساعى واهتمام حضرة صاحب السعادة العالم الجليل مرقص سميكة باشا ، الذى بذل واستهان بكل الصعاب حتى وصل إلى تحقيق أغراضه فى إقامة هذا الصرح الضخم الذى يضم الآن البقية الباقية من آثار الفن القبطى الذى كاد يندثر لولا همة هذا العالم الشجاع .

بدأ مرقص سميكة باشا فى جمع ونقل ما عثر عليه من الآثار القبطية من الكنائس والأديرة بمصر القديمة والقاهرة والإسكندرية وبالوجهين البحرى والقبلى سنة ١٩١٠ ، وخصص لعرضها غرفة واحدة بجوار كنيسة المعلقة بموافقة أنبا كيرلس الخامس البطريرك الأسبق . وبمساعده أنبا يؤانس التاسع عشر البطريرك السابق . ثم أخذ المتحف فى الاتساع تدريجاً حتى أصبح الآن مكوناً من أكثر من خمسة وعشرين قاعة أنشئت على الطراز القبطى واستعمل فى بنائها ما جمعه سعادة سميكة باشا من خرائب البيوت القبطية القديمة سواء كانت أسقفاً منقوشة أو مشربيات أو أعمدة رخامية أو فساقى الخ الخ . . .

وقد أنشىء هذا المتحف لسد الفراغ الذى كان ملحوظاً فى سلسلة تاريخ الفن المصرى . ذلك أن المتحف المصرى بقصر النيل يحوى آثار الفن الفرعونى ، والمتحف اليونانى الرومانى التابع لبلدية الإسكندرية يحوى آثار الفن اليونانى الرومانى ، ودار الآثار العربية تحوى آثار الفن العربى الإسلامى ، أما الفن القبطى وهو حلقة الاتصال بين هذه الفنون وبعضها فلم يكن له معهد يجمع أشتات آثاره رغم أهميتها ، فكان لا بد من إنشاء هذا المتحف لتسهيل دراسة الآثار المصرية فى عصورها المختلفة وتتبع تطوراتها مع الزمن .

ولما اكتشف قبر توت عنخ آمون وضاق نطاق المتحف المصرى عن أن يتسع لعرض ما وجد بهذا القبر من الآثار النفيسة ، اقترح سميكة باشا على الحكومة نقل ما بهذا المتحف من آثار العصر اليونانى الرومانى إلى متحف الإسكندرية ، ومن الآثار القبطية إلى المتحف القبطى ليسهل على الزائرين مشاهدة آثار كل عصر على حدة فوافقت الحكومة على ذلك .

وبذا أمكن جمع أشتات الفن المسيحى فى المتحف القبطى وأمكن دراسة هذا الفن وتتبع تطوراته .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تطورات الفن القبطى

يبدأ العصر المسيحى من القرن الرابع الميلادى الذى أصبحت فيه المسيحية دين الحكومة المصرية الرسمى وينتهى فى القرن السابع بعد الفتح العربى لمصر سنة ٦٤١ م .

وتبدو فى آثار هذا العصر مبلغ تأثر الحضارة القبطية بالفن اليونانى المتمصر الذى نشأ وترعرع بمدينة الإسكندرية . فالمسيحية الأولى التى انتشرت بهذه المدينة وانتقلت منها إلى داخلية البلاد ، تأثرت فنونها بطبيعة الحال بفنون هذه المدينة وبذوقها وتشكلت بتشكيلاتها وترى ذلك واضحاً تمام الوضوح فى مبانى هذا العصر وفى زخارفه وفى قبابه وفى جملوناته وفى صوره وفى نجارته وفى منسوجاته وفى فن الصياغة .

هذا مع العلم بأن الفن اليونانى نفذ إلى مصر حتى قبل فتح الإسكندر المقدونى بزمن طويل ، فى أيام الأسر الفرعونية الأخيرة التى استعانت باليونان فى بعض مصالح الدولة وكونت منهم وحدات فى الجيش المصرى . فبسبب وجود هؤلاء اليونان بمصر كان الفن اليونانى معروفاً لهذه البلاد ، ولكنه كان مصبوغاً بصبغة محلية مصرية .

وكانت هناك عمارات ومبانٍ وهياكل ومعابد مشيدة على هذا الطراز المختلط مثل هيكل بيتوسيرس بدروه بقرب ملوى . ثم ازداد هذا الفن نفوذاً على الخصوص مدة حكم البطالسة الذى بدأ قبل الميلاد بثلاثة قرون واستمر بعد أن أصبحت مصر إقليماً تابعاً للأمبراطورية الرومانية . فحلت اللغة اليونانية محل اللغة المصرية فى مصالح الحكومة ، واختلطت الألفاظ اليونانية بالألفاظ المصرية ، واستبدلت الرموز الهيروغليفية بحروف يونانية عدا سبعة حروف تمثل أصواتاً غير موجودة فى اللغة اليونانية ، وترك المصريون فى مبانيهم الطراز الفرعونى الفخم وأعمدة الجرانيت الهائلة والأسقف الحجرية وأخذوا يقيمون مبانى أقل فخامة ذات أسقف خشبية وقباب ويستعملون أعمدة رخامية متوسطة الحجم كانوا يجلبونها من الخارج أو أعمدة من الحجر الجيرى .

وقد عرف هذا الفن فى تاريخ العمارة باسم الفن القبطى .

وظل الفن القبطى هذا حتى القرن السابع الميلادى يونانى الصبغة أدخل عليه تعديل يسير مما ورثه القبط بالتناقل عن أسلافهم قدماء المصريين . فاتخذوا مثلا الأنخ ☥ أى علامة الحياة عند قدماء المصريين أول شكل للصليب ، ورسموا العذراء تحمل الطفل يسوع كما كان قدماء المصريين يرسمون الإلهة إيزيس تحمل طفلها هورس ، ورسموا مار جرجس ممتطياً جواداً وهو يطعن الشيطان بشكل تنين كما كان قدماء المصريين يرسمون الإله هورس ممتطياً جواداً وهو يدوس ست إله الشر تحت أقدام جواده .

ولما فتح العرب مصر فى القرن السابع الميلادى بدأ نفوذ هؤلاء القوم يحل بمصر محل نفوذ الروم ، فحلت اللغة العربية فى مصالح الحكومة محل اللغتين اليونانية والقبطية اللتين استمرتا مستعملتين فى المعاملات الخاصة فقط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى القرن الثالث عشر بطل استعمالها فى المعاملات الخاصة أيضاً إلا فى القرى البعيدة من بلاد الصعيد حيث استمرتا مستعملتين إلى القرن الثامن عشر .

يذكر المقريزى أن نساء القبط فى الصعيد كنّ فى وقته لا يتكلمنّ سوى القبطية وكنّ يُجدن معرفة اللغة اليونانية أيضاً .

أما فى الوقت الحاضر فقد اقتصر استعمال القبطية واليونانية على صلوات القداس فى الكنائس فقط ، وقد بدأوا فى بعض الكنائس يتلون جزءاً من هذه الصلوات باللغة العربية ، فإذا استمر الحال على هذا المنوال لا بد للغة القبط من الاندثار ما لم تتداركها يد الأقدار .

وأن ننس فلا ننسى أن نذكر هنا ، إنه بفضل هذه اللغة ، تمكن شامبوليون من حل طلاسم اللغة الهيروغليفية ، ونشر للعالم أسرار المدنية الفرعونية التى تفاخر بها مصر العالم المتمدين الآن .

على أن الفنون المصرية أخذت منذ الفتح العربى تتدهور تدهوراً محسوساً حتى العصر الطولونى حيث انتعشت قليلاً . فلما فتح الفاطميون مصر فى نهاية القرن العاشر الميلادى هبت بهذه البلاد نهضة غريبة فى جميع فروع الفن ، وتلاحظ ذلك جيداً فى الزخارف وصور الأشخاص والطيور والزهور والنباتات التى لم تزل محفوظة فى الآثار التى نقلت من الكنائس القبطية القديمة إلى المتحف القبطى . فتجد صوراً تمثل رجالاً يصطادون الغزال والخنزير البرى والأرانب ، كما تجد على حجاب كنيسة الست بربارة القديم نقوشاً تمثل رجالاً يمتطون الخيول ويصطادون الفهد والغزال ويستعينون فى الصيد بالصقور والكلاب ، وتجد أيضاً على الأخشاب المنقولة من كنيسة دير البنات بمار جرجس نقوشاً تمثل أشخاصاً يعزفون على آلات الطرب ويرقصون ويلعبون ألعاباً رياضية إلى غير ذلك .

ومن ابتداء العصر الأيوبى منع استعمال صور الأشخاص والحيوانات والطيور فاستعاض الفنانون عن ذلك بأشكال هندسية لا تدخل تحت حصر ووصلوا بها إلى درجة عظيمة من الاتقان .

ومع ذلك فمن المعروف أن فنون العصر المسيحى بمدينة مصر القديمة فنون ضعيفة متأخرة لا يمكن مقارنتها بفنون مصر الفرعونية ، ولا بفنونها اليونانية والرومانية ، وذلك لما انتاب البلاد من الفقر بسبب مساوىء الحكم البيزنطى وانصراف الناس عن الأعمال النافعة إلى المشاحنات الطائفية والمناقشات الدينية العقيمة ، وازدادت الحالة سوءاً فى القرنين الأولين من العصر الإسلامى بسبب طمع وسوء تصرف بعض الولاة الذين كان يوفدهم الخلفاء الأمويون والعباسيون لحكم مصر .

ولما نهضت البلاد نهضتها الملحوظة فى عهد الطولونيين والفاطميين والأيوبيين والشراكسة واستتب الأمن فيها وساد العدل وارتقت الزراعة والتجارة وزادت الثروة ، تقدمت الفنون إلى درجة الكمال كما يشاهد ذلك فى المبانى والجوامع والمساجد والكنائس والقلاع التى ترجع إلى هذه العهود .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد قام سميكة باشا بجمع آثار هذه القرون وما سبقها ، وتتبع تطورات الفن القبطى فى خلالها ، ورتبها ترتيباً بديعاً جذاباً فى المتحف القبطى الذى يشمل الأقسام الآتية :

القسم الأول : خاص بالمكتبة التى أنشئت سنة ١٩٢١ بمناسبة زيارة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول رحمه الله للمتحف القبطى يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ وبها مجموعة من المخطوطات القبطية الثمينة المحلاة بالزخارف الجميلة ، وأغلب الكتب التى ظهرت بمختلف اللغات عن تاريخ الأقباط ولغتهم وديانتهم . . . ويقع هذا القسم بالدور الأرضى للمتحف .

القسم الثانى : خاص بأحجار عليها نصوص قبطية عبارة عن شواهد قبور وأحجار كانت مستعملة فى بناء الكنائس بها نقوش بارزة تمثل أشخاصاً وطيوراً وحيوانات وزهوراً ونباتات . ويقع بالدور الأرضى من المتحف .

القسم الثالث : خاص بالمعادن من فضية ونحاسية ويشتمل على أوان وأبواب وصلبان وقناديل وشمعدانات وتقع بالدور العلوى من المتحف .

القسم الرابع : خاص بالأقمشة والمنسوجات القبطية والملابس الكهنوتية المزركشة والستور الحريرية المطرزة بالدور العلوى من المتحف .

القسم الخامس : خاص بالآثار الزجاجية والخزفية وأغلبها من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر مما عثر عليه فى أطلال الفسطاط . بالدور العلوى من المتحف .

القسم السادس : خاص بأشغال النجارة على اختلاف أنواعها وأهم ما بها أبواب خشبية وأحجبة بها نقوش بارزة تمثل صور القديسين والشهداء والطيور والنباتات والزهور وهناك كذلك مجموعة من الخزائن والأبواب والصناديق المطعمة بالعاج بأشكال هندسية بديعة بالدور العلوى من المتحف .

القسم السابع : خاص بالصور والأيقونات ويقع بالدور الأرضى من المتحف .

وهناك أيضاً قاعة الأثاث وقاعة الأبواب الملحقتان بقسم الأخشاب وهى بالدور الأرضى .

وبحديقة المتحف سلم يؤدى إلى الباب القبلى للحصن الرومانى والبرجين العظيمين المقامين على جانبيه تحت كنيسة المعلقة .

هذه هى مدينة مصر وفنها فى العصر المسيحى .

أما فى العصر العربى فقد انتقلت الحضارة المصرية إلى العواصم الإسلامية الجديدة التى سنتكلم عنها تباعاً فيما يلى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السادس

مدينـــة الفسطاط

جاء عمرو بن العاص القائد العربى إلى مصر فى فرسان أربعة آلاف بايعوا أنفسهم على نزعها من يد الروم . وكان أكثر من مع عمرو من الجند من قبيلة « عك » و إن كان الكندى يقول إن ثلث الناس كانوا من « غافق » . ويرى ابن دقماق أنه كان مع جيش العرب جماعة ممن أسلم من الروم والفرس الذين كانوا باليمن . ولعل هؤلاء جاءوا فيما بعد مع الأمداد التى طلبها عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب لاقتحام حصن بابيلون .

كان عمرو بن العاص تاجراً فى الجاهلية ، وكان يختلف بتجارته وهى الأدم والعطر إلى مدينة مصر ومدينة الاسكندرية ، فكان ملماً ، والحالة هذه ، بطرق هذه البلاد ومسالكها وأحوالها السياسية والاجتماعية . فلما أسلم فى السنة السابعة أو الثامنة للهجرة وأسندت إليه قيادة الجيوش ، كان على بينة من أمر مصر وضعف جيشها ونفسية جنودها واضطهاد أهلها على يد المقوقس ، هذا البطريرك الملكانى المعين من قبل هرقل ملك الروم والياً على حكومة مصر ورئيسا للسلطة الدينية والمدنية فيها .

كان عمرو بن العاص يعرف جيداً أن هذا الحاكم الغشوم عسف فى الحكم حتى صار اسمه مفزعا للقبط كريها عندهم .

كان عمرو يعرف جيداً أن جيش مصر مكون من كتائب من المرتزقة ومن جنود القبط المتذمرين ، وأن مجرد ظهور جيش العرب سوف يخلق جواً يمهد له السبيل لفتح هذه البلاد ، ولذا لم يتردد فى مهاجمتها بفرسانه الأربعة آلاف المسلحين بالدروع والسيوف فقط ، مع ما أظهره الخليفة عمر بن الخطاب من الخوف والفزع أمام هذه المجازفة الخارقة للعادة .

أما القبط فما إن بلغهم خبر الحركة العظيمة التى ثارت فى بلاد العرب وهزت مدائن بلاد الشام هزاً ، حتى خطر بقلوبهم عند ذلك أن الخضوع للمسلمين قد يخفف من الآلام التى نغّصت عليهم حياتهم ، وأن نير المسلمين قد يكون أخف حملا من نير الملك المسيحى هرقل ملك الروم ، فرأوا فى مجىء المسلمين نازلة أرسلها الله لينتقم لهم بها من ظالميهم . ولذا قاموا بمساعدة جيوش عمرو ضد جيوش الروم فى احتلال بلادهم .

وهكذا دفع سوء الحكم بالبلاد المصرية إلى مأزق ما أضيقه ! !

ولكنها جناية هرقل ملك الروم وجناية المقوقس هذا الرومى المتمصر ! ! فانهما كانا بعملهما يمهدان السبيل لمطلع جنود الاسلام .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد كان استقلال القبط فى أمور الدين أكبر ما تتعلق به نفوسهم فى هذا العصر المسيحى المتأخر، لأن استقلالهم القومى كان قد ضاع منذ انتهاء العصر الفرعونى سنة ٣٣١ ق . م . وبقوا مدة ألف سنة تقريباً يرزحون تحت نير اليونان وتحت حكم الرومان والبيزنطيين إلى أن جاء العرب .

وصل عمرو بن العاص بجيوشه من الشام إلى العريش واحتلها سنة ١٨ هـ ثم تابع سيره إلى الفرما فهزم جيوش الروم بها ، ومن ثم سار إلى بلبيس فاستولى عليها ثم إلى أم دنين فاستولى عليها أيضاً ثم تقدم إلى حصن بابيلون فحاصره ثمانية أشهر ثم فتحه فى أبريل سنة ٦٤١ م وعقد مع المقوقس صلحاً على أن يدفع المصريون الجزية بمقدار دينارين عن كل شخص ما عدا الشيوخ والصبيان والنساء ، وذلك نظير تركهم أحراراً فى عباداتهم . أما من يسلم فإنه يعفى من الجزية .

فتحت جيوش عمرو بن العاص إذن مصر فتحاً سهلا ممهداً ، فلما تم لهم احتلال الإسكندرية سنة ٦٤١ م ، أحب عمرو أن يتخذها مقراً له لا سيما وأنها كانت مقر الحكم فى عهد الروم وكانت بها قصور كثيرة خلت من أصحابها الذين فروا أمام العرب الغزاة إلى بلاد الروم ، تاركين قصورهم وممتلكاتهم غنيمة باردة للفاتحين . فكانت الاسكندرية إذن أخائذ . من أخذ من العرب منزلا سكن فيه هو وبنو أبيه . ورأى عمرو أن بيوتها وبناءها مفروغا منها وهمّ أن يسكنها وقال : « مساكن قد كفيناها » .

ولكن الخليفة عمر بن الخطاب كتب إليه يقول : « لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم شتاءا ولا صيفاً » .

فعاد عمرو إلى حصن بابيلون على أن يبنى للمسلمين مدينة فى السهل الذى يلى الحصن الرومانى أى فى السهل الواقع بين الحصن وبين جبل المقطم وكان موضع عسكره حين محاصرته للحصن .

موقع الفسطاط

وقد راعى عمرو فى اختيار هذا الموقع لبناء عاصمة الإسلام الأولى بمصر ما كان يراعيه القدماء فى انتخاب مواقع عواصم الانقلابات السياسية والاجتماعية ، وهى أن تكون عند رأس الدلتا تشرف على جميع طرق الملاحة فى فروع النهر السبعة وعلى جميع طرق القوافل فى الصحراء . ويسهل انتقال الجيوش منها إلى أى جهة فى الوجه القبلى أو الوجه البحرى براً وبحراً ما دامت فى مركز متوسط بين الوجهين ، وذلك لقمع أى فتنة فى البلاد ضد النظام الجديد .

صحيح أن عمرو أراد ، لسهولة الاتصال ببلاد العرب ، أن يبنى العاصمة الجديدة على البحر الأحمر بجوار مدينة القلزم مكان مدينة السويس الحالية ولكنه عدل عن هذه الفكرة وأقامها بجوار حصن مدينة مصر القديمة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لما تبين ما فى هذا الموقع من مزايا لحكم هذه البلاد ، مع إمكان الوصول منه إلى بلاد العرب بالسهولة المطلوبة عن طريق القوافل التى تخترق الصحراء إلى القلزم ، وقدعرفت هذه الطريق فيما بعد باسم درب الحج . وتكاد تكون هى طريق مصر — السويس الحالية .

تخطيط مدينة الفسطاط

وقد روى البلاذرى أن الزبير هو الذى اختط المدينة الجديدة واتخذ فيها لنفسه داراً وجعل فيها السلم الذى صعد عليه إلى سور الحصن واقتحمه بواسطته . وبقى هذا السلم بدار الزبير حتى احترق .

ولكن لا شك فى أن الذين خططوا المدينة وبنوها كانوا من مهندسى القبط ، إذ لم يكن عند ذلك فى العرب من له علم بفن إنشاء المدن ولا دراية به .

ومن الجلى أن اسم الفسطاط الذى سميت به المدينة الجديدة اسم أعجمى . وقد قيل فى سبب تسميتها بهذا الاسم إنها شيدت فى المكان الذى عسكر فيه عمرو بجنوده ، حين محاصرته لحصن بابيلون ، وكان قد ضرب فيه فسطاطه أى خيمته . ولذا سميت المدينة الفسطاط أى مكان خيمة عمرو . وهناك رواية أخرى عن سبب هذه التسمية وهى أنه لما أتم عمرو فتح الحصن ، وشرع فى المسير إلى الإسكندرية لفتحها ، وجد يمامة قد باضت فوق الفسطاط ، فأمر جنوده أن يتركوا الفسطاط فى مكانه حتى يتم فقس البيض . فترك الفسطاط فى مكانه وعرف المكان لذلك باسم الفسطاط .

ولكن الأرجح أن يكون اسم الفسطاط مشتقاً من كلمة « فوساتم » وهى كلمة رومية معناها « الحصن » ويكون معنى مدينة الفسطاط مدينة الحصن .

وإنه لمن البعيد أن تكون مدينة الفسطاط قد جعلت عند تخطيطها مدينة عظيمة ، أو أنه كان يقصد منها أن تكون عاصمة للمسلمين تضارع عواصم مصر القديمة .

كلا ! فكل ما فى الأمر أن بقاء الجنود فى الحصن كان قد أفسد حالهم ونغّص عليهم عيشهم .

وما كان من العدل ولا من المستحسن أن يُخرج المسلمون أهل مصر من ديارهم ليحلوا فيها محلهم .

وعلى ذلك فقد رأى العرب أنهم يستطيعون البناء خارج أسوار الحصن ، لا يخافون شيئاً بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

بنى عمرو بن العاص إذن مدينة الفسطاط فى السهل الواقع بين الحصن وجبل المقطم متبعاً القواعد التى وضعها قدماء المصريين فى تخطيط مدنهم وهى إنشاء المعبد أولا ثم إنشاء مرافق المدينة ومساكن الأهالى حوله .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فاختط فى أول الأمر مسجداً صغيراً أبعاده لا تزيد عن ٥٠ × ٣٠ ذراعا يقوم مكانه الآن جامع عمرو بن العاص الفسيح بمصر القديمة . وبعد ذلك أذن للقبائل أن تختط حول الجامع . فانضمت القبائل بعضها إلى بعض ، وتنافسوا فى المواضع ، فولى عمرو على الخطط معاوية بن جديح التجيبى وشريك بن سمى وعمرو بن قحزم الخولانى وجبريل بن ناشرة المعافرى ، فأنزلوا الناس فى أماكنهم المعينة وفصلوا بين القبائل و بعضها .

وهكذا نشأت الفسطاط فى أول أمرها على النظام الذى اعتاده العرب فى الصحراء ، لكل قبيلة خطة منفصلة عن سواها ، وهذا النظام يشبه نظام النجوع الذى نراه إلى الآن فى مدينة أسوان وفى ناحية السنانية مقابل دمياط .

ولما كان من حسن الاحتياط ، أن يتمكن العرب من الالتفاف حول مركز رئيسى بأسرع ما يمكن إذا هوجموا مهاجمة مفاجئة ، أقام عمرو لنفسه داراً فى شرق المسجد الجامع وسط هذه النجوع المتفرقة ، وترك أمامها فضاءا أى ميداناً واسعاً لموقف دواب الجند من خيل وجمال وحمير . فكان من السهل على العرب الالتفاف حول قائدهم الأعلى عند اللزوم .

وقد سميت دار عمرو هذه الدار الكبرى ، وكان مدخله إليها من بابها القبلى فى زقاق عرف بزقاق القناديل .

وقد ذكر الكندى هذا الزقاق وقال : « إنه وسم بزقاق القناديل لأنه كان منازل الأشراف وكان على أبوابهم القناديل » .

وقيل : إنما قيل له زقاق القناديل لأنه كان برسمه قنديل يوقد على باب عمرو .

ثم أقام عمرو لابنه عبد الله داراً أخرى بملاصقة داره ، عرفت أيضاً باسم دار عمرو الصغرى .

واتخذ الزبير بن العوام داره فى غرب هذه الدار .

ولم يتخذ عمرو للامارة داراً مخصوصة بل نزل بداره . واستمر كل أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلى زمن معاوية . ولكن عمرو شيّد بالفسطاط بيتاً للمال ، وجعل من مسجده مقراً لرئيس القضاة ومجلساً ومجمعاً للعلماء ، تماماً كما كان يفعل قدماء المصريين فى معابدهم .

وعمرت مدينة الفسطاط بعد سنة واحدة من إنشائها واتسعت حتى عمت الفضاء الفسيح المعروف فى جنوب القاهرة والمحدود من الشرق بسفح جبل المقطم ومن الشمال بالخليج المصرى عند ميدان السيدة زينب وجبل يشكر ومن الغرب بالنيل الذى كان يمر إذ ذاك محل شارع مار جرجس تحت الحصن الرومانى وتحت جامع عمرو ومن الجنوب ببركة الحبش وقرية دير الطين . وقد قصدها الناس من كل جانب . وكثرت فيها الدور

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

يزاحم بعضها البعض حول الجامع وعلى مقربة من قصر الشمع . وأطلق عليها اسم فسطاط مصر ، وكانت تسمى أحيانا الفسطاط فقط وأحيانا أخرى مصر وصارت عاصمة هذه البلاد المصرية .

وكانت دورها تتخللها دور كثيرة لجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مبانى الفسطاط

ولم يكن البنيان فى أول الأمر منيعاً ولا مرتفعاً ، إذ كانت البيوت طبقة واحدة فى الارتفاع ، تبنى من اللبن ، ثم علا فيها البناء حتى صار إلى طبقات أربع أو خمس على غير استواء ولا نظام تدعمها أحجار وأعمدة رومانية لا شىء فيها من الزينة ولا من جمال التنسيق .

ذكر أن خارجة بن حذافة ، ابتنى مشربة أو طنفاً أى غرفة فوق سطح منزله وكتب عنها إلى عمر . فأمر عمر بأن يدخلها عمرو بن العاص وينصب فيها سريراً ويقيم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، فإن اطلع من كواها على عورات جيرانه هدمها . ففعل ذلك عمرو ولم يبلغ الكوى فأقرها . وهذه أول طنف بنيت بالدور الثانى بالفسطاط .

و بنى عثمان بن قيس السهمى داراً لضيافة الناس ، فكانت أول ما بنى من دور الضيافة بمصر .

مواقع الخطط بمدينة الفسطاط

قلنا إن عمراً أذن للقبائل أن تختط حول الجامع ، وأنه ولى معاوية بن جديج وآخرين على الخطط ، فأنزلوا الناس فى المواقع المعينة لهم وفصلوا بين القبائل و بعضها على النظام الذى اعتاده العرب فى الصحراء .

و إليك الآن مواقع الخطط والقبائل المختلفة :

أولاً — خطة أهل الراية وكانت تقع على مقربة من جامع عمرو وتمتد إلى قصر الشمع .

قال المقريزى : أهل الراية جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وأسلم وغير ذلك ، و إنما سموا أهل الراية ونسبت الخطة إليهم ، لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان ، فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته ، فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها إلى أحد ، فقال : يكون موقفكم تحتها ، فكانت لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم المخصص لحصر الجنود والغنائم وتوزيعها على مستحقيها يعقد تحت هذه الراية .

ثانياً — خطة مهرة — وكانت تقع فى الجنوب الشرقى من خطة أهل الراية . وكان لهذه القبيلة خطة أخرى على جبل يشكر مكان قلعة الكبش الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثالثاً — خطة تجيب — وكانت تجىء بعد خطة مهرة فتكون إلى الجنوب الشرقى منها إذ كان من بين دروبها ، درب المصوصة الذى يؤدى إلى شرقى قصر الشمع أى الشمال الشرقى منه .

رابعاً — خطط لخم وكانت تشمل ثلاثة مواقع :

الموقع الأول فيما يلى أهل الراية مباشرة نحو الشمال فتكون فى الشمال الشرقى من الجامع .

والموقع الثانى فى شرقى دير الملاك القبلى بمصر القديمة .

والموقع الثالث غير بعيد منها .

خامساً — خطة اللفيف وكانت تلاصق خطة أهل الراية .

سادساً — خطط أهل الظاهر وكانت تمتد شرقى لخم فى الشمال الشرقى حتى موقع حائط مجرى العيون الحالى .

سابعاً — خطة وعلان وكانت تقع إلى جنوب قصر الشمع .

ثامناً — خطط الفرس وكانت تقع على مقربة من المرتفعات الصخرية المعروفة باسم جبل الرصد أو جبل اصطبل عنتر .

وكانت قبائل الفرس تشمل بنى وائل وراشده ولهم إلى اليوم مسجد يعرف بمسجد الفارسيين أو مسجد سيدى العجمى بدير الطين .

وكان خليج بنى وائل متصلا ببركة الحبش وكانت بساتين بنى وائل تقوم على شواطىء هذه البركة وقد بقى اسمها فى اسم قرية البساتين الحالية .

ويظهر أنه كان للفرس خطة أخرى بالقرب من جبل يشكر حيث جامع ابن طولون الآن أعنى على الأرض التى أقيمت عليها مدينة العسكر فيما بعد .

تاسعاً — خطط خولان وكانت تشمل موقعين :

الموقع الأول جنوبى قصر الشمع .

والموقع الثانى فى مكان الكوم المشرف على مصلى خولان التى كشفت عنها حفريات الفسطاط .

عاشراً — خطة المعافر وكانت تقع على الشرف أو جبل الرصد المطل على بركة الحبش ومكانه اليوم جبل اصطبل عنتر .

حادى عشر — خطط الروم واليهود وهم الذين أطلق عليهم اسم الحمراء . وكانت خططهم الثلاث تلى الواحدة الأخرى وتمتد من جامع عمرو حتى جبل يشكر . وهذا الجبل مسمى باسم قبيلة بنى يشكر التى سكنته . ويقع عليه الآن جامع ابن طولون . وكانت قبائل الروم واليهود تعرف باسم بنى نبيه وبنى الأزرق وبنى ربيل . وكانت

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

خططهم تعرف باسم الحمراء القصوى والحمراء الوسطى والحمراء الدنيا . ومكانها اليوم الخط الذى يقع فيه دير مار مينا بميدان الطيبى بقسم مصر القديمة .

ثانى عشر — خطط القبط وقد أسكنهم عمرو قصر الشمع .

هذا ولم تكن الخطط كلها للسكن بل كان بينها ما خطط للتعليم كخطة عبد الرحمن بن ملجم فإنها أعطيت له بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، يتخذها منزلاً ليعلم الناس القرآن .

وكان عبد الرحمن قد قرأ على معاذ بن جبل باليمن ثم انتقل إلى مذهب الخوارج . وهو الذى قتل على ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

وكانت خطة كل قبيلة قائمة على انفرادها منعزلة عن غيرها متوزعة فى السهل ، وكانت الخطط تمتد من النيل فى الغرب حتى عين الصيرة فى الشرق ومن جبل يشكر فى الشمال حتى الشرف وجبل الرصد أو جبل اصطبل عنتر فى الجنوب . وكان أكثرها التصاقا ما كان على مقربة من الجامع ومن قصر الشمع .

وبنيت فى الفسطاط الحمامات ، وأول حمام منها بناه عمرو بن العاص ، ورآه الروم فاستحقروه وقالوا يصلح للفأر فصار يسمى حمام الفأر .

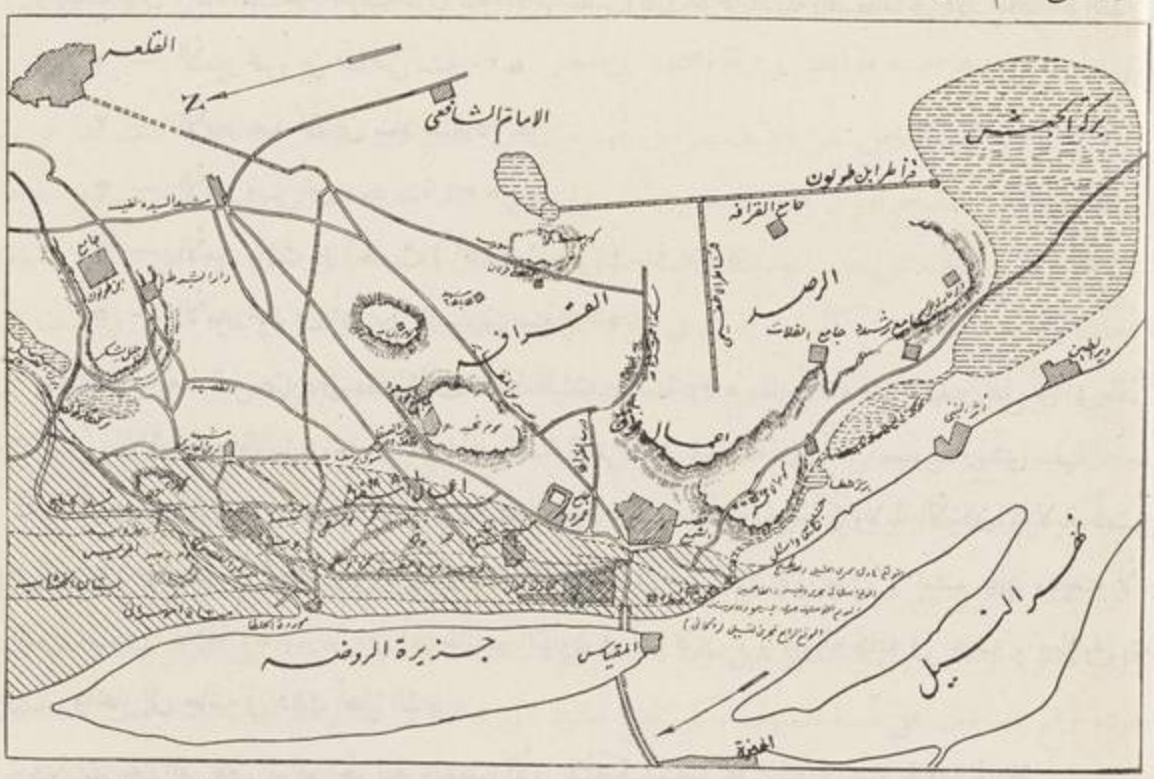

رسم يبين موقع شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة فى عصر الفتح العربى بالنسبة لموقعه فى العصر الحالى . وترى بركة الحبش وخليج بنى وائل وجبل الرصد وأهم المعالم الأخرى . كما تفهم منه مواقع الخطط بمدينة الفسطاط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما حمامات الروم فى مدينة مصر القديمة فكانت ديماسات كبارا واسعة ذات ثلاث طبقات يدخل من الأولى إلى الثانية ثم إلى الثالثة .

ولبث المسلمون مقيمين فى الفسطاط لا ينتشرون فى القرى إلى ما بعد عصر الصحابة والتابعين . وكانوا يلتزمون القصد والاعتدال فى عيشهم لأنهم كانوا منصرفين إلى الجهاد والفتح .

هذه كانت حالة الفسطاط فى القرن الأول الهجرى ، ولـكنها بعد ذلك ، اتسع نطاقها على توالى القرون ، وارتقت حالها فاستبدلت خططها بغيرها واتسعت حدود الخطط وتلاصقت مبانيها حتى نشأ عن مجموعها مدينة واحدة بلغت أوج كمالها ، حوالى القرن الرابع الهجرى .

وظلت مدينة الفسطاط عاصمة البلاد المصرية من سنة الفتح إلى سنة ١٣٢ هـ حين زالت دولة بنى أمية وخلفتها الدولة العباسية . فبنى ولاة مصر من قبل العباسيين إلى الشرق من الفسطاط ضاحية جديدة سموها العسكر ، وصارت العسكر مقر ولاة مصر إلى سنة ٢٥٤ هـ .

أمراء الفسطاط فى عهد الخلفاء الراشدين

و إليك الآن أسماء الحـكام العرب الذين تولوا الأمر بمصر وكان مقرهم بمدينة الفسطاط فى عهد الخلفاء الراشدين:

١ — الأمير عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ
٢ — الأمير عبد الله بن سعد سنة ٢٥ هـ
٣ — الأمير قيس بن سعد سنة ٣٦ هـ
٤ — الأمير مالك بن الحارث (الاشتر النخعى) سنة ٣٧ هـ
٥ — الأمير محمد بن أبى بكر الصديق سنة ٣٧ هـ

ومن المعلوم أنه لما قتل عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين سنة ٣٥ هـ ، بايع كثير من المسلمين على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء على الخلافة ، ولـكن معاوية بن أبى سفيان أحد كتاب الوحى فى أيام النبى ، وأحد قواد الجيش العربى فى حروب الشام ، وحاكم ولاية الأردن وولاية دمشق وما يتبعها فى عهد عمر بن الخطاب ، ثم حاكم بلاد الشام كلها فى عهد عثمان بن عفان ، امتنع عن مبايعته لأنه كان يرغب فى الخلافة ، فاتهم على بن أبى طالب بالتهاون فى أمر عثمان ، و بايوائه قتلته فى جيشه ، وطالبه بدم عثمان . وانحاز إلى جانبه فى ذلك أهل الشام .

ودارت بين الفريقين المواقع الحربية وانتهى الأمر بالتحكيم وخلع على وتثبيت معاوية فى الخلافة .

فتولى معاوية خلافة المسلمين واتخذ دمشق عاصمته للخلافة . أما قبل ذلك فكانت المدينـة المنورة حاضرة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وظلت كذلك فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان ، فلما ولى على الخلافة ، انتقل إلى الكوفة وجعلها مقر خلافته . ولما آل الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان ، اتخذ دمشق عاصمة لملكه ، كما قلنا واستمرت كذلك طوال حكم الدولة الأموية .

عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص أول الحكام العرب الذين تولوا الأمر بمصر بعد أن زال حكم الروم عنها وخضعت للمسلمين ، فشرع ينظم شؤونها ويصلح أحوالها ويرفع ظلم الروم عنها ، وعنى بالزراعة ، وحفر الترع ، وأقام المقاييس فى النيل ، وفرض الضريبة التى تتناسب مع ثروة السكان وكانت تقدر باثنى عشر مليوناً من الدنانير أو خمسة ملايين من الجنيهات المصرية وهو نصف ما كان يجبيه الروم . ومهد الطرق البرية فانتعشت التجارة وتوثقت العلائق التجارية بين مصر والأمم الشرقية . وحفر الترعة القديمة التى كانت تصل النيل بالبحر الأحمر وسماها خليج أمير المؤمنين ، وتمتعت البلاد فى عهده بعدل شامل ، لما أنشأه من المحاكم ، واستتب الأمن لعناية الحكومة به ، وأحب المصريون حكم العرب لاشتراكهم سوياً فى إدارة شئون البلاد .

وقد وسع عمرو حدود مصر فأرسل عبد الله بن أبى السَّرْح عامله على الوجه القبلى فغزا بلاد النوبة ، وضرب عليها الجزية وغزا هو نفسه طرابلس وبرقة وضمهما إلى مصر .

ثم عُزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر فى عهد عثمان بن عفان لأن مطامع هذه الدنيا كانت قد غررت به وعصفت بقلبه فاستباح أموال بعض المصريين واستولى عليها . فلما بلغت الشكوى من ذلك مسامع الخليفة عثمان خلعه وولى مكانه على مصر عبد الله بن سعد سنة ٢٥ هـ فكان ذلك سبباً فى تألب عمرو على الخليفة واتهامه له بمحاباة أقاربه وأنصاره . ثم كثر خلع الولاة فى خلافة عثمان فانتشرت الثورة والفتنة فى بلاد العرب وامتدت إلى الأقاليم . فلما قتل عثمان سنة ٣٥ هـ وشرع فى انتخاب خليفة له ، انقسم المسلمون على أنفسهم ، فبايع قوم علياً بن أبى طالب وامتنع عن بيعته آخرون — معظمهم من بنى أمية ، قبيلة عثمان ، أو ممن كانوا ينتمون إليه — وكان على رأس هؤلاء طلحة والزبير ومعاوية بن أبى سفيان ، حاكم الشام من قبل عثمان .

ولما اشتد الأمر بينهم خرج معاوية بن أبى سفيان لمحاربة على فى موقعة صفين ، فانضم عمرو بن العاص إلى صفوف معاوية وحارب إلى جانبه أربعين يوماً ، انهزم فى آخرها معاوية وكاد يلجأ إلى الفرار ، لولا أنه أمر جنوده برفع المصاحف على أسنة السيوف ، كى يخدع جنود على برغبته فى تحكيم القرآن . فلما رفعت المصاحف امتنع جنود على فعلا عن مواصلة الحرب . وانتهى الأمر بين الطرفين على أن ينتخب كل منهما حكماً ليتفاوضا فى شروط الصلح .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فانتخب معاوية ، عمرو بن العاص . وانتخب على ، أبا موسى الأشعرى ، وتم رأى الحكمين على أن يخلع كل صاحبه ، و يعاد انتخاب الخليفة من جديد .

ولما جاء وقت إعلان رأيهما ، خدع عمرو أبا موسى . فأعلن أبو موسى خلع على ، وأعلن عمرو تثبيت معاوية فاضطرب حال المسلمين ، وقرر فريق من جيش على أن يخرجوا عليه وعلى معاوية لأنهما فى رأيهم سبب انقسام المسلمين و إضطراب شئونهم فسمى هؤلاء بالخوارج ، فانصرف على إلى محاربتهم وانتصر عليهم .

واتفق فى ذلك الوقت ثلاثة من هؤلاء الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو . فنجح عبد الرحمن بن ملجم صاحب خطة التعليم بالفسطاط المذكورة سابقاً فى قتل على بن أبى طالب وهو قائم لصلاة الفجر سنة ٤٠ هـ بينما فشل زميلاه الآخران . وهكذا خلا الجو لمعاوية بن أبى سفيان فتولى خلافة المسلمين وأسس الدولة الأموية وكان قد أعاد عمرو بن العاص على ولاية مصر سنة ٣٧هـ ، فاستمر والياً عليها حتى توفى بعد أن جاوز الثمانين ودفن بالمقطم سنة ٤٣هـ ولا يزال قبره مجهولا .

أمراء الفسطاط فى عهد دولة بنى أمية

و إليك الآن أسماء الحكام العرب الذين تولوا الأمر بمدينة الفسطاط فى عهد دولة بنى أمية .

١	— الأمير	عمرو بن العاص	سنة ٣٧ هـ	١٤ — الأمير	محمد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ
٢	— «	عقبة بن أبى سفيان	« ٤٣ هـ	١٥ — «	الحر بن يوسف « ١٠٥ هـ
٣	— «	« « عامر	« ٤٥ هـ	١٦ — «	حفص بن الوليد « ١٠٨ هـ
٤	— «	مسلمة بن مخلد	« ٤٧ هـ	١٧ — «	عبد الملك بن رفاعه « ١٠٩ هـ
٥	— «	سعيد بن يزيد	« ٦٢ هـ	١٨ — «	الوليد بن رفاعه « ١٠٩ هـ
٦	— «	عبدالرحمن بن جحدم	« ٦٤ هـ	١٩ — «	عبد الرحمن بن خالد « ١١٧ هـ
٧	— «	عبد العزيز بن مروان	« ٦٥ هـ	٢٠ — «	حنظلة بن صفوان (ثانياً) « ١١٨ هـ
٨	— «	عبد الله بن عبد الملك	« ٨٦ هـ	٢١ — «	حفص بن الوليد («) « ١٢٣ هـ
٩	— «	قرة بن شريك	« ٩٠ هـ	٢٢ — «	حسان بن عتاهية « ١٢٧ هـ
١٠	— «	عبد الملك بن رفاعة	« ٩٦ هـ	٢٣ — «	حفص بن الوليد (ثالثاً) « ١٢٧ هـ
١١	— «	أيوب بن شرحبيل	« ٩٩ هـ	٢٤ — «	حوثرة بن سهيل « ١٢٨ هـ
١٢	— «	بشر بن صفوان	« ١٠١ هـ	٢٥ — «	المغيرة بن عبيد الله « ١٣١ هـ
١٣	— «	حنظلة بن صفوان	« ١٠٢ هـ	٢٦ — «	عبد الملك بن مروان « ١٣٢ هـ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ظل هؤلاء الولاة يحكمون بالفسطاط طول عهد الدولة الأموية التى مكثت ٩٥ سنة هجرية تقريباً ، لم يكف خلالها بنو هاشم — أهل بيت النبى وعلى بن أبى طالب — عن السعى لاسترداد الحكم من بنى أمية ، فكانوا يواصلون السعى سراً خوفاً من بطش الأمويين بهم ، يعاونهم الفرس ، إلى أن دب الضعف فى الدولة الأموية ، فأخذ بنو هاشم يعدون العدة للقضاء عليها ، فتم لهم ذلك فى موقعة اشتبكوا فيها مع مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين قرب الموصل فانهزم وفر إلى مصر ، فاقتفوا أثره وقتلوه .

و بموت مروان بن محمد انقضى حكم الدولة الأموية ، فقامت من بعدها الدولة العباسية التى تنتسب إلى العباس ابن عبد المطلب ، عمّ النبى صلى الله عليه وسلم . وأول خلفائها أبو العباس عبدالله السفاح . وكانت بغداد حاضرتها .

وأهم ما تمتاز به الدولة العباسية انطباعها بالطابع الفارسى ، وسبب ذلك معاونة الفرس فى قيامها ونشأتها ، بينما كانت الدولة الأموية عربية النشأة لاعتمادها فى قيامها على العرب دون غيرهم .

و بعد أن استقرت أحوال مصر فى يد عمرو بن العاص للمرة الثانية سنة ٣٧ هـ فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ، واستتبت أمورها ، أقام المسلمون فيها حكومة عادلة ، عاملت القبط ، أغلبية سكان القطر إذ ذاك ، معاملة مبنية على العدل والتسامح حتى شعر المسيحيون بالفارق الكبير بين حكام الروم وحكام المسلمين الذين امتاز أغلبهم برعاية القبط والحدب عليهم ، ولم يشذ من هؤلاء الحكام سوى نفر قليل أخصهم بالذكر عبد الله بن الحبحاب عامل يزيد بن عبد الملك على خراج مصر ؛ فقد أمر هذا الحاكم فى سنة ١٠٤ هـ (٧٢٢ م) بتحطيم الصور المقدسة فى كنائس النصارى ، ولقد أدى ذلك إلى تمرد القبط فى الفسطاط وغيرها و إعلانهم العصيان وامتنعوا عن دفع الخراج . حقيقة أن هذا التمرد سرعان ما قمع ولكنه كان يتجدد بين آونة وأخرى حتى اضطر ابن الحبحاب أن يجلب نحواً من خمسة آلاف عربى أقامهم بمصر يخضدون من شوكة القبط .

مدينة الفسطاط فى العصر الأموى :

وقد اتسعت مدينة الفسطاط وارتقت حالها على عهد الخلفاء من بنى أمية ، و بقيت مقراً للأمراء الذين بعث بهم الأمويون إلى مصر .

قال القلقشندى : ولم يكن على أيام هؤلاء الأمراء دار خاصة للامارة ، إلا أن عبد العزيز بن مروان الذى كان أمير مصر من قبل أخيه عبد الملك اتخذ له داراً تعلوها قبة مذهبة . وكانت هذه الدار فسيحة جداً حتى سموها المدينة . ومن ثم يظهر أن بعض الأبنية التى شيدت فى ذلك العصر بلغت من الكبر والزخرف حداً عظيماً .

ولقد جاء مصر فى العهد الأموى اثنان من خلفائهم وهما مروان الأول ومروان الثانى آخر خليفة أموى الذى هبط بعد هزيمته أمام خصومه العباسيين فى واقعة الزاب الأكبر المشهورة . وقد أقام فى طريقه فترة فى الفسطاط

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثم أمر بإشعال النار فى دار الامارة وفى الجسر الذى كان يصلها بجزيرة الروضة وفر إلى الضفة الغربية للنيل . ولكن احتياطاته ذهبت عبثاً لأن القائد العباسى صالح بن على بن عبد الله بن عباس ورجال خراسان عثروا بسرعة على وسائل عبور النيل ودهمته جيوش العباسيين فى بلدة بوصير بإقليم الجيزة حيث لقى حتفه فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ وعمره سبعون سنة وحملوا رأسه وطافوا بها المدن لكى يرى الناس أن الخلافة قد انتقلت من البيت الأموى إلى بيت أبى العباس الهاشمى أول خلفاء الدولة العباسية .

ولم يرض رجال العباسيين بالسكن فى بيوت الفسطاط بعد أن عبثوا بالمدينة ونهبوا مساكنها وفتكوا بأهلها بل قرروا إنشاء عاصمة أخرى جديدة لدولتهم فى مصر . وصدر الأمر إلى صالح بن على الوالى الجديد بالتخلى عن دار الإمارة بالفسطاط و ببناء الحاضرة الجديدة لدولة العباسيين بمصر .

فأقامها سنة ١٣٣ هـ حيث كان معسكره إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط . وعرفت هذه الحاضرة الجديدة باسم مدينة العسكر . وصارت العسكر مقر ولاة مصر إلى سنة ٢٥٤ هـ . ولكنها لم تكن فى الواقع سوى ضاحية جديدة لمدينة الفسطاط .

مدينة الفسطاط فى العصر العباسى

ظلت الفسطاط حتى بعد تأسيس مدينة العسكر مركزاً ممتازاً للصنائع والحرف والتجارة . وكان يطلق على طرقاتها اسم شارع أو حارة أو درب أو زقاق تبعاً لعرض هذه الطرقات واتساعها وطولها .

وكانت الأسواق بمعزل عن بعضها البعض ، يطلق عليها اسم أرباب الحرفة أو الصنعة التى تباع فيها مصنوعاتهم ، فيقال مثلا : سوق العطارين ، وسوق السماكين ، وسوق القشاشين ، وسوق المغربلين كما هو الحال اليوم فى مدن الشرق كله .

وكانت الخطط تنسب إلى صنعة من الصنائع أو تجارة من التجارات . وقد تنسب لبعض الجوامع أو الكنائس .

وكانت القاعدة المتبعة ، منع السير فى الطرقات ليلا بواسطة إغلاق أبواب الدروب ، إلى أن كانت سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) رأى الأمير يحيى بن داود عامل مصر ، أن يبطلها من الفسطاط .

وكان لأبواب الدروب مصراعان اكتشفت بعض آثارها فى حفريات الفسطاط .

وعند تلاقى بعض الشوارع كانت توجد رحاب صغيرة وهى عبارة عن اتساع ملتقيات بعض الدروب .

وما كان أوسع وأفسح من ذلك كان يسمى ميادين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكانت بعض الأسواق والشوارع تضاء بالقناديل نهاراً لأنها مسقوفة لا يصل إليها النور ، كما يشاهد ذلك الآن فى الأسواق القديمة أو القيساريات ببعض المدن كأسوان وسواها ، وذلك لاتقاء حرارة الشمس صيفاً وتلطيف الجو حيث يزداد ازدحام المارة .

قال ابن حوقل الذى زار مصر فى القرن الرابع الهجرى سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) يصف الفسطاط : « والفسطاط مدينة حسنة ، ينقسم النيل لديها ، وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ، ومقدارها نحو فرسخ ، وعلى غاية العمارة والطيبة واللذة ، ذات رحاب فى محالها ، وأسواق عظام فيها متاجر فخام ولها ظاهر أنيق و بساتين نضرة ومتنزهات على ممر الأيام خضرة » .

ولما أخذت الدولة العباسية فى الضعف ، جعل خلفاؤها يجلبون الأتراك من الولايات التركية بوسط آسيا ، و يستخدمونهم فى حكومتهم و يستعينون بهم فى الدفاع عن أنفسهم ، ضد أبناء جنسهم العرب ونصرائهم الفرس. وقد نال هؤلاء الأتراك الحظوة عند الخلفاء العباسيين ، وصاروا يقلدونهم أهم وظائف الدولة ، و يولونهم حكومات الأقاليم التابعة لهم .

ومن هؤلاء أحمد بن طولون منشىء الدولة الطولونية بمصر . فقد انتخبه باكباك ، حاكم مصر من قبل الخليفة العباسى المتوكل ، قائداً للقوة العسكرية فى الفسطاط ، ولكن أحمد بن طولون لم يقنع بهذا المركز ، بل عمل على أن تكون له الكلمة العليا فى مصر . فتم له ما أراد منذ موت باكباك وتولية برقوق مكانه . وكان برقوق والد زوجة أحمد بن طولون فأطلق يده فى إدارة شؤون مصر وحكمها .

أخذ عندئذ أحمد بن طولون يجمع لنفسه جيشاً قوياً مدرباً ، ولما تم له ذلك وجد أن الفسطاط وضاحيتها العسكر لا تتسعان لإقامة جيشه وسكن حاشيته ورجال دولته ، فشرع يبنى عاصمة جديدة بين الفسطاط وجبل المقطم . وأسماها القطائع لأنه أقطعها لحاشيته ورجال جيشه وعماله ومن يتبعهم ، وأسكن كل طبقة منهم قطعة سميت باسمها . و بنى لنفسه فيها قصراً عظيماً تقع القلعة الآن مكانه ، وكانت تتصل بهذا القصر حديقة غناء وميدان فسيح لسباق الخيل . و بنى داراً للحكومة ومستشفى للمرضى وخط فى مدينة القطائع الشوارع والطرقات ثم شيد مسجده الشهير المعروف لليوم باسم جامع ابن طولون .

ولما عظمت قوته انسلخ عن الدولة العباسية واستقل نهائياً بالبلاد . فاتسعت مدينة القطائع وانتشرت فى كل اتجاه حتى أصبحت هى ومدينة العسكر ومدينة الفسطاط مدينة واحدة متلاحقة المبانى متصلة العمران . وقد أطلق على هذه المدن الثلاث فيما بعد اسم مدينة مصر أو اسم مدينة مصر الفسطاط . وهكذا عاد اسم مدينة مصر الأصلى القديم إلى الظهور مرة ثانية . على أن اسم مصر فى الواقع ظل مقترناً باسم مدينة الفسطاط منذ تأسيسها ، فكان يقال لها أيضاً فسطاط مصر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مدينة الفسطاط فى عصر الفاطميين والأيوبيين :

جاءت على الفسطاط أيام كانت فيها مدينة جليلة زاهرة نامية ، ثم عصف بها الدهر فتغيرت أحوالها وزالت محاسنها وأصبحت خرائب غير معمورة سويت بالأرض ، فاندثرت خططها وعفا رسمها واضمحل ما بقى منها وتغيرت معالمه . ولم يبق منها سوى المسجد الذى يحمل اسم عمرو . وهكذا تحولت عاصمة الإسلام الأولى بمصر إلى أكوام من التراب وتلال من القاذورات وظل تاريخها غامضاً حقبة من الزمان ، حتى كشف العالم الأثرى الجليل المرحوم على بك بهجت بين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٢٠ عن آثارها وشرحها فى كتابه النفيس « حفريات الفسطاط » فأزاح الستار عن هذه الغوامض وأخرج للناس صورة واضحة لما كانت عليه هذه المدينة الجليلة فى عهدها الزاهر ثم تابع تطوراتها مع الزمن فرسم خططها ودرس هندسة دورها ومميزاتها وصناعاتها ونظام توزيع المياه فيها وغير ذلك حتى أصبحت معالم الفسطاط القديمة واضحة ظاهرة بفضل هذا المجهود الضخم العظيم .

وقد حاولنا هنا متابعة تطورات هذه المدينة مسترشدين بالنتائج الباهرة التى وصل إليها هذا العالم القدير فى كشف حفائر هذه المدينة ، ونحاول الآن الاستمرار فى تتبع تطورات هذه المدينة فى عصر الفاطميين والأيوبيين .

عرفنا مما سبق بعض تطورات المدينة فى عصر الخلفاء الراشدين وفى العصر الأموى والعصر العباسى أما فى عهد الفاطميين فقد كان تأسيس مدينة القاهرة الضربة القاتلة التى صوبت إلى نحر الفسطاط . صحيح أن الخلفاء الفاطميين اتخذوا القاهرة مقراً لهم ولحاشيتهم دون سواهم ، وصحيح أنهم جعلوها مدينة ملكية منفصلة عن الفسطاط تبعد عنها حوالى فرسخ إلى الشمال . صحيح أن الشعب والعسكر والتجار والصناع ظلوا يسكنون فى الفسطاط دون القاهرة ، ولكن كل ذلك لم يمنع ظهور عوارض الضعف على الفسطاط كلما ارتقت القاهرة وتقدمت . فلما أتى اليوم الذى سمح فيه صلاح الدين الأيوبى للناس بالانتقال إلى القاهرة طغت موجات الهجرة فتدهورت الفسطاط وسقطت .

نسب المقريزى سقوط الفسطاط إلى سببين : السبب الأول هو الغلاء الفاحش الذى حل بالبلاد أيام الشدة العظمى فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى . والسبب الثانى هو حريق الفسطاط فى وزارة شاور بن مجير السعدى سنة ١١٦٨م. ولكن الواقع أن أحوال الفسطاط تراجعت بعد الحريق حتى قاربت ما كانت عليه قبل الشدة ، وكل ما لوحظ أن مساحة المدينة الأصلية قلت عن ذى قبل ، ولكن موضع العسكر والقطائع وظاهر الفسطاط مما يلى القرافة كان قد تلاشى تماماً ولم يبق مكانه إلا الكيمان المنتشرة إلى موقع بركة الحبش القديمة بجوار قرية البساتين فى جنوب مدينة القاهرة الحديثة .

قال ناصرى خوسرو يصف الفسطاط سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٦ م) : « حينما يرى الإنسان من بعيد مصر الفسطاط يظن أنها جبل ، ففيها دور من أربع عشرة طبقة ، وأخرى من سبع طبقات . وقد سمعت من ثقة أن بعض

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الناس كان له بستان على سطح دار له من سبع طبقات . فأصعد إلى هذا السطح عجلا صغيراً ، وغذاه حتى أصبح ثوراً ، وركب فى السطح ساقية يديرها الثور ، فصعد الماء إلى السطح الذى غرس فيه شجر البرتقال من الحلو والمالح ، واللوز ، وأشجار أخرى مثمرة ، وزرع فيه الأزهار والرياحين من سائر الأنواع . »

ولكن ما يلفت النظر فى وصف هذا السائح الفارسى ، إنما هو كثرة الثروة فى الأسواق ، والازدحام فيها وجمال الأعياد التى حضرها حيث يقول :

« لو وصفت هذه الأعياد لما وسع كثيراً من الناس أن يصدق كلامى ، ويرمينى بالمبالغة والإغراق ، فإن حوانيت القصابين والصياغ والحوانيت الأخرى مفعمة بالذهب والحلى والبضائع والأقمشة من الحرير والقصب لدرجة لا يجد فيها المشترى محلا يجلس فيه » .

وختم هذا الوصف بقوله :

« رأيت بمصر ثروة جسيمة ، وأموالاً جمة ، لو هممت بوصفها ، لما صدق أحد من سكان بلاد العجم كلامى . »

ومع ذلك ، لم تكن هذه المدينة التجارية تصلح للسكنى ، فإن ابن رضوان المصرى الطبيب الخاص للحاكم بأمر الله فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) قابل بينها و بين القاهرة من حيث الصحة والنظافة فقال :

« وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية ، ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنانير والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط الناس ، فى شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء .

ومن شأنهم أيضاً ، أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها ، وحرارات كنفهم تصب فيه . وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء .

وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط .

وهى أيضاً كثيرة الغبار لسخانة أرضها ، حتى إنك ترى الهواء فى أيام الصيف كدراً يأخذ بالنفس ، و يتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد .

و إذا مر الإنسان فى حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير .

و يعلوها فى العشيات ، خاصة فى أيام الصيف ، بخار كدر أسود وأغبر ، لاسيما إذا كان الهواء سليما من الرياح » .

وهذه الصورة المنفرة ، ربما كانت هى السبب فى تنقل العاصمة من مكان إلى مكان نحو الشمال والبحث وراء الموقع الذى يمكن أن تهب منه الرياح الشمالية . وقد قيل إن الخليفة المعز انتقد جوهر القائد على اختياره موقع القاهرة لأن مكانها لم يعجبه فقال له : « فاتك بناء القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف » . وهو يعنى بذلك الشرف الذى عليه الرصد بجوار بركة الحبش . و يريد بذلك مكانا أطيب هواء من موقع العاصمة القديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

على أن بعض خطط الفسطاط لم تكن لتخلو من الرياح الطيبة ولا تجرد عن العفونات ، كما يصفها ابن رضوان ، فإن الجانب الذى يصفه يوافق وسط الأسواق ، ومراكز التجارة ، حيث يبلغ فيها الزحام أقصاه وذلك فيما جاور الجامع والنيل .

أما الخطط الجميلة التى يذكرها ابن حوقل ، فلا شك فى أنها كانت تمتد إلى الشرف ، و إلى حافة بركة الحبش التى كانت على أيام الخلفاء الفاطميين مفعمة بالمناظر العديدة البديعة .

وأما ما جاور الفسطاط فكانت تكثر فيه البساتين الواسعة .

وقد أتى ابن سعيد المغربى على وصف ما بلغته المدينة من العظمة التجارية والصناعية حتى بعد أن ابتدأ أفول نجمها فقال :

« و بمدينة الفسطاط مطابخ السكر ومطابخ الصابون ومسابك الزجاج ومسابك الفولاذ ومسابك النحاس ومعامل القاشانى والفخار والصينى والوراقات مما لا يعمل فى القاهرة ولا فى غيرها من الديار المصرية » .

ولقد كانت كثرة الميرة والحبوب ، فى مطامير الفسطاط ، سبباً فى رخاء العيش فيها ، رخاء يزيد على ما كان عليه الحال فى القاهرة ، لأن القاهرة كانت مسكناً للكبراء ومقراً للأمراء ، ولجنود الخليفة الفاطمى فقط .

وفى ذاك الوقت ، كانت ترى أطلال خطط الفسطاط التى هجرت فى شمالى المدينة وشرقيها .

ولقد زار ابن سعيد المغربى الفسطاط فركب إليها من باب زويلة حماراً . ولكنه لم يبلغها حتى شاهد منظراً محزناً قال يصفه :

« ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسواراً مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة . ودخلت من بابها (باب الصفا) وهو دون غلق ، مفض إلى خراب معمور بمبان سيئة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، وقد بنيت من الطوب الأدكن ، والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة . وحول أبوابها من التراب والأزبال ما يقبض نفس النظيف ، و يغض طرف الظريف » .

هذه هى الحالة التى كانت عليها الفسطاط فى العصر الفاطمى ومع مرور الزمن تكدست الأنقاض شيئاً فشيئاً فوق هذه الأطلال الدارسة ، بحيث لم يمض غير قليل حتى تكونت هذه الكيمان العالية ، التى نراها ماثلة فى جنوب القاهرة حتى اليوم .

ومن هذه الكيمان كانت تؤخذ مواد البناء التى يمكن الانتفاع بها فى الأبنية الجديدة من آجر وخشب وأبواب و بلاط وغير ذلك . تماماً كما كانت الحالة أيام إنشاء الفسطاط حين نقلت أنقاض منف للانتفاع بها فى بناء العاصمة الجديدة .

وهكذا فالتاريخ يعيد نفسه ، وسبحان من له البقاء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

دور الفسطاط

وكانت دور الفسطاط ذات حيشان متوسطة تمتاز بأن الغرف كانت تحيط بالحوش بنظام متماثل ، وتتكون من شكل هندسى قائم على محورين متعامدين يلتقيان فى وسط الحوش وتختلف الغرف المحيطة به فى المقاس والنسب. وفى كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات ، تختلف فى الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ويفصلها عنهما كتفان مبنيان بالآجر . وفى سمت الرواق ، القاعة . وهى غرفة كبيرة يزيد طولها عن عرضها . وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان . منعزلتان عنها .

وفى الجوانب الثلاثة الأخرى من الحوش فى محور كل جانب أواوين تختلف فى الامتداد إلى الداخل ، فتتكون منها تارة قاعات وطوراً ، وهو الأغلب ، أواوين صغيرة أو صفف .

ولم يعرف بالضبط على أى حال كان يعيش النساء فى أوائل الفتح الإسلامى. وفى العهدين العباسى[1] والطولونى وهل كانت لهن غرف خاصة فى دور الفسطاط أم لا ؟ وكل ما وصل إلى علمنا هو أن الغرف لم تكن معدة لغرض مخصوص ، كما هو الحال فى بيوتنا الآن . فإن القاعة الكبيرة ، والرواق ، والأواوين بل والصحن ، كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين تبعاً لأوقات النهار والفصول .

غير أن المحتمل هو وجود دار للحريم وتخصيص مكان على انفراد لهن فى جميع المساكن الفسيحة المشيدة فى الأراضى المتسعة . وهذا التخصيص ظاهر جداً فى بيوت الأمراء والأكابر . ومن هذا القبيل اتخاذ أحمد بن طولون داراً خاصة بحريمه بجزيرة الروضة .

وكان بجوار السوق الكبيرة زقاق سده قراقوش الأفرمى وأضافه إلى داره من شرقيه وجعله مدخلاً خاصاً إلى حريم داره .

وكانوا يجهزون الطعام على مواقد من الطين يوقدونها فى الحوش أو فى حجرة صغيرة .

وكانوا ينزلون بأسس المنازل إلى الصخر . وكانت الأسس تبنى بالدبش ومونة الطين أو الطين والجير . كما كانت تبنى بالآجر ومونة الجير والرمل وقد يضاف إليها القصرمل أو الحمرة .

كما كانت تبنى أساسات بعض منازل الطبقات الفقيرة من اللبن .

أما حوائط المنازل فكانت تبنى بالآجر الأحمر الداكن المتجانس وهو مستوفى الحريق شديد الصلابة شكله مستطيل ، ومتوسط أبعاده ٠٫٢٢ × ٠٫١١ × ٠٫٠٦٥ متر ، يبنى على مداميك أفقية مقطوعة الحلوق بمونة الطين أو الطين والجير فى المبانى الحقيرة . ومونة الجير والرمل بنسبة ٢ : ١ أو ١ : ١ أو مونة الجير والقصرمل بنسبة ٢ : ١ أو بمونة الحمرة والجير بنسبة ١ : ١ فى المبانى المتينة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وهناك مون خلط فيها الجبس بالجير على نسب مختلفة . ومون من الجبس الخالص والجير الخالص .

وكانت العراميص الأفقية أعرض من العراميص الرأسية . وكانت هذه العراميص تكحل بعد البناء بمونة من الجبس والجير حتى تبرز نحو ملليمتر أو اثنين عن سطح الآجر بهيئة خطوط بيضاء على أرض حمراء داكنة . ويمكن رؤية هذا الطراز من البناء لغاية اليوم فى منازل رشيد التى احتفظت بها لجنة حفظ الآثار العربية ورممتها .

وفى داخل الدور كانوا يفرّشون الجدران بالجير الخالص أو يبيضونها بالجير المخلوط بالرمل أو بالجير المخلوط بالجبس ، وقد يضيفون إليه التبن .

أما بيوت الفقراء فكانت تدهك جدرانها من الداخل والخارج بالطين المخلوط بالتبن .

وكانت الحوائط المبنية من الطوب الأحمر أو الأخضر تربط بأخشاب توضع وضعاً أفقياً كما هو شائع للآن فى المبانى العادية . كما كانت تدعم بأحجار وأعمدة رومانية ليس فيها شىء من جمال التنسيق .

وكان استعمال العقود معروفاً ومتبعاً فى فتحات الأبواب والشبابيك والقبوات والمجارير والبيارات .

بعض بقايا دور الفسطاط

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان البياض بالجبس ، وكانت الزخرفة الجصية من الفنون الشائعة بمدينة الفسطاط وقد ورثها الإسلام عن المدنية المصرية والمدنية الأشورية بالعراق .

وكان استعمال البلاط المعصرانى فى الأرضيات ذائعاً فى مبانى الطبقات الغنية . وكان يركب أحياناً بشكل دالات كالبركية فى المبانى الحديثة .

وكانت المعدات الصحية منتشرة فى كل منزل من منازل الفسطاط ، فكانت المجارير منقورة فى الصخر ومسلطة على بيارة تنصرف إليها أيضاً جميع المياه العادمة المتخلفة من المنزل . وكانت هذه البيارات نفسها منقورة فى الصخرة تتجمع فيها المياه ثم تكسح .

آبار الفسطاط

وقد حفرت آبار كثيرة فى الفسطاط ، وكانت تمد بمائها الأحواض العليا فى المنازل . ولما كانت المدينة مشيدة فوق هضبة صخرية سميكة ، فقد نقرت هذه الآبار فى الصخر وتجاوزته إلى الطبقة الرملية حيث المياه الغائرة . ولكن مياه هذه الطبقة كانت مياه أجاج يكثر فيها الملح كلما بعدت عن مجرى النيل ، ولذا كانت مياه هذه الآبار غير صالحة للشرب ، وكانت تستعمل فقط فى الاحتياجات المنزلية الأخرى كغسيل الأوانى والملابس ، وتغذية الفسقيات وغير ذلك .

السقاء

أما مياه الشرب فكان يأتى بها السقاؤون من النهر بالقرب ، وتحفظ فى أزيار مصنوعة من الفخار كالأزيار المعروفة لدينا الآن أو فى صهاريج صغيرة خاصة معدة من قبل فى الصخر تحت المنازل ، ثم تسحب منها بالدلاء كلما احتاج الأمر ذلك .

قلنا إن الآبار كانت تمد بمائها الأحواض العليا فى المنازل ، وكانت ترفع إليها إما بواسطة السواقى أو بواسطة آلات رفع خاصة تدار باليد ، وتشبه إلى حد بعيد طلمبات اليد الحالية . ثم تسير هذه المياه من الأحواض العليا إلى جهات المنزل المختلفة فى مواسير من الفخار تربط ببعضها بمونة الجير والقصرمل أو الحمرة .

وكان فى الحوش بكل دار مهمة فسقية مربعة مبنية بالطوب الأحمر ومبيضة بأشكال هندسية مختلفة .

وكان الغرض من هذه الفساقى هو ترطيب جو المنزل صيفاً كما نستعمل نحن المراوح الكهربائية الآن . فوق أن منظر هذه الفساقى وما يحيط بها من الخضرة كان منظراً جميلا جذابا فى صحن المنزل .

وكان ببعض المنازل أحواض لغسيل الأيدى مصنوعة من الرخام المتخذ من أعمدة رومانية قديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

موت الفسطاط

قال المقـــــــريزى :

بلغ طول الفسطاط على ضفة النيل اليمنى ثلاثة أميال . وقد فاقت مدينة الفسطاط كل مدن العرب الشهيرة فى عهدها ، مثل بغداد ودمشق والبصرة والكوفة فى الثروة والترف .

وذكر مؤرخو العرب أنه كان فيها ٣٦٠٠٠ مسجد و ٨٠٠ شارع مسلوك و ١٧٠ حماماً .

ولا شك أن عدد المساجد المذكور هنا مبالغ فيه ، وربما كان المقصود أن كل منزل من منازل المدينة كان به مصلى لصاحب المنزل وضيوفه فحسبت هذه المصلات كمساجد .

وكانت أكثر منازل الأهالى من اللبن تدعمها أعمدة رومانية أو مصرية منقولة من بابليون أو منف لا شىء فيها من الزينة ولا من جمال التنسيق .

وقيل إن بعض المنازل الكبرى كان يسكن فيها حوالى مائتى شخص . وكانت الطبقة الأرضية من المبانى لا يسكنها أحد إلا فيما ندر .

وهذا النوع من المساكن يعرف فى المدن الإسلامية باسم الربع .

وبعد أن اتسعت الفسطاط وبلغت أقصى مراتب العمار ، جاء دور السقوط فحل بها الخراب لسببين :

السبب الأول : هو « الشدة العظمى » التى حلت بالبلاد المصرية فى عهد المستنصر بالله الفاطمى .

والسبب الثانى : هو حريق الفسطاط فى عهد وزارة شاور بن مجير السعدى سنة ١١٦٨ م .

أما « الشدة العظمى » فوقعت سنة ٤٤٦ هـ فارتفعت الأسعار بمصر ارتفاعاً فاحشاً ، وتبع ذلك انتشار الوباء فى البلاد لمدة سبع سنوات .

وكان السبب الأول فى حصول « الشدة العظمى » هو تقصير فيضان النيل لمدة خمس سنوات متتالية ثم توالى القلاقل والثورات الداخلية ، وانصراف الحكومة عن الزراعة . كل هذه الأسباب جعلت الحبوب نادرة جداً ، فبلغ ثمن الإردب الواحد من الحنطة مائة دينار ، فمات الفقراء جوعاً ، وأكل الناس الجيف ، وعم البلاء وانتشر الوباء . وانتهى الأمر باستدعاء بدر الجمالى حاكم سوريا الأرمنى الجنس وتوليته الوزارة بمصر . فقبل بدر مشترطاً أن يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من الأرمن وأهل الشام. ولما تسلم الحكم سعى فى تنشيط الزراعة وأباح الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى تحسنت حال الفلاحين وسهلت سبل التجارة ، وأمر بإنشاء البنايات العظيمة فى القاهرة ، وشاد المساجد فيها وفى جزيرة الروضة ، وأعاد سطوة الخليفة السياسية والدينية إلى الديار المصرية بإعادة الأمن إلى نصابه وبالقضاء على عوامل الفساد . وسرعان ما انتشر الرخاء وعادت المياه إلى مجاريها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولكن كان من نتائج « الشدة العظمى » أو البؤس الذى حلّ بمصر من جراء ما منى به الخليفة المستنصر بالله الفاطمى الذى حكم من سنة ٤١١ إلى ٤٨٧ هـ لمدة ٧٦ سنة هجرية من ضعف فى شخصيته ، وما رزىء به من انقسام فى جيشه ، ثم جاء النيل فعجل فى الطامة الكبرى التى عبر عنها « بالشدة العظمى » . أقول كان من نتائج ذلك أن زاد خراب الفسطاط لأن بدر الجمالى أباح للعسكريين من أرمن وسوريين ولمن هاجر من أهلهم للعيش فى مصر تحت ظل هذا الوزير الأرمنى ، أن يبنوا ما شاءوا فى القاهرة ، فأخذوا فى نقل ما كان بمدينة الفسطاط من أنقاض المنازل حتى أتوا على معظم ما هنالك ، وخرب ما بين القاهرة و بينها من المساكن ، ولم يبق من فسطاط مصر شىء عامر سوى جبل يشكر الذى يقوم عليه جامع ابن طولون إلى يومنا هذا .

هذا هو السبب الأول فى خراب الفسطاط .

أما السبب الثانى فى خراب هذه المدينة ، فهو الحريق الهائل الذى أمر بإضرامه شاور وزير الخليفة الفاطمى العاضد فى ٢٩ من شهر صفر سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٨ م) ، لما غزا القائد الصليبى « آمورى » مصر ونزل بلبيس ، وذلك خوفاً من وقوعها فى أيدى الصليبيين واتخاذهم منها معقلا يهاجمون منه القاهرة .

نادى شاور بأهل الفسطاط ألا يقيم بها أحد ، فهاج الناس واضطربوا وفروا بأولادهم إلى القاهرة والجيزة تاركين أموالهم ومساكنهم وأثقالهم فى المدينة البائسة . و بهذه المناسبة بلغ أجر الدابة من الفسطاط إلى القاهرة بضعة عشر ديناراً وكراء الجمل ثلاثين ديناراً . ونزل الناس بالقاهرة فى المساجد والحمامات والأزقة وعلى الطرقات ، فانطرحوا عليها مع أولادهم وقد سلبت بقية أموالهم وهم ينتظرون هجوم العدو على القاهرة .

ثم بعث شاور إلى الفسطاط بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار وفرّق ذلك فيها ، فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء فكان منظراً مهولا . واستمرت النار تأتى على مساكن هذه المدينة من يوم ٢٩ من شهر صفر حتى أتمت ٤٥ يوماً .

ولما انتهى الحريق رحل آمورى من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل أهلها قتالاً عنيفاً ، ثم انتهت الحرب بانسحابه من مصر .

ألا ان الفسطاط كانت قد خربت تماماً . ومع ذلك فلما تقلد شيركوه الوزارة بعد مقتل شاور ، نادى فى الناس بالرجوع إلى الفسطاط ، فرجع الناس إليها قليلا قليلا وعمروا ما حول الجامع العتيق إلى أن كانت سنة ٥٦٥ هـ فى عهد الملك العادل أبى بكر بن أيوب حيث حلت المحنة بالمدينة ثالثاً من الغلاء والوباء ، فخرب منها جانب كبير .

ولما جاء صلاح الدين إلى مصر سنة ٥٦٧ هـ صمم على أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن ثم انتقلت حركة التجارة والصناعة إلى ساحل النيل حيث كانت ترسو المراكب وتكثر المخازن والمصانع التى حفظت للفسطاط بعض عمارها .

وفى أيام الناصر بن قلاوون سنة ٦٩٣ هـ ، امتدت المبانى بين الفسطاط والقاهرة حتى غدت المدينتان مدينة واحدة .

قال المقريزى : « وفى أيام الناصر اتصلت عمائر مصر (الفسطاط) والقاهرة فصارتا بلداً واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والرباع والقياسر والأسواق والفنادق والخانات » .

إلا أن الفسطاط ظلت فى تقهقر إلى أن كانت أيام الظاهر بيبرس سنة ٧٠٨ هـ فصرف الناس همهم إلى هدم ما خلا من المدينة حتى اندثرت وعفى رسمها واضمحل ما بقى منها وتغيرت معالمه .

وعلى هذه الحال تحولت العاصمة الإسلامية الأولى إلى أكوام من التراب ، وتلال من القاذورات ، لا تزال إلى الآن فى جنوب القاهرة الحديثة فى انتظار إتمام العمل العظيم الذى بدأه العالم الأثرى الجليل المرحوم على بك بهجت سنة ١٩١٢ الذى كشف معالم هذه المدينة الهائلة وأخرج لعلماء الحفريات والتاريخ ما ظل غامضاً من تاريخها لمدة عصور طويلة .

فهل لنا الآن ، وقد أصبح مشروع إنشاء بلدية القاهرة ضرورة ملموسة ، أن ننتظر من المدينة الحديثة إحاطة عاصمة الإسلام الأولى بالرعاية الواجبة لهذه العاصمة المندثرة فتزرع حولها غابات من الأشجار والزهور وتحيطها بحلقات من الحدائق والمتنزهات إجلالا لذكرى العاصمة القديمة وحفظاً لصحة سكان العاصمة الحالية .

لقد ماتت الفسطاط حرقا !! ولذا يشبّه السياح خرائبها بخرائب مدينة بومبيه الايطالية التى ماتت هى الأخرى محروقة تحت حمم بركان ڤيزوف ويسمونها « بومبيه مصر » .

ويصل السياح اليوم إلى هذه « البومبيه المصرية » عن طريق سكة حديد حلوان ، فينزلون فى محطة مار جرجس ، ويخترقون الأزقة القذرة فى هذه المنطقة التى تؤدى إلى خرائب الفسطاط ! وهناك يمرون بين أساسات المنازل التى لم تزل ماثلة فوق الهضبة الصخرية ، وهى إحدى عروق جبل المقطم التى أقيمت فوقها مدينة الفسطاط ، ويشاهدون الآبار المنقورة فى الصخر التى طالما شرب منها سكان هذه المدينة المندثرة . ثم يعرّجون على المجموعة التى جمعتها دار الآثار العربية من حفائر الفسطاط وتتكوّن من القاشانى المزخرف والأعمدة وشواهد المقابر بكتاباتها الكوفية الجميلة ، والمسارج القديمة المصنوعة من الفخار الخ الخ . . . . وهناك أمل كبير فى تكوين متحف الفسطاط من هذه الآثار فى الهواء الطلق ! !

على أنه من حق هذه الآثار علينا أن نحث حكومتنا الرشيدة على تمهيد الشوارع والطرق الموصلة إلى آثار الفسطاط وأن نرجو رفع ما هنالك من جيّارات ومقالب وقاذورات ، ثم نشر الدعاية اللازمة لجذب السياح إلى هذه المنطقة أسوة بالآثار المصرية القديمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم معالم مدينة الفسطاط القديمة وما أصبحت عليه الآن

جامع عمرو بن العاص

جامع عمرو بن العاص أول جامع بنى فى الديار المصرية بعد فتح العرب . وكان يقع على ضفة النيل الشرقية مباشرة شمالى قصر الشمع ، ثم انحسر عنه ماء النيل شيئاً فشيئاً إلى أن كانت سنة ٣٥٠ هـ حيث استقر النهر فى مجراه الحالى بتقريباً على بعد نحو ار بعمائة متر غر باً .

بناه عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتجمع فيه الجمعة لجيوش المسلمين الظافرة . وقد اختار لبنائه الموضع الذى كان فيه لواؤه وصار يعرف باسم مسجد أهل الراية . وكان ذلك الموضع بين بساتين وكروم تلى شاطئ النهر . وقد حل فيه قبل بناء الجامع أبو عبد الرحمن قيسبة بن كلثوم فلما طلبه عمرو منه نزل عنه صدقة للمسلمين .

قلنا إن هذا الجامع بنى على ضفة النيل الشرقية ، وكان النيل ، وقت الفتح العربى لمصر ، يجرى حيث يمتد الآن على وجه التقريب شارع مارجرجس وشارع حسن الأنور وشارع السد وما فى امتدادها شمالا وجنوبا .

و بنى عمرو جامعه بطول ٥٠ ذراعا وعرض ٣٠ ذراعا وفرش أرضه بالحصباء وسقفه بسقف مطأطأ من الجريد حمل على سار يات من جذوع النخيل دون أن يجعل له صحناً ودون أن يجعل أمامه رحبة يستنشق المصلون طلق هوائها ، كما لم يجعل له مئذنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً بالمعنى الصحيح .

وقد اشترك فى تحرير قبلته نحو الثمانين صحابياً ممن حضروا الفتح ، ومع ذلك فقد جاءت تلك القبلة منحرفة نحو الشرق أكثر مما يجب . وفتح للجامع فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغر بى بابان .

ثم بنى عمرو لنفسه داراً شرقى الجامع سميت « دار عمرو الكبرى » تجاورها من بحريها دار ثانية لابنه عبد الله سميت « دار عمرو الصغرى » و بنى الز بير بن العوام داراً ثالثة . وأحيط الجامع من جهاته الأربع بطريق كان عرض جزئه الشرقى سبعة أذرع .

و بقى الجامع على هذا الحال إلى أن قدم مسلمة بن مخلد والياً على مصر سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) من قبل معاوية أول خلفاء بنى أمية فوسعه سنة ٥٣ هـ (٦٧٢ — ٦٧٣ م) من الجهة البحرية وجعل له رحبة أمامه من هذه الناحية و بيضه وزخرفه وفرش أرضه بالحصر لأول مرة بدلا من الحصباء . و بنى أر بع صوامع فوق أركانه الأر بعة بشكل أبراج مر بعة ونقش اسمه عليها وجعل الوصول إليها من مراق خارج الجامع . وهذه الصوامع كانت أول

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

نماذج للمآذن فى مصر . ثم تطورت هذه المآذن وتهذبت واقتبس لها كثير من تفاصيل منار الأسكندرية القديم حتى بلغت من الرشاقة والجمال ما نشاهده عليها الآن .

ولما ولى مصر عبد العزيز بن مروان من قبل أخيه عبد الملك بن مروان سنة ٧٩ هـ (٦٩٨ م) وسع الجامع من الناحية الغربية ، كما أدخل فيه الرحبة التى أنشأها مسلمة فى الجهة البحرية ولم يستطع الزيادة فيه من شرقيه لضيق الطريق .

وفى سنة ٨٩ هـ (٧٠٨ م) أمر الوالى عبد الله بن عبد الملك بتعلية سقفه

وقال أبو عمرو الكندى إن عبد العزيز زاد فيه من جوانبه كلها .

وفي سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ — ٧٠٩ م) قدم مصر الأمير قرة بن شريك والياً عليها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فهدم الجامع فى أول سنة ٩٢ هـ (٧١٠ — ٧١١ م) وبدأ فى بنائه فى شعبان من السنة المذكورة (مايو سنة ٧١١ م) وفرغ منه فى رمضان سنة ٩٣ هـ (يونيو سنة ٧١٢ م) ووسعه لأول مرة من الجهة القبلية وللمرة الثانية من الجهة الشرقية حيث أدخل فى مسطحه باقى الطريق وجزءاً من دار عمرو ودار ابنه عبد الله .

وقد أحدث فيه ابن شريك المحراب المجوف المقتبس من التجويفات الموجودة فى هياكل الكنائس المصرية السابقة على الإسلام ونصب فيه منبراً خشبياً جديداً سنة ٩٢ هـ على مثال ما رآه فى كنائس القبط . وأحدث فيه المقصورة .

جزء من معبد الاقصر حول إلى كنيسة فى صدر المسيحية . ولا شك أن المحراب المجوف فى العمارة الاسلامية مقتبس من هذا الشكل .

ثم صحح اتجاه القبلة الأولى ، وحينذاك صار للجامع أربعة أبواب فى جداره الشرقى ومثلها فى جداره الغربى وثلاثة فى الجدار البحرى . وقد أمر قرة بن شريك بتذهيب تيجان أربعة أعمدة من أعمدة الجامع اثنان منها أمام المحراب فى صف الأعمدة المقابل له و إثنان آخران فى الصف الذى يليه .

وهذه أول مرة استعملت فيها الأعمدة الرخامية بالجامع كما أن التذهيب كان أول نوع من الزخرف الثمين الذى عمل به . وبالطبع كانت هذه الأعمدة الرخامية منقولة من الكنائس القبطية القديمة ومن المعابد المصرية بمنف وعين شمس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولما شاخت الدولة الأموية وخلفتها الدولة العباسية، وأصبح صالح بن على والياً على مصر من قبل العباسيين، أسس مدينة العسكر وجامعها ودار أمارة ثانية بدلا من دار الأمارة الأموية التى كانت بالفسطاط ثم زاد فى جامع عمرو سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ — ٧٥١ م) أربعة أساطين، وعمّر إيوان المحراب ومقدم الجامع عند الباب الأول القبلى، وقد ساعدت هذه الزيادات على فتح باب جديد بالجدار الشرقى سمى « باب الكحل » لمقابلته لزقاق الكحل وهو الباب الأخير البحرى من الجهة الشرقية فصار عدد أبواب هذا الجانب خمسة أبواب .

وفى سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) زاد فيه موسى بن عيسى أمير مصر من قبل الخليفة الرشيد من الناحية البحرية حيث أدخل فيه نصف رحبة أبى أيوب . وفى سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) أمر عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل الخليفة المأمون بتوسيع الجامع فأضاف إلى أرضه مثلها من الجهة الغربية ونتج عن ذلك التوسيع أخذ النصف الغربى الباقى من رحبة أبى أيوب ، و بلغ طول الجامع إذ ذاك ١٦٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً .

وفى صفر سنة ٢٧٥ هـ (يوليو سنة ٨٨٨ م) حدث حريق بالجامع التهم أكثر زيادة عبد الله بن طاهر فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر إذ ذاك بعمارته على يد أحمد بن محمد العجيفى . فتمت هذه العمارة فى السنة نفسها ومن جملتها تزويق أكثر أعمدة الجامع .

وفى عصر الأخشيد سنة ٣٢٢ هـ استعاد جامع عمرو الذى عرف إذ ذاك باسم الجامع العتيق أهميته الأولى .

وفى سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٨) فى عهد أنوجور بن الأخشيد أنشأ أبوحفص عمر القاضى العباسى غرفة للمؤذنين بالسطح .

وفى عصر الدولة الفاطمية أقيمت بهذا الجامع عمارات كثيرة ، فعملت فيه الفوارة سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨) بأمر العزيز بالله الفاطمى .

وفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أمر الحاكم بأمر الله وزيره برجوان ، الذى بقى اسمه فى اسم حارة برجوان المعروفة الآن بقسم الجمالية ، بإصلاح الجامع فجدد بياضه وأصلحه .

وفى رمضان سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) أمر هذا الخليفة بإنزال ١٢٩٨ مصحفاً من القصر الكبير ليتمكن الجمهور من القراءة فيها . وكذلك أخرج تنوراً فضياً برسم الجامع به ما قيمته ٢٠٠ ألف درهم من الفضة ، وكان من الكبر بحيث لم يتيسر إدخاله من باب الجامع إلا بعد هدم مصاطبه وعتباته . ثم أضاف للجامع رواقين فى صحنه .

وفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بنيت المئذنة التى بين مئذنة عرفة و بين المئذنة الكبيرة . وقد هدمت هذه المئذنة فى وقت غير معلوم .

ولما حرقت مدينة الفسطاط سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م) تشعث هذا الجامع ، فلما تولى السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى مُلك مصر سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٥ م) جدده ورخمه وأزال تشعثه وجلا عمده .

ثم عمره الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م) .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) عمره السلطان المنصور قلاوون .

ولما حدث الزلزال سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) تشعث الجامع وانفصلت أعمدته بعضها عن بعض فجدده الملك الناصر محمد بن قلاوون .

و بعد نحو مائة عام تضعضع الجامع وتداعى للسقوط فعمره الرئيس برهان الدين المحلى رئيس تجار مصر سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠٢ م) .

ثم عمره الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م)

ثم عمره الأمير مراد بك محمد المدفون بسوهاج وصليت فيه الجمعة فى آخر رمضان سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) .

ثم حصل فيه ترميم و إصلاح بدون تغيير شىء من حدوده فى عهد الأسرة العلوية الكريمة .

وذكر فى خطط على باشا مبارك « أن جدرانه هى التى كانت عليها سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وأن الفرنسيين قاسوه زمن استيلائهم على مصر فوجدوا ضلعه ١٢٠ متراً » .

وفى حوادث سنة ١٢١٢ هـ من تاريخ الجبرتى ، أن مرادبك ، لما رأى أن الجامع تخرب ، أقام أركانه وشيده ونصب أعمدته و بنى فيه منارتين وجدد جميع سقفه وفرشه وصليت فيه الجمعة بحفل حافل .

وكان يعقد فى الجامع العتيق اجتماع فى آخر جمعة من رمضان تدور فيه أنواع اللهو ، فبطل ذلك من هذا العهد وأصبح أمراء مصر يؤدون فيه صلاة الجمعة اليتيمة فى كل عام .

وفى سنة ١٩٠٦ عنيت لجنة حفظ الآثار العربية بهذا الأثر ورممته .

وفى سنة ١٩٢٦ عملت مسابقة عامة لوضع تصميم يطابق حالته فى العهد الذى بلغ فيه مجده وفخامته ، فقدم المتسابقون سبعة مشروعات فصل فيها سنة ١٩٢٧ .

وفى سنة ١٩٣٠ اعتمدت لجنة حفظ الآثار العربية مبلغ ٤٠٠٠ جنيه لإصلاح الإيوان الكبير « إيوان المحراب » إصلاحاً شاملا مع تقوية جدران الأجزاء الأخرى من الجامع ، وقد تم هذا العمل .

وفى أثناء هذه العملية كشفت أبواب الجامع الشرقية الخمسة ، وباب غرفة الخطيب على يمين المحراب الكبير ، وثلاثة من أبوابه الأربعة

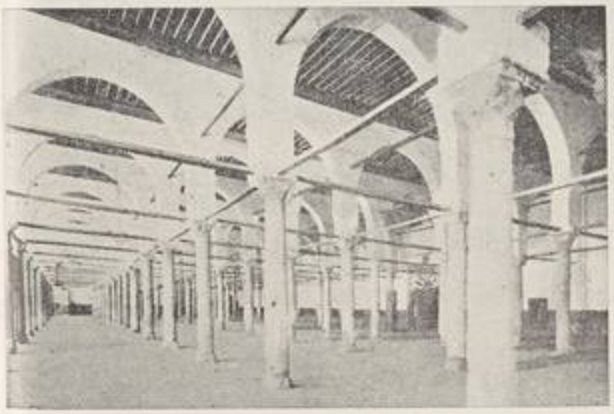

جامع عمرو بن العاص من الداخل .
أروقة المحراب كما هى الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بالجنب الغربى ، ولم يبق من أبواب الجامع بدون كشف سوى باب رابع بهذا الجنب يعرف باسم «باب سوق الغزل» .

وكذلك تم الكشف على شبابيك قديمة للجامع محلاة بزخارف من الخشب ترجع إلى العصر الفاطمى .

وتبلغ مساحة هذا الجامع الآن ١٣٢٠٠ متراً مربعاً تقريباً ، وهو مكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة .

ولا يزال هذا الجامع العتيق قبلة أنظار كل ملوك مصر . وقد وجه الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله ، عنايته لهذا الجامع فأمر بإصلاحه وترميمه بحيث يبقى على شكله المعروف به منذ أقدم العصور التاريخية حتى الآن . وتابعه فى هذا العمل الجليل شبله العظيم مولانا الملك فاروق الأول أدامه الله وأبقاه .

وتحيط الآن بالجامع من الجهة الشمالية مقابر للمسلمين ، ومن الجهة القبلية مواقد (فواخير) لعمل الأوانى من الفخار ، ومن الجهة الشرقية مدابغ ، ومن الجهة الغربية مقابر للمسيحيين ، وتهب على المصلين فى المسجد روائح كريهة مما يحوطه من جميع نواحيه .

ويروّع داخله اتساعه كما يروّعه تهدمه بمضى الزمان عليه ، فقد ذهبت كل أعمدته الجانبية وتكاد جدرانه تتهدم من فعل السنين . فقد مضى على تأسيس الجامع الأصلى فى هذا المكان ١٣٤١ سنة هجرية .

وخليق ببلدية القاهرة ، عند إنشائها قريباً إن شاء الله ، أن تأمر بوقف الدفن فى المقابر المحيطة بهذا الجامع ، وتحولها بالتدريج إلى متنزهات وحدائق .

خليق بها أن تأمر بنقل الفواخير والمدابغ المحيطة بأول جامع أنشىء بمصر الإسلامية إلى جهة أخرى .

ويا حبذا لو قررت إدارة المعاهد الدينية إنشاء كلية من كليات الجامعة الأزهرية فى هذا الجامع الذى طالما درس فيه العلماء الأجلاء وطالما علّم فيه الإمام الشافعى .

وبهذا يعود للجامع العتيق الأثرى العظيم مكانته وصفته الجامعية القديمة

خليج أمير المؤمنين

رغبة فى سرعة الاتصال ببلاد العرب اهتم عمرو بن العاص باعادة حفر القناة القديمة التى كانت توصل النيل بالبحر الأحمر ، والتى كانت تعرف قبل الفتح باسم خليج تراجان .

وكان خليج تراجان هذا يخرج من النيل إلى شمال بابيلون بقليل . وكان فمه وقت فتح العرب لمصر واقعاً بشارع الخليج المصرى فى حذاء مدخل شارع بنى الأزرق بأرض جنينة لاظ الواقعة فى الجهة الغربية من جامع السيدة زينب بالقاهرة . وكان النيل فى ذلك الوقت يجرى فى المكان الذى فيه اليوم شارع بنى الأزرق وما فى امتداده جنوباً إلى قصر الشمع وما فى امتداده شمالا إلى قرية أم دنين .

قلنا كان هذا الخليج يخرج من النيل فى هذا المكان فيمر بمدينة عين شمس ثم يسير فى وادى الطميلات إلى موضع بلدة القنطرة الحالية ثم ينحدر جنوباً حتى يتصل بالبحر الأحمر عند القلزم . وقد أهمل الروم أمره حتى سده الطين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان أقدم عهداً من حكم تراجان وإنما سمى باسمه لأنه أعاد حفره وأصلحه كما فعل عمرو بن العاص فى عصر الفتح العربى .

وقد سبق لنا دراسة تطورات هذا الخليج فى الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ١٨٧) فظهر أن فكرة إنشائه ترجع فى الأصل إلى انسحاب النيل المستمر إلى جهة الغرب مما هدد بالعطش العواصم القديمة التى كانت تقع على الضفة الشرقية للنهر مباشرة مثل عين شمس . فرأى المصريون — علاجاً لهذه الحالة — إنشاء قناة مكان المجرى القديم للنهر لتوصيل مياه النيل العذبة إلى هذه المدن ، ثم نقلوا فم هذه القناة إلى الغرب كلما أمعن النهر فى انسحابه غرباً .

وفى العصور التالية امتد هذا الخليج حتى اتصل بمكان ترعة الملوك القديمة (راجع تطورات هذه الترعة بكتاب منطقة قنال السويس من ص ١٢٣ إلى ص ١٣٤) .

وقد قامت الملكة حاتشبسوت فى عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية من سنة (١٥٨٠ — ١٠٨٥) ق . م . بتسيير سفنها العظيمة إلى بلاد البونت (الأرتريا وبلاد الحبشة الحالية) فى أثناء حملة مصرية حربية على هذه البلاد لاستجلاب الذهب والبخور وسن الفيل منها . فسارت السفن المصرية من طيبة (الأقصر والكرنك) شمالا فى النيل ثم انحرفت فى سيرها وتابعت القناة التى حفرها ملوك مصر فى الدولة الوسطى بين النيل والبحر الأحمر مخترقة وادى الطميلات فى شرق الدلتا .

ويرجع تاريخ حفر هذه القناة إلى ملوك الدولة المصرية الوسطى ، حفرها الملك سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة ١٢ الذى حكم من سنة ١٨٨٧ إلى سنة ١٨٤٩ ق . م . وهو الذى أطلق عليه اليونان اسم سيزوستريس لعظمة مشروعاته . وهكذا اتصل النيل بالبحر الأحمر لأول مرة فى التاريخ .

وقد أصلحت هذه القناة ونقل فمها فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفوس الذى جعلها تنفصل من النيل عند فاقوس بعد أن كانت تنفصل عند بو بسطة . ثم أصلحت مرة أخرى فى عهد تراجان . وكان فمها إذ ذاك قد أصبح إلى شمال بابيلون كما قلنا سابقاً .

ولسنا نعرف الوقت الذى حفر فيه جزء هذه القناة الذى بين بو بسطة و بابيلون . على أن هذه الترعة لم تكن ذات غناء كبير ، لأن الماء لم يكن يجرى فيها إلا عند فيض النيل . ولما أهمل أمرها أصبحت من بعد القرن الثانى للميلاد غير صالحة لسير السفن . وكان لا بد للرمل أن يسدها بالسقوط فيها إذا ما قل تعهدها والاعتناء بأمرها .

وقيل إنها كانت فى عصر الفتح العربى خفية الأثر حتى احتاج عمرو إلى من يدله على موضعها من القبط فأجازه برفع الجزية عنه . ولكن سرعة حفرها وإعادتها إلى الصلاح تدلنا على أن بعض مجراها الذى طوله تسعون ميلا كان لا يزال صالحاً . على أن مثل ذلك الإسراع لم يكن عجيباً إذ كان يعمل فيها عدد عظيم من أهل البلاد ،

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

يساقون إلى ذلك كأنهم أرقاء ، يسوقهم من ورائهم مقدمون وخول على ما جرت به سنة أهل مصر منذ أقدم الأزمان . ويلوح لنا أن العرب لجأوا إلى هذه السخرة بشدة لم تعهد من قبل حتى لقد وصفهم (حنا النقيوسى) وصفاً شديداً وتناولهم بالقول القاذع فقال :

« وكان نيرهم على أهل مصر أشد وطأة من نير فرعون على بنى إسرائيل . ولقد انتقم الله منه انتقاماً عادلا بأن أغرقه فى البحر الأحمر بعد أن أرسل صنوف بلائه على الناس والحيوان . ونسأل الله إذا ما حل حسابه لهؤلاء المسلمين أن يأخذهم بما أخذ به فرعون من قبل » .

ولكن الظاهر أن هذه الشدة إنما جاءت عفواً فى وقت الفتح . ولم تكن صفة ثابتة لحكومة عمرو فى مصر .

وقيل إن عمراً كان ينوى حفر خليج بين بحيرة التمساح والبحر الأبيض المتوسط ، فيكون بذلك قد قطع البرزخ بين البحرين كما هو اليوم . ولكن عمر بن الخطاب أبى عليه ذلك وأنكره قائلا إنه يمكن الروم من السير إلى البحر الأحمر وقطع السبيل على من أراد الحج .

أعاد إذن عمرو فتح خليج تراجان، وسماه خليج أمير المؤمنين (يعنى عمر بن الخطاب) ، وفرغ من ذلك فى ستة أشهر، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز فى الشهر السابع محملة بالغلال والبضائع وأنواع الطعام لأهل الحرمين .

وما زال خليج أمير المؤمنين ينتفع به حتى زمن عمر بن عبد العزيز سنة ٧٢٣ م ، ثم أهملته الولاة وترك ، فغلب عليه الرمل وانقطع وصار منتهاه إلى دنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم أى عند بحيرة التمساح الحالية .

وقيل إن أبا جعفر المنصور أمر بردم هذا الجزء سنة ٧٣٥ م ، حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام . وكان قد قضى على حفره حوالى ٩٢ عاماً فقط بواسطة عمرو بن العاص .

وبعد هـذا التاريخ ظل الجزء الأول من الخليج موجوداً واستعمل فى تغذية مدينة القاهرة بمياه الشرب بطريقة الصهاريج الكبيرة تبنى تحت أرض المنازل وتخزن فيها المياه أيام الفيضان وتستعمل مياهها بعد ذلك طول العام .

الخليج المصرى كما كان سنة ١٨٧٠

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

واستعمل الخليج فى العصر التركى وعصر محمد على لرى أراضى الشرقية والقليوبية تحت أسماء مختلفة .

فى العصر العربى عرف هذا الخليج باسم « خليج أمير المؤمنين » . وبعد إنشاء مدينة القاهرة عرف باسم « خليج القاهرة » . وبعد وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمى أطلق عليه اسم « خليج الحاكمى » بدعوى أن الحاكم هو الذى حفره . ثم سمى أيضاً « خليج اللؤلؤة » نسبة إلى قصر اللؤلؤة الذى كان قائماً فى العصر الفاطمى فى المكان الموجود به الآن مدرسة الفرير بالخرنفش ، وكان يطل على الخليج وكان متنزها للخلفاء الفاطميين . وسمى أيضاً « خليج مصر » أو « الخليج المصرى » .

وكان الخليج المصرى يسير قليلا إلى الشرق ثم ينعطف إلى الشمال حتى نهاية مدينة القاهرة ، ثم يمر فى الأراضى الزراعية إلى أن يلتقى بالترعة الاسماعيلية عند العباسة بمديرية الشرقية ، ثم يسير الخليج شرقاً إلى مدينة الاسماعيلية ومنها إلى السويس حيث البحر الأحمر .

وفى سنة ١٨٩٩ تم ردم الجزء الواقع من الخليج داخل مدينة القاهرة وحل محله الآن شارع الخليج المصرى الذى سنتكلم عنه فى مكان آخر .

دار الصناعة

كان لبناء المراكب عدة دور ينشأ فيها الأسطول والسفن الأخرى الخاصة بأعمال الدولة ويسمونها دور الصناعة . فأول دار للصناعة أنشئت بالفسطاط كان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى .

قال الكندى إنها أنشئت سنة ٥٤ هـ (٦٧٣ م) وكانت تبنى فيها السفن حتى أيام ابن طولون . وقد أحرقت فى سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ، أحرقها أسطول محمد بن طغج الأخشيدى . فلما ولى الملك ورأى أن وجود دار الصناعة على شاطىء الروضة خطر على الفسطاط نقلها إليها فى سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) وأقامها مكان بستان الطواشى

قال المقريزى :

« إن البستان الذى قامت على أرضه دار الصناعة هو بستان الطواشى ، وهو فى أول مراغة مصر حذاء غيط الجرف على يسار الذاهب من المراغة إلى باب مصر » .

ولما كان ساحل النيل فى ذلك الوقت ينتهى إلى الطريق الذى يمر فيه اليوم شارع الديورة شرقى فم الخليج حيث كان النيل يجرى فى عهد الدولة الأخشيدية تحت ذلك الشارع ، فلا بد أن يكون مكان هذه الدار فى المنطقة الواقعة هناك إلى جنوب مجرى العيون والمعروفة الآن باسم عشش الجيارة .

على أنه يظهر أن دار الصناعة فى عهد الأخشيديين لم تنقل بأكملها إلى الشاطىء الأيمن للنيل بل بقى بعضها فى جزيرة الروضة يبنى بها الأسطول ، بدليل اتفاق المؤرخين على القول بأنه كان هناك داران للصناعة فى عهد الفاطميين إحداهما فى الروضة والأخرى فى الفسطاط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبدليل ما ذكره التاريخ من أن الظاهر بيبرس أنشأ فى الروضة أسطولا كاملاً ليعوّض به ما دمره له الصليبيون فى معركة جزيرة قبرص .

وفى أول حكم الدولة الفاطمية أنشئت دار للصناعة بالمقس حيث كان النيل يجرى مكان ميدان محطة مصر الحالى بجوار جامع أولاد عنان ، فأصبح عدد الدور التى تنشأ فيها مراكب الدولة فى عهد الفاطميين ثلاثاً . وكانت دار الصناعة بالفسطاط منذ إنشائها فى سنة ٣٢٥ هـ (٩٣٦ م) أكبر هذه الدور وأكثرها إنتاجا .

ولما طرح البحر وتكونت أرض جديدة بين شارع الديورة وساحل النيل الحالى بفم الخليج ، نقلت دار الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس) واستقرت بها مدة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق فى عهد محمد على باشا الكبير باسم الترسانة . ولم تزل فى ساحل بولاق إلى اليوم وتعرف باسم إدارة الورش الأميرية ، وهى من الادارات التابعة لمصلحة الميكانيكا والكهرباء بوزارة الأشغال العمومية .

ميناء الفسطاط :

لم يمض زمن طويل على تأسيس الفسطاط ، حتى غدت ميناء عظيمة على النيل ، بل أعظم ميناء فى مصر كلها . استمرت فيها حركة الوارد والصادر حتى فى الأيام التى زاحمتها القاهرة فأربت عليها . وفى أواخر أيام الأيوبيين زارها ابن سعيد المغربى ، فاندهش من حركتها حيث يقول : « ثم انفصلنا من هنالك (يعنى نزل بميناء الفسطاط) إلى ساحل النيل ، فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ، ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستطالة ، ولا عليه سور أبيض ، إلا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التى تصل من جميع أقطار الأرض والنيل . ولئن قلت إنى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقاً . والنيل هنالك ضيق ، لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته ، قد توسطت الماء ومالت إلى جهة الفسطاط . وبحسن سورها المبيض الشامخ ، حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل . . . إلى أن قال :

أما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى ، والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف . وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز إلى القاهرة وسائر البلاد . . . » .

وغنى عن البيان أن الجزيرة التى ذكرها ابن سعيد فى الجملة الأولى إنما يقصد بها جزيرة الروضة التى بنى بها السلطان الصالح أيوب قلعة لجيوشه من المماليك البحرية .

ومن عبارات المؤرخين يعلم أن المراكب كانت ترسو فى الميناء فى أماكن معينة لها حسب شحنتها . فمثلا المراكب المشحونة بالحبوب كانت ترسو فى موردة الحلفاء من الساحل . والمراكب المشحونة بالأخشاب كانت

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ترسو فى الناحية المخصصة لبناء المراكب أو لأشغال النجارة . ومراكب الصيد كانت ترسو فى موردة السمك التى كانت تعرف غالباً باسم ساحل البورى . والبورى نوع معروف من السمك .

القرافة :

كان لا بد لمدينة الفسطاط فوق مسجدها ومنازلها وحماماتها أن يكون لها مقبرة . وقد جعلت بأرض المقوقس عند سفح الجبل . ودفن فيها عمرو بن العاص وأربعة من الصحابة . وكانت تمتد فيما بين مصلى خولان إلى المعافر . وخصص فى جنوب هذه المقبرة جهة لدفن موتى الأقباط . وظلت مستعملة حتى العصر الفاطمى حيث أخذ الخلفاء الفاطميون يدفنون موتاهم فى تربة الزعفران من القصر الكبير ومكانها الآن خان الخليلى . أما الشعب فأبى نقل مقابره من مكانها وظل يدفن موتاه فى جبانة الفسطاط .

ولما اضمحلت الفسطاط بعد تأسيس مدينة القاهرة كانت حدود المقابر تمتد حتى طغت على مساكن خطة المعافر التى خلت من ساكنيها وعلى مساكن خطة بنى قرافة التى هى فرع من الأولى . ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن بتلك الجهة أولا ، ثم عم سائر المدافن . وعرفت باسم القرافة الكبرى .

وفى عهد الأيوبيين ، أنشئت حول تربة الإمام الشافعى ، جملة قبور أطلق على مجموعها اسم القرافة الصغرى ، وقل الدفن فى القرافة الكبرى ، إلى أن عاد إليها على أيام الناصر بن قلاوون .

وبعد سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) أخذوا يدفنون الموتى تحت المقطم فيما يلى قلعة الجبل .

وبعدئذ انتشرت القرافات فى شرق القاهرة وفى شمالها .

خندق القرافة :

وفى القرن الأول للهجرة حفر حول القرافة خندق وذلك لأن عامل ابن الزبير على مصر ، لما خشى أن يأخذه مروان على غرة فى عاصمة ولايته ، أمر فى سنة ٦٥ هـ فحفر على الفسطاط خندق .

وكان هذا الخندق يبتدئ من المكان الذى دفن فيه فيما بعد الإمام الشافعى ويخترق أرض القرافة إلى بركة الحبش .

وفى سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) كان هذا الخندق قد طمى ، فأعيد حفره عند وقوع الشقاق بين الأمين والمأمون ولدى الرشيد .

وقد ذكر ابن زولاق أن هذا الخندق جدد حفره على يد جوهر القائد سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) خشية من القرامطة الذين كانوا يكثرون الغارة على مصر .

هذه هى أهم معالم الفسطاط القديمة وما أصبحت عليه الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السابع

مدينة العسكر

قلنا إن رجال العباسيين لم يرضوا بالسكنى فى الفسطاط بعد أن عبثوا بالمدينة ونهبوا مساكنها وفتكوا بأهلها بل قرروا إنشاء عاصمة أخرى جديدة لدولتهم فى مصر .

وكانت الفكرة فى إنشاء العاصمة الجديدة هى أولا السعى وراء الهواء النقى جهة الشمال وثانيا الإشراف من فوق مرتفعات زين العابدين الحالية على مدينة الفسطاط وثالثاً متابعة تنقلات رأس الدلتا من الجنوب إلى الشمال حتى تسهل دائماً السيطرة على مدن الوجهين القبلى والبحرى وسرعة التمكن من إرسال الجنود فى أفرع النيل المختلفة إلى أى جهة من هذه البلاد .

صدر الأمر إذن إلى صالح بن على الوالى الجديد على مصر عن قبل العباسيين بالتخلى عن دار الأمارة بالفسطاط وبيناء الحاضرة الجديدة لدولة العباسيين بمصر ، فأقامها حيث كان معسكره إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط فى مكان عرف فى صدر الإسلام باسم الحمراء .

وقد نزلت به ثلاث قبائل عقب الفتح الإسلامى وهى بنو الأزرق وبنو ربيل من قبائل الروم واليهود الذين اعتنقوا الإسلام وحاربوا مع جيوش عمرو وبنو يشكر بن جديله وهى من قبائل العرب التى سمى جبل يشكر حيث يقوم جامع ابن طولون الآن باسمها . ثم دثرت خطط هذه القبائل بعد العمارة وصارت صحراء وأصبح مكانها قفراً .

فى هذا المكان بنيت مدينة العسكر سنة ١٣٣ هـ أو سنة ٧٥٠ م .

قال ابن عبد الحكم : « أصل العسكر المعسكر » .

وكان العسكر يحده جنوبا كوم الجارح حيث تمتد الآن حائط المجرى (العيون) ، وشمالا خط بعضه شارع الخليج المصرى و بعضه ميدان السيدة زينب و بعضه شارع مراسينا إلى جامع الجاولى ، وشرقاً خط يبدأ بجوار الجامع الجاولى و يمر بشارع الأشرف إلى السيدة نفيسة ، وغرباً شارع الخليج المصرى من قنطرة السد أمام دير مار مينا بميدان الطيبى إلى جنينة لاظ .

فى هذا المكان أقام العباسيون عاصمتهم و بنى صالح بن على دار الأمارة وثكنات الجنود ثم بنى الفضل بن صالح ابن على مسجد العساكر كما ذكر المقريزى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم تمض سنة واحدة حتى انتشر العمار فى العسكر ، و بعد قليل اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحت مدينة كبيرة فيها الشوارع والدور والبساتين والأسواق .

وظلت العسكر عاصمة الديار المصرية لمدة ١١٨ سنة من سنة ٥٧٠ م إلى ٨٦٨ م وحكم بها الخمسة والستون والياً المبينة أسماؤهم بعد من قبل الخلفاء العباسيين ببغداد وهم :

١ — الأمير صالح بن على سنة ١٣٣ هـ
٢ — « أبو عون « ١٣٧ هـ
٣ — « موسى بن كعب « ١٤١ هـ
٤ — « محمد بن الاشعث « ١٤١ هـ
٥ — « حميد بن قحطبة « ١٤٣ هـ
٦ — « يزيد بن حاتم « ١٤٤ هـ
٧ — « عبد الله بن عبدالرحمن « ١٥٢ هـ
٨ — « محمد بن عبد الرحمن « ١٥٥ هـ
٩ — « موسى بن على « ١٥٥ هـ
١٠ — « عيسى بن لقمان « ١٦١ هـ
١١ — « واضح المنصورى « ١٦٢ هـ
١٢ — « منصور بن يزيد « ١٦٢ هـ
١٣ — « يحيى بن داود « ١٦٢ هـ
١٤ — « سالم بن سواده « ١٦٤ هـ
١٥ — « ابراهيم بن صالح « ١٦٥ هـ
١٦ — « موسى بن مصعب « ١٦٧ هـ
١٧ — « عسامة بن عمر « ١٦٨ هـ
١٨ — « الفضل بن صالح « ١٦٩ هـ
١٩ — « على بن سليمان « ١٦٩ هـ
٢٠ — « موسى بن عيسى « ١٧١ هـ
٢١ — « مسلمة بن يحيى « ١٧٢ هـ
٢٢ — « محمد بن زهير « ١٧٣ هـ
٢٣ — « داود بن يزيد « ١٧٤ هـ
٢٤ — الأمير موسى بن عيسى (ثانياً) سنة ١٧٥ هـ
٢٥ — « ابراهيم بن صالح « « ١٧٦ هـ
٢٦ — « عبد الله بن المسيب « « ١٧٦ هـ
٢٧ — « اسحاق بن سليمان « « ١٧٧ هـ
٢٨ — « هرثمة بن أعين « « ١٧٨ هـ
٢٩ — « عبد الملك بن صالح « « ١٧٨ هـ
٣٠ — « عبد الله بن المهدى « « ١٧٩ هـ
٣١ — « موسى بن عيسى (ثالثاً) « « ١٧٩ هـ
٣٢ — « عبدالله بن المهدى (ثانياً) « « ١٨٠ هـ
٣٣ — « إسماعيل بن صالح « « ١٨١ هـ
٣٤ — « إسماعيل بن موسى « « ١٨٢ هـ
٣٥ — « الليث بن فضل « « ١٨٢ هـ
٣٦ — « أحمد بن إسماعيل « « ١٨٧ هـ
٣٧ — « عبد الله بن محمد العباسى « « ١٨٩ هـ
٣٨ — « الحسين بن جميل « « ١٩٠ هـ
٣٩ — « مالك بن دلهم « « ١٩٢ هـ
٤٠ — « الحسن بن البحباح « « ١٩٣ هـ
٤١ — « حاتم بن هرثمة « « ١٩٤ هـ
٤٢ — « جابر بن الاشعث « « ١٩٥ هـ
٤٣ — « عياد بن محمد « « ١٩٦ هـ
٤٤ — « المطلب بن عبد الله « « ١٩٧ هـ
٤٥ — « العباس بن موسى « « ١٩٧ هـ
٤٦ — « المطلب بن عبدالله (ثانياً) « « ١٩٩ هـ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٤٧ —	الأمير السرى بن الحكم	سنة	٢٠٠ هـ
٤٨ —	« سليمان بن غالب	«	٢٠١ هـ
٤٩ —	« السرى بن الحكم (ثانياً)	«	٢٠١ هـ
٥٠ —	« محمد بن السرى	«	٢٠٥ هـ
٥١ —	« عبيد الله بن السرى	«	٢٠٦ هـ
٥٢ —	« عبيد الله بن طاهر	«	٢١١ هـ
٥٣ —	« عمير بن الوليد	«	٢١٤ هـ
٥٤ —	« عيسى بن يزيد	«	٢١٤ هـ
٥٥ —	« عبدويه بن جبلة	«	٢١٥ هـ
٥٦ —	« عيسى بن منصور	«	٢١٦ هـ
٥٧ —	« كيدر نصر بن عبد الله	«	٢١٧ هـ
٥٨ —	« المظفر بن كيدر	«	٢١٩ هـ
٥٩ —	« موسى بن أبى عباس	«	٢١٩ هـ
٦٠ —	« مالك بن كيدر	«	٢٢٤ هـ
٦١ —	الأمير على بن يحيى	سنة	٢٢٦ هـ
٦٢ —	« عيسى بن منصور (ثانياً)	«	٢٢٩ هـ
٦٣ —	« هرثمة بن نصر	«	٢٣٣ هـ
٦٤ —	« حاتم بن هرثمة (ثانياً)	«	٢٣٤ هـ
٦٥ —	« على بن يحيى	«	٢٣٤ هـ
٦٦ —	« اسحق بن يحيى	«	٢٣٥ هـ
٦٧ —	« عبد الواحد بن يحيى	«	٢٣٦ هـ
٦٨ —	« عنيسة بن إسحاق	«	٢٣٨ هـ
٦٩ —	« يزيد بن عبد الله	«	٢٤٢ هـ
٧٠ —	« مزاحم بن خاقان	«	٢٥٣ هـ
٧١ —	« أحمد بن مزاحم	«	٢٥٤ هـ
٧٢ —	« ارخوز بن أولوغ طرخان	«	٢٥٤ هـ
٧٣ —	« أحمد بن طولون	«	٢٥٤ هـ

ومما يجب ملاحظته أن بعض الولاة حكموا البلاد مرة ثانية وأحياناً مرة ثالثة فى فترات متقطعة فاذا أسقطنا الأسماء المكررة يكون عدد الولاة الذين حكموا بمدينة العسكر من قبل الخلفاء العباسيين ٦٥ والياً من سنة (١٣٣ — ٢٥٤) هـ أو من سنة (٧٥٠ — ٨٦٨) م أى لمدة ١٢١ سنة هجرية أو ١١٨ سنة ميلادية كما قلنا سابقاً .

وقد أقام الوالى حاتم بن هرثمه الذى حكم لأول مرة من سنة (١٩٤ — ١٩٥) هـ من قبل الخليفة الأمين محمد — القبة المعروفة باسم قبة الهواء حيث كان الأمراء يقضون وقتاً طويلا للترفيه عن أنفسهم فوق جبل المقطم وحيث بنى صلاح الدين قلعته العظيمة. كما أقام رجال الدولة وحكامها وقضاتها مساكنهم بمدينة العسكر الجديدة حول دار الأمارة ومسجد العسكر. ولكن ذلك لم يؤثر فى مدينة الفسطاط التى ظلت محتفظة بالتجارة وظلت مركزاً زاهراً للصناعة .

ولم يبق من مدينة العسكر أى أثر، وذلك لأن الثورات الداخلية لم تقف بزوال الدولة الأموية ، بل كانت أكثر التهابا فى عهد العباسيين ، حتى أن الوالى العباسى «أبو صالح يحيى بن داود بن سرور» سنة (١٦٢ — ١٦٤) هـ وهو أول الولاة من العنصر التركى، وقد عرف بالشدة وقوة المراس وعظمة الهيبة، اضطر إلى أخذ الأهالى بالبطش والعنف لأن الكثيرين منهم تحوّلوا بسبب سوء الحكم إلى قطّاع طرق لا يأمن المارة معهم على حياتهم وأموالهم . فأقام ابو صالح يحيى بينهم حرّاساً مسئولين عن الأمن وعن المتاع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولقد بلغ من شدة ثقته بنفسه ونشاطه أن أمر بأن تظل أبواب المنازل والحوانيت والحانات بالفسطاط مفتوحة طول الليل ، فكان الناس ينشرون شباكا على أبواب منازلهم لتمنع دخول الكلاب إليها .

وفى عهد موسى بن مصعب الذى حكم من سنة (١٦٧ — ١٦٨) هـ ضوعفت الضرائب على أهالى الفسطاط فثاروا فى وجه الوالى و بلغ من شدة الثورة أن تغلب الأهالى على الوالى وقتلوه .

وتلا ذلك تغيير كبير فى نظام الحكم بمدينة العسكر ، إلا أن ذلك لم يقلل من فرض المكوس على المتاجر ودواب الحمل مما ترتب عليه رفض الأهالى دفع الضرائب المقررة وشق عصا الطاعة ثم انقلاب بعضهم إلى نهب المسافرين والماشية والعمل على امتداد لهيب الثورة إلى سائر بلاد الدولة العباسية .

وعلى أثر وفاة الرشيد ونشوب الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون عاد المصريون وغالبيتهم من القبط إلى ثورتهم القديمة لأن الأمين كان قد تحبب إلى بعض منهم وعهد ببعض الوظائف الكبرى إلى رؤساء بعض العشائر القبطية فضمن بذلك ولاءهم له حتى ثاروا فى وجه نائب المأمون عليهم وتغلبوا عليه وقتلوه .

ولكن ذلك لم يمنع المأمون من الفوز فى النهاية .

فلما استتب الأمر للمأمون ، عين عبد الله بن طاهر والياً على مصر سنة (٢١١ — ٢١٤) هـ فاستطاع بحزمه وسداد رأيه أن يقف ثورات القبط عامة و يعيد الهدوء إلى ربوع القطر بأجمعه حتى أن المأمون أهداه خراج مصر البالغ ثلاثة آلاف ألف دينار (تقريباً مليون ونصف مليون جنيه مصرى) تقديراً لحسن صنيعه .

وعند ما نقل ابن طاهر إلى خراسان عاد القبط مرة أخرى إلى ثورتهم فكمنوا عند المطرية وانقضوا على الوالى الجديد « المعتصم » أخى الخليفة وأحرقوا أمتعته واختبأوا بمنازل الفسطاط ، ولكن المعتصم فتك بكثير من زعمائهم ونجح فى إخماد الثورة .

ثم قرر المأمون أن يحضر بنفسه إلى مصر ليقمع الثورات المتأججة التى لم تكن لتقف عند حد .

وعند وصول المأمون إلى مدينة العسكر فى ١٠ محرم سنة ٢٤٧ هـ (٨٣٢) م أرسل جيشاً تحت إمرة أحد القواد الأتراك لقمع الثورة . فأوقع جيش المأمون بالقبط وأحرق مساكنهم وسبى نساءهم وأطفالهم حتى فنى الكثيرون منهم . ومنذ ذلك التاريخ زاد عدد المسلمين على عدد القبط واستقر العرب فى القرى والمزارع بعد أن كانوا يلازمون المدن وخصوصاً الفسطاط والعسكر .

وشاهدت الفسطاط الكثير من مناظر تعذيب القبط والعسف بهم إذ كان منظر الرءوس المفصولة من أجساد أصحابها الزعماء من المشاهد العادية كل يوم . وكان الكثير منها يعلق على جدران جامع عمرو .

وظلت الثورة والشغب والمؤمرات والفتن الداخلية مستمرة فى البلاد جميعها . إلا أن ذلك كله لم يعرقل رفاهية العاصمة ، بل كان سبباً فى أثارة ضغائن الحكام ونزق بعضهم مما أدى إلى تعكير صفو أهالى البلاد كلهم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد بدأت أهمية مدينة العسكر تقل تدريجاً منذ ما بنى أحمد بن طولون عاصمته الجديدة القطائع .

فصار يذكر اسم الفسطاط والقطائع وترك اسم العسكر فأصبحت كأنها لم تكن ، و إن كان أحمد بن طولون نفسه قد شيد فيها مارستانا عظيما بالقرب من بركة قارون التى بنى عليها كافور الأخشيدى فيما بعد داراً صرف فى بنائها مائة ألف دينار وسكنها .

وظل أمراء مصر يقيمون فى دار الأمارة بمدينة العسكر حتى انتقل أحمد بن طولون إلى قصره الذى شيده بجوار جامعه بالقطائع . ثم جاء جوهر الصقلى قائد جيوش المعز ، و بنى مدينة القاهرة . فأخذت مدينة العسكر فى الانحطاط حتى تخربت فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى على أثر المجاعة التى حدثت فى ذلك الحين وعرفت باسم « الشدة العظمى » .

ولما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى وشرع يعمر القاهرة أخذ الناس فى نقل ما كان بالعسكر والقطائع من أنقاض المبانى حتى أتى على معظم ما فيهما وصار مكان هاتين الضاحيتين موحشاً مقفراً .

ولم يبق إلى الآن من العسكر والقطائع سوى جبل يشكر الذى بنى عليه جامع ابن طولون . أما الدور والمنازل والمساجد والأسواق والحمامات والبساتين والبركة العجيبة والمارستان فاندثرت وحتى مواقعها أصبحت محل شك .

وتخلفت عن مدينة العسكر ، تلك العاصمة العباسية ، تلال زين العابدين الواقعة إلى جنوب المدينة الحديثة . وهى وصمة فى جبين القاهرة الحالية عروس الشرق يتحتم على مجلسها البلدى ، بعد إنشائه قريباً إن شاء الله ، إزالتها ونقل ما بها من مدابغ ومصانع سماد عضوية إلى مكان آخر . ثم إعادة تخطيط موقعها تخطيطا يتناسب مع ما كان لهذا المكان من روعة وجمال .

وقد أدت الحفريات الحديثة التى قامت بها دار الآثار العربية فى تلال زينهم بجوار جامع أبو السعود إلى كشف بعض منازل مدينة العسكر القديمة وحماماتها .

ويجد الباحث هناك الآن ما يسمى « بالمنزل الطولونى » وهو منزل محتفظ إلى درجة كبيرة بتفاصيله المعمارية المهمة ، وتتم طريقة بنائه على أنه بنى فى عصر أحمد بن طولون و بنفس الطريقة التى بنى بها جامعه .

و بجوار هذا المنزل ، تجد ما يسمونه « الحمام الفاطمى » وهذا أيضاً حمام محتفظ بتفاصيله المعمارية احتفاظاً مدهشاً فترى فيه مكان بيت النار وطريقة وصول المياه الباردة من البئر المنقورة فى الصخر إلى مكان الدماسات القديمة وطريقة سير المياه الساخنة إلى أجزاء الحمام المختلفة .

وأعجب ما فى هذا الحمام هى صور النساء العاريات فى سقف قبة المغطس مما يثبت أن التصوير لم يكن محرّماً فى العصر العربى بل كان فناً ممتازاً يزدهر مع تقدم البلاد ويختفى فى عصور الانحطاط والتأخر ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثامن

مدينـــة القطائع

فى غضون القرن الثالث الهجرى انقطع ما بين مصر ودولة بنى العباس من أسباب ، وانفصم ما كان يربط مصر بمركز الخلافة ببغداد من عرى الروابط . وتربع على عرش مصر إذ ذاك أحمد بن طولون الذى أنشأ لنفسه فى مصر دولة دانت لها الشام و بعض أقطار أخرى ، وخشى بأسها الخليفة العباسى الذى راض نفسه على الاعتراف بالدولة الطولونية فى مصر .

أحمد بن طولون

الأمير أبو العباس احمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية قدم مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) نائباً عن الأمير « بكباك » فعين على الفسطاط وأسيوط وأسوان فتغلب بحسن تدبيره على من كان حوله . فعظم شأنه بينهم وخضعوا لسطوته .

ولما توفى « بكباك » وهبت مصر للأمير « ماجور » حمى ابن طولون أى والد زوجته فأبقاه فى منصبه .

وفى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) قلده الخليفة المعتمد على الله العباسى الخراج على مصر والولاية على الثغور الشامية ، فكان لقسوة ابن طولون وسطوته خير أثر فى مصر فسادت السكينة البلاد ونمت ثروتها .

ثم نجح ابن طولون فى الاستيلاء على حكم مصر وجعله وراثياً فى أسرته ، وظلت البلاد خاضعة له ولذريته من بعده حوالى ٣٨ عاماً هجرياً تجلى فيها الترف والبذخ .

وتوفى احمد بن طولون إلى رحمة الله سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) وقبره مجهول الآن .

وكان محباً للعلم كثير الصدقات شغوفاً بالعمارة فقد أصلح منار الأسكندرية ومقياس النيل وأنشأ حصن جزيرة الروضة ومسجد التنور ومدينة القطائع والقصر والميدان وقناطر المياه والمارستان والجامع الكبير .

سياسته الداخلية والخارجية

وقد استأثر أحمد بن طولون بالحكم بعد أن أبعد « احمد بن المدبر » أمير المال عن منصبه بالطريقة الآتية :

أرسل إليه الخليفة المعتمد بن المتوكل يستحثه فى جمع الخراج فأجابه « لست أطيق ذلك والخراج فى يد غيرى » . فأحيل الخراج إليه وأصبحت جميع أعمال مصر الإدارية والعسكرية بيده ، وعزل ابن المدبر الذى خرج لسوريا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتغلب احمد بن طولون على مثيرى الفتن بمصر ، وأخضع ثلاث ثورات شبت فى البلاد ، ثم سار إلى الشام واحتلها ووصل بجيوشه إلى طرسوس والفرات وحارب جنود الخليفة وجنود الروم ووحد تحت سلطته امبراطوريه تمتد من برقة غربا إلى بلاد الروم شرقا ومن نهر الفرات إلى بلاد النوبة .

وسار أحمد بن طولون فى تنفيذ سياسته الداخلية بنفس الخطوات التى أتبعها فى تنفيذ سياسته الخارجية وهى سياسة الإصلاح والإنشاء والعمران .

كانت مدينة العسكر وقت وصول ابن طولون إلى مصر قد نمت وازدهرت لكثرة ما شيد فيها من الأحياء العامرة والأسواق الرائجة والشوارع الجميلة والعمارات الفخمة . وكانت الطبقة الراقية من رؤساء الجيوش وولاة الأمور تقيم بها .

نزل ابن طولون فى أول الأمر فى بيت الأمارة بالعسكر وشرع بعد أن استتب له الأمر خارجياً وداخلياً فى بناء الاستحكامات وتحصين البلاد ثم أخذ يبحث عن مكان يتسع لجنوده وعبيده وأتباعه وأسلابه وتحفه ومهماته لأن العسكر كانت قد ضاقت عن أن تسع كل ذلك . فصعد إلى المقطم ونظر إلى ما حوله فرأى بين العسكر والجبل بقعة من الأرض مساحتها نحو ميل مربع لا شىء فيها من العمارة إلا بعض المدافن للمسيحيين واليهود فاختارها لإنشاء مدينته الجديدة وعاصمة مملكته الناشئة وأمر بحرث المدافن وهدمها واختط فى موضعها مدينة « القطائع » .

موقع مدينة القطائع وخططها

وكانت جبانة المسيحيين واليهود فى عصر ابن طولون تقع بين الرميلة وجامع زين العابدين وكانت مساحتها نحو ميل مربع . وكانت هذه الجبانة تشغل الأماكن المعروفة الآن باسم ميدان محمد على وميدان صلاح الدين (قره ميدان سابقاً) والمساحة الواسعة الممتدة من هناك إلى ميدان المنشية .

وقد أزال ابن طولون هذه المقابر وأقام محلها قصره الكبير .

قال المقريزى : « زالت آثار القطائع ، ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فإنه من أول الرميلة تحت القلعة إلى الموضع الذى يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين . وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل ، وقبة الهواء كانت فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل ، وتحت قبة الهواء كان قصر ابن طولون . وموضع هذا القصر الميدان السلطانى الآن الذى تحت القلعة بالرميلة . وكان موضع سوق الخيل والحمير والبغال والجمال بستاناً ويجاورها الميدان الذى يعرف اليوم بالقبيبات . فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الذى أنشأه احمد بن طولون . وبحذاء الجامع دار الأمارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب وهناك أيضاً دار الحرم » .

وقال الأمير جمال الدين أبى المحاسن يوسف :

« القطائع بمعنى الأطباق التى للمماليك السلطانية الآن وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها . فكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان وأخرى قطيعة الروم وثالثة قطيعة الفراشين ونحو ذلك .

وكانت كل قطيعة مخصصة لسكن جماعة ممن ذكرنا وهى بمنزلة الحارات اليوم .

وبعد أن اختط الأمير قصره وميدانه أمر أصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم بيوتا . فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط التى بمصر القديمة » .

وقال القضاعى :

« وكان للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم . وبنى القواد مواضع متفرقة وعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والأزقة وعمرت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران والحوانيت والشوارع وسميت أسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين ، وسوق العاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين » .

فإذا طبقنا هذه المعالم على حالة القاهرة الآن يتبين لنا أن مدينة القطائع كانت تحد من غرب بشارع السد ومن الجنوب بشارع الشيخ سليم بالبغالة ثم إلى قلعة الكبش ومنها بخط مفروض إلى ميدان صلاح الدين ومن شرق بميدان صلاح الدين وميدان المنشية ومن الشمال بشارع شيخون وشارع الصليبة والخضيرى ومراسينا إلى ميدان السيدة زينب .

قصر ابن طولون :

وسمى هذا القصر هو وملحقاته بالميدان . وكانت له أبواب لكل باب اسم وهى باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وباب الصوالجة ، وباب الخاصة ولا تدخل منه إلا خاصة ابن طولون ، وباب الجبل لأنه مما يلى جبل المقطم ، وباب الحرم ولا يدخل منه إلا خادم خصى أو سيدة ، وباب الدرمون لأنه كان يجلس عنده حاجب أسود عظيم الخلقة ، وباب دعناج لأنه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج ، وباب الساج لأنه عمل من خشب الساج (التك) ، وباب الصلاة لأنه كان فى الشارع الأعظم ومنه يتوصل إلى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب أيضا باسم باب السباع لأنه كان عليه صورة سبعين من الجبس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان الطريق الذى يخرج منه ابن طولون وهو الذى يعرّج منه على القصر طريقاً واسعاً فقطعه بحائط أنشأ فيه ثلاثة أبواب كبيرة كأقواس النصر وكانت متصلة بعضها ببعض واحداً بجانب الآخر .

وفى المواكب الرسمية كان الجيش يخرج بشكل متكاثف على ترتيب حسن ثم يخرج ابن طولون من الباب الأوسط بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس .

وكانت الأبواب المذكورة تفتح كلها فى يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم صدقة وفيما عدا ذلك لا تفتح إلا بترتيب ونظام خاصين فى أوقات معينة .

وكان للقصر نوافذ تشرف على الأبواب .

ولما بنى هذا القصر والميدان وعظم أمره زادت صدقاته ورواتبه حتى بلغت صدقاته المرتبة فى الشهر ألفى دينار ، وهذا غير ما كان يزاد عليه وكان يقول :

هذه صدقات الشكر على تجديد النعم . ثم جعل مطاعم للفقراء والمساكين فى كل يوم وكان يذبح فيها البقر والغنم ويفرق للناس فى القدور الفخار والقصع . ولكل قصعة أو قدر أربعة أرغفة . وكان فى الغالب يعمل سماط عظيم وينادى فى مصر : من أحب أن يحضر سماط الأمير فليحضر . ويجلس هو بأعلى القصر ينظر إلى ذلك ويأمر بفتح جميع أبواب الميدان ينظرهم وهم يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته .

وكان السلطان يستطيع أن يرى من باب قصره العظيم وكان مقره المحبوب ، الفسطاط والنيل .

قناطر ابن طولون بقرية البساتين :

وكانت مياه القصر تستمد من بركة الحبش المتصلة بالنيل بخليج اسمه خليج بنى وائل . وكانت هذه البركة تقع بالصحراء القبلية عند قرية البساتين الحالية . ففوق المكان المعروف الآن بهذه الجهة باسم بير أم السلطان ومياهها الغائرة مستمدة من بركة الحبش أقام أحمد بن طولون السواقى والقناطر وبنى حائط مجرى المياه لتغذية القصر وتوابعه بالمياه العذبة الصالحة للشرب سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م)

ولا تزال آثار قناطر ابن طولون وحائط مجرى المياه ماثلة للآن بقرب قرية البساتين . وهى وإن كان الزمان قد اعتدى عليها فعفى كثير من عقودها إلا أنه أبقى على بعض عقودها المدببة المماثلة لعقود الجامع الطولونى كما أبقى على بعض أقبية وعقود البئر . وهى تدل على مقدار العناية بابنية الآجر فى الدولة الطولونية . ويبدو ذلك جليا فى جمال عقود الطاقات الباقية بالوجهتين القبلية والغربية للبئر وفى الأقبية الداخلية . وقد تجلت الدقة فيها وفى تفنن الصانع فى بناء مفتاح هذه الأقبية . ومما يلاحظ أن حجم الآجر المستعمل فى بناء هذه القناطر ونوعه هو نفس الحجم والنوع المستعملان فى بناء جامع ابن طولون .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

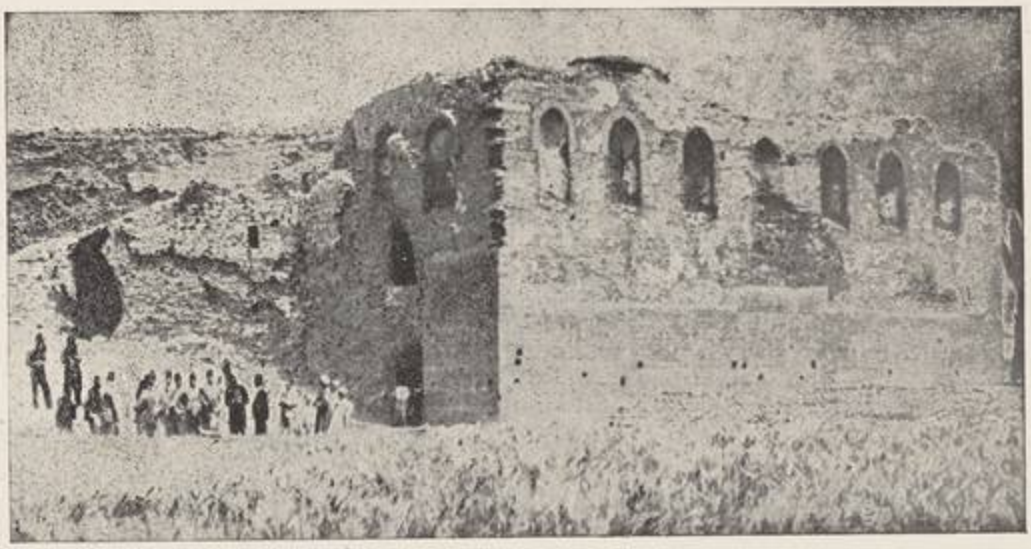

قناطر ابن طولون بقرية البساتين .
وكانت تقع على شاطىء بركة الحبش لرفع المياه إلى القصر وتوابعه .

تخطيط مدينة القطائع

وقد روعيت لأول مرة فى العهد الاسلامى ، عند تخطيط مدينة القطائع ، القواعد المقررة لتخطيط المدن التى وضعت فى القرن الخامس قبل الميلاد . فأنشىء الميدان فى وسطها وشغل ضلعى الميدان الشرقى والغربى بقصر الأمير وبالمسجد الجامع . أما ضلعا الميدان الشمالى والجنوبى فكانا يتقاطعان مع الشوارع على زوايا قائمة . ويعرف هذا التخطيط بمبدإ تغلب الخط المستقيم أى أن تكون شوارع المدينة مستقيمة ومتقاطعة على زوايا قائمة بشكل شبكة منتظمة .

وكان شكل المدينة فى بادىء الأمر مربعا ثم اتجه العمار فى السنين التالية إلى جهة الغرب وغدا شكلها مستطيلا.

أما مساكن هذه المدينة ، ففى المنزل الطولونى الواقع فى أول مدينة القطائع من الجنوب والذى كشفت عنه دار الآثار العربية أنموذج حى لما كان عليه تخطيط منازل هذه المدينة وزخارفها وترجع كلها فى الأصل إلى نماذج مأخوذة من مدينة سامرا أو (سرّمن رأى) بالعراق وهذه ترجع بدورها إلى المدنية الأشورية والمدنية المصرية القديمة .

جامع ابن طولون

بعد أن فرغ ابن طولون من بناء القصر والميدان وجامع التنور الذى بناه على قمة جبل المقطم فى مكان وراء القلعة كان يدعى تنور فرعون . وكان هذا المكان من مخلفات العصر الفرعونى ، وبه مقبرة من مقابر العظماء وجد فيها ابن طولون آثارا ذهبية كثيرة وأمر عند ذلك ببناء الجامع هناك ودعاه جامع التنور .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أقول بعد أن فرغ إذن من هذه العمارات شرع فى بناء الجامع الطولونى العظيم الرابض فوق جبل يشكر منذ حوالى أحد عشر قرنا وكان ذلك سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) واستمر العمل سائراً فيه إلى أن تمت عمارته فى شهر رمضان سنة ٢٦٥ هـ (ابريل سنة ٨٧٨ م) وهو من أكبر المساجد حيث تبلغ مساحته مع الزيادات ستة أفدنة ونصف ، ووضع تصميمه على مثال المساجد الجامعة صحن كبير مكشوف تحيط به أروقة ذات عقود . وقد وصف الأستاذ المحقق حسن عبد الوهاب هذا الجامع وصفاً رائعاً جاء به :

هو على شكل مربع تقريباً ضلعه ١٦٢٫٥٠ × ١٦١٫٧٣ متراً يشغل منه المسجد مع جدرانه مستطيلا

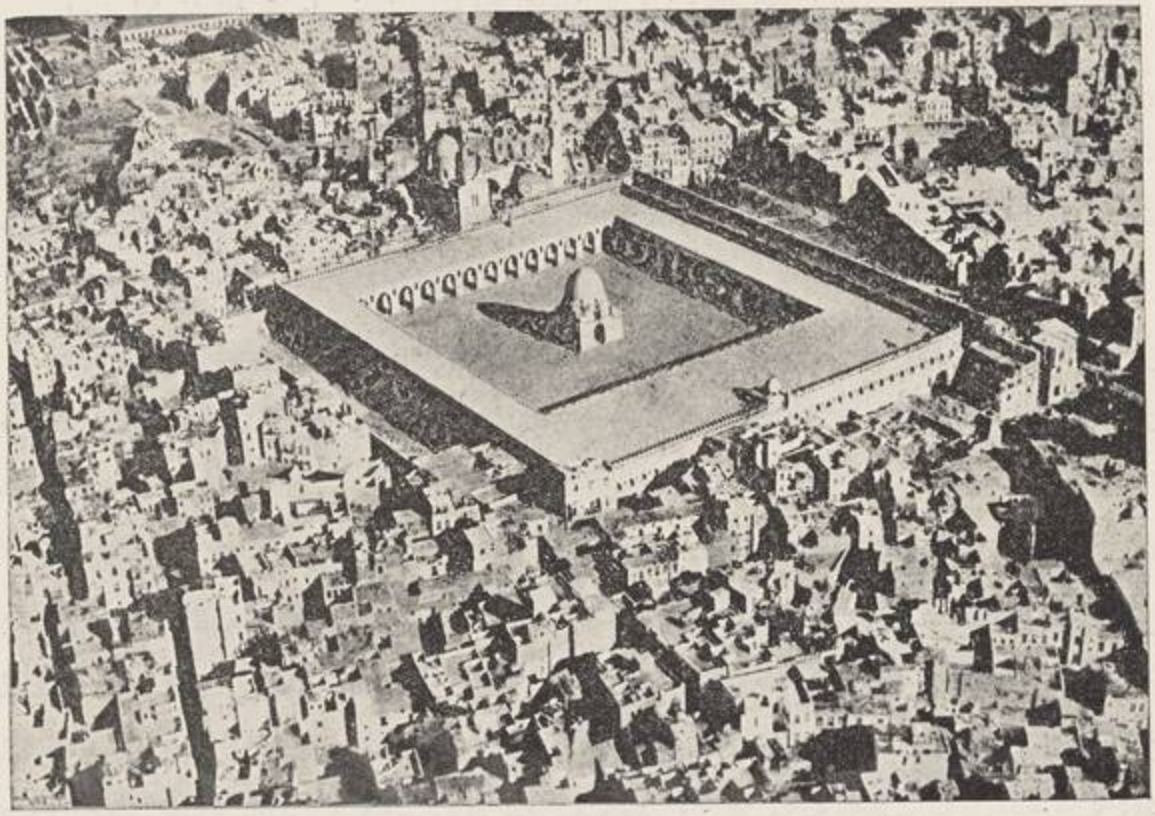

جامع ابن طولون الرابض فوق جبل يشكر منذ حوالى أحد عشر قرنا وحوله مساكن هذا الحى

مساحته ١٧٢٤٣٫٨١ متراً مسطحاً ، ويتكون هذا المستطيل من صحن مكشوف مربع ٩٣٫٣٠ × ٩١٫٩٥ متر تحيط به أروقة من جوانبه الأربعة مساحتها مع الجدران ٨٧٥٦٫٨٣ متراً مربعاً .

ويحيط الجامع من جوانبه القبلية والبحرية والغربية أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادات مسطحها مع جدرانها ٩٠٣٧٫٣١ متراً مربعاً . وأسوار هذه الزيادات عالية تسودها البساطة فتحت فيها أبواب تقابل أبواب الجامع تتوجها من أعلى شرفة مفرغة كما فتحت بأسوار الجامع أبواب وشبابيك علوية بينها طاقات مخوصة تتوجها من

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أعلى شرفات . وهى من أسوار الزيادة . وعدة أبواب الجامع ٢١ باباً بما فيها بابان صغيران فى الجدار الشرقى وذلك عدا أبواب الزيادة المقابلة لبعضها .

وكان كل باب من أبواب الجامع يقع أمام سوق من الأسواق التى كانت تحيط به حيث كانت التجارة رائجة حوله .

ويقع المحراب وسط الإيوان الشرقى وهو أكبر الإيوانات وأكثرها أروقة وأحفلها زخرفاً . وبه المنبر وبه تاريخ إنشاء الجامع وتوجد به محاريب أخرى فاطمية ومملوكية .

ويشتمل الإيوان الشرقى على خمسة أروقة أما باقى الإيوانات فيشتمل كل منها على رواقين فقط .

وهذه الأروقة مكونة من دعائم مبنية بالطوب مقاس كل دعامة منها ٢٫٥٠ × ١٫٣٠ متر مخلق فى نواصيها الأربع عمد ذات قواعد وتيجان تحمل عقوداً ستينية تظهر لثانى أو لثالث مرة فى العمارة الإسلامية بمصر حليت حافاتها بزخارف جصية نباتية مورقة . وقد لجأ المهندس إلى التخفيف عن ظهر العقود ففتح فيها شبابيك خلقت بأكتافها عمد رشيقة وحليت حافاتها بزخاف نباتية مورقة مختلفة .

واختيار المهندس لهذه الدعائم بدل العمد برهن على حسن ذوقه فقد تخلص بها من العمد الرخامية المختلسة من الكنائس والأديرة والمعابد القديمة وهى بطبيعة اختلاف مواردها غير متجانسة لا فى الطول ولا فى السمك ولا فى حليات التيجان ولا فى القواعد .

يحكى أن ابن طولون عقد النية على إقامة ثلاثمائة عمود من الرخام فى مسجده . فقيل له إن مثل هذا العدد لا يتيسر الحصول عليه ولو هدمت جميع الكنائس المسيحية بمصر . وكان بين مهندسى ذلك العصر المهندس المسيحى « ابن الكاتب الفرغانى » وكان مهندساً معمارياً بارعاً وقد أودع السجن لتهمة باطلة وجهت إليه . فلما بلغه ما اعتزم ابن طولون كتب إليه من السجن أنه قادر على إتمام مشروعه وأنه لا يحتاج فى ذلك إلى أكثر من عمودين يجعلهما عمودى القبلة . فاستحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه وطلب إليه أن يشرح له ذلك فرسم الجامع على الكيفية التى كانت فى ذهنه مقتبساً تصميمه من تصميم جوامع « سر من رأى » فأعجب ابن طولون وأمر باطلاق سراحه وخلع عليه وجعل تحت أمره مائة ألف دينار وقال له : « أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك » .

فبنى الفرغانى الجامع من الطوب ومونة الجير والرمل ولم يبن فيه بالحجر سوى منارته . والطوب المستعمل فى جامع ابن طولون من الآجر الغامق الجيد الحريق يبلغ مقاسه فى الغالب ١٨ × ٨ × ٤ سم وهو مبنى مداميك أديه وشناوى ولحاماته متسعة وقد بلغت تكاليفه مائة وعشرين ألف دينار أى حوالى ٦٣٫٠٠٠ جنيه مصرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويعلو العقود أفريز زخرفى من الجص يعلوه إزار خشبى به كتابة بالخط الكوفى البارز يشمل سورة البقرة وآل عمران ثم السقف .

وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول رحمه الله قامت إدارة حفظ الآثار العربية بتجديد شامل لهذا الجامع القديم الذى أدخلت عليه تعديلات كثيرة فى عصور مختلفة فجدد بطريقة مبتكرة إذ عمل السقف بالأسمنت المسلح بتقاسيمه القديمة ثم غلف بالأخشاب القديمة والجديدة طبقاً للأصل القديم .

ويحيط بجدرانه الأربع من أعلى ١٣٠ شباكا من الجص مفرغة بأشكال هندسية مختلفة .

المحراب : يقوم بكل من جانبى هذا المحراب عمودان متلاصقان من الرخام يعلو كل اثنين منها تيجان من الرخام المفرغ دقيق الصنع من الطراز البيزنطى القديم كل اثنين منها متشابهان .

وبتجويف المحراب عصابة من الفسيفساء المذهبة كتب بها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وهيكل المحراب بعمده من عهد ابن طولون إلا أن هذه الفسيفساء والكسوة الخشبية بطاقيته والقبة أعلاه من عمل المنصور لاچين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) أما الكسوة الرخامية فأحدث عصراً من غيرها .

المنبر : يجاور المحراب منبر خشبى جميل اتخذت حشواته من الساج الهندى (خشب التك) والأبنوس ودقت بالأويمة الدقيقة وهو ليس بالمنبر القديم للجامع بل من عمل الملك لاچين المنصورى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) .

وكاد الزمن يفقد المنبر لولا عناية لجنة حفظ الآثار العربية التى جمعت بقاياه من المتاحف وكملته على مثالها .

أما الملك المنصور حسام الدين والدنيا لاچين المنصورى أحد ملوك مصر فى نهاية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فهو الذى قام بعمارة كبيرة بالجامع تناولت إصلاحه وإصلاح شبابيكه وعمل القبة أعلى المحراب والمنبر والقبة بوسط الصحن والسبيل الذى جدده فيما بعد السلطان قايتباى بالزيادة القبلية وكذا قمة المنارة وذلك وفاء لنذر نذره لتعمير هذا الجامع حينما اختفى فيه وهو خرب فى فتنة الأشرف خليل بن المنصور قلاوون .

دار الإمارة : بنى ابن طولون داراً جديدة للإمارة تلاصق الجامع من الجهة الشرقية الجنوبية . وكان على يمين المنبر باب يؤدى إلى هذه الدار . وقد أسسها ابن طولون بالمفروشات والستور وكانت مخصصة لنزوله حينما يذهب لصلاة الجمعة فيجلس فيها ويجدد وضوءه ثم يدخل منها إلى مقصورته بالمسجد .

ولقد ذهبت هذه الدار ولم يبق منها سوى بقايا سقف كان بشكل رأس فيل بنابيه وهى طرفة نادرة .

القبة وسط الصحن : هذه هى ثالث قبة فقد احترقت الأولى وهى لابن طولون سنة ٣٧٦ هـ سنة (٩٨٦ م) وكانت قائمة على عمد رخامية — وهدمت الثانية وهى التى أنشأها العزيز بالله الخليفة الفاطمى سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) وقيل أمه تعزيد — وحلت محلها القبة القائمة الآن التى أنشأها المنصور لاچين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وهى قبة كبيرة مقاس كل من ضلعيها الشمالى والجنوبى ١٢٫٧٥ متر والشرقى والغربى ١٤٫١٠ متر محمولة على أربعة عقود كانت شبابيكها محلاة من الخارج بزخارف وكتابات كوفية . وبرقبتها من الداخل طراز جصى مكتوب فيه آية الوضوء يتوسطها فسقية ويسترعى النظر فيها وجود سلم فى سمك جدارها يوصل إلى سطح قاعدتها المربعة .

المنارة : أقيمت المنارة فى الزيادة الغربية خلف حائط الزيادة على مسافة ٤٠ سم وهى مبنية بالحجر مقاس قاعدتها ١٠٫٩٥ × ١٠٫٦٠ متر وسلمها من الخارج بأربع قلبات يصعد منه إلى سطح فسلم حلزونى نصف دائرى يتوصل منه إلى سطح آخر يرتكز عليه الجزء العلوى الذى على هيئة مبخرة . وهى المنارة الوحيدة بمصر ذات السلم الخارجى تشابه منارة سامرا . والمرجح أن هذه المنارة من عهد ابن طولون وقتها المثمنة من عمل لاچين سنة ١٢٩٦ م والظاهر أنها بنيت بعد الفراغ من بناء أسوار الجامع والزيادات التى هى جزء منه ومبنية معه .

منظر جامع ابن طولون وترى فيه تفاصيل المنارة وقبة الصحن

ويبدو لى أن هذه المنارة مقتبسة من منارة الإسكندرية الشهيرة مع بعض التحوير القليل فقاعدتها المربعة التى يعلوها سطح ثم الدور الثانى المثمن الاضلاع والدور الثالث المستدير والسلم الخارجى كل هذه من معالم منارة الاسكندرية القديمة . ومن المعروف أن ابن طولون رمم منارة الاسكندرية سنة ٢٥٩ هـ (٨٦٩ م) فلا يبعد أن يكون قد أمر باقتباس تصميم هذه المنارة عند بناء منارة جامعة ! !

الأساس : قلنا إن الجامع الطولونى أقيم على جبل يشكر ولذلك فإننا نجد أساسه فى الجهة القبلية على الصخر مباشرة بينما نجد أن هذا الأساس ينزل فى الجهة البحرية إلى عمق خمسة أمتار حتى يصل إلى الصخر أيضاً

أعمال الاصلاح : أقيمت بالجامع إصلاحات فى عصوره المختلفة منها عمارة بدر الجمالى الوزير الفاطمى سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧م) وهى مثبتة فى لوح رخامى فوق أحد أبواب الزيادة البحرية . ثم عمارة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٦ هـ (١١٣٢ م) . ثم عمارة حسام الدين لاچين المنصورى وهى أكبر عمارة أجريت به عام ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وفى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) جدد القاضى كريم الدين مئذنتين على طرفى الوجهة الشرقية وقد هدمتا .

أما بداية أفول نجم الجامع فقد كانت فى أيام محمد بك أبى الذهب فإنه ما كاد يلى الأمارة بمصر حتى أنشأ به مصنعاً لعمل الأحرمة الصوفية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وما حلت سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) حتى حوّله كلوت بك إلى ملجأ للعجزة، وظل كذلك إلى سنة ١٨٨٢ م حتى تألفت لجنة حفظ الآثار العربية ففكرت فى انتشاله من وهدته .

وفى سنة ١٩١٨ أمر المغفور له الملك فؤاد الأول بإصلاح الجامع إصلاحا شاملا ونزع ملكية ما حول من أبنية فأخليت الوجهة القبلية وأجزاء الشرقية وأجريت به إصلاحات كثيرة كبيرة فتح لها اعتماد قدره ٤٠ ألفاً من الجنيهات خلاف الاعتمادات اللازمة لإزالة ما أحاط به من الأبنية وإنشاء الميادين الفسيحة حوله حتى يعود إلى سابق بهجته ورونقه .

أعمال أخرى لابن طولون : وأمر ابن طولون ببناء المستشفى (المارستان) فى مدينة العسكر . وبلغت تكاليفه ستين ألف دينار . وبنى حصناً بجزيرة الروضة سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) لا أثر له الآن . ورمم منارة الإسكندرية .

مارستان ابن طولون : قال جامع السيرة الطولونية : « بنى احمد بن طولون المارستان ولم يكن بمصر مارستان . ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودورة فى الأساكفة وسوق الرقيق . وشرط فى المارستان ألا يعالج فيه جندى ولا مملوك . وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء . وشرط إنه إذا جىء بالعليل تنزع ثيابه وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ . فإذا أكل فروجا ورغيفاً (أى إذا شفى واستطاع أن يأكل الطعام العادى الذى يأكله الأصحاء) أمر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه .

وكان ابن طولون يركب بنفسه فى كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها وينظر إلى المرضى وسائر الأعلاء والمحبوسين من المجانين . فدخل مرة حتى وقف بالمجانين فناداه واحد منهم مغلول وقال : « أيها الأمير اسمع كلامى ما أنا بمجنون وإنما عملت علىّ حيلة وأشتهى أكل رمانة أكبر ما يكون » . فأمر له بها من ساعته ففرح بها وهزها فى يده لينظر ما ثقلها ثم غافل الأمير احمد بن طولون ورمى بها فى صدره . فنضحت على ثيابه ولو تمكنت منه لأثرت على صدره . فأمرهم أن يحتفظوا به . ثم لم يعاود بعد ذلك النظر فى المارستان . »

خمارويه بن احمد ابن طولون

ومات أحمد بن طولون بعد حكم دام ١٦ سنة وعمره حوالى خمسين عاما وكانت وفاته سنة ٢٧٠ هـ (مايو سنة ٨٨٤ م) . وقد خلف ٣٣ ولداً منهم ١٧ ذكراً منهم خمارويه بن احمد بن طولون الذى ولى العرش بعد أبيه وبويع فى يوم الأحد ١٠ ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ وكان أول عمل له هو قتل أخيه العباس لامتناعه عن مبايعته

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولم يشأ خمارويه أن يجعل مركز حكومته فى الفسطاط كما فعل أبوه فجعلها فى القطائع ثم أدخل على قصر أبيه تحسينات كثيرة وحول الميدان المجاور للجامع إلى بستان فيه من الأشجار النادرة والزهور العاطرة ما يدهش الألباب . وكسا أجسام النخل نحاساً مذهباً دقيق الصنع وجعل بين النحاس وأجسام النخيل مياز يب من الرصاص وأجرى فيها الماء فكان يبدو النخيل ، والماء ينفجر من تضاعيف جسمه وينحدر إلى المساقى حتى يفيض منها ثم يندفع فى قنوات منسقة تنسيقاً جميلا لرى سائر البستان ، كأنه نوافير سماوية تستقى منها جنات النعيم . وكان هناك اخصائى يتعهد أشجار ونباتات هذا البستان بالمقاريض ويرسم منها نقوشاً وكتابات بارزة غاية فى الجمال والتنسيق .

وقد أقام خمارويه فى البستان برجا فسيحاً جميلا هائلا من خشب التك المطعم بسن الفيل والعاج وقسمه أقساما كالأقفاص وبلط أرضه وجعل فيها الماء يجرى أنهاراً ثم اطلق فى هذا البرج الطواويس ودجاج الحبش والطيور ذوات الأصوات الرخيمة وجعل لها أوكاراً فى قواديس ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ فيها وجعل لها عيداناً مثبتة فى الجوانب لتقف عليها . فكانت هذه الطيور تغتسل فى مياه الأنهر وتتصايح وتسرح فى جنبات الكشك .

وفى هذا الكشك أقام خمارويه لنفسه مجلساً سماه دار الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب واللازورد وجعل فوق الحيطان إزاراً من الخشب إرتفاعها قامة ونصف قامة بها صور بارزة معمولة على صورته وصور محظياته ومغنياته وعقد على رءوسهن الأكاليل من الذهب والجواهر المرصعة وحلى أذانهن بالأقراط الثقال ولونت أجسامهن بأصناف تشبه الثياب من الأصباغ العجيبة .

وبعد ذلك أنشأ فى وسط القصر بركة من الزئبق طولها خمسون ذراعاً وعرضها خمسون ذراعاً وجعل فى أركان البركة سككا من فضة وجعل فى السكك زنابير من حرير محكمة الصنع فى حلق من فضة .

وعمل فراشاً من جلد ينفخ بالهواء فيحكم شده ، ويلقى على البركة ويشد بالزنابير الحرير التى فى حلق الفضة . وينزل خمارويه فينام على هذا الفراش فلا يزال الفراش يرتج ويتحرك بحركة الزئبق حتى يغط خمارويه فى نومه وينام نوما عميقاً بينما كان أسده الأزرق العينين «زريق» يسهر عليه ويحرسه .

وكان منظر انعكاس ضوء القمر على بركة الزئبق ليلا من أعجب المناظر فى العالم .

وبنى خمارويه فى القصر أيضاً قبة تضاهى قبة الهواء سماها «الدكة» وجعل لها ستوراً تقيه الحر والبرد وتسدل حيث يشاء وترفع حيث يشاء .

ومن هذه القبة كان خمارويه يشرف على جميع ما فى داره كما كان يشرف على الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة .

ثم بنى ميداناً آخر أكبر من ميدان أبيه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان هناك جوسق شيده أبوه كان خمارويه يجلس فيه إلى المائدة مع حريمه يحيط به الموسيقيون ويرتل فيه الرجال ذوو الأصوات الشجية آى القرآن الحكيم ويؤذنون بالفجر وينشدون الأغانى الدينية البهيجة والحزينة تباعا .

وأقام أيضاً خمارويه فى نطاق مدينته حدائق للحيوان وبنى فيها دوراً للسباع لها أبواب منزلقة تفتح من أعلى لإدخال الطعام وتنظيفها . وقد جمع خمارويه فى هـذه الحدائق كل أصناف الحيوان من أسود ولبوات وفهود وزرافات وفيلة ونمور .

وقال القضاعى يصف خيول خمارويه واسطبلاته :

« وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربع ، وهى : عرض الخيل بمصر ، ورمضان بمكة ، والعيد بطرسوس ، والجمعة ببغداد » .

ثم قال : « وقد ذهب اثنان من الأربع وهما : عرض الخيل بمصر والعيد بطرسوس » .

وكانت اسطبلات خمارويه منتشرة فى الجيزة وناهيا ووسيم وسفط وطهرمس . وكانت لها ضياع لا تزرع إلا القرطم لأجل الدواب .

وكانت مطابخه عنواناً للبذخ إذ كان ينفق عليها شهرياً مبلغ ١٢٫٠٠٠ دينار . وكان لكل خادم من خدمه العديدين الشىء الكثير من الدجاج ولحم الضأن والحلوى والقطع الكبار من الفالوذج والقطائف والهبرات وسواها .

ولما تزوج الخليفة العباسى المعتضد من قطر الندى ابنة خمارويه ، كان جهازها مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ، وكان مهرها من عجائب المهور ، فمن جملته مائة هاون من الذهب بل قيل ألف هاون . وبنى لها أبوها قصراً على رأس كل مرحلة تنزل بها فى الطريق وذلك فيما بين مصر وبغداد .

وقد خرجت العباسة بنت أحمد بن طولون لتوديع بنت أخيها فضربت خيامها عند البلدة الواقعة فى مدخل وادى الطميلات والتى عرفت من ذلك الوقت باسم بلدة العباسة وقد تألق نجمها فى عهد الطولونيين وكانت موضع اهتمامهم . وأقامت العباسة مع وصيفاتها وصديقاتها مدة على أرض تلك القرية لتلقى نظرة الوداع على سفيرة مصر لدى قصر الخليفة .

وبعد وفاة خمارويه بسنين قلائل زالت كل هذه المظاهر العظيمة ولم يبق منها سوى آثار قليلة من بركة الزئبق .

وكانت وفاة خمارويه قتلا فى فراشه سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٦م) بيد حاشيته وسيدات حرمه أثناء إقامته بدمشق بعد أن حكم ١٢ سنة و١٨ يوما ، وحملت جثته إلى مصر ودفنت باحتفال عظيم . ولم ينقذه من الموت لا أسده الأزرق العينين « زريق » ولا حرسه الخاص من شبان العرب الأقوياء . فسبحان من له البقاء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

نهاية حكم الطولونيين

و بعد وفاة خمارويه ولى مصر ابنه أبو العساكر جيش ، فرأى فيه فقهاء المسلمين وقضاتهم سفاكا للدماء لسفكه دم عمه مضر بن أحمد بن طولون فأفتوا بعزله وخلفه شقيقه « هرون » وكان إذ ذاك حدثا لا يصلح للولاية فجاء ضغثاً على إبالة حتى طمع القرامطة فى بلاد الشام ولم يقو على صدهم مما يدل على مدى الضعف الذى تردى فيه القطر المصرى على يد أحفاد ابن طولون حتى ازور وجه الزمن عن الملوك الطولونيين . ووقف الخليفة العباسى «المكتفى» فى بغداد على جلية الأمر فى مصر فأرسل أسطولا بقيادة محمد بن سليمان ليعيد مصر من جديد إلى حكم الدولة العباسية . ولقد أصاب أسطول العباسيين نجاحاً يذكر على أسطول مصر عند بلدة «صان الحجر» وتحطم الأسطول المصرى إلى آخره .

ولما بلغ أمر تلك الهزيمة مسامع الأمير الطولونى « هرون » فر هارباً إلى بلدة العباسة حيث لقى حتفه على يد عمه « شيبان » الذى خلفه على ولاية مصر .

ولم يلبث «شيبان» طويلا فى ولاية مصر حتى أجلاه عنها محمد بن سليمان فزالت الدولة الطولونية بعد أن حكمت مصر ٣٨ عاماً عادت بعدها إلى حظيرة الدولة العباسية .

مصر تحت حكم العباسيين للمرة الثانية

وأخذت مصر ترزح تحت حكم الفوضى والاضطراب ثلاثين سنة أخرى بعد نهاية حكم الطولونيين . وليس أدل على ما أصاب مصر من فوضى شاملة بعد زوال حكم الطولونيين من ظهور جندى شاب من جنود الطولونيين يدعى « محمد بن على الخلنجى » وكان قد نقل من مصر إلى الشام مع فلول الطولونيين وأتباعهم ، ثم أتيحت له الفرصة للعودة إلى مصر فاستولى فى طريقه على الرملة ودعا على منابرها للخليفة ثم للطولونيين ثم لنفسه ، ولما بلغ والى مصر ما كان من أمر الخلنجى جهز جيشاً لملاقاته وهو فى الطريق إلى مصر ، ولكنه استطاع بمعونة من وافاه من كل فج ممن تفيض نفوسهم بغضاً للعباسيين من أهل مصر والشام أن يطارد والى مصر وجيشه من غزة إلى العريش حيث أوقع بهم الخلنجى ففروا أمامه إلى بلدة العباسة ومنها قفل الوالى راجعاً إلى مصر فراراً من بطش الخلنجى الذى دانت له مصر بأجمعها وظل يحكمها سبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً .

مدينة القطائع فى عهد العباسيين الثانى

فى سنة ٢٧٣ هـ (٩٠٤ م) دخل محمد بن سليمان مدينة القطائع فألقى النار فيها ونهب أصحابه الفسطاط وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا على الدور واستباحوا الحريم وذبح رجال الفرقة السوداء ودمرت مبانى القطائع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبيوتها التى قدرها بعض المؤرخين بمائة ألف بيت . وعاد العباسيون إلى الإقامة بمدينة العسكر فأصبحت مقر الحكومة للمرة الثانية .

ولما كانت « الشدة العظمى » فى أيام المستنصر قضى على البقية الباقية من مدينة القطائع .

وفى عام ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م) أتى الخراب على مدينتى العسكر والقطائع معاً حتى اضطر الحال لبناء سور يبدأ من باب زويلة تقريباً فى القاهرة وينتهى عند الفسطاط إلى جامع عمرو . وكان الغرض من بناء هذا السور هو ستر خرائب العسكر والقطائع حتى لا يتأذى الخليفة من منظرها عند مروره فى هذه المنطقة .

ثم استعمل الناس أنقاض مبانى العسكر والقطائع فى عمارة منازلهم الجديدة بالقاهرة وتحولت المساحة الواسعة بين القاهرة والفسطاط تدريجاً إلى صحراء جرداء وتلال وقاذورات ما عدا بعض البساتين والحدائق التى ظلت مبعثرة فى الطريق وبعض البيوت الخلوية التى ظلت منفردة . وعادت السطوة ثانية للفسطاط فزادت مبانيها وظلت الحال على ذلك حتى تأسست القاهرة المعزية .

ولم يبق فى أرض مدينتى العسكر والقطائع للآن إلا جامع ابن طولون وهو الأثر الإسلامى الوحيد الذى ظل محافظاً على تفاصيله المعمارية لمدة أحد عشر قرناً فهو إذن أقدم أثر إسلامى كامل بمصر ! وسبق لنا درس ما فى هذا الجامع من الجمال والرشاقة .

مدينة مصر الفسطاط فى نهاية الحكم العباسى وفى عصر الاخشيديين

بعد أن أقصى الخلنجى عن حكم مصر اختلف عليها ولاة من قبل العباسيين استبد بهم الجند وأصحاب الخراج وضاع سلطان أولئك الولاة بين جشع الجند فى طلب المال وضن عمال الخراج به على الولاة . فلا عجب أن تكون مصر أثناء هذه الفترة نسياً منسياً تغط فى سبات عميق إلا من الدسائس يحيكها الجند وضباطهم فيقع فى حبائلها الولاة الذين ظلت أمورهم معلقة بيد رجال الجيش ، إلى أن ولى مصر من قبل الخليفة العباسى « الراضى » محمد الأخشيد الذى ما لبث أن أنشأ فى مصر حكومة مستقلة قوية مهيبة الجانب يخشى الخليفة بأسها لدرجة أحفظت قلبه على الأخشيد فعين له منافساً بمصر وهو محمد بن رائق الذى وهب له الخليفة مصر على الرغم من وجود الأخشيد بها ، و بينما يهم ابن رائق بالحضور إلى مصر لتسلمها خف الأخشيد لملاقاته فى العريش فهزم ابن رائق ومن التف حوله . ولكن الأخشيد كان — مع الانتصار — سخياً سمحاً كعادته فرضى بمنح ابن رائق شمال الشام وقبل أن يدفع له جزية سنوية وأن يصاهره ليأمن جانبه حتى يتفرغ هو لصد خصوم آخرين طامعين فى مصر كالفاطميين والحمدانيين .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

و بعد وفاة الأخشيد تولى بعده ابنة أنوجور (وهو اسم أعجمى معناه بالعربية محمود) . ولما كان لا يزال صغير السن صار أستاذه « كافور » مدبر مملكته . ولقد رأى سيف الدولة الحمدانى فى ولاية « أنوجور » فرصة مواتية لينقض عهوده التى أبرمها مع والده فانقضّ على الشام ولكن سار إليه « أنوجور » مع « كافور » ورجال الجيش حتى بلاد الشام وأوقعوا به الهزائم المتكررة . وفاجأ الموت « أنوجور » وخلفه أخوه « على الأخشيد » وكان أيضاً دون سن الملك فوقع تحت إمرة « كافور » الذى ما لبث أن أصبح حاكم مصر الفعلى بعد موت «على الأخشيد». وقلده الخليفة العباسى حكم مصر بلقب « أستاذ مصر وممتلكاتها » ولكن عكر صفوه ما حل بمصر إذ ذاك من قحط لانخفاض فيضان النيل حتى ندرت الأقوات كما فشا الموت بحالة عجز معها الناس عن تكفين الموتى ودفنهم .

وفى هذا العصر كان جزء كبير من تجارة الهند و بلاد العرب الذاهبة إلى أوربا تمر بمدينة الفسطاط التى عرفت إذ ذاك باسم مدينة مصر الفسطاط أو مدينة مصر فقط .

وقد انتشر فى المدينة أصحاب الصناعات اليدوية كالحدادين والحياكين والخياطين والحلاقين والنجارين والصيادين والخبازين والطحانين ومن جرى مجراهم والباعة الذين يبيعون البقل واللحم وغيرهما من أصناف المأكولات على أنواعها و بعض المنسوجات والسلع الدنيئة .

كما كثرت طبقة المرتزقين بالدعارة والنهب واللصوصية على أثر الفتن والانشقاق مما سبب خراب المدينة . وأخذ الفساد يفشو بين الناس وضعفت غيرة الرجال وقلّت عفة النساء .

عمارة مصر

ذكر المقريزى أنه كان فى عواصم الإسلام الأولى : الفسطاط والعسكر والقطائع وهى مجموعة المدن التى اتصلت ببعضها وعرفت باسم مدينة مصر ٠٠٠و١٠٠ بيت فى بعضها ١٠٠ أو ٢٠٠ ساكن ، وكان البيت مؤلفاً من خمس طبقات أو ست أو سبع .

وظلت العمارة حتى عصر صلاح الدين الأيوبى فى هذه العواصم الثلاث لأن الفاطميين لم يسمحوا للشعب بالإقامة فى مدينة القاهرة بعد إنشائها بل جعلوها معقلاً للخليفة وجنده . فلم تتسع عمارتها إنما بقيت العمارة للفسطاط .

ولما أفضت الدولة إلى السلطان صلاح الدين أذن للناس بسكنى القاهرة فاتصلت بمدينة الفسطاط . وكانت الفسطاط تسمى (مصر) فلما صارتا مدينة واحدة أطلقوا عليها اسم « مصر والقاهرة » ثم قالوا « مصر القاهرة » . ولما خربت الفسطاط ظل هذا الاسم (مصر) للقاهرة وحدها كما هو مشهور .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل التاسع

الحياة الاجتماعية فى عواصم الاسلام الأولى بمصر

نظام المجتمع فى عصر الخلفاء الراشدين من سنة (٢١ — ٣٧) هـ (٦٤١ — ٦٥٧) م .

لما ظهر الإسلام كان سكان مصر طبقتين :

أولاً — الرومان البيزنطيون أو الروم وكانت بيدهم مقاليد الحكم وكان مقر حكمهم بالإسكندرية وكان منهم رجال الدولة والأجناد و بعض رجال الأكليروس .

وثانياً — الأهالى وهم القبط الأصليون يخالطهم بعض المولدين من اليونان والرومان وغيرهم من النازحين للتجارة أو المرتزقين من الخدمة فى الجيش أو غيرها من أهل الشام واليمن والعراق والنوبة وأفريقيا .

وكان بين الروم والقبط فاصل آخر مذهبى فكان الروم على مذهب الملك مرقيان ولذا عرفوا باسم الروم الملكيين ، أما القبط فكانوا على مذهبهم الأرثوذكسى ولكن لاتحادهم فى العقيدة مع السريان وهم سلالة الأشوريين سكان العراق الأصليين وعاصمتهم مدينة بابل ، لقبهم بعض المؤرخين خطأً باسم « اليعقوبيين » نسبة إلى يعقوب البراذعى السريانى تلميذ القديس ساويرس الأنطاكى .

لم يصب القبط من أهالى مدينة مصر بعد الفتح الإسلامى ضرراً ما فى عصر الخلفاء الراشدين لأن المسلمين لم يكونوا يخالطونهم ولا يدخلون فى شىء من أحوالهم الإدارية أو الدينية أو السياسية و إنما كان همهم اقتضاء الجزية والخراج وحماية من دخل فى ذمتهم من أهل الكتاب .

فكان العرب يقيمون فى مضاربهم أو معاقلهم فى الفسطاط بما يشبه الاحتلال العسكرى ، ولم يكن معهم إلا من دخل فى حوزتهم من الأرقاء بالأسر أو السبى ومن أعتقوه فصار من الموالى .

يحكى أنه كان فى مدينة بابيلون بعد فتح حصنها جماعة كبيرة من جنود القبط ، فلما رأى هؤلاء ما كان عليه العرب من الرثاثة قالوا : « ما أرث العرب وأهون عليهم أنفسهم ، ما رأينا مثلنا دان لهم » .

فلما سمع عمرو مقالتهم دعا جماعة من كبارهم إلى وليمة فنحر جزورا وصنع لهم المرق بالماء والملح وجعل ذلك أمامهم وقد جلس القبط إلى جانب العرب . فجعل العرب ينهشون اللحم نهشاً حتى بشع القبط ذلك وعادوا بغير أن يأكلوا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فلما كان اليوم الثانى أمر عمرو قومه أن يأتوا بألوان الطعام فى مصر وأن يهيئوا منها وليمة عظيمة ففعلوا ذلك وجاء أهل مصر فجلسوا إلى ذلك الطعام وأصابوا منه . فلما فرغوا من أكلهم قال عمرو للقبط :

« إننى أرعى لكم من العهد ما تستوجبه القرابة فى النسب بيننا إذ تجمعنا هاجر المصرية زوجة الخليل إبرهيم عليه السلام وأم إسماعيل الذى منه تسلسل العرب .

وقد علمت أنكم ترون فى أنفسكم أمراً تريدون به الخروج ، فخشيت أن تهلكوا ، فأريتكم كيف كان العرب فى بلادهم وطعامهم من لحم الجزر ، ثم حالهم بعد ذلك فى أرضكم وقد رأوا ما فيها من ألوان الطعام الذى قد رأيتم . فهل تظنون أنهم يسلّمون هذا البلد ويعودون إلى ما كانوا فيه ؟ إنهم يسلّمون قبل ذلك حياتهم ويقاتلونكم على ذلك أشد القتال . فلا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وأدخلوا فى الإسلام أو ادفعوا الجزية وانصرفوا إلى قراكم » . . .

فأخذ بعض القبط عند ذلك يختارون الإسلام ويفضلون الدخول فيه على دفع الجزية ، فقد رأى هؤلاء أن الإسلام يجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ويساويهم بالفاتحين فى شرف محلهم ويجعلهم إخوانهم فى كل شىء ، يسهم لهم فى الفىء ولا يفرض عليهم الجزاء . فكان فى ذلك باعث قوى لكثير منهم على الدخول فى الإسلام لا سيما وقد طحن المقوقس عقيدتهم طحناً وحطم يقينهم باضطهاده تحطيما .

وامتزج القبط بالمسلمين وانقسموا قسمين : قسم منهم امتزج كل الامتزاج بالإسلام فتزوج العرب من نسائهم وتسلسل منهم المصريون الحاليون . والقسم الآخر بقى صلباً يأبى كل الإباء أن يترك ما كان عليه آباؤه من الدين والعادات ، وقد بقى على دينه لم تفتنه أشد المظالم ولم تزعزعه أشنع الاضطهادات ، بل عاشوا وهم كل يوم يحسون مرارة الذلة ومضض الهوان فلم تخضع نفوسهم ولم تلن .

ولقد كان بقاء القبط لغاية الآن ، بغير شك ، معجزة من معجزات الخلق المصرى ، لأن المصرى بطبعه محافظ لا ينسى . ولو أن هذه البقية القبطية والأقلية المصرية كانت للآن ببلد آخر لحوفظ عليها كأثر من أثمن آثار التاريخ الحيَّة . ولكنها تسير فى مصر الحاضرة بكل أسف إلى طريق الفناء ! !

أما الطبقة الجديدة التى نشأت بانتشار الإسلام فى الفسطاط وهم المسلمون من القبط فقد ولاهم العرب فى عهد الخلفاء الراشدين مصالح الدولة التى تفتقر إلى أمانة وثقة فضلا عن العلم والدين وجعلوا لهم الرواتب السنية ، ولكنهم حرموهم من المناصب الرفيعة التى كانت تحتاج إلى شرف وعصبية كالقضاء مثلا فإنهم كانوا يعدّونه فوق مرتبتهم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عمرو بن العاص يصف مصر للخليفة عمر بن الخطاب

وإليك الآن صورة ناطقة من صور الحياة فى عصر الفتح العربى بعد أن أخذت البلاد فى الاستقرار والاطمئنان تحت حكم العرب ، وبعد أن هدأت ثورة الفتح وذهبت إحن القتال والنضال التى عصفت بالبلاد زمناً . قال عمرو بن العاص يصف مصر للخليفة عمر بن الخطاب :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء وشجرة خضراء . طولها شهر وعرضها عشر . يكنفها جبل أغبر ورمل أعفر . يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر . له أوان يدرّ حلابه ويكثر فيه ذبابه . تمده عيون الأرض وينابيعها حتى إذا اضلخم عجاجه وتعظمت أمواجه ، فاض على جانبيه ، فلم يمكن التخاص من القرى بعضها إلى بعض إلا فى صغار المراكب وخفاف القوارب ، وزوارق كأنهن فى المخايل ورق الأصائل . فإذا تكامل فى زيادته ، نكص على عقبيه كأول ما بدا فى جريته ، وطما فى درته . فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة وذمة مخفورة (يعنى الفلاح المصرى أو القبطى) يحرثون بطن الأرض ويبذرون بها الحب ، يرجون بذلك النماء من الرب . لغيرهم ما سعوا من كدهم . فناله منهم بغير جدهم . فإذا حدق الزرع وأشرق ، سقاه الندى وغذاه من تحته الثرى .

فبينما مصر ، يا أمير المؤمنين ، لؤلؤة بيضاء ، إذ هى عنبرة سوداء ، فإذا هى زمردة خضراء ، فإذا هى ديباجة رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء .

الذى يصلح هذه البلاد وينميها ، ويقر قاطنيها فيها ، ألا يقبل قول خسيسها فى رئيسها ، وألا يستأدى خراج ثمرة إلا فى أوانها ، وأن يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وترعها . فإذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الأحوال تضاعف ارتفاع المال . والله تعالى يوفق فى المبدأ والمآل » .

خطبة عمرو فى مسجده يوم الجمعة من أيام عيد الفصح سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م)

وإليك أيضاً صورة أخرى من صور الحياة فى عواصم الإسلام الأولى ترسمه خطبة عمرو التالية :

« يا معشر الناس . إنه قد تدلت الجوزاء ، وزكت الشعرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقلّ الندى ، وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر ، فحى لكم على بركة الله إلى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده ، واربعوا خيلكم واسمنوها وصونوها وأكرموها فإنها جنتكم من عدوكم وبها مغانمكم وأنفالكم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً . وإياكم والمسومات والمعسولات فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حدثنى عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم منهم صهراً وذمة » .

فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا أبصاركم . ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه . واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال . فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك . واعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم . وتشوق قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثنى عمر أمير المؤمنين ، أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » .

فقال له أبو بكر :

« ولم يا رسول الله ؟ » .

قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا فى ريفكم ما طاب لكم ، فإذا يبس الزرع ، وسخن العمود ، وكثر الذباب ، وحمض اللبن ، وصوّح البقل ، وانقطع الورد من الشجر ، فحى إلى فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته .

أقول قولى هذا ، وأستحفظ الله عليكم » .

ولا تحتاج هذه الخطبة إلى تعليق فإنها ترسم الحياة فى مصر رسماً واضحاً حياً فى عصر الفتح .

جباية الخراج فى عصر الفتح الاسلامى :

يؤخذ من كلام مؤرخى العرب أن مصر لما فتحها المسلمون ، كان عدد الذكور فيها ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك « ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ » ثمانية ملايين رجل ، منهم فى الاسكندرية وحدها ٣٠٠،٠٠٠ رجل ، فإذا أضفنا إلى ذلك عدد الإناث والأطفال والشيوخ زادت جملة السكان على ٣٠ مليون نفس وهو نحو ضعف عدد سكانها الحالى .

وقد يطعن فى صحة هذه الرواية ، ولكن يستدل من مجمل أقوال المؤرخين فى مصر أنها كانت فى عصر الفتح فى رغد ورخاء ، وكان عمرانها بالغاً حد النهاية .

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان : « أن المقوقس قد تضمن مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان يجبيها عشرين ألف ألف ، وجعلها عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار أول عام . وفى العام الثانى جعلها اثنى عشر ألف ألف . ولما وليها للمرة الثانية فى أيام معاوية جباها تسعة آلاف ألف دينار . وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح أربعة عشر ألف ألف دينار .

وقد أجمع المؤرخون المحدثون تقريباً على تقدير عدد سكان مصر فى تلك الأيام بنحو عشرين مليون نفس بدلا من ٣٠ مليون نفس المذكورة سابقاً .

قال المقريزى : « إن هشام بن عبد الملك أمر عبيد الله بن الحبحاب عامله على خراج مصر أن يمسحها فمسحها بنفسه سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م) فوجد أن مساحة أرضها الزراعية مما يركبه النيل ثلاثين مليون فدان » . وأقول : إن مساحة الأرض الزراعية فى وادى النيل اليوم مع ما تبذله الحكومة من العناية فى إخصابها وتعميرها لم تتجاوز ستة ملايين فدان بعد .

ومساحة وادى النيل كلها أى الوجه البحرى والصعيد على جانبى النيل لا تزيد على هذا القدر إلا قليلا . فيستحيل أن تكون مساحتها فى أوائل الإسلام خمسة أضعاف ذلك . ولكن يظهر أن المصريين فى صدر الإسلام كانوا يزرعون ما يجاور وادى النيل من الشرق نحو البحر الأحمر ومن الغرب إلى وادى النطرون . لأن مساحة مصر بما فيها الواحات فى صحراء ليبيا والأرض بين النيل والبحر الأحمر وبينه وبين بحر الروم إلى العريش تزيد على ٤٠٠,٠٠٠ ميل مربع ، وذلك يساوى ١٨٧ مليون فدان . فلا غرابة إذن أن يكون العامر منها ٣٠ مليون فدان وأن يكون عدد سكانها ٢٠ مليوناً أو حتى ٣٠ مليون نفس فى زمن الفتح .

هذا وقد عرفنا مما نقله العرب عن أحوال مصر وعن أخبارها القديمة أن حدودها الزراعية كانت تمتد من الغرب وراء صحراء الاسكندرية إلى برقة وتتصل من الشرق بحدود السويس إلى العريش . ومعظم المسافة هناك اليوم رمال قاحلة ولكنها كانت تزرع قديماً الزعفران والعصفر وقصب السكر ، وكان ماؤها غزيراً بسبب كثرة فروع النيل إذ ذاك . ولا تزال آثار العمارة باقية فى تلك البقاع للآن ، فان تحت الرمال الحالية تربة سوداء زراعية يعرفها من اختبر الأرض وعمل بها جسات بالمسبار .

كما عرفنا أن الصعيد كان عامراً وكان يمتد من الجهة الشرقية إلى البحر الأحمر وأراضى البجة ، وكانت أطيان الفيوم ممتدة إلى ما وراء العمارة المعروفة مسافة بعيدة . فاذا اعتبرنا ما ذكره العرب وسواهم من الروم والقبط من هذا القبيل وأن النيل كان أكثر فروعاً وأغزر ماء وأعلى فيضاناً مما هو عليه اليوم ، هان علينا قبول أقوالهم وإن كنا لا نزال نستغربها لبعدها عن مألوفنا .

ولعلنا متى رأينا وزارة الأشغال العمومية تعمل على إحياء الصحارى المحيطة بوادى النيل شرقا وغربا بنزع مايغطيها من

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الرمال و إروائها بالترع المتصلة إليها من النيل أو بالآبار الارتوازية نرى أقوالهم معقولة . ولا نظن ذلك بعيداً ورجال هذه الوزارة فى مصر ينفذون اليوم مثل هذه المشروعات و يعرفون ما هو مقدر لها من النجاح ! !

كانت الزراعة إذن ولم تزل هى المهنة التى تتوقف عليها حياة مصر ورخاؤها ، وكان لا بد لنجاح الزراعة من درس أحوال النهر ومعرفة تطوراته الدقيقة ، وقد وجد المصريون فى حركات نجوم السماء واسطةً للاستدلال بها على ميعاد فيضان النهر ، ومن ثم بدأ اهتمامهم بعلم الفلك و إتقانهم لدراسته . وعلى أساس هذه العلوم العالية شيدوا مقاييس النيل فى كل معابدهم ، ثم خبا نور هذه المعارف فى مصر فى عصر الانحطاط وأصبح التنبؤ بفيضان النيل فى مدينة الفسطاط بطرق أولية ساذجة ! !

فكان نزول النقطة من الحوادث الهامة التى تنتظر بفارغ الصبر عند أهالى هذه المدينة . وكانت كل امرأة تضع فوق سطح منزلها قليلا من العجين فى ليلة من ليالى شهر مسرى . فاذا خمر العجين كان ذلك دليلا على نزول النقطة وجلب لها ذلك نعمة و بركة عليها وعلى أهل منزلها طول العام .

ولم تكن هذه الطريقة الساذجة تصدق دائماً للتنبؤ بفيضان النيل فعدل عنها شيئاً فشيئاً ، ثم بنى التنبؤ على تغيير لون مياه النهر التى كانت تتغير إلى اللون الأخضر أولاً ثم تعقبها المياه الحمراء أى مياه الفيضان .

وكانت نتائج تأخير ورود بشائر فيضان النيل فى العهود الماضية من أشد ما يكون على تجارة المدينة ، إذ كان الناس جميعاً يهبون مذعورين ويجتهدون فى إخفاء مواد الغذاء فترتفع أثمان الحاجيات الأولية وتنقلب الأسعار بسرعة وتكثر حوادث التبديد و يختل الأمن العام . ولذا كان لا بد من الحذر الشديد عند نشر التنبؤات عن الفيضان لأجل اجتناب الغلط وعدم حصول تقلبات حادة فى الأسواق . هذا خلاف ما يترتب على ذلك من الارتباك فى جباية الخراج .

نظام المجتمع فى عصر الأمويين من سنة (٣٧ — ١٣٢) هـ (٦٥٧ — ٧٤٩) م

لما طمع بنو أمية فى الخلافة ، كانت قد انتقلت إلى على بن أبى طالب صهر النبى وابن عمه بعد قتل عثمان بن عفان ، وكان المسلمون يعتقدون أنه أحق الناس بها لقرابته من النبى وتقواه وشجاعته وعلمه وسابقته فى الإسلام وفضله فى تأييده .

ولما قتل على تولى الخلافة بعده ابنه الحسن فرأى نفسه عاجزاً عن منازلة معاوية فتنازل له عن الخلافة سنة ٤١ هـ فرسخت قدم معاوية فيها .

وكان القبط من أهالى الفسطاط فى أيام الأمويين فى حالة تطور وانتقال بين عصر الروم والفرس والعصر الإسلامى . ولم يتم ذلك الانتقال و يبدأوا فى اعتناق الإسلام جماعات إلا فى أيام الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك أى بعد الفتح بحوالى ٨٠ عاما إذ أرسل هذا الخليفة إلى مصر خمسة آلاف عربى أقامهم بالفسطاط يخضدون من شوكة القبط حتى أسلموا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وترفع الأمويون عن الاختلاط بغير العرب ورغبوا فى البقاء على البداوة . فلم يتكيف المجتمع فى الفسطاط بشكله الخاص بالإسلام والتمدن الإسلامى إلا فى العصر العباسى ، خصوصاً بعد أن أوقع جيش المأمون بن الرشيد بالقبط وأحرق قراهم وسبى نساءهم وأطفالهم حتى فنى الكثيرون منهم . ومنذ ذلك التاريخ أى حوالى سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) زاد عدد المسلمين على عدد الأقباط واستقر العرب فى القرى والمزارع بعد أن كانوا يلازمون المدن . فاتسع مجال التقدم والعمران فى الفسطاط وخطت إلى الأمام خطوات واسعة موفقة . ودخل فى خدمة المسلمين كثير من الأطباء والكتاب والمترجمين القبط ، فنظموا لهم الدواوين وأقاموا لهم الحرس والبريد وعلموهم الجلوس على السرير وأدخلوا عليهم كثيراً من أسباب المدنية المصرية الراسخة فى بلادهم .

نظام المجتمع فى العصر العباسى الأول من سنة (١٣٢ — ٢٥٤) هـ (٧٤٩ — ٨٦٨) م

كان فى جملة المطالبين بالخلافة ، من أقرباء النبى ، بنو العباس عم النبى لكنهم كانوا لا يتصدون لطلبها والأمويون فى إبان دولتهم ، وإنما كانوا يدعون إلى أنفسهم سراً . ولما ضعف شأن بنى أمية هموا بالنهوض ، إلى أن انتقلت البيعة من العلويين إلى العباسيين بمبايعة أبى هاشم بن محمد بن الحنفية لمحمد بن على العباسى .

ونظراً لتغلب العباسيين بالموالى وأهل الذمة على الأمويين ، فقد اتخذوا من النصارى المقربين اليهم الوزراء والعمال ورجال الدولة ، فنضج التمدن الإسلامى وتكيف على شكل خاص بمدينة العسكر والفسطاط ، وتكاثرت الأموال فى أيدى الناس فتوسعوا فى الإنفاق وتنعموا بمعيشتهم وتأنقوا فى الطعام والشراب والسماع وغيرها من الملذات الجسدية وتنعموا بالألبسة الثمينة والرياش الفاخر .

ثم طلبوا الملذات المعنوية من التفاخر باقتناء الجوهرات والعقارات وتلمسوا الشهرة . وبعث الترف على اقتناء الجوارى للتمتع بهن أو استيلادهن ، وقد تكاثرن فى العصر العباسى وراج الاتجار بهن وتقدمت صناعة تربيتهن وتهاديهن . وأصبح الاستكثار من الجوارى عادة مألوفة حتى صار النساء يقتنين للزينة . وارتفعت أثمان الجوارى وكانت أسعارهن تتضاعف إذا جمعن بين الجمال ورخامة الصوت وصناعة الغناء . ويختلف ثمن الجارية من بضع مئات إلى بضعة آلاف من الدنانير .

وكثر بذل المال على الندماء والمغنين والمستجدين من سائر الطبقات . وطبيعى أن يعتور الحضارة والترف شىء من التهتك والفحشاء . وإنى أترك لتصور القارىء الكريم ما كان فى الفسطاط والعسكر من أسباب التهتك فى هذا العصر حيث كانت تتزاحم الأقدام وتتوفر الثروة وتكثر الجوارى ويتفشى الغناء والمسكر فلا غرو إذا تفشت الفحشاء وصار البغاء صناعة عليها رئيس يحتكم إليه أربابها عند الحاجة وقد ضربت على هذه الصناعة ضرائب يدفعها أصحابها مثل سائر التجارات .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وأقبح ما ظهر من التهتك فى عصر العباسيين مغازلة الغلمان وتسريهم، وظهر ذلك على الخصوص فى أيام الأمين فى صدر القرن الثالث الهجرى وتكاثر بتكاثر غلمان الترك والروم فى أيام المعتصم وفيهم الأرقاء بالأسر وبالشراء. وتسابق الناس إلى اقتنائهم، وغالوا فى تزيينهم وتطييبهم، وكانوا يخصونهم ليأمنوا تعديهم على نسائهم وجواريهم.

ولما فشا حب الغلمان فى أهل الدولة العباسية بمصر وتغزل بهم الشعراء، غارت النساء من ذلك فعمدن إلى التشبه بالغلمان فى اللباس والقيافة ليستملن قلوب الرجال. فتكاثر الفساد حتى ذكر أن ابنة الأخشيد صاحب مصر اشترت جارية لتتمتع بها. وبلغ المعز لدين الله الفاطمى ذلك وكان لا يزال فى الغرب يتحفز للوثوب على مصر ويخاف الفشل، فلما بلغه ما فعلته ابنة الأخشيد استبشر وقال: « هذا دليل السقوط » وجنّد على مصر وفتحها. وهكذا سقطت الفسطاط إلى الحضيض!! فى أزهى عصور التمدن العربى!!

وقد امتاز العصر العباسى بالحفلات النادرة والمواكب الفاخرة. فالاحتفالات الدينية كانت غاية فى الأبهة واحتفالات الزواج كانت غاية فى البذخ والإسراف وألعاب الخلفاء وملاهيهم وحفلات الصيد والقنص والحلبة وسباق الخيل والكرة والصولجان كل هذه رأت منها الفسطاط والعسكر أشكالاً وألواناً.

ونحن وإن كنا لم نستكشف بعد آثار مدينة العسكر عاصمة العباسيين فى مصر إلا أنه يمكننا تصور عمارها بما كانت عليه أبنية بغداد والبصرة وسواها مما وصل إلينا وصفها. فقد كان للقوم عناية ببناء المساجد والمصانع والقصور يتأنقون فى تزيين واجهاتها فضلاً عن إحاطتها بالمتنزهات والحدائق مما ينفقون فيه الأموال الطائلة فيجلبون إليها الأغراس من أطراف المعمورة ويتفننون فى تزيين قاعات مجالسهم بالأشعار والصور المموهة بالذهب وبينها صور الحيوانات والآدميين والأزهار وغيرها.

نظام المجتمع فى عصر الطولونيين وفى العصر العباسى الثانى وفى عصر الأخشيديين

أما نظام المجتمع فى عصر الطولونيين من سنة ٢٥٤ إلى سنة ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٤) م وفى عصر العباسيين الثانى من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٢٢ هـ (٩٠٤ — ٩٣٣) م وفى عصر الأخشيديين من سنة ٣٢٢ هـ إلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٣٣ — ٩٧٢) م فقد تكلمنا عنه فى الفصل الثامن بما فيه الكفاية.

حريق مدينة مصر

رأيت معنا أيها القارىء العزيز تطورات عواصم الإسلام الثلاث الأولى بمصر وهى الفسطاط والعسكر والقطائع، ولا بد لنا الآن من وصف نهاية هذه العواصم الجميلة قبل إسدال الستار عليها.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى سنة ١١٦٨ م تقدم ملك بيت المقدس آمورى أو أملريك نحو القاهرة لفتح مصر بعد أن رأى الصليبيون أن الضمان الوحيد لطمأنينتهم فى فلسطين هو الاستيلاء على القطر المصرى .

وفى أيام قلائل كانت جيوش الصليبيين عند بلبيس وأمعنوا فى أهلها فتكاً وقتلاً ، وتمت مجزرة هائلة كان أبطالها من يدعون أنهم جنود المسيح وفرسانه ، فذبحوا كل من وقع فى أيديهم من الرجال والنساء والأطفال حتى أسقط فى يد شاور الوزير المصرى الذى دعا الصليبيين إلى مصر لتثبيته فى الوزارة ، إمعاناً فى الكيد لخصمه ومنافسه فى هذه الوظيفة ضرغام .

بهت إذن شاور مما حدث فعول على أن يقف تيار أملريك لئلا يلجأ إلى مثل تلك الأعمال الوحشية ضد أهالى مدينة الفسطاط ، وخوفاً من أن يستخدمها ستراً يسهل تقدمه نحو القاهرة ، فأمر بإحراق مدينة الفسطاط وكان ذلك فى ٢٩ صفر سنة ٥٦٥ هـ (١٢ نوفمبر سنة ١١٦٨ م) .

قال المقريزى :

« بعث شاور إلى مصر (الفسطاط) بعشرين ألف قارورة من النفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهيب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولاً واستمرت النار تأتى على مساكن مصر (الفسطاط) أربعة وخمسين يوماً » .

المشاعل

فلما أخمد الحريق ، رحل القائد « أملريك » مع رجاله من بركة الحبش حيث كان معسكراً ونزل بظاهر القاهرة بالقرب من باب البرقية وقاتل أهلها قتالاً عنيفاً حتى ضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة .

وبينما كان شاور يحاول مقاتلة الفرنج إذ بأسد الدين شركوة قد وصل إلى المقس خارج القاهرة واستولى على مصر .

وبعد هذا الحريق أخذت هذه العواصم الإسلامية الأولى تضعف وتتلاشى شيئاً فشيئاً حتى دثرت .

وهكذا يسدل الستار على هذه المدن التى ظلت منذ تأسيس الفسطاط سنة ٦٤١ م إلى أن حرقت وتلاشت سنة ١١٦٨ م عاصمة لمصر الإسلامية لمدة ٥٢٧ سنة ميلادية .

ولم يبق منها الآن إلا خرائب وتلال تعرف اليوم باسم أطلال الفسطاط لا يزال يرى الإنسان فيها آثار الحريق والدمار ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تأثير نهر النيل فى حياة عواصم الاسلام الأولى

ويمكن القول بدون مغالاة إن حياة عواصم الإسلام الأولى ظلت قروناً عديدة تحت رحمة نهر النيل . فكل شىء فى العاصمة كان يتعلق بحالة النهر : جباية الخراج وتموين المدينة و إيجاد موارد لمياه الشرب وسهولة المواصلات ، حتى المسائل السياسية كانت مرتبطة بحالة النهر .

أما الآن ، وقد تغلب العلم الحديث على تهديدات النهر المستمرة ، فلا يسعنا إلا أن نذكر مشفقين حالة أسلافنا القدماء بهذه العواصم ، حيث كانوا مضطرين إما للابتعاد عن المياه الصالحة للشرب وطرق الملاحة ، أو للاقامة بجوار النهر معرضين لأخطار الفيضان ولانهيار الأرض .

وقد جاء زمن كان فيه كل حاكم معرضاً للنقد المر إذا حاول إبعاد السكان عن النهر ، إذ كان يتهم حينئذ بأنه يسعى لحرمانهم من خيرات بلادهم أما إذا حاول القرب من النهر فانه كان يتهم بأنه يعرض السكان للغرق زمن الفيضان . فتاريخ العواصم الإسلامية منذ الفتح إلى نهاية القرون الوسطى ليس إلا صراعاً مستمراً بين الرغبة فى مجاورة النهر والرهبة من الإقامة بجواره خوفاً من غوائل الفيضان وما يتبع ذلك من انهيارات وكوارث ، ولذا فضل القوم إقامة عواصم مصر الإسلامية الأولى فوق الهضبة الصخرية القاحلة بسفح جبل المقطم .

ومن المعلوم أن مياه الفيضان تصل إلى مدينة أسوان فى الأيام الأخيرة من شهر يونيو ، ولكنها لا تظهر أمام العاصمة إلا فى أوائل شهر يوليو . وتبلغ مياه الفيضان متوسط ارتفاعها حوالى منتصف شهر أغسطس ثم يصل الفيضان إلى ذروته فى أواخر شهر سبتمبر أو فى أوائل شهر اكتوبر . وبعد أن يظل منسوب مياه الفيضان ثابتاً لمدة أسبوعين تقريباً يبدأ فى النقصان .

وتوجد مجموعة للنهايات العظمى والنهايات الصغرى للمناسيب عند جزيرة الروضة من سنة ٦٤١ إلى سنة ١٤٥٠ ميلادية تكاد تكون كاملة .

ومما يلفت النظر فى هذه البيانات هو أن الفيضانات كانت أعلى من المتوسط فى مدد طويلة تقرب أحياناً من خمسين عاماً وأقل من المتوسط فى فترات أخرى . كما أنه حدثت فيضانات منخفضة جداً بين مجموعة من الفيضانات العالية وبالعكس .

وقد فحصت هذه البيانات بدقة للوقوف على ما إذا كانت الفيضانات المرتفعة دورية أم لا ؟ وعما إذا كان من الممكن التنبؤ بحالة الفيضان قبل حدوثه بمدة طويلة ؟ فكانت النتيجة أن عملية التنبؤ عديمة الفائدة .

صحيح أنه توجد علاقة بين الأحوال الجوية لجنوب المحيط الأطلسى وبين فيضان النيل ، ولكن لم يتيسر حتى الآن ضبط هذه العلاقة وعمل تنبؤ عن الفيضان يمكن الاعتماد عليه فى الأغراض العملية . وعلى كل فقد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

يمكن فى يوم من الأيام ، بتقدم علم الظواهر الجوية ، وبالوقوف بالتفصيل على حقيقة العامل الذى ينشأ عنه الفيضان ، أن يستنتج تنبؤ دقيق عن حالة الفيضان قبل حدوثه ببضعة أشهر . ولا شك أن قيمة هذا التنبؤ تزداد بازدياد مناطق الرى فى وادى النيل .

أما إذا كان الفيضان منخفضاً فيمكن عمل تنبؤات يعتمد عليها قبل حدوثه ببضعة أشهر ، ذلك أنه فى شهر ديسمبر مثلا يمكن التنبؤ عن حالة النيل على العموم بمصر لغاية شهر مايو . ولكن إذا تصادف نزول الأمطار فى الحبشة أثناء هذه الفترة تصبح هذه التنبؤات غير مؤكدة ، وكذلك يمكن عمل تنبؤات لمدد قصيرة مبنية على حساب التصرفات والمناسيب الأمامية بدقة عظيمة ، وتعمل تنبؤات من هذا القبيل باستمرار الآن لتساعد على وضع برامج الرى والملء وتفريغ خزان أسوان .

ويصل عمق المياه فى النهر عند العاصمة مدة الفيضان إلى عشرة أو اثنى عشر متراً فى المتوسط . وقد تغير كثيراً منذ القدم الارتفاع المتوسط لمياه الفيضان الذى لا يضر الأحياء المجاورة للنهر وفى الوقت نفسه يساعد على نمو البساتين والزراعات ، وذلك بسبب ارتفاع الأراضى الزراعية من الرواسب النيلية .

وقد حسب « جيرار » قيمة ارتفاع الأراضى الزراعية سنة ١٨٩٩ متخذاً قاعدة مسلة المطرية كنقطة ارتكاز أساسية ، فوجد أن هذا الارتفاع فى هذه النقطة يصل إلى ١٥ سم فى القرن الواحد ، بينما وجد أن هذا الارتفاع عند مقياس الروضة لا يزيد عن ١٢ سم فى القرن الواحد .

وفى عهد هيرودوت كان إذا وصل ارتفاع الفيضان إلى ٨٠ر٥ متراً فوق منسوب التحاريق يعد فيضاناً عالياً ، ولكن فى القرن التاسع عشر كان يجب أن يصل ارتفاع الفيضان إلى ثمانية أمتار على الأقل عند مقياس الروضة ليعد الفيضان عالياً ويقدر هذا الارتفاع بما مقداره ٢٣ ذراعاً وبضعة قراريط .

وطبقاً لتقديرات المسيو لوبير كبير مهندسى حملة بونابرت يعادل ارتفاع ١٦ ذراعاً عند الروضة ٦٤٦ر٨ متراً ويختلف طول الذراع بين ٥٣٦ر٠ و ٥٥٠ر٠ من المتر .

وفى القرون الوسطى كان الفيضان يعد شحيحاً كما قال المسعودى إذا وصل ارتفاع المياه إلى ١٢ ذراعاً فقط ، وكان يعد متوسطاً إذا وصل إلى ١٤ ذراعاً ، وكان يعد مرتفعاً إذا كان ما بين ١٦ و ١٧ ذراعاً ، وخطراً إذا وصل إلى ١٨ ذراعاً . وعلى نفس هذا الأساس كانت تسير حكومة عمرو بن العاص فى جباية الخراج والجزية .

فعند ما كان يصل ارتفاع المياه إلى ما بين ١٤ و ١٥ ذراعاً فقط كان يجبى جزء من الخراج . وإذا استمرت الزيادة إلى ١٦ ذراعاً يجبى الباقى . أما إذا زاد عن ذلك فكان الغرق والفاقة وعدم جباية الخراج .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى العصر العربى كان للنيل خمسة مقاييس فى المنطقة المعروفة الآن باسم منطقة القاهرة :

ففى معبد منف كان يوجد مقياس للنيل . وفى معبد مدينة أون (عين شمس) كان يوجد مقياس آخر للنيل . وهذه قاعدة معروفة . فحيثما كانت تقوم المعابد الفرعونية ، تجددائماً مقياساً للنيل ، وذلك حتى يتمكن الكهنة من تحديد مواعيد أعياد النهر وأعياد الزراعة والمواسم الأخرى . وكذلك فى حلوان كان يوجد مقياس أقيم فى عهد عبد العزيز بن مروان بعد أن هدمت المياه المقياس الذى أقامه هناك عمرو بن العاص بذرع مختلف عن الأذرع الأصلية لمقياس النيل للتبكير فى جباية الخراج .

وفى جزيرة الروضة كان يوجد المقياس الذى أقامه أسامة سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) فى خلافة الوليد . وهو أهم المقاييس فى عهد عواصم الإسلام الأولى بمصر .

وقد وسع هذا المقياس وأدخلت عليه تعديلات كثيرة سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) فى آخر عهد الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسى حيث أنفذ إلى مصر من العراق المهندس القدير محمد بن كثير الفرغانى للاشراف على بنائه .

ثم أصلحه أيضاً الأمير أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢ م) وأنفق على هذا الإصلاح ألف دينار . وكان يعهد فى قراءة مقاييس النيل فى أوائل العصر العربى إلى قياسين من القبط ثم حل محلهم قياسون من المسلمين بالتدريج .

قال يحى بن بكير : « أدركت القياس يقيس فى مقياس منف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط » . وكان يوجد فوق ذلك داخل أسوار الحصن الرومانى القديم المعروف بقصر الشمع مقياس خامس للنيل . وقد عثر المسيو فورمون على آثاره سنة ١٧٧٥ م . ولا تزال أحجاره موجودة بمقبرة مار جرجس التابعة للروم الأرثوذكس بمصر القديمة .

نزول النقطة : قلنا إن نزول النقطة أو بعبارة أخرى عملية التنبؤ بوفاء النيل كانت من الحوادث الهامة جداً عند قدماء المصريين ، وعند القبط بمدينة الفسطاط وبعواصم الإسلام التى تلتها .

وكان المصريون يعتقدون أن النقطة تنزل ليلا فيما بين ١٠ و ١٧ بؤونة (١٧ و ٢٤ يونيو) أو فى أوائل فصل الصيف من كل عام . وهذا الاعتقاد مبنى بالطبع على ما كان يعرفه قدماء المصريين من أن سقوط الأمطار بالحبشة يبدأ فى أوائل شهر يونيو ويظهر أثرها فى ارتفاع مياه النيل بمصر فى أواخره ، ولذا كانت كل امرأة تضع فوق سطح منزلها قليلا من العجين فى كل ليلة من هذه الليالى ، فإذا خمر العجين كان ذلك دليلا على نزول النقطة وجلب ذلك لها نعمة وبركة عليها وعلى أهل منزلها طول العام .

وقد وصف المقريزى حالة العاصمة النفسية فى انتظار هذا الحادث السنوى وصفاً بديعاً . فكان إذا ما وثق القوم من الوفاء ، انتشر المنادون فى المدينة وجلهم من الأطفال يغنون وينشدون أناشيد النهر التى توارثها الخلف عن السلف منذ عهد قدماء المصريين إلى الآن وترجمتها هى : « البحر زاد — غرق البلاد » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مهرجانات وفاء النيل

أما الاحتفالات التى كانت تقام بمدينة الفسطاط بهذه المناسبة السعيدة ، فكانت من أبهج الحفلات الشعبية وأحبها إلى قلوب الناس . وكانت هذه الحفلات فى الواقع من التقاليد القديمة التى ورثها المصريون عن العصور الفرعونية ، وعما كان يقام فيها من الطقوس لتمجيد النهر . وقد بقيت من هذه الحفلات حفلة أو مولد الشهيد ومدته شهر .

فكان أهالى مدينة مصر ينتقلون إلى بلدة شبرا حيث كان دير قديم باسم الشهيد أنبا يحنس ، وكان به صندوق صغير من الخشب فى داخله إصبع هذا الشهيد .

فإذا كان ثامن شهر بشنس من الشهور القبطية يخرجون تلك الاصبع من الصندوق و يغسلونها فى نهر النيل لاعتقادهم أن النيل لا يزيد فى كل سنة حتى تغسل فيه تلك الاصبع ، و يسمى هذا العيد عيد الشهيد ، ولذا اشتهرت بلدة شبرا باسم شبرا الشهيد أو شبرا الخيمة أو الخيم أو الخيام لأن الناس على اختلاف طبقاتهم كانوا يحتفلون سنو يا بذكرى مولد الشهيد فى خيام ينصبونها على شاطىء النيل تجاه هذه البلدة ، وهى واقعة الآن عند ثم ترعة الاسماعيلية .

وعند تمام الفيضان كانت تقام الأفراح وتنتشر الملاهى الفاجرة فى الزوارق وعلى شواطىء النيل .

وفى سنة ٧٠٢ هـ (سنة ١٣٠٢ م) أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير مولد الشهيد هذا لكثرة ما كان يقع فيه من الفتن وقتل النفوس وشرب الخمر .

وذكر ابن عبد الحكم أنه لما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص جاء إليه القبط وقالوا له إن لنيلنا سُنَّة لا يجرى إلا بها وهى أنه إذا كان اثنتا عشرة ليلة خلت من بؤونة عمدنا إلى جارية بكر مليحة نأخذها من أبو يها غصباً ونجعل عليها الحلى والحلل ثم نلقيها فى نهر النيل فى مكان معلوم عندنا (عند المقياس بالجزيرة) .

فأجابهم عمرو بأن هذا لا يكون فى الإسلام أبداً .

فأقام أهل مصر بؤونة وأبيب ومسرى لم يزد فيها النيل ، فلما رأى أهل مصر ذلك همّوا بالجلاء عنها .

فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب كتاباً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولما وصل إليه الكتاب وعلم ما به كتب بطاقة وأرسلها إلى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها فى نهر النيل . فلما وصلت إليه فتحها فإذا فيها مكتوب « بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر المبارك . أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، و إن كان الله تعالى هو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » . فألقاها عمرو بن العاص فى النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد وهو فى السابع عشر من توت . فأجرى الله تعالى النيل فى تلك الليلة ست عشرة ذراعاً فى دفعة واحدة . فلما عاين أهل مصر ذلك فرحوا بإبطال تلك السنة السيئة » .

وأقول : هذا هو أساس أسطورة عروس النيل التى لا تزال للآن عالقة بالأذهان ، وهى مبنية على رواية ابن عبد الحكم . قال المرحوم الأستاذ توفيق حبيب الذى كان يعرف باسم « الصحافى العجوز » فى أحد هوامشه بجريدة الأهرام الغراء : «ابن عبد الحكم هذا هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فقيه مصرى عالم من جلة أصحاب مالك ، ولد فى الاسكندرية سنة ١٥٠ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٢٥٧ هـ (٨٧٠ م) أعنى بعد الفتح بأكثر من قرنين ، وقد انتهت إليه رياسة القضاء بعد أشهب وكتب عدة مصنّفات فى الفقه والتاريخ أشهرها « فتوح مصر » التى ذكر فيها الرواية المذكورة عن عروس النيل .

ولكن لقد سبق ابن عبد الحكم العشرات من المؤرخين المصريين واليونان والعرب ومنهم من حضر أيام الفتح وسجل أخبارها كلها . ولم يشر أحدهم إلى حكاية « عروس النيل » . ثم أتى بعده كثير من مؤرخى العرب المدققين فكذبوا القصة ونفوها . وفى منتصف القرن الماضى نهض لدحضها علماء الآثار المصرية وفى مقدمتهم ماسبيرو وبتلر وعلماء المصريين وفى طليعتهم أحمد كمال باشا ، وميخائيل شاروبيم بك ، وجورجى زيدان وتوفيق أسكاروس .

وعهدت وزارة المعارف إلى بعض رجالها فى بحث الموضوع فقرروا كذب الرواية وأمرت بحذفها من كتب التاريخ المقررة المدارس الابتدائية والثانوية والمعلمين » .

وأقول : الواقع أن هذه الأسطورة فرية على مصر ، وأقباط مصر ، وإنها لغلطة لا يصح أن يمر بها المصريون كراماً إذ لا يعقل أن يجيز الدين المسيحى وهو دين عيسى بن مريم لقبط مصر تقديم ضحايا بشرية للنهر ! ! !

صحيح أن الوثنية المصرية القديمة كانت تبيح تقديم الضحايا البشرية ، ولكن حتى فى عصر الوثنية أبطلت الضحايا البشرية واستبدلت بالذبائح كما هو ثابت فى ثنايا التاريخ المصرى القديم . ولم يبق من هذه العادة إلا الذكرى التى رددتها الأجيال التالية والتى وصلت إلينا منسوبة زوراً إلى قبط مصر فى عهد عمرو بن العاص .

وحتى المكان الذى قيل إن عروس النيل كانت تلقى عنده فى النهر فى عهد قدماء المصريين ليس له وجود . فلا جزيرة الروضة كانت موجودة أيام قدماء المصريين ولا المقياس كان موجوداً فى هذا المكان على أيامهم .

أما الشىء الثابت لدينا فهو أن مصر كانت تحتفل فى جميع عهود استقلالها بعيد السنة المصرية الزراعية فى أول شهر توت ، إذ يبلغ فيضان النيل ذروته من الارتفاع ، فيتخذ السكان على اختلاف أديانهم هذا اليوم عيداً قومياً ويستقبلونه فرحين جذلين ، لأنهم يرون فيه بشيراً بالرخاء .

وقد اتخذ الأقباط هذا اليوم — يوم أول شهر توت — بداية لسنتهم منذ عهد الشهداء إلى الآن .

وفى العصر القبطى كانت مصر تحتفل احتفالا رائعاً بهذا العيد تحت اسم عيد الصليب . وقد بقى هـذا العيد حتى نهاية العصر العربى . أما فى العصر التركى فقد عرف هذا العيد باسم عيد جبر الخليج .

ولم يزل للآن مهرجان جبر الخليج رمزاً لما كان فى الماضى ، إذ لا خليج الآن فيجبر ولا موعد محدد يحتفل فيه بوفاء النيل .

وكم يكون جميلا لو رجعت مصر إلى أعيادها الأصلية ، وجعلت من رأس السنة المصرية الزراعية فى أول شهر توت أى جعلت من عيد النيروز عيداً قومياً للمصريين جميعاً يحتفلون به بنيلهم المبارك كما كان يحتفل به أسلافهم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل العاشر

جزيرة الروضـــة

وأهم معالمها القـديمة والحديثـة

تعاقبت على جزيرة الروضة الأجيال وهى رابضة فى مجرى النهر تجاه مدينة مصر ، كلما نحرت فيها المياه جنوباً طرحت وامتدت شمالاً ، إلى أن ثبتت على شكلها الحالى بعد إنشاء المقياس فى طرفها الجنوبى فى القرن الثامن الميلادى .

أما متى تكونت هذه الجزيرة ؟ فمن الصعب جداً الرد على هذا السؤال . . . . ولكن الثابت لدينا أن جزيرة الروضة لم تكن موجودة فى العصر الفرعونى ، وأن ما ذكره ابن عبد الحكم من إلقاء عروس النيل عند المقياس بالجزيرة منقوض من أساسه ، فلا الجزيرة كانت موجودة ولا المقياس كان موجوداً ، وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بتوسع فى الفصل السابق . ويكفى الآن أن نذكر أن أهم مقاييس النيل فى المنطقة المعروفة الآن باسم منطقة القاهرة إنما كان أولها فى معبد مدينة منف ، وثانيها فى معبد مدينة أون (عين شمس) ، وثالثها داخل أسوار حصن بابيلون (قصر الشمع) . . . وكان هناك مقاييس أخرى ثانوية . فأنت ترى من ذلك أن ما ذكره ابن عبد الحكم فى كتاب « فتوح مصر و بلاد الغرب » عن عروس النيل ، مجرد أسطورة بعيدة كل البعد عن الصواب . وقد عاش ابن عبد الحكم هذا أيام احمد بن طولون ، وروى لنا فى كتابه الشىء الكثير عن مصر منذ الفتح الإسلامى إلى أيام احمد بن طولون ، ولكنه لم يتحرّ الدقة فى روايته . . .

ولم تذكر جزيرة الروضة كموقع له أهمية حربية إلا فى عصر الفتح العربى . فقد كانت فى ذاك العهد ذات حصون ومنعة وكانت تزيد فى قوة حصن بابيلون وخطره الحربى بأنها كانت وسط النهر تملك زمامه . وقد التجأ إليها زعماء الروم عند محاصرة الحصن ، وأقاموا داخل أسوارها المنيعة المحيطة بها من جميع جهاتها بين البساتين والحدائق الجميلة فى انتظار الفرج . . . ولكن الفرج لم يأت . . . فطلب المقوقس الصلح . . . وقد دارت مفاوضات الصلح بين رسل عمرو و بين مندوبى المقوقس فى هذه الجزيرة أولا ، فلما فشلت هذه المفاوضات ، غزا العرب تلك الجزيرة وهرب الروم منها . وبعد ذلك تم الصلح فى حصن بابيلون كما هو معروف ، وعندها دك عمرو أسوارها وحصونها فبقيت مجردة عاطلة خربة حتى أيام ابن طولون .

وقد أعاد ابن طولون بناء أسوارها وحصونها فى سنة ٨٧٦ م وجعلها مقراً لخزائن أمواله واتخذ فيها القصور لنسائه . لكن بعد موته طغى الماء على تلك الدور والقصور فدمرها شيئاً فشيئاً .

ثم جاء محمد بن طغج الأخشيد و بنى فيها سنة ٣٢١ هـ (٩٣٢ م) داراً ذات بساتين واتخذ فيها داراً للنوبة وداراً للغلمان . وسمى هذه الدار « المختار » . وفى الروضة الآن شارع اسمه المختار يقع فى موضعها . وقد أقام ابن طغج

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

داره هذه مكان دار الصناعة القديمة حيث كانت تبنى السفن والمراكب الحربية ، وقد أقيمت دار الصناعة بالروضة سنة ٥٤ هـ (٦٧٣ م) وظلت تعمل حتى أيام ابن طولون . ثم أحرقت فى زمن الأخشيد سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) .

وعلى أيام الفاطميين ، أصبحت جزيرة الروضة من المتنزهات وأنشئت فيها المناظر (القيلات) الكثيرة وأشهرها منظرة « الهودج » أنشأها الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية بجوار « المختار » .

أما فى أيام الأيوبيين فقد دخلت الجزيرة بما حوته فى ملك ابن أخى صلاح الدين . ولما ولى العرش الملك الصالح نجم الدين أيوب ، بنى فى الجزء الجنوبى منها قلعة هائلة لا تقل مساحتها عن ٦٥ فداناً أسند حراستها إلى المماليك من جنده وأطلق عليهم اسم « المماليك البحرية » .

وقد هدم الملك الصالح نجم الدين أيوب الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة وحوّل الناس من مساكنهم وهدم كنيسة كانت للقبط بجانب المقياس وأدخل كل ذلك فى القلعة . وأنفق فى عمارتها أموالا كثيرة ، وبنى فى داخلها الدور والقصور وعمل لها ستين برجاً وبنى بها جامعاً وغرس بها أشجاراً نادرة ، ونقل إليها كثيراً من الأعمدة الصوان والرخام التى نزعها من البرابى والكنائس من ناحية منف وبابيلون وعين شمس وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والزاد والأقوات خشية محاصرة الصليبيين له لأنهم كانوا فى هذا الوقت قد نزلوا بدمياط واحتلوها ثم اعتزموا السير إلى القاهرة .

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يقف بنفسه ، يرتب ما يعمل بهذه القلعة فصارت تدهش الناظر بكثرة زخرفها وتحير من يشاهدها بحسن سقوفها المزينة وبديع رخامها . ويقال إنه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر بحسن منظره وطيب طعمه ، وخرب « الهودج » و« المختار » وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً (ربما مصليات) عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لإقامة الصلاة هناك .

وكان النيل عند ما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربى فقط فيما بين الروضة وبر الجيزة ، وكان قد انحسر عن بر مصر ولا يحيط بالروضة إلا فى أيام الزيادة فلم يزل يغرق السفن فى البر الغربى ويحفر فى البر الشرقى بين الروضة ومصر ويرفع ما كان هناك من الرمال حتى عاد الماء إلى بر مصر .

وكانت جزيرة الروضة متصلة قبل الفتح الاسلامى بساحل النيل الشرقى بواسطة جسر (كوبرى) من المراكب . وكان هذا الجسر فى القرن الحادى عشر الميلادى مكوناً من ٣٦ مركباً كما ذكر ذلك السائح الفارسى ناصرى خسرو .

فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعته المذكورة بالروضة فى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) ، أنشأ جسراً عظيماً ممتداً من بر مصر إلى الروضة مكان أو بجوار الجسر الأصلى ، وجعل عرضه ثلاث قصبات (حوالى ١٠ ½ متراً) وهو الذى عرف قديماً باسم جسر (كوبرى) الملك الصالح .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى أيام محمد على باشا كان هذا الجسر قد تهدم وخرب ، فلما اشترت شركة توحيد الأراضى المصرية جزيرة الروضة من ورثة عباس باشا يكن مهدت هذا الكوبرى وشيدته من جديد وأقامت عليه سكة حديد ضيقة تصل الروضة بجبل السعود لنقل الرمال من هناك إلى الجزيرة لرفع منسوب أرضها .

وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى أعيد بناء كوبرى الملك الصالح بدير النحاس وأنشىء كوبرى عباس الثانى بين الروضة وبر الجيزة .

هذا وقد بقيت قلعة الملك الصالح بالروضة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب ، فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى أول سلاطين المماليك البحرية سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية بمدينة مصر . وطمع فى القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك ، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة .

فلما صارت مملكة مصر إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى سنة ٦٥٧ هـ (١٢٦٠ م) اهتم بالقلعة وأمر بإعادة عمارة ما تهدم فيها ، وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء المماليك وأمر أن تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم بها وسلم المفاتيح لهم .

ولكن لما ولى الملك المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) وشرع فى بناء مارستانه والقبة والمدرسة المنصورية المعروفة بالنحاسين أمر بهدم مبانى هذه القلعة ونقل منها ما تحتاج إليه عمارته الجديدة من عمد الصوان وعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة فى البرابى والكنائس وأخذ منها رخاماً كثيراً وأعتاباً عديدة .

وحذا ابنه الناصر محمد بن قلاوون حذو أبيه فنقل ما بقى بها من أعمدة وأحجار ورخام ومواد بناء واستعملها فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل والجامع الجديد الناصرى بظاهر مدينة مصر .

وهكذا ذهبت هذه القلعة وكأنها لم تكن . وقد تأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس كان على جانبها الغربى ظل باقياً إلى نحو سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) وقد بقى أيضاً من أبراجها عدة ثم انقلب أكثرها ، وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل .

وهكذا اختفت هذه القلعة التى كانت تقوم على مساحة قدرها ٦٥ فداناً كما قلنا سابقاً ومكانها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال : بشارع الملك المظفر — ومن الغرب : بنهر النيل — ومن الجنوب : بسلاملك سراى حسن باشا المناسترلى وبمقياس النيل — ومن الشرق : بسيالة الروضة .

والسلاملك المذكور كان مكانه الجامع الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢م) على النيل بجوار المقياس من الجهة الغربية وعرف بجامع المقياس . وكانت بقايا هذا الجامع قائمة إلى سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥٠ م) وفيها أزال حسن باشا المناسترلى تلك البقايا وبنى هذا السلاملك فى مكان جامع المقياس .

وبطرف جزيرة الروضة الجنوبى المقياس ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

جزيرة الروضة منذ عهد محمد على باشا الى الآن

فى سنة ١٨١١ م أهدى محمد على باشا جزيرة الروضة إلى صهره عباس يكن باشا ، وكان الوصول إليها إذ ذاك بواسطة القوارب ، لأن كوبرى الملك الصالح القديم كان قد بلى وتداعى للسقوط .

وكانت الروضة فى ذاك الوقت أرضاً زراعية فلما توفى عباس باشا يكن وزوجته تبادلها الورثة ، ثم بيع الجزء الواقع إلى جنوب شارع الروضة الحالى إلى شركة توحيد الأراضى المصرية ليمتد .

ويقول البعض إن حسن باشا المناسترلى ورث أرض حديقته وأرض منزله عن عباس باشا يكن و إنه أبى أن يبيعها للشركة السابقة .

وفى عهد هذه الشركة مهد كوبرى الملك الصالح وشيد من جديد وأقيمت فوقه سكة حديد ضيقة تصل الروضة بجبل أبى السعود لنقل الرمال اللازمة لردم الجزيرة وتعلية أرضها . وكانوا أيضاً ينقلون الطمى من النيل للغرض نفسه بواسطة الكراكات .

و بعد أن مهدت أرض الجزيرة وأصبحت صالحة للتقسيم ، عسكر فيها الجيش الإنجليزى . ثم رحل الإنجليز عنها فانتظمت للمبيع طبقاً للخريطة التخطيطية التى عملت عنها ، فتملكها كثير من الناس .

وفى أثناء وجود المعسكر الإنجليزى بها ؛ بنى كوبرى الخديوى عباس حلمى الثانى فوصل الجيزة بالروضة ، وكذا شيد كوبرى الملك الصالح من جديد و بقى اسمه كوبرى الملك الصالح تخليداً لذكرى الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب قلعة الروضة المذكورة سابقاً .

وقد تم إنشاء هذين الكوبريين سنة ١٩٠٨ ، وأنشىء بينهما الطريق الذى يسمى الآن شارع الروضة ومد فيه شريط الترام .

وفى الثلاثين سنة الأخيرة امتد سيل الحياة الجارف إلى هذه المنطقة فشيدت فيها مئات المنازل والعمارات وامتدت فيها شبكة هائلة من الشوارع أهمها :

شارع النيل وأول منزل بنى فيه منزل محمود بك أبو النصر ، وشارع الأخشيد وأول منزل بنى فيه منزل المرحوم الشيخ محمد بك زيد مدرس بالحقوق سابقاً ، وشارع المقياس وأول منزل بنى فيه منزل أحمد رشوان ، وشارع قلعة الروضة وأول منزل بنى فيه منزل قمحة بك ، وشارع عاطف بركات وأول منزل بنى فيه منزل عاطف بك بركات ، ثم أبدل اسم هـذا الشارع باسم شارع حافظ ابراهيم حكيمباشى الخاصة الملكية تخليداً لذكره ، ثم شارع الملك الصالح وأول منزل بنى فيه منزل أمين رفعت ثم المدرسة الإنجليزية .

ويتقاطع مع هذه الشوارع شارع الملك المظفر ثم شارع المماليك الذى يقع على تقاطعه بشارع المنيل ميدان

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المماليك البحرية ، ثم شارع المختار وشارع دار الصناعة ، وأول منزل بنى فيه منزل المرحوم على باشا ثاقب المستشار سابقاً .

أما اليوم فقد امتلأت الروضة شمالاً وجنوباً بالمنازل الآهلة بالسكان وتضاعفت حركة المرور فى الشارع الرئيسى ، ففيه الآن خط ترام الجيزة مزدوج كما تمر فيه وفى شارع المنيل سيارات شركة الثورنكروفت الفاخرة وهى من وسائل النقل الحديثة السريعة بمدينة القاهرة .

قصر الأمير محمد على بمنيل الروضة

نشأت فى العصر التركى قرية صغيرة فى شمال جزيرة الروضة تعرف الآن باسم منيل الروضة . ويعتبر قصر الأمير محمد على توفيق ولى العهد درة فى جبين هذا المنيل إذ تربو مساحته على ١٧ فداناً . وهو موضع رياضة ونزهة سمو الأمير يدعو إليه أصحابه ينعمون فيه بالحياة خير ما ينعم إنسان بين الرياض الفيحاء والبساتين الغناء . وقد نفخ سموه من روحه الفنية فيه فجاء آية من آيات الفن التى تنطق بما عليه الأمير من ثقافة شرقية وذوق رائع ومعرفة تامة بأسرار الجمال المعمارى .

وبحديقة هذا القصر مجموعة متنوعة من الأشجار المغارية وأغربها شجرة « البنين » .

ويحيط بالقصر سور على طراز هندى شيده الأمير بعد زيارته للهند .

أما المسجد الذى شيده سموه فى مطلع قصره فتحفة من آيات الفن العربى الحديث .

منيل الروضة فى ثلاثين عاماً

كان المنيل منذ ثلاثين عاماً مقصد العظماء من القوم يأتى إليه الكثيرون منهم ليختلسوا فيه سويعات السرور وليروّحوا عن أنفسهم عناء العمل . كما كان يقصده الناس لزيارة « الشجرة المندورة » التى تشفى الجروح المستعصية وتهب النسل للمرأة العاقر التى تمر تحت جذورها البارزة فوق سطح الأرض . وكان العامة والفقراء يجيئون جماعات فى الأعياد والمواسم خصوصاً فى عيد شم النسيم يحملون أشهى المأكولات وأطيب الثمار ويتغنون بأغانى حلوة عذبة ، ثم يركبون زوارق تنشر قلاعها لعبور النيل يردد فيها النهر أصوات الطبول والمزامير إلى ما بعد مغيب الشمس .

أما الآن فقد زال جمال الريف الطبيعى ، ولم يبق من المنيل القديم إلا أكواخ هى قذى فى عين طالبى النزهة .

ومع هذا لم يشأ الله أن يذهب بجمال المنيل ، بل بقيت فيه مسحة من جمال العواطف الإنسانية السامية ، فقد شيد فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول مستشفى فؤاد الأول فى شماله تخفيفاً لضغط المرضى على مستشفى قصر العينى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مستشفى فؤاد الأول

ظلت الأرض التى يقوم عليها مستشفى فؤاد الأول فى أقصى شمال جزيرة الروضة ومساحتها ٥٢ فداناً ، فضاء فسيحا يكتنفه النيل من جانبيه ، ويغمر الفيضان بعض أجزائه .

وقد كان هذا الموقع فى عصر الدولة الفاطمية بستاناً رائعاً فسيحاً . ذكر المقريزى أنه لما استولى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) على كرسى الوزارة ، أنشأ فى شمالى الجزيرة مكاناً للتنزه سماه « الروضة » وتردد إليه كثيراً فكان يسير فى موكب من داره بمصر إلى « الروضة » ، وبذلك صارت الجزيرة من ذلك الوقت تعرف كلها باسم الروضة . ومع الزمن زال هذا البستان ودرست معالمه وتحولت الأرض إلى الزراعة .

وفى ١٩٠٨ لما تولى الأمير أحمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد الأول) رياسة الجامعة المصرية الأهلية الناشئة عنّت له فكرة إنشاء بعض كليات الجامعة بهذا المكان .

وفى سنة ١٩١٧ لما جلس جلالته على عرش أبيه وجده ، صحت العزيمة على اختيار هذه الأرض لإقامة المستشفى وكلية الطب عليها ، ووضعت التصميمات لمبانيها المختلفة ، ومن بينها تصميم مدخل رئيسى يقام فيه تمثال الملك فؤاد اعترافاً بفضله فى إقامة هذه المؤسسة العلمية التى لا تدانيها فى العظمة أو فى الدقة مؤسسة فى العالم .

وقد لوحظ فى تصميمها ، أن تحقق الغرضين الأساسيين منها على أكمل وجه .

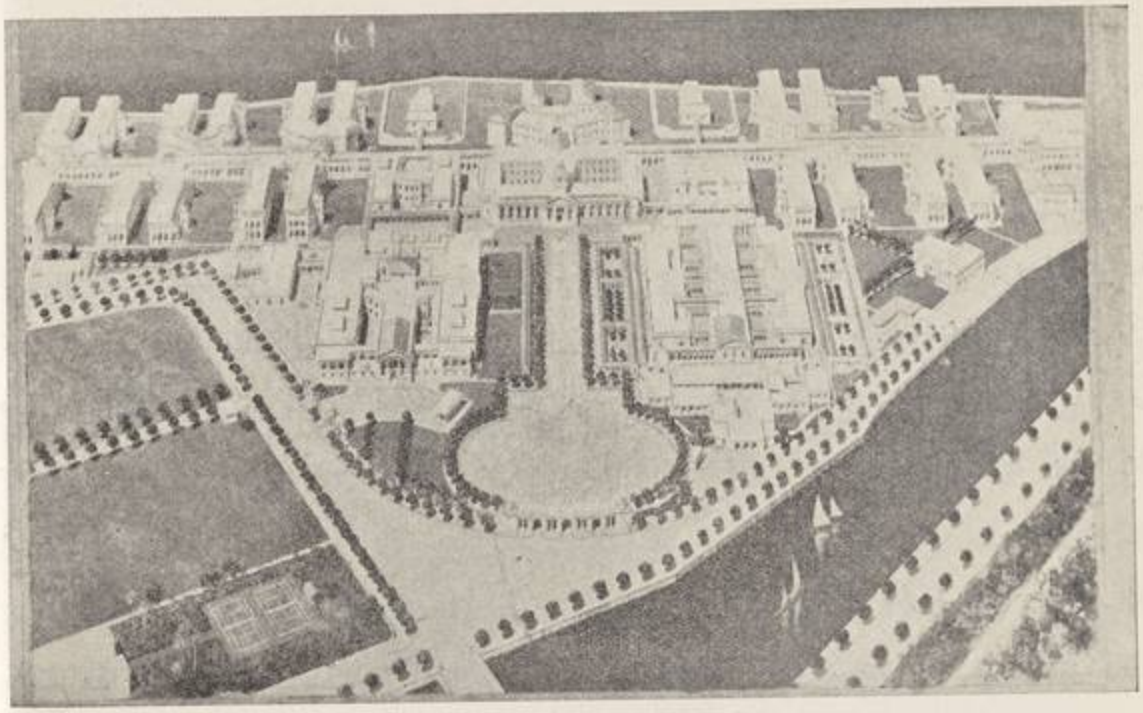

تصميم مبانى مستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لذلك حوت مجموعاتها أقساماً تناولت جميع فروع الطب فى التشخيص والعلاج ، وأنشئت بها صيدلية لصرف الأدوية للجمهور . وبهذا استوفت ما يجب للأغراض التعليمية فى جميع فروع الطب ، كما استوفت ما يجب للعلاج . واستيفاؤها هذين الغرضين هو الذى جعلها أكبر مجموعة طبية فى العالم .

وقد تم بناء هذا المستشفى خلال خمس عشرة سنة بذل أثناءها من الجهد والمال ما لم يكن يتيسر بذله لولا رعاية مليك البلاد فؤاد الأول عليه رحمة الله ورضوانه ولولا عطفه على هذا العمل العظيم وتشجيعه للقائمين به ، وحرصه على تمامه .

وقد قدرت التكاليف النهائية لإقامة المستشفى وكلية الطب بمبلغ ١٫٣٦٥٫٠٠٠ جنيه . أنفق منها فى بناء المستشفى نحو ٨١٥٫٠٠٠ جنيه .

وقد قام هـذا المستشفى وملحقاته ، صروحا مشيدة للعلم والبحث ورعاية الإنسانية ، وها هى ذى تشهدها اليوم أعين جميع المقيمين بمصر فيأخذها الإعجاب بجلالها وعظمتها ، وتشهدها أعين الأجانب عن مصر ، فيقرون لها بالتفرد بين نظائرها فى العالم فخامة ونظاما ودقة .

وقد أنهض العمل فى هذه المؤسسة الجليلة صناعات شتى لم تكن معروفة قبله فى مصر ، وكان الوارد منها إلى البلاد يستنفد قدراً جسيما من أموالها . فنشأت صناعة النوافذ والحواجز والدواليب المعدنية (كريتال) ، وصناعة الرخام الصناعى المصقول المعروف باسم « التراتزو » ، وصناعة الطلاء بالسكروم ، وصناعة الأرضيات الكاوتشوك وصناعات أخرى توطنت فى هذه البلاد وأغنتها عن الاستيراد من الخارج . وهكذا يعيد هذا المستشفى ذكرى ما كان فى جزيرة الروضة من صروح وقلاع قديمة هائلة .

ويعتبر مستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة جزءاً متمماً لمبانى جامعة فؤاد الأول بالجيزة ، ولذا فلا تزال الحاجة ماسة إلى إقامة كوبرى يوصل شارع الجامعة بالجيزة بمستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة وبمبانى كلية الطب بالقصر العينى اختصاراً فى وقت الطلبة والأساتذة وربطاً لوحدات الجامعة ببعضها .

مستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة وملحقاته . وقد قام صروحاً مشيدة للعلم والبحث ورعاية الإنسانية.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كوبرى محمد على

أنشىء هـذا الـكوبرى لوصل القاهرة بجزيرة الروضة عنـد القصر العينى . وطوله ٦٧ متراً على ثلاث فتحات . وأسسه عبارة عن أسطوانات عملت بطريقة الضغط الجوى . ويصل هذا الكوبرى الآن مستشفى القصر العينى بمستشفى فؤاد الأول . وقد سمى كوبرى محمد على لأنه يوصّل إلى قصر الأمير محمد على توفيق ولى العهد بمنيل الروضة .

وقد أنشىء فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٩٠٨ . ويبلغ عرض هذا الكوبرى ١٥ متراً منها ١٢ متراً لبحر الطريق ومتر ونصف عرض كل من الافريزين . وقد بلغت تكاليف إنشائه ١٦٫٥٠٠ جنيه مصرى .

كوبرى الملك الصالح

أنشىء لوصل جزيرة الروضة بالقاهرة عند مصر القديمة . وصار تسلمه من المقاول السير وليم أورل فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى سـنة ١٩٠٨ . وطوله ٨٣ متراً ويتكون من ثلاث فتحات . وأسسه مكونة من أسطوانات خرسانية عملت بطريقة الضغط الجوى . وعليه شريط مزدوج من أشرطة الترام الموصلة للجيزة . وعرض هذا الكوبرى ١٥ متراً ، منها ١٢ متر لبحر الطريق ومتر ونصف عرض كل من الأفريزين . وقد بلغت تكاليف إنشائه ١٩٫٠٠٠ جنيه مصرى .

كوبرى عباس الثانى

أنشىء لوصل جزيرة الروضة بالجيزة . وصار تسلمه من المقاول السير وليم أورل فى ٦ فبراير سنة ١٩٠٨ فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى . وطوله ٥٣٥ متراً . وله ثمانى فتحات ثابتة طول كل منها ٤٢٫٧٦ متراً ، وله أيضاً فتحتان طول كل منهما ٤٣٫٥٣ متراً ، وفتحتان أخريان طول كل منهما ٢٠٫٥٧١ متراً ، ثم له بعد ذلك فتحة ملاحية متحركة طولها ٦٥٫٦٤ متراً .

ويبلغ عرض هـذا الـكوبرى ٢٠ متراً منهـا ١٥ متراً لبحر الطريق ومتران ونصف عرض كل من الأفريزين . ويمر عليه شريط مزدوج من أشرطة الترام الموصلة للجيزة .

أما أسسه وبغلاته فتتكون كل بغلة من قاسونين أسطوانيين يبعد أحدهما عن الآخر بمقدار ١٤٫٤٠ متراً من المحور إلى المحور . وتنزل هذه القاسونات إلى منسوب (— ٧٫٠٠) . وكل اسطوانة مكونة من غلاف من الصلب مملوء بالخرسان . وهذا الغلاف مصنوع من الصلب لغاية قاع النهر ثم من الحديد الزهر فيما علا ذلك .

ونظراً لأن بغلات هذا الـكوبرى مركبة من اسطوانتين فقد حدث هبوط فى إحدى الاسطوانتين ترتب عليه التواء فى الـكمرات الرئيسية وأصبح الـكوبرى على غير المتانة المطلوبة .

وقد بلغت تكاليف إنشائه ١٨٠٫١٠٠ جنيه مصرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مقياس النيل بجزيرة الروضة :

يبدو مما ذكره المقريزى وسواه فى أمر المقياس ، أن العرب ، بعد الفتح مباشرة ، اعتمدوا على مقاييس النيل القديمة التى كانت موجودة بمعبد منف وجزيرة أسوان ومعبد دندره ومعبد أنصنا وربما يكونون قد قاموا ببعض الترميمات فيها مما دعا مؤرخيهم إلى القول بأن عمرو بن العاص بنى مقياسا بأسوان و بدندره ثم بنى فى أيام معاوية ابن سفيان يعنى فى ولايته الثانية على مصر من سنة ٣٧ إلى سنة ٤٣ هـ (٦٥٧ — ٦٦٣ م) مقياسا آخر بأنصنا . (وأنصنا هى الآن القرية المعروفة باسم الشيخ عباده بمركز ملوى بمديرية أسيوط) .

فأين إذن ما ذكره الحسن بن محمد بن عبد المنعم من أن عمرو بن العاص بنى مقياساً بحلوان ، بناء على تعليمات الخليفة عمر بن الخطاب ، بتقاسيم تختلف عن تقاسيم المقاييس المصرية القديمة ؟

يقول الأستاذ محمد قاسم المفتش بمصلحة الطبيعيات فى كتابه « مقياس الروضة » طبعة سنة ١٩١٢ : « لا بد أن يكون هذا المقياس قد أقيم بحلوان بعد الفتح بسنتين أو ثلاث فى ولاية عمرو بن العاص الأولى من سنة ٢٠ إلى سنة ٢٥ هـ (٦٤١ — ٦٤٦ م) ، واستعمل إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسه مكانه بحلوان سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) هذا مع العلم بأن المؤرخ المصرى جرجس بن العميد ذكر أن المقياس الذى بناه عبد العزيز بن مروان بحلوان هدمته المياه سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) أى بعد بنائه بمدة ١٦ عاما فقط .

ولا بد أن يكون عمرو بن العاص قد اعتمد على مقياس القبط بمنف حتى الانتهاء من بناء مقياسه ، هذا مع ما هو معلوم من أن مقياس منف ظل مستعملا مع استعمال المقاييس الإسلامية لغاية سنة ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) على قول يحيى بن بكير .

وربما كان السبب الذى دعا عمرو بن العاص وعبد العزيز بن مروان إلى تغيير أذرع المقاييس التى أنشأوها بحلوان ، على ما ذُكر برواية الحسن بن محمد بن عبد المنعم ، ما هو معروف من أن القبط كانوا يدفعون الخراج بنسب خاصة تبعاً لارتفاع مناسيب النيل . فإذا انتهت الزيادة إلى ١٦ ذراعا ففيه خصب الأرض وتمام الخراج . أما إذا زاد على السبع عشرة و بلغ ثمانى عشرة ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع يترتب عليه عدم دفع جزء من الخراج .

وكذلك إذا قلت الزيادة عن الذراع الرابع عشر استسقى الناس وامتنعوا عن دفع الخراج .

فلملافاة هذه الحالة ، جعل عمرو الاثنى عشر ذراعاً ١٤ ذراعاً ضماناً لدفع الخراج فى الفيضانات المنخفضة .

إلا أنه ظهر بسرعة عدم صلاحية هذين المقياسين . فما إن هدم مقياس عبد العزيز بن مروان سنة ٩٦ هـ (٧١٤م) حتى أقام أسامة بن زيد التنوخى مقياسه بالروضة بأذرع تعادل فى طولها طول أذرع مقياس النيل القديم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد تكون أبعاد الطاقات التى ظهرت حديثاً عند الكشف على زاوية السلم بحرى المقياس مباشرة هى الأبعاد الأصلية المقررة فى طول أذرع مقياس النيل القديم . و يبدو أن هذه الطاقات ترجع إلى عهد أقدم من العهد الإسلامى وربما كشفت لنا الأيام كنهها فى المستقبل .

وأسامة هذا هو الذى بنى بيت المال بمصر . وكان عامل الخراج بها . فلما تهدم مقياس عبد العزيز بن مروان سنة ٩٦هـ كتب إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان قد ولى الخلافة ، ببطلان ذرع هذا المقياس وأن المصلحة بناء مقياس جديد تتفق أطوال أذرعه مع أطوال أذرع المقاييس الأصلية للنيل . فأجابه سليمان ببناء مقياس فى الجزيرة (يعنى الروضة) فبناه أسامة فى سنة ٩٧هـ (٧١٥ م) .

وظل مقياس أسامة مستعملا حتى هدمته المياه أيضاً . وفى سنة ١٩٩ هـ (٨١٤ م) بنى المأمون مقياساً بالبروذات ولم يتمه ، وقد رمم مقياس المأمون هذا سنة ٢٣٣هـ (٨٤٧ م) .

وفى سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١م) فى آخر عهد الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسى وفى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر ، تم إنشاء المقياس الذى لم يزل موجوداً للآن بجنوب جزيرة الروضة .

وقد أنفذ الخليفة العباسى إلى مصر من العراق محمد بن كثير الفرغانى المهندس القدير للإشراف على بنائه ، و بعد ما تم بناؤه أطلقت عليه الأسماء التالية : « المقياس الهاشمى » و « المقياس الجديد » و « المقياس الكبير » وهو بعينه الذى نسميه الآن « مقياس الروضة » .

و بناء على توقيع من الخليفة المتوكل ، جعل يزيد بن عبد الله التركى أمير مصر ، على المقياس ، أبا الردّاد الفقيه المعلم . و يقال إن أصل أبى الردّاد هذا من البصرة . واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله أبى الردّاد المؤذن .

قال الحافظ ابن يونس : قدم أبو الردّاد مصر وحدّث بها وجُعل على قياس النيل فلم يزل المقياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وأولاده إلى يومنا هذا .

ومات أبو الرداد المذكور فى سنة ٢٦٦هـ (٨٧٩م) .

و بعمارة مقياس المتوكل هذا بطل استعمال كل مقياس كان قد بنى قبله فى الوجه القبلى وفى الوجه البحرى ، واستمر الحال على ذلك إلى أن ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون الديار المصرية . فركب من القطائع فى سنه ٢٥٩هـ (٨٧٣م) ومعه أبو أيوب صاحب خراجه و بكار بن قتيبة القاضى ، فنظر إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر وكان لم يمض على بنائه ١٣ سنة فقط .

وكانت هذه أول وآخر عمارة أجريت به إلى أن دخلت مصر فى حيازة الفاطميين . فلما تولى الخلافة المستنصر بالله ،

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عمر وزيره بدر الجمالى بناء المقياس سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) وبنى غربيه جامعاً سماه « جامع المقياس » فى مكان كنيسة قديمة للروم الملكيين .

ثم مضت ٤٠٠ سنة تقريباً على عمارة بدر الجمالى لم يذكر فيها شىء عن إصلاح المقياس .

وفى سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ذكر ابن إياس أن الملك الأشرف قايتباى توجه إلى المقياس ، ودخل إلى قاعدته ، وأمر بتجديد بعض أماكنه و إصلاح أساسه .

ولما انقضت دولة المماليك الجراكسة ، ودخلت مصر تحت الحكم التركى ، نسب إلى كل من السلطان سليم الأول ، والسلطان سليمان الأول ، والسلطان سليم الثانى ، إجراء عمارات بالمقياس لم تعرف أهميتها ، ولا تاريخ إجرائها .

وفى سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) فى عهد السلطان مصطفى الثانى ، أمر حمزه باشا الوالى التركى حينذاك بتجديد العتب الخشبى الأفقى الموضوع على رأس عمود المقياس لتثبيته فى موضعه وضمان عدم اهتزازه .

وفى عهد على بك الكبير سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) تمت إصلاحات كثيرة بالمقياس .

المقياس فى عهد الحملة الفرنسية :

نثبت هنا المحضر الذى كتبه المسيو « لوبير » كبير مهندسى حملة بونابرت ، عن الترميمات التى قامت بها الحملة الفرنسية فى مقياس النيل بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٠١ م :

كان المقياس قد دمر تدميراً عظيماً فى أثناء الهجوم على القاهرة ، لا سيما وأن فرقة من الطوبجية أقامت مدافعها فى جواره وجعلت إحدى الغرف التى فوقه مخزناً للبارود . فأمر قائد الحامية الجنرال « مينو » بترميمه لما علمه من شدة تعلق الأهالى بالأشياء الدينية إذ كانوا يعدون المقياس معهداً دينياً ، ولما رآه من أنه موضع احترام و إجلال من كافة المصريين .

ولا شك أن جميع مهندسى الحملة قد أعجبوا بالمقياس ، وبما أنهم كانوا يريدون الاستمرار فى قياس منسوب مياه النيل بواسطته ، فقد بحثوا كثيراً ونقبوا عن أمر تقسيمه إلى أذرع وعن طوله الحقيقى ، لأن آراء العلماء والزائرين والأهلين أنفسهم فى هذا الشأن كانت مختلفة اختلافاً عظيماً . فللوصول إلى الحقيقة ، طهروا البئر إلى قاعها فى حضرة السيد مصطفى سقا باشا وحضرة شيخ المقياس . وقد وصلوا إلى كشف الجزء الأسفل من العمود ، فوجدوا ما يأتى :

أما العمود فينقسم إلى ١٦ ذراعا ، فالأذرع الست السفلى غير مقسمة ، والعشر العليا مقسمة كل منها إلى ٢٤ قيراطاً . ويبلغ مقدار الذراع من الست عشرة ذراعا ٥٤ سم بالمقياس الفرنسى . أما طول تاج العمود فذراع وأربع أصابع وقد ركب عليه عمود آخر ارتفاعه ذراع وأصبعان . ونظراً لأنه فى أثناء بضعة القرون الماضية

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كان فيضان النيل قد تجاوز فى بعض الأحيان الذراع السادسة عشرة فقد قسم تاج العمود والعمود الآخر المركب فوقه إلى أذرع وأصابع فبلغ ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وبذا تسنى معرفة مقياس الفيضانات المفرطة .

وكان الكمر الذى وضعه حمزه باشا قائمقام القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) أعلى عمود المقياس لتثبيته قد بلى وتداعى للسقوط فأبدلناه بآخر من قطعة واحدة ثبتناه بالسقف من الشرق إلى الغرب وأسندناه إلى رأس عمود المقياس و بيضنا البئر بالبوية ، ولكننا احتفظنا بالنقوش الكوفية والعربية فلم نمسها بشىء . وقد جددنا الحاجز المقام حول البئر والغرفتين المجاورتين له المخصصتين لشيخ المقياس ، وشيدنا بوابة عند مدخل المعهد ووضعنا فى قمتها لوحة من رخام أبيض قد نقش عليها بالمداد الذهبى بالفرنسية والعربية ما يأتى :

A.P.F. An : IX (أى الجمهورية الفرنساوية . السنة التاسعة من تأسيس الجمهورية) وقد عهدنا بأعمال جميع الترميمات فى المقياس إلى المسيو دى شابرول . اهـ .

ولما انتهت الحملة الفرنسية وعادت مصر إلى الحكم التركى زار القاهرة المسيو چوبرت الذى كان مترجماً فى الحملة فوجد أنهم نزعوا اللوحة المذكورة ووضعوا أخرى بدلا منها وقد نقش عليها ما معناه : « بالرغم من جميع ما قيل فى فيضان النيل فى سنتى ١٢١٥ و ١٢١٦ هـ فان البلاد بفضل حكم الباشاوات الجدد سائرة على أحسن مما كانت عليه من قبل » ثم قال : « ويخيل لنا أن الأتراك ظنوا أن غرضنا من وضع هذه اللوحة ما كان إلا لإثبات مآثرنا ولكنهم قد تركوا التاريخ الفرنسى الموجود على القمة إما سهواً منهم أو لأنهم لم يفهموا معناه لأنه منقوش بالأحرف اللاتينية .

وقد قاس المهندسون الفرنسيون أذرع المقياس فوجدوها مختلفة بعضها عن بعض كالآتى :

الذراع الأولى	تبلغ	٥٤٠	ملليمتراً	الذراع التاسعة	تبلغ	٥٤١	ملليمتراً
« الثانية	«	٥٤١	«	« العاشرة	«	٥٣٦	«
« الثالثة	«	٥٣٥	«	« الحادية عشرة	«	٥٤٨	«
« الرابعة	«	٥٣٦	«	« الثانية عشرة	«	٥٥٠	«
« الخامسة	«	٥٤٣	«	« الثالثة عشرة	«	٥٤٦	«
« السادسة	«	٥٣٨	«	« الرابعة عشرة	«	٥٣٦	«
« السابعة	«	٥٣٦	«	« الخامسة عشرة	«	٥٣٩	«
« الثامنة	«	٥٤١	«	« السادسة عشرة	«	٥٤٠	«

فتكون الجملة ٨٫٦٤٦ متراً

و بقسمة الجملة على ست عشرة ترى أن متوسط ذراع المقياس هو ٥٤١ ملليمتراً تقريباً . ولا شك فى أن ما بين تقاسيم الأذرع من الاختلاف ناشىء عن قلة الدقة فى التقسيم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المقياس من عهد محمد على باشا الى اليوم

ولما تولى ساكن الجنان محمد على باشا زمام الحكم بمصر قام بإصلاح المقياس والمحافظة عليه .

وفى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) باشرت نظارة الأشغال العمومية تطهير بئر المقياس ورفع ما تراكم به من الطين والأنقاض حتى بلغت الذراع الثالث من أذرع العمود فوجد بين الأنقاض المستخرجة بقايا الأعمدة التى صنعها الفرنسيون منقوشاً عليها الذراع الثامنة عشرة البالغ ارتفاعها ٥٨و٠ من المتر .

كذلك أنشأت نظارة الأشغال مقياساً مترياً جديداً فى الضلع البحرى لزاوية سلم المرساة بحرى المقياس مباشرة وصفر هذا المقياس الذى يعلو سطح البحر الأبيض المتوسط بمقدار ١٢ ½ متراً يطابق الذراع الثامنة والقيراط ١٥ ½ ، أما آخر تقاسيمه فينتهى عند المستوى الذى يعلو سطح البحر بمقدار ٢١ متراً .

و بعد الفراغ من هذه الأعمال هبط عمود المقياس ١٤ سنتيمتراً فاهتمت لذلك نظارة الأشغال ورممت جدران البئر وجددت عقدى عموده بعد أن ضمت له تاجاً من رخام على مثال التاج القديم الذى كان فى عهد الفرنسيس . ثم أثبتت هذه الأعمال فى لوح من رخام ثبت فى أعلى الحائط الغربى للبئر وعليه تاريخ الإصلاح وهو سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى .

وفى سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) حدث هبوط فى العمود مقداره ثلاثة سنتيمترات ثم زاد إلى ستة سنتيمترات ، فقامت مصلحة المبانى الأميرية وتفتيش رى الجيزة ولجنة حفظ الآثار العربية باتخاذ الاحتياطات اللازمة لإيقاف الهبوط عند هذا الحد تحت إشراف حضرة صاحب العزة كامل غالب بك وكيل وزارة الأشغال إذ ذاك .

فقام عزته بتطهير البئر تطهيراً تاماً حتى انكشفت قاعدة العمود . ثم قام بفك أحجار البئر بعد تنميرها حجراً حجراً لإمكان إعادتها إلى موقعها الأصلى بعد إتمام العمل .

و بعد أن أخلى حول مبانى البئر من الخارج ظهرت هناك أبنية بالطوب متقنة الصنع على شكل نصف دائرة وضعت فيها خوابير خشبية لتدعيمها ، كما ظهرت أحجار قديمة من متخلفات معابد منف وعين شمس ، ومن متخلفات الكنائس التى كانت بهذا المكان قبل إنشاء جامع المقياس فى عهد بدر الجمالى وزير الخليفة الفاطمى المستنصر بالله . وكانت هذه الأحجار قد ألقيت خلف حوائط البئر لوقايتها وكذا تحت قاعدة العمود ، وذلك فى عهد إنشاء البئر وظلت فى مكانها إلى أن رفعها غالب بك ورتبها ترتيباً جميلا فى شبه متحف بسلاملك سراى المناسترلى الذى بنى فى عهد محمد على باشا مكان جامع المقياس المذكور سابقاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما فى هذا المتحف فكم يبدو جميلا هذا الفن الدقيق — فن مدينة منف الخالدة ومدينة عين شمس المقدسة المنحوت على هـذه الأحجار القديمة — تدقق فيه النظر فإذا به تطريز بديع منسق تنسيقاً آخّاذا . وبجوار هذه الأحجار الفرعونية البديعة تجد بقايا أحجار الـكنائس البيزنطية بفنها المنقول الثقيل المتعب فى تراكيبه وتفاصيله .

وبجوار هذه الأحجار وضع غالب بك أنموذجاً مجسما للمقياس كما كان فى عهد الحملة الفرنسية . وقد تقرر إصلاح المقياس وإرجاعه إلى هذه الحالة .

وقد أوشك هذا الإصلاح أن يتم الآن ، فقـد أعيد تركيب أحجار البئر وتركيب عمود المقياس على أساسات قوية من الخرسانة المسلحة ، كما تم بناء القبة بالخرسانة المسلحة أيضاً ولم يبق إلا تركيب التكسية الخشبية الخارجية .

ومن الأشياء التى وجدها غالب بك أثناء العمل واحتفظ بها « الخنزيرة » الأصلية التى استعملت فى تغويص البئر أيام المتوكل سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) أى منذ ١٠٨٢ سنة وهى فى الغالب من خشب الجميز . ثم «القاويش» أى الكمرة من خشب القرو الثقيل التى وضعت فوق العمود وثبتت أطرافها بحائطى البئر الشرقية والغربية . وقد ركبت هذه الـكمرة بعد عهد الحملة الفرنسية مباشرة سنة ١٨٠٢ أى منذ ١٤١ سنة .

وصف المقياس فى حالته الحاضرة

إذا زرت مقياس الروضة الآن تجده جافاً مطهراً نظيفاً وتنزل على درج مركب بجوار حوائط البئر إلى القاع تحت منسوب مياه التحاريق بحوالى ثلاثة أمتار . فتجد مقياس الروضة عبارة عن عمود من الحجر الجيرى المتين ، منقول من معبد ، أو من كنيسة قديمة ، ارتفاعه حوالى تسعة أمتار ، وقطره ٤٨ سنتمتراً ، وهو مثمن الأضلاع ، وعرض كل ضلع ١٨ سنتمتراً ، والعمود مقسم إلى أذرع وقراريط عددها ١٦ ذراعاً مبينة بحزوز محفورة على العمود ومقسمة إلى أصابع طول حزوزها نصف طول حزوز الذراع .

وقد أقيم هذا العمود على قاعدة مستديرة بوسط بئر مربعة من البناء طول ضلعها ٤ أمتار تقع بالنهاية الجنوبية لجزيرة الروضة تجاه مصر القديمة .

وفوق العمود تاج كورنثى من الرخام الأبيض عليه أثر تقاسيم الأذرع والأصابع . وفوق التـاج عمود آخر ارتفاعه ذراع وأصبعان فوقه كمرة من الخرسانة المسلحة بشكل « القاويش » القديم ، وذلك لضبط العمود فى مكانه حتى لا يتحول . وهذه الـكمرة مثبتة فى الحائط الشرقية والحائط الغربية للبئر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتصل مياه النيل إلى البئر بواسطة ثلاثة مجارى . فالمجرى الأول مفتوح فى الناحية الجنوبية وقاعه باستواء أرضية البئر وعرضه ١و١٠ متراً وارتفاعه ١و٣٤ متراً . والمجريان الآخران فتحتهما فى الجهة الشرقية الأسفل تحت آخر درجة من السلم وعرضه ١و٢٠ متراً والأعلى فوقه وعرضه متر واحد وله عقد مقبى . وهذا القبو مكرر فى الأوجه الأربعة للبئر ومكتوب عليه بالكوفى (ماشاء الله لا قوة إلا بالله) . ويعلو هذا القبو أربعة ألواح من الرخام الأبيض مثبتة فى حوائط البئر وعرضها ٣٠ سنتمتراً وطولها مختلف .

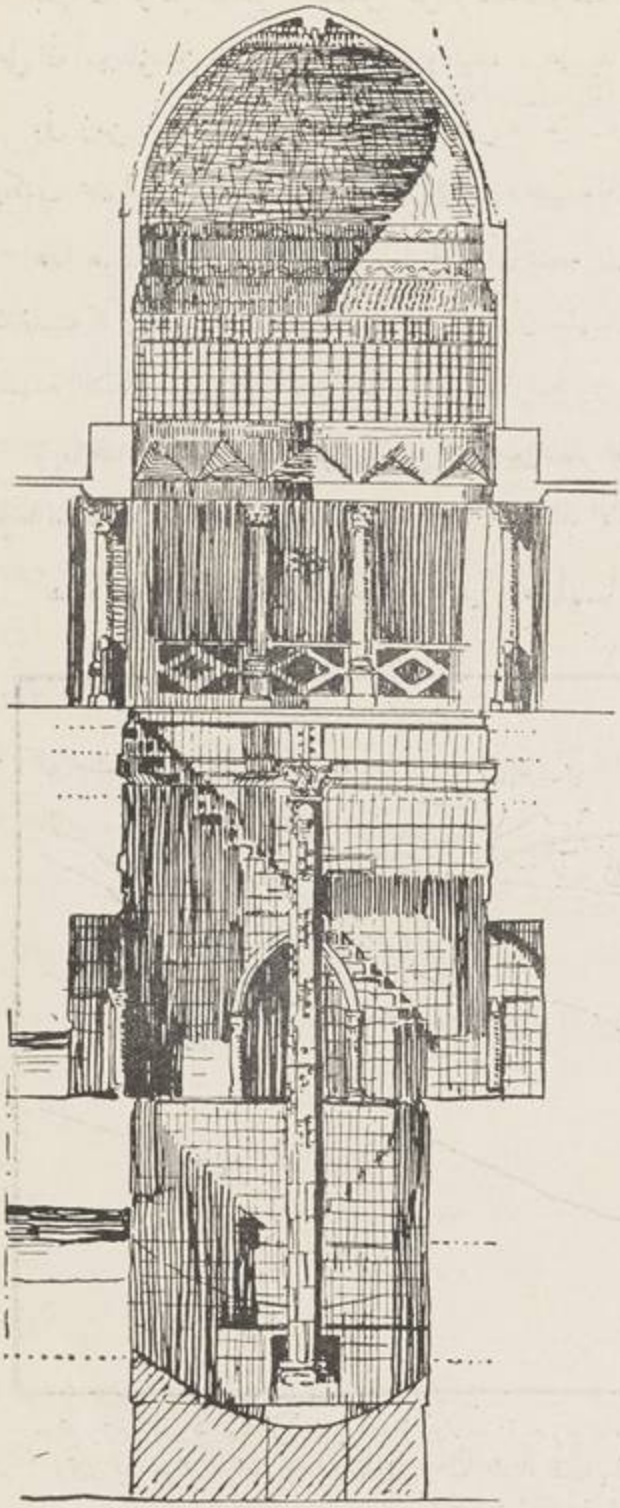

مقياس النيل بجزيرة الروضة .

فاللوح الشرقى طوله ٢و١٥ متراً ومكتوب عليه بالكوفى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد » .

واللوح البحرى طوله ٢و٥٠ متراً ومكتوب عليه بالكوفى :

« وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

واللوح الغربى طوله ٢و٤٩ متراً ومكتوب عليه بالكوفى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير » .

واللوح القبلى طوله ١و٩٨ متراً ومكتوب عليه بالكوفى :

« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن ضمن ما وجد بحذاء الذراع الثامنة عشرة :

بسم الله الرحمن الرحيم . مقياس يُمن وسعادة ونعمة وسلامة . أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين طال بقاؤه ودام عزه وتأييده . على يد أحمد بن محمد الحاسب سنة ٢٤٧ .

وفى زمن بدر الجمالى وزير المستنصر الفاطمى ، أجريت إصلاحات بالمقياس ، وأزيل اسم الخليفة العباسى ، وكتب محله اسم الخليفة الفاطمى . وكان ذلك فى رجب سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) .

هذا هو مقياس النيل بالروضة ، ونأمل الآن أن تمنحه بلدية القاهرة المقبلة إن شاء الله ، ما يستحق من إظهار شخصيته كأثر له قيمته الفنية وجاذبيته العالمية ، بأن تنشىء حوله الحدائق والبساتين وتمد إليه الطرق والشوارع الممهدة اللائقة وتسهل إليه المواصلات .

وإذا قلنا إنه يحسن إنشاء كوبرى على النيل بين مصر القديمة ومنطقة مقياس النيل بدلا من المعدية الحالية ، فإننا نعتقد أننا نقول حقاً ونرجو إصلاحا . حقق الله الآمال .

هذه هى جزيرة الروضة وأهم معالمها القديمة والحديثة .

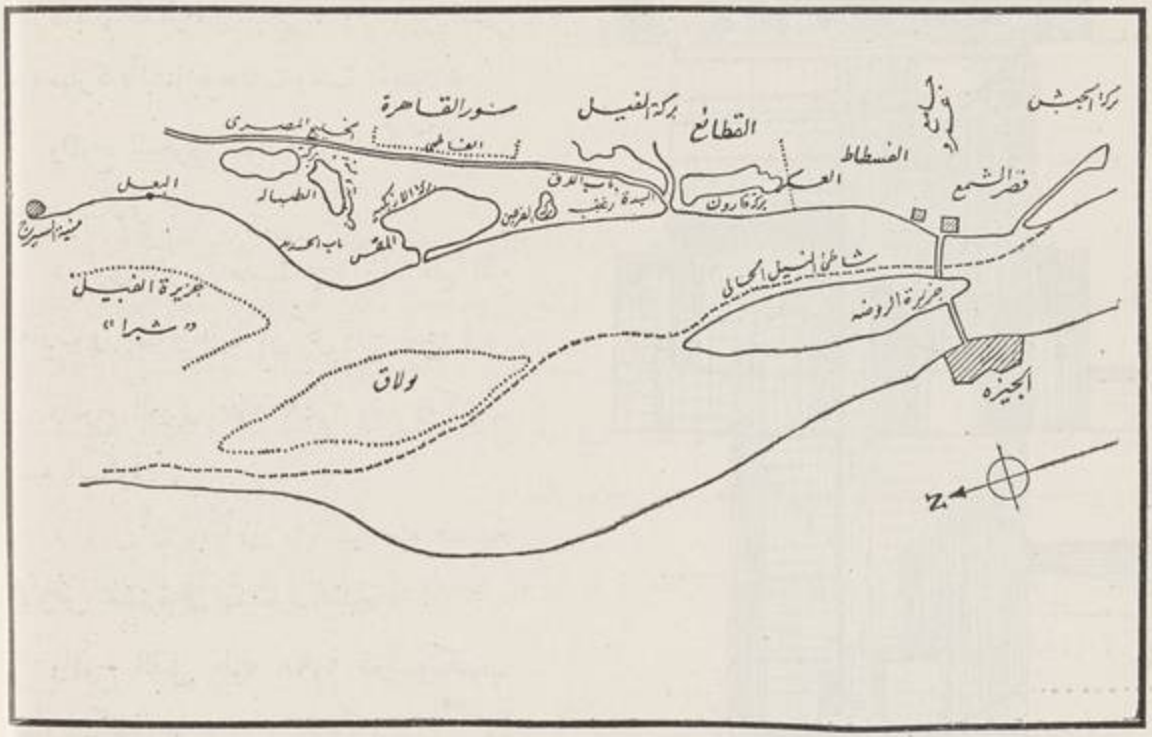

موقع جزيرة الروضة وشاطئ النيل الشرقى تجاه مدينة مصر والقاهرة وقت فتح العرب لمصر فى سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) . وترى فيها مواقع عواصم الإسلام الأولى . أما المعالم المبينة بالخطوط المنقطة فقد ظهرت فى عصور تالية لهذا العصر ووقعت هنا كنقط للتحديد فقط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهـــرست

أهم الصور واللوحات الهندسية

صحيفة

مكان بديع فوق جبل المقطم يصلح لإنشاء مدينة صحية وغابات جميلة ومصيف جذاب بالقاهرة !! ٢١١

خريطة لبيان اتجاهات العمار الخمسة بمدينة القاهرة ٢١٣

طالما انتفع العرب بجبل المقطم وأقاموا فوقه المدن والمساجد والتحصينات ٢١٧

الأشجار الباسقة المحيطة بتكية السلطان عبد الله المغاورى بجبل المقطم خلف القلعة ٢١٨

هرم خفرع ومعبده الجنائزى والطريق الموصل إلى معبد الوادى وبجواره تمثال أبى الهول ٢٣٣

أمحوتب يشرح تفاصيل الهرم المدرج للفرعون زوسر ٢٤٠

الهضبة الليبية التى أقيمت فوقها أهرامات الجيزة ٢٤٣

منزل أحد أعيان منف ٢٤٦

مجموعة الأهرام المعمارية بالجيزة . أو مدن الهرم ٢٥٣

جبل أبو رواش والطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ٢٥٥

خريطة لبيان حقل الأهرام على الهضبة الليبية ٢٧٧

خريطة لبيان موقع مدينة عين شمس والمعبد والمسلة وشجرة العذراء ٢٧٩

خريطة تبين موقع حصن بابيلون أو قصر الشمع بقسم مصر القديمة ٢٨٩

خريطة لموقع شاطىء النيل الشرقى فى عصر الفتح العربى . تفهم منها مواقع الخطط بالفسطاط ٣٢١

بعض بقايا دور الفسطاط ٣٣٢

الخليج المصرى كما كان سنة ١٨٧٠ ... ... ٣٤٣

قناطر مياه ابن طولون بقرية البساتين ٣٥٦

جامع ابن طولون وحوله مساكن هذا الحى ٣٥٧

تصميم مبانى مستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة ٣٨٦

مقياس النيل بجزيرة الروضة ٣٩٥

خريطة لموقع جزيرة الروضة وشاطىء النيل الشرقى وعواصم الإسلام الأولى ٣٩٦

الخ الخ .....

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهـــرست

الجزء الثانى من كتاب « القاهرة »

صحيفة

تصدير يتضمن آراء الكتّاب والجرائد وقادة الفكر فى الجزء الأول من كتاب « القاهرة » ٢٠٥

رأى مجلة هدى الاسلام بقلم الأستاذ حسن قاسم . رأى جريدة المصرى . رأى جريدة المقطم . رأى جريدة الأهرام .

مقدمة الجزء الثانى من كتاب « القاهرة » بقلم المؤلف ، وتتضمن مشروع تجميل جبل المقطم ٢١٠

أهم المراجع العربية . مرتبة طبقا للحروف الأبجدية لأسماء المؤلفين ... ٢١٩

أهم المراجع الأفرنجية . مرتبة طبقا للحروف الأبجدية لأسماء المؤلفين ... ٢٢٢

الفصـــل الأول — مدينة منف ٢٢٤

الفصـــل الثانى — مدينة منف وفنها المبتكر ٢٣٥

أثر الطقوس الدينية فى فن منف . الطراز الفرعونى فى فن العمارة . فن منف منذ عهد زوسر . نظام المبانى وتنسيق الحدائق فى منف .

الفصـــل الثالث — أهرامات الجيزة وسقارة و بعض آثار منف الأخرى ٢٥٠

من المصطبة إلى الهرم . حقول الأهرام بوادى النيل . أهرام أخرى . مواقع بعض الأهرام . حقل الأهرام الكبرى بالهضبة الليبية . هرم خوفو . هرم خفرع . هرم منكاورع . هرم سقارة المدرج . متون الأهرام. تمثال أبى الهول . تمثال آخر لأبى الهول بسقارة . المصاطب . مصاطب الجيزة . مصاطب سقارة : ١ — مصطبة تى . ٢ — مقبرة خا — چمنا . ٣ — مقبرة ميريروكا . ٤ — مقبرة أخت — حتب وبتاح — حتب . ٥ — مصاطب أخرى . بيت ماريت باشا . مقبرة العجول أو السرابيوم . دير أنبا أرميا . تمثالا رمسيس الثانى : التمثال الأول . التمثال الثانى . ملاحظات هامة على أهرام الجيزة .

الفصـــل الرابع — مدينة عين شمس ٢٧٨

معبد رع بعين شمس . جامعة عين شمس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الخامس — مدينة مصر ٢٨٦

حصن بابيلون أو قصر الشمع . أهم معالم الحصن القديمة . الحصن منذ عهد الحملة الفرنسية . أبراج الحصن وأبوابه . حصن بابيلون اليوم . القبط والفن القبطى . طراز كنائس مدينة مصر . كنيسة المعلقة . رموز كنائس مدينة مصر . كنيسة أبى سرجة . كنيسة الست بربارة . كنيسة مار جرجس للراهبات . كنائس مدينة مصر الواقعة خارج أسوار الحصن الرومانى . دير أبى السيفين . كنيسة أنبا شنوده . كنيسة أبى السيفين . كنيسة العذراء الدمشيرية . كنيسة مار مينا . المتحف القبطى . تطورات الفن القبطى .

الفصل السادس — مدينة الفسطاط ٣١٥

موقع الفسطاط . تخطيط مدينة الفسطاط . مبانى الفسطاط . مواقع الخطط بمدينة الفسطاط . أمراء الفسطاط فى عهد الخلفاء الراشدين . عمرو بن العاص . أمراء الفسطاط فى عهد دولة بنى أمية . مدينة الفسطاط فى العصر الأموى . مدينة الفسطاط فى العصر العباسى . مدينة الفسطاط فى عصر الفاطميين والأيوبيين . دور الفسطاط . آبار الفسطاط . موت الفسطاط . أهم معالم مدينة الفسطاط القديمة وما أصبحت عليه الآن . جامع عمرو بن العاص . خليج أمير المؤمنين . دار الصناعة . ميناء الفسطاط . القرافة . خندق القرافة .

الفصل السابع — مدينة العسكر ٣٤٧

الفصل الثامن — مدينة القطائع ٣٥٢

أحمد بن طولون . سياسته الداخلية والخارجية . موقع مدينة القطائع وخططها . قصر ابن طولون . قناطر ابن طولون بقرية البساتين . تخطيط مدينة القطائع . جامع ابن طولون . المحراب . المنبر . دار الأمارة . القبة وسط الصحن . المنارة . الأساس . أعمال الاصلاح . أعمال أخرى لإبن طولون . مارستان ابن طولون . خمارويه ابن أحمد بن طولون . نهاية حكم الطولونيين . مصر تحت حكم العباسيين للمرة الثانية . مدينة القطائع فى عهد العباسيين الثانى . مدينة مصر الفسطاط فى نهاية الحكم العباسى وفى عصر الأخشيديين . عمارة مصر .

الفصل التاسع — الحياة الاجتماعية فى عواصم الاسلام الأولى بمصر ٣٦٧

نظام المجتمع فى عصر الخلفاء الراشدين من سنة (٢١ — ٣٧هـ) (٦٤١ — ٦٥٧م) . عمرو بن العاص يصف مصر للخليفة عمر بن الخطاب . خطبة عمرو فى مسجده يوم الجمعة من أيام عيد الفصح سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) . جباية الخراج فى عصر الفتح الاسلامى . نظام المجتمع فى عصر الأمويين من سنة (٣٧ — ١٣٢ هـ) (٦٥٧ — ٧٤٩ م) . نظام المجتمع فى العصر العباسى الأول من سنة (١٣٢ — ٣٥٤ هـ) (٧٤٩ — ٨٦٨ م) . نظام المجتمع فى عصر الطولونيين وفى العصر العباسى الثانى وفى عصر الأخشيديين . حريق مدينة مصر . تأثير نهر النيل فى حياة عواصم الاسلام الأولى . نزول النقطة . مهرجانات وفاء النيل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصـــــل العاشر — جزيرة الروضة وأهم معالمها القديمة والحديثة ٣٨١

جزيرة الروضة منذ عهد محمد على باشا إلى الآن . قصر الأمير محمد على بمنيل الروضة . منيل الروضة فى ثلاثين عاما . مستشفى فؤاد الأول . كوبرى محمد على . كوبرى الملك الصالح . كوبرى عباس الثانى . مقياس النيل بجزيرة الروضة . المقياس فى عهد الحملة الفرنسية . المقياس من عهد محمد على باشا إلى اليوم . وصف المقياس فى حالته الحاضرة .

فهرست أهم الصور واللوحات الهندسية ٣٩٧

وها قد انتهينا من دراسة ٢٢ فصل من فصول كتاب « القاهرة »
فى جزئين كل جزء منهما ٢٠٠ صفحة

هنا ينتهى الجزء الثانى من كتاب « القاهرة »
ويليه الجزء الثالث

١٩٤٤/٤/١/١٢٠٦

7821 — 10-3 02

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣٨١

٣٩٧

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Date Due

Demco 38-297

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

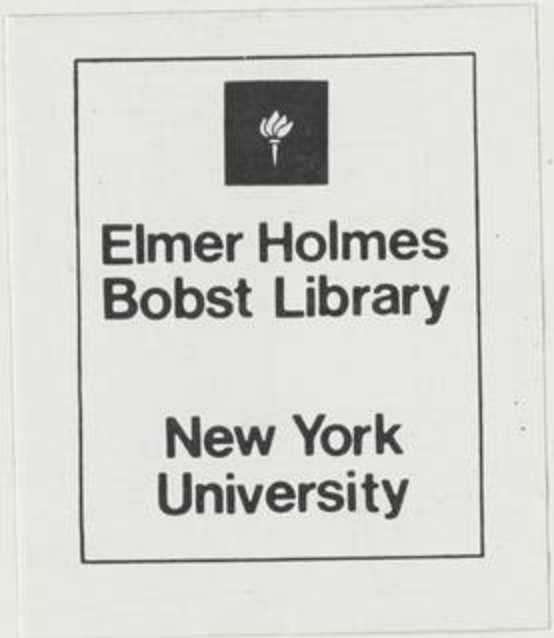

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

BOBST LIBRARY
3 1142 01570 1595

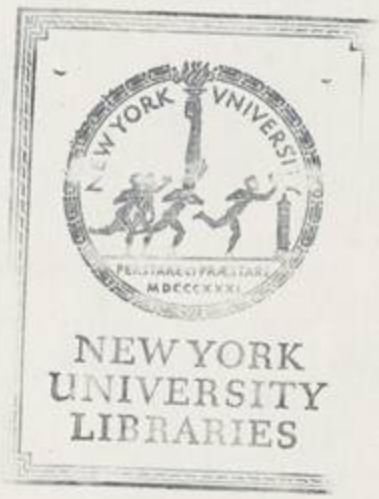

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Faraj, Fu'ād.
al-Qāhirah . . . . .

المدن المصرية

وتطوراتها مع العصور

مجموعة فنية تاريخية

المجلد الخامس

القاهرة

٣ (3)

مدينة المآذن والرشاقة والجمال

تاريخ المدينة القديمة ودليل المدينة الحديثة

١٩٤٦

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

فؤاد فرج
المهندس

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف
بمصر

7821 - 10-3

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Near East
DT.
143
.F3
v.3
c.1

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بسم الله العلى الكبير أفتتح كتابى الخامس

القاهرة

٣

مقدمة الجزء الثالث

هذا هو الجزء الثالث من كتاب « القاهرة » وهو فى الوقت نفسه الحلقة الثامنة من سلسلة كتب « المدن المصرية » التى ظهرت حتى الآن فى خمسة مجلدات درسنا فيها المدن والمناطق التالية : القاهرة والاسكندرية ومنطقة قنال السويس ومدن القنال : بورسعيد والسويس والاسماعيلية وشبه جزيرة سيناء وسواها . وتمثل هذه المدن والمناطق معظم محافظات القطر المصرى ، وسنبدأ بعد ذلك إن شاء الله فى دراسة المديريات وعواصمها .

أما هذا الجزء الثالث من كتاب « القاهرة » فيشتمل على تاريخ هذه المدينة وتطوراتها فى حقبة من الزمن طولها ألف عام تقريباً منذ أسسها جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) إلى الآن . كما أنه ينتظم كالجزأين السابقين دراسات ممتعة عن جغرافية القاهرة التاريخية .

ومن المعلوم أن دراسة جغرافية القاهرة التاريخية توجه الأنظار إلى استغلال الظاهرات الطبيعية المحيطة بهذه المدينة بعد معرفة كنهها وأصل نشأتها وما تصلح له اقتصادياً وعمرانياً . فما مشروعى الخاص بانشاء مدينة فوق جبل المقطم ، وهو المشروع الذى نشر بالجزء الثانى من هذا الكتاب ، وبحث فى مؤتمر المهندسين الأول المنعقد بمدينة الاسكندرية من ١٥ إلى ١٨ مارس سنة ١٩٤٥ ، ونال تقديراً إجماعياً فى كافة الأوساط المالية والفنية إلا مجرد نتيجة لهذه الدراسة .

وهناك أيضاً مشروع آخر هدتنى إليه دراستى لجغرافية القاهرة التاريخية ، وهو مشروع تمهيد تلال القاهرة واستغلالها . فقد اتضح أنه فى قلب هذه العاصمة وبالقرب من أحيائها المزدحمة جداً بالسكان . خلف الأزهر والسيدة زينب يوجد ما يقرب من ٩٠٠ فدان من التلال وهى المعروفة بتل قطع المرأة وتلال زينهم وعين الصيرة . وقد ثبت لدينا أن أراضى هذه التلال صالحة للبناء بمجرد تمهيدها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتشبيعها بمياه النيل . ويقدر ثمنها بعد هذه العمليات السهلة بحوالى أربعة ملايين من الجنيهات .

وأمر تمهيد هذه التلال واستغلال أراضيها وغنم ملايين الجنيهات منها من أسهل ما يمكن أن يتصوره العقل . فليس أسهل من تسوية سطوح هذه التلال وتوصيلها بالشوارع المحيطة بها بميول سهلة جداً ثم نقل ما يزيد بعد ذلك من أتربة وقمامة وأنقاض إلى الأراضى المنخفضة القريبة منها مثل ناحية البساتين أو دير الطين وسواها . ويكفى لتحويل هذه التلال إلى أرض صلبة صالحة للبناء ، أن تشبع بمياه النيل الغنية بالأملاح الكلسية لأن هذه الأملاح تتفاعل مع التربة وينتج عن هذا التفاعل تصلب التربة وتجمدها وتحولها إلى أرض متماسكة صالحة للبناء . وأمامنا جزيرة الزمالك وجزيرة الروضة وجزيرة الوراق وجزيرة القراطين وجزيرة الشعير وكلها جزائر رسوبية تكونت وسط النيل وأرضها مركبة من الرمال والطمى ولكن تفاعل هذه الرمال مع أملاح مياه النيل جعل من أرضها تربة صلبة صالحة للبناء كما هو مشاهد اليوم . فتطبيق نظرية تصلب وتماسك أرض هذه الجزائر بفعل أملاح مياه النيل على التلال يصل بنا إلى حل معضلة تلال القاهرة .

وهناك أيضاً دراسة ثالثة خاصة بضواحى القاهرة ، فقد اتضح بكل جلاء من دراسة الجغرافية التاريخية لهذه الضواحى ، أنه مهما قيل فى حلوان وفى مياهها المعدنية فلن تحيا هذه الضاحية ولن تنافس مصر الجديدة فى عمرانها وتقدمها إلا إذا كهرب خط حلوان الحالى وربطت حلوان بضاحية أخرى فى أقصى الشمال الشرقى للقاهرة وهى ضاحية المرج وذلك لأن عدد الركاب السنوى على خط المرج أكبر منه على خط حلوان والكثافة الكيلومترية للركاب المنقولة يومياً على خط المرج تبلغ ثلاثة أضعاف مثيلتها على خط حلوان . فهذه الأسباب تحتم ربط الضاحتين ببعضهما حتى يتيسر استغلال الخط الكهربائى المقترح بطريقة مضمونة النجاح من الناحيه الاقتصادية . على أن المهم فى الموضوع هو زيادة عدد قطارات هذا الخط زيادة عظيمة وجعل سرعتها بحيث يتيسر لها قطع المسافة بين حلوان والمرج فى مدة لا تزيد عن ٤٧ دقيقة فقط . ولأجل السير بهذه السرعة بدون عائق يجب أن يمر الخط الجديد فى خندق مفتوح فى المسافة الواقعة بين محطة فم الخليج ومحطة باب اللوق ثم يمر فى نفق تحت شوارع القاهرة الرئيسية فى المسافة الواقعة بين باب اللوق ومحطة مصر .

وهذا مشروع اقتصادى هائل يحتاج لآلاف من الأيدى المصرية المتعامة ولملايين من رؤوس الأموال المصرية الحائرة ! !

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثم هناك مشروع تعمير الصحراء المحيطة بالقاهرة واستغلالها فى الزراعة وفى إنشاء المدن بدلاً من تحويل الأراضى الزراعية إلى أراضى للبناء بينما المدينة أحوج ما تكون إليها لتتنفس عن نفسها فهى لها بمثابة الرئتين للانسان .

وهناك النهر فى نطاق القاهرة وطرق استغلاله بإنشاء كورنيش من حلوان إلى شبرا البلد .

وهناك مشروع جامعة عين شمس أقدم جامعة عرفتها المدنية فى العالم وضرورة إعادة إحياء ذكراها . ثم مشروع كشف الآثار الإسلامية وأزالة ما حولها من مبانى وخرائب .

كل هذه وسواها مشروعات تبدو ظاهرة ملموسة بمجرد دراسة القاهرة وجغرافيتها التاريخية .

فإلى متى تظل هذه المادة غير مقررة فى التعليم بمدارسنا .

إلى متى يظل شبابنا المتعلم محروماً من لفت أنظاره الحائرة إلى هذه الأعمال الحرة المثمرة ! !

إنى أرجو وزارة المعارف العمومية أن تعير هذه المادة ما تستحق من عناية وكفانا الشكوى من اهمال الماضى ومما ترتب على هذه الحال من التهافت على الوظيفة مع حقارتها وصغر شأنها وترك الأعمال الحرة المثمرة فى يد سوانا .

ثم هناك ناحية أخرى تستحق منا وقفة طويلة .

يقول المستر الفريد بوسوم وهو من أقطاب مهندسى العالم :

« ليس على المصريين كى يبنوا مجد مستقبلهم إلا أن يؤمنوا بعظمتهم وتاريخهم ، وأن يلتزموا هدى عبقريتهم الخاصة ويبتعدوا عن تقليد سواهم » .

فانظر الآن ما نحن فيه . أمامنا القاهرة الحديثة التى اتسعت فى السنوات الأخيرة بسرعة لم تبلغها أية مدينة فى العالم . وأصبح بها أبنية فاخرة فخمة مثل دار المحكمة المختلطة بشارع فؤاد الأول وما يحيط بها من عمارات شامخة هائلة .

فهذه المبانى يمكن أن تفخر بروعتها وفخامتها أية أمة فى الغرب . ولكن ليس هذا هو الفن القاهرى الذى نود أن تنفرد به العاصمة دون سواها من بلاد العالم .

يوجد فى باريس ولندن وبرلين وواشنطن مثل هذه المبانى . ونحن نريد لو استنبطنا لبلادنا فناً جديداً يعتمد فى أساسه على الفن المصرى العتيد والفن العربى الجميل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

إن عندنا الأهرامات والمآذن وهى أشياء خاصة بنا ، فنريد أيضاً أن يكون فننا خاصاً بنا . حتى إذا ما هبط الأجنبى القاهرة أحس أنه يزور أرضاً ورثت حضارة الفراعنة ومجد العرب .

نريد لقاهرة المستقبل تخطيطاً مناسباً لعظمتها وتاريخها تراعى فيه القواعد الصحية ومقتضيات الراحة العصرية .

نريد أحياء سكنية خاصة وأحياء صناعية خاصة وأحياء تجارية خاصة بينها تناسق وتربطها ببعضها مواصلات سريعة وطرق جميلة ممهدة .

نريد استغلال ضفاف النيل ومرتفعات المقطم وهضاب الصحراء .

نريد إزالة التلال والانقاض والكيمان المتربة التى تشوه منظر هذه العاصمة وتذهب بجمال آثارها الإسلامية الرائعة وتعطى فكرة سيئة جداً عن القاهرة ونظافتها وتنسيقها . وبالجملة نريد قاهرة تليق بعصر الفاروق المعظم .

فإذا ما تحقق من مباحثى هذه تسهيل الوصول إلى هذه النتيجة الموموقة ، أكون قد أديت رسالتى . وقمت بواجبى نحو بلادى ومليكى .

والله الموفق والسلام ؟

المؤلف

مراجع كتاب « القاهرة »

نشرنا مراجع هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة فى الصفحات من ٢١٩ الى ٢٢٣ (بالجزء الثانى) فنلفت إليها الأنظار

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة

٣

الفصل الأول

العصر الفاطمى

من سنة ٣٥٨ إلى ٥٦٧ هـ (سنة ٩٦٩ — ١١٧١ م)

درسنا فى الأجزاء السابقة من هذا الكتاب تطورات عواصم الإسلام الأولى : الفسطاط والعسكر والقطائع منذ ٢٠ سنة هـ (٦٤١ م) تاريخ الفتح الإسلامى لغاية سقوط دولة الأخشيديين واستسلام مصر لجيوش الفاطميين فى يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٦ يوليو سنة ٩٦٩ م .

وها نحن نصل فى مباحثنا إلى هذا العصر الفاطمى الرائع . وطبيعى أننا إذا تكلمنا عن القاهرة فى هذا العصر الفاطمى فانما سنتكلم عن المنطقة التى يتوسطها شارع المعز لدين الله وتحد بين مبانى القاهرة الحالية بباب الفتوح وباب النصر شمالا وبباب زويلة جنوباً وبجبل المقطم شرقاً وبشارع الخليج المصرى غرباً . هذه هى القاهرة الفاطمية التى سندرسها فى هذا الفصل ولنبدأ دراستنا ببيان موجز عن الفاطميين .

الفاطميون :

ذكر الفاطميون أنهم من نسل السيدة فاطمة بنت النبى وزوج الإمام على رضى الله عنهما . وأنهم عرفوا باسم الفاطميين نسبة إليها . غير أن صحة نسبهم كانت موضع شك ومحل طعن كثير من المسلمين .

من المعلوم أنه لما قتل الإمام على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين وزوج السيدة فاطمة ، انقسم المسلمون إلى فريقين : شايع الفريق الأول عليا ورأى وجوب بقاء الخلافة فى أولاده ونسلهم . وهؤلاء عرفوا باسم « الشيعة » . وناصر الفريق الثانى معاوية بن أبى سفيان حاكم بلاد الشام ورأى مبايعته بالخلافة ، وحرمان أبناء على منها . وهؤلاء عرفوا باسم « أهل السنة » . فلما فاز معاوية بالخلافة ، وأسس الدولة الأموية ، سعى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفريق الأول سراً لإعادة الخلافة إلى بيت على ، وظلوا يعملون طول عهد هذه الدولة ولكنهم أخفقوا وكانوا موضع اضطهاد شديد ، إلا أنهم مع ذلك كانوا من العوامل القوية التى ساعدت على سقوط دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين.

وكان من المنظور إذ ذاك أن يكافئهم العباسيون على ولائهم لقضيتهم ، ولكن حصل ما ليس فى الحسبان ، فقد انقلب العباسيون على هؤلاء « الشيعة » وأوسعوهم مقاومة وتعذيباً . وعند ذلك قرر زعيمهم أبو عبيد الله المهدى ترك بلاد العرب ورحل فى قوم من أنصاره إلى مصر أولاً ، ومنها إلى تونس فى شمال أفريقيا . وهناك انتزع تونس من يد الوالى العباسى بالقوة وأنشأ الدولة العبيدية الفاطمية .

وكانت هذه هى الخطوة الأولى فى تاريخ قيام هذه الدولة العجيبة ، وفجأة فى سنة ٨٩٣ م وثبت هذه الدولة الناشئة فى بلاد المغرب واجتاحت ملك الأغالبة ، وهم من الولاة العباسيين بشمال أفريقيا ، ثم زحفت قواتها الفتية شرقاً وغرباً لتسحق دعوة بنى العباس ولتقيم مكانها دعوة « الشيعة » الإمامية أو دعوة آل البيت التى كانت تحمل شعارها ولواءها .

وظلت هذه الدولة فى فتوحاتها المتتالية بشمال أفريقيا وجزائر صقلية وسردينيا وسواها من جزائر البحر الأبيض المتوسط ، حتى كانت سنة ٩٦٩ م ، وقد مضى على قيامها ٧٦ سنة كاملة ، حين تهيأت لها أخيراً الفرصة لغزو مصر والفوز بأعظم مملكة كانت ترنو إليها منذ قيامها .

فى يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٦ يوليو سنة ٩٦٩ م استسلمت مصر لجيوش الفاطميين بعد أن صدتهم عن حماها مرتين فى خلال الأربعين سنة السابقة .

ودخل جوهر الصقلى ، قائد جيش الخليفة المعز ، رابع ملوك هؤلاء الفاطميين ، مدينة الفسطاط ، وشق شوارعها على رأس جنده ، ثم عسكر فى الفضاء الواقع تجاهها نحو الشمال الشرقى .

نشأة القاهرة :

وفى نفس هذا الموقع وفى نفس هذا اليوم ، بدأ جوهر فى حفر أساسات ضاحية ملكية محصنة قدّر لها أن تكون نواة العاصمة التاسعة عشرة لمصر[1] وهى آخر عاصمة عرفتها هذه البلاد منذ فجر التاريخ إلى اليوم ، وأعنى بها « القاهرة » سيدة المدائن ، وحاضرة الاسلام ، وقبلة الشرق العربى .

والواقع كان يبدو فى انتخاب موقع هذه الضاحية الملكية ، ثم فى تخطيط شوارعها وميادينها ، وفى انتخاب مواقع القصور الملكية ، وفى طريقة بنائها ، وفى توزيع الحارات أو الأحياء الجديدة على وحدات الجيش الفاطمى المختلفة

(١) راجع تاريخ العواصم المصرية بالجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٣ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأجناس والمشارب ، وفى انتخاب موقع جامع القاهرة الذى سمى فيما بعد الجامع الأزهر إلى جوار مقر الحاكم — كان يبدو فى هذا كله أن جوهر الصقلى لم يكن مجرد قائد عسكرى وحسب ، بل كان فوق ذلك مهندساً مبدعاً بفطرته وفناناً اجتماعياً بطبيعته .

فاذا عرفنا أن الدم الرومانى كان يجرى فى عروق هذا القائد البارع ، إذا عرفنا أن أصله من سكان جزيرة صقلية ، التى كانت فى ذاك الوقت تحت حكم المسلمين ، وأنه نشأ وترعرع مملوكا فى وسط قصور الملوك بالمهدية [1] عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب ، إذا عرفنا أنه تعلم فنون الحرب ، وشاهد فى فتوحاته العسكرية طرق تخطيط المدن الرومانية القديمة بشمال أفريقيا . ثم أتيحت له الفرصة بعد ذلك لمشاهدة مدن مصر الفرعونية ، ومدن الشام البيزنطية — إذا عرفنا كل ذلك ، لا نستغرب منه أن يضع تصميم الضاحية الملكية الحديثة ، ثم ينفذه بهذا النظام البديع ، وهذا الفن الرشيق .

ولما كان الغرض الأول من إنشاء هذه الضاحية التى أطلق عليها جوهر فى أول الأمر اسم « المنصورية » نسبة إلى المنصور والد المعز ، هو أن تكون مقر سكن الخليفة وحريمه وأمرائه وحاشيته وعبيده ورجال حكومته ، فقد بذل جوهر فى سبيل تنسيقها وتجميلها مجهوداً جباراً محسوساً لتروق فى نظر سيده .

فلما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب إلى هذا المقر الملكى فى يوم ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ الموافق ١٥ يونيو سنة ٩٧٣ م بعد رحلة طويلة شاقة ونزل فى القصر الكبير الشرقى ، ثم جال بنظره فى أنحاء هذه الضاحية البديعة ، ظهرت أمام أعينه كأتم ما تكون مدينة ملكية حسناً ورونقاً من فرط اتساعها وجمالها وعظمتها مع أنه لم يكن قد مضى على تأسيسها بعد أربع سنوات كاملة .

فكر المعز ملياً — وهو العالم المتبحر فى التاريخ واللغات — واستعاد فى ذاكرته ما سمعه وما درسه عن تاريخ مصر الطويل وعن تاريخ مدينة « منف » « قاهرة الوجهين » ثم أصدر أمراً بتسمية هذا المكان مدينة « القاهرة » لا مدينة « المنصورية » واعتبار هذه المدينة الناشئة عاصمة الدولة ومقر الحكومة .

وهذه الوقائع تنفى بالطبع ما زعمه بعض المؤرخين سبباً فى تسمية هذه الضاحية « بالقاهرة » وهو حادثة نزول غراب على حبال مشدودة حول حدودها علقت بها أجراس فدقت هذه الأجراس ورميت أساسات هذه المدينة . وكان الكوكب الذى ظهر فى السماء إذ ذاك هو « القاهر » . وذلك لأن « القاهرة » لم تعرف بهذا الإسم إلا بعد حضور المعز إلى مصر ومرور أربع سنوات على تاريخ تأسيسها . وجدير بوزارة المعارف العمومية تصحيح هذه

(١) بتونس الآن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحوادث المزعومة وحذفها من كتب التاريخ التى تدرس لأبنائنا بمدارسها كما فعلت مشكورة فيما يختص بأسطورة عروس النيل . .

أما القاهرة فقد غدت من ذاك الحين عاصمة الدولة الفاطمية بدلا من رقادة والمهدية وأصبحت مصر منزل الخلافة الفاطمية بدلاً من المغرب وأصبحت ملاذ الدعوة الشيعية ومعقلها الحصين حتى انقراض الدولة الفاطمية فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) بعد حكم دام أكثر من قرنين .

فاذا كانت قصور هذه المدينة الرشيقة قد تلاشت عقب سقوط الدولة الفاطمية ، وإذا كانت معالم هذه المدينة الملكية قد انقرضت قبل الأوان ضحية للتعنت السياسى والمذهبى ، فاننا سنحاول هنا تصوير ما كان وتوضيح ما اندثر من هذه المعالم الفريدة مستندين إلى كل المراجع والمباحث التى عملت عنها ، مستلهمين الوحى مما تخلف من آثارها والله الموفق المعين

انتخاب موقع الضاحية التى أنشأها جوهر :

قلنا إن جوهر شرع فى نفس اليوم الذى دخل فيه مدينة مصر (الفسطاط) فى حفر أساسات ضاحية ملكية محصنة لتكون مقراً للخليفة المعز وحريمه وأمرائه ورجال حكومته وحرسه وعبيده وحاشيته وسماها « المنصورية » قياساً على ما فعله الخليفة المنصور والد المعز من إطلاقه اسم المنصورية على الضاحية الملكية التى أمر بإنشائها خارج مدينة القيروان بالمغرب (بتونس الآن) . وكانت ضاحية جوهر الجديدة تقع تجاه الفسطاط نحو الشمال الشرقى .

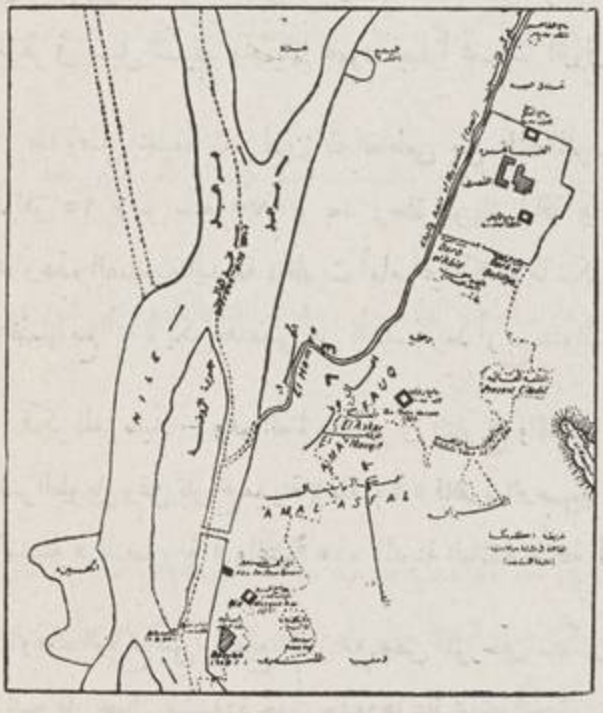

الموقع الذى انتخبه جوهر لإقامة ضاحيته على الشاطىء الأيمن للخليج المصرى وترى فى الرسم السور الثانى الذى بناه بدر الجمالى فى عهد الخليفة المستنصر

وكانت المسافة بين هذه الضاحية الجديدة ومدينة مصر (الفسطاط) تقدر بنحو أربعة كيلومترات ، وكانت هذه المسافة مغطاة بالبساتين وبها منازل الضواحى وتغمرها مياه النيل أثناء الفيضان فتبدو كالبحر اللجب . وقد عرفت هذه المسافة فى العصر الفاطمى باسم ظاهر القاهرة من جهة الجنوب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما موضع القاهرة نفسه فكان قبل عصر الفاطميين رملة يمر بها الناس فى طريقهم بين الفسطاط وعين شمس على الشاطىء الأيمن للخليج . ولم يكن بهذا الموضع بناء سوى أماكن خمسة :

أولها — بستان الأخشيد وكان عند الخرنفش مطلا على الخليج المصرى ، أنشأه الأخشيد أبو بكر بن طغج أمير مصر ، ثم قيل له بستان كافور وخرب بعد ذلك . فلما جاء جوهر الصقلى عمره .

وكان هذا البستان واقعاً فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى ، ومن الغرب بشارع الخليج المصرى ، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة ، ومن الشرق بشارع المعز لدين الله (الخردجية و بين القصرين والنحاسين سابقاً) وكانت مساحته حوالى ٥٠ فداناً . ويخرج من هذا التحديد الجزء الذى كان يشغله دير كبير للنصارى مكان جزء منه اليوم كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة . وكانت مساحة الدير وحدائقه وملحقاته وحدها حوالى عشرة فدادين .

وثانيها — دير جرجيوس للنصارى وقد عرف بدير بئر العظام . ويقوم مكانه الآن الجامع الأقمر بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقاً) . وقد هدمه جوهر و بقيت بئره عند الجامع المذكور . وتعرف هذه البئر الآن باسم بئر العظمة ، وكانت إذ ذاك تعرف ببئر العظام من أجل أن جوهر نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق الذى عمره بظاهر الضاحية الجديدة من شمالها عوضاً عن الدير الذى هدمه .

ومكان دير الخندق الآن يشمل كنيسة الملاك البحرى بشارع الملك بحدائق القبة ويمتد من هناك إلى دير أنبا رويس بشارع الملكة نازلى حيث توجد كنيسة بطرس باشا غالى .

وثالثها — حصن يعرف باسم قصر الشوك كان ينزله بنو عذرة فى الجاهلية وصار موضعه هذا عند بناء الضاحية الجديدة يعرف بقصر الشوك من جملة قصور الخلفاء الفاطميين . وهو معروف إلى اليوم .

ورابعها — دير العذراء للنصارى وهو المذكور سابقاً ومكانه اليوم بحارة زويلة بقسم الجمالية. وقد اختطت قبيلة زويلة مساكنها حول الكنيسة الرئيسية لهذا الدير وهى كنيسة العذراء عند تأسيس المدينة الجديدة . وقد ذكر المقريزى أن هذه الكنيسة أنشئت فى القرن الرابع الميلادى أى قبل إنشاء قاهرة جوهر بستة قرون تقريباً .

وخامسها — دير آخر للنصارى يعرف باسم دير الأمير تادرس ، ومكانه اليوم بحارة الروم بقسم الدرب الأحمر . وقد اختط الروم مساكنهم حول الكنيسة الرئيسية لهذا الدير عند تأسيس المدينة ، وتعرف هذه الكنيسة اليوم باسم كنيسة العذراء ومار جرجس بحارة الروم . وقد ذكر المقريزى أن هذه الكنيسة أنشئت فى القرن السادس الميلادى أى قبل إنشاء قاهرة جوهر بأربعة قرون تقريباً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فى هذا المكان إذن نزل جوهر بعسكره ، وكأنه كان يقصد مكاناً معيناً بالذات ، تدل جميع الدلائل على أنه كان قديماً عامراً مأهولاً .

تخطيط المدينة :

يبدو لأول وهلة من دراسة ضاحية جوهر ، أن هذا القائد البارع كان قد أعد العدة لمشروعه الخطير ، وكان قد وضع جميع الترتيبات اللازمة لتنفيذ ضاحيته الملكية لإسكان مولاه المعز ، ولإسكان جيوشه وحرسه وكل من ينتمى إليه من أمراء وخواص وعبيد ، وكل ما يلزمه من دواوين حكومية وخزائن للمال والسلاح وسواها .

وقد روعيت فى تخطيط هذه المدينة القواعد المقررة لتخطيط المدن التى وضعت فى القرن الخامس قبل الميلاد ، والتى عمل بها اليونان والرومان فى امبراطوريتهم القديمة المترامية الأطراف ، وترجع كلها فى الأصل إلى نماذج مأخوذة عن المدن المصرية الفرعونية القديمة وعن المدن الأشورية .

قلنا سابقاً إن جوهر شاهد فى فتوحاته العسكرية طرق تخطيط المدن الرومانية القديمة بشمال أفريقيا ، ثم أتيحت له الفرصة بعد ذلك لمشاهدة مدن مصر الفرعونية ومدن الشام البيزنطية .

والواقع لم يكن تخطيط ضاحية جوهر إلا اقتباساً ظاهراً من تخطيط مدينة تمجاد الرومانية فى أفريقيا الشمالية من حيث وجود شارع رئيسى يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب منتهياً إلى طرق المواصلات الرئيسية المؤدية للاتجاهين القبلى والبحرى وماراً بالميادين الوسطى التى بها سراى الحاكم وخدمه وحراسه وجنده ومتقاطعاً مع الشوارع العرضية على زوايا قائمة .

فشارع « قصبة القاهرة »[1] كان يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب ، ويمر بميدان بين القصرين وينتهى فى الشمال بباب النصر وباب الفتوح حيث تبدأ طرق القوافل الرئيسية المؤدية إلى السويس من جهة وإلى دمياط ومدن الوجه البحرى من جهة أخرى ، كما كان ينتهى فى الجنوب بباب زويلة حيث يبدأ الطريق المؤدى إلى الفسطاط ومدن الوجه القبلى . وكان هذا الطريق يعرف إذ ذاك باسم درب الجماميز لكثرة أشجار الجميز على جوانبه ولم يزل شارع درب الجماميز الحالى يمر مكان جزء من هذا الطريق القديم .

أما الشوارع العرضية فكانت تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب ، وتتقاطع مع شارع « قصبة القاهرة » على زوايا قائمة .

وكانت وظيفة هذه الشوارع فى العصر الفاطمى هى فصل الحارات المختلفة عن بعضها فقط ، لأن كل

---

(١) ومكانه شارع المعز لدين الله الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حارة من الحارات كان لها مدخل وحيد أو مدخلان على الأكثر يفتحان على هذه الشوارع الرئيسية . أما أبواب المنازل فكانت تفتح على حوار وأزقة داخلية تنتهى كلها إلى ميادين داخلية مقفلة ومسدودة . وبهذه الطريقة كانت الحارات المختلفة تحتفظ بشخصيتها وكان لا يدخلها إلا سكانها فقط حتى إذا قفل بابها الخارجى ليلا تعذر دخولها وسهل الدفاع عنها إذا هوجمت .

وإلى هذا النظام البديع يحاول التخطيط الحديث أن يرجع الآن فى مدن العمال و بيوت الفلاحين وماشاكلها .

ولم يبق لشوارع ضاحية جوهر أثر يذكر الآن اللهم إلا إذا قلت إن شارع المعز لدين الله الممتد بين باب الفتوح و باب زويلة يمر اليوم مكان شارع « قصبة القاهرة » فى العصر الفاطمى .

أما الشوارع الأخرى التى كانت تمر بين أبواب المدينة الشرقية والغربية فخليق بالهيئة المشرفة على تخطيط المدينة الحديثة أن تفكر فى إعادة شق أحد هذه الشوارع فيما بين ميدان باب الخلق [1] ماراً شمال محكمة الاستئناف ومنتهياً إلى باب درب المحروق ليتسنى لجزء كبير من مساكن قسم الدرب الأحمر المكدسة تكديساً أن تتنفس قليلا ولتتحسن حالة المرور فى هذه المنطقة المزدحمة ازدحاماً فوق الطاقة .

وكم يكون جميلا لو أمكن إرجاع فتح جميع هذه الشوارع العرضية الأصلية إلى ما كانت عليه سابقاً فى المدينة القديمة المزدحمة .

سور جوهر :

أقام جوهر حول ضاحيته الجديدة سوراً من اللبن لحمايتها من هجمات اعداء الفاطميين الأقوياء وهم القرامطة . ويمكننا الآن تعيين موقع هذا السور بالتقريب بين مبانى القاهرة الحالية لو رجعنا إلى المباحث العديدة التى قام بها المؤرخون ورجال الآثار قديماً وحديثاً عن أحياء القاهرة المعزية وأبوابها وأسوارها وما حدث من المبانى بين أسوارها المتتالية ويتضح من هذه المباحث أن الضلع الشمالى من هذا السور كان يبدأ من نقطة تقع مقابل جامع حسن الزركشى عند النهاية الغربية لشارع بين السيارج ثم يساير هذا الشارع شرقاً حتى تقابله مع شارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) حيث كان باب القوس الأول الذى كان بداخل باب الفتوح ، ويمتد من هناك إلى باب القوس الثانى الذى كان بداخل باب النصر ومكانه بشارع باب النصر إلى شمال جامع الشهداء ، المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون، ثم يمتد ضلع السور الشمالى بخط يمر بسكة العطوف وينتهى إلى حارة الوسايمة عند رأس هذه الحارة من جهتها الشرقية . وطول هذا الضلع ٩٢٥ متراً تقريباً .

---

(١) ميدان أحمد ماهر باشا الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما الضلع الشرقى لهذا السور فكان يبدأ من رأس حارة الوسايمة من جهتها الشرقية ويتجه جنوباً حتى باب البرقية وموقعه الآن فى نهاية شارع الدراسة عند نقطة تقابل هذا الشارع بتلال البرقية، ثم يمتد من هناك جنوباً حتى درب المحروق عند نقطة تقع على بعد خمسين ذراعاً غربى الباب المحروق حيث كان باب القراطين سابقا. وطول هذا الضلع ١١٧٥ متراً تقريباً.

أما الضلع الجنوبى فكان يبدأ من باب القراطين ويتجه غرباً إلى بابى زويلة الأصليين حيث زاوية سام بن نوح بشارع المعز لدين الله (شارع المناخلية سابقاً). ثم يمتد من هناك مسايراً شارع المنجلة من الجهة القبلية إلى باب سعادة حيث مبنى محكمة الاستئناف الأهلية الآن بميدان باب الخلق «ميدان أحمد ماهر باشا» وطول هذا الضلع ٩٧٥ متراً تقريباً.

أما الضلع الغربى فكان يبدأ من باب سعادة ويتجه شمالا إلى باب الخوخة على رأس شارع قبو الزينية مسايراً لشارع جامع البنات حتى تقابله مع شارع الأزهر الجديد. وهناك الآن جامع القاضى يحيى زين الدين. ثم يمتد من باب الخوخة إلى باب القوس الثالث الذى كان بداخل باب القنطرة (باب الشعرية الآن) مسايراً لشارع بين النهدين وشارع بين السورين وشارع الشعرانى البرانى حتى تقابله مع شارع أمير الجيوش الجوانى بالقرب من ميدان باب الشعرية الجديد حيث يتفرع الآن شارع الأمير فاروق الجديد وشارع باب الشعرية وشارع الخليج المصرى وسواها. ثم يساير ضلع السور الغربى امتداد شارع الشعرانى البرانى المعروف بشارع بين السيارج أيضاً (لأن شارع بين السيارج له فرعان على زاوية قائمة) حتى يتقابل مع ضلع السور الشمالى عند نقطة تقع مقابل جامع حسن الزركشى عند النهاية الغربية بشارع بين السيارج وهى النقطة التى ابتدأنا منها. وطول هذا الضلع ١٢٠٠ متر تقريباً.

هذا هو موقع سور جوهر بين مبانى القاهرة الحالية.

ومما يلاحظ أن جوهر أطلق اسم بابى المنصورية ضاحية مدينة القيروان بالمغرب وهما باب زويلة وباب الفتوح على بابين من أبواب القاهرة المصرية.

وقد ذكر المقريزى أنه لم يبق من آثار هذا السور شىء يذكر فى زمنه وأنه دهش لما شاهد حجم قوالب اللبن الكبيرة التى تخلفت عن هذا السور.

وطبقاً لتحديد موقع أضلاع سور جوهر المذكورة هنا يمكننا بالتقريب استخراج طول مدينة جوهر وعرضها ومساحتها. فالمسافة بين الضلع الشمالى والضلع الجنوبى من نقطة تقابل شارع بين السيارج بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) حيث كان باب الفتوح الأصلى إلى زاوية سام بن نوح بالمناخلية حيث كان بابى زويلة أصلا تبلغ الآن ١٢٠٠ متراً.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والمسافة بين الضلع الشرقى والضلع الغربى من موقع باب البرقية إلى موقع باب الخوخة على رأس شارع قبر الزينية تبلغ الآن ١٢٧٥ متراً .

وعلى ذلك تكون مساحة قاهرة جوهر حوالى ٣٥٠ فداناً فقط بينما تبلغ مساحة المدينة الحالية داخل كردون القاهرة ٤٠٫٠٠٠ فدان تقريباً . أى أكثر من مائة ضعف المساحة الأصلية . فياله من فرق شاسع !

ابواب قاهرة جوهر :

فتح جوهر فى سوره ثمانية أبواب وجعل فى كل ضلع من أضلاع هذا السور بابين . فجعل فى الضلع الشمالى بابى النصر والفتوح . وهما غير البابين الموجودين حالياً ضمن سور بدر الجمالى الذى سنتكلم عنه فيما بعد .

ويمكننا تعيين مواقع أبواب قاهرة جوهر الأصلية لو رجعنا إلى المباحث العديدة التى قام بها الباحثون ورجال الآثار قديماً وحديثاً عن هذا الموضوع .

ويتضح من هذه المباحث أن باب الفتوح الأصلى الذى بناه جوهر كان يقع عند رأس شارع بين السيارج من الجهة القبلية فى نقطة تقابل هذا الشارع بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقاً) .

كما يتضح أن باب النصر الأصلى الذى بناه جوهر كان يقع على بعد ٢٠ متراً تقريباً إلى شمال جامع الشهداء المعروف أيضاً باسم وكالة قوصون بشارع باب النصر . تجاه زاوية القاصد بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء .

فلما جدد بدر الجمالى سور القاهرة سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) نقل بابى النصر والفتوح من مكانهما الأصلى إلى مكانهما الحالى . وقد ذكر المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) أنه عاين بقايا باب النصر الأصلى تجاه ركن المدرسة القاصدية الباقى منها الآن قبة صغيرة تعرف بزاوية القاصد بشارع باب النصر بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء .

هذا فى الضلع الشمالى أما فى الضلع الشرقى فقد فتح جوهر فى سوره بابى البرقية والقراطين .

أما باب البرقية وهو المنسوب إلى جنود برقة الذين حضروا مع جيش جوهر فى حملته لفتح مصر ، فيتبين من خريطة الحملة الفرنسية أن موقعه الآن تحت تلال البرقية مقابل شارع الدراسة .

أما باب القراطين فكان يقع بالقرب من الباب المحروق الحالى فى نهاية شارع درب المحروق بقسم الجمالية . وقد ذكر المقريزى أن الباب المحروق عرف بهذا الأسم بسبب الحريق الذى اشعله فيه المماليك سنة ٦٥٢ هـ عند علمهم بقتل الأمير أقطاى عميدهم فحاولوا الخروج من هذا الباب ليلا وكان مغلقاً كالعادة المتبعة فى ذلك العصر من غلق أبواب القاهرة ليلا ، فاوقدوا النار فى الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه . ومن ذلك الوقت عرف هذا الباب باسم الباب المحروق .

وهذه هى أبواب الضلع الشمالى والضلع الشرقى أما فى الضلع الجنوبى فقد جعل جوهر فى سوره بابى زويلة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما بابا زويلة هذان فقد بنتهما قبيلة زويلة وهى من قبائل البربر بشمال أفريقيا ، وقد انضمت جنود هذه القبيلة إلى جيش جوهر فى حملته لفتح مصر .

أما الموضع الأصلى لهذين البابين فكان عند مسجد بن البناء وعند الحجارين .

قال المرحوم محمد بك رمزى فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة .

« مسجد ابن البناء هو الذى يعرف اليوم باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المعز لدين الله (شارع المناخلية سابقاً) وتسميها العامة زاوية سام بن نوح . وقد بنى المسجد المذكور الحاكم بأمر الله . وقد أزيل بابا زويلة الأصليان و بنى بدر الجمالى بدلهما باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم ، وتسميه العامة بوابة المتولى حيث كان يجلس فى مدخله متولى حسبة القاهرة أى متولى تحصيل ضريبة الدخولية إلى القاهرة » انتهى .

هذا ما كان فى الضلع الجنوبى ، أما فى الضلع الغربى الموازى لخليج أمير المؤمنين فقد جعل جوهر فى سوره بابى سعادة والقنطرة .

أما باب سعادة المنسوب إلى سعادة بن حيان غلام المعز وأحد قواده ، فكان موقعه على بعد عشرة أمتار شمالى الباب الغربى لمحكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق (ميدان أحمد ماهر باشا الآن) .

أما باب القنطرة فكان يقع على مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى . وقد عرف بهذا الإسم لأن جوهر بنى هناك قنطرة فوق الخليج المصرى سنة ٣٦٠ هـ يمر فوقها بجيوشه إلى المقس لرد غارات القرامطة عن مصر .

وقد سمى العامة باب القنطرة خطأ باسم باب الشعرية ، فى حين أن باب الشعرية كان قائماً غربى الخليج بميدان العدوى بين شارعى العدوى وسوق الجراية .

وقد ذكر المقريزى أنه بالقرب من هذا المكان كانت قنطرة اسمها قنطرة باب الشعرية .

و إلى هنا انتهينا من وصف الأبواب الثمانية الأصلية لقاهرة جوهر . ولنبدأ الآن فى وصف القصور الزاهرة نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء جدة الفاطميين ، وهى القصور التى بناها جوهر لسيده المعز ثم أتمها ووسعها وأضاف إليها بقية الخلفاء الفاطميين .

القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى :

وضع جوهر أساس القصر الكبير الشرقى ليلة وضعه أساس سور القاهرة ، واستمر يعمل فيه حوالى أربع سنوات حتى قبيل وصول المعز . ويقال إن هذا القصر كان مكوناً من أربعة آلاف حجرة بها كثير من الأثاث والجواهر والحلى والأوانى والثياب والسلاح .

ولم يكن هذا القصر فى الواقع سوى مجموعة هائلة من القصور الملكية المختلفة تجمعت كلها داخل مبنى واحد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولما تولى العزيز بالله بن المعز الحكم بنى القصر الصغير الغربى مقابله وجعل بين القصرين ميداناً فسيحاً يسع عشرة آلاف جندى .

وقد بلغت مساحة المبانى والأحواش الداخلية والحدائق والطرقات المسقوفة والممرات السفلية وسواها المكونة للقصرين الشرقى والغربى حوالى سبعين فداناً .

وصف المقريزى هذه القصور وما ألحق بها من خزائن وقاعات و إيوانات ، كما وصفها ناصر خسرو الرحالة الفارسى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) ، وكما جاء وصفها أيضاً فيما كتبه غليوم رئيس أساقفة صور ومؤرخ الحروب الصليبية ، وفيما كتبه جوستاف شلمبرچيه ولين بول ، و يستخلص من هذه الأوصاف أن واجهات هذه القصور بنيت بالحجارة المحكمة الانطباق بعضها فوق بعض حتى ليخيل للإنسان أنها منحوتة فى صخرة واحدة وزخرفت بصور الطيور والحيوانات ، وأن القاعات حليت بالرخام والنقوش الملونة والفساقى التى تنساب فيها المياه . هذا عدا الأستار الحريرية والبسط المصورة والأرائك المطعمة بالذهب .

وكانت القصور المختلفة متصلة ببعضها بسراديب سفلية يمشى فيها أناث الحر تخدمها النساء . وقد انقرضت هذه القصور قبل الأوان نتيجة للتعنت السياسى عقب سقوط الدولة الفاطمية . وأقيم على رقعة من أرض القصر الكبير الشرقى المدارس الصالحية والظاهرية وسبيل محمد على (مدرسة النحاسين) وقصر بشتاك وقسم الجمالية وما حوله . وتطل معظم هذه المبانى الآن على شارع المعز لدين الله من الجهة الشرقية . وكم يكون جميلا لو قررت مصلحة التنظيم كشف واجهة المدرسة والقبة الصالحية بأزالة ما يحجبها من دكاكين النحاسين القذرة لارجاع شارع المعز (شارع بين القصرين الأثرى) إلى عرضه الأصلى .

أما القصر الصغير الغربى فقد تلاشى أيضاً وحل محله مجموعة المبانى العربية الفخمة التى تزين نفس هذا الشارع من الجهة الغربية وهى جامع المنصور قلاوون والناصر ابنه والظاهر برقوق والمدرسة الكاملية حتى الخرنفش .

ويمكننا الآن تصور ما كان لهذه القصور من سموق بنيان ، و براعة نقوش ، وجمال أثاث ، وحسن تنسيق ، وما كانت توحى به من عظمة ملك ، وقوة سلطان ، وفخامة ثروة ، وسطوة دولة ، و إسراف فى الترف ، و إغراق فى النعيم ، مما تخلف عنها من أخشاب محلاة بنقوش بارزة تمثل حفلات الرقص والطرب ، وحلبات الصيد ، والطيور والحيوانات . ومما عثر عليه الباحثون من ألواح رخامية بها صور ونقوش غاية فى الدقة والجمال. وربما تعطينا الصورة المنشورة مع هذا الكلام وهى أقدم صورة عثرنا عليها لمدينة القاهرة فكرة عن مبانى هذه القصور .

وكانت أهم معالم القصر الكبير الشرقى ومناظره وقاعاته وملحقاته كما يستفاد من وصف المقريزى له هى : بهو الذهب والإقبال والظفر والشجرة وقصر الشوك والزمرد والنسيم والبحر والحريم .

وفى عصر العزيز بن المعز أضيفت له قاعة الذهب والديوان الكبير .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

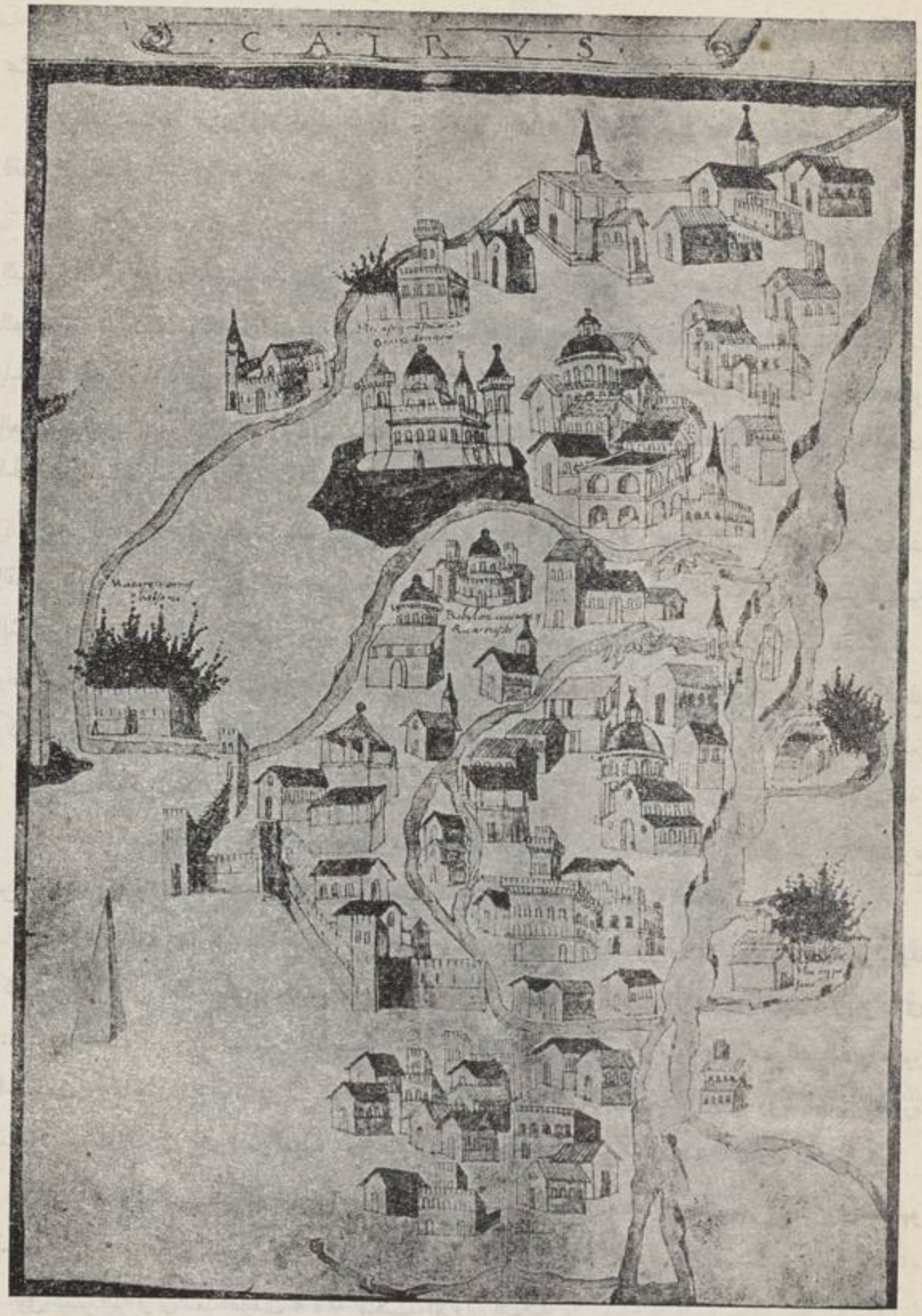

أقدم خريطة عملت لمدينة القاهرة وترى بها القصور الملكية والجامع والسور والأبواب المحصنة والخليج والقناطر والنيل
(صورة مأخوذة من نشرة باللغة اللاتينية أودعت مكتبة باريس الأهلية حوالى سنة ١٤٨٠)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كما كان لهذا القصر تسعة أبواب أهمها وأكبرها باب الذهب ثم يليه باب البحر ثم باب الريح و باب الزمرد و باب العيد و باب قصر الشوك و باب الديلم و باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة .

وكان الخليفة يستقبل رجال الدولة فى يومى الإثنين والخميس وفى أيام المحافل والأعياد والمواسم بقاعة الذهب . وكانت القوات العسكرية تدخل القصر فى هذه الأيام من باب الذهب .

وكانت الجوارى تملأن هذه القصور الزاهرة جميعها رائحات غاديات ، وكن خليطاً من روميات ، وصقلبيات ، وتركيات وجركسيات . وقد زادتهن الملابس جمالا على جمال . هذه كانت حياة القصور فى قاهرة المعز . فلننظر الآن فيما كان يحيط بها من خطط وأحياء .

أحياء القاهرة الفاطمية :

كانت القاهرة فى أول أيامها صغيرة لا يوجد بها سوى قصر الخليفة و بيوت وزرائه وقواده ، وثكنات الجنود ، ولكنها أخذت تتسع بسرعة ، فأقيمت فيها القصور الفخمة ، والأسواق العظيمة ، وشيدت بها المساجد والمدارس ، وكثرت فيها الشوارع والحارات . وقد ذكر الرحالة الفارسى ناصر خاسرو فى كتابه « سافرنامه » أحياء أو حارات القاهرة الفاطمية كما ذكرها أيضاً المقريزى ، وابن تغرى بردى ، وعلى باشا مبارك ورافيس وسواهم كثيرون .

و يستخلص من هذه المباحث أن أهم أحياء أو حارات القاهرة الفاطمية كانت :

أولا — حارة برجوان — وهى منسوبة إلى الخادم برجوان — وكانت فى المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منهما من العطف والأزقة بقسم الجمالية .

وليس المقصود « بحارة » فى قاهرة المعز الشارع الصغير الضيق كما هو مفهوم الآن ولكن المقصود بها هو الحى بأكمله بما فيه من شوارع وأزقة وميادين وأسواق ومدارس ومساجد ومرافق عامة أخرى .

ولا تزال وظيفة شيخ الحارة معروفة للآن بأقسام القاهرة وكانت تسند أصلا إلى أحد عظماء الحى ليكون مسئولا أمام الهيئات الحكومية عن الأمن وحفظ النظام فى حيه . أما الآن فقد أصبحت هذه الوظيفة حقيرة لا أهمية لها .

ثانياً — حارة زويلة — وتنسب هذه الحارة الى قبيلة زويلة وهى قبيلة من البربر سكان أفريقيا الشمالية الأصليين وقد انضم رجال هذه القبيلة إلى جيش جوهر فى الحملة الخاصة بفتح مصر . فلما شرع جوهر فى وضع خطط القاهرة ، أخذت هذه القبيلة فى بناء مساكنها فى الحارة التى عرفت باسم حارة زويلة . ولما كان عدد جنود هذه القبيلة كبيراً جداً ، فقد نشأت هذه الحارة واسعة عظيمة . وهى تقع فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الخرنفش ، ومن الغرب بشارع زويلة ودرب الكتاب ، ومن الجنوب بشارع الصقالبه ، ومن الشرق بحارة اليهود القرايين وحارة خميس العدس ، و يتخللها عدة شوارع وحارات وعطف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وأهم معالمها اليوم هى كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة ، وقد أنشئت حسب رواية المقريزى فى القرن الرابع الميلادى أى أنها أقدم من قاهرة جوهر بستة قرون تقريبا ، فاختطت قبيلة زويلة مساكنها حولها . ويبلغ طول هذه الكنيسة الآن ٢٨ مترا وعرضها ١٩ مترا وارتفاعها ٥و١١ مترا ، وهى أوطأ بخمسة أمتار تقريبا عن مستوى الشارع .

وقد ذكر أبو المكارم أن هذه الكنيسة كانت عظيمة جدا بما فيها من الأبنية والأحجبة المطعمة بالعاج والأبنوس والتصاوير والأعمدة المرمر وغير ذلك مما يذهل الناظرين .

وقد نقلت البطريركية القبطية إلى هذه الكنيسة من دير أبى السيفين فى القرن الرابع عشر وبقيت بها إلى أن نقلها إلى حارة الروم أنبا متاووس البطريرك الثانى بعد المائة سنة ١٦٦٠ م .

ثالثا — حارة الجودرية — والجودرية طائفة تنتسب إلى جودر خادم عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب . وكان عدد رجال هذه الطائفة الذين حضروا مع جوهر ٤٠٠ رجل .

وقد اختطوا حارتهم فى المنطقة التى يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية بقسم الدرب الأحمر .

رابعا — حارة الأمراء — وكانت تقع بالقرب من باب الزهومة أحد الأبواب الغربية للقصر الكبير ، وموقعه اليوم الدكاكين الموجودة فى أول شارع خان الخليلى على يسار داخله من جهة شارع القمصانجية من شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) .

خامساً — حارة الديلم أو حارة الأتراك — وهذه الحارة منسوبة إلى الديلم الواصلين بصحبة أفتكين غلام المعز بن بويه الديلمى الذى تغلب على الشام أيام المعز الفاطمى وقاتل القائد جوهر واستنصر بالقرامطة . ثم خرج إليهم العزيز بالله بن المعز الفاطمى فأسره فى الرملة وقدم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء وأنزله هو وأصحابه بهذه الخطة وبها كانت دار الصالح طلائع بن رزيق وكان يسكنها قبل الوزارة .

وكانت حارة الديلم كبيرة جداً ، وقد نزل هؤلاء الأتراك فى المنطقة التى بها اليوم حارة الكحكيين ودرب الأتراك وحارة حوش قدم . وإلى اليوم يوجد بحارة حوش قدم بقسم الدرب الأحمر زقاق مشهور بحبس الديلم .

سادساً — حارة الروم — كان ملك الفاطميين يمتد فى شمال أفريقيا إلى المحيط الأطلسى وكان يشمل جزائر صقلية وسواها من بلاد الروم . ولذا كان عدد جنود الروم الذين أنضموا إلى جيش جوهر لفتح مصر عظيما لدرجة أنه لم يكفهم حارة واحدة من حارات قاهرة جوهر حين اختط ضاحيته الجديدة بل اضطروا إلى إقامة مساكنهم فى حارتين :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(ا) حارة الروم المعروفة الآن بقسم الدرب الأحمر وكانت تعرف قديماً باسم حارة الروم السفلى . وأهم معالمها اليوم هى كنيسة أثرية للأقباط تعرف باسم كنيسة العذراء بحارة الروم و بداخلها دير للراهبات يعرف باسم دير الأمير تادرس .

و يرجع تاريخ هذه الكنيسة إلى القرن السادس أى أنها أنشئت قبل قاهرة جوهر بأربعة قرون . فاختط الروم مساكنهم حولها ، ثم امتدت هذه المساكن إلى خارج سور جوهر لكثرتها .

أما كنيسة العذراء بحارة الروم فيبلغ طولها الآن ١٨ متراً وعرضها ١٧ متراً وارتفاعها ٩٫٥٠ أمتار . وكانت تعتبر من أهم كنائس مصر . وهى أوطأ من منسوب الشارع بمتر ونصف .

وقد نقلت إليها البطريركية القبطية من حارة زويلة فى عهد أنبا متاووس البطريرك الثانى بعد المائة سنة ١٦٦٠م ثم نقلت منها سنة ١٧٩٩ م فى عهد الحملة الفرنسية إلى مقرها الحالى بالدرب الواسع بقسم الأزبكية . وقد عدل الدرب الواسع حديثا وسمى بعد تعديله وتوسيعه شارع الكنيسة المرقسية وهو يصل ما بين شارع كلوت بك وميدان قنطرة الدكة .

(ب) أما حارة الروم الثانية ، وكانت تعرف قديماً باسم حارة الروم العليا ، فكان مكانها بقرب باب النصر ولا يزال فى مكانها إلى اليوم دير قديم غير مستعمل للروم الأرثوذكس .

سابعاً — حارة الباطلية — وتنسب إلى طائفة من المغاربة جاءوا إلى مصر مع المعز ، فلما قسم العطاء فى الناس ، جاءت هذه الطائفة تسأل العطاء فقيل : فرغ المال ، فقالوا : رحنا نحن فى الباطل ، فسموا الباطلية ، وعرفت الحارة بهم .

و يدل على موقع هذه الحارة اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية فى الجنوب الشرقى للجامع الأزهر بقسم الدرب الأحمر .

ثامناً — حارة ملوخية — وهى منسوبة إلى ملوخية أحد فراشى القصر ، وكان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله ، وكانت هذه الحارة تعرف فى أول الأمر باسم حارة قائد القواد لأن حسين ابن القائد جوهر الملقب بقائد القواد كان يسكن بها فعرفت به ثم نسبت بعد ذلك إلى ملوخيه الفراش المذكور سابقا .

و يعرف مكانها اليوم باسم حارة قصر الشوك المتفرعة من شارع قصر الشوك بقسم الجمالية .

تاسعاً — حارة الكافورى — وقد بنيت فى مكان بستان كافور الأخشيدى لما خرب ، وكانت تقع فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوانى ، ومن الغرب بشارع الشعرانى البرانى ، ومن الجنوب بشارع الخرنفش ، ومن الشرق بحارة برجوان .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عاشراً — حارة العطوف — وهى منسوبة إلى الخادم عطوف أحد خدام القصر فى الدولة الفاطمية ، وكان أصله من خدم أم ست الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم ، وتدل على موقعها المنطقة التى تخترقها اليوم حارة العطوف وفروعها بالقرب من باب النصر بقسم الجمالية .

حادى عشر — حارة الوزيرية — وهى منسوبة إلى الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله بن المعز ، وكان هذا الوزير فى الأصل تاجراً يهوديا أفلس بالشام ففر إلى مصر وأسلم فى عهد كافور الأخشيدى والتحق بخدمته حتى أثرى فلما كثر حساده فر ثانياً إلى أفريقيا والتحق بخدمة المعز وهو يعد العدة لفتح مصر ، فعلم منه المعز كل ما أراد معرفته عن أحوال مصر ، وتأكد أنه سوف لا يلقى مشقة كبيرة فى فتحها . فلما فتحت مصر فعلاً حضر إليها يعقوب بن كلس بصحبة المعز وظل بها حتى تقلد منصب الوزارة فى عهد العزيز بالله بن المعز .

أما حارة الوزيرية فكانت فى زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة تقع في المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب ، ومن الغرب بشارع درب سعادة ، ومن الجنوب بالجزء الغربى من سكة النبوية والجزء الشمالى من حارة الجودرية ، ومن الشرق بشارع بيبرس .

ثانى عشر — حارة كتامة — وهى منسوبة إلى قبيلة كتامة أصل دولة الخلفاء الفاطميين ، نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر . وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التى تتوسطها حارة الأزهرى وعطفة الدويدارى وما يتفرع منهما من العطف والدروب الكائنة فى الجنوب الشرقى من الجامع الأزهر .

ثالث عشر — حارة البرقية — وهى منسوبة إلى أهل برقة ، وكانوا جماعة كبيرة حضروا بصحبة المعز لدين الله لما قدم من بلاد المغرب وبنوا دورهم ومساكنهم بهذه الحارة . وموضعها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع الدراسة والتى تحد من الشمال بسكة كفر الطماعين وعطفة بير العلوة ، ومن الغرب بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السويقة ، ومن الجنوب بشارع الغريب ، ومن الشرق بشارعي قرافة المجاورين وبرج الظفر .

رابع عشر — حارة المحمودية — أو حارة المصامدة وهى منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية التى قدمت أيام العزيز بالله بن المعز إلى مصر . وكانت تشغل المنطقة التى يتوسطها اليوم شارع الأشراقية والنصف الشرقى من سكة النبوية بقسم الدرب الأحمر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم معالم القاهرة الفاطمية الباقية إلى اليوم

الجامع الازهر :

من الظواهر المعروفة منذ القدم بمصر ، عند إنشاء العواصم الجديدة بمناسبة اعتلاء أسر جديدة عرش الفراعنة ، بناء معابد أو مساجد لنشر الدعوة للحكام الجدد . فحيثما تقوم العاصمة الجديدة يقوم فى وسطها قصر الحاكم ثم المعبد أو الجامع وتقام من حولها خطط المدينة الحديثة .

فلما قامت مدينة القاهرة الفاطمية أقيم بها مسجد القاهرة على نحو ما اتبع فى العواصم الاسلامية السابقة . بدأ جوهر القائد فى بناء المسجد الجامع فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (ابريل سنة ٩٧٠ م) إلى جانب القصر الفاطمى ، أى بعد سنة واحدة من دخول جوهر مصر ، وتم بناء الجامع فى عامين وثلاثة أشهر وافتتح للصلاة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢ م) .

وكانت الحكمة واضحة فى إنشاء المسجد الجديد فقد كان قيامه رمزاً لسيادة دعوة دينية جديدة هى الدعوة الفاطمية الشيعية ، كما كانت العاصمة الجديدة رمزاً لظفر الدولة الفاطمية وسيادتها .

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذى أقيم فيه منذ عشرة قرون وما زالت فيه بقية من أبنيته الفاطمية الأولى تحتل مكانها الأصلى داخل الصرح القائم اليوم وهى تبلغ نصف المسجد الحالى . وتدل الظواهر المعمارية على أن هذا المسجد قد أضيفت اليه زيادات كثيرة فى عهود مختلفة وتؤيد المراجع التاريخية هذه الظواهر تأييداً واضحا .

وقد بنى الجامع الأزهر بالطوب ومونة الجير وحلى بالزخارف والكتابات . أما أعمدته الرخامية فقد نقلت من مختلف الكنائس القبطية والمعابد الرومانية ، ولذلك فهى تتفاوت فى السمك وفى الارتفاع وفى تنوع تيجانها .

وتحمل بعض تيجان الأعمدة للآن بعض الصلبان المسيحية ثم رسم النسر الرومانى المشهور ناشراً جناحيه وهو من صناعة بيزنطية متأخرة .

ويمكن تحديد المسجد الفاطمى القديم الآن من الجهة الشرقية بمقصورة عبد الرحمن كتخدا ، ومن الجهة الغربية بنهاية الصحن الكبير ، ومن الجهة البحرية بالمدرسة الجوهرية ومرافق الجامع ، ومن الجهة القبلية بشارع محمد عبده (الأزهر سابقاً) .

أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد نشأت فى رمضان سنة ٣٦٩ هـ (٩٨٠ م) حين جلس يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله بن المعز بالجامع الأزهر وقرأ على الناس كتاباً ألفه فى الفقه الشيعى ، فهرع إلى سماعه سائر الفقهاء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة . فكانت مجالس ابن كلس أول مجالس جامعية عقدت بالجامع الأزهر ، وكانت تمتاز

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

باتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية . ثم استمر هذا النظام بتعيين جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس بالجامع الأزهر . وهكذا نشأت الجامعة الأزهرية أكبر وأقدم جامعة إسلامية بقيت فى العالم حتى الآن .

العناصر المعمارية وأصولها :

يشرف المدخل الرئيسى للجامع الأزهر الآن وهو المعروف باسم « باب المزينين » الذى . أنشأه عبدالرحمن كتخدا على ميدان الأزهر الجديد، ومن هذا الميدان ترتسم أمام ناظريك مآذن هذا الجامع الرشيقة وهى مئذنتى اقبغا وقايتباى من الشمال ومئذنة الغورى من الجنوب .

فاذا نفذت إلى داخل هذا المسجد تجد أمامك نفس العناصر المعمارية الأساسية فى المعابد المصرية القديمة ، فهنا الصحن المكشوف المحاط بالأعمدة والأكتاف والأروقة وهى هى نفس صحن وأعمدة وأكتاف وأروقة المعبد المصرى القديم مع ما اقتضاه الفن الإسلامى الجديد من توجيهات حديثة ومن تعديلات وتحويرات فى نسبها وزخرفتها وكتاباتها وأوضاعها . ثم تجد المآذن والقباب والمحراب المجوف والحوائط المكسوة بالفسيفساء والمنابر الخشبية وسواها وهى هى نفس العناصر المعمارية الأساسية فى الكنائس المسيحية التى قامت بمصر فى عصور العواصم السابقة لمدينة القاهرة .

على أن هذا الأثر الواضح لحضارات العواصم المصرية القديمة فى الجامع الأزهر — وهو أهم معالم القاهرة منذ نشأتها إلى الآن — لم يمنع الفن الإسلامى من التطور والبروز وتكوين شخصيته الجذابة التى استقلت ثم نمت وترعرعت وبزت كثيراً من الفنون السابقة . وقد تجلت للعيان مميزات هذا الفن ورشاقته وبراعته فيما نراه الآن من مآذن شامخة وقباب عالية ومحاريب غاية فى الدقة والاتقان أقيمت بهذا المسجد الجامعى وسواه من جوامع القاهرة .

مشروع المدينة الأزهرية :

وضع مشروع المدينة الأزهرية حديثاً على نمط المدن الجامعية العصرية ، فخطط ميدان الأزهر الجديد وما تفرع منه من شوارع تخطيطاً بديعاً كشف كثيراً من واجهات المبانى الأثرية الجميلة المحيطة بهذا الجامع . وأقيمت فيه إدارات غاية فى الوجاهة والروعة الفنية ولا تزال هناك كليات وإدارات أخرى تحت التنفيذ وكلها غاية فى الروعة والجمال ومن المنظور أن تصل تكاليف المدينة الأزهرية بعد تمامها إلى حوالى مليون جنيه مصرى .

جامع الحاكم بأمر الله :

أسسه الخليفة العزيز بالله بن المعز سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) ثم افتتحه بالصلاة قبل إتمامه فى ٢ رمضان سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) . وبعد وفاة العزيز بالله ، قام ابنه الحاكم بأمر الله باتمام هذا الجامع فأتم بناء المنارة البحرية وكتب اسمه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عليها ، كما أنشأ المنارة القبلية ، ولظهور ميل خشى معه سقوطهما ، بنى القاعدتين الهرميتين حولهما لتدعيمها ، ثم افتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فغلب على الجامع اسم الحاكم ولم ينسب إلى أبيه مؤسسه الأصلى . وقد صرف الحاكم على إتمام بناء هذا الجامع ٤٠٫٠٠٠ دينار ، وكانت الجمعة تجمع مرة فى الجامع الأزهر ومرة فى الجامع الحاكمى ، ومرة بجامع ابن طولون ، ومرة بالجامع العتيق ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط .

وتصميم الجامع الحاكمى يشترك مع الجامع الطولونى فى كثير من التفاصيل المعمارية ، فهو يتفق معه فى شكل عقوده المقامة على أكتاف مبنية بالطوب خلقت بنواحيها الأربع عمداً ، وفى أروقته المحيطة بالصحن ، وفى الإفريز الجصى المكتوب بالكوفى بازار السقف غير أنه هنا بالجص وهناك بالخشب ، كما يشاركه أيضاً فى وجود زيادة به كانت فى جهته القبلية .

ويمتاز عليه بوجود ثلاث قباب بإيوانه الشرقى ، إثنتان فى طرفيه ، والثالثة فوق المحراب ، وبوجود منارتين بطرفى الواجهة الغربية ، وبالمجاز الذى يشق أروقة الإيوان الشرقى من الصحن إلى المحراب مثل مجاز الجامع الأزهر

والجامع الحاكمى ثانى جامع أنشىء فى الدولة الفاطمية بعد الأزهر . وهو جامع كبير مساحته ٢٢و١٤٧٨٤ متراً مسطحاً يتوسطه صحن فسيح مسطحه ٧٢و٥٦١٢ متراً مسطحاً .

وكما طرأ على الجامع الأزهر تغييرات كثيرة ، فقد طرأ على هذا الجامع أيضاً تغييرات كثيرة ، غير أن بقاياه الفاطمية أكثر جداً من بقايا الجامع الأزهر . وهناك الآن مشروع جليل لنزع ملكية ما حول هذا الجامع من الجهة الغربية وكشف مبانيه الأثرية الجميلة . ويشرف على هذه العملية البروفسور كريزويل العالم المشهور فى الآثار الإسلامية .

باقى المساجد الفاطمية :

هذا أما باقى المساجد الفاطمية الباقية لليوم بالقاهرة فهى : الجامع الأقمر ويقع بشارع المعز لدين الله بالنحاسين . وجامع الصالح طلائع بن رزيك ومكانه خارج أسوار القاهرة الفاطمية فى المكان الواقع اليوم على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر بشارع قصبة رضوان تجاه باب زويلة . وجامع الفكهانى ويقوم على رأس حارة حوش قدم بالغورية . وجامع الجيوشى بأعلى المقطم . وكذا مشهد أخوة يوسف الأسباط بشياخة الأباجية بقسم الخليفة . ومشهد السيدة رقية بشارع الخليفة . وكلها قطع فنية رائعة تستحق الزيارة .

سور بدر الجمالى :

ذكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى وفد على مصر فى أوائل عهد الخليفة المستنصر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨م) ليلتحق بدار الحكمة ، وكانت جامعة مدنية وفلسفية أقامها الحاكم بأمر الله فى دار ملاصقة للقصر الصغير الغربى — أن سور جوهر القديم الذى أنشىء سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩م) كان قد تهدم فى عصره ، أى بعد انشائه بنحو ٨٠ سنة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تقريباً ، ولذا لم يكن للقاهرة فى أول عهد المستنصر اسوار ، ولـكن الأمن كان مستتباً مع ذلك لدرجة أن تجار الجواهر اليهود كانوا يتركون حوانيتهم بدون حراسة . وكان الرخاء يعم البلاد . وكانت بيوت القاهرة العالية ، وكلها ملك الخليفة ، مبنية على نسق الاستحكامات وكل بيت منها أشبه شىء بقلعة صغيرة و يفصل كل بيت عن الآخر حديقة غناء .

ومن المعلوم أن الخليفة المستنصر صادف فى مدة خلافته الطويلة التى دامت ستين عاماً نعيم الحياة و بؤسها . ففى أول عهده ، فاقت القاهرة جميع العواصم المعروفة فى العالم حينئذ فى الثروة والترف ، ولـكن لما حلت «الشدة العظمى» منذ سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠م) بسبب ضعف شخصية الخليفة وانقسام جيشه واستبداد عناصره المغربية بالفلاح المصرى واغتصاب أرزاق الناس ثم تقصير النيل لمدة سبعة أعوام متتالية ، تبدل نعيم المستنصر بؤساً ، وضاعت هيبة الحكومة ، وأوشكت الدولة على الزوال ، لولا استنجاد الخليفة ببدر الجمالى صاحب سوريا الذى جمع زمام السلطة فى يده وحكم البلاد بحزم وعدل فأعاد الأمن إلى نصابه ، وقضى على عوامل الفساد ، وسرعان ما عاد الرخاء إلى البلاد .

وعند ذلك وجه بدر الجمالى همه إلى تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية وضد ثورات الجند الداخلية ، فأقام حولها السور الثانى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) بعد اندثار السور الأول الذى بناه جوهر . وكان قد مضى ١١٨ سنة ميلادية بعد تاريخ بناء هذا السور ، بقيت فيها القاهرة مدة تقرب من ٤٠ سنة بدون أسوار لأن سور جوهر كان قد تهدم وانفصلت أجزاؤه عن بعضها منذ سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م) كما قلنا سابقاً .

ويمكننا الآن تعيين موقع سور بدر الجمالى بين مبانى القاهرة الحالية بواسطة بقاياه التى لم تزل تحتل مكانها الأصلى و بواسطة أبوابه البديعة وهى باب الفتوح و باب النصر فى الشمال و باب زويلة فى الجنوب وهى هى التى لم تزل منذ أنشأها بدر الجمالى فى موضعها تدهش من يراها بما فيها من أساليب الدفاع المختلفة الخفية و بفنها وجمالها ومتانتها وعقودها وزخارفها التى أدخلت على الفن الفاطمى على أيدى من هاجر من الأرمن والسوريين للعيش فى مصر تحت ظل بدر الجمالى الوزير الأرمنى الذى سلط على الأرض ومن فيها .

ويمكننا فوق ذلك تعيين الزيادات التى أضيفت لقاهرة المستنصر بين السور الأول والسور الثانى مما ذكره المقريزى وسواه من المؤرخين والباحثين ومن معالم القاهرة الحالية .

أما الضلع الشمالى من سور بدر الجمالى فلا يزال يحتل موضعه الأصلى فى المدينة ، ويمتد من البرج المعروف حالياً على خرط المساحة باسم برج نمرة ١٩ شرقاً إلى باب النصر وجامع الحاكم و باب الفتوح غرباً ، ومن هناك يسير حتى نقطة تقاطعه مع شارع فاروق الجديد حيث نهايته الحالية ، وكان أصلاً يمتد حتى الشاطىء الأيمن لخليج القاهرة حيث فم حارة المسطاحى بقسم باب الشعرية اليوم بطول ١٢٥٠ متراً تقريباً .

وبهذا الوضع أدخل بدر الجمالى جامع الحاكم بأمر الله داخل سور القاهرة بعد أن كان خارج سورها ونقل بابى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفتوح والنصر من مكانهما القديم إلى مكانهما الحالى على جانبى هذا الجامع وعلى بعد ١٥٠ متراً تقريباً إلى شمال موقعهما الأصلى .

وكان سور بدر الجمالى مبنياً باللبن ما عدا الجزء الواقع بين بابى الفتوح والنصر فكان بالحجر . وكذلك الأجزاء الواقعة على جانبى البابين المذكورين فبنيت بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب . وقد هدمت الأجزاء التى بناها بدر الجمالى من هذا السور باللبن فأقام صلاح الدين فى مكان بعض أجزاء منها أجزاء أخرى بالحجر فى سوره الثالث .

أما الضلع الغربى من هذا السور فكان يسير موازياً للضلع الغربى من سور جوهر المذكور سابقاً وينتهى إلى موقع باب الخرق « باب الخلق » على رأس شارع تحت الربع « شارع أحمد ماهر باشا الآن » بقسم الدرب الأحمر بطول ١٦٠٠ متر تقريباً .

أما الضلع الجنوبى من هذا السور فكان يبدأ من باب الخرق ويتجه شرقاً إلى باب زويلة الحالى مسايراً شارع تحت الربع ثم يمتد من باب زويلة إلى برج نمرة ١٣ من بقايا السور الموجودة للآن والمبينة على خرائط المساحة مسايراً شارع الدرب الأحمر وحارة سعد الله . وطول هذا الضلع ١٠٠٠ متر تقريباً .

وبهذا الوضع أدخل بدر الجمالى حارة الروم داخل أسوار القاهرة ونقل باب زويلة من مكانه الأصلى إلى موقعه الحالى . وكان هذا الضلع من السور على بعد ١٥٠ متراً تقريباً إلى الجنوب مبنياً باللبن ما عدا الأجزاء الواقعة على جانبى باب زويلة فكانت بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب .

أما الضلع الشرقى من هذا السور فكان يبدأ من البرج المعروف الآن على خرط المساحة باسم برج نمرة ١٣ جنوباً ويتجه شمالا ماراً بالأبراج نمرة ١٤ و١٥ و١٦ و١٧ حيث موقع باب درب المحروق ثم يسير إلى برج نمرة ١٨ وينتهى إلى برج نمرة ١٩ بمحاذاة برج الظفر ، ولا يزال جزء كبير من هذا الضلع فى موضعه الأصلى بعد أن أعاد صلاح الدين بناءه بالحجر وطوله ١٥٠٠ متراً تقريباً .

وعلى ذلك تقدر مساحة قاهرة المستنصر بحوالى ٤١٥ فداناً بزيادة نحو ١٠٠ فدان فقط عن قاهرة المعز ، وكانت هذه الزيادة فى ظرف ١٢٠ سنة تقريباً .

أما أبواب هذا السور الباقية للآن فتحف نادرة نصفها فيما يلى :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أبواب سور بدر الجمالى بالقاهرة

باب زويلة　　باب الفتوح　　باب النصر

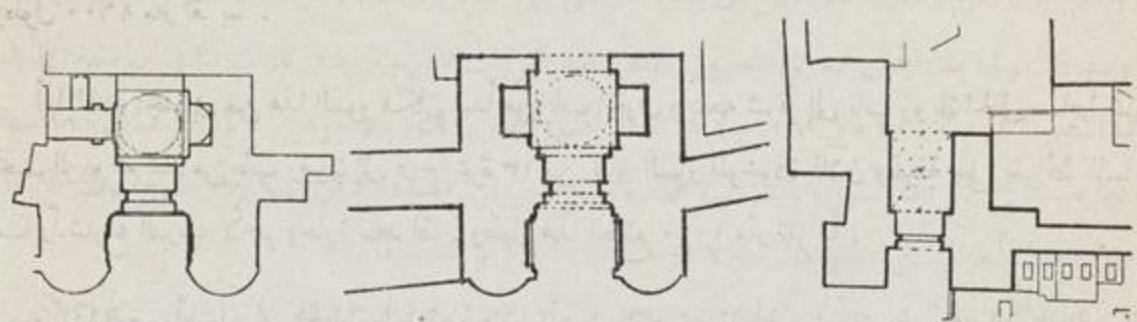

باب زويلة　　باب الفتوح　　باب النصر

باب الفتوح :

يتكون هذا الباب من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل ، وفى جانبى البرجين طاقتان كبيرتان تدور حول فتحتيهما حلية مكونة من اسطوانات صغيرة وهى نوع من الزخارف انتشر فيما بعد فى تحلية دوائر العقود .

ومما يسترعى النظر فى هذا الباب تلك الكوابيل المقامة أعلى المدخل والمتخذة على هيئة كبش بقرنيه ، وهذه مقتبسة من العمارة الفرعونية القديمة ، وكذلك الأعمدة الرخامية المستعملة فى ربط المبانى وكذا الفتحات العليا التى كانت تصب منها السوائل الكاوية على العدو المقتحم .

باب النصر :

يتكون هذا الباب من بدنتين مربعتين نقش عليهما فى الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس . ويتوسط البدنتين باب شاهق جعلت به فتحة من أعلاه كى تصب منها المواد الكاوية على من يحاول

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

اقتحام الباب . ويعلو هذه الفتحة إفريز يحيط بالبدنتين . و بالباب كتابات تضمنت إسم المنشىء وتاريخ الإنشاء، وفوق ذلك إفريز تعلوه المزاغل والسلم الموصل إلى أعلا الباب مبنى بالحجر وله عقود جميلة وهو يوصل إلى أبراج وحجرات اشتملت على أهم وأحسن مجموعة من العقود المبنية بالحجر .

ويتصل باب النصر بباب الفتوح بطريقين أحدهما على ظهر السور والآخر تحته وهو ممر معقود على جانبيه المزاغل والحجر المعقودة بحالة متقنة تعطى فكرة تامة عن نظام الحصون المصرية فى القرون الوسطى .

وقد ترك الفرنسيون أيام حملة بونابرت (١٧٩٨ — ١٨٠١ م) آثار إقامتهم بهذا المكان بإدخال تعديلات بهذا الباب أزيلت فيما بعد كما حفروا أسماء كبار قوادهم على أبواب الأبراج المختلفة .

باب زويلة :

وهو أجمل هذه الأبواب الثلاثة وأروعها ، ويتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل ، ومسقطه الأفقى قريب الشبه جداً بمسقط باب الفتوح .

وهذه الأبواب الثلاثة أشرف على بنائها ثلاثة أخوة قدموا من الرها ، وهى مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام وتعرف عند الأتراك باسم أورفا .

ولما شرع الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى فى بناء مسجده المجاور لباب زويلة سنة ٨١٨ هـ (١٤٠٥ م) انتهز مهندسه فرصة وجود برجى هذا الباب فهدم أعلاهما وأقام مئذنتى المسجد عليهما .

مدينة هابو على الشاطىء الغربى للنيل مقابل الأقصر . وهى مدينة ملكية بناها رمسيس الثالث فى عهد الأسرة ١٩ . وتبدو هنا أسوارها الضخمة المحيطة بالمعبد وبقصر رمسيس الثالث وبمنازل جنوده وخاصته . والأسوار مبنية باللبن وبها أبواب ضخمة مبنية من الحجارة . ولا شك أن أثر هذا الوضع واضح جدا فى تخطيط مدينة القاهرة وأسوارها وأبوابها فى العصر الفاطمى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى العصر الفاطمى

كانت الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى صدر العصر الفاطمى حياة رخاء وعدل وصخب ومرح ، فقد كان المعز يشترك مع الموظفين اشتراكاً فعلياً فى إدارة شئون البلاد ، كما كان يرأس كثيراً من الاحتفالات الشعبية التى عرفتها مصر منذ القدم ولا تزال باقية حتى اليوم — كالاحتفال بوفاء النيل « فتح الخليج » وشم النسيم والنيروز — كما كانت له عناية خاصة بيوم عاشوراء والمولد النبوى وموالد سيدنا على وفاطمة والحسن والحسين وليلة أول رجب ، وعيد النحر ، وعيد الفطر وسواها مما فصله المقريزى فى خططه . وكان لكل من هذه الأعياد أنظمة ومراسيم خاصة وكانت هذه الأعياد فى الغالب مناسبات طيبة تبذل فيها الحسنات وتغدق الصدقات والهدايا من النقود والثياب والحلى وغيرها .

أما الاحتفالات الاجتماعية كالاحتفال بعيد ميلاد الخليفة نفسه وبالأعراس والمآتم والختان ونحوها ، وكذا مهرجانات استقبال الوفود والمبايعة والتتويج والخلع الخ . . . فحدث عنها ولا حرج .

وقد أحب المصريون المعز لكرمه وسماحته ولعدم تفرقته بين الأديان حتى أنه كان يقلد الوظائف العالية لأكثرهم كفاءة بدون أن يميز بين دين ودين فوصل بعض القبط فى عهده إلى مراكز سامية .

ولم تطل مدة إقامته بمصر إذ توفى بعد ثلاث سنوات من قدومه إليها سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) وله من العمر ٤٦ سنة . وقد ترك العاصمة الجديدة القاهرة زاخرة بمآثره وآثاره . ووصل خراج الدولة فى عهده إلى ألفى ألف ومائتى ألف دينار .

ولما توفى المعز بويع ابنه العزيز بالله بالخلافة فجعل يعقوب بن كلس وزيراً له وفوضه النظر فى سائر الأمور . ثم خلفه ابنه الحاكم وهكذا . وظل حكم الدولة الفاطمية بمصر مدة قرنين كاملين من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٦٧ هـ (٩٦٩ — ١١٧١ م) . وتولى الحكم فى هذه الفترة من الزمن أحد عشرة خليفة هم :

١ — الخليفة المعز لدين الله أبو تميم الذى حكم من سنة ٣٦٢ إلى سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٢ — ٩٧٥ م)
٢ — الخليفة العزيز بالله نزار بن معد « « « سنة ٣٦٥ إلى سنة ٣٨٦ هـ (٩٧٥ - ٩٩٦ م)
٣ — الخليفة الحاكم بأمر الله « « « سنة ٣٨٦ إلى سنة ٤١١ هـ (٩٩٦ — ١٠٢٠ م)
٤ — الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله « « « سنة ٤١١ إلى سنة ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ — ١٠٣٥ م)
٥ — الخليفة المستنصر بالله « « « سنة ٤٢٧ إلى سنة ٤٨٨ هـ (١٠٣٥ — ١٠٩٥ م)
٦ — الخليفة المستعلى بالله « « « سنة ٤٨٨ إلى سنة ٤٩٥ هـ (١٠٩٥ - ١١٠١ م)
٧ — الخليفة الآمر بأحكام الله « « « سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ (١١٠١ — ١١٢٩ م)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٨ — الخليفة الحافظ لدين الله الذى حكم من سنة ٥٢٤ إلى سنة ٥٤٤ هـ (١١٢٩ — ١١٤٩ م)

٩ — الخليفة الظافر بأمر الله « « « سنة ٥٤٤ إلى سنة ٥٤٩ هـ (١١٤٩ — ١١٥٤ م)

١٠ — الخليفة الفائز بنصر الله « « « سنة ٥٤٩ إلى سنة ٥٥٥ هـ (١١٥٤ — ١١٦٠ م)

١١ — الخليفة العاضد لدين الله « « « سنة ٥٥٥ إلى سنة ٥٦٧ هـ (١١٦٠ — ١١٧١ م)

وقد بلغ البذخ الفاطمى حداً فاق كل وصف ، و بلغت القاهرة فى نهاية عهدهم ، أى بعد حوالى ٢٠٠ سنة من تاريخ تأسيسها ، لأن تكون مدينة كبيرة غاصة بالمنازل والأسواق والملاهى والمساجد والمشاهد والقصور والمناظر ، ولكن كل هذه العمائر كانت ملك الخليفة ورجاله وجنده فقط لأن الشعب كان محروما فى الواقع من البناء فى القاهرة ومن السكن فيها ، بينما كان فى الوقت نفسه ملزماً بالعمل فيها نهاراً ، فكان الناس يعملون نهاراً بالقاهرة ويركبون ليلا إلى بيوتهم بالفسطاط . ومع ذلك فقد اتسعت المدينة ونمت حتى ضاقت أسوارها الأولى والثانية عن أن تسع سكانها ، فامتد العمار إلى خارجها .

وقد ذكر ناصرى خسرو أن الخليفة كان يمتلك فى القاهرة ٢٠٫٠٠٠ منزل و ٢٠٫٠٠٠ دكان . وكان إيجار كل منزل منها سبعين جنيهاً فى السنة ، و إيجار كل دكان عشرة دنانير شهريا . وكانت هذه المنازل تبنى بالدبش الجيد ويفصلها عن بعضها حدائق غناء . وكان كل منزل منها بمثابة قلعة مصغرة .

ولأجل تكوين فكرة عن عدد العمال والتجار والصناع والموظفين والطلبة الذين كانت تلزمهم أعمالهم اليومية التنقل بين القاهرة والفسطاط ، نذكر هنا ما قرره المقريزى من أنه كان بمدينة مصر (الفسطاط) وحدها ١٠٠٫٠٠٠ بيت فى بعضها مائة إنسان ومائتان إذ يكون البيت الواحد مؤلفاً من خمس طبقات أوست أوسبع ، وعلى ذلك يمكننا تقدير عدد سكان القاهرة والفسطاط فى هذا العهد ، بدون مغالاة ، بحوالى مليون نفس ، وعدد من كانوا ينتقلون يومياً بين القاهرة والفسطاط بـ $\frac{1}{100}$ من هذا العدد أى بحوالى ١٠٫٠٠٠ نفس . أما الطرق التى كان يسلكها هؤلاء القوم فى ذهابهم و إيابهم فكانت فى الغالب هى التالية : كانوا يخرجون عند الغروب من باب زويلة ويسير أغلبهم راكباً المطى بين أشجار الجميز فى ظاهر القاهرة و بين بساتين وحقول الضواحى فى الطرقات التى تعرف اليوم باسم شارع تحت الربع حتى الخليج أو التى تعرف باسم شارع قصبة رضوان وشارع القريبة وسكة حوش الشرقاوى وشارع سويقة عصفور ثم يتابعون الشاطىء الأيمن لخليج القاهرة مارين بدرب الجماميز و بركة الفيل وميدان السيدة زينب (خط قناطر السباع) ثم ينحدرون إلى مشهد زين العابدين حتى يصلوا إلى باب الصفا وهو المدخل الرئيسى لمدينة الفسطاط ، بعد قطع هذه المسافة الطويلة فى حوالى ساعة من الزمن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان باب الصفا يقع فى النقطة التى يتقابل فيها اليوم شارع سوق المواشى (أبو السعود الآن) بشارع الفسطاط بالقرب من جامع أبو السعود الجارحى بقسم مصر القديمة .

هذه صورة خاطفة لحياة القاهرة فى العصر الفاطمى : شعب يعمل ويشقى ويكدولكنه مشغول عما يحيق به بأساليب غريبة و باحتفالات صاخبة ومهرجانات وأعياد ليس لها نهاية . . .

ثم خلفاء ووزراء وحاشية وقواد وجنود بعث بهم الإغراق فى النعيم إلى الإسراف فى الترف . فكانت قصور الخلفاء ومجالسهم ومواكبهم وضخامة دولتهم وألعابهم وملاهيهم وملابسهم مضرب الأمثال فى الاسراف وأبهة الملك وعظمته .

وهكذا ظهرت القاهرة فى العصر الفاطمى فى أبهج أحوالها وأفخم أطوارها من جانب مع إجهاد الشعب و إرهاقه من جانب آخر .

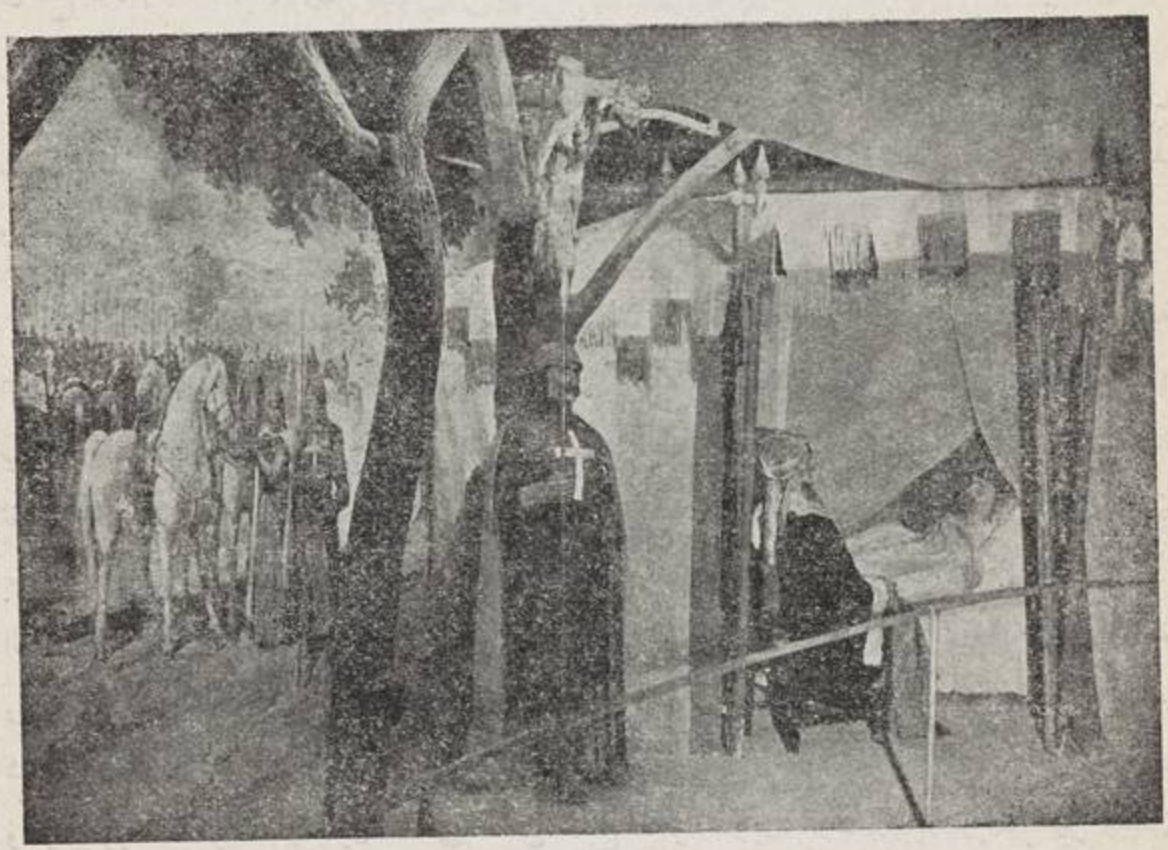

الحروب الصليبية : — صلاح الدين بمفرده يعود ريتشارد قلب الأسد ملك الانجليز وهو مريض فى خيمته بمعسكر الصليبيين بصفته طبيباً عربياً ثم يكشف له عن أمره ويعاهده ألا يحاربه إلا بعد أن يشفى (صورة مأخوذة من متحف الشمع بالقاهرة)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثانى

العصـــر الأيوبى

من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٦٤٨ هـ (سنة ١١٧١ إلى سنة ١٢٥٠ م)

انتهت الدولة الفاطمية بعد أن حكمت مصر زهاء قرنين وخلفت وراءها ثروة فنية ثمينة . ولـكن أكثر خلفائها لم يكن لهم من الخلافة إلا اسمها . ولم يأت النصف الأول من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) إلا وأصبح الأمر والنهى فى أيدى وزرائهم الأقوياء . وقد ابتدأت هذه الحالة فى الواقع منذ تولى بدر الجمالى الوزارة فى عهد الخليفة المستنصر وقبض فى يده على جميع السلطات ، وانتهت فى عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بتنازع اثنين من الوزراء على الحكم وهما (شاور) صاحب حريق مدينة الفسطاط المشهور و (ضرغام) قائد فرقة البرقية من فرق الجيش الفاطمى . وقد سعى كل منهما للانتصار على صاحبه بقوة خارجية . فاستعان شاور (بنور الدين) حاكم حلب فى شمال الشام واستعان ضرغام بالصليبيين فى بيت المقدس . وأرسل نور الدين أكبر قواده (شيركوه) وابن أخيه (صلاح الدين) لإغاثة شاور . وقامت بمصر حروب انتهت بقتل شاور وضرغام مع احراق مدينة الفسطاط .

ثم آلت الوزارة إلى شيركوه و بعد وفاته إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى تمكن من القضاء على بقية الفاطميين واستولى على مصر لنفسه وانشأ فيها الدولة الأيوبية وكان ذلك فى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) .

الأيوبيون :

ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاماً ، ازدهرت فيها القاهرة بأجمل العمارات وأدق الفنون الإسلامية ، ولكن مع الأسف ضاعت أكثر هذه الآثار الآن ، على أنه مع قلة الباقى منها ، فانها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تقدم الفنون فى هذه الدولة ، وعن الأثر المعمارى الذى تركته فى مبانى الدول التى أعقبتها . ففى هذا العهد ظهرت بمصر المدرسة الأيوبية بتفاصيلها المعمارية ذات الخطوط المتعامدة ، كما ظهرت المبانى الحربية مثل القلاع والأسوار المحصنة ، وكذا ظهر الخط النسخ فى زخرفة الواجهات الحجرية واتخذ أساساً للنصوص التاريخية بجوار الخط الـكوفى الذى اقتصر استعماله على كتابة الآيات القرآنية . واقتصرت العناصر الزخرفية الأخرى على التشكيلات النباتية والهندسية التى نمقت تنميقاً بديعاً فى زخارف هذا العصر[1] .

(١) راجع مقال الأستاذ حسن عبد الوهاب بمجلة العمارة العدد ٧ – ٨ سنة ١٩٤٠

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد كانت سياسة صلاح الدين الخارجية هى القضاء على مملكة بيت المقدس التى أسسها الصليبيون فى بلاد الشرق العربى ، كما كانت سياسته الداخلية هى القضاء على المذهب الشيعى الفاطمى فى هذه البلاد ، ولذلك بذل كل جهوده فى إبطال مذهب الشيعة بمصر وأقام بها مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام مالك ونجح فى أغراضه نجاحاً تاماً بواسطة المدارس والدعايات الأخرى التى نشرها بمصر على نطاق واسع جداً . على أن الضعف تطرق بسرعة إلى الدولة الأيوبية بسبب تقسيم إمارتها بين خلفاء صلاح الدين وتنازعهم المستمر .

وقد حكم بالقاهرة من ملوك هذه الدولة ثمانية ملوك وهم :

١ — السلطان يوسف صلاح الدين بن أيوب الذى حكم من سنة ٥٦٧ إلى سنة ٥٨٩ هـ (١١٧١ إلى سنة ١١٩٣ م)

٢ — السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الذى حكم من سنة ٥٨٩ إلى ٥٩٥ هـ (سنة ١١٩٣ إلى ١١٩٨ م)

٣ — « المنصور محمد بن العزيز عثمان « « « « ٥٩٥ إلى ٥٩٦هـ(سنة١١٩٨ إلى سنة١١٩٩م)

٤ — الملك العادل أبو بكر بن أيوب شقيق صلاح الدين الذى حكم من سنة ٥٩٦ إلى سنة ٦١٥ هـ (سنة ١١٩٩ إلى سنة ١٢١٨ م)

٥ — الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب الذى حكم من سنة ٦١٥ إلى سنة ٦٣٥ هـ (سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٣٧ م)

٦ — الملك العادل الصغير ابن الملك الكامل الذى حكم من سنة ٦٣٥ إلى سنة ٦٣٧ هـ (سنة ١٢٣٧ إلى سنة ١٢٣٩) م

٧ — الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد الذى حكم من سنة ٦٣٧ إلى سنة ٦٤٨ هـ (سنة ١٢٣٩ إلى سنة ١٢٤٩) م

٨ — الملك توران شاه ثم الملكة شجر[1] الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)

وقد بقى صلاح الدين على عرش الخلافة الإسلامية مدة ٢٢ سنة إلا أنه لم يقض منها بالقاهرة سوى ثمانية أعوام أما بقية سنى حكمه فقد أمضاها متنقلا بين ربوع الشام وجزيرة العرب وفلسطين لمحاربة الصليبيين .

وكانت آخر مرة ترك فيها القاهرة فى ١١ مايو سنة ١١٨٢ م (٥٧٨ هـ) حين سافر إلى الشام . واجتمع كبار دولته لوداعه عند بركة الحجاج فى مكان يعرف الآن باسم البركة وهى قرية بمركز شبين القناطر وكانت تقع على رأس

(١) صحة اسم هذه الملكة هو شجر الدر لا شجرة الدر كما ورد فى كثير من الآثار التى ترجع إلى عهدها . وكم يكون جميلا لو صححت وزارة المعارف هذا الاسم فى كتبها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

طريق الحاج القديم . وموقع بركة الحجاج الآن شرقى محطة المرج بينها وبين محطة القلج على خط سكة حديد مصر ـ شبين القناطر .

وكان هذا الوداع هو الأخير لأن صلاح الدين لم يعد بعد هذه المرة إلى القاهرة بل ظل مدة العشر سنوات التالية من حكمه فى ربوع الشام يحارب الصليبيين إلى أن توفى بدمشق .

وبالرغم من قصر المدة التى قضاها صلاح الدين فى القاهرة فانه ترك بها من الآثار الباقية على الزمن ما يكفل تخليد ذكره إلى الأبد . فقلعته لا يزال يشيد بذكرها الركبان ، وأسواره التى شملت القاهرة والفسطاط لا تزال بقاياها للآن تتحدث بمقدرة هذا القائد الجبار وعبقرية هذا السلطان العظيم ، وقاهرته المثلثة الشكل هى الأساس الحقيقى لقاهرة اليوم بشكلها واتساع نطاقها . وهذا الحاكم النابغ هو الذى حول قاهرة المعز من ضاحية ملكية محتكرة لإقامة الخليفة وعبيده وجواريه ورجال حكومته وجنده إلى مدينة مفتوحة يسكنها الشعب ويقيم بها ما يشاء من مساكن وعمارات . وهو الذى جعل منها عاصمة القطر المصرى بكل معانى الكلمة .

صحيح أنه منذ تأسيس القاهرة انتقل اليها كثير من كبار الموظفين والأعيان الذين كانوا يقيمون سابقا بالفسطاط ، وصحيح أن متاجر ومصانع كثيرة تحولت بعد ذلك إلى القاهرة ، وصحيح أنه سبق لوزراء مثل بدر الجمالى[1] أن أباحوا لمواطنيهم من الأرمن وسواهم السكن فى مدينة القاهرة ولكن الشعب ظل مع ذلك محروما من هذه الميزة إلى أن أتاحها له صلاح الدين .

وعند ما تقلد صلاح الدين مهام الحكم فى عهد الخليفة العاضد سكن فى دار الوزارة الكبرى .

وموضع هذه الدار اليوم المنطقة التى تحد من الغرب بشارع الجمالية ، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة ، ومن الشمال بعطفة الجوانية بقسم الجمالية . ومكانها الآن جامع خانقاه بيبرس الجاشنكير ومدرسة الجمالية الأميرية .

وبقى صلاح الدين بهذه الدار حتى بنيت القلعة فكان يتردد عليها ويقيم بها ، وكذلك فعل ابنه العزيز عثمان وأخوه الملك العادل أبو بكر . فلما كان الملك الكامل بن الملك العادل تحول من دار الوزارة وسكن فى القلعة نهائياً سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) . ومن ذلك الوقت اتخذت القلعة داراً للملك وأقام بها الملك الكامل ومن بعده جميع ملوك مصر وأمرائها حتى المغفور له الخديو إسماعيل باشا الذى ترك القلعة واتخذ من سراى عابدين العامرة مقراً للملك منذ إنشائها سنة ١٨٧٤ . وظلت هذه السراى مقراً لخديويى مصر وملوكها من هذا التاريخ إلى اليوم .

---

[1] بدر الجمالى أصله أرمنى واعتنق الإسلام .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم معالم القاهرة الأيوبيـة الباقية إلى الآن

سور صلاح الدين :

لما تولى صلاح الدين وزارة مصر فى عهد الخليفة الفاطمى العاضد ، شرع فى بناء سور من الحجر بدل سور بدر الجمالى الذى كان قد تهدم وتفككت أجزاؤه . ولما خلص له ملك مصر بعد ذلك ، عهد إلى أحد أمرائه المخلصين الأمير بهاء الدين قراقوش فى إتمام هذا السور على أن يجمع القاهرة والفسطاط .

وكانت الفسطاط بعد أن حرقها الوزير شاور سنة ١١٦٨م ، تحاول عبثا أن تنهض من نكبتها وتسترد مكانتها ، فلما أتاح لها الله صلاح الدين الذى قررضمها إلى القاهرة داخل سور واحد ، تمكنت هذه المدينة الأسيفة من أن تتقدم قليلاً فانتشر العمار فيها خارج حدود الأجزاء المحروقة، و بعد قليل اتصلت مبانيها بمبانى عاصمة المعز وامتلأت المسافة التى كانت بينهما بالمساكن والعمائر وصارتا مدينة واحدة يطلق عليها العامة لغاية اليوم اسم مدينة مصر[1] .

وسبق أن قلنا إن هذه التسمية ترجع فى الأصل إلى الحالة القديمة التى كانت تسود المواقع التى بها الآن القاهرة والفسطاط وهى وجود مجموعة من القرى قامت على شاطىء النيل الشرقى مقابل مدينة منف القديمة لتموين حصن بابليون، ولما امتدت هذه القرى واتصلت ببعضها أطلق عليها اسم مدينة مصر . (راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب عن مدينة مصر ص ٢٨٦) .

ولم يكن سور صلاح الدين فى الواقع إلا سوراً متمما لسور بدر الجمالى مع بعض التنقيح فيه ، فقد بنى بدر الجمالى سوره سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) من اللبن ما عدا باب النصر و باب الفتوح و باب زويله وما عدا بعض الأجزاء الواقعة بين هذه الأبواب وعلى جانبيها التى بنيت من الحجر كما ذكرنا سابقا .

فلما هدمت الأجزاء التى بناها بدر الجمالى من هذا السور باللبن بعد ٨٥ عاما تقريبا من تاريخ بنائها ، ابتدأ صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١) م ، وهو يومئذ وزير للخليفة العاضد ، فى إعادة بناء هذه الأجزاء من الحجر . ولما كانت هذه العمارة تحتاج إلى كميات هائلة من الأحجار المنحوتة وغير المنحوتة لتكون مثل عمارة الأسوار والمبانى الحربيـة التى شاهدها صلاح الدين فى الشام وبلاد الكردستان ، لجأ صلاح الدين الى مورد سهل طالما لجأ اليه حكام مصر فى عمارة مدينة بابليون وضواحيها، وفى عمارة العواصم الإسلامية السابقة . وما هذا المورد السهل سوى الأحجار المنحوتة والأعمدة الرخامية المتخلفة من معابد وبرابى وأهرامات مدينة منف ومدينة عين شمس بعد هدمها.

(١) لا تزال مصلحة السكة الحديد تكتب فى تذاكر السفر « من مصر إلى الأسكندرية » و « من الأسكندرية إلى مصر » . أما اسم القاهرة فغير معروف لهذه المصلحة . وكم يكون جميلا لو أصلح هذا الوضع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكانت أقرب هـذه الموارد الى صلاح الدين هى الأهرامات الصغيرة التى تخلفت عن جبانة منف بقرب الجيزة فهدمها وشرع فى نقل أحجارها إلى القاهرة لبناء سوره وقلاعه وقناطره وسواء ذلك .

ولكن نقل هذه الأحجار كان يحتاج لاعادة تمهيد الطريق الذى طالما استعمل فى العصر الفرعونى لنقل نفس هذه الأحجار المخلوعة من محاجر طرة والمعصرة إلى موقعها الأصلى بحقل الأهرامات . وموضع هذا الطريق اليوم هو الجزء الواقع فى نهاية شارع الأهرام الحالى بين بحر اللبينى وفندق مينا هاوس .

شرع صلاح الدين إذن فى تمهيد هذا الطريق وفى بناء قناطر هائلة فوق بحر اللبينى على امتداد الطريق واستعمل فى بناء القناطر أحجار الأهرام التى هدمها . وقد عرفت هذه القناطر باسم « السور العظيم » . وقد وصف ابن جبير فى رحلته هذا « السور العظيم » وقال عنه إنه كان يحتوى على أربعين عقداً من أكبر العقود التى شيدت عليها القناطر . واعتبر ابن جبير الطريق و « السور العظيم » من أهم الأعمال العسكرية التى قام بها صلاح الدين فى بدء حكمه لمصر . أما أين هو موقع هذا « السور العظيم » اليوم فإليك البيان .

يمكن رؤية بحر اللبينى اليوم بالقاهرة بشارع الأهرام موازياً لمصرف المحيط من الجهة الغربية وماراً تحت كوبرى حديث من الخرسانة المسلحة أنشىء بمناسبة توسيع شارع الأهرام سنة ١٩٣٣ مكان قناطر الجيزة القديمة أو « السور العظيم » الذى بناه صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٧١ م . وتجد الآن على الشاطىء الأيمن لمصرف المحيط ستوديو شركة مصر للسينما .

وما بحر اللبينى هذا سوى فرع النيل الغربى الذى كان يمر بجوار صحراء ليبيا والذى حاول الملك مينا تحويله شرقاً بمناسبة إنشاء مدينة منف . ويمكن الآن تقدير عرض هذا الفرع بواسطة الظواهر الطبيعية بهذا المكان وبواسطة مناسيب الأرض الزراعية المحيطة به ، وواضح جداً من هذه الظواهر ومن هذه المناسيب أن عرض هذا الفرع كان يصل إلى ١٦٠ متراً تقريباً وهى المسافة التى أقام عليها صلاح الدين قناطر الجيزة بعيونها الأربعين والتى عرفت باسم « السور العظيم » . فلما تمت هذه القناطر سهل نقل أحجار الأهرامات المهدومة لغاية شاطىء النيل الغربى مقابل الفسطاط ثم شحنها بالمراكب إليها .

وكان الشاطىء الغربى للنيل إذ ذاك ينتهى عند سكن مدينة الجيزة وقرية الدقى وإلى جسر النيل الغربى القديم الملاصق للمتحف الزراعى من جهته الشرقية لغاية امبابة . كما كان الشاطىء الشرقى للنيل إذ ذاك ينتهى إلى شارع أثر النبى وشارع عمرو بن العاص (شارع مصر القديمة سابقاً) إلى النقطة التى بها جامع سليمان باشا الفرنساوى ثم ينحدر شرقاً إلى دير أبى السيفين ثم يسير متجهاً إلى الشمال فى شارع أبى السيفين ثم فى شارع الديورة حتى جامع الطيبى ثم يميل غرباً إلى النقطة التى يتقابل فيها شارع قصر العينى بشارع بستان الفاضل ثم يسير إلى الشمال ماراً فى النقطة التى يتقابل فيها شارع والده باشا بشارع الطلمبات ، ثم إلى النقطة التى يتقابل فيها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

شارع النباتات بشارع ابراهيم باشا نجيب ثم يميل شرقا حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع القصر العينى بشارع القاصد ثم يسير إلى الشمال الشرقى حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع البستان بشارع يوسف بك الجندى (الحوياتى سابقاً) ، ثم يسير الى الشمال فى شارع يوسف بك الجندى الى نهايته ومن هناك يسير فى خط مستقيم حتى يصل إلى النقطة التى يتلاقى فيها شارع توفيق بشارع الملكه نازلى . ثم ينحدر شرقا إلى ميدان المحطة .

ولما نقلت هذه الأحجار عبر هذا النيل المتسع استعملها صلاح الدين فى بناء السور وقلعة المقس وقلعة الجبل .

ذكر المقريزى سور صلاح الدين فقال :

« إن السور الثالث ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧١ م) وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) وهو سلطان مصر ، انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى فبناه بالحجارة . وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر (الفسطاط) والقلعة سوراً واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة (باب الشعرية الآن) إلى باب الشعرية (باب العدوى الآن) ومن باب الشعرية (باب العدوى الآن) إلى باب البحر و بنى قلعة المقس هناك . (وقد اندثرت هذه القلعة . ومكانها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد) . وعندها انقطع السور وكان فى أمله مد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر الفسطاط (أى يمده بمحازاة شاطىء النيل الشرقى المذكور سابقا من المحطة إلى مصر القديمة) . وزاد فى سور القاهرة قطعة مما بلى باب النصر إلى باب البرقية و إلى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل » .

ثم قال فى مكان آخر : « إن صلاح الدين مد السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة الواقع جنوبى مدينة مصر (وموضعه اليوم عند نقطة تلاقى شارع الصغير بشارع أثر النبى . . وهو غير باب القنطرة الذى يسمى خطأ باسم باب الشعرية بالقاهرة) . وأقام صلاح الدين سوراً موازياً لسور بدر الجمالى المتهدم على حافة الخليج المصرى مباشرة لجهة الغرب من السور القديم وعلى بعد ٢٥ مترا منه » . ومن هنا جاء اسم شارع بين السورين .

وذكر المقريزى أيضاً أن طول سور صلاح الدين فى أيامه بلغ ٢٩٣٠٢ ذراعا (أى ذراعا هاشمياً وطوله ٦٤ سم) ومعنى ذلك أن طول هذا السور حوالى سنة ١٤٤٠ م كان ١٨٧٥٣ مترا . وهذا الطول الهائل يدل على عظمة هذا السور ومناعته .

و إنى أذكر هنا ما جاء فى مذكرات العالم الجليل محمد بك رمزى عن هذا السور مع بعض الإيضاح الذى يقتضيه المقام . قال رحمه الله :

لقد اندثر أغلب سور صلاح الدين الآن والباقى منه مبين على خريطة القاهرة الحالية فى الجهات الآتية :

أولا : إن القطعة التى كان قد أنشأها صلاح الدين فى سور بدر الجمالى من الجهة الغربية بمحاذاة الخليج المصرى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فيما بين باب القنطرة (على فم شارع أمير الجيوش الجوانى الحالى ويعرف موضعه الآن خطأ باسم باب الشعرية) وبين باب الشعرية (ويعرف موضعه الآن باسم باب العدوى على فم حارة المسطاحى) — هذه القطعة وطولها الأصلى ٢٠٥ متراً كان باقياً منها إلى سنة ١٩٣٠ قطعة طولها ١٢٠ متراً كانت ممتدة من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة حارة المسطاحى، ولما فتح شارع الأمير فاروق سنة ١٩٣٠ هدمت هذه القطعة ودخلت أرضها فى أرض الشارع المذكور ولم يبق منها إلا جزء صغير طوله نحو عشرة أمتار. ولم تزل إدارة حفظ الآثار العربية محتفظة بهذا الجزء للارشاد إلى موقع السور القديم.

ثانياً: إن السور البحرى الذى كان ممتداً بين باب الشعرية الذى يعرف الآن بباب العدوى وبين باب البحر الذى يعرف الآن بباب الحديد بميدان باب الحديد كان قائماً إلى زمن دخول الفرنسيين مصر سنة ١٧٩٨، وبعد ذلك اعتدى الأهالى على هذا السور فهدموا معظمه ولم يبق منه إلا بعض أجزاء لا تزال قائمة بلصق المساكن وهى مبينة على خريطة القاهرة الحالية مقطعة من الشرق إلى الغرب إلى قطع من السور ممتدة بين المساكن الواقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الفجالة وشارع الفجالة، ومن الجنوب بشارع الطبلة وشارع الطواشى وشارع الشمبكى وشارع بين الحارات.

ثالثاً: السور البحرى الذى فيه باب الفتوح وباب النصر، بقى على ما كان عليه فى عهد سور بدر الجمالى غير أنه فى أيام صلاح الدين تجدد بناء بعض الأجزاء بالحجر بدل اللبن. ولما فتح شارع الأمير فاروق سنة ١٩٣٠ ضاع منه جزء صغير. وبذلك أصبح هذا السور ينتهى من الغرب بشارع الأمير فاروق على رأس شارع درب البزازرة. وقد ثبت على طرف السور عند تلك النقطة المشرفة على شارع الأمير فاروق لوحة من الرخام حفر عليها ما يفيد هدم جزء من السور لفتح الشارع المذكور فى سنة ١٩٣٠ فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول.

وقد امتد السور البحرى فى أيام صلاح الدين من البرج رقم ١٣ المبين على خرط القاهرة المساحية إلى جهة الشرق حيث موقع برج الظفر ولا يزال يوجد من هذه الزيادة جزء من سور القسم الشرقى المجاور لبرج الظفر.

رابعاً: أما السور الشرقى لمدينة القاهرة فلا يزال يوجد منه بعض أجزاء قائمة إلى اليوم منها الجزء الذى يمتد من برج الظفر ويتجه جنوباً بطول ٤٠٠ متر وبناؤه متخرب وتتولى إدارة حفظ الآثار العربية الآن ترميمه وإصلاحه. وفى هذا الجزء يقع الباب الجديد أحد أبواب القاهرة القديمة.

ومن السور المذكور الجزء الذى يبدأ من برج درب المحروق ويسير إلى الجنوب بطول ٧٦٠ مترا إلى أن ينقطع خلف زاوية الشيخ مرشد بشارع باب الوزير. وهذا الجزء هو أطول الأجزاء القائمة من السور الشرقى وحائطه أغلبها سليم إلى اليوم.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومنه جزء آخر يمتد إلى الجنوب بين الخانقاه النظامية (جامع النظامى وقد خرب) و بين بقايا جامع السبع سلاطين (خرب) وطول هذا الجزء ٢١٥ متراً . ويتصل من نهايته الجنوبيه بسور القلعة .

أما الباقى من السور الشرقى وهو الجزء الذى يمتد من قلعة الجبل إلى سور مدينة مصر فلا يزال يوجد من آثاره حائط مجرى العيون القائمة إلى اليوم من باب القرافة بالقاهرة إلى نقطه تلاقيها بحائط العيون الممتدة إلى مصر القديمة عند الزاوية القبلية الشرقية فى جبانة السيدة نفيسه الجديدة . وكانت هذه الحائط فى الأصل من ضمن سور صلاح الدين ثم بنى فوقها قناة لنقل الماء من النيل إلى قلعة الجبل.

هذا وقد أظهرت الحفريات الحديثة « باب القرافة » المبين على خرائط الحملة الفرنسية بهذا الجزء من السور . وعلى امتداد هذه الحائط الى الجنوب الشرقى أظهرت حفائر الفسطاط من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٢٠ باقى السور الشرقى وهو سور مدينة مصر الذى بناه صلاح الدين حول هذه المدينة من جهة الشرق ، وهو مبنى بالحجر الجيد النحت على مداميك منتظمة ، محدبة الوسط « بقجة » ومحاطة باطار « تبويص أو ميه » على مثال السور الشمالى الشرقى لمدينة القاهرة . وهذا الطراز تمتاز به مبانى صلاح الدين .

خامساً : أما السور الغربى الذى كان فى أمل صلاح الدين مده من قلعة المقس (أى من ميدان باب الحديد الحالى) على النيل إلى أن يتصل بسور مدينة مصر القديمة من جهة فم الخليج فلم يتم لوفاة صلاح الدين .

وبعد ذلك لم تقم لهذه الأسوار قائمة للآن .

القاهرة — منظر لبعض أحياء القاهرة المزدحمة بالسكان بقسم الجمالية والدرب الأحمر وترى بالصورة بقايا من السور المحصن بالأبراج الذى بناه صلاح الدين الأيوبى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قلعة الجبل :

أنشئت هذه القلعة فى الجهة الشرقية من القاهرة على صخرة مفصولة من جبل المقطم . وقد قيل فى تعليل وجود هذا الفاصل بين الصخرة والجبل وهو الذى يمر به اليوم خط سكة حديد المحاجر أن فرعاً من فروع النيل القديم كان يمر هناك فى عصر تأسيس مدينة منف ، وأن تيار الماء هو الذى حفر هذا الفاصل ، وأن جبل المقطم كان فى ذاك العصر أخضر يانعاً تغطيه الغابات وأشجار الفاكهة الكثيفة وينزله القوم ويقيمون به للنزهة والصيد بدليل ما نقابله هناك إلى اليوم من آثار المبانى والزراعات والأشجار ومن الآبار والصهاريج والمغاور وسواها ، كما كان كل من جبل الرصد (اسطبل عنتر) وجبل يشكر (قلعة الكبش) جزيرة قائمة وسط مجرى النهر . وبعد ذلك اندثر هذا الفرع وجفت مياهه ثم اتصلت هذه الجزائر بالشاطىء وأصبحت جزءاً منه .

ذكر المقريزى أنه عند بناء قبة الإمام الشافعى حفر العمال بئراً بجوار هذا المكان لأخذ المياه منها فعثروا هناك على مركب من المراكب النيلية بجميع أدواتها مطمورة فى الأرض . وإنى أرجح أن هذه المركب كانت من آثار مرور النيل قديماً بهذا المكان .

غير أن هناك من يقول بأن الظواهر الطبيعية ومناسيب الأرض لا تؤيد هذه النظرية ، وأن الصخرة التى تقوم عليها قلعة صلاح الدين إنما عزلت بيد الإنسان ، ومهما يكن من أمر هذه الصخرة ومن أمر الفاصل الذى بينها وبين جبل المقطم ، فإنه من الثابت أنها تشرف على القاهرة والفسطاط والنهر والأهرام وتتحكم فيها جميعاً من عل ، فهى من الوجهة الحربية مكان مختار لمن يريد السيطرة على عاصمة القطر المصرى ولمن يريد فى الوقت نفسه حمايتها بحصن منيع .

وسبق لملوك مصر فى العصر الفرعونى وفى العصر الرومانى وفى العصر الإسلامى إدراك هذه الحقيقة ، فأقاموا فوق هذه الصخرة وفوق ما يقابلها من جبل المقطم تحصينات قوية للدفاع عن العواصم المصرية السابقة التى كانت تقع فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم منطقة القاهرة . ولا نزاع أن (بئر يوسف) الموجودة اليوم بالقلعة والتى تنسب خطأ إلى يوسف صلاح الدين الأيوبى ، إنما هى من بقايا هذه المنشآت القديمة المندثرة ، وقد يكون كل ما فعله فيها صلاح الدين إنما هو تنظيفها وتطهيرها من الأتربة والأنقاض التى تجمعت فيها من إهمال القرون السابقة تماماً كما فعل جوهر القائد أثناء حملته لفتح مصر من تنظيف وتطهير الآبار الرومانية القديمة التى كانت منتشرة فى طريقه على ساحل البحر الأبيض المتوسط من تونس إلى مريوط بجوار الإسكندرية .

ومن المعلوم لنا أنه فى عصر العباسيين أقام الوالى حاتم بن هرثمة المعين على مصر من قبل الخليفة العباسى الأمين سنة ١٩٤ هـ قبة الهواء فوق صخرة القلعة الحالية وسكنها . وفى عصر أحمد بن طولون تبين هذا الحاكم النابغة قيمة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قبة الهواء هذه كمكان صحى أمين يصلح للدفاع وللهجوم معاً ، فأقام بها ، وفى أثناء إقامته هناك اكتشف كنزاً هائلا بجبل المقطم فى مقبرة من مقابر قدماء المصريين بنى منه الجامع المعروف لليوم بجامع ابن طولون ودار الإمارة والبيمارستان والبئر المعروفة لليوم باسم بئر أم السلطان بالقرب من قرية البساتين وحوائط العيون الخاصة بها وسوى ذلك مما سبق لنا الكلام عنه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب . ولكن بعد موت أحمد بن طولون أهمل أمر الصخرة وأمر قبة الهواء فتحول مكانها إلى مقبرة . وبقى الحال على ذلك حتى خلص عرش مصر للسلطان صلاح الدين الأيوبى بعد سقوط الدولة الفاطمية و بعد موت نور الدين سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٥) م ، وكان لا يزال يقيم بدار الوزارة بالقاهرة ، فخشى الفتن الداخلية التى قد يقوم بها بقية المشايعين للفاطميين ولو أنه كان قد قضى عليهم وقسم القصرين الفاطميين على أمرائه وأنزلهم فيهما . أقول خشى صلاح الدين هذه الفتن فأمر ببناء القلعة مكان قبة الهواء القديمة فوق هذه الصخرة العاتية وأمر بتشييد قصرفيها لسكنه و بتنظيف (بئر يوسف) هناك لتغذية القلعة وملحقاتها بالماء فى حالة الحصار . وعهد بهذا العمل إلى الأمير بهاء الدين قراقوش ، كما عهد إليه بتكملة بناء السور الذى سبق تكلمنا عنه فابتدأ قراقوش فى بناء القلعة سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦) م من أحجار الأهرام التى نقلها إلى هناك . وفى أثناء العمل توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣) م قبل أن يتم البناء فوقف العمل مدة ١٥ سنة ثم استؤنف فى سلطنة السلطان العادل شقيق صلاح الدين وتم البناء سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) بعد حوالى ٣٠ سنة من تاريخ الشروع فيه ، وأقام بها الملك الكامل . ومن ذلك الوقت ، اتخذت القلعة داراً للملك وأقام بها ملوك مصر حتى عصر المغفور له الخديو إسماعيل باشا الذى نقل مقر الملك إلى قصر عابدين العامر منذ سنة ١٨٧٤ إلى الآن .

ولقد زيد فى مبانى القلعة تباعاً وأنشئت بها القصور والمساجد ونزل بها المماليك والولاة فى العصر التركى ثم احتلها الفرنسيون فى عصر حملة بونابرت ، و بعد خروجهم بقليل آل الأمر إلى محمد على باشا رأس العائلة المالكة فأصلح جانباً من أسوارها وأبراجها وأبوابها وأنشأ جامعه الفخم و بجواره قصر الجوهرة والعدل ودار الضرب ودار المحفوظات المقابلة للباب الجديد ، كما أنشأ بفناء الجامع برجاً بديعاً للساعة التى أهداها إليه لويس فيليب ملك فرنسا سنة ١٨٤٥ .

وفى سنة ١٨٨٢ احتل الانجليز القلعة وأصبحت تقيم بها حامية من جنودهم واتخذوا منها ثكنات وأنشأوا بها مستشفيات ومبانى مختلفة لإداراتهم ومصانعهم . وكان من المنتظر بعد إبرام معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦ أن تترك القلعة بتاتاً للمصريين إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية اضطر إلى تأخير هذا الإجراء الشكلى البحت . ومن المنظور الآن — وقد أصبح جلاء الانجليز عن مصر — شعار كل مصرى أن تسلم القلعة باحتفال عسكرى إلى الجيش المصرى .

وفى السنين الأخيرة أمر جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله بترميم قصر الجوهرة وإعادته إلى ما كان عليه فى عهد منشئه ، فإذا به الآن تشع منه أضواء العظمة والمجد ، و إذا به الآن تحفة فنية رائعة يروق منظرها و يسر الناظرين

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

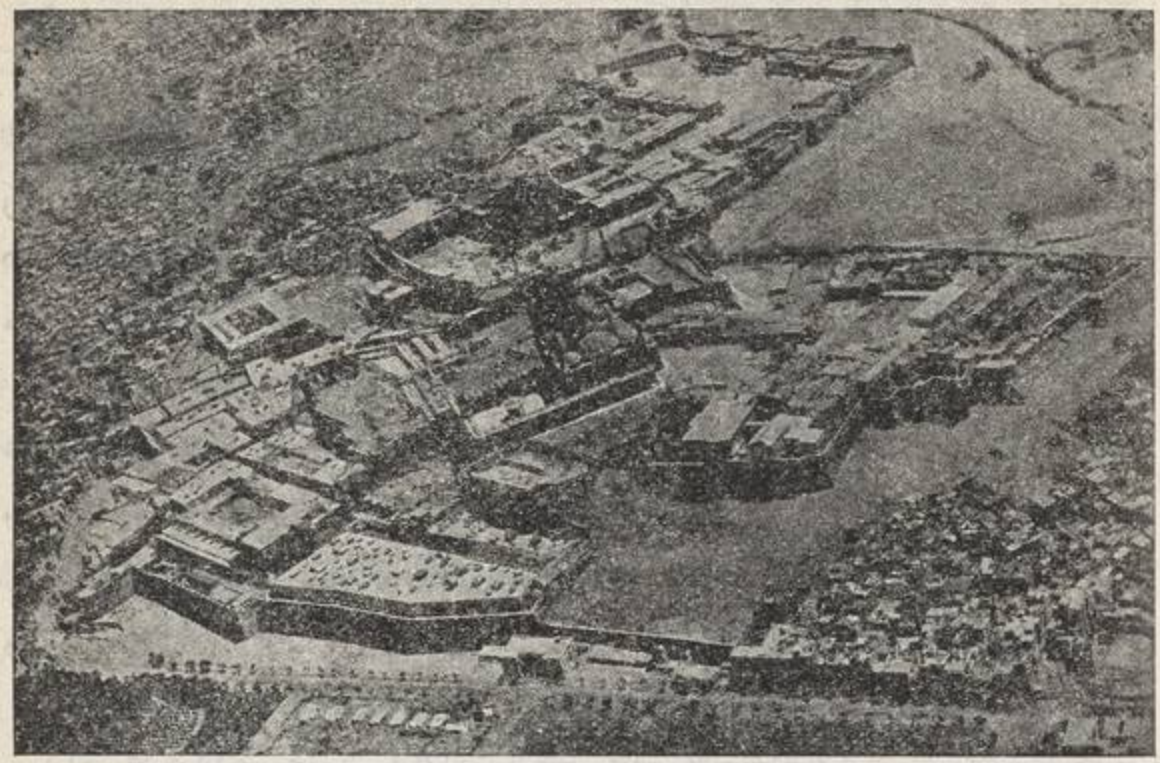

منظر عموى بالطيارة للقلعة وما بها من مساجد وقصور وإدارات وأسوار وأبواب وخلاف ذلك .

ويشرف هذا القصر على فناء واسع تتوسطه فسقية بديعة ، وفى أحد جوانبه كشك لطيف به مقعد صغير يشرف من علٍ على القاهرة وضواحيها .

وبالقلعة أيضاً من الآثار الهامة مسجد الناصر محمد بن قلاوون (سنة ٧١٨ هـ) ومسجد الوالى التركى سليمان باشا الخادم وخلاف ذلك .

المدارس الأيوبية :

أنشئت هذه المدارس لنشر تعاليم المذاهب السنية : مذهب الإمام الشافعى ومذهب الإمام مالك فى ديار مصر بدل مذهب الشيعة الفاطميين . وأول من أنشأ هذه المدارس السلطان صلاح الدين ، فبنى لكل من الطائفتين مدرسة بشكل جامع خطوطه متعامدة ومتقاطعة وله صحن مغطى أحياناً .

وأهم المدارس التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى هى :

١ — المدرسة الناصرية — أنشأها صلاح الدين بجوار الجامع العتيق بمصر . وقد عرفت هذه المدرسة بعد ذلك باسم مدرسة ابن زين التجار الشافعية ، ثم باسم المدرسة الشريفية . وقد اندثرت ومكانها الآن أرض فضاء فى الجنوب الشرقى من جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة مشغولة بقمائن الجير ومعامل الفخار .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٢ — المدرسة القمحية — أنشأها صلاح الدين بجوار المدرسة الناصرية المذكورة سابقاً وقد اندثرت أيضاً .

٣ — المدرسة السيوفية — أنشأها صلاح الدين بالقاهرة وقد اندثرت وحل محلها الآن جامع الشيخ مطهر بشارع المعز لدين الله (شارع الخردجية سابقاً) على يسار الداخل إلى شارع المعز لدين الله من شارع السكة الجديدة . وكان فى موقع هذا الجامع فى العصر الفاطمى دار الوزير المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله سابع الخلفاء الفاطميين وبعد مدة سكنها الوزير المغربى عباس وزير الخليفة الظافر . ولما تولى صلاح الدين حكم مصر حوّل هذه الدار إلى مدرسة للحنفية إلى أن هدمت وحل محلها جامع الشيخ مطهر الحالى .

٤ — المدرسة الصلاحية — أنشأها صلاح الدين أيضاً وبنى بجوارها قبر الأمام الشافعى وأوقف عليها جزيرة الفيل التى ظهرت فى مجرى النيل بسبب غرق مركب اسمه الفيل فى آخر أيام الفاطميين . ثم زرعت فى أيام صلاح الدين سنة ١١٧٤م وأوقفت على المدرسة المذكورة . وفى عصر المماليك أتصلت هذه الجزيرة بالشاطىء وأصبحت جزءاً من القاهرة . ومكان هـذه الجزيرة اليوم المنطقة التى يمر فيها شارع شبرا من الجنوب الى الشمال وتشمل قسمى شبرا وروض الفرج .

وقد هدمت المدرسة الصلاحية فى عهد الأمير عبد الرحمن كتخدا[1] وحل محلها مسجد الأمام الشافعى الحالى .

أما قبر الأمام الشافعى فقد بنى فوقه الملك الكامل خامس ملوك الدولة الأيوبية قبة الأمام الشافعى الحالية سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١) م واجرى اليها الماء من حائط العيون المتصل بحائط احمد بن طولون الممتد الى بئر أم السلطان بجوار قرية البساتين . وقد دفن بقبة الأمام الشافعى من أسرة صلاح الدين كل من زوجته الملكة شمسة وأبنه الملك العزيز عثمان ثم دفنت بها أم الملك الكامل الذى بنى هـذه القبة . وقد عملت بها ترميمات عديدة فى أوقات مختلفة آخرها ما قامت به مصلحة الآثار العربية سنة ١٩٣٤ . وبأعلى القبة من الخارج مكان الهلال ، مركب صغيرة من النحاس تسع من الحب نصف أردب يوضع فيها الحب والماء لإطعام الطيور . وتاريخ هذه المركب متصل بتاريخ المركب التى عثر عليها العمال فى الأرض أثناء حفر بئر بجوار هذه القبة كما ذكرنا سابقاً .

(٥) — المدرسة الصلاحية — بجوار المشهد الحسينى أنشأها كذلك صلاح الدين ولم يتخلف منها شىء الآن وقد أصبح موقعها اليوم ضمن جامع الحسين فى الأيوان الشرقى عند المحراب الحالى للجامع .

(٦) — المدرسة الكاملية — أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل خامس ملوك الدولة الأيوبية وصاحب قبة الإمام الشافعى لدراسة الحديث الشريف سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥) م . وقد تخربت هذه المدرسة الآن ولم يبق منها سوى بقايا الأيوان الغربى . ومكانها الآن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بجوار جامع السلطان برقوق من جهة الشمال وتعرف باسم جامع السلطان الكامل وهى مبنيه على رقعة من أرض القصر الصغير الغربى الفاطمى .

(١) أى فى العصر التركى . وكتخدا لقب تركى معناه محافظ القاهرة . وينطق هذا اللفظ اليوم على لسان العامة باسم «الكخيا» فيقال مثلا جامع الكخيا بميدان الأوبرا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(٧) — المدرسة الصالحية — أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سابع ملوك الدولة الأيوبية على رقعة من أرض القصر الكبير الشرقى الفاطمى فى محل باب الزهومه الذى كان يؤدى إلى المطابخ الملكية . ولا تقل مساحة هذه المدرسة عن ٦٠٠٠ متر مربع وقد فرغ من بنائها سنة ٦٤١ هـ (١٢٤١) م . وأعدت لتدريس المذاهب الأربعة : الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية . وكانت هذه المدرسة مكونة من بنائين أحدهما قبلى والآخر بحرى يتوسطهما الباب العمومى تعلوه المنارة . وكان كل من البنائين يشتمل على ايوانين كبيرين . وقد تخربت أيوانات المدرسة القبلية ، كما هدمت المنارة الثانية للمدرسة سنة ١٨٨٢ ولم يبق بالمدرسة البحرية سوى الأيوان الغربى . وأهم الأجزاء الباقية لليوم من هذه المدرسة هى واجهتها الغربية وطولها حوالى ١٠٠٠ متر وبها الباب العمومى المشرف على شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) وتعلوه المنارة وهى أقدم أنموذج كامل لمنارة أيوبية . وترى فى هذه الواجهة أقتباسات ظاهرة من زخارف الجامع الأقمر وجامع الصالح طلائع الفاطميين .

وتحتجب هذه الواجهة اليوم خلف سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين حقيرة بشارع المعز لدين الله ووراء دكاكين شارع الصرماتيه[1] .

وقد اعتدى الأهالى على أرض الصحن ولم يتركوا منها إلا طريقاً ضيقاً تجاه الباب العمومى من الداخل يعرف اليوم بحارة الصالحية .

ولما توفى الملك الصالح نجم الدين أيوب بالمنصورة أثناء قتاله مع الفرنسيس فى ليلة الأحد ١٤ شعبان سنة ٦٤٧ هـ أخفت شجر الدر موته وأرسلت جثته إلى قلعة الروضة فبقى بها إلى أن تم انشاء قبته بجوار مدرسته هذه فنقل إليها . وتقع هذه القبة الآن فى الجهة البحرية الغربية للمدرسة .

المستشفيات والخوانق الأيوبية :

أنشأ صلاح الدين مارستانا (مستشفى) فى القاهرة سنة ٥٧٧ هـ فى محل خزانة البنود . وكانت هذه الخزانة فى أول الأمر خزانة للسلاح ثم حولت إلى مصانع للسلاح وأخيراً كانت من أشنع السجون فى أيام الفاطميين . وقد اندثر هذا المارستان ومكانه اليوم هو مجموعة الدور التى تحد من الشمال بشارع قصر الشوك ومن الشرق بكمالة شارع قصر الشوك ودرب القزازين ومن الجنوب عطفة القزازين . ويتوسطها اليوم درب على الدين من الشرق الى مغرب . والوصول الى هذا الموقع من خلف دورة مياه جامع سيدنا الحسين من الجهة البحرية إلى عطفة القزازين بقسم الجمالية .

وأنشأ صلاح الدين أيضاً خانقاه لتعبد الصوفية . ولم تزل موجودة وتعرف باسم جامع سعيد السعداء بشارع

(١) نعتقد أنه من حق إدارة حفظ الآثار العربية أن تطالب مصلحة التنظيم بالقاهرة بازالة دكاكين النحاسين وسواها من الدكاكين والمبانى القذرة التى تحجب واجهة هذه المدرسة حتى تنكشف روعتها وجمالها للناظرين . وفى هذا ربح طائل من جهة السياحة كما أنه يعيد شارع بين القصرين الأثرى إلى عرضه الأصلى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الجالية . وكانت هذه الخانقاه فى الأصل دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر الفاطمى ثم صارت سكن الوزير طلائع بن رزيك صاحب جامع الصالح طلائع المشهور أمام باب زويلة وولده رزيك بن طلائع . ولما سكن طلائع هذه الدار فتح لها من دار الوزارة سردابا تحت الأرض وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة فى السكن لكثرة خدمه وحشمه وصار يمشى فى السرداب من الدار الواحدة الى الأخرى . وبعد سقوط الدولة الفاطمية حولت هذه الدار الى خانقاه .

قلعة الروضة :

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سابع ملوك الدولة الأيوبية سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) وسبق تكلمنا عن هذه القلعة فى الفصل الخاص بجزيرة الروضه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ص ٣٨٢ .

قبة شجر الدر :

هذه القبة تقع بشارع الخليفة تجاه مشهد السيدة رقية . أمرت بإنشائها شجر الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين وهى ثامنة ملوك الدولة الأيوبية . لكى تدفن فيها بعد موتها .

ومعنى كلمة شجر الدر معروف وهو اللقب الذى أطلقه عليها الملك الصالح نجم الدين وقد رآها تكثر من التزين بالدرر واللآلىء . وكانت هذه المرأة من أصل شركسى . وقد حكمت مصر وحدها فترة من الزمن . وهو أمر لا مثيل له فى تاريخ الإسلام . وفى خلال الشهرين التى حكمت فيهما وحدها أمكنها تنظيم شئون البلاد وتخفيف وطأة الضرائب ، وأمكنها أن تهزم الصليبيين تحت قيادة سان لويس فى المنصورة . إلا أنها اضطرت أن تتزوج بأمير من المماليك هو الملك المعز إيبك التركمانى الصالحى وذلك للاحتفاظ باستقلال مصر عن الخليفة المستعصم فى بغداد .

وكان المملوك الذى تزوجته شجر الدر عنيفاً يغار من سلطانها . فلكى يوطد من ملكه ، رأى أن يتزوج من أميرة يجرى فى عروقها الدم الملكى كى تحل محل تلك التى وضعته على العرش . وسرعان ما دبرت شجر الدر مؤامرة لاغتياله وهو يستحم فقتلته . غير أنها لم تعش طويلا بعد ذلك ، فقد تألب عليها المماليك واقتحموا قصرها . ويقال أنها لما رأت نفسها فى خطر وضعت لآلئها فى هون لكى تسحقها . غير أن المهاجمين أخذوا يضربونها بالقباقيب ، ثم ألقوا بها من أعلى القلعة وتركوا جسمها للكلاب تنهشه مدة يومين ، حتى نقلها أهل الخير إلى ضريحها تحت قبة شجر الدر الحالية بشارع الخليفة .

وبموت شجر الدر انتهت الدولة الأيوبية وآل الملك إلى المماليك الذين أسكنهم الملك الصالح نجم الدين بقلعته بالروضة وسط البحر فأطلق عليهم اسم المماليك البحرية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثالث

عصر المماليك البحرية

من سنة (٦٤٨ — ٧٨٤) هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢) م

أصل المماليك قوم كانوا يسكنون أواسط أسيا ، فلما غزا التتار بلادهم ، تفرقوا فى جميع جهات القارة ، وكانت تجارة الرقيق منتشرة فى ذلك الوقت ، فباع التجار أبناء هؤلاء المساكين فى الأسواق كما تباع البضائع ، واشترى الملوك والأمراء كثيراً منهم وجعلوهم ملكا لهم ، ولذا عرفوا باسم « المماليك » .

وقد اشترى صلاح الدين الأيوبى كثيراً من هؤلاء المماليك واستخدمهم فى جيشه وكان يختار من بينهم من يصلح للقيام بالأعمال الهامة . وقد سلك مسلكه خلفاؤه من بعده ، وبخاصة الملك الصالح نجم الدين أيوب فانه اشترى عدداً عظيما منهم، أسكنهم جزيرة الروضة وسط البحر ، ولذلك سموا بالمماليك البحرية ، وأخذ يعلمهم الفنون الحربية ، ولما كبروا سمح لهم ببناء قصور فخمة ، وميّز بعضهم عن بعض بعلامات خاصة على ملابسهم وأسلحتهم ، تعرف باسم « الرنك» . وصار منهم القواد والأمراء .

وكان المماليك من أقوى العناصر التى ساعدت على هزيمة جيوش الصليبيين بقيادة سان لويس أثناء حصار مدينة المنصورة ، فزاد نفوذهم ، واشتدت قوتهم ، حتى استطاعوا فى النهاية أن ينزعوا الملك من « توران شاه » آخر سلاطين الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠) م وأسسوا دولة جديدة بمصر ، هى دولة المماليك البحرية التى بقيت تحكم البلاد مدة ١٣٦ سنة . وأول من تسلطن منهم الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركمانى الصالحى بعد زواجه بالملكة شجر الدر أرملة الملك الصالح نجم الدين . وقد تولى الحكم فى هذا العصر ٢٤ سلطانا وهم :

١ — السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى من سنة (٦٤٨ — ٦٥٥) هـ (١٢٥٠ — ١٢٥٧) م
٢ — « « المنصور نور الدين بن المعز أيبك « « (٦٥٥ — ٦٥٧) هـ (١٢٥٧ — ١٢٥٨) م
٣ — « « المظفر سيف الدين قطز « « (٦٥٧ — ٦٥٨) هـ (١٢٥٨ — ١٢٥٩) م
٤ — « « الظاهر بيبرس البندقدارى « « (٦٥٨ — ٦٧٦) هـ (١٢٥٩ — ١٢٧٧) م
٥ — « « السعيد ناصر الدين « « (٦٧٦ — ٦٧٨) هـ (١٢٧٧ — ١٢٧٩) م
٦ — « « العادل سلامش « « (٦٧٨) م (١٢٧٩) م)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٧ — السلطان الملك المنصور قلاوون من سنة (٦٧٨ — ٦٨٩) هـ (١٢٧٩ — ١٢٩٠) م

٨ — » » الأشرف خليل بن قلاوون » » (٦٨٩ — ٦٩٣) هـ (١٢٩٠ — ١٢٩٣) م

٩ — » » الناصر محمد بن قلاوون (أولا) » » (٦٩٣ — ٦٩٤) هـ (١٢٩٣ — ١٢٩٤) م

١٠ — » » العادل كتبغا » » (٦٩٤ — ٦٩٦) هـ (١٢٩٤ — ١٢٩٦) م

١١ — » » المنصور لاچين » » (٦٩٦ — ٦٩٨) هـ (١٢٩٦ — ١٢٩٨) م

١٢ — » » الناصر محمد بن قلاوون (ثانياً) » » (٦٩٨ — ٧٠٨) هـ (١٢٩٨ — ١٣٠٨) م

١٣ — » » المظفر بيبرس الجاشنكير » » (٧٠٨ — ٧٠٩) هـ (١٣٠٨ — ١٣٠٩) م

١٤ — » » الناصر محمد بن قلاوون (ثالثاً) » » (٧٠٩ — ٧٤١) هـ (١٣٠٩ — ١٣٤٠) م

١٥ — » » المنصور سيف الدين » » (٧٤١ — ٧٤٢) هـ (١٣٤٠ — ١٣٤١) م

١٦ — » » الأشرف علاء الدين كچرك » » (٧٤٢) هـ (١٣٤١) م

١٧ — » » الناصر شهاب الدين احمد » » (٧٤٢ — ٧٤٣) هـ (١٣٤١ — ١٣٤٢) م

١٨ — » » الصالح عماد الدين اسماعيل » » (٧٤٣ — ٧٤٦) هـ (١٣٤٢ — ١٣٤٥) م

١٩ — » » الكامل سيف الدين شعبان » » (٧٤٦ — ٧٤٧) هـ (١٣٤٥ — ١٣٤٦) م

٢٠ — » » المظفر حاچى » » (٧٤٧ — ٧٤٨) هـ (١٣٤٦ — ١٣٤٧) م

٢١ — » » الناصر حسن (أولا) » » (٧٤٨ — ٧٥٢) هـ (١٣٤٧ — ١٣٥١) م

٢٢ — » » الصالح صلاح الدين » » (٧٥٢ — ٧٥٥) هـ (١٣٥١ — ١٣٥٤) م

٢٣ — » » الناصر حسن (ثانياً) » » (٧٥٥ — ٧٦٢) هـ (١٣٥٤ — ١٣٦٠) م

٢٤ — » » المنصور صلاح الدين محمد » » (٧٦٢ — ٧٦٤) هـ (١٣٦٠ — ١٣٦٢) م

٢٥ — » » الأشرف شعبان بن حسين » » (٧٦٤ — ٧٧٨) هـ (١٣٦٢ — ١٣٧٦) م

٢٦ — » » المنصور علاء الدين على بن شعبان » » (٧٧٨ — ٧٨٣) هـ (١٣٧٦ — ١٣٨١) م

٢٧ — » » الصالح حاچى بن شعبان » » (٧٨٣ — ٧٨٤) هـ (١٣٨١ — ١٣٨٢) م

وفى عصر المماليك البحرية ازدهرت مدينة القاهرة واتسعت رقعتها ونمت مبانيها وظهرت فيها من المنشآت المعمارية بين مدارس ومساجد وخوانق وقصور وقناطر ما جعل هذا العصر عصر العمارة الإسلامية الذهبى . وزادت مساحة المدينة غربا وشمالا من طروح البحر واتسعت كثيراً جداً . وكان مجرى النيل بين الشاطئين يضيق كلما اتسعت المدينة غربا على حساب طروح البحر المتوالية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم الآثار التى شيدت فى عهد سلاطين دولة المماليك البحرية

ويبين الكشف التالى أهم الآثار التى شيدت فى دولة المماليك البحرية ومواقعها وتاريخ انشائها الهجرى والميلادى ؛ وسنتكلم عن بعضها وعن بعض منشئيها بالتفصيل بعد ذلك :

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
المدرسة المعزية	... ...	... ...	ومكانها اليوم جامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويش بآخر شارع مصر القديمة (شارع عمرو بن العاص حالياً) من الجهة الجنوبية .
قبة الخلفاء العباسيين (ويعتقد البعض انها أيوبية)	... ...	... ...	قرافة السيدة نفيسة .
المدرسة الظاهرية	٦٦٠ — ٦٦٢	١٢٦٢ — ١٢٦٤	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) تجاه قبة قلاوون .
جامع الظاهر	٦٦٥ — ٦٦٧	١٢٦٦ — ١٢٦٩	ميدان الظاهر .
مدرسة وقبة وبيمارستان قلاوون	٦٨٣ — ٦٨٤	١٢٨٤ — ١٢٨٥	شارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً)
قبة الأشرف خليل	٦٨٧	١٢٨٨	شارع الأشرف بقسم الخليفة .
مدرسة وقبة الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٥ — ٧٠٣	١٢٩٦ — ١٣٠٣	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً)
زاوية الامام زين الدين يوسف	٦٩٧ — ٧٣٦	١٢٩٧ — ١٣٣٥	شارع القادرية .
جامع سنجر الجاولى	٧٠٣	١٣٠٤	شارع مراسينا بقسم السيدة زينب .
جامع بيبرس الجاشنكير	٧٠٦ — ٧٠٩	١٣٠٦ — ١٣١٠	شارع الجمالية .
المدرسة السعدية (قبة حسن صدقه)	٧١٥ — ٧٢١	١٣١٥ — ١٣٢١	شارع السيوفية قسم الخليفة .
جامع المارس	٧٣٠	١٣٣٠	شارع الحلمية قسم الخليفة .
جامع الناصر محمد	٧٣٥	١٣٣٤	داخل القلعة .
قصر بشتاك	٧٣٥	١٣٣٤ — ١٣٣٥	درب قرمز بالجمالية .
جامع بشتاك	٧٣٦	١٣٣٥	درب الجماميز قسم السيدة زينب .
حمام بشتاك	قبل سنة ٧٤٢	قبل سنة ١٣٤١	شارع سوق السلاح قسم الخليفة .
جامع المارداني	٧٣٩ — ٧٤٠	١٣٣٨ — ١٣٤٠	شارع التبانة بقسم الدرب الأحمر .
جامع آق سنقر (الجامع الأزرق)	٧٤٧ — ٧٤٨	١٣٤٦ — ١٣٤٧	شارع باب الوزير بقسم الدرب الأحمر .
جامع وخانقاه شيخو	٧٥٠ — ٧٥٦	١٣٤٩ — ١٣٥٥	شارع شيخون بقسم الخليفة .
مدرسة السلطان حسن	٧٥٧ — ٧٦٤	١٣٥٦ — ١٣٦٣	شارع محمد على مقابل القلعة بقسم الخليفة .
جامع صرغتمش	٧٥٧	١٣٥٦	شارع الخضيرى بقسم السيدة زينب بملاصقة جامع ابن طولون .
مدرسة خوندبركة (أم السلطان شعبان)	٧٧٠	١٣٦٨	شارع باب الوزير بقسم الدرب الأحمر .
جامع الجاى اليوسفى	٧٦٨	١٣٦٦	شارع سوق السلاح بقسم الخليفة .
جامع خشقدم الاحمدى	٧٧٨	١٣٧٦	شارع درب الحصر قسم الخليفة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وإليك الآن بعض التفاصيل عما أجملنا .

المدرسة المعزية :

أنشأها الملك المعز أيبك فى سنة ٦٥٤ هـ برحبة دار الملك التى عرفت بعد ذلك برحبة الخروب ثم برحبة الحناء لبيع هذه الأشياء فيها . وقد اندثرت هذه المدرسة وحل محلها جامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويش المطل على النيل فى آخر شارع مصر القديمة (شارع عمرو بن العاص الآن) من الجهة الجنوبية . وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابدى بك لأنه جدده فى سنة ١٠٧٧ هـ (١٦٦٠) م ثم اشتهر باسم الشيخ رويش لمجاورته لضريحه الكائن بحارة الخوخة بالجهة الشرقية القبلية من الجامع المذكور .

وكان الملك المعز أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب . وهو رومى الأصل . فلما مات نجم الدين اضطرت الملكة شجر الدر أن تتزوج منه لتبقى على ملك مصر ، وهكذا وضعته هذه الملكة على العرش ، ولكنه قابل هذا الجميل بالنكران وتزوج من أميرة أخرى هى بنت بدر الدين لولو ملك الموصل ، فاشتعلت شجر الدر غيرة وقتلته فى الحمام . وكان منجمه قد أخبره بأن امرأة ستكون سبباً فى قتله فأمر بألا يترك باب مفتوح بالأماكن التى يمر بها يوم ركوبه من قلعة الجبل إلى الميدان الذى سبق أنشأه نجم الدين بأرض اللوق . وكان هذا الطريق عامراً بالمساكن والحوانيت ويمتد من القلعة إلى شارع المحجر الحالى ثم إلى شارع باب الوزير فشارع التبانه فشارع الدرب الأحمر فباب زويلة فشارع تحت الربع فباب الخرق ويمر فوق قنطرة الخرق على الخليج إلى شارع حسن الأكبر فشارع الصنافيرى حتى ميدان باب اللوق بجوار جامع الطباخ بعابدين . وكانت كل هذه المناطق عامرة بالدور والحوانيت .

ولما مات الملك المعز ولى الملك بعده ابنه السلطان الملك المنصور نور الدين وعمره ١٥ سنة ودبر أمره نائب أبيه الأمير سيف الدين قطز ثم خلعه بعد سنتين واستقل بالسلطنة ولقب بالملك المظفر سيف الدين قطز.

أما المنصور فكان أول عمل أقدم عليه هو أن قبض على شجر الدر قاتلة أبيه وذلك بعد ثلاثة أيام من توليه الملك سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧) م وعهد بها إلى نساء بيته فأماتوها فى البرج الأحمر بالقلعة المشرف على باب المقطم فى الجهة الجنوبية ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا جثتها فى خندق بالقلعة على مرأى من ضربتها فأكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقى فى قبة شجر الدر بشارع الخليفة قرب مشهد السيدة نفيسة .

وشكل قبة شجرة الدر من أقدم أشكال القباب المعروفة بمصر وزخارفها المعمارية قريبة الشبه جداً بزخارف قبة الخلفاء العباسيين الموجودة خلف مشهد السيدة نفسية . وهذه القبة الأخيرة عظيمة الأهمية جداً من الوجهة المعمارية الإسلامية . ويعتبرها البعض من آثار الدولة الأيوبية وهو الأرجح .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المدرسة الظاهرية :

أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٠ هـ مكان قاعة من قاعات القصر الكبير الفاطمى كانت تعرف بقاعة الخيم بعد هدمها ومما أدخل فيها أيضاً باب الذهب من أبواب القصر الفاطمى .

وتقع هذه المدرسة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً) وقد اندثرت واعتدى الناس على أرضها وأدخلوها فى أملاكهم كما دخل جزء منها فى شارع بيت القاضى عند فتحه سنة ١٨٧٣ م ولم يبق منها اليوم الا الأيوان الشرقى وهو معطل ويعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضى ، وباق منها أيضاً الكتف الأيمن لبابها الأصلى وعليه اسم منشئها وتاريخ انشائها .

وقد أوقف السلطان الملك الظاهر بيبرس على هذه المدرسة ربع السلطان خارج باب زويله وباب الفرج ويعرف ذلك الخط الى اليوم بخط (تحت الربع) .

أما الملك الظاهر بيبرس رابع ملوك دولة المماليك البحرية وصاحب هذه المدرسة فأصله مملوك للأمير ايدكين البندقدار ثم انتقل الى الملك الصالح نجم الدين وصار من مماليكه البحرية . وفى عصره سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) وصل الى مصر الامام أبو العباس أحمد ابن الخليفة الظاهر العباسى من بغداد بعد أن طرده التتار من بلاده ، فتلقاه الظاهر بيبرس فى عساكره وبالغ فى اكرامه وأنزله فى القلعة وانعقدت البيعة له بمحضر العلماء والأمراء ولقب بالإمام المستنصر . وبالمستنصر هذا ابتدأت الخلافة العباسية بمصر من ذلك الحين وتوالى الخلفاء من بعده إلى أن انتهت خلافتهم فى زمن السلطان الغورى باحتلال السلطان سليم الأول التركى لمصر ونقله لآخر الخلفاء إلى استامبول واضطراره إياه أن يتنازل عن الخلافة للسلطان سليم التركى .

جامع الظاهر :

أنشأ هذا الجامع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٦ م) المذكور سابقا واستعمل فى عمارته أخشابا ورخاما أرسلها اليه من قلعة يافا عند ما فتحها سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٧ م) .

ويقع هذا الجامع بميدان الظاهر الذى كان يعرف قديماً بميدان قراقوش كما كان الجامع نفسه يعرف قديماً باسم جامع العافية. وقد بنى هذا الجامع على مثال المساجد الجامعة : أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف وتبلغ أبعاده الخارجية ١٠٨ فى ١١٠ أمتار كما يبلغ مقياس صحنه ٦٠ فى ٧٠ متراً ومسطحه ١١٨٨٠ متراً مربعاً وهذا أقل من ثلاثة أفدنة بقليل . وواجهات الجامع الأربع وشرفاته المسننة وأبوابه مبنية بالحجر وعلى نواصيه الأربع آثار أبراج متهدمة. وكان أحدها وهو الغربى القبلى مستعملاً سلماً للوصول الى السطح ثم الى المنارة . أما من الداخل فالبناء

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بالحجر الثلاثات عدا عقود الجامع والقبة والشبابيك فانها مبنية بالطوب . وللجامع ثلاثة أبواب بارزة عن مستوى الواجهات حافلة بالنقوش والكتابات . وكان يعلو الباب الغربى منارة لم يبق منها سوى أثر قاعدتها المربعة .

وقد تعطلت إقامة الشعائر بهذا الجامع من أول القرن العاشر الهجرى بسبب سعته وتعذر الصرف عليه ثم تخرب بعد ذلك وتحول فى العهد العثمانى إلى مخزن للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها وفى عهد الحملة الفرنسية إلى قلعة وثكنة للجنود عرفت باسم قلعة سيكوفسكى وفى عهد محمد على باشا الكبير إلى معسكر لطائفة التكرور ومخبز للجراية ثم إلى مصنع للصابون تحت إشراف السيد أحمد بن يوسف فخر الدين .

وفى سنة ١٨١٢ نقلت بعض أحجاره وعمده الرخامية لبناء رواق الشراقوه بالجامع الأزهر بمعرفة الشيخ الشرقاوى .

وذكر بريز دفين أن كثيراً من أعمدته استعملت فى بناء قصر النيل . ثم اتخذه الجيش البريطانى مخبزاً ثم مذبحاً وقد بطل الذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولذا يعرف لغاية اليوم باسم المذبح الإنجليزى ثم تسلمته لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩١٨ وأنشأت مصلحة التنظيم فى داخله متنزهاً للعائلات . وفى سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى .

أرض اللوق : لا بد هنا من كلمة عن أرض اللوق التى تعرف حالياً باسم خط الاسماعيلية لا تصال تاريخ هذه المنطقة بتاريخ الملك الظاهر بيبرس فنقول: ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر وقد أضيفت

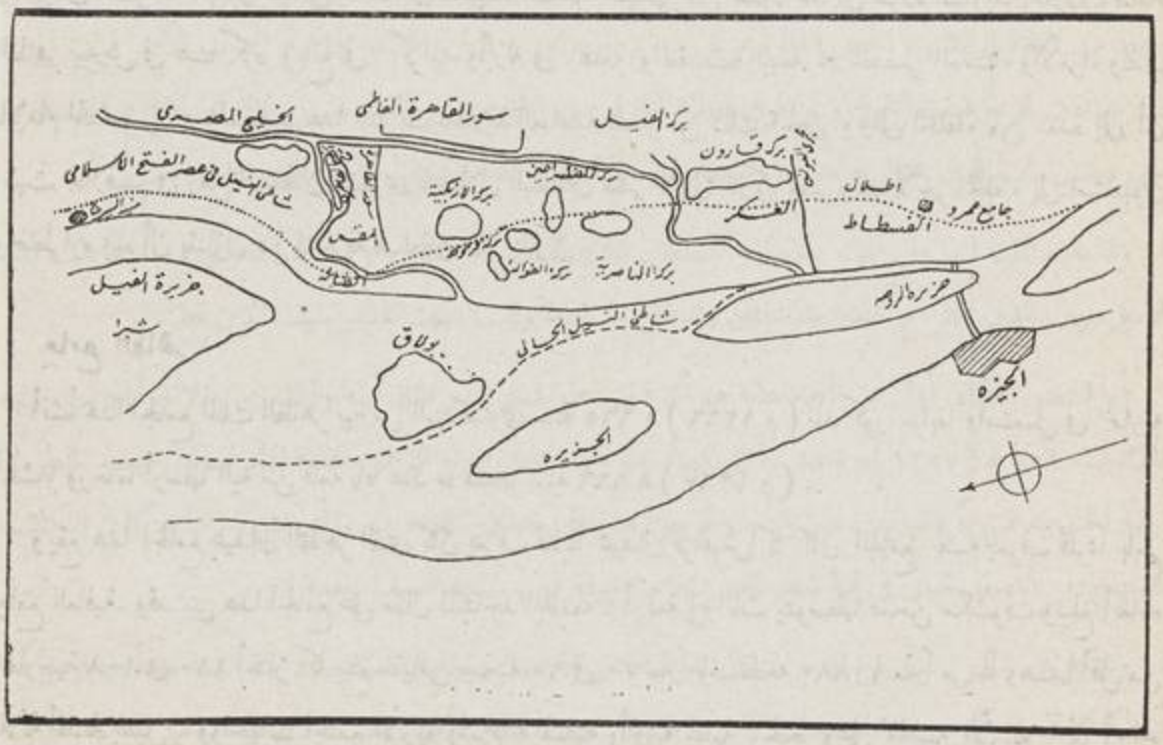

موقع شاطىء النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة كما كان فى أوائل حكم دولة المماليك البحرية وترى أرض اللوق وما أضيف إليها من طروحات متوالية وكذا أرض بولاق وجزيرة الفيل (شبرا) قبل اتصالهما بالشاطىء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

إليها طروحات أخرى فى أوائل حكم دولة المماليك البحرية . وسميت لوقا لأنها كانت أرضاً لينة تلاق لوقاً عند زراعتها بعد الفيضان الذى كان يغمرها وتزرع زراعات شتوية أسوة بأراضى الملق فى أراضى الحياض .

وكانت أرض اللوق تشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة . ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينعطف الحد إلى قصر النيل ويسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد على . ومن الجنوب بمستشفى القصر العينى وشارع بستان الفاضل . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فشارع نوبار باشا إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان (حسين رشدى الآن) فينعطف الحد مائلاً إلى الشرق حتى يتصل بشارع عماد الدين (شارع محمد بك فريد الآن) عند نقطة تلاقيه بشارع الخديو اسماعيل ثم يستقيم الحد متجهاً إلى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى عند شارع قنطرة الدكة .

قال المرحوم محمد بك رمزى فى تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة :

«هذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطىء الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩ هـ (٦٨٨) م. أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق . »

وقد أنشىء بأرض اللوق كثير من البساتين والمنشآت مثل منشاة القاضى الفاضل وبستانه ومنشاة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى .

ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضاً زراعية إلى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١) م . حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر ببنائها لهم فى أراضى اللوق. ومن ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة أحكار عامرة آهلة بالسكان . إلا أنها عادت فخربت وتحولت هذه الأراضى إلى أراض زراعية مرة ثانية ، وبقيت على ذلك إلى سنة ١٨٥٨ م حيث لم يكن بها إلا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وشارع جامع جركس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواسعة والميادين كما ترى اليوم من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل ، وعرفت بخط الاسماعيلية نسبة إلى الخديو اسماعيل .

الجسر الأعظم وقناطر السباع (ميدان السيدة زينب) :

وأنشأ الظاهر أيضاً الجسر الأعظم وقناطر السباع التى على الخليج . وقد ذكر المقريزى أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع. ويعرف مكان هذا الجسر اليوم باسم شارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع سنجر الجاولى الواقع تحت قلعة الكبش وهناك يعرف امتداده باسم شارع الخضيرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما قناطر السباع فكانت موجودة على الخليج المصرى وعليها سباع من الحجارة وكانت معروفة باسم قنطرة السيدة زينب وكانت مكونة من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومى وشارع السد والثانية كانت توصل بين شارع الكومى وشارع مراسينا . وفى سنة ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج و بردمه اختفت هذه القناطر تحت ميدان السيدة زينب الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء آخر من شارع مراسينا .

المدرسة والقبة والبيمارستان المنصورى (جامع قلاوون) :

من أهم آثار دولة المماليك البحرية بالقاهرة وقد بنيت هذه المجموعة الهامة على جزء من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان على جزء منها قاعة كبيرة لست الملك أخت الحاكم بأمر الله ثم آلت ملكيتها إلى الأميرة مؤنسة القطبية الأيوبية . وقد بنيت هذه المجموعة فى ١٤ شهراً فقط . وأدخلت فيها الأعمدة الجرانتية والرخامية والأعتاب والأبواب والشبابيك التى خلعت من قلعة الملك الصالح بالروضة بعد هدمها بأمر قلاوون .

وتقع هذه المجموعة الآن فى شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) وتتكون واجهتها الشرقية من قسمين : الأول وهو القبلى واجهة المدرسة والثانى وهو البحرى المرتد واجهة التربة تعلوها القبة العظيمة وفى الطرف البحرى لهذه الواجهة المنارة بأدورها الثلاثة المربعة والمستديرة المتوجة بكورنيش مصرى الطراز . وفيما بين هذين القسمين الباب الذى كان يسلك منه إلى المدرسة والقبة والبيمارستان . وتشبه المنارة إلى حد بعيد صورة منارة الاسكندرية المحفورة على عملة البطالسة .

وتعتبر هذه المجموعة من أروع العمارات الإسلامية بالقاهرة منظراً وجمالا .

أما محراب القبة فهو أكبر وأفخم محراب فى الآثار الإسلامية بالقاهرة و بوسطها قبر عليه بقايا تابوت من الخشب مكتوب عليه اسم المنصور قلاوون بالخط النسخ . وقد دفن بهذا القبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد والملك الصالح عماد الدين و إسماعيل بن محمد بن قلاوون .

وشكل القبة من الداخل من أبدع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب يحملها أربعة أعمدة اسطوانية سميكة ومرتفعة من الجرانيت الأحمر لا شك أنها منقولة من معبد مصرى قديم ، وأربعة أكتاف من المبانى . والجدران مكسوة بالرخام الملون البديع المنظر .

أما المدرسة فلم يبق من مبانيها القديمة إلا الإيوان الشرقى بزخارفه ومحرابه البديع . وهو قريب الشبه بالكنائس السورية و به أعمدة كثيرة منقولة من الكنائس القبطية والمعابد الرومانية بعد هدمها .

أما البيمارستان فقد هدمت مبانيه القديمة ولم يبق إلا أجزاء من بعض قاعاته . ومما يذكر أن هذا البيمارستان أقامه قلاوون وفاء لنذر نذره وهو بالشام وكان لم يزل أميراً فأصابه قولنج بدمشق فعولج بأدوية أخذت له من بيمارستان

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

نور الدين فلما شفى زار البيمارستان وأعجب به ونذر إن أتاه الله ملك مصر أن يبنى بها بيمارستانا وقد كان .

وفى سنة ١٩١٥ أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض البيمارستان المذكور.

شبرا وبولاق :

قلنا سابقاً إن شاطئ النيل الشرقى للقاهرة كان ينتهى فى العصر الفاطمى إلى مكان شارع عماد الدين الحالى فقرية أم دنين حيث جامع أولاد عنان الآن فميدان باب الحديد فالمكان القائم عليه اليوم محطة كوبرى الليمون ثم يسير

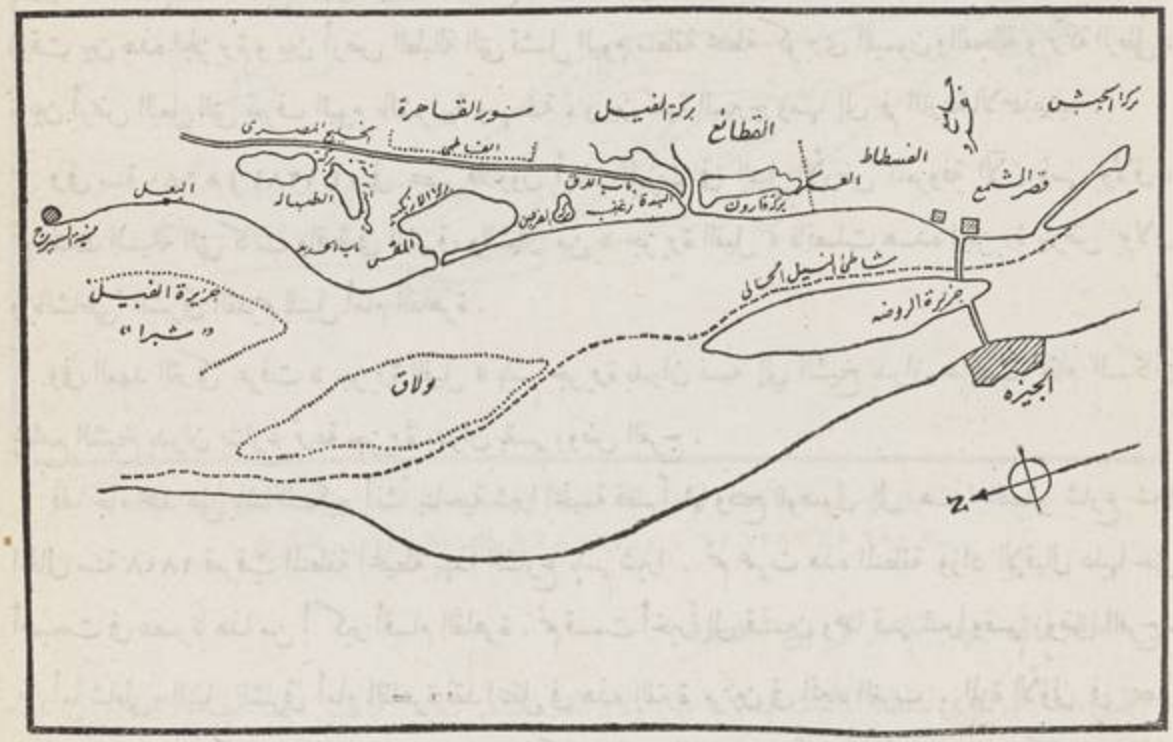

موقع شاطئ النيل الشرقى فى العصر الفاطمى وموقع المقس وبركة المقس (بطن البقرة) التى عرفت فيما بعد ببركة الأزبكية ومكانها الآن حديقة الأزبكية وماجاورها ثم موقع بولاق وجزيرة الفيل (شبرا) قبل اتصالها ببعضهما وبالشاطىء الشرقى للنيل .

النيل شمالاً إلى الشرابية ، و إلى منية السيرج ، ومنها إلى المكان الذى به اليوم فم الترعة الإسماعيلية . وكان ثغر القاهرة فى المكان الذى به اليوم ميدان المحطة وكان بهذا الثغر دار الصنعة حيث بنى أسطول المعز وأسطول صلاح الدين وسواها .

ولكن حدث فى أواخر حكم الدولة الفاطمية أن غرق فى النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه « الفيل » وترك فى مكانه فتراكمت فوقه الرمال وسرعان ماظهرت هناك جزيرة وسط المياه ارتفعت أراضيها بالتدريج فعرفت فى هذا الوقت باسم « جزيرة الفيل » . ثم اتسعت مساحة هذه الجزيرة واتخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) فزرعت فى أيام صلاح الدين الأيوبى وأوقفت أراضيها على المدرسة الصلاحية التى أنشئت إذ ذاك

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بالقرافة الصغرى بجوار قبر الأمام الشافعى . ومكان هذه المدرسة الآن جامع الأمام الشافعى بالقاهرة . ولكن أراضى هذه الجزيرة استمرت فى الزيادة حتى كانت أيام قلاوون فأمر بوقف الأرض التى زادت على حدود هذه الجزيرة على البيمارستان القلاوونى المذكور سابقاً والواقع بشارع المعز لدين الله .

أما مكان « جزيرة الفيل » الآن فهى المنطقة التى يمر فيها شارع شبرا من الجنوب إلى الشمال . وكان يحدها وقت أن كانت وسط المياه من الغرب النيل حيث يمتد الآن طراد النيل القديم وشارع ابو الفرج ، ومن الجنوب النيل حيث يقع الآن شارع جزيرة بدران وشارع بركات ومن الشرق والشمال سيالة مياه كانت فاصلة فى ذلك الوقت بين هذه الجزيرة و بين أرض الطبالة التى تشمل اليوم منطقة محطة كوبرى الليمون والفجالة و بركة الرطلى ، و بين أرض البعل التى تعرف اليوم بالشرابية ومهمشة ، و بين منية السيرج ومنها إلى فم الترعة الاسماعيلية .

وفى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١) م فى عصر قلاوون أيضاً ظهرت فى النيل الأرض المعروفة الآن باسم بولاق ، ثم طمت السيالة التى كانت واقعة فى الشرق والشمال من « جزيرة الفيل » فاتصلت هـذه الجزيرة بأرض بولاق و بالشاطئ الشرقى القديم للنيل أمام القاهرة .

وفى العهد التركى عرفت « جزيرة الفيل » باسم جزيرة بدران نسبة إلي الشيخ بدران صاحب المقام الكائن بجامع الشيخ بدران بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج .

فلما جاء محمد على باشا الكبير أنشأ بناحية شبرا الخيمة قصراً فخما وفتح للوصول إلى هـذا القصر شارع شبرا الحالى سنة ١٨٠٨ فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا . ثم عمرت هذه المنطقة وزاد الإقبال عليها حتى أصبحت فى عصرنا هذا من أكبر أقسام القاهرة . ثم قسمت أخيراً إلى قسمين وهما قسم شبرا وقسم روض الفرج .

أما شاطىء النيل الشرقى أمام القاهرة فقد انتقل فى هذه الفترة مرتين فى اتجاه الغرب . المرة الأولى فى عصر الظاهر بيبرس حيث كان النيل ينتهى إلى شارع الملكة نازلى ومافى امتداده تجاه أرض اللوق التى تكلمنا عنها قبل ذلك، فلما اتصلت أرض اللوق بأرض بولاق بسبب طمى البحر الواقع بينهما انتقل شاطئ النيل للمرة الثانية وأصبح النيل يجرى فى الأماكن التى تعرف اليوم بالأسماء الآتية :

بعد أن يمر النيل تحت ديوان مصلحة المجارى من الجهة الغربية يسير تحت شارع ساحل الغلال فشارع ماسبرو فشارع الخضرا فشارع سوق العصر ثم يمر غربى جامع الشيخ محمد الأخرس ثم يسير مخترقاً أرض عنابر السكك الحديدية ببولاق إلى أن يصل إلى جامع الشيخ فرج من الجهه الغربية . وهنا نقطة اتصال أرض بولاق بأرض جزيرة الفيل . ثم يمتد النيل بجوار جزيرة الفيل فى حدها القبلى بطول شارع جزيرة بدران وشارع بركات و بجوار حدها الغربى بطول شارع أبى الفرج وطراد النيل حتى يصل إلى فم ترعة الاسماعيلية. وهكذا تم اتصال أرض بولاق بأرض شبرا و بأرض اللوق. و بذلك بعد النيل عن القاهرة واتسعت أراضى المدينة من الجهة الغربية اتساعاً هائلا.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فبعد أن كان ثغر القاهرة يقع مكان ميدان المحطة انتقل هذا الثغر إلى ناحية بولاق .

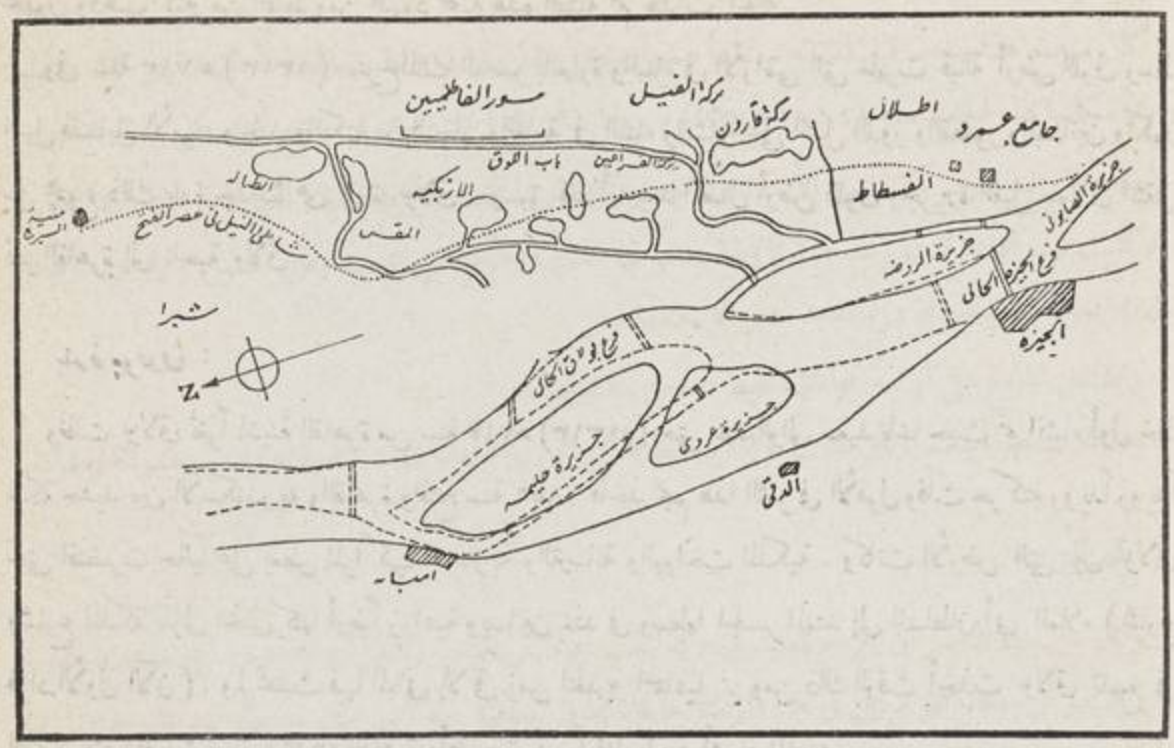

موقع شاطئ النيل الشرقى تجاه القاهرة ومصر القديمة كما كان بعد اتصال أرض بولاق بأرض شبرا حوالى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) . وترى جزيرة الزمالك الحالية فى دور التكوين .

القاهرة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون :

طبق مبدأ الوراثة فى سلطنة المماليك البحرية على أولاد الملك الظاهر بيبرس كما طبق أيضاً على أولاد قلاوون فخلفه على سلطنة مصر ابنه خليل ثم ابنه الناصر الذى تولى العرش ثلاث مرات . وقد طالت سلطنة الناصر الثالثه وتم له من العز والشوكة والسعة و بسطة الملك الشىء الكثير . وكان الناصر ذا شغف بالعمارة فحدثت فى أيامه عمارات كثيرة فاستجد بالقلعة مبانى كثيره من قصور وغيرها وتزايدت العمارات بالحسينية وعمر ما حول بركة الفيل والصليبة إلى جامع ابن طولون وما جاوره إلى مشهد السيدة نفيسة وحكر الناس أرض الزهرى حيث خط الناصرية الآن ومافى امتداده إلى شارع غيط العدة كما امتد العمار إلى اللوق و إلى المقس حيث جامع أولاد عنان الأن بميدان باب الحديد . وحفر الخليج الناصرى وكان فمه عند موردة البلاط إلى شمال كوبرى محمد على الواقع على سيالة الروضة وكان هذا الخليج يخترق منطقة جاردن ستى الحالية ويمتد إلى شارع فؤاد الأول فيكون فى غرب البستان الذى كان فى ملك زينب خانم ثم يكون عند أولاد عنان فينعطف و يسير إلى أن يتلاقى مع الخليج الكبير بقرب جامع الظاهر. وقد اندثر هذا الخليج الأن وردم مكانه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وحصل فى أيام الناصر فتنة كبيرة بين أقباط القاهرة ومسلميها بسبب الحرائق التى انتشرت فى المدينة لسبب مجهول وذهب كثير من القبط ومن اليهود ضحية هذه الفتنة ثم هدأت الحالة .

وفى سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣) صرح الملك الناصر بالعمارة والبناء فى الأراضى التى ظهرت قبالة أرض اللوق وسط النيل فتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء وانشأوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هى بلدة بولاق . وسبق قلنا أنه بعد اتصال أرض اللوق وجزيرة الفيل ببولاق انتقل ثغر القاهرة إلى ناحية بولاق .

بلدة بولاق :

وظلت بولاق ثغراً لمدينة القاهرة من سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) حتى عهد الوالى سعيد باشا حيث تم انشاء أول خط سكة حديد بين الأسكندريه والقاهرة وافتتح سنة ١٨٥٦ فأخذ نجم هذا الثغر فى الأفول وقلت حركته رويداً رويداً حتى اقتصرت حالياً على بعض المراكب التجارية والترسانة والبواخت الملكية . وكانت الأرض التى بين بولاق وشارع الملكة نازلى الحالى كلها أرضاً زراعية وبساتين يمتد فى وسطها الجسر الممتد إلى السلطان أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) . ولم تحدث فيها المبانى إلا فى زمن الخديو اسماعيل . ومن ذاك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت قسماً إداريا من أقسام المدينة .

امتداد العمران بين باب الخلق والسيدة زينب :

واستجد فى أيام الناصر أكثر من ستين حكراً على ضفة الخليج الغربية ابتدأ من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) الآن إلى قنطرة باب الخرق (ميدان باب الخلق) الآن . فأغلب الأحياء الموجودة الآن فى هذه المنطقة عمرت فى وقته .

ميدان القلعة :

واعتنى الناصر بالقلعة وميدان القلعة وجعله بستاناً زاهراً .

المدرسة الناصرية :

واشترى الناصر المدرسة الناصرية الملاصقة لقبة قلاوون التى كان قد شرع فى بنائها الملك العادل زين الدين كتبغا ولم يتمها ، وأكملها وأنشأ بها قبة جليلة دفنت بها والدته وابنه أنوك سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩) م وكانت بها دروس للمذاهب الأربعة ومكتبة جليلة . وتقع هذه المدرسة الآن بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

جامع الناصر محمد بالقلعة :

كان موضع هذا الجامع قبل انشائه مسجداً صغيراً ومخازن للمفروشات والمطبخ بالقلعة فأزال الناصر تلك الأبنية وأنشأ مكانها هذا الجامع سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨) م . ولا يزال قائماً للآن بجوار جامع محمد على باشا الكبير .

وقد نقل إليه الناصر كثيراً من الأعمدة والأحجار والرخام مما تخلف من قلعة الملك الصالح بالروضة بعد هدمها . وقد كانت هذه الأعمدة قبل بناء قلعة الروضة نفسها فى البرابى والكنائس بمنف وعين شمس و بابليون وهكذا خلدت معابد مصر القديمة فى مساجد مصر الإسلامية ! !

ويشتمل الجامع على أربعة أيوانات تحيط بصحن مكشوف .

وقد تخرب هذا الجامع إلى أن عنيت به إدارة حفظ الآثار العربية فأصلحت مئذنته وقبته وعمده وجدرانه وعقوده .

الخانكة :

وكان من عادة الناصر أن يخرج للصيد فى بركة الجب جهة سرياقوس واتفق أن توجه مرة على عادته فأخذه ألم عظيم فنذر أن عافاه الله ليبنين فى هذا الموضع خانقاه لتعبد الصوفية . فلما شفى وفى بنذره و بنى على بعد ميل من سرياقوس خانقاه وجعل فيه مائة خلوة لمائة صوفى وشيد إلى جانبه مسجداً وحماماً ومطبخاً وألحق به صيدلية وعيادة تضم أطباء لمختلف الأمراض .

وكان ذلك سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م) ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المنطقة باسم الخانكة و بها الآن مستشفى كبير للأمراض العقلية .

أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون :

لما مات الملك الناصر محمد بن قلاوون ترك أحد عشر ولداً تولى السلطنة بعده ثمانية منهم وهم :

أولا : السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر سنة (٧٤١ — ٧٤٢) هـ (١٣٤٠ — ١٣٤١) م مكث شهرين الا يوما وخلعه الأمير قوصون نائب السلطنة لفساده وشربه الخمر ونفى هو وأخوته الى قوص قاعدة مركز قوص أحد مراكز مديرية قنا حالياً .

ثانياً : السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجرك . أقام بالملك خمسة أشهر وعشرة أيام سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١) م ثم خلع . وفى عصره قامت ثورة بمصر بين أمراء المماليك وقوصون نائب السلطنة ، انتهت بالقبض على قوصون ونفيه الى الاسكندرية وبقيام الأمير ايدوغمش زعيم الثورة مكانه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثالثاً : السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد . أقام بالملك ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما وخلع نفسه سنة ٧٤٣ هـ و بقى بقلعة الكرك حتى قتل سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤) م

رابعاً : السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . أقام بالملك ثلاث سنين وشهرين وعشرة أيام ثم مات سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥) م

خامسا : السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان . أقام بالملك سنة وشهراً ثم قتل سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦) م

سادسا : السلطان الملك المظفر حاجى . أقام بالملك سنة وثمانية شهور ثم ذبح سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧) م

سابعاً : السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن . أقام بالملك ثلاث سنين وتسعة أشهر حتى سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١) م حيث ثار عليه الأمير طاز وسجنه بالقلعة .

ثامنا : السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح . أقام بالملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ثم خلع سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) م وسجن بالقلعة . وهو آخر من تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون . وفى عهده وقع قتال عنيف بين الأمير طاز نائب السلطنة و بين الأمير شيخو والأمير صرغتمش من قواد الجيش فانتصر الأمير طاز عليهما وقتل فى المعركة كثير من المماليك. وانتهز الأمير شيخو العمرى فرصة غياب الأمير طاز فى الصيد خارج القاهرة وخلع السلطان صلاح وفى يوم خلعه عاد للسلطنة ثانياً شقيقه الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى حسن سابع من ملك من أولاد الناصر باتفاق الأمراء الحاضرين بالقاهرة فاقام بالملك ست سنين وستة أشهر وسبعة أيام من سنة ٧٥٥ الى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٥٤ — ١٣٦٠) م وقام علية مملوكه الأمير يلبغا وقتله فى ٩ جمادى الأول سنة ٧٦٢ هـ.

وفى مدته قبض على الأمير طاز وقتله . ثم جرح الأمير شيخو العمرى بطعنة خنجر فى الديوان بيد أحد المماليك سنة ٧٥٨ هـ . و بقى شيخو مريضاً بمنزله بحدرة البقر التى تعرف الآن بحوش بردق ثم مات ودفن فى جامعه بالصليبة بقسم الخليفة . و بعد موت شيخو استقل صرغتمش بالسلطة واستبد بأوقاف الأديرة والكنائس ثم قبض عليه السلطان وقتله . وقامت بالقاهرة ثورة ومعارك بين مماليكه ومماليك السلطان فقتل أغلب مماليك صرغتمش و بعد ذلك خرج السلطان إلى الجيزة وترك الأمر بيد مملوكه يلبغا . ثم حصلت وقيعة بينه و بين السلطان فكمن يلبغا للسلطان فى طريق عودته من الجيزة وقتله سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠) م.

مدرسة السلطان حسن :

وتدين القاهرة للسلطان حسن بأحسن وأجل وأفخم مدرسة بنيت فى الإسلام وهى تضارع بعظمتها مصر مبانى الفرعونية الهائلة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتقع هذه المدرسة الآن فى نهاية شارع محمد على بمواجهة القلعة وكان موقعها يعرف سابقاً باسم سوق الخيل ، وكان به قصر بناه الناصر للأمير يلبغا يحياوى ثم هدم وأقيمت مكانه هذه المدرسة . ويبلغ طولها ١٥٠ مترا وعرضها ٦٨ متراً ومساحتها ٧٩٠٦ متراً وارتفاع بابها العمومى ٣٧,٧٠ متراً . وكان باب هذه المدرسة أكبر وأفخم باب نحاسى بالآثار الإسلامية . وقد اشتراه المؤيد وركبه على باب جامعه بجوار باب زويلة . وتشرف واجهتها الرئيسية على شارع وميدان محمد على وواجهاتها الجنوبية والشرقية على ميدان صلاح الدين . وتعرف هذه المدرسة الآن باسم جامع السلطان الحسن وليس لهذا الجامع وقبته نظير فى الإسلام. وهو مبنى بالحجارة الكبيرة المنحوتة المأخوذة من الإهرام .

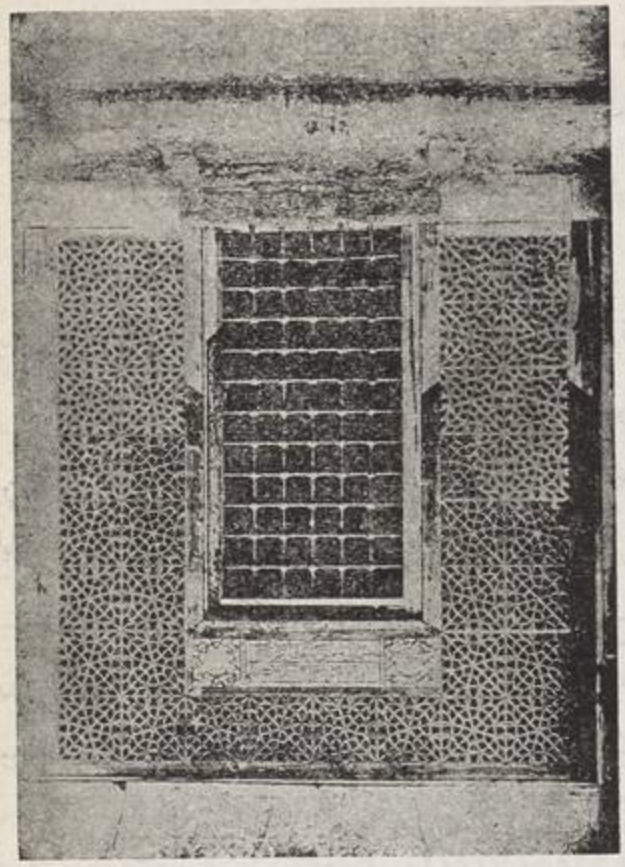

زخارف شباك من مدرسة السلطان حسن

جامع وخانقاه شيخو :

وفى أيام السلطان حسن أنشىء جامع وخانقاه الأمير شيخو بالصليبة ، وقد أدخل ضمن مبانى هذا الجامع أحجار « البيت الأخضر » وكان من أجمل آثار مدينة منف القديمة ، تغنى بوصفه الشيخ عبد اللطيف الرحالة البغدادى لما زار القاهرة سنة ١٢٠٠ م . وفى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩) م أمر الوزير شيخو بكسر هذا الأثر ونقل أحجاره وأدخلها فى مبانى مسجده المعروف الآن باسم جامع شيخون القبلى بالصليبة تجاه جامعه البحرى (الخانقاه) وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة فى جهة القلعة .

مدرسة صرغتمش :

وفى أيام السلطان حسن أيضاً أنشئت مدرسة صرغتمش وتعرف الآن باسم جامع صرغتمش وهى ملاصقة للزيادة الغربية لجامع ابن طولون .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة فى نهاية عصر المماليك البحرية :

مع أن مدة حكم هؤلاء المماليك كانت كلها أهوالا وشدائد وأضراراً بالشعب ، إلا أنه حدثت فيها عمائر كثيرة ببولاق والقاهرة وضواحيها وأغلبها كان فى الرحاب التى كانت بالقاهرة زمن الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية .

ومن أهم آثار هذا العصر الباقية للآن خلاف ما سبق ذكره :

١ — القاعة وقف عثمان كتخدا بشارع بيت القاضى وهى بقية منزل كبير ضاع أكثره فى فتح شارع بيت القاضى سنة ١٨٧٣ وهى تحفة فنية جميلة تستحق الزيارة .

٢ — جامع قوصون نائب السلطنة بعد موت الناصر . وقد ضاع جزء منه فى فتح شارع محمد على الممتد من العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة الآن) إلى القاعة بطول كيلومترين تقريباً سنة ١٨٨٠ م . ولهذا الجامع بابان أحدهما بحارة درب الأغوات والآخر فى مقابله بشارع محمد على . وهو جامع متسع جميل .

٣ — دار الأمير طاز نائب السلطنة فى عهد الملك الصالح صلاح آخر من تسلطن من أولاد الناصر ، وتقع هذه الدار الآن بشارع السيوفية بقسم الخليفة . ويقع تجاه هـذه الدار بيت عبد الله باشا فكرى وزير المعارف أيام ثورة عرابى باشا سنة ١٨٨١م . وقد حولت إلى مدرسة للبنات فى عهد اسماعيل باشا وهى عامرة للآن .

٤ — جامع الأمير الجانى اليوسفى بسويقة العزى من سوق السلاح على يسار السالك من الدرب الأحمر يريد جامع السلطان حسن . وهو من جوامع عصر المماليك البحرية النفيسة .

٥ — مسجد وتربة شهاب الدين المهمندار بشارع الدرب الأحمر قبيل جامع المرداني . أنشأه هذا الأمير فى دولة الناصر محمد بن قلاوون .

قاهرة المماليك البحرية وسحرها . أنموذج للقباب والمآذن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الرابع

عصر المماليك الجراكسة

من سنة (٧٨٤ — ٩٢٣) هـ (١٣٨٢ — ١٥١٧) م

عرف ملوك مصر ابتداء من برقوق الذى حكم سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢) م باسم « المماليك الجراكسة » نسبة إلى بلاد جركس موطن برقوق الأصلى . وكان ملوك هذه السلالة الجديدة تحت سيطرة مماليكهم وهم قوم لا همّ لهم فى الحياة إلا الحرب والعبث بأمن الناس وسفك دمائهم لإظهار شجاعتهم واستهتارهم بالموت . فبدت القاهرة فى عصرهم كمدن العصابات عرضة للسلب والنهب فى رابعة النهار كما بدت شوارعها وميادينها وحاراتها ساحات لمعاركهم الدموية التى كانت لا تنتهى أبدا . و بعد حياة مضطربة كلها آثام وجرائم كان المماليك يعتقدون أنهم يكفرون عن أوزارهم ببناء مسجد للصلاة أو معهد للأعمال الخيرية ، فكانت المدينة تتقدم بذلك و يزداد عدد مساجدها ومدارسها ومستشفياتها ومنشآتها الدينية مع توالى السنين . وكانت معظم هذه المنشآت الدينية تستعمل مساجداً للصلاة وفى الوقت نفسه مدارساً لتعليم الفقه والشرع ودواوينا للحكم وأندية للمجتمعات وخلوات للصوفية وملاجيء يلجأ إليها الغرباء ومن ليس له مأوى فى المدينة . غير أن هذا العبث المستمر بحياة القاهرة آل فى آخر الأمر إلى سقوط دولة المماليك الجراكسة ووقوع مصر فى أيدى العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧) م . فتكون مدة حكمهم ١٣٥ سنة ميلادية تقريباً . تولى العرش فيها ٢٤ ملكا . لم يستطع أحد منهم أن يستقل بالسلطة عن زملائه تمام الاستقلال أو أن يؤلف عائلة ملكية تعمر طويلا بل استمروا يختلف أقوياؤهم على عرش مصر حتى انهزم آخر سلاطينهم « الغورى » و « طومان باى » أمام قوات السلطان سليم الأول التركى . أما هؤلاء الملوك فهم :

١ — الملك الظاهر برقوق	من سنة (٧٨٤ — ٨٠١) هـ	(١٣٨٢ — ١٣٩٨) م
٢ — « الناصر أبى السعادات فرج (أولا)	« « (٨٠١ — ٨٠٨) هـ	(١٣٩٨ — ١٤٠٥) م
٣ — « المنصور عبد العزيز	« « (٨٠٨) هـ	(١٤٠٥) م
٤ — « الناصر أبى السعادات فرج (ثانياً)	« « (٨٠٨ — ٨١٥) هـ	(١٤٠٥ = ١٤١٢) م
٥ — « المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى	« « (٨١٥ — ٨٢٤) هـ	(١٤١٢ — ١٤٢١) م
٦ — « المظفر ابن المؤيد	« « (٨٢٤) هـ	(١٤٢١) م
٧ — « الظاهر سيف الدين	« « (٨٢٤) هـ	(١٤٢١) م

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٨ — الملك الصالح أبو النصر	من سنة (٨٢٤	٨٢٥) هـ (١٤٢١ — ١٤٢٢) م
٩ — « الأشرف برسباى	« « (٨٢٥ — ٨٤١) هـ (١٤٢٢ — ١٤٣٧) م
١٠ — « العزيز جمال الدين	« « (٨٤١ — ٨٤٢) هـ (١٤٣٧ — ١٤٣٨) م
١١ — « الظاهر چقمق	« « (٨٤٢ — ٨٥٧) هـ (١٤٣٨ — ١٤٥٣) م
١٢ — « المنصور عثمان	« « (٨٥٧) هـ (١٤٥٣) م
١٣ — « الأشرف إينال	« « (٨٥٧ — ٨٦٥) هـ (١٤٥٣ — ١٤٦٠) م
١٤ — « المؤيد احمد بن إينال	« « (٨٦٥) هـ (١٤٦٠) م
١٥ — « الظاهر خشقدم	« « (٨٦٥ — ٨٧٢) هـ (١٤٦٠ — ١٤٦٧) م
١٦ — « الظاهر بلباى	« « (٨٧٢) هـ (١٤٦٧) م
١٧ — « الظاهر تيمور بغا	« « (٨٧٢) هـ (١٤٦٧) م
١٨ — « الأشرف قايتباى	« « (٨٧٢ — ٩٠١) هـ (١٤٦٧ — ١٤٩٥) م
١٩ — « الناصر ابن قايتباى	« « (٩٠١ — ٩٠٤) هـ (١٤٩٥ — ١٤٩٨) م
٢٠ — « الظاهر أبى سعيد قانصوه الأشرفى	« « (٩٠٤ — ٩٠٥) هـ (١٤٩٨ — ١٤٩٩) م
٢١ — « الأشرف أبو النصر جانبلاط	« « (٩٠٥ — ٩٠٦) هـ (١٤٩٩ — ١٥٠٠) م
٢٢ — « العادل طومان باى	« « (٩٠٦) هـ (١٥٠٠) م
٢٣ — « الأشرف قانصوه الغورى	« « (٩٠٦ — ٩٢٢) هـ (١٥٠٠ — ١٥١٦) م
٢٤ — « الأشرف طومان باى الغورى	« « (٩٢٢ — ٩٢٣) هـ (١٥١٦ — ١٥١٧) م

وترجع كثرة الآثار والمنشئآت الدينية التى شيدت بالقاهرة فى عصر هؤلاء المماليك إلى سببين : السبب الأول هو محاولة هؤلاء الملوك التكفير عن ذنوبهم ببناء هذه المنشئآت الدينية كما قلنا سابقا . والسبب الثانى هو حالة الرواج التى نتجت عن مرور بضائع الهند بطريق السويس إلى أوربا و بلاد الشرق وما كان يجبى على هذه البضائع من ضرائب وخلافه . وقد ظلت حالة الرواج هذه بمصر إلى أن أكتشف ڤاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح فى القرن السادس عشر الميلادى فتحولت التجارة إلى هناك فى عصر الغورى الذى حارب البرتغاليين لهذا السبب ولكنه لم يفلح . غير أن التجارة مع ذلك عادت من نفسها إلى طريقها الأصلى وظلت تمر به إلى عصر محمد على، ثم ثبتت نهائياً فى هذا الطريق بعد فتح قنال السويس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم الآثار التى شيدت فى عهد دولة المماليك الشراكسة

ويبين الكشف التالى أهم الآثار التى بقيت بالقاهرة من عهد دولة المماليك الجراكسه ومواقعها وتاريخ انشائها الهجرى والميلادى . وسنتكلم عن بعضها وعن بعض منشئيها بالتفصيل بعد ذلك .

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
مدرسة وقبة الظاهر برقوق	٧٨٦ — ٧٨٨	١٣٨٤ — ١٣٨٦	شارع المعز لدين الله (النحاسين سابقاً) .
جامع وتربة الظاهر برقوق	٨٠١ — ٨١٣	١٣٩٨ — ١٤١٠	قرافة المماليك بجبانة القاهرة البحرية .
زاوية فرج بن برقوق	٨١٠ — ٨١١	١٤٠٧ — ١٤٠٩	تقاطع شارع تحت الربع بشارع قصبة رضوان بقسم الدرب الأحمر .
جامع المؤيد	٨١٨ — ٨٢٣	١٤١٥ — ١٤٢٠	تقاطع شارع تحت الربع بشارع المعز لدين الله (السكرية سابقاً) وبملاصقة باب زويلة .
مارستان المؤيد	٨٢١	١٤١٨	سكة الكومى بالمحجر قرب القلعة بقسم الخليفة .
جامع الأشرف برسباى	٨٢٦ — ٨٢٧	١٤٥٣ — ١٤٢٤	شارع المعز لدين الله (الأشرفية سابقاً) .
جامع جانى بك	٨٣٠	١٤٢٧	شارع المغربلين بقسم الدرب الأحمر .
جامع وتربة الأشرف برسباى	٨٣٥	١٤٣١	قرافة المماليك بجبانة القاهرة البحرية .
جامع وتربة السلطان إينال	٨٥٥ — ٨٦٠	١٤٥١ — ١٤٥٦	شارع السلطان أحمد بقرافة المماليك .
رباط خوندزينب زوجة السلطان اينال	٨٥٥ — ٨٦٠	١٤٥١ — ١٤٥٦	شارع الخرنفش .
تربة السلطان قايتباى	٨٧٧ — ٨٧٩	١٤٧٢ — ١٤٧٥	شارع قايتباى بقرافة المماليك .
جامع محمد بن بردبك	٨٩٥	١٤٨٩	شارع أم الغلام .
جامع السلطان قايتباى	٨٨٠	١٤٧٥	شارع قلعة الكبش .
وكالة السلطان قايتباى	٨٨٢	١٤٧٧	شارع الأزهر .
وكالة قايتباى	٨٨٥	١٤٨٠	شارع باب النصر .
سبيل وكتاب قايتباي	٨٨٤	١٤٧٩	شارع شيخون .
قبة يشبك (القبة القداوية)	٨٨٤	١٤٧٩	شارع العباسية .
مدرسة أبو بكر مزهر	٨٨٤ — ٨٨٥	١٤٧٩ — ١٤٨٠	حارة برجوان .
مدرسة قجماس الإسحاقى	٨٨٥ — ٨٨٦	١٤٨٠ — ١٤٨١	شارع الدرب الأحمر .
بيت السلطان قايتباي	٨٩٧ — ٨٩٨	١٤٩٢ — ١٤٩٣	سكة المارداني .
مقعد ماماى (بيت القاضى)	٩٠١	١٤٩٦	ميدان بيت القاضى .
جامع خير بك	٩٠٨	١٥٠٢ — ١٥٠٣	شارع باب الوزير .
جامع قانباي أمير آخور	٩٠٨	١٥٠٢ — ١٥٠٣	بأول درب اللبان بميدان صلاح الدين .
مدرسة قانباى أمير آخور	٩١١	١٥٠٥	شارع الناصرية .
مدرسة وقبة وسبيل ومقعد السلطان الغورى .	٩٠٩ — ٩١٠	١٥٠٣ — ١٥٠٤	شارع المعز لدين الله (الغورية سابقاً) .
وكالة السلطان الغورى	٩١٧	١٥١١ — ١٥١٢	شارع التبليطة .
خان الخليلى	٩١٧	١٥١١ — ١٥١٢	خان الخليلى .
قبة قرقماس أمير كبير	٩١١ — ٩١٣	١٥٠٥ — ١٥٠٧	شارع السلطان أحمد بقرافة المماليك بقايتباى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مدرسة السلطان الظاهر برقوق :

أنشأ هـذه المدرسة الملك الظاهر ابو سعيد برقوق ، أول ملوك دولة المماليك الجراكسة بمصر . بناها (سنة ٧٨٦ — ٧٨٨) هـ (١٣٨٤ — ١٣٨٦) م ملاصقة لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون من الجهة البحرية على رقعة من أرض القصر الصغير الغربى الفاطمى .

وقد تكونت من واجهة هذه المدرسة ومن واجهة مدرسة الناصر محمد ومن واجهة قبة ومدرسة السلطان قلاوون أقول تكونت من هذه الواجهات المتلاصقة المتلاحقة المطلة على شارع المعز لدين الله مجموعة من أجل المبانى الأثرية بالقاهرة منظراً ، ومن أكثرها سحراً وجاذبية فإذا تأملتها سمت بك فى سماء الخيال وتكشفت لك عن سر من أسرار القاهرة الشرقية وشعرها وجاذبيتها وسحرها الفتان . هنا فى هذا المـكان كان منذ نيف وألف عام بستان جميل زاهر هو بستان كافور الأخشيدى فإذا به بسحر الفن يتحول إلى قصر بديع رائع تغنت بجماله القاهرة الفاطمية مدة قرنين من الزمان وهو القصر الصغير الغربى الفاطمى و إذا به بسحر هذا الفن نفسه يتحول إلى مساجد و بيمارستانات وخوانق ومدارس وقباب ومآذن يأخذ جمالها بلبك و بسحرك و يسمو بك إلى أعلى عليين . فما أسعد هذا المـكان وما أجمله وما أجل قدره !

والمدرسة مبنية بالأحجار الضخمة التى استعملت العجول فى نقلها على عربات خاصة ولهذا يعرف هـذا النوع من الحجر باسم « الحجر العجالى» . وأنى أرجح أن برقوق نقل هذه الأحجار ونقل الأعمدة من قلعة الروضة بعد هدمها.

تربة برقوق

بعد وفاة برقوق سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨)م شرع إبنه وخليفته السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج فى إنشاء تربة ضخمة للعائلة المالكة الجديدة عائلة الظاهر برقوق ، أقامها فى جبانة القاهرة البحرية المعروفة الآن باسم جبانة المماليك . وقد استغرق بناء هذه التربة ١٢ سنة من سنة (٨٠١ — ٨١٣) هـ (١٣٩٨ — ١٤١١) م وقد وضع تصميمها بحيث تصلح لأغراض هامة متعددة . فبينما هى أعدت لتكون تربة فإذا بها خانقاه فخمة لتعبد الصوفية و إذا بها مدرسة تدرس بها العلوم الشرعية و إذا بها مسجد جامع فسيح الأرجاء مستكمل جميع معدات الصلاة . فلا غرابة بعد ذلك أن تكون هذه التربة أضخم تربة وجدت فى جميع جبانات مصر والقاهرة وأكبرها مساحة وأعظمها نفقة . وقد حليت ورقة الجنيه المصرى الحالى التى يصدرها البنك الأهلى بصورة لهذه التربة مأخوذة من داخل صحنها . وقد بلغ من اهتمام الناصر فرج بها أنه جعل ما حولها مدينة عامرة بأسواقها وخاناتها وحماماتها ولـكنه مات قبل أن يدرك كل غايته . ولا يزال بجوار هذه التربة مجموعة من المبانى الحقيرة والعشش تعرف الآن باسم عزبة البرقوقى أو عزبة الصعايدة قامت على أنقاض مدينة الناصر فرج المندثرة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وتعرف الآن القرافة البحرية التى بها تربة برقوق بين العامة باسم مقابر الخلفاء . وهذا خطأ لأنه لا يوجد بهذه المنطقة قبر واحد لخليفة من خلفاء العباسيين أو الفاطميين . وربما يكون منشأ هذا الخطأ من التراجمة والأدلاء الجهلاء . كما يسميها العامة أيضاً قرافة الغفير وهذا خطأ أيضاً منشأه أن خفير نقطة تحصيل عوائد الدخولية قديماً كان يسكن فى قبة الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه الأشرفى بهذه الجهة فاشتهرت به وعرفت باسم قرافة الغفير . كما أنها تعرف أيضاً باسم قرافة المماليك وهذا أصح وأكثر انطباقاً عليها . وقد دفن بتربة برقوق هذه : الملك الظاهر برقوق نفسه وابنه المنصور عبد العزيز المتوفى سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) وذلك فى القبة البحرية ، أما فى القبة القبلية فقد دفنت بنت الناصر فرج « خوند شقرا » المتوفاه سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) وكذا « خوند حريز » المتوفاه سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) .

ومن المميزات المعمارية لهذه التربة واجهتها الغربية الجميلة المزدانة بمئذنتين بديعتين وواجهتها الشرقية المتوجة بقبتين شامختين متماثلتين رسماً وحجماً تتوسطهما قبة صغيرة ثالثة تعلو المحراب مباشرة . وقد حلى سطح القبتين برسوم بارزة نقشت فى الحجر .

أما السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق الذى بنى هذه التربة فقد ولد سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) ثم اعتلى العرش بعد أبيه سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) وعمره أقل من عشر سنين وظل بالحكم حتى قتل سنة ٨١٥ هـ ودفن بمقابر دمشق . وحدث فى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) أنه خلع فخلفه أخوه المنصور عبد العزيز ثم أعيد ثانية فقبض على أخيه وسجنه ثم قتله سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) ودفنه بتربة برقوق .

وفى عهده أيضاً وضع ابن خلدون العالم المغربى المشهور كتابه : العبر وديوان المبتدا والخبر ثم وضع مقدمة ابن خلدون الشهيرة . وفى مقدمته هذه وصف بديع لمصر والقاهرة وأحوالها العلمية والصناعية .

زاوية فرج بن برقوق أو الدهيشة :

هذه الزاوية خارج باب زويلة على رأس تقاطع شارع تحت الربع بشارع قصبة رضوان . كانت فى الأصل بارزة فى شارع تحت الربع فهدمتها إدارة الآثار العربية وأرجعتها إلى الوراء بحالتها الراهنة بنفس مقاييسها القديمة ومواد بنائها الأصلية .

أنشئت هذه الزاوية سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) على يد جمال الدين يوسف الاستادار بأمر السلطان فرج بن برقوق وهى مكونة من قاعة واحدة كانت جدرانها الداخلية مكسوة بالرخام و يسقفها زخارف ملونة ومذهبة . وبها سبيل له سلسبيل من الرخام على حافته نقوش حيوانات وقد أودع دار الآثار العربية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الملك المؤيد وجامع المؤيد :

الملك المؤيد أبو النصر المحمودى الظاهرى برقوق شركسى الأصل ولد حوالى سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨) م وأخذ من بلاده و بيع بالقاهرة سنة ٧٨٣ هـ فاشتراه محمود اليزدى تاجر المماليك ولذلك عرف بالمحمودى نسبة إليه . وقدمه إلى الظاهر برقوق وقت أن كان نائباً للسلطنة ، فى عهد السلطان حاجى بن شعبان . فأعتقه برقوق وعلمه الفروسية بأنواعها وعينه فى جملة وظائف وجعله أميراً للحج سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) ثم ولاه نيابة طرابلس والشام . وفى سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢م) ولى ملك مصر و بقى به إلى أن توفى سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١) م . وكان المؤيد عالما جليلا وموسيقياً بارعا وخطيبا. ومن آثاره الخالدة (جامع المؤيد) الملاصق لباب زويلة . وتشرف واجهة هذا الجامع القبلية على شارع تحت الربع (أحمد ماهر باشا الآن) . وهى قائمة على أساس سور القاهرة القديم الذى بناه بدر الجمالى ولا يزال لهذا السور بقية بحمام المؤيد الكائن غربى الجامع . أما الباب الرئيسى لهذا الجامع فهو الباب الأصلى لمدرسة السلطان حسن بجوار القلعة ، اشتراه الملك المؤيد بأبخس ثمن وركبه على باب جامعه ولا يزال إسم السلطان حسن منقوشاً عليه . ولا شك أنه أكبر وأفخم باب نحاس بالآثار الإسلامية . وتعلوه طاقية مقرنصة رائعة الجمال . وأما مئذنتا هذا الجامع فمنفصلتان عنه وقائمتان على بدنتى باب زويلة ، فقد انتهز مهندس المؤيد فرصة وجود باب زويلة بملاصقة الجامع فهدم أعلا البدنتين و بنى فوقهما مئذنتى مسجد المؤيد .

والآن إذا سرت فى شارع تحت الربع (شارع أحمد ماهر باشا) تشرف عليك واجهة جامع المؤيد بضخامتها وارتفاعها الشاهق و بملاصقتها باب زويلة تعلوه مئذنتى المؤيد الضاربتان فى السماء فيخيل إليك أنك دخلت فجأة مدينة العماليق الساحرة التى تعيد إلى الأذهان ذكرى هذه الأيام المجيدة أيام القاهرة الشرقية المملوءة بالسحر والفتنة والهيبة والجمال .

ومن آثار المؤيد أيضاً (البيمارستان المؤيدى) شيده سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨م) وهو يقع بالقرب من القلعة بسكة الكومى بالمحجر بقسم الخليفة . وكان مستشفى تعالج فيه جميع الأمراض البدنية والعقلية ويدرس فيه الطب .

الملك الأشرف برسباى والمدرسة الأشرفية :

بعد موت المؤيد خلفه ثلاثة ملوك ضعاف لم يتركوا أثراً بالقاهرة . وكانت القاهرة فى عصرهم دائمة الأصابة بوباء الطاعون و بتقصيرات النيل المستمرة وانتشار الغلاء . ثم خلفهم الملك الأشرف برسباى . وأصل السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبوالنصر برسباى من مماليك الظاهر برقوق . ولى ملك مصر سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢١) م وتوفى سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧) م ودفن بتربته بقرافة المماليك وهى جبانة القاهرة البحرية المذكورة سابقاً . وفى مدته أبطل استعمال النقود الذهبية الأجنبية واستعمل بدلها العملة الأشرفية وهى من خالص الذهب وأجود الفضة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ومن آثار الأشرف برسباى بالقاهرة مسجده المعروف (بالمدرسة الأشرفية) على رأس تقاطع شارع السكة الجديدة بشارع المعز لدين الله (الأشرفية سابقاً) على يمين الداخل من شارع السكة الجديدة . ولهذا المسجد واجهة كبيرة شرقية تتكون من سبيل وكتاب وباب تجاوره مئذنة جدد جزؤها العلوى حديثاً . والباب العمومى مغشى بالنحاس المخرم . وتصميم هذا المسجد على مثال المدارس : أواوين أربعة تحيط بصحن مكشوف . ومن مميزات العمارة فى عصر برسباى الاعتناء الزائد بصناعة الرخام . وبالركن الشرقى البحرى للمسجد تربة زوجة الملك الأشرف خوند الكبرى فاطمة وابنه الناصرى محمد تعلوها قبة سطحها الخارجى محلى بنقوش جميلة . ومن ظريف ما يذكر أن السوق المجاورة للجامع من جهته القبلية قد خصصت لبيع العنبر منذ سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) وما زالت حتى الآن مخصصة لبيع الروائح العطرية . أما آثار الأشرف برسباى الأخرى فهى تربته وهى عبارة عن جامع وخانقاه ومدرسة وقبة وتقع بقرافة المماليك إلى جنوب تربة برقوق وبينهما تربة جانى بك الأشرفى .

ومقابر المماليك تحف أثرية بديعة تزين جبانة القاهرة البحرية وتجعل لها ميزة غير متوفرة فى جبانة أى مدينة إسلامية أخرى . ومن آثار الأشرف برسباى أيضاً مدرسته أو جامعه الذى أنشأه بالخانكة .

من برسباى الى قايتباى :

لما توفى الملك الأشرف برسباى سنة ٨٤١ هـ خلفه ابنه الملك العزيز جمال الدين . وقد أوصى والده بأن يكون القائد الأكبر چقمق وصياً عليه فلم يرض المماليك بذلك فخلع الملك العزيز وتسلطن القائد چقمق سنة ٨٤٢ هـ وكان الطاعون بالقاهرة . وكان الملك چقمق ملكا جليلا خيراً متواضعاً خلع نفسه في مرض موته وعهد بالأمر لولده الملك المنصور عثمان سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) . وفى عهد چقمق توفى الشيخ (تقى الدين المقريزى) صاحب كتاب الخطط المشهورة وذلك سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤١ م) .

أما المنصور عثمان فلم يبق بالملك سوى أشهراً ثم خلع وخلفه الملك الأشرف إينال إلى أن خلع سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) . وتدين جبانة المماليك للملك الأشرف إينال بأثر من أجل آثارها إلا وهو جامع ومدرسة وخانقاه وتربة السلطان الأشرف إينال بنيت بين سنة ٨٥٥ هـ و ٨٦٠ هـ (١٤٥١ — ١٤٥٦م) . وهذا الجامع من أجمل آثار المماليك . كما يدين له حى الخرنفش بأثر آخر هو رباط خوند زينب زوجة السلطان إينال بنى فى نفس التاريخ المذكور سابقا .

وكان الملك الأشرف إينال ملكا هيناً ليناً قليل الأذى لولا جور مماليكه فى حق الناس وكانت أيامه كلها لهواً وانشراحاً . ولما أشرف على الموت خلع نفسه وولى ابنه الملك المؤيد احمد بن إينال سنة ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) . ولكن المماليك تألبوا عليه وخلعوه وتوجهوا إلى بيت قائد الجند خشقدم وولوه غصباً . وخشقدم ثالث ملوك الروم بمصر بعد السلطان إيبك التركمانى الرومى الأصل والسلطان لاچين الرومى الأصل أيضاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى عهد خشقدم تولى الوزارة احمد بن العينى الذى بنى قصر العينى المشهور . حيث كلية الطب الآن. وكان هذا القصر يطل على البحر بالمنطقة التى كانت تعرف قديما باسم منشية المهرانى . ومات السلطان الملك الظاهر خشقدم سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م فتولى الملك بعده الظاهر بلباى وكانت أيامه قليلة الخير كثيرة الشر وعظم الغلاء وقطعت الطرقات على المسافرين ثم حبس بالاسكندرية وتولى الملك بعده الملك الظاهر تيمور بغا وأصله رومى الجنس من مشتريات الملك الظاهر جقمق وهو رابع ملوك الروم بمصر خلع سنة ٨٧٢ هـ و بعد أن جلس على العرش عدة شهور ثم تولى بعده الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م .

القاهرة — أحد أبواب خان الخليلى فى القرن الماضى

الملك الأشرف قايتباى وآثاره بالقاهرة :

أصله جركسى الجنس جلبه الخواجا محمود تاجر المماليك واشتراه منه الملك الأشرف برسباى بخمسين دينارا ثم اشتراه الملك الظاهر جقمق وأعتقه فتقلب فى جملة وظائف إلى أن صار ملكا سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦٧) م ومكث على سرير الملك ٢٨ عاما إلى أن توفى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥) م. وفى عهده توفى القائد تغرى بردى الرومى الأصل صاحب كتاب (**النجوم الزاهرة**) سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩) م.

الأزبكية :

فى عهد قايتباى شرع قائدة أزبك بك فى تعمير قسم الأزبكية الحالى وكان فى مكانه تلال وكيمان فى أرض سماد بها سنط وأشجار أثل . وكانت أرض هذا الحى قديما عامرة بالمناظر والبساتين وكانت تسمى مناظر اللوق . وكانت قريبة من نهر النيل يوم كان النيل يمر بميدان المحطة الحالى ثم بشارع الملكة نازلى فشارع عماد الدين وما فى امتداده جنوبا . وقد سبق لكافور الأخشيدى أن حفر هناك ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان المقسى . وتقع أرض هذا البستان الآن مقابل مدرسة الفرير بالخرنفش من جهة الغرب . ولما زال البستان المقسى فى أيام الخليفة الظاهر الفاطمى جعل بركة أمام منظرة اللؤلؤة . وموقع منظرة اللؤلؤة الآن هى الأرض التى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تقوم عليها مدرسة الفرير بالخرنفش . وكان الماء يدخل من هذه الترعة إلى البركة . ثم سميت هذه الترعة خليج الذكر لأن أميراً من امراء الملك الظاهر بيبرس يدعى شمس الدين الذكر قام بتطهيرها وتعميقها . وبقى خليج الذكر عامراً وكان من جملة متنزهات القاهرة . وبنى على هذا الخليج قنطرة وفوقها دكة للمتفرجين يجلسون عليها للفرجة . وقد عرف مكانها باسم قنطرة الدكة ولا يزال شارع وميدان قنطرة الدكة الحاليان يحملان اسم هذا المكان .

مسجد الأمير أزبك اليوسفى الواقع بحى ابن طولون ويرجع تاريخ انشاء هذا المسجد إلى سنة ١٤٩٩ م . وينسب حى الازبكية الحالى الى الأمير أزبك صاحب هذا المسجد . وكان للامير أزبك مسجد آخر بجوار حديقة الأزبكية . وقد هدم هذا المسجد بمناسبة فتح شارع محمد على وتنظيم ميدان العتبة الخضراء سنه ١٨٧٥ .

آثار اخرى لقايتباى

والسلطان الملك الأشرف قايتباى فى مقدمة ملوك مصر الذين عنوا بالعمارة الاسلامية ، واهتموا بتنظيم شوارع القاهرة وتعديلها وتوسيعها وتخطيطها . وقلّ أن يخلو حى من أحياء القاهرة أو اقليم من أقاليم القطر المصرى أو قطر من الأقطار الإسلامية إلا وله فيه أثر لامع . وما من شك فى أن جميع المنشئات التى أقامها أو جددها أو أنشأها أمراء دولته تمتاز مبانيها بالرشاقة والجمال والغنى بالزخارف والفنون ودقة الصناعة .

ومن منشآته فى القاهرة طائفة من المساجد والمدارس والوكالات والمنازل والأسبلة ، ذلك إلى ما قام به من تجديد

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مساجد ومشاهد جاوز عددها الثلاثين . وأهم آثاره تربة قايتباى بقرافة المماليك وجامع قايتباى بشارع قلعة الكبش ووكالة قايتباى بشارع الأزهر وجامع الروضة وسواها كثيراً جداً .

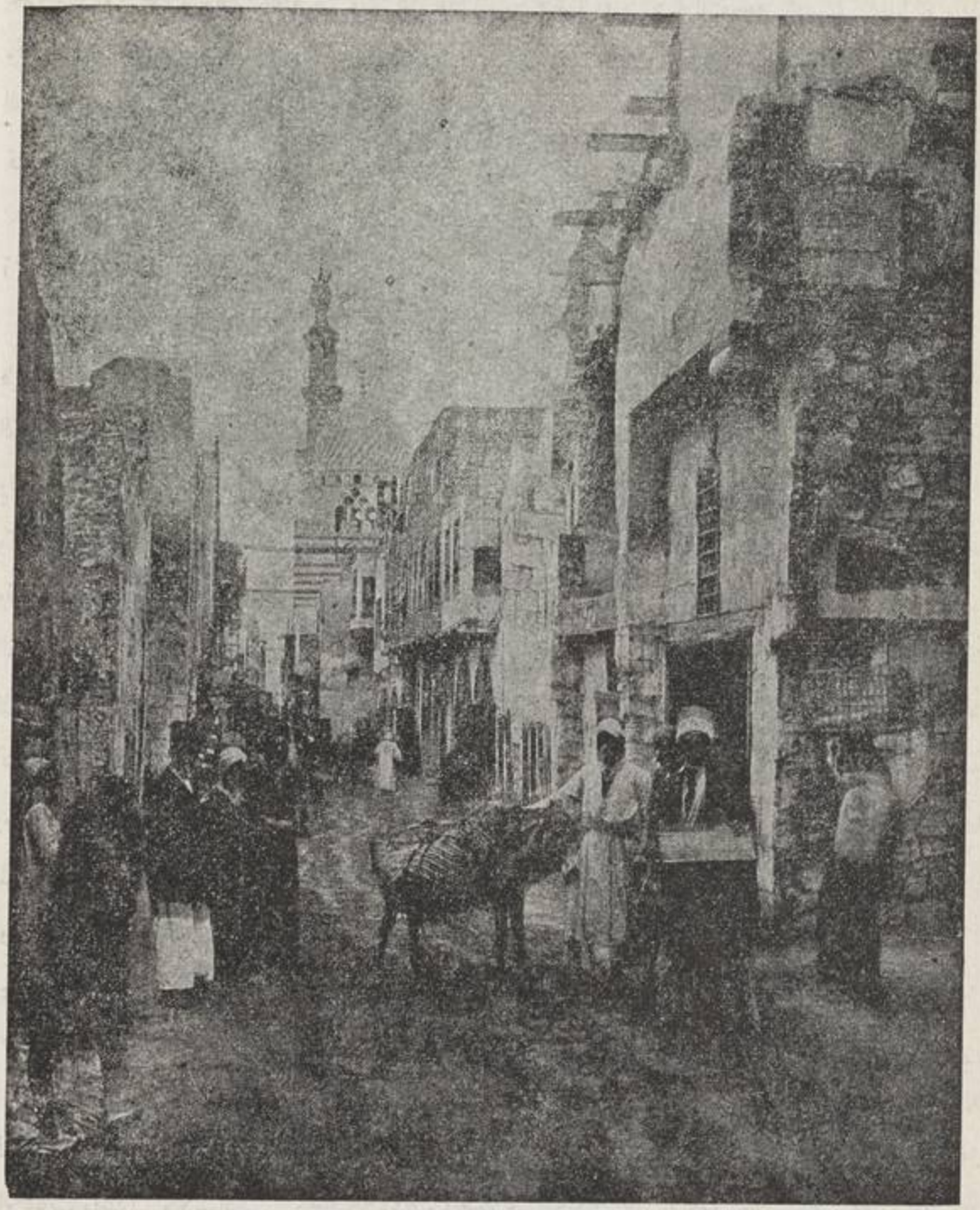

جامع وحى قايتباى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما عنايته بالحصون فكانت تفوق الوصف فقد أنشأ طابية قايتباى بالاسكندرية وبناها على أساسات منارة الاسكندرية القديمة المشهورة كما أنشأ طابية أخرى برشيد .

وبالقاهرة الآن حى كبير يعرف باسم **قايتباى** أنشأ به هذا الملك مسجداً به تربته وهو يعد فخر العمارة العربية بلا منازع .

مى قايتباى :

كانت المنطقة الممتدة من القلعة إلى العباسية حتى القرن الرابع عشر الميلادى ميدانا فسيحا لألعاب المماليك وتمريناتهم يطلق عليه اسم ميدان القبق . ثم أخذ ملوك مصر حوالى منتصف ذلك القرن ينشئون فى هذه المنطقة المساجد والخوانق ، ويلحقون بها مقابر لهم متبارين فى هذا المضمار . فلم ينته القرن الخامس عشر حتى ازدحمت بطائفة من الآثار تطاول السماء بمناراتها الرشيقة وقبابها المزخرفة وأصبحت بحق مدينة القباب . وكان أكثر الملوك عناية بتشييد تلك الآثار الملك الأشرف قايتباى حتى لقد عرفت المنطقة باسمه .

ويقع مسجد قايتباى جنوبى تربة الأشرف برسباى ويتكون من مدرسة وتربة وسبيل وكتاب وملحقات أخرى وواجهته الشمالية هى الواجهة الرئيسية وقد حلى بابها بالرخام الملون والكتابات وتقوم على يمينه منارة من أرشق منارات القاهرة . وبالمسجد قبة شديدة الارتفاع ازدانت من الخارج بنقوش مورقة ومن الداخل بزخارف ملونة وزجاج بديع وهى تضم قبر قايتباى وقبر ابنه كما أن بها مقبرة أخرى لبعض أقاربه . وهذا المسجد من أشهر الأماكن الأثرية التى يقصدها باستمرار السياح والعلماء والمستشرقين .

القبة الفداوية :

عرفت هذه القبة بالفداوية نسبة إلى طائفة من الشيعة يعرفون بالفداوية أشداء يستهترون بالموت ويسترخصون الحياة . ولذلك عنى بهم ملوك مصر وخصصوا لهم المرتبات . وتقع هذه القبة بشارع العباسية بقسم الوايلى . أما منشىء هذه القبة فهو الأمير يشبك من مهدى الدوادار سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩) م وهو من أمراء قايتباى . وقد أنشأ بجوارها مدرسة وغرس حولها حدائق مما جعل هذه المنطقة إحدى متنزهات القاهرة بعد أن كانت فضاء تحوى بعض القبور . ومات الأمير يشبك سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠) م قبل أن يتمها فأتمها السلطان قايتباى وكتب ألقابه عليها وهى حافلة بالزخارف الملونة وحولها الآن متنزه ظريف أنشأته مصلحة التنظيم . وكان الغرض الأصلى من إنشاء هذه القبة هو أن تكون منظرة ينزل بها يشبك أو السلطان للراحة والرياضة وأقيم بها محراب للصلاة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

هى القبة :

ويلاحظ أن للأمير يشبك قبة أخرى لاتزال قائمة اليوم بحى القبة وتنسب إلى السلطان الغورى لأنه كان ينزل بها للنزهة . وقد بنى الناس قرية جديدة حول هذه القبة فى القرن الحادى عشر الهجرى عرفت باسم قرية القبة نسبة إلى القبة المذكورة . ومن هنا أتى اسم الأحياء المعروفة اليوم بحدائق القبة وسراى القبة وحمامات القبة وكوبرى القبة من ضواحى القاهرة .

بيت القاضى أو مقعد ماماى :

تخلف هذا المقعد عن منزل كبير انشأه ماماى السيفى أحد أمراء السلطان قايتباى . وهو أكمل مثال للمقاعد المنشأة فى عهد قايتباى وواجهته مكونة من باب به مقرنصات جميلة وعقود محمولة على أربعة أعمدة تيجانها مصرية تمثل زهرة اللوتس . وللمقعد سقف شاهق حافل بالزخارف والألوان والتذهيب وأسفله عدة حواصل . وكان متخذا قبل إصلاحه مقراً للمحكمة الشرعية ولذلك عرف ببيت القاضى .

منزل ماماى فى القرن الماضى

من قايتباى الى طومان باى :

لما توفى السلطان الملك الأشرف قايتباى سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٦ م) ، تولى بعده ابنه محمد الملقب بالملك الناصر بن قايتباى وكان عمره ١٤ سنة ثم قتل سنة ٩٠٤ هـ فخلفه خاله الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه صاحب قبة الغفير المشهورة بقرافة المماليك سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩) م . ثم قامت فتنة فى البلاد خلع على أثرها الملك الظاهر قانصوه وتولى بعده الأشرف جنبلاط أحد مماليك قايتباى سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠١) م ثم خلع جنبلاط وتولى بعده الملك العادل طومان باى ثم الملك الأشرف قانصوه الغورى .

وتربع السلطان الغورى على عرش مصر ١٦ عاماً وقد امتاز عصره بإصلاح مالية الدولة وبزيادة الضرائب وبجمع الأموال ظلماً وهى الأموال التى أنشأ منها مجموعة الآثار القائمة الآن فى المنطقة الواقعة عند تلاقى شارعى الأزهر والمعز لدين الله (الغورية سابقاً) ، وهى مكونة من مسجد (مدرسة) الغورى وينتهى طرفها القبلى بمنارة مربعة شاهقة تنتهى بدورة مكونة من أربع رؤوس ، ومن قبة الغورى وكانت مكسوة بالقاشانى الأزرق . ويقوم فى الطرف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

البحرى لقبة الغورى سبيل وكتاب . ويقوم عند نهاية هذا السبيل ، منزل أعده الغورى لسكنى شيخ المدرسة يجاوره فضاء لا شك أنه كان يشمل بناء آخر للغورى، إذ تتصل به وكالة كبيرة شغلت شارع التبليطة ، ويقع خلفها حمام معروف بحمام العرائس .و قد تم بناء هذه المجموعة سنه ٩٠٩ هـ (١٥٠٤) م ، وكانت تضمها سقيفة واحدة ظلت قائمة حتى سنة ١٨٨٢ م . ولما انتهى بناء مسجد أو مدرسة الغورى احتفل بافتتاحها فرفعت الزينات ابتدأ من باب زويلة. أما قبة الغورى فقد نقلت إليها عقب تشييدها الآثار النبوية التى كانت فى رباط الآثار ، ولبثت فيها حتى حملت إلى مسجد السيدة زينب وتنقلت بعد ذلك بين القلعة وديوان الأوقاف وقصر عابدين العامر ، حتى استقرت فى المشهد الحسينى . ولم يدفن الغورى بقبته ، إذ قتل فى معركة مرج دابق ولم يوقف لجثته على أثر .

وقد عرفت منطقة آثار الغورى منذ ٤٠٠عام «بسوق الشربشيين» إذ كانت بها حوانيت مخصصة لصنع الكساوى التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . ومما يذكر بهذه المناسبة ، أنه لا تزال لليوم عند أسفل مسجد الغورى عدة دكاكين يشغلها مشاهير حائكى الملابس البلدية وكسوة التشريفة الخاصة بالعلماء .

وقد هدمت قبة الغورى سنة ١٩٠٨ وحل محلها سقف مستو ، وإلى عهد قريب كان يشغل هذه القبة الخزانه الزكية التى أوقفها المرحوم احمد زكى باشا شيخ العروبة ونقلت الآن إلى دار الكتب بميدان باب الخلق . وقد أنشأ السلطان الغورى أيضاً مأذنة برأسين بالجامع الأزهر وهى موجودة للآن ، وجدد عمارة خان الخليلى وأنشأ به ربوعاً وحواصل .

منظر داخلى لخان الخليلي في القرن الماضى

خان الخليلى

خان الخليلى مشهور بين جميع السائحين بالعالم ، تعرض فى أسواقه أنواع البضائع الشرقية من أقمشة وخيام ونحاس منقوش وأوانى مزخرفة بآيات قرآنية وسجاد ومسابح .

أنشأه فى الأصل جهاركس الخليلى أحد أمراء السلطان برقوق مكان مقابر الخلفاء الفاطميين . وفى سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م) هدمه السلطان الغورى وجدده .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

آثار أخرى للغورى :

وأنشأ الغورى أيضاً ربوعاً ودكاكين فى باب القنطرة (باب الشعرية الآن) وبين السورين وأنشأ الميدان تحت القلعة وجدد جملة عمارات بها. ونقل إلى الميدان الأشجار من بلاد الشام وأجرى إليه ماء النيل من سواقى نقالة لا تزال آثارها موجودة بفم الخليج وهى على رأس حوائط العيون التى كانت تغذى القلعة وملحقاتها منذ أيام صلاح الدين وظلت تغذيها حتى عهد محمد على باشا .

وجدد الغورى عمارة مقياس النيل بجزيرة الروضة كما جدد عمارة قناطر السباع التى كانت بميدان السيدة زينب قبل ردم الخليج المصرى وأنشأ طابية الغورى على ساحل البحر الأبيض المتوسط . وجدد طوابى الإسكندرية . وأصلح درب الحج القديم . وله آثار أخرى كثيرة .

تجارة الهند :

كانت التجارة بين أوربا والهند قبل عصر الغورى تمر بميناء الإسكندرية . فكانت البضائع ترد من چنوا والبندقية إلى الإسكندرية ثم تنقل بالقوافل إلى رشيد ثم بالسفن إلى القاهرة حتى ثغر بولاق ومن هناك تنقل بالقوافل ثانية إلى السويس .

وقد فرضت على هذه البضائع ضرائب فادحة تحملها التجار حتى اكتشف فاسكو دى جاما طريق رأس الرجاء الصالح فتحولت إليه . وقد حارب الغورى البرتغاليين لمنعهم من تحويل التجارة عن بلاده ولكنه لم ينجح فى ذلك .

نهاية المماليك :

وظل نجم السلطان الغورى مع ذلك ساطعاً حتى سنة ٩١٧ هـ (١٥١١) م حين هاجمت الجيوش العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول بلاد الشام فخرج اليها الغورى وظل يجالدها خمس سنوات كاملة وكاد يتغلب عليها لولا خيانة خاير بك أحد أمراء جيشه الذى كشف للعدو نقط الضعف فى الجيش المصرى فهزم الغورى وقتل فى معركة مرج دابق تحت حوافر الخيل سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦) م ولم يوقف لجثته على أثر .

وكانت مكافأة هذا الخائن بعد سقوط مصر فى أيدى العثمانيين أن عين أول والى تركى على هذه البلاد من قبل السلطان سليم الأول . وقد أقام هذا الوالى التعس مسجداً باسمه لا يزال قائماً بشارع باب الوزير للآن .

ولما قتل الغورى فى هذه المعركة الطاحنة تولى الملك بعده نائب السلطنة طومان باى ابن أخى الغورى وآخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة .

وهيأت هزيمة الجيش المصرى بمرج دابق الفرصة للسلطان سليم التركى فسرعان ما طمع فى فتح مصر والقضاء على دولة المماليك فسار إليها بجيش عرمرم وحاول طومان باى إيقاف هذا الجيش فى الصحراء بالقرب من عين شمس

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولكنه هزم وارتد إلى باب النصر و إلى داخل المدينة . فدخلت جنود السلطان سليم التركى القاهرة فى أثره وقبضوا عليه فى القلعة . واستمروا ينهبون الدور والقصور مدة ثلاثة أيام متوالية فلم يتركوا خيولاً ولا مالا ولا ملابس إلااستولوا عليها واغتصبوها من أصحابها . ثم قادوا هذا السلطان التعس إلى باب زو يلة حيث شنقوه وصلبوا جثته . ثم أمر السلطان سليم بدفنه فى قبة الغورى . و بموت طومان باى واستيلاء جنود السلطان سليم على القاهرة انتهت دولة المماليك الجراكسة .

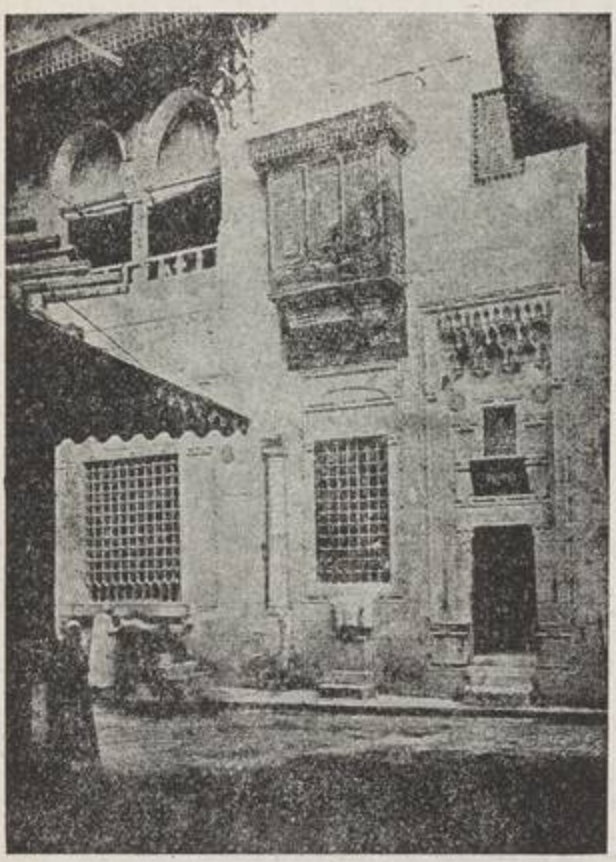

واجهة منزل جمال الدين الذهبي بحارة خشقدم .

وعلى ذلك تكون مصر قد ظلت خاضعة لحكم دولة المماليك البحرية مدة ١٣٦ سنة و ٤ شهور و٢٠ يوماً ، ولحكم دولة المماليك الجراكسة مدة ١٣٨ سنة و٣ شهور و١١ يوماً. وتكون مدة حكم المماليك جميعها ٢٧٤ سنة و٨ شهور و يوماً واحداً .

وقد ذكر المقريزى معظم ما شيده هؤلاء المماليك ومن سبقهم من حكام مصر منذ الفتح العربى من مدارس وجوامع ومساجد وزوايا ور بط وخوانق بالقاهرة ، كما ذكر أخطاط هذه العاصمة وحاراتها وخاناتها وفنادقها وأسواقها وميادينها وحماماتها وخلجانها وقناطرها و بركها وحياتها الاجتماعية فى عصرهم .

و يستفاد من كل ماذكره المقريزى وسواه من مؤرخى القاهرة فى هذا العصر المملوكى أن هذه العاصمة قد سعدت حيناً وشقت أحياناً ولكنها مع ذلك تقدمت واتسعت وكثرت عماراتها وارتقت فنونها وأتقنت نقوشها وزخارفها اتقاناً فائقاً . ولا غرابة فى ذلك فمعظم هؤلاء المماليك أجانب منهم الرومى ومنهم الجركسى ومنهم التترى ومنهم التركى ومنهم الروسى ومنهم الأرمنى ومنهم القبرصى ومنهم الإيطالى ومنهم الصقلى ، ولكل بلد من هذه البلاد فنون خاصة ، فكان من الطبعى أنه متى خلصت لهؤلاء القوم السلطة فى مصر أن يستقدموا فنانى بلادهم و يغدقوا عليهم الخيرات فيقيموا لهم هذه الصروح الخالدة وهذه المنشآت الجميلة التى تعد من أجمل وأبرع الآثار ليس فى العالم الإسلامى وحسب ولكن فى عالم الفن كله .

وهكذا فأنت ترى أنه حتى فى عصر دولة المماليك المضطرب تقدمت القاهرة تقدماً مستمراً موفقاً . ولكن لما ابتدأ العصر التركى سنة ١٥١٧ م ، وقفت هذه النهضة الفنية وعاشت القاهرة على ذكرى الماضى .أما مصر فقد فقدت بهذا الاحتلال التركى استقلالها الذى تمتعت به طوال العصور الوسطى وأصبحت منذ هذا العهد ولاية من ولايات الدولة العثمانية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الخامس

العصر التركى

من سنة (٩٢٣ — ١٢١٣) هـ (١٥١٧ — ١٧٩٨) م

قضى الأمر واستولى السلطان سليم الأول التركى على مصر فى ١٥ أبريل سنة ١٥١٧ م ، فتحولت القاهرة من عاصمة أمبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من الولايات التابعه للقسطنطينية . وكان من المقدر لهذه العاصمة أن تظل بعد هذا التاريخ ثلاثة قرون تحت حكم الولاة العثمانيين المزعزع تتقاذفها الأهواء وتلعب بمقاديرها الأعاصير السياسية حتى أتاح لها الله محمد على باشا الكبير رأس العائلة المالكة الكريمة الذى أنقذها من هذا البلاء المقيم وجدد شبابها .

أقام السلطان سليم الأول التركى بالقاهرة ثمانية شهور كامله بعد فتح مصر ، وضع فى أثنائها نظاماً خاصاً لحكم البلاد وذلك لكى لا يطمع أحد حكامها فى الإستقلال بها منتهزا فرصة بعدها عن القسطنطينية ، ولكى يضمن بقاءها دائماً تابعة للحكم التركى ، فهداه تفكيره إلى توزيع السلطة بين ثلاث هيئات متنافسة وهى : (أولا) الوالى الذى ينوب عن السلطان فى حكم مصر و (ثانياً) الديوان المؤلف من قواد جيش الاحتلال التركى و (ثالثاً) المماليك حكام مصر قبل الاحتلال التركى .

أما الوالى فكان يلقب (بالباشا) ، ويقيم بالقلعة ، وكان من أهم واجباته تنفيذ أوامر السلطان التركى وتبليغها لرجال الحكومة والشعب ، وكانت مدة حكمه قصيرة من سنة إلى ثلاث سنوات ، وذلك خشية أن يطمع فى الاستقلال بمصر .

وعند قدوم الوالى من الأستانة ونزوله فى ثغر بولاق ، كانت تضرب المدافع فى القاهرة ثم يذهب إلى القلعة ممتطياً جواداً فى موكب حافل من الفرسان والمشاة وأمراء المماليك . فيمر فى طريقه من قرية بولاق إلى القاهرة بين أراضى زراعية يمتد فى وسطها جسر أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) حتى يصل إلى بركة الأزبكية ومن هناك ينحدر جنوباً إلى القلعه .

وقد امتاز بعض الولاة العثمانيين بحب العدل والميل إلى الإصلاح ولكن أغلبهم كانوا مستبدين ، لا همّ لهم إلا جمع الضرائب وإرسالها إلى استامبول ثم جمع المال لأنفسهم . وكثيراً ما قام النزاع بين الولاة وديوان جيش الاحتلال التركى أو بينهم وبين المماليك . وعند ذلك كانت تصبح القاهرة مسرحاً للفتن والحروب والمعارك الدموية كما كان

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الحال فى عهد المماليك . أما جيش الاحتلال التركى فكان مؤلفاً من الحامية العثمانية التى تركها السلطان سليم فى مصر وكان عددها ١٢ ألف جندى . وكانت وظيفة هذا الجيش الأولى هى مساعدة الوالى فى تنفيذ أوامر السلطان والدفاع عن مصر . وكان هذا الجيش مؤلفاً فى أول الأمر من ست فرق ممتازه اشتهرت ببراعتها فى الحروب وأهمها فرقة الانكشارية.

أما قواد هذه الفرق فكان يتألف منهم مجلس يسمى (الديوان) يجتمع فى القلعة ومهمته مراقبة الوالى ومساعدته . وكان لجيش الاحتلال التركى نفوذ كبير فى البلاد فكثيراً ما كان يثور ضد الوالى ويعزله أو يقتله حتى أصبح كثير من الولاة ألعوبة فى يده . ولكن مع الزمن وقلة الحروب فقد هذا الجيش كثيراً من صفاته الحربية وركن رجاله إلى عيشة الكسل والخمول .

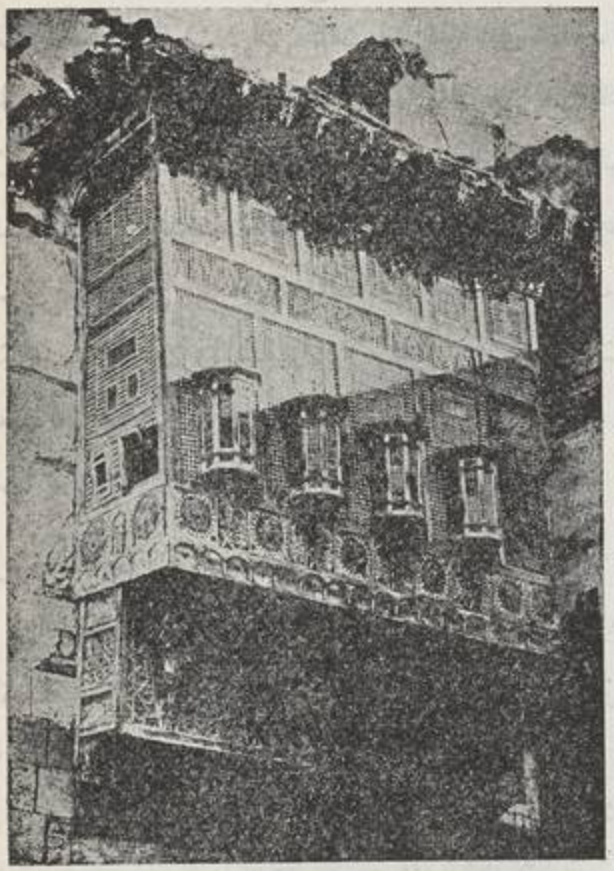

القاهرة — العمارة الاسلامية — مشربية

أما المماليك ويلقبون (بالبكوات) ، فهم بقايا المماليك الشراكسة الذين بقوا بمصر بعد موت السلطان طومان باى ، فعين منهم السلطان سليم التركى حكاماً للمديريات — وكان عدد هذه المديريات إذ ذاك ٢٤ مديرية — وأسند إليهم الوظائف الكبرى فى الحكومة .

ومع أن عدد المماليك الذين بقوا بمصر فى العهد التركى كان لا يزيد على عشرة آلاف إلا أنهم كانوا يؤلفون الطبقة الأرستوقراطية فى القاهرة ويعيشون عيشة البذخ والترف ويسكنون القصور الفخمة المطلة على بركة الأزبكية وبركة الفيل ويلبسون الجوخ والحرير ويقتنون الجوارى ويشترون الغلمان ويدربونهم على ركوب الخيل والحرب والصيد ، ويعلمونهم مبادىء الدين الإسلامى ، وإذا كبر المملوك حرره سيده ، ورقاه إلى رتبة (بك) فى احتفال عظيم ، وجعله من أتباعه وأنصاره . وقد عاش المماليك شيعاً وأحزاباً ، وكثرت بينهم المنازعات والحروب التى أدت فى آخر الأمر إلى سقوط البلاد فى أيدى الفرنسيس أيام حملة بونابرت .

وقد عظم نفوذ المماليك بالتدريج لسببين : الأول هو ضعف الدولة العثمانية المستمر ابتداء من نهاية القرن السابع ، والثانى هو كثرة تغيير الولاة ودوام نزاعهم مع الديوان حتى صار رئيس المماليك المسمى (شيخ البلد) الحاكم الحقيقى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لمصر، يعزل الوالى إذا شاء، وذلك بأن يرسل اليه رسولاً يسميه العامة (أبو طبق) لأنه كان يلبس فوق رأسة قبعة لها حافة واسعة تشبه الطبق ويدخل على الوالى فى القلعة، فيحييه، ويثنى طرف السجادة الجالس عليها، ويتلو عليه أمر العزل بقوله: «انزل ياباشا»، وبذلك يصبح الوالى معزولا ويغادر البلاد.

ولم يكتف المماليك بجمع السلطة فى أيديهم، بل عملوا على التخلص نهائياً من السيادة العثمانية فى عهد زعيمهم على بك الكبير كما سيأتى ذكره بعد.

هذا ما كان فى نهاية هذا الحكم العثمانى الفاشل. ولكننا نترك النهاية مؤقتا ونعود إلى السلطان سليم فنقول:

بعد أن أتم السلطان سليم وضع هذا النظام الذى ظنه كفيلا بحفظ السيادة التركية على البلاد نقل إلى القسطنطينية معظم الأسلحة والكتب التى كانت فى القلعة وفى مساجد القاهرة وفى بيوت أمراء المماليك، كما أنه أخذ معه الخليفة العباسى الى استامبول وجعله ينزل له عن لقب الخلافة، فصارت الخلافة منذ ذلك الوقت عثمانية لا عباسية، ثم جمع نحو ١٨٠٠ صانع ماهر من القاهرة وأرسلهم إلى القسطنطينية بحجة بناء جامع هناك مماثل لجامع السلطان الغورى، فحرمت القاهرة من جهود هؤلاء الفنانين، وأخذت فنونها فى التأخر ولم يبق بها إلا صناعات يدوية بسيطة مثل صناعة نسيج الكتان واستخراج الزيوت وعمل السكر ودبغ الجلود وصناعة الأوانى الزجاجية بينما تقدمت الفنون فى استامبول وترعرعت، ولكنها عادت ثانية إلى مصر فى عهد محمد على باشا الكبير رأس العائلة الملكية الكريمة الذى استدعى كثيراً من أولاد هؤلاء الفنانين لبناء جامعه بالقلعة وقصوره بالقاهرة. وهكذا يعود الفن دائماً إلى مهده ولو اغترب عنه قروناً طويلة.

وصف القاهرة فى صدر العصر التركى

واليك الآن صورة واضحة لما كانت عليه هذه المدينة عند الفتح التركى نقلاً عن كتاب «أحوال الأراضى المقدسة» تأليف الحاج الفرنسى «جريفان أفاجار» الذى زار القاهرة سنة ١٥٣٤ م أى بعد الفتح التركى بمدة ١٧ سنة فقط وقد وصفها كما يلى:

تقدر مساحة القاهرة الكبيرة بثلاثة أضعاف مساحة مدينة باريس، أما شوارعها فلا يجب أن تتصورها متسعة كشوارع باريس بل هى ضيقة وقصيرة وأغلبها ملتوية وغير منتظمة. ومن هذه الشوارع ما هو مسقوف فى معظم أجزائه اتقاء لشدة الحرارة صيفاً. وبدون هذا الاحتياط لا يمكن المرور بالمدينة ولا استئناف الحركة التجارية فيها.

ومن الأوامر المنفذة بدقة فيها إضاءة المصابيح ليلاً أمام كل باب من أبواب منازلها، وذلك لكى يصبح سواد ليل هذه المدينة مماثلاً لضوء نهارها. وشعب القاهرة خليط من جميع الأجناس والأمم والديانات فى العالم. فهنا تجد التركى بجوار المغربى، والعربى بجوار العجمى، واليهودى بجوار المسيحى، واللاتينى بجوار الرومى، والأرمنى بجوار الهندى، والقبطى بجوار النسطورى. ولكل من هؤلاء الحرية فى اتباع عاداته الخاصة والخضوع لقوانين

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بلاده . لأن القاهرة مدينة الحرية . فالتركى يلبس نعالا كنعال البحارة ، والمغربى يلبس مراكيب زاهية الألوان مدببة الأطراف على الطراز القديم . أما ملابس الشعب فلا تختلف كثيراً عما كانت عليه فى عهد السيد المسيح عليه السلام » .

ثم إليك أيضاً وصفاً آخر للقاهرة عن ليون الإفريقى قبل هذا التاريخ بعدة سنوات . قال :

« تزخر القاهرة بالتجار وأصحاب الحرف . ولكل طائفة من هؤلاء حى خاص بها . فهنا حى الخراطين وعمال النجارة الدقيقة الذين يصنعون الأثاث والنوافذ والأبواب والمشربيات من الأخشاب المخروطة . وهنا حى النساجين الذين ينسجون الأجواخ المطرزة بخيوط الذهب الواردة من إيطاليا . وهنا حى الحائكين الذين يحيكون الأقمشة الصوفية الواردة من بلاد الفلاندر . وهنا حى عمال الصياغة . وهنا حى تجار الجواهر اليهود الذين يعيدون بيع الحلى الجميلة واللآلىء الثمينة . وهنا حى تجار السجاد العجمى الذين يقيمون بخان الخليلى المؤلف من ثلاثة أدوار . ولكن بالرغم من هذا التوزيع الجميل فإنك تجد فى بعض الأحياء الراقية دكاكين تجار البقالة حيث تباع الجبن المشبعة بالزيت مجاورة لدكاكين بائعى الشربات الذين يعرضون بضاعتهم الملونة فى أوان بلورية جميلة ، ومجاورة لبائعى الحلوى المصنوعة من عسل النحل وسكر القصب » .

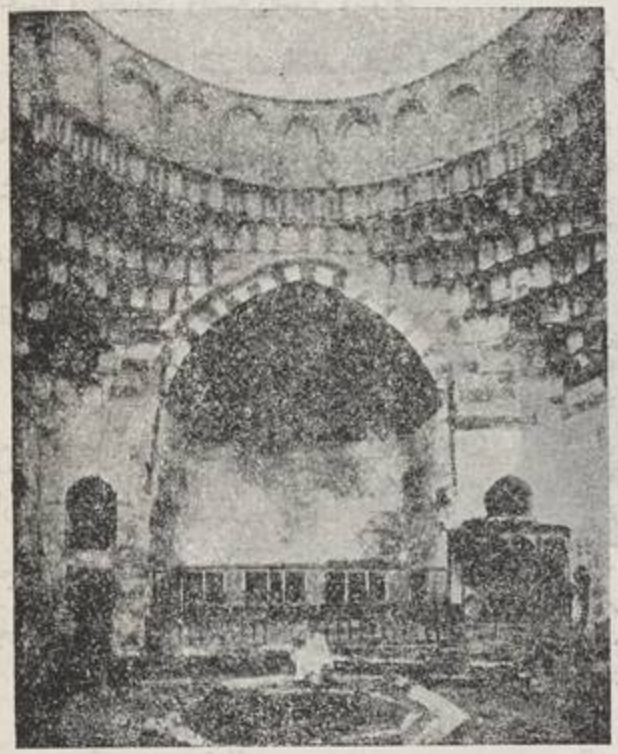

حمامات القاهرة — منظر داخلى

تجارة القاهرة فى صدر العصر التركى :

وكانت القاهرة تزخر بالأسواق والوكالات والخانات والفنادق والحمامات التى استلزمتها حالة الرواج التجارى فى عصر المماليك حتى القرن السادس عشر الميلادى تاريخ اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح . وحتى بعد اكتشاف هذا الطريق لم تهجر بضائع البندقية وجنوا ومرسيليا أسواق القاهرة كما بقى جزء كبير من تجارة الهند والشرق بها . وكان من عادة التجار أن يتجمعوا أمام حوانيتهم ويجلسوا فوق مقاعد خشبية عربية الطراز ، يشربون النرجيلة أو الشيشة والقهوة . ويعقدون صفقاتهم التجارية مشافهة .

وكانت القوافل التى تنقل بضائع الهند وتجارة الشرق عبر الصحراء بين السويس والقاهرة لا تنقطع ليلاً ولا

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

نهاراً وكانت تفرغ حمولتها إما فى أسواق القاهرة ووكالاتها و إما تسير بها حتى ثغر بولاق وهناك تشحن هذه البضائع فى المراكب التى تسير فى النيل حتى مدينة رشيد لشحنها إلى أوربا . وكانت تجارة أوربا إلى الشرق تتبع نفس هذا الطريق .

أما أهم بضائع الشرق بأسواق القاهرة فى هذا العهد فكانت التوابل ومواد الصباغة والصمغ العربى والطيوب وأدوات الزينة والجواهر الكريمة والمنسوجات الدقيقة الصنع وغيرها من الكماليات التى كان الأغنياء يتهافتون عليها . كما كانت أهم بضائع أوربا بها هى الأجواخ والقطيفة والأخشاب والرخام والأسلحة . أضف إلى ذلك تجارة الرقيق وما كان لها من سوق رائجة بالقاهرة .

وطبيعى أن تستلزم مثل هذه الحركة التجارية الضخمة وجود كثير من المخازن والوكالات والفنادق والأسواق والخانات والحمامات لتخزين البضائع ولمبيت التجار وراحتهم كما قلنا سابقاً . وقد بقى كثير من هذه المحال فى القاهرة حتى قال المستر لين بول الذى وصف القاهرة سنة ١٨٣٥ أن بها ٢٠٠ وكالة للتجارة . ولم يزل باقياً إلى أيامنا هذه من آثارها خان الخليلى وخان الحمزاوى وخان جعفر ووكالة قايتباى ووكالة قوصون والنحاسين وسوق الغورية والسكرية والخيمية والفحامين وقصبة رضوان وسواها .

أما الخانات التى اشتهرت بالقاهرة قديماً فكانت : خانا مسرور لتجارة الرقيق وهما اثنان ذكرهما المقريزى وقال إن أكبرهما كان على يسار من يسلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر . وكان هناك أيضاً خان الخليلى المشهور لليوم . ثم خان السبيل وكان خارج باب الفتوح لأبناء السبيل والمسافرين ، وخان منكورش بالقرب من الأزهر .

تاجر الرقيق يعرض جارية رومية على أحد أغنياء مصر
من ريشة المصور جيرو وهى معروضة بمتحف اللوفر .

أما الفنادق فكان أشهرها فندق بلال وكان يقع بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية ثم فندق دار التفاح تجاه باب زويلة وكان فندقاً ومخزناً لتجار الفواكه . ثم فندق ابن قريش ووكالة باب الجوانية وكانت كلها عامرة بالتجار والبضائع .

الامتيازات الأجنبية :

فى سنة ١٥٣٥ م أصيبت القاهرة لا بل الشرق كله بسهم مسموم قضى بالتدريج على ما كانت تجنيه العاصمة من مرور تجارة الهند بها وذلك عند ما وافق السلطان التركى سليمان الثانى على منح دولة فرنسا فرمان الامتيازات

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأجنبية لحماية التجار الفرنج والمتاجر الفرنسية . وذلك لأن هؤلاء التجار لم يقنعوا فقط بحماية تجارتهم بل راحوا يفرضون إرادتهم على حكومة مصر ويتحكمون فى مرافقها العامة ، وسرعان ما طلبت انجلترا ثم باقى البلاد الأوربية تطبيق هذا النظام على تجارهم ومتاجرهم حتى أصبحت هذه الامتيازات مع الزمن عقبة فى سبيل تقدم مصر الحديثة وبقيت كذلك إلى أن ألغيت فى مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٧ .

وصف القاهرة فى نهاية العصر التركى :

وصف الجبرتى القاهرة فى نهاية العصر التركى وصفاً رائعاً كما وصفها ابن أبى السرور وقد ذكر كل من هـذين المؤرخين تفاصيل كثيرة ومسلية عن حياة القاهرة التركية ومتاجرها ولكنك تتوه فى ثنايا هذه الأوصاف من كثرة ما ذكراه من حوادث تافهة .

أما أوصاف الرحالة الأوربيين الذين كتبوا عن القاهرة فى هذا العصر فمتناقضة تناقضاً مدهشاً لا يمكنك معه تقدير مساحة القاهرة بأكثر من ألفى فدان ، كما تفهم من أوصافهم أن كثيراً من أحياء القاهرة دب فيها الخراب وتحول جزء كبير منها إلى أنقاض وخرابات وقاذورات ، وأن شيطان الفن والوحى والجمال كان قد غادر القاهرة نهائياً منذ أن وطأتها أقدام سليم الأول .

ولكنك من جهة أخرى تعرف من أوصاف هؤلاء الرحالة حالة أحياء القاهرة التجارية والصناعية فى العصر التركى وكذا حالة أحيائها السكنية التى كانت تزدان بالقصور الفخمة والعمارات الشامخة والجوامع البديعة والمدارس الجميلة والوكالات المتسعة ، والخوانق العامرة والقلاع الحصينة ، وما كان يحيط بهذه المدينة من ذكريات قدسية ، ويبدو فى أفقها من آثار قديمة رائعة .

وتلمس فى أوصاف هؤلاء الرحالة كيف كانوا ينظرون إلى القاهرة نظرة إجلال وإكبار ويعتبرونها مهد العلوم والفنون ومنبع الهندسة وتخطيط البلدان والعمارة ، وموطن الشرائع والنظامات السياسية والكهنوتية ، وبلاد الآثار والهياكل والأهرام وأبو الهول .

كما تشعر أيضا بالألم وخيبة الأمل الذى كان يخالج هؤلاء الرحالة حينما بدت أمامهم هذه الحقيقة المرة وهى أن السلطان سليم والولاة الأتراك وجنود جيشهم القساة الغلاظ القلوب لم يتذوقوا لجمال القاهرة طعما فراحوا ينهبون ويخربون ويرتكبون الفحشاء علناً وأهملوا المدينة ونظامها وجمالها حتى تخربت وتقهقرت كثيراً فى عصرهم . صحيح أنه تخلف عن العصر التركى بعض الآثار الجميلة بالقاهرة ولكنها قليلة لا تتناسب مع طول مدة هذا الحكم الذى بلغ ٢٨١ سنة ميلادية . ثم إن روح هذه الآثار بيزنطية أكثرمنها إسلامية وفنها يختلف عن الفن المملوكى الدقيق الحساس الذى انتفع بالفن المصرى واقتبس منه اقتباسات بديعة بدون تبذل أو انحطاط . ومع ذلك فقد ترك لنا العصر التركى تحفاً فريدة فى نوعها فيها روح مختلفة عن الروح المصرية والروح العربية ولكنها على كل حال تمثل عصراً من عصور الفنون التى ازدهرت فى القاهرة وبدا جمالها على أتمه فى أيام محمد على باشا الكبير رأس العائلة المالكة الكريمة.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الولاة الأتراك :

أما الولاة الذين حكموا بالقاهرة من قبل سلاطين الترك فى هذه الفترة الطويلة من الزمن فهم :

١	الأمير خير الدين بك الجركسى (خاير بك خائن معركة مرج دابق)	سنة ٩٢٣هـ	(١٥١٧)م
٢	الأمير مصطفى باشا الأول	« ٩٢٨هـ	(١٥٢٢)م
٣	« أحمد باشا	« ٩٢٩هـ	(١٥٢٣)م
٤	« قاسم باشا الجميل	« ٩٣٠هـ	(١٥٢٤)م
٥	« ابرهيم باشا	« ٩٣١هـ	(١٥٢٥)م
٦	« سليمان باشا الخادم الخصى	« ٩٣١هـ	(١٥٢٥)م
٧	« خسرو باشا (بالنيابة)	« ٩٤١هـ	(١٥٣٥)م
٨	« داود باشا	« ٩٤٥هـ	(١٥٣٨)م
٩	« على باشا	« ٩٥٦هـ	(١٥٤٩)م
١٠	« محمد باشا (وقادن زاده)	« ٩٦١هـ	(١٥٥٤)م
١١	« مصطفى باشا النشار	« ٩٦٣هـ	(١٥٥٦)م
١٢	« اسكندر باشا	« ٩٦٣هـ	(١٥٥٦)م
١٣	« على باشا الخادم	« ٩٦٨هـ	(١٥٦١)م
١٤	« مصطفى باشا الثانى	« ٩٦٩هـ	(١٥٦٢)م
١٥	« على باشا الصوفى	« ٩٧١هـ	(١٥٦٣)م
١٦	« محمود باشا	« ٩٧٣هـ	(١٥٦٥)م
١٧	« سنان باشا	« ٩٧٥هـ	(١٥٦٧)م
١٨	« جركس باشا (بالنيابة)	« ٩٧٦هـ	(١٥٦٨)م
١٩	« حسين باشا	« ٩٨٠هـ	(١٥٧٢)م
٢٠	« مسيح باشا الخازندار	« ٩٨٢هـ	(١٥٧٤)م
٢١	« حسن باشا الخادم	« ٩٨٨هـ	(١٥٨٠)م
٢٢	« ابراهيم باشا	« ٩٩١هـ	(١٥٨٣)م
٢٣	« سنان باشا الثانى	« ٩٩٢هـ	(١٥٨٤)م
٢٤	« عويس باشا	« ٩٩٥هـ	(١٥٨٧)م
٢٥	الأمير احمد باشا حافظ	سنة ٩٩٩هـ	(١٥٩١)م
٢٦	« محمد قورط باشا	« ١٠٠٣هـ	(١٥٩٤)م
٢٧	« سيد محمد باشا الشريف	« ١٠٠٤هـ	(١٥٩٥)م
٢٨	« خضر باشا	« ١٠٠٦هـ	(١٥٩٧)م
٢٩	« على باشا ياوز (المعروف بالنمر)	« ١٠٠٩هـ	(١٦٠١)م
٣٠	« ابراهيم باشا	« ١٠١٢هـ	(١٦٠٣)م
٣١	« محمد باشا الكورجى	« ١٠١٣هـ	(١٦٠٤)م
٣٢	« حسن باشا الدفتردار	« ١٠١٤هـ	(١٦٠٥)م
٣٣	« محمد باشا معمر كولكيران	« ١٠١٦هـ	(١٦٠٧)م
٣٤	« حاجى باشا	« ١٠٢٠هـ	(١٦١١)م
٣٥	« محمد باشا الصوفى	« ١٠٢١هـ	(١٦١٢)م
٣٦	« احمد باشا الدفتردار	« ١٠٢٤هـ	(١٦١٥)م
٣٧	« مصطفى باشا المنكلى	« ١٠٢٦هـ	(١٦١٧)م
٣٨	« جعفر باشا	« ١٠٢٧هـ	(١٦١٨)م
٣٩	« مصطفى باشا الحميدى	« ١٠٢٨هـ	(١٦١٩)م
٤٠	« حسين باشا ارناؤوط	« ١٠٢٩هـ	(١٦٢٠)م
٤١	« محمد باشا البستنجى	« ١٠٣١هـ	(١٦٢٢)م
٤٢	« حسن الدفتردار	« ١٠٣١هـ	(١٦٢٢)م
٤٣	« ابرهيم باشا السلحدار	« ١٠٣١هـ	(١٦٢٢)م
٤٤	« مصطفى باشا قره	« ١٠٣٢هـ	(١٦٢٣)م
٤٥	« على باشا الششنجى	« ١٠٣٢هـ	(١٦٢٣)م
٤٦	« بيرم باشا	« ١٠٣٦هـ	(١٦٢٦)م
٤٧	« محمد باشا عزت	« ١٠٣٩هـ	(١٦٢٩)م
٤٨	« موسى باشا السلحدار	« ١٠٤٠هـ	(١٦٣٠)م
٤٩	« خليل باشا البوستانجى	« ١٠٤١هـ	(١٦٣١)م

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٥٠	الأمير احمد باشا بكيرجى	سنة ١٠٤٢هـ	(١٦٣٢)م
٥١	« حسين باشا الدالى	« ١٠٤٥هـ	(١٦٣٥)م
٥٢	« محمد باشا زاده	« ١٠٤٧هـ	(١٦٣٧)م
٥٣	« مصطفى باشا البوستانجى	« ١٠٤٩هـ	(١٦٤٠)م
٥٤	« مقصود باشا	« ١٠٥٢هـ	(١٦٤٢)م
٥٥	« شعبان بك الدفتردار	« ١٠٥٤هـ	(١٦٤٤)م
٥٦	« أيوب باشا	« ١٠٥٥هـ	(١٦٤٥)م
٥٧	« محمد باشا حيدر	« ١٠٥٧هـ	(١٦٤٧)م
٥٨	« احمد باشا	« ١٠٥٨هـ	(١٦٤٨)م
٥٩	« شريف محمد باشا	« ١٠٥٩هـ	(١٦٤٩)م
٦٠	« عبدالرحمن باشا الطويشى	« ١٠٦١هـ	(١٦٥١)م
٦١	« محمد باشا السلحدار	« ١٠٦٣هـ	(١٦٥٢)م
٦٢	« مصطفى باشا	« ١٠٦٦هـ	(١٦٥٦)م
٦٣	« محمد باشا	« ١٠٦٧هـ	(١٦٥٧)م
٦٤	« مصطفى باشا الكورجى	« ١٠٦٧هـ	(١٦٥٧)م
٦٥	« عمر باشا السلحدار	« ١٠٧٤هـ	(١٦٦٣)م
٦٦	« ابرهيم باشا الصوفى	« ١٠٧٧هـ	(١٦٦٦)م
٦٧	« على باشا قره قاش	« ١٠٧٨هـ	(١٦٦٨)م
٦٨	« ابرهيم كتخدا باشا	« ١٠٨٠هـ	(١٦٦٩)م
٦٩	« حسين باشا	« ١٠٨٤هـ	(١٦٧٣)م
٧٠	« احمد باشا الدفتردار	« ١٠٨٦هـ	(١٦٧٥)م
٧١	« عبد الرحمن باشا	« ١٠٨٧هـ	(١٦٧٦)م
٧٢	« عثمان باشا	« ١٠٩١هـ	(١٦٨٠)م
٧٣	« حمزه باشا	« ١٠٩٤هـ	(١٦٨٣)م
٧٤	« حسن باشا كتخدا	« ١٠٩٨هـ	(١٦٨٧)م
٧٥	« الدامادحسن باشا (أولا)	« ١٠٩٩هـ	(١٦٨٨)م
٧٦	« ابرهيم باشا الصوفى	« ١١٠٠هـ	(١٦٨٩)م
٧٧	« احمد باشا الكتخدا	« ١١٠١هـ	(١٦٨٩)م
٧٨	الأمير على باشا قليج	سنة ١١٠٢هـ	(١٦٩٠)م
٧٩	« اسماعيل باشا	« ١١٠٦هـ	(١٦٩٤)م
٨٠	« حسين باشا البشناق	« ١١٠٩هـ	(١٦٩٧)م
٨١	« قره محمد باشا	« ١١١١هـ	(١٦٩٩)م
٨٢	« محمد رامى باشا	« ١١١٦هـ	(١٧٠٤)م
٨٣	« مسلم على باشا	« ١١١٨هـ	(١٧٠٦)م
٨٤	« الدامادحسن باشا (ثانياً)	« ١١١٩هـ	(١٧٠٧)م
٨٥	« ابرهيم باشا القبودان	« ١١٢١هـ	(١٧٠٩)م
٨٦	« خليل باشا الكوسج	« ١١٢٢هـ	(١٧١٠)م
٨٧	« شريف والى باشا	« ١١٢٣هـ	(١٧١١)م
٨٨	« عابدى باشا	« ١١٢٦هـ	(١٧١٤)م
٨٩	« على باشا الأزميرلى	« ١١٢٩هـ	(١٧١٧)م
٩٠	« رجب باشا	« ١١٣١هـ	(١٧١٩)م
٩١	« محمد باشا النيشانجى (أولا)	« ١١٣٣هـ	(١٧٢١)م
٩٢	« على باشا المورلى	« ١١٣٨هـ	(١٧٢٥)م
٩٣	« محمد باشا النيشانجي (ثانيا)	« ١١٣٨هـ	(١٧٢٦)م
٩٤	« بكر باشا (أولا)	« ١١٤٠هـ	(١٧٢٧)م
٩٥	« عبد الله باشا	« ١١٤١هـ	(١٧٢٨)م
٩٦	« محمد باشا السلحدار	« ١١٤٥هـ	(١٧٣٣)م
٩٧	« عثمان باشا الحلبى	« ١١٤٦هـ	(١٨٣٤)م
٩٨	« بكر باشا (ثانياً)	« ١١٤٨هـ	(١٧٣٥)م
٩٩	« مصطفى باشا	« ١١٤٩هـ	(١٧٣٦)م
١٠٠	« سليمان باشا العظم	« ١١٥٢هـ	(١٧٣٩)م
١٠١	« على باشا الحكيم (أولا)	« ١١٥٣هـ	(١٧٤٠)م
١٠٢	« يحيي باشا	« ١١٥٤هـ	(١٧٤١)م
١٠٣	« محمد باشا اليدكشى	« ١١٥٦هـ	(١٧٤٣)م
١٠٤	« محمد راغب باشا	« ١١٥٨هـ	(١٧٤٥)م
١٠٥	« احمد باشا كور	« ١١٦١هـ	(١٧٤٨)م

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٠٦	الأمير الشريف عبدالله باشا	سنة ١١٦٣هـ	(١٧٥٠)م
١٠٧	« ملك محمد امين باشا	« ١١٦٦هـ	(١٧٥٣)م
١٠٨	« مصطفى باشا بلطجى	« ١١٦٧هـ	(١٧٥٤)م
١٠٩	« على باشا الحكيم (ثانياً)	« ١١٦٩هـ	(١٧٥٥)م
١١٠	« مصطفى باشا الصدر	« ١١٧١هـ	(١٧٥٨)م
١١١	« احمد كامل باشا	« ١١٧٤هـ	(١٧٦٠)م
١١٢	« بكير باشا	« ١١٧٥هـ	(١٧٦١)م
١١٣	« حسن باشا	« ١١٧٦هـ	(١٧٦٢)م
١١٤	« حمزه باشا	« ١١٧٩هـ	(١٧٦٥)م
١١٥	« محمد راقم باشا	« ١١٨١هـ	(١٧٦٧)م
١١٦	« محمد باشا الأورفلى	« ١١٨٢هـ	(١٧٦٨)م
	هنا استقلت مصر فى عهد		
١١٧	على بك الكبير	« ١١٨٣هـ	(١٧٦٩)م
	ثم أرسل الترك		
١١٨	« قره خليل أغا باشا	سنة ١١٨٧هـ	(١٧٧٣)م
١١٩	« مصطفى باشا النابلسى	« ١١٨٨هـ	(١٧٧٤)م
١٢٠	« ابرهيم باشا عرب كيرلى	« ١١٨٩هـ	(١٧٧٥)م
١٢١	« محمد باشا عزت	« ١١٩٠هـ	(١٧٧٦)م
١٢٢	الأمير اسماعيل باشا	سنة ١١٩٣هـ	(١٧٧٩)م
١٢٣	« محمد باشا مالك (يكن)	« ١١٩٥هـ	(١٧٨١)م
١٢٤	« الشريف على باشا القصاب	« ١١٩٦هـ	(١٧٨٢)م
١٢٥	« محمد باشا السلحدار	« ١١٩٧هـ	(١٧٨٣)م
١٢٦	« مراد بك	« ١١٩٨هـ	(١٧٨٣)م
١٢٧	« محمد باشا يكن	« ١٢٠٠هـ	(١٧٨٦)م
١٢٨	« حسن باشا الجزائرى	« ١٢٠٠هـ	(١٧٨٦)م
١٢٩	عابدى باشا	« ١٢٠١هـ	(١٧٨٧)م
١٣٠	« اسماعيل باشا التونسى	« ١٢٠٣هـ	(١٧٨٨)م
١٣١	« محمد باشا عزت	« ١٢٠٥هـ	(١٧٩٠)م
١٣٢	« صالح باشا القيصولى	« ١٢٠٩هـ	(١٧٩٤)م
١٣٣	« أبو بكر باشا الطرابلسى	« ١٢١١هـ	(١٧٩٦)م
	وهنا احتل بونابرت مصر وظل الفرنسيون بها من سنة ١٧٩٩ إلى سنة ١٨٠١ . ثم أرسل الترك :		
١٣٤	الأمير محمد خسرو باشا	سنة ١٢١٦هـ	(١٨٠١)م
١٣٥	« على باشا الجزائرلى	« ١٢١٨هـ	(١٨٠٣)م
١٣٦	« خورشيد باشا	« ١٢١٨هـ	(١٨٠٣)م

المساجد التى حدثت فى العصر التركى :

وقد قام بعض هؤلاء الولاة بإنشاء وتجديد كثير من مساجد القاهرة مثل مسجد فاطمة الشقراء زوجة قايتباى و يعرف أيضاً بجامع المرأة بشارع تحت الربع ، ومسجد يوسف الحين بميدان باب الخلق وهو تحفة فنية بديعة . ومسجد الشيخ على البيومى بشارع الحسينية ، ومسجد الإمام عبد الوهاب الشعرانى وهو يطل على شارع الخليج المصرى من جهته الغربية وعلى شارع الشعرانى البرانى من جهته الشرقية و يقع بالقرب من ميدان باب الشعرية ، ومسجد آق سنقر الفرقانى جدده الأمير محمد كتخدا مستحفظان سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩) م و يقع بدرب سعادة خلف محافظة مصر .

الأسبلة :

وقد انتشر بناء الأسبلة المربعة التى تعلوها الكتاتيب فى العصر التركى انتشاراً هائلا ، حتى أصبح علماً على هذا العصر .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أهم الآثار التى شيدت بالقاهرة فى العصر التركى

ولكن لم يترك كل هؤلاء الولاة على وفرة عددهم إلا آثاراً قليلة كما قلنا سابقا أهمها مبين فى الجدول التالى :

اسم الأثر	تاريخه الهجرى	تاريخه الميلادى	موقعه
جامع سليمان باشا	٩٣٥	١٥٢٩	داخل القلعة .
سبيل وكتاب خسرو باشا	٩٤٢	١٥٣٥	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) .
تكية السليمانية	٩٥٠	١٥٤٣	شارع السروجية .
مسجد المحمودية	٩٧٥	١٥٦٧	ميدان محمد على باشا مقابل القلعة .
جامع سنان باشا	٩٧٩	١٥٧١	ميدان السنانية ببولاق .
مسجد الملكة صفية	١٠١٩	١٦١٠	ميدان الدوادية .
بيت الجريدلية (متحف اندرسون باشا)	١٠٤١	١٦٣٢	ميدان الجامع الطولونى .
بيت جمال الدين الذهبى	١٠٤٧	١٦٣٧	بحارة خشقدم بقسم الدرب الاحمر .
بيت السحيمى	١٠٥٨ — ١٢١١	١٦٤٨ - ١٧٩٦	الدرب الاصفر بالجمالية .
بيت وسبيل وكتاب أوده باشى	١٠٨٤	١٦٧٣	شارع الجمالية .
سبيل وكتاب بشير أغادار السعادة	١١٣١	١٧١٩	شارع درب الجماميز .
سبيل وكتاب عبدالرحمن كتخدا	١١٥٧	١٧٤٤	شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا).
تكية وسبيل السلطان محمود	١١٦٤	١٧٥١	شارع الحبانية .
جامع محمد أبو الذهب	١١٨٧	١٧٧٣	شارع الأزهر مقابل الجامع الأزهر .
سراى المسافرخانة (حيث ولد الخديوى اسماعيل)	١١٩٣ - ١٢٠٣	١٧٧٩ - ١٧٨٩	شارع درب المسمط بالجمالية .
بيت ابراهيم كتخدا السنارى	١٢٠٩	١٧٩٤	حارة مونج بالسيدة زينب .

على بك الكبير :

كانت النتيجة الحتمية لتقسيم السلطة فى مصر بين ثلاث هيئات متنازعة هى ازدياد قوة المماليك حتى أصبح رئيسهم « شيخ البلد » يتمتع بسلطة واسعة . وتمكن أحدهم وهو على بك الكبير من إعلان استقلال مصر عن الدولة العثمانية سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) بعد أن خلع الوالى التركى محمد باشا أورفلى أثناء اشتغال تركيا بالحرب الروسية فى عهد الامبراطورة كاترينة . وأمر أن يخطب باسمه فى المساجد . وأن تضرب النقود باسمه . ولكى يقوى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مركزه تحالف مع « الشيخ ضاهر » والى عكا بالشام ، وأخذ يصلح البلاد وينشر الأمن فيها ويعمل على نشر التجارة فى مصر والخارج . وبعد أن تم لعلى بك الاستقلال بمصر وإصلاح أحوالها ، عزم على توسيع أملاكه ، فأرسل حملة استولت على اليمن وجدة ومكة ونشر نفوذه على شبه جزيرة العرب كلها . ثم أرسل حملة أخرى إلى سوريا بقيادة أحد مماليكه وزوج ابنته محمد بك أبو الذهب ، فانتصرت جيوشه وتقدمت حتى وصلت إلى دمشق واستولت عليها . ولكن بدلاً من أن يتم فتح الشام ، خان أبو الذهب سيده واتفق مع الأتراك ضده حسداً وغيرة منه على اتساع ملكه . وكان الترك قد وعدوه أن يكون شيخاً للبلد ، فعاد إلى مصر بالجيش واستولى على الصعيد ، واستمال أنصار على بك إليه بالمال والوعود . ولما زحف على القاهرة غادرها على بك إلى عكا ، وانضم إلى حليفه الشيخ ضاهر ، فأعدّ له جيشاً انتصر به فى الشام ، ثم هاجم مصر وقاتل أبا الذهب ، فهزمه أبو الذهب عند الصالحية وأصيب على بك أثناء القتال بجروح كثيرة سقط بعدها أسيراً فى أيدى رجال أبى الذهب فقادوه إلى القاهرة وما لبث أن مات متأثراً بجروحه سنة ١٧٧٣م . فعادت مصر ثانية إلى الحكم التركى وعين السلطان محمدا أبا الذهب شيخاً للبلد ، ووصل إلى القاهرة الوالى التركى خليل باشا ولكنه لم يكن له من الأمر شىء ، بل كان تصريف الأمور بيد أبى الذهب يساعده اثنان من زعماء المماليك هما إبراهيم بك ومراد بك . فى سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥) م أى بعد عامين من ولايته مشيخة البلد عزم أبو الذهب على فتح الشام وضمها إلى طاعته فسافر إلى هناك وتم له فتحها وتولى عليها ولكنه توفى بعد ثلاثة أيام من توليته ونقلت جثته إلى مصر ودفنت بمسجده المواجه للجامع الأزهر بالقاهرة .

القاهرة — سبيل عبد الرحمن كتخدا بشارع المعزلدين الله

وبعد موته استفحل أمر ابراهيم بك ومراد بك واستبدا بمصر استبداداً أدى إلى ضعفها ، وجعلا من القاهرة مركزاً لمعاركهم الدموية الخاصة باخضاع أمراء المماليك فى الريف لسلطتهم ، فاختل الأمن وانتشرت الفوضى وكثرت المظالم فكان الحكام يأخذون الأموال بالقوة من المصريين والأجانب المقيمين بمصر وبخاصة التجار الفرنسيين الذين شكوا أمرهم إلى الحكومة الفرنسية فجاءت الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت سنة ١٧٩٨ إلى مصر واحتلتها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وحدث فى خلال عام ١٧٧٥م أن قام چيمس بروس قنصل انجلترا فى الجزائر بسياحة فى البحر الأحمر، فلما وصل إلى مصر، أسرع فعقد معاهدة باسم دولته مع محمد أبى الذهب، الغرض منها رفع الحجر عن التجارة الانجليزية بين السويس وجدة، إلا أن تركيا ظلت تعارض هذه المعاهدة حتى الغيت. و بعد سنة ١٧٨٣، عقد جورج بلدوين من كبار التجار الانجليز معاهدة مع مراد بك وابراهيم بك الغرض منها الحصول على تصريح بحرية الملاحة للمراكب الانجليزية ومرور البضائع والبريد والركاب بالأراضى المصرية، و بين السويس والقاهرة و بينها و بين الاسكندرية واعتمدت السلطات الهندية على هذا الطريق فى تصدير مراسلاتها وفى نقل البضائع والركاب، ولكن معاهدة بلدوين فشلت بسبب التنافس بين انجلترا وفرنسا على هذا الطريق و بسبب احتلال فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨.

القاهرة — العمارة الإسلامية نماذج من الأحواش الداخلية

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السادس

عصر الحملة الفرنسيه

من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١

فى الوقت الذى كان فيه ابراهيم بك ومراد بك زعماء المماليك بالقاهرة يستبدان بشئون الأهالى ويأخذان الأموال بالقوة من المصريين والتجار الفرنسيين ، كانت فرنسا تعد فى الخفاء حملة أسندت قيادتها إلى القائد الفرنسى العظيم نابليون بونابرت ، ووجهتها إلى مصر للقضاء على تجارة انجلترا مع الهند وقطع اتصالها بالشرق ، ولكنها ادعت بأنها تريد من إرسال هـذه الحملة إلى مصر خدمة السلطان العثمانى بإرجاع نفوذه فى مصر ، والقضاء على المماليك لتعديهم على التجار الفرنسيين النازلين بالقاهرة .

ولما علم أهل القاهرة بقدوم حملة بونابرت فعلا خافوا وعزم الكثيرون على ترك المدينة ، وأعد المماليك جيشين لمقاتلة الفرنسيين . سار الجيش الأول بقيادة مراد بك على الشاطئ الغربى للنيل ووقف الجيش الثانى فى بولاق على الشاطئ الشرقى للنيل بقيادة ابراهيم بك للدفاع عن العاصمة .

وتقابل جيش مراد بك بجيش نابليون عند شبراخيت ، واستبسل فرسان المماليك فى الحرب ولكنهم لم يستطيعوا الثبات أمام مدافع نابليون فاضطروا إلى التقهقر إلى امبابة .

ولما وقفت جنود بونابرت فى امبابة فى تشكيلات مربعة منظمة لمهاجمة المماليك راعهم منظر الأهرام وبريق سروج المماليك فوق خيولهم المطهمة ولمعان سيوفهم المصقولة وكادوا يتخاذلون لولا أن وقف نابليون فى وسطهم قائلا : « أيها الجنود ، من فوق قمة هذه الأهرام ، أربعون قرناً تنظر إليكم ، وسوف تكون شاهد عدل على نصركم المبين » فتحمس الجنود وانتهت الموقعة قرب الأهرام بهزيمة المماليك وفرار مراد بك مع من بقى من جيشه إلى الصعيد .

أما ابراهيم بك فلما رأى وهو على الشاطئ الشرقى من النيل ما حل بزميله استولى عليه الخوف وأسرع بالفرار من القاهرة ومعه بعض المماليك والأعيان قاصدين بلبيس والصالحية .

و بعد فرار المماليك وجد أعيان القاهرة وعلماؤها أن المدينة خالية ممن يمكن أن يدافع عنها ، فاجتمعوا بالأزهر ، وأحضروا قنصل فرنسا الذى كان مقبوضاً عليه منذ نزل الفرنسيون بالاسكندرية وتشاوروا معه فى الأمر ، فنصحهم بإرسال وفد إلى نابليون بالجيزة يعرض عليه تسليم القاهرة ، لعجزهم عن الدفاع عنها ، فعملوا بنصيحته فأحسن نابليون مقابلة وفدهم وأمنهم على أموالهم وحياتهم وأفهمهم أنه إنما جاء لقتال المماليك ، وتوطيد نفوذ السلطان فاطمأن الناس،

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ودخل نابليون القاهرة فى ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٨ وسكن فى سراى الألفى بك بالأزبكية وفيها اعترف له العلماء والأعيان بالسلطان على مصر. وتقوم لوكندة شبرد الآن مكان سراى ألفى بك التى سكنها نابليون أثناء حملته على مصر.

و بعد دخول نابليون القاهرة ، أرسل أحد قواده (دونزيلو) لمقاتلة مراد بك ومن معه من المماليك فى الصعيد ، فانتصر دونزيلو عليهم وصار يطاردهم حتى وصل إلى أسوان . وطارد نابليون بنفسه ابراهيم بك وهزمه عند الصالحية فقر ابراهيم بك إلى الشام . و بينما كانت هذه المطاردة فى أعنف أدوارها ظهر فجأة الأسطول الإنجليزى بقيادة الأميرال نلسن فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ أمام السواحل المصرية بعد شهر واحد من وصول الحملة وبدأت بينه و بين الأسطول الفرنسى المرابط بخليج ابى قير الموقعة المعروفة « بموقعة ابى قير البحرية » التى انتهت بتدمير الأسطول الفرنسى عن آخره و باضعاف قوة الحملة ، وقطع مواصلاتها مع فرنسا ومنع وصول المؤن والذخائر إليها . وكان عدد قطع هذا الأسطول العائر الحظ ٢٣ سفينة منها سفينة القيادة العليا التى كان بها ١٨٠ مدفعاً وفيها ألف جندى خلاف البحارة و فيها الأموال والسبائك الذهبية والذخائر والتحف التى أخذها الفرنسيون من المماليك بالقاهرة وسواها .

ومما يذكر بهذه المناسبة أنه فى السنين الأخيرة قامت بعض محاولات لاستخراج هذه الكنوز من قاع البحر إلا أن الحرب العالمية الثانية حالت دون الاستمرار فيها . أما نابليون فلما علم بهذه الكارثة ، أيقن لساعته أنه أصبح محصوراً هو وجنوده بمصر ، فبدأ فى إنشاء المصانع الكثيرة بالقاهرة لاعداد مايلزم لجيشه من ذخيرة وملابس . ويعتبر هذا العمل مقدمة لقيام الصناعات الحديثة بهذه البلاد . ثم أخذ نابليون يتودد إلى المشايخ ، ويزور كبار الأعيان فى منازلهم واشترك فى الحفلات الوطنية كالاحتفال بالمولد النبوى ووفاء النيل . وكانت حفلة وفاء النيل من أبدع ما وصفه علماء الحملة فى كتاب « وصف مصر » . وقف بونابرت و بجواره محافظ القاهرة تحت ظل خيمة جميلة أقيمت عند فم الخليج . و بعد فتح السد ساد الفرح والمرح والرقص والطرب واشترك الفرنسيون مع الشعب فى أفراحه .

وقد أمر نابليون بإنشاء نظام جديد للحكومة ، فعين أحد قواد جيشه الجنرال ديبوى حاكما على القاهرة ، وأنشأ لمساعدته ديواناً وطنياً أو وزارة وطنية تتألف من تسعة أعضاء من العلماء برياسة الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر ، وكان هذا الديوان يجتمع كل يوم للنظر فى الشئون الداخلية المختلفة . كما عين حاكما فرنسياً فى كل مديرية من المديريات يعاونه ديوان وطنى على نظام ديوان القاهرة . و بذلك عمل نابليون على إرضاء المصريين باشراكهم فى الحكم لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث . واهتم نابليون بالوسائل الصحية فى القاهرة ، فأمر بتنظيف الشوارع والحارات والمنازل و إضاءتها ليلا وحرم دفن الموتى فى داخل المنازل . وقد اعتبر هذا العمل أساساً لوضع لائحة التنظيم ولائحة الجبانات اللتان تطبقان الآن فى القاهرة ومدن القطر المصرى .

واهتم نابليون بتجميل القاهرة وتحصينها ، فأقام فيها الميادين والشوارع والحصون مثل ميدان الأزبكية أمام سراى الألفى بك (لوكندة شبرد الآن) الذى ردمه وزرعه ، وشارع الفجالة ، وشارع بولاق (فؤاد الأول) وخلاف

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ذلك وقد استدعى ذلك هدم كثير من المساجد وأبواب الحارات القديمة التى تقفل ليلا لحماية الأهالى من اللصوص .

المجمع العلمى المصرى :

وأصدر نابليون فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٨ أمراً بإنشاء المجمع العلمى المصرى لدرس طبيعة البلاد وتاريخها وأنظمتها وعادات أهلها . وكان من أعضاء هذا المجمع علماء الحملة الفرنسية : مونج ، وبرتوليه ، وكلير ، وديسكس ، وچيوفروا ، وسان هيلير ، ودولوميه ، ومالويس ، وكورديه والدكاترة ديچينيت ولاريى وسواهم ، وقد جعل مقر هيئة المجمع بالناصرية فكان قصر حسن كاشف چركسى مقراً لإدارة المجمع ، ثم الحق به قصر قاسم بك وقصر أبى يوسف أمير الحج .

وقد رسمت فى هذه القصور الفخمة أطالس فيها صور معابد قدماء المصريين وآثارهم الأخرى وخرائط البلاد والمدن وما بها من فنون اسلامية رائعة . كما صورت بها حيوانات وطيور ونباتات القطر المصرى . وكما دونت بها تواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء الذين تتصل تواريخهم بتاريخ مصر الطويل الزاخر . وسوى ذلك من العلوم والمعارف .

وقد أفرد قصر ابراهيم كتخدا السنارى القائم خلف المدرسة السنية للآن للمهندسين والرسامين والمصورين وعمال التحنيط . وفيه قام المصور أريجو بتصوير أعضاء الديوان الوطنى وهم وزراء مصر فى هذا العهد فأبدع أيما أبداع كما قام عمال التحنيط بتحنيط كثير من الطيور والأسماك والحيوانات .

وسكن الدكتور لاريى بقصر ذى الفقار كتخدا وسكن معه كثير من رجال الطب والجراحين . واستمر العمل فى هذا المجمع شهوراً متتالية تحت رياسة مونج ووكالة بونابرت وسكرتارية فوريه فكانت نتيجة هذه الجهود أخراج كتاب « وصف مصر » الذى يعد معجزة من معجزات التأليف فى العالم .

ولو أن هذا الكتاب كان موضوعه أى بلد آخر من بلاد العالم غير مصر لما خلت منه مكتبة ولا مدرسة ولا جامعة ولا مصلحة ولا إدارة . ومع ذلك لا توجد منه فى مصر ألا نسخاً معدودة . . .

فهل آن لنا أن نفكر فى هذا الكنز الثمين فتأمر وزارة المعارف بترجمة هذا السفر النفيس الخالد إلى اللغة العربية لنشره بهذه البلاد . . . هذا ما نرجوه خدمة للعلم وللثقافة الشعبية .

ثورة القاهرة الأولى :

كان من الطبيعى أن يحتاج نابليون إلى المال للقيام باصلاحاته والانفاق على جنوده ففرض ضرائب متنوعة على سكان القاهرة وباقى الشعب المصرى منها رسوم تسجيل الأملاك ، وأثبات الوراثة ، وقيد المواليد ، والتصريح

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

بدفن الموتى وخلاف ذلك . ولكن سكان القاهرة الذين لم يتعودوا سابقاً على دفع مثل هذه الضرائب تضايقوا جداً منها ، وكانت أخبار تدمير الأسطول الفرنسى بأبو قير قد شجعتهم ، فتجمهروا فجر يوم ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ وقاموا بثورة عنيفة قتلوا فيها حاكم القاهرة الفرنسى الجنرال ديبوى وأقاموا المتاريس فى الشوارع وقتلوا كثيراً من الفرنسيين . فأمر نابليون باطلاق المدافع على الأزهر لأنه كان مركز الثورة . فخاف الثائرون وتوجه وفد من العلماء إلى نابليون يسترضونه فعفى عنهم بعد أن لامهم على ما فعل الثائرون .

ألا أن الفرنسيين كانوا قد دخلوا الأزهر الشريف أثناء الثورة بخيولهم وجعلوا منه اسطبلا لمدة يومين مما زاد فى كره سكان القاهرة لهم خصوصاً وقد كان الإنجليز والأتراك والمماليك دائبى التحريض لهم على الثورة .

نتائج الثورة :

وكان من نتائج هذه الثورة أن غيّر نابليون سياسته نحو سكان القاهرة فأخذ يعاملهم بشدة وفرض عليهم غرامات مالية كبيرة ، ثم استدعى كفاريللى كبير مهندسيه العسكريين وأمره بإنشاء أربع قلاع بالقاهرة فى جهاتها الأربعة . فاقيمت قلعة الناصرية بكوم العقارب قريبا من دار السنارى . وقلعة « كامان » بالقرب من قنطرة الليمون (حيث محطة كوبرى الليمون الآن) . وقلعة سلكوفسكى فى جامع الظاهر وجعلت مئذنته مرصداً للاستكشاف . وقلعة الغريب بجوار القلعة وكانت متحكمة فى حى الأزهر . وعين الجنرال دوسطين حاكماً للقاهرة بدلا من الجنرال ديبوى الذى قتل .

وأخذ فى أقامة تحصينات أخرى فى مصر القديمة وشبرا والمقياس وجزيرة الروضة هدم من أجلها بعض المساجد والمساكن ومنها المساجد المجاورة لقنطرة أمبابة ومسجد المقس (أولاد عنان) على الخليج الناصرى بباب البحر ومسجد الكازرونى بجزيرة الروضة وهدم دوراً كثيرة ببولاق . ثم أمر باخلاء البيوت المطلة على بركة الأزبكية ليسكنها كبار رجال الحملة الفرنسيه ليكونوا كلهم فى منطقة واحدة . وكذلك أمر سكان القلعة بالخروج من منازلهم والسكنى فى المدينة وأجرى بها تعديلات كثيرة وزادها تحصيناً وركز بها كثيراً من المدافع و بنى بدنات باب العزب

الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين :

ما كاد نابليون يخمد ثورة القاهرة ، حتى صادفه خطر آخر ، هو اتفاق تركيا وانجلترا على أخراجه من مصر ، وذلك بارسال جيشين عثمانيين أحدهما برى لغزو مصر شرقاً من جهة الشام والآخر بحرى لمهاجمة سواحلها الشمالية . فأراد نابليون أن يهاجم أعداءه قبل أن يتم استعدادهم ، فخرج على رأس حملة مكونة من ١٢ ألف جندى إلى الشام وادعى أنه يقصد القضاء على بقية المماليك فى الشام فاستولى فى طريقه على العريش ثم أحتل يافا ولكنه خذل أمام

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

عكة لمتانة تحصيناتها وقوة دفاع أحمد باشا الجزار حاكم المدينة عنها ومساعدة السير سدنى سميث قائد الأسطول الانجليزى لها بالأسلحة والذخائر عن طريق البحر ثم لانتشار الطاعون بين الجنود الفرنسيين ، فعاد نابليون من الشام بعد أن هلك ثلث رجاله .

و بعد وصوله بقليل حضر الجيش العثمانى بحراً ونزل فى « أبو قير » فأسرع نابليون لمقابلته وتمكن من هزيمته وأسر قائده فى ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩ أى بعد موقعة أبو قير البحرية السابقه بسنة واحدة تقريباً وابتهج الفرنسيون لهذا النصر الذى غسل عار الموقعة السابقة .

و بعد هذه الموقعة وصلت بعض الصحف الأوربية إلى نابليون وكانت بها أخبار سيئة عن حالة فرنسا فعزم على مغادرة مصر وسافر منها خلسة فى أغسطس سنة ١٧٩٩ بعد أن عين الجنرال كليبر قائداً على الحملة من بعده وكان قد مضى عليه سنة وشهر و بضعة أيام فى بلاد الفراعنة .

ورأى كليبر أن الحملة لا تستطيع البقاء بمصر ، فعقد مع الأتراك معاهدة العريش فى يناير سنة ١٨٠٠ وكان من أهم شروطها جلاء الجيوش الفرنسية عن مصر بكل معداتها واسلحتها على أن يقوم الأتراك بتقديم السفن اللازمة لنقلها إلى فرنسا . إلا أن انجلترا قاومت هذا الأتفاق ودفعت تركيا إلى العبث به فاضطر كليبر إلى محاربة الأتراك الذين كانوا قد دخلوا البلاد وهزمهم عند عين شمس وطاردهم إلى الصالحية ثم إلى سوريا .

ثورة القاهرة الثانية :

وكان بعض الأتراك والمماليك قد انتهزوا هذه الفرصة وانسلّوا إلى داخل القاهرة خلسة وقاموا بتحريض سكانها على الثورة ضد النصارى وانضم اليهم فى ذلك بعض العلماء والزعماء ، فاشتعلت نيران الثورة فى القاهرة للمرة الثانية ضد الفرنسيين وقتل منهم الكثيرون . وكان زعماء الثورة هم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والسيد احمد المحروقى كبير التجار والشيخ الجوهرى من كبار العلماء .

فانذرهم الجنرال كليبر بالتسليم لكنهم لم يعبأوا بانذاره فانهال هدما وتخريباً وحرقاً فى أحياء القاهرة العامره وارتكب الفظائع الكثيرة وضرب المدينة بمدافعه فانتشرت الحرائق فى أخطاط الأزبكية والساكت والفوالة والرويعى وبولاق وبركة الرطلى وباب البحر والخروبى والعدوى وباب الشعرية . وقاست القاهرة من هذه النيران أهوالا . ثم قام الفرنسيون بهدم كثير من البيوت والوكالات لأخذ أخشابها وأبوابها وأدوات البناء فيها لإتمام بناء القلاع والحصون فى القاهرة . وهدموا خططاً بأكملها كالحسينية وأجزاء من مصر القديمة واجزاء من باب الشعرية وبركة الفيل . ثم كشفوا سور القاهرة من باب النصر إلى باب الحديد وحصنوا أبوابه وسدوا كلا من أبواب الفتوح والبرقية والمحروق بالمبانى . وقاموا بكشف ما حول حصونهم فهدموا لذلك جامع الجنبلاطية بباب النصر

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وجزء من المدرسة النظامية وجامع السبعة سلاطين وجامع الجركسى وجامع خوند بركة خارج باب البرقية وجزء من جامع عثمان كتخدا القزدوغلى وجامع خير بك ببركة الفيل وجامع البنهاوى وجامع الطرطوشى وجامع العدوى وجامع عبدالرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح وخلاف ذلك كثيراً .

ثم هدمو المصاطب أمام الحوانيت بحجة توسيع الشوارع والحقيقة أن هدمها كان لمنع اتخاذها متاريس فى حالة الثورة . وقد أزيلت هذه المصاطب من أحياء كاملة كالصليبة وقناطر السباع (السيده زينب) ودرب الجماميز ودرب سعادة و باب الخلق وما يليه إلى باب الشعرية . وقد تضايق التجار من ذلك كثيراً لأن هذه المصاطب كانت لهم بمثابة استراحات ومقاعد للزوار والزبائن يجلسون عليها أثناء معاملاتهم التجارية وسواها .

و بعد أن كان الجنود الفرنسيون يتحاشون إثارة شعور المسلمين ضدهم ويعاملونهم بالحسنى انقلبوا إلى تحديهم بشكل جارح فنشروا البغاء الرسمى فى البلاد وشجعوا النساء على الفساد وجعلوا من جامع الرويعى حانة يحتسون فيها الخمر . وفرضوا على المدينة غرامة كبيرة قدرها أكثر من ٥٠٠ الف ريال . ومما زاد الطين بلة أثناء هذه الثورة الجامحة نزول السيول الجارفة من وديان جبل المقطم المحيطة بالمدينة واكتساحها كثيراً من أحيائها . كما أنه فى هذه السنة ارتفع فيضان النيل ارتفاعا غير مألوف فغرقت البلاد وفاض الماء ببركة الفيل وأغرقت درب الشمسى (شارع نور الظلام) وحى الناصرية وسقطت عدة بيوت من المطلة على الخليج وعم الخراب المدينة .

أما كليبر فقرر نهائياً البقاء بمصر وزاد فى جيشه باضافة عناصر أجنبية من جنود العرب وسواهم اليه . ثم أنشأ حصوناً جديدة بالقاهرة وزاد فى تحصينات جزيرة الروضة وجعل فم مجرى العيون قلعة باسم قلعة السبع سواقى وحول قصر ابراهيم بك (القصر العينى) وماحوله من البيوت إلى مستشفى عسكرى محصن وجعل بيت محمد الكاشف الأرناءوطى المجاور للقصر العينى مصنعاً للذخيرة . غير أن عمره لم يطل بعد ذلك . إذ قتله رجل من فئة الحشاشين اسمه سليمان الحلبى فى يونيو سنة ١٨٠٠ بايعاز من الأتراك والمماليك ، بان اختفى فى حديقة قصر الألفى (شبرد) وفاجأه بطعنة من خنجر فغضب الفرنسيون لقتله ، وحكموا على قاتله ومحرضيه بالاعدام مخوذقاً و بوسائل وحشية أخرى .

جلاء الفرنسيين عن مصر :

بعد قتل كليبر تولى قيادة الحملة الجنرال مينو ، وكان غير محبوب من أحد . فقد كرهه الجيش لاعتناقه الدين الاسلامى وتزوجه من سيدة مصرية هى السيدة زبيدة كريمة أحد تجار القاهرة ، وكرهه المصريون لثقل الضرائب التى فرضها عليهم .

ولعدم مقدرة مينو الحربية تغلب عليه الإنجليز والأتراك بسرعة فسلم لهم على شرط أن ينقل هو ورجاله إلى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فرنسا بمعداتهم على مراكب انجليزية . وفعلا تم الجلاء عن مصر نهائياً فى اكتوبر سنة ١٨٠١ وعادت مصر كما كانت ولاية من الولايات العثمانية .

فشلت أذن الحملة الفرنسية فى تحقيق أغراضها إذ عجزت عن ضرب انجلترا فى الهند وعن جعل مصر مستعمرة فرنسية . ويرجع فشلها إلى قوة انجلترا البحرية التى ظهر أثرها فى موقعة أبو قير البحرية وفى حصار عكا . ولكن بالرغم من هذا الفشل كان لها نتائج ذات آثار بالغة فى تاريخ القاهرة والقطر المصرى .

فأولا : أظهرت الحملة أهمية موقع مصر الجغرافى بالنسبة لربط أوربا بالشرق وجعلتها هدفاً لعيون الساسة الانجليز .

وثانياً : أيقظت الشعور القومى لدى المصريين ، إذ كانت السلطة كلها بيد المماليك قبل ذلك ، فلما كوّن نابليون الدواوين فى القاهرة والأقاليم من العلماء والأعيان والتجار ، اشترك المصريون فى الحكم وأصبحوا يشعرون بأنهم أصحاب البلاد وأصحاب الحق الأول فى حكمها .

وثالثا : كان لهذه الحملة الفضل الأول فى حل الرموز الهيروغليفية وفى معرفة تاريخ مصر الفرعونى القديم وفى بعث علم الآثار ورواج صناعة السياحة بهذه البلاد . فقد درس علماء الحملة جميع الشؤون المصرية ورسموها فى كتابهم « وصف مصر » وبذا عرفت أوربا حقيقة هذه البلاد وتهافت الزوار عليها سنة ١٧٩٩ . وحدث أن عثر بوسار أحد ضباط الحملة على حجر فى قلعة رشيد مكتوب عليه بثلاث لغات : الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية قرار لكهنة منف باحقية بطليموس الخامس فى عرش مصر . وقد قضت المادة السادسة عشرة من معاهدة التسليم التى أبرمها مينو بأن يسلم حجر رشيد هذا ومجموعة أخرى من الآثار المصرية إلى الأنجليز فنقلوها إلى لندن . وفى سنة ١٨٢٢ استطاع شامبليون العالم الفرنسى فك رموز الهيروغليفية — كتابة قدماء المصريين — من مقارنتها بالنصين الآخرين ، فأمكن معرفة هذه اللغة وفهم تاريخ مصر القديم . ولا يزال هذا الحجر بالمتحف البريطانى للآن فى انتظار عودته لبلاده!

ورابعاً : درس مهندسو الحملة وعلى رأسهم لوبير مشروع ترعة لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر . وبالرغم من غلطتهم حين قرروا أن منسوب البحر الأحمر أعلى من منسوب البحر الأبيض بعشرة أمتار ، فإن هذه الدراسة مهدت لتنفيذ مشروع قنال السويس بعد حوالى ٨٠ عاماً .

وخامساً : أقام الفرنسيون بالقاهرة وسواها مصانع النسيج والورق والذخائر ودبغ الجلود وهكذا وضعوا أساس الصناعة الحديثة بهذه البلاد .

وسادساً : أدخلوا الطباعة وانشأوا المكاتب والجرائد بالقاهرة ، وبذلك بدأت نهضة مصر الحديثة التى تعهدها محمد على باشا الكبير وخلفاؤه فيما بعد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وصف علماء الحملة للقاهرة :

ومع أن هذه الحملة لم تمكث بمصر أكثر من ثلاثة أعوام وشهرين ألا أنها تركت لنا عن القاهرة مراجعاً لا يمكن تقديرها بثمن . أنظر إلى خريطة القاهرة التى رسمها علماء هذه الحملة . أنظر إلى الصور واللوحات الفنية الواردة فى كتاب « وصف مصر » عن أحياء القاهرة ومعالم القاهرة ومساجد القاهرة ومعابد القاهرة وقلاع القاهرة وقصور المماليك ونساء المماليك بملابسهن الحريرية الزاهية وقباقيبهن المرتفعة وهن داخل الحريم وعن راقصات القاهرة باوضاعهن المغرية وعن ملاهى القاهرة وعن إحصائيات القاهرة وعن الحياة الاجتماعية فيها . الخ الخ .

أنظر إلى الأوصاف البديعة التى تركها لناچومار عن هذه العاصمة . وقل مع هذا العالم الذى أشرف على إخراج كتاب « وصف مصر » : « ما أدق هذه الأوصاف وما أصدقها وما أكثر انطباقها على الواقع »

رقص العوالم

وقف چومار يوماً فوق أسوار القلعة وجعل يصف تلك المدينة الخالدة التى وهبها قلبه ومشاعره فقال : « ليسمح لى القارىء أن أصف له منظر القاهرة الرائع الذى يتجلى أمام أعين الناظر من فوق أسوار القلعة ، فإن جمال هذا المنظر الآخاذ فوق كل تصور . فمن ناحية يمتد النظر بعيداً جداً فى صحراء ليبيا الشاسعة ويصل إلى ثلاثة أو أربعة فراسخ بعد أهرام الجيزة وسقارة ومصاطب الفراعنة إلى آخر سلسلة جبال ليبيا فترتسم أمامه حقول الوادى الخضراء وغابات النخيل الكثيفة الممتدة تحت أقدام هذه الآثار الخالدة الهائلة ثم يرى نهر النيل الملتوى اللامع مثل شريط من الفضة ، وجزيرة الروضة الجميلة ، وشاطىء النيل الشرقى بأجزائه الخضراء وأجزائه الصحراوية . وإلى يمينك ترى مدينة بولاق وإلى يسارك ترى مدينة مصر القديمة . ويقع نظرك على وادى التيه ، ثم تقترب منك مدينة الأموات وقناطر العيون . وأقرب من ذلك أيضاً تمتد تحت ناظريك مدينة القاهرة المتسعة بمآذنها التى يقدر عددها بين ثلاثمائة وأربعمائة مئذنة . وأخيراً ترى تحت أقدامك ميداناً فسيحاً مزدحماً بالأهالى المسرعين يزينه هذا الصرح الضخم

عوالم وأمامهن صندوق به الملابس والآلات

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وهو جامع السلطان حسن بمئذنتيه الضاربتين إلى ما فوق القلعة نفسها وقد يكون هذا الجامع أجمل مبنى بالمدينة كلها. هذه المناظر النادرة التى تجمع بين معالم مصر الفرعونية ومصر الإسلامية، و بين مقابر عاصمتها القديمة وعاصمتها الحديثة، و بين آثار عين شمس فى أقصى اليمين وآثار منف فى أقصى اليسار، أقول هذه المجموعة الهائلة تحرك مشاعر الناظر مهما قل اهتمامه بها، وتزيد تأمل العالم وحماسة الفنان، وتجذب أنظار الرجل العادى مهما كان جاهلاً بقواعد الجمال».

وسبق لأرتور رونيه أن وصف القاهرة من فوق القلعة سنه ١٨٦٤ فقال:

«من أعلى قصر الجبل الذى يشرف على القاهرة، يبدو المنظر ساحراً كله جمال لأن هذه المجموعة الهائلة من الشوارع والحارات والميادين غير المنتظمة القائمة بلا قاعدة طبقاً لأهواء ساكنيها، تحوى منازل وعمارات يبدو كل منها كأنه قطعة فنية منفردة بذوقها وأحلامها! فكيف يمكن وصف هذا الجو الساكن، كيف يمكن وصف هذه الأنوار المتلألئة التى تسبح فيها المآذن المزخرفة. ثم تليها هذه الظلال الوديعة التى تسود قاع الطرقات. هنا كل شىء يفرح القلب و يسر الفؤاد: الجمال، الألوان، الحركة بلا توزيع خاص. كل شىء يحرك المشاعر و يلمع و يصيح؛ كل شىء يتحرك و يثير الغبار فيبدو مثل الذرات الفرحة التى تراها خلال شعاع الشمس. وتستمر هذه الحركة حتى الغروب حين يرتفع صوت المؤذنين من أعلى هذه المآذن العالية مسبحين بحمد الله وداعين إلى الصلاة.»

الوكالات وتجارة القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية:

القاهرة — وكالة الغورى بشارع البلبطة

كانت الوكالات المكونة من أحواش سماوية داخلية كبيرة ومربعة تحيط بها حوانيت مسقوفة وتعلوها أدوار متعددة ومساكن ذات شرفات مخصصة لنزول القوافل حين وصولها إلى القاهرة. وقد عرف علماء الحملة من هذه الوكالات ومن سجلات الجمارك كيف كانت تسير الحركة التجارية بالقاهرة.

كانت ترد إلى القاهرة سنويا ثلاث قوافل هائلة. وكانت كل قافلة مكونة من حوالى ألف جمل وحمار وحصان.

أما القافلة الأولى فكانت ترد من بلاد المغرب تحمل الحجاج فى طريقهم إلى الحجاز.

أما القافلتان الثانيتان فكانتا تردان من بلاد النوبة ومن دارفور بالسودان تحملان تجارة الرقيق من البغاث

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والنساء السود . وكان تاجر الرقيق يأمر هؤلاء النسوة المسكينات أن يقفزن ويجرين وهن عاريات . بينما كان هو متدثراً بثوب طويل ويحمل فوق رأسه تاجاً من الفضة .

وكانت هناك قوافل أخرى ترد إلى القاهرة من السودان ومن بلاد الشرق . أما البضائع التى كانت تصل مع هذه القوافل فهى ريش النعام وتبر الذهب وسن الفيل والعاج وقط الزباد والمسك والقرود من أعالى النيل. والكليم والشيلان والصوف من مديرية الفيوم . والحرائر والمنسوجات والسجاجيد والتين والورد من بلاد العجم ومن الشام . والحلوى والملابس والمقاذيف وأعواد الرماح من تركيا . والكتان والدخان والبلح والغلال والمسلى والزيوت والعسل والسكر والبيض وزبل الحمام من الوجه القبلى . والبطاطين والطرابيش من تونس والزجاج من قبرص والزبيب من بلاد اليونان . والقهوة والمر والبخور من الحجاز وجزيرة العرب .

وتحت عنوان « بضائع النصرانية » كانت سجلات الجمارك تشمل كل مايرد إلى القاهرة من أوربا الغربية وأوربا الجنوبية عن طريق ثغور الاسكندرية ودمياط ورشيد . وكانت هذه البضائع تشمل :

أجواخ سيدان ولوفريه ولنجدوك ، وحرائر وخيوط الذهب الواردة من ليون ، وأسلحة من سان أتيين ، وخردوات وطرابيش من مرسيليا التى كانت تصدر إليها أيضاً أخشاب من البرازيل ، ودود القز والحشيشة المغربية والقصدير الإنجليزى ، والحديد السويدى ، والورق الفرنسى والساعات السويسرية والأسلحة الألمانية . وكانت تصل من انجلترا الأصواف والفراء الثمينة .

كما أن القاهرة كانت تصدّر الأرز والغلال والنطرون والسمسم والجلود والأقمشة القطنية والمنسوجات الكتانية إلى أوربا والبلاد الشرقية .

خريطة القاهرة التى رسمها علماء الحملة الفرنسية :

ومن أثمن المراجع التى تركتها لنا الحملة الفرنسية خريطة مدينة القاهرة التى رسمها علماؤها حوالى سنة ١٨٠٠ م . وترى من هذه الخريطة كيف أن القاهرة فى ذلك العهد كانت مكونة من ثلاث مدن منفصلة عن بعضها بالحقول والتلال وهى : بولاق والقاهرة ومصر القديمة .

أما مدينة بولاق فكانت ثغر القاهرة على النيل تبعد عنها حوالى كيلو متر . وقد قام المسيو لوبير كبير مهندسى الطرق والكبارى فى عهد الحملة بتمهيد طريق أبى العلاء (شارع فؤاد الأول الآن) وغرس الأشجار على جانبيه تسهيلاً لمرور فرق الجيش الفرنسى . وكان هذا الطريق يصل مابين بولاق والأزبكية بعد مروره فوق قنطرة المغربى التى كانت تقوم فوق الخليج الذى عرف إذ ذاك باسم خليج الطوابة (الخليج الناصرى القديم) . وكان هذا الخليج يخرج من النيل بالقرب من موردة البلاط عند كوبرى محمد على الحالى شمالى القصر العينى ، ويصب فى الخليج

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الكبير فى نهاية أرض الطبالة بالقرب من جامع الظاهر . وتشمل أرض الطبالة هذه المنطقه المعروفة اليوم بمحطة كوبرى الليمون والفجالة و بركة الرطلى . وكان على هذا الخليج قناطر أخرى كثيرة منها قنطرة البكرية ولا تزال آثارها معروفة للآن بجوار شارع الظاهر ، وقنطرة الليمون (حيث محطة كوبرى الليمون) وقنطرة الدكة (حيث ميدان قنطرة الدكة) ، وقنطرة المدابغ (أمام دار القنصلية البريطانية بشارع جامع چركس) وغير ذلك من القناطر .

وفى زمن الفيضان كان هـذا الخليج يتصل ببركة الأزبكية و يغمرها بمياه النيل و يحولها من أرض متربة قفرة إلى بركة تسبح فيها الفلائك وتنعكس عليها أضواء النجوم والقمر ليلا فتجعل منها مكاناً ساحراً جذاباً طالما تغنى بجماله جنود بونابرت . كما كان يتصل ببركة الشيخ قمر و بركة الرطلى بالظاهر بالقرب من مصبه ، و ببركة الفوالة وبركة الصابر بقسم الأزبكية . و ببركة الفراعين ومكانها الآن ميدان عابدين و ببركة السقايين و ببركة كريم بك . وكانت هذه البرك الثلاث الأخيرة متصلة من جهة أخرى بالخليج الكبير (الخليج المصرى) الذى كان يغذى أيضاً بركة الناصرية و بركة الفيل ومكانها الآن بقسم السيدة زينب .

أما مدينة القاهرة فقد أدهشت جنود الحملة بسعتها المفرطة و بدت أمامهم كأنها أوسع مدينة فى العالم مع العلم أن عدد سكانها فى هذا العهد لم يكن يزيد عن ٤٠٠ الف نسمة .

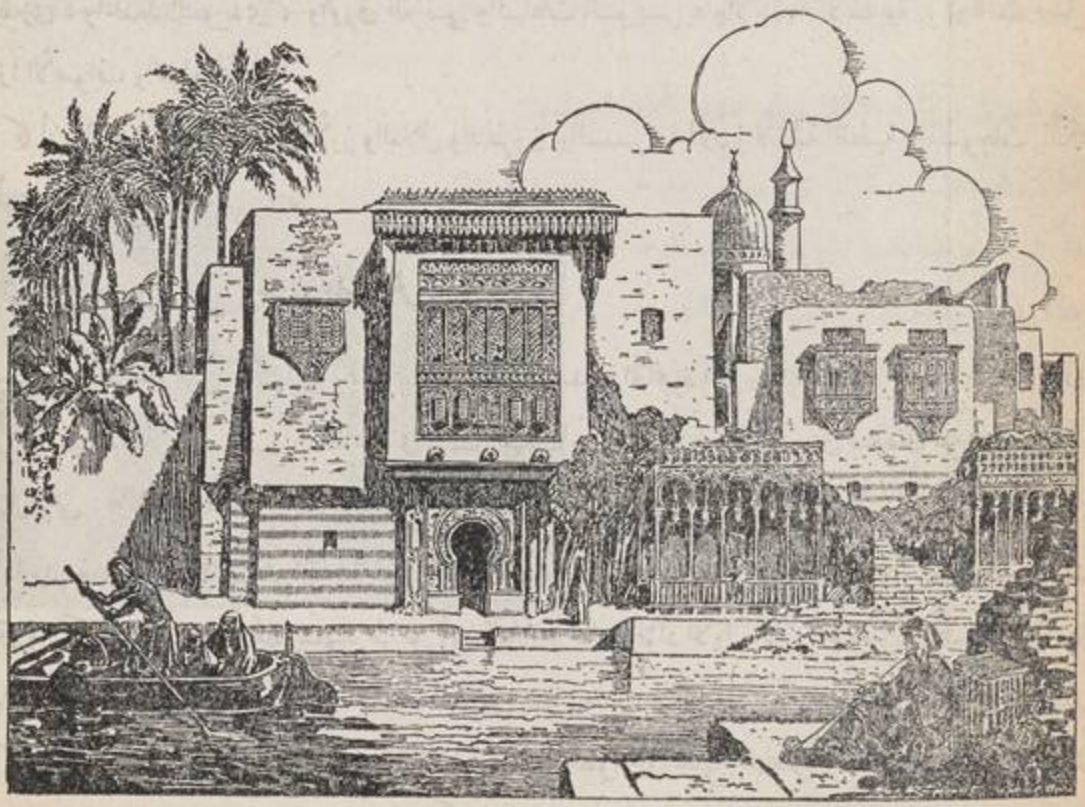

منظر للخليج المصرى ومنازل القاهرة التى كانت تطل عليه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما المدينة الثالثة وهى مصر القديمة أو دير النصارى فقد زارها الفرنسيون حيث أراهم الرهبان القبط مغارة كنيسة أبى سرجة التى نزلت بها العائلة المقدسة عائلة السيد المسيح أثناء إقامتها بمصر هرباً من هيرودس الرومانى حاكم فلسطين فى عهد الميلاد . كما أروهم جامع عمرو أو الجامع العتيق بأعمدته الأربعمائة .

أما قلعة الجبل — محل إقامة الباشوات أو الولاة فى العصر التركى — فكانت تزدان إذ ذاك بقصر فخم مربع هائل اسمه «الديوان» ، وكان هذا القصر مكوناً من صحن مكشوف تحيط به أعمدة فخمة من الجرانيت الأحمر ويجنو به إيوان بديع كانت تصنع به الكسوة الشريفة . وحول هذا القصر كان يوجد بالقلعة كثير من المبانى والمساكن ذات القباب يقيم بها الجنود وعائلاتهم .وكان عدد سكان القلعة لايقل عن ثلاثين ألفاً كما ذكر المستر بارسنس الإنجليزى.

وفى عهد محمد على باشا الكبير هدم هذا القصر وقام فى مكانه جامع محمد على الفخم وقصر الجوهرة البديع وأرسلت الأعمدة الجرانيتية الحمراء إلى الإسكندرية حيث أعيد بناؤها فى قصر رأس التين .

ومما يلفت النظر فى خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ أن عرض مجرى النيل فى منطقة القاهرة كان ضعف عرضه الحالى تقريباً . ويتضح من هذه الخريطة أن الشاطىء الغربى للنيل كان واقعاً تحت الأمكنه الآتيه :

بعد أن يمر النيل تحت سكن مدينة الجيزه يسير شمالا مائلا إلى الغرب قليلا ثم يمر تحت سكن بولاق الدكرور ثم يمر تحت سكن الدقى ثم يمر تحت سكن امبابه حيث مجراه الحالى .

ولا تزال آثار طراد النيل الغربى القديم هذا باقية إلى اليوم بين الدقى وامبابة ومبينة على خريطة القاهرة .

وفى عصر الخديو اسماعيل تم نقل هذا الشاطىء الغربى إلى مكانه الحالى بإقامة جسر فى النيل بين الجيزه وامبابة وذلك سنة ١٨٦٥ فطمت الأرض خلف هذا الجسر وتكونت منها المناطق المعروفة اليوم باسم أراضى شركة الجيزة والدقى .

جزيرة الزمالك :

يتصل هذا البحث برسم هذه الجزيرة المبين على خريطة القاهرة لعلماء الحملة الفرنسية فنقول :

فى القرن الخامس عشر الميلادى ظهرت فى مجرى النيل جزيرتان منفصلتان فى مكان جزيرة الزمالك الحالية. وقد سميت الجزيرة الشمالية منهما جزيرة حليمة والجزيرة الجنوبية المثلثة الشكل جزيرة أروى . (انظر الرسم ص ٤٥٩)

وفى زمن الحملة الفرنسية كان هناك ثلاث جزائر سميت فى خريطة القاهرة لهذه الحملة بالأسماء التالية : جزيرة عازار وجزيرة بولاق الكبيرة وجزيرة مصطفى آغا . ثم اتصلت هذه الجزائر ببعضها وأصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم الجزيرة الكبيرة أو جزيرة بولاق لمواجهتها لقرية بولاق ، ثم عرفت فى عصر محمد على باشا باسم جزيرة الزمالك .

ولما قام ديوان الأشغال فى عصر الخديو إسماعيل باشا ببناء جسر فى النيل بين مدينتى الجيزة وامبابة فى سنة ١٨٦٥

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

لتحويل شاطىء النيل الغربى إلى مكانه الحالى كما قلنا سابقا أخذت هذه الجزيرة شكلها الحالى .

أما الزمالك فكلمة ألبانية معناها الاخصاص والعشش المصنوعة من البوص أو القش مثل عشش رأس البر . حدث فى سنة ١٨٣٠ أن أنشأ محمد على باشا الكبير قصراً بين المزارع فى الجهة الشمالية من أرض الجزيرة الكبيرة حيث يقوم اليوم نادى ضباط الجيش والحديقة الملحقة به واتخذه للنزهة وكان بالقرب من هذا القصر « زمالك » يصطاف فيه رجال حاشيته وعساكر حرسه . فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك . ثم أطلق هذا الاسم على الجزيرة كلها بعد ذلك .

والصورة المنشورة تحت هذا الكلام تعطى للقارىء فكرة عن تحول شكل الجزائر الرسوبية التى تتكون وسط النيل تحت تأثير التيارات المائية وقوة الرياح . وهى تمثل تطورات جزيرة الذهب فى ظرف ١٥ عاماً فقط .

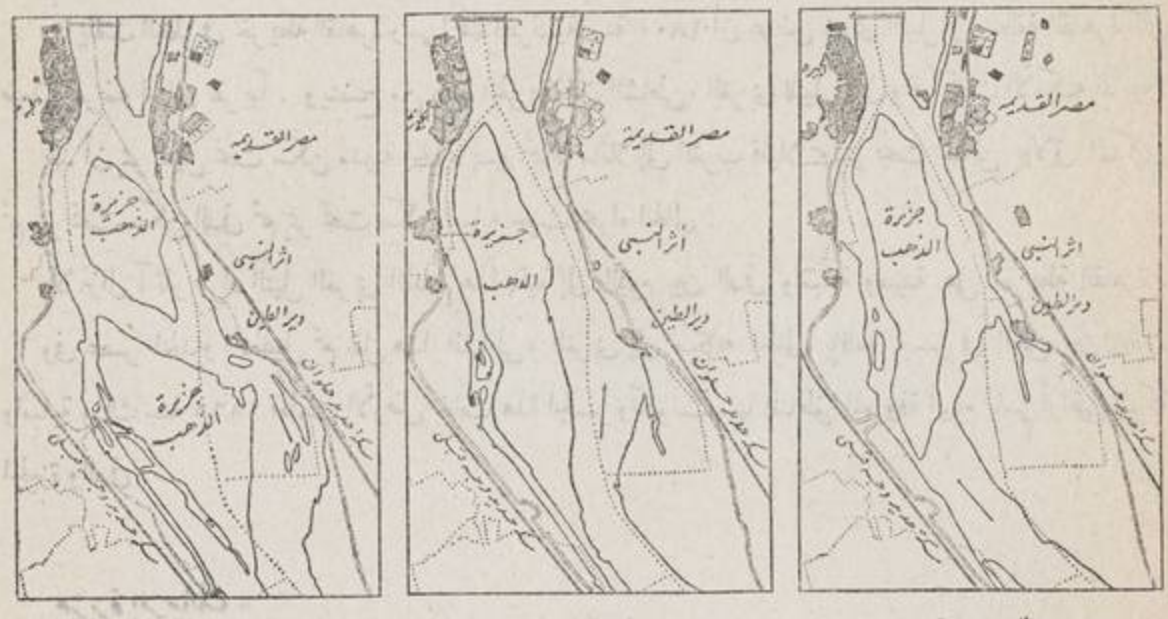

جزيرة الذهب سنة ١٩٣٠ جزيرة الذهب سنة ١٩١٤ جزيرة الذهب سنة ١٩٠٥

تكوين الجزائر فى مجرى النهر وتغيير شكلها تبعاً لتأثير الرياح وقوة التيار واتجاهاته

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل السابع

عصر محمد على باشا

من سنة ١٨٠٥ إلى ١٨٤٨

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر سنة ١٨٠١ ، عادت هذه البلاد كما كانت ولاية من الولايات العثمانية وعين السلطان من قبله خسرو باشا والياً عليها إلا أنه فى الواقع كانت هناك ثلاث قوات تتنافس على السلطة : أولها المماليك الذين كانوا يرغبون فى استعادة سلطانهم القديم فى مصر كما كانت عليه الحالة قبل الحملة الفرنسية ، وثانيها الإنجليز الذين كانوا يميلون إلى مساعدة المماليك و إسناد الحكم إليهم نظير احتلالهم لسواحل مصر الشمالية و بسط نفوذهم على هذه البلاد بعد أن ظهرت لهم أهميتها فى الاحتفاظ بطريق الهند ، وثالثها الأتراك الذين أرادوا الانفراد بالحكم بعد أن استردوا مصر بالقوة ، فسعوا إلى التخلص من المماليك تارة بالدسائس وطوراً بالحروب ودبروا مؤامرة لقتل زعمائهم إلا أن الإنجليز تدخلوا فى الأمر فخضع الأتراك وفقد المماليك كل ثقة بهم وانتقلوا إلى الوجه القبلى استعداداً لمقاتلتهم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبجانب هذه القوات ، كانت هناك قوة جديدة ، بدأ ظهورها فى عهد الحملة هى قوة الشعب المصرى ، الذى صمم على عدم الخضوع لاستبداد أية قوة من هذه القوات الثلاث . وكان بين الأتراك فى ذلك الوقت ضابط شجاع ظل يرقب مجرى الحوادث ، واستطاع بدهائه وتحببه إلى الشعب أن يفوز لنفسه بعرش مصر . ذلك الضابط هو محمد على الكبير .

قدم محمد على إلى مصر لأول مرة سنه ١٧٩٩ ضابطاً فى الحملة البحرية التى أرسلها السلطان التركى سليم الثالث لإخراج الحملة الفرنسية من مصر ، ولكنه عاد إلى بلاده بعد هزيمة العثمانيين فى موقعة أبو قير البرية ، ثم رجع إلى مصر ثانية سنة ١٨٠١ مع الجيش التركى البحرى الذى تحالف مع الجيش الإنجليزى لمقاتلة الجنرال مينو الذى تولى قيادة الحملة الفرنسية بعد قتل الجنرال كليبر . وانتهى الأمر بإخراج الفرنسيين من مصر . وقد أظهر محمد على شجاعة فائقة أثناء هذه الحرب فرقى إلى رتبة قائد .

وفى سنة ١٨٠٣ خرج الإنجليز من مصر ، بعد اتفاقهم على ذلك مع فرنسا وتركيا . وكان الوالى خسرو باشا قد اختلف مع محمد على لامتناعه عن مساعدته ضد المماليك قرب دمنهور ، فلما قرر محاربة المماليك الذين تحصنوا فى الصعيد أصدر أمراً إلى الجنود الألبانيين بقيادة طاهر باشا ومحمد على بالسفر إلى الصعيد لمحاربتهم ، فأوعز محمد على إلى جنوده بطلب رواتبهم المتأخرة ، فثاروا ضد خسرو وألجأوه إلى الفرار إلى دمياط ، وأقام طاهر باشا القائد الأكبر للجنود الألبانية نفسه والياً على مصر بعد اتفاقه مع العلماء ، ولكنه عجز أيضاً عن دفع رواتب الجنود فقتلوه .

خلا الجو لمحمد على لتولى الحكم إذ أنه كان يلى طاهر باشا فى المرتبة العسكرية ، ولكنه رفض ذلك خوفاً من ثورة الجنود ، وفضل أن يتحد مع المماليك بدلا من محاربتهم ، فتحالف مع زعيمهم البرديسى ، وتسلم المماليك الحكم فى مصر ، ولكن السلطة الحقيقية كانت مع ذلك فى يد محمد على .

ثم ذهب البرديسى ومحمد على على رأس قوة إلى دمياط وقبضا على خسرو باشا وسجناه فى القلعة . ولما عين السلطان سليم الثالث والياً جديداً على مصر بدلا من خسرو وهو على باشا الجزايرلى منعه المماليك من دخول القاهرة وقتلوه بإيعاز من محمد على .

وفى ذلك الحين عاد من انجلترا محمد بك الألفى أحد زعماء المماليك ، وكان قد صحب الإنجليز عند خروجهم من مصر وعقد معهم اتفاقاً سرياً ، ساعده الإنجليز بموجبه على استخلاص السلطة لنفسه فاشترك محمد على مع البرديسى فى محاربته ففر الألفى مع أتباعه إلى الصعيد .

عزم محمد على بعد ذلك على التخلص من البرديسى نفسه ، فلما طالب الجنود بما تأخر لهم من الرواتب أحالهم محمد على على البرديسى الذى اضطر أن يرضيهم بفرض ضريبة جديدة على الأهالى ، استعمل القسوة فى جمعها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فغضب الناس وشكوا أمرهم إلى محمد على ، فحاصر محمد على البرديسى فى قصره ولكنه تمكن من الفرار إلى سوريا وألغى محمد على الضريبة التى فرضها البرديسى على المصريين فسروا لذلك .

و بعد فرار البرديسى سنحت الفرصة مرة أخرى لمحمد على ليكون والياً على مصر ، ولكنه تردد فى الأمر لأن جيشه الصغير كان لا يقوى على محاربة المماليك والأتراك إذا اتحدوا ضده . ولهذا تظاهر بالولاء للسلطان ، وأطلق سراح خسرو باشا وأعاده إلى الحكم ، ولكن الجند رفضوا قبول خسرو باشا والياً عليهم فسافر إلى الإستانة وخلفه خورشيد باشا حاكم الإسكندرية .

ولما خشى خورشيد نفوذ محمد على ، أراد التخلص منه ، فاستحضر لهذا الغرض جنوداً من الشام اعتدوا على الأهالى ونهبوا المساكن والحوانيت . فضج الناس بالشكوى من استبداد جنود خورشيد ولجأ الشعب مرة أخرى إلى محمد على ليخلصه من أذاهم .

مبايعة محمد على والياً على مصر :

اجتمعت ألوف من المصريين فى يوم الإثنين ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ عند بيت القاضى بالجمالية وأقبل زعيمهم الشعبى العظيم السيد عمر مكرم يشق صفوفهم ، حتى إذا دخل البيت وجد به نخبة من شيوخ مصر وعلمائها وأهل الرأى فيها . واستقر الرأى على عزل الوالى خورشيد وتعيين محمد على والياً مكانه .

وما إن ذاع هذا القرار حتى طار الشعب فرحاً ، واتجه خلف زعمائه نحو بيت الوالى الجديد محمد على بالأزبكية (سراى الألفى بك ومكانه الآن لوكندة شبرد) . وهناك دخل الزعماء والعلماء والأعيان واستقبلهم محمد على هاشاً باشاً وكان عمره لا يزيد عن ٣٥ سنة . ولما قال له السيد عمر مكرم : « لا نرض إلا بك تكون والياً علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير » أجابه محمد على بقوله فى شىء من القلق : « أننى لا أحب هذا ، ففيه ثورة على السلطان » .

وعندئذ رد السيد مكرم قائلا : « إن هذه إرادة الشعب ، ولن يقبل غير محمد على حاكما » .

وانتهت المناقشة بأن نزل محمد على على إرادة الشعب المصرى فنهض السيد عمر والشيخ الشرقاوى وخلعا عليه كركا وقفطاناً إعلاناً لولاء الشعب له .

وأرسل الزعماء إلى خورشيد باشا قرار العزل طالبين منه أن يبرح القلعة لتصير مقراً للوالى الجديد . فضحك خورشيد مستهزئاً وقال : « أمن يوليه السلطان يخلعه الفلاحون » . فكان جواب الفلاحين على ذلك أن أحاط الجيش المصرى بالقلعة لإخراج خورشيد بالقوة ، ووصلت أخبار هذه الثورة إلى استامبول فلم يلبث السلطان التركى سليم الثالث أن أدرك حرج الموقف فبعث فى ٩ يوليو سنة ١٨٠٥ بفرمان سلطانى يستدعى به خورشيد باشا ويولى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مكانه محمد على ابتداء من ١٨ يوليو . ولكن خورشيد باشا مضى فى عناده حتى أكره على التسليم . ودخل محمدعلى القلعة يوم ٥ أغسطس سنة ١٨٠٥ حيث جلس على كرسى الحكم بين أعظم مظاهر ابتهاج الشعب وتأييده .

اصلاحات محمد على باشا :

تولى إذن محمد على الحكم فى مصر ، برغبة شعبها وعلمائها وزعمائها ، فأراد أن يعمل على إصلاح ما أفسده الأتراك والمماليك وبالفعل لقد عمل محمد على فى ٤٣ سنة ما لم يعمله الولاة الأتراك فى ثلاثة قرون كاملة فأصلح الإدارة والمالية والقضاء وأنشأ الجيش والأسطول . وقضى على فتن المماليك والإنجليز والترك والألبانيين والأكراد والشراكسة والبدو . ثم بطش بزعماء المماليك وقتل منهم ٤٥٠ فى القلعة وقضى على الباقين وذلك فى أول مارس سنة ١٨١١ أثناء حفلة تسليم ابنه طوسون قيادة الجيش المصرى الذى سافر إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين .

ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى أنشأ محمد على إمبراطورية مترامية الأطراف تشمل مصر والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريا وجزيرة كريت ونهض بكل مرفق من مرافق البلاد على أسس مدروسة وخطط مدبرة مستعيناً برجال الإصلاح وبالإخصائيين فى كل فن يجزل عطاءهم ويبالغ فى إكرامهم فلازمه التوفيق وحالفه النجاح . وبفضل هذه الروح تم إصلاح الجيش بواسطة الاستعانة بضباط من جيش نابليون منهم الكولونيل « سيف » الذى أسلم وصار سليمان باشا الفرنساوى الجد الأعلى للملكة نازلى ، والكولونيل فيسير ، والكولونيل بلانا الذى صار فى وقت ما رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى . وسيريزى الذى أنشأ ترسانة الإسكندرية وأنشأ الأسطول المصرى ، وكلوت بك الذى أنشأ مدرسة الطب بأبى زعبل وأخرج لجيش محمد على أطباء بارعين ويوسف حقيقيان بك الذى أنشأ مدرسة المهندسخانة ببولاق ومدرسة المعادن بمصر القديمة . ومع أن محمد على كان أمياً إلا أنه كان يحب العلم والعلماء فكان ذلك حافزاً له على التوسع فى إرسال بعثات من المصريين لكيلا تبقى مصر عالة على أوربا ولكى تجد فى أبنائها كفايتها من القواد والضباط والمهندسين والأطباء والمعلمين . وبالإجمال كان العلم سبيله إلى مشروعاته حتى أنه أنفق على طلاب البعثات فى عهده ، وكان عددهم حوالى الأربعمائة ، ما يقرب من نصف مليون من الجنيهات .

وكان محمد على يدير بنفسه دفة إمبراطوريته العظيمة فكان هو نفسه فى الواقع وزير الحربية ووزير البحرية ووزير المالية ووزير الخارجية ووزير الداخلية . أى أنه كان هو الحكومة والحكومة هو . وما كان أحد من وزرائه يجرؤ على أن يجادله أو يناقشه أو يعارضه .

وكانت عناية محمد على بشئون الجيش والأسطول تفوق كل عناية فأنشأ مدارس البيادة والفرسان والمدفعية وأركان الحرب والبحرية وغير ذلك ليصل بجيشه إلى حد الكمال . كما كان أسطوله يتألف من ٥١ سفينة حربية

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

و١٤٦ سفينة نقل ووصل عدد جيشه إلى ٢٣٥٫٨٨٠ ضابطاً وجندياً كما وصل عدد ضباط الأسطول وجنوده إلى ١٥٥٣٤ رجل . وهـذه النهضة الرائعة كانت مع ذلك لا تعتمد إلا على ميزانية ضئيلة قدرها ٢٫٩٢٩٫٦٢٥ جنيهاً مصرياً طبقاً لميزانية سنة ١٨٤٢ .

و بذلك نشأت فى عصر محمد على الدولة المصرية الحديثة وتحقق الاستقلال القومى . واعتبر محمد على بحق مؤسس مصر الحديثة ومجدد نهضتها ومجدها القديم .

تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا :

كان من الطبيعى أن تؤثر كل هذه الأعمال الإصلاحية فى تطورات مدينة القاهرة العمرانية وفى حياتها الاجتماعية فقد وصلت هذه المدينة فى عصر محمد على باشا لأن تكون عاصمة امبراطورية عظيمة كما كانت قبل الاحتلال التركى فازدحمت بالمصانع والمدارس والجيوش والقصور وامتدت حدودها شمالا وغربا وامتلأت ضواحيها بالثكنات العسكرية والمصانع الحربية ومدارس البيادة والمدفعية والفرسان والطب والهندسة وغير ذلك كثير جداً . ودبت الحياة قوية نامية فى القلعة وما حولها .

جاء محمد على إلى القاهرة بعد الحملة الفرنسية وكان من المنظور أن يجدها قد تحولت إلى مدينة أوربية جميلة جديرة بعبقرية بونابرت وأساليب بونابرت . ولـكنه وجد بدلا من ذلك مدينة مهدمة مشعثة خربتها مدافع بونابرت وكليبر أثناء إخماد ثوراتها المتتالية . هذا فوق أن بونابرت اضطر إلى تحصين المدينة فأقام قلاعاً فى كل جانب من جوانبها وأزال ما حول هذه القلاع من مبان ومساكن وجوامع ، فبدت المدينة مخربة . وكان مقدرا لمحمد على باشا الـكبير أن يعيد هو إلى هذه المدينة ما كان يحلم بتحقيقه الجنرال بونابرت لو واتته الظروف ، وأن يصلحها وينهض بها أثناء نهضته العظيمة بمصر . وقد ساعده على ذلك بنجاح تام نبوغه وروحه الطموحة إلى البناء والتجديد وما وجده من تعضيد الجاليات الفرنسية لمشروعاته العمرانية .

و كانت مراكز القاهرة الرئيسية تقع فى هذا العهد حول بركة الأزبكية وحول بركة الفيل وحول القلعة وعلى شاطىء الخليج المصرى . وكانت المدينة محصورة بين جبل المقطم شرقا وبركة الأزبكية غربا والحسينية شمالا والقلعة جنوبا .

الخليج المصرى :

وكان الخليج فى عصر محمد على باشا العمود الفقرى لمدينة القاهرة ، يخترقها من الجنوب إلى الشمال ويقسمها إلى نصفين . وكان يخرج من النيل جنوبى قصر العينى عند السواقى السبع التى كانت توصل المياه من النيل للقلعة فى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مجرى بنى فوق حائط العيون . وهذه السواقى الآن خلف نقطة البوليس بفم الخليج . وقد أصلحها محمد على سنة ١٨٠٨ ومد مجرى جديداً للمياه فوق حائط تبدأ من قرافة السيدة نفيسة وتنتهي إلى مقابر العائلة الملكية بالإمام الشافعى .

وكان الخليج يسير من ناحية السواقى المذكورة نحو الشمال الشرقى ثم ينعطف نحو الشرق الجنوبى حتى يصل إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب الآن) ثم يعود إلى سيره نحو الشمال الشرقى ماراً غربى بركة الفيل ثم غربى درب الجماميز ثم غربى باب الخرق ثم يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية (العدوى الآن) ويسير خارج القاهرة إلى جامع الظاهر ومن هناك يسير بين الحقول والمزارع إلى ناحية الزاوية الحمراء والأميرية وسرياقوس والخانكة وسواها .

القاهرة — الخليج المصرى كما كان فى عصر محمد على باشا

ولما كان الخليج معتبراً كالعمود الفقرى لمدينة القاهرة فى عصر محمد على كما قلنا فلا بد من دراسة كل من الأحياء الواقعة على ضفتيه على حدة ، لأجل أن تكون دراسة مدينة القاهرة فى عصر محمد على على أساس صحيح .

الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الغربية للخليج :

من الشمال إلى الجنوب كنت تجد إلى غرب الخليج أرض الطبالة وهى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة ، ومن الغرب بشارع غمره إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر فميدان باب الحديد حيث كان النيل فى العصر الفاطمى . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى . ويدخل الآن فى هذه المنطقة محطة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطلى . وتقدر مساحة هذه المنطقة بحوالى مائتى فدان كان الخليفة المستنصر الفاطمى قد وهبها إلى كبيرة مطرباته السيدة نسب الطبالة فسميت هذه المنطقة باسم أرض الطبالة . وكانت بها بركة كبيرة اسمها بركة الرطلى وكذا كانت بها بركة الطبالة . وقد أطلق اسم بركة الرطلى على حى كبير من أحياء هذه المنطقة الآن .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وإلى جنوب هذه البركة كانت تلال وآكام تمتد خارج باب الحسينية حتى محطة كوبرى الليمون وميدان محطة مصر الحالى. وإلى شمال هذه البركة كان يمر خليج الطوابه بعد اختراق هذه الآكام. وكان هذا الخليج يعرف أيضاً باسم خليج المغربى وهو الخليج الناصرى القديم. وكان يصب فى الخليج الكبير بالقرب من جامع الظاهر. وفى مدة الفيضان كانت بركة الرطلى تمتلىء بمياه النيل وتسبح فيها القوارب والفلائك وتنعكس عليها الأضواء فتصبح من أجمل أمكنة النزهة بالقاهرة. وكانت أرض الطبالة هذه خارج سور القاهرة. وفى عصر محمد على ردمت بركة الطبالة وبركة الرطلى بأتربة التلال التى كانت محيطة بها فتحولت أراضيها إلى بيوت ومساكن. وكان بيت لينان بك دى بلفون كبير مهندسى محمد على باشا يقع إلى غرب بركة الرطلى القديمة.

وكان يلى أرض الطبالة، خط المقس، وكان هذا القسم يشمل المنطقة الكبيرة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى ومن الشمال بشوارع الطبلة والطواشى والشمبكى وبين الحارات. ومن الغرب بميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلى وشارع عماد الدين. ومن الجنوب بشارع قنطرة الدكه وشارع القبيلة ودرب القطة وشارع الفوطية وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين حتى تقابله بشارع الخليج. وأهم معالم هذه المنطقة هو جامع أولاد عنان الذى كان يعرف أيضاً باسم جامع المقس.

وإلى جنوب خط المقس كانت أراض زراعية يغمرها ماء النيل سنويا وكان يتخلف فيها بعد الفيضان بركة كانت تعرف ببركة الأزبكية. وإلى هذه البركة ينسب شارع وجه البركة المعروف اليوم باسم شارع قنطرة الدكة. فإلى الشمال الغربى من بركة الأزبكية كان يقع حى النصارى بدرو به وأزقته الضيقة ومساكنه الحقيرة الخشبية حيث كان يقيم أقباط القاهرة. وكان هذا الحى ضمن خط المقس المذكور سابقا. وقد نقلت إليه البطريركية

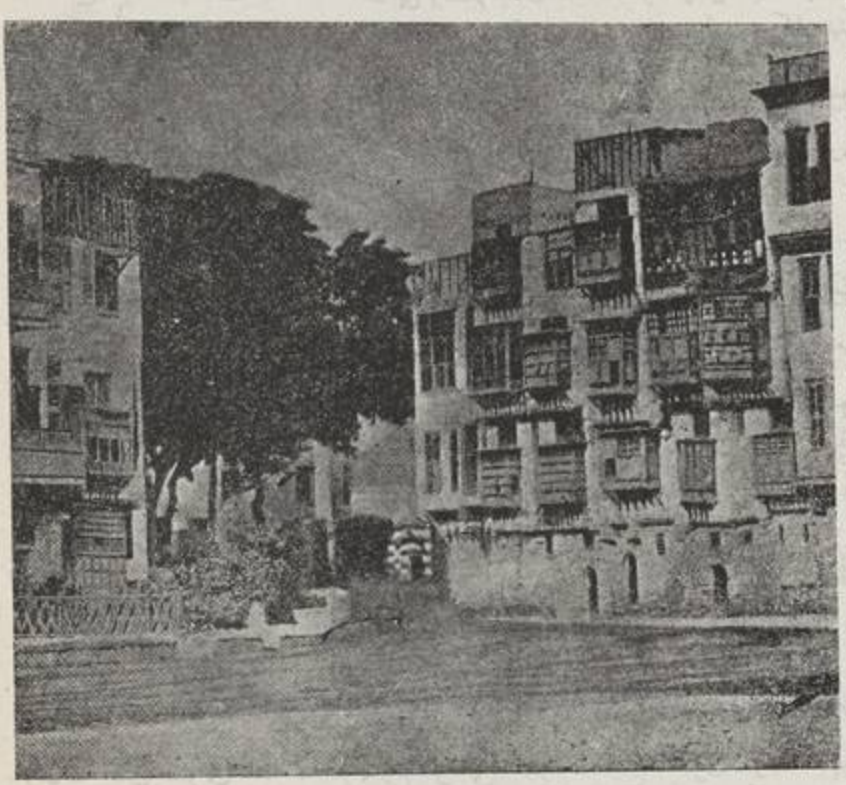

بيوت الأقباط بحى النصارى الذى كان يقع إلى الشمال الغربي من بركة الأزبكية

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

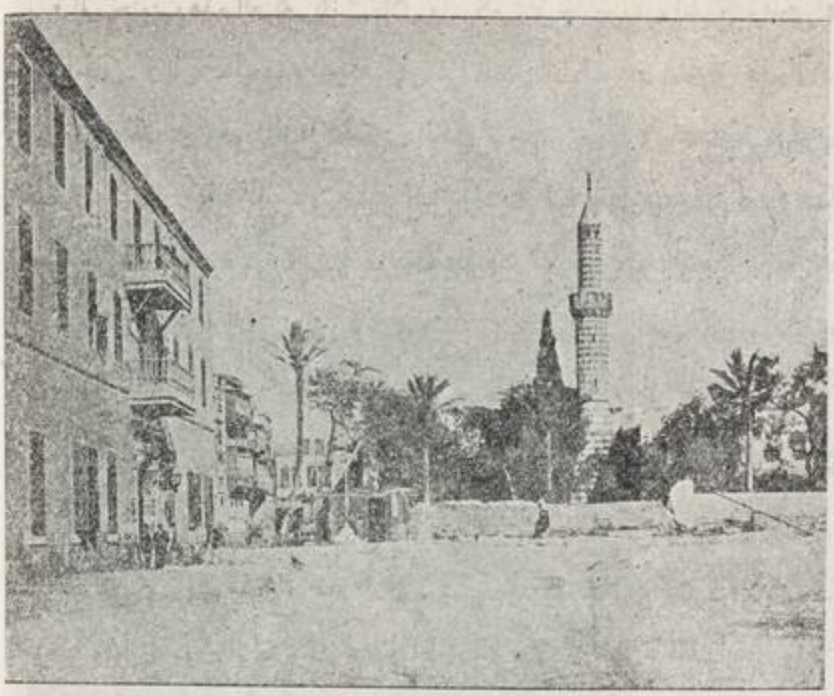

مسجد الأمير أزبك الذى تنسب إليه منطقة «الأزبكية» وقد هدم سنة ١٨٧٥ بمناسبة فتح شارع محمد على وتنظيم ميدان العتبة الخضراء ونقل منبره الثمين إلى جامع سيدنا الحسين . وترى بجواره فندق الشرق حيث كان ينزل فرديناند دى لسبس وكبار مهندسى شركته أثناء حفر قنال السويس.

القبطية فى عصر الحملة الفرنسة سنة ١٧٩٩ م من مقرها القديم بحارة الروم بقسم الدرب الأحمر . وفى السنوات الأخيرة جدد بناء الدار البطريركية بالدرب الواسع .

أما الدرب الواسع هذا فقد عدل حديثاً وسمى بعد تعديله وتوسيعه شارع الكنيسة المرقسية وهو يصل الآن ما بين شارع كلوت بك وميدان قنطرة الدكة .

وإلى شرق بركة الأزبكية كان يقع خط الأفرنج وكان خطا كبيراً يحد من الغرب ببركة الأزبكية . ومن الشرق بالخليج المصرى . ومن الشمال بخط المقس. ومن الجنوب بشارع الموسكى الحالى و بمقبرة هائلة كانت تعرف باسم مقبرة الأزبكية . وكان بجوارها جامع أزبك الذى هدم سنة ١٨٧٥ أثناء تنظيم ميدان العتبة الخضراء .

وكان هذا الحى محل إقامة التجار الفرنسيين والشوام والروم والإيطاليين . وكانت أهم معالمه حديقة روسيتى الشهيرة التى يخترق أراضيها الآن شارع الأمير فاروق من جهة فمه عند العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة) وكانت هذه الحديقة مشهورة بأشجار الغار والسنط والجميز والنخيل والزيتون التى كانت تنمو فيها نمواً هائلا . وحول هذه الحديقة كانت دور قناصل الدول الأوربية وأهمها دار قنصل فرنسا المسيو دروفيتى ونائب القنصل المسيو ماتيو دى لسبس والد فرديناند دى لسبس صاحب مشروع قنال السويس . ثم دار تياترو القاهرة وهو المسرح الذى أنشئ فى عهد حملة بونابرت ومكانه الآن سينما مصر . وقبل السينما الحالى كان فى نفس هذا المكان ملهى رقصت فيه شفيقة القبطية وغنت فيه السويسية وتوحيده ومنيرة المهدية وسواهن .

وكان هناك على شاطئ بركة الأزبكية فندق واجهورن وكان يديره رجل انجليزى . وكما كان يوجد فندق دومرج وموقعه الآن جنوبى نقطة تقاطع شارع الموسكى بشارع الخليج المصرى . وقد اشتهر فندق دومرج هذا بسهراته الممتعة التى كانت تشترك فيها امرأتان فرنسيتان حضرتا مع بعثة سان سيمونيان وهما: أجاريت كوسيدير وكلورند روچيه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثم فندق موناى الذى أنشئ فى عهد الحملة الفرنسية . وفندق جاردينو الذى أسسه إيطالى كان فى خدمة الوالى محمد على.

وقد تخلّف عن هذا الحى للآن كنائس كثيرة للأفرنج منها كنيسة العذراء بشارع حوش الحين وكنيسة العائلة المقدسة و بطريركية ومدرسة الأقباط الكاثوليك بدرب الجنينة بقسم الموسكى.

وكان خط أو حارة الأفرنج بوابات ضخمة تقفل ليلا .

أما فى غرب بركة الأزبكية فكانت تقع سراى الألفى بك التى نزل بها بونابرت فى عهد الحملة الفرنسية وقتل فى حديقتها الجنرال كليبر كما نزل بها محمد على باشا و بويع فيها والياً على مصر . وقد تحولت هذه السراى إلى لوكندة باسم شبرد سنة ١٨٣٤ فى عهد محمد على باشا . و إلى غرب هذه السراى كانت بساتين وحقول يليها خليج المغربى الذى كان يغذى بركة الفواله و بركة الصابر وهى من البرك التى ردمت فى عهد محمد على باشا بواسطة الأتربة المنقولة من التلال والآكام التى كانت تمتد من محطة مصر إلى السبتية و بولاق على الشاطئ الغربى للخليج الناصرى. و إلى غرب هذه التلال كانت حقول وأراضى زراعية ثم مدينة بولاق ثغر القاهرة على النيل .

وكانت بولاق متصلة بالأزبكية بطريق مهّده لوبير كبير مهندسى الحملة الفرنسية وكان يطلق عليه اسم طريق بولاق ثم عرف بشارع ابو العلاء ومكانه شارع فؤاد الأول . وكان طريق بولاق يخترق التلال الموازية لخليج المغربى . وقد أزيلت هذه التلال ومكانها الآن المدارس الايطالية ببولاق ومكاتب شركة مياه القاهرة الخ . . .

أما بولاق فكانت بلدة صغيرة لا تتجاوز مبانيها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية ومن الجنوب بشارع اسطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الحجاج وتل نصر وابور النور ومن الغرب بنهر النيل .

أما المنطقة الممتدة بين بولاق شمالا ومنشاه المهرانى التى بها اليوم مستشفى قصر العينى وكليه الطب جنوباً ، فكانت لغاية سنة ١٨٠٥ كيمانا موحشة وخرائب مقفرة وأراضى زراعية و بساتين . فلما جاء محمد على باشا دخل جزء من هذه المنطقة اسمه بستان الخشاب فى ملك إبنه إبراهيم باشا . أما بستان الخشاب هذا فيحد الآن من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب بنهر النيل . ومن الجنوب بمستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل وما فى امتداده شرقاً إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق بشارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع شارع المبتديان حده الشمالى .

أقول : دخل هذا الجزء فى ملك إبراهيم باشا وهو خرائب وتلال ، فعسكر فيه الجيش المصرى فى خيام أقيمت هناك ، و بعد قليل بنيت ثكنات للجند فى مكان الخيام .

ولما ذهب ابراهيم باشا إلى حرب الشام سنة ١٨٣١ ، أمر بإزالة التلال و إصلاح أرض هذه المنطقة وتمهيدها . فلما عاد من هذه الحرب سنة ١٨٣٥ وجد الأرض ممهدة فأنشأ لنفسه قصرا فيها سماه القصر العالى . وكان هذا القصر فى الحقيقة مكوناً من قصرين ، أسكن فى القصر الجنوبى زوجته الأميره خوشيار قادين والدة الخديوى إسماعيل باشا،

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وأسكن فى القصر الشمالى زوجته الأمير شيوه كار قادين والدة الأمير أحمد رفعت باشا. وكان القصران متجاورين يجمعهما سور واحد، غير أنه كان بينهما فاصل مبنى بالحجر. ثم بنت الأميرة خوشيار بجانب قصرها جملة مساكن خاصة بالحاشية والخدم والجوارى.

وقد أحيط القصر العالى بحديقة كبيرة وتم كل ذلك سنة ١٨٣٥. وكان القصر يقع فى المنطقة التى تحد الآن من الجنوب بشارع مستشفى اللادى كرومر ومن الشمال بشارع ابراهيم باشا نجيب ومن الشرق بشارع القصر العينى ومن الغرب بنهر النيل.

وظل هذا القصر قائماً حتى سنة ١٩٠٦. وقد سكنه إسماعيل باشا وولد له فيه الخديو توفيق باشا فى ٣٠ إبريل سنة ١٨٥٢، ثم تمت فيه أفراح الأنجال وهي احتفالات رائعة عملت بهذا القصر بمناسبة زواج أنجال الخديو اسماعيل باشا وهم توفيق باشا وأخوته حسين كامل باشا، وحسن باشا وفاطمة إسماعيل.

ثم آل هذا القصر إلى الدائرة السنية فباعته سنة ١٩٠٦ بثلاثة أرباع مليون جنيه مصرى إلى شركة أجنبية يرأسها المسيو شارل باكوس فهدمته الشركة وباعت أنقاضه وأثاثه وتحفه وأشجار حدائقه النادرة وأزهارها العجيبة إلى كبار أعيان المصريين، ثم قسمت أرضه بشكل منحنيات. ويعرف مكانه الآن باسم جاردن ستى أى مدينة الحدائق. وقد تسابق القاهريون فى شراء أثاث هذا القصر وستائره وبسطه ورخامه ومراياه، وجهزت عرائس الذوات من هذه المشتريات. كما اشترى المنشاوى باشا منه أشجار حدائقه بالقرشية بمديرية الغربية التى اشتهرت بأجود أصناف المانجو.

هذا أما باقى أرض هذه المنطقة فكان بها بركة الفراعين التى ردمت ومكانها الآن ميدان عابدين كما كان بها بركة السقايين وبركة أبو الشامة وخلافها. وقد ردمت كل هذه البرك أيضاً ونشأت بدلها الأحياء الحديثة المعروفة الآن بالمنيرة والإنشا والدواوين وعابدين وباب اللوق وقصر الدوبارة وقصر النيل إلخ إلخ . . . .

الاراضى والاحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج :

أما على الضفة الشرقية للخليج فكنت تجد من الشمال إلى الجنوب جامع الظاهر بمساحته الهائلة وقدرها ثلاثة أفدنة تقريباً. وكان الفرنسيون قد حولوه إلى قلعة عرفت باسم قلعة سلكوفسكى وجعلوا من مئذنته مرصداً للمراقبة وأقاموا به ثكنات للجنود وعلى بعد قليل منه أقاموا مقبرة مؤقتة للجنرال كليبر. فلما جاء محمد على باشا حول جامع الظاهر الى مخبز للجراية ومعمل للصابون. وكان حول هذا الجامع من الجنوب بساتين وحدائق ثم تلال فى جنوبها بركة جناق.

وكانت حارة الحسينية تقع خارج باب الفتوح وسور القاهرة الشمالى وتمتد إلى شرق جامع الظاهر وإلى جنوبه.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكانت التلال تمتد من باب الحسينية إلى الفجالة حتى باب الحديد . وقد أزيلت واستعملت أتربتها فى ردم بركة الرطلى وبركة الطبالة كما قلنا سابقاً .

أما داخل السور فكنت تجد قاهرة المعز القديمة وبها حارة اليهود وحارة الروم وسواها .

أما بركة الفيل فكانت أرض زراعية منخفضة يغمرها النيل وقت الفيضان وكانت تقع إلى شرق الخليج خارج سور القاهرة الجنوبى وكانت تشمل قديماً المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الحبانية ومن الغرب بشوارع درب الجماميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب بشارع مراسينا ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقى حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى . ومن الشرق بقية شارع نور الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبد الرحمن بك وما فى امتدادها حتى تقابل الحد البحرى .

وكانت بركة الفيل من أجمل متنزهات القاهرة وقد فتن الناس جمال موقعها فانشأ أغنياء القاهرة دورهم حولها ، ثم تحولت أرضها تدريجاً من الزراعة الى السكن . ولم يبق من أرض البركة بدون بناء إلى سنة ١٨٠٠ م التى رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أمر محمد على بردمها ، ثم أقيمت عليها فيما بعد سراى عباس باشا الأول والى مصر المعروفة بسراى الحلمية وحديقتها الكبيرة .

وفى سنة ١٨٩٤ قسمت أراضى الحديقة .

وفى سنة ١٩٠٢ هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضاً وبيعت جميع القطع وأقيمت عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة .

وإلى شرق بركة الفيل كانت تقع القلعة بأسوارها المشعثة وقصورها المخربة وكانت قد لاقت كثيراً من مدافع الفرنسيين وثورات الجنود والحرائق . فلما جاء محمد على باشا أصلح أسوارها

القاهرة — بركة الفيل كما كانت فى عصر محمد على باشا وترى بستان الحبانية الذى كان يطل عليها .

القاهرة — الدور والمنازل المحيطة ببركة الفيل كما كانت فى عصر محمد على باشا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

و بنى بها جامعه وقصره المعروف باسم قصر الجوهرة. ثم أعاد تنظيم القلعة و بنى بها مصانع حربية وداراً للمحفوظات الحكومية وثكنات لجنوده وأخرج منها باقى سكانها الأجانب .

أما إلى جنوب بركة الفيل فكنت تجد آثار مدينة القطائع والعسكر ثم مصر القديمة .

فاذا تركت السواقى السبع التى يقع فم الخليج بجوارها تشاهد أطلالا عالية تطل اليوم على سكة حديد حلوان وتعرف بتلال زينهم وعين الصيرة . وهذه الأطلال هى البقية الباقية من عواصم مصر الاسلامية القديمة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع التى تخربت بيوتها منذ القدم ، كما أنها أنقاض البيوت التى هدمتها مدافع الفرنسيين والقيت هناك ، فتجمع منها على مر السنين تلال عالية وصل ارتفاعها إلى خمسين وستين متراً وراء مسجد السيدة زينب ومسجد ابن طولون . وقد تكونت بنفس هذه الطريقة تلال البرقية المعروفة اليوم باسم تل قطع المرأة فى شرق المدينة .

وفى زمن محمد على باشا كانت التلال تكتنف مدينة القاهرة من كل جانب كما ذكرنا وتملأ جوها رمالاً سافية تضيق الأنفاس وتقبض الصدور . فصدر الأمر إلى المهندس الفرنسى بونفور بازالتها وإنشاء متنزهات مكانها ، فظل يقطع من هذه التلال ثمانى سنوات و يطرحها فى البرك حتى تخلصت القاهرة من كثير منها .

على أن أطلال طولون الحالية كانت أعلى مما هى الآن إذ أن جزءاً كبيراً منها استعمل فى ردم بركة الفيل عندما أمر محمد على باشا بردمها .

وكان يطل على بركة الفيل بستان الحبانية . ولا يزال هذا الإسم يطلق على سكة الحبانية . والحبانية اسم لبطن من إحدى قبائل العرب ينتهى نسبها لطى . أقامت هناك فأطلقوا اسمها على ذلك البستان .

ومن الأسماء التى تسترعى أنظارنا إلى اليوم فى الأحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج شارع الوافدية القريب من محطة السيدة زينب على سكة حديد حلوان . والوافدية قوم من التتر من أصحاب الأمير جنكل بن البابا . وحكر أقبغا المنسوب إلى الأمير أقبغا عبد الواحد استادار الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى أذن للناس بتعمير هذه الناحية والبناء فيها .

ثم الخرنفش وكان فى أيام الفاطميين ميداناً بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى . فلما زالت الدولة الفاطمية اختط وصارت فيه المساكن والأسواق والحمامات وسمى « الخرشتف » وهو ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات من القمامات وغيرها ، وقد حرف هذا الإسم وأصبح الخرنفش .

أما شارع بين السورين ، فكان يمتد من باب القنطرة إلى باب سعادة ، وكانت منازله تشرف على الخليج من جهة وعلى هذا الشارع من جهة أخرى .

تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا

تلك كانت حال مدينة القاهرة العمرانية فى عصر محمد على باشا . وقد كانت إزالة التلال المحيطة بها وردم البرك

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

التى تتخللها من كل جانب من أهم الأعمال الإنشائية التى تدين بها القاهرة الحديثة بسلامتها لعصر محمد على باشا ، وإبراهيم باشا .

قال كلوت بك فى كتابه لمحة عامة إلى مصر :

« كانت هذه المشروعات من أكبر الأعمال أثراً فى تطورات مدينة القاهرة العمرانية والصحية فى عصر محمد على باشا وإبراهيم باشا ، وكان عدد سكان القاهرة فى هذا العصر لايزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، كما كان عدد شوارعها ودروبها وأزقتها وحاراتها المتعرجة المتكسرة حوالى ٢٤٠ بين شارع وحارة ودرب ، لا يزال بعضها باقياً للآن باسمه الأصلى مثل شارع الصليبة وشارع السيدة زينب وشارع الموسكى وشارع الشعرانى وشارع السيدة نفيسة وشارع مرجوش والحمزاوى وحارة الزير المعلق والبلاقسة وعمرشاه والسادات الخ . . . وترجع هـذه الأسماء كلها إلى عصر محمد على باشا .

كما كان بها أربعة ميادين وهى قره ميدان (ميدان صلاح الدين حالياً) وميدان الرميلة (ميدان محمد على حالياً) بالقلعة ، وميدان الأزبكية حيث حديقة الأزبكية الآن ، وميدان قناطر السباع (ميدان السيدة زينب الآن) .

وقد قسم محمد على القاهرة إلى ثمانية أقسام عرف كل قسم منها باسم التمن وهى : تمن الدرب الأحمر ، وتمن الأزبكية ، وتمن الخليفة ، وتمن عابدين ، وتمن باب الشعرية ، وتمن مصر القديمة ، وتمن بولاق ، وتمن درب الجماميز .

قناطر الخليج :

أما القناطر التى كانت على الخليج فى هذا العصر تربط الأحياء الغربية بالأحياء الشرقية فكثيرة نذكر منها : قنطرة السد ، وكانت تعرف أيضاً باسم قنطرة الماوردى وموقعها الآن عند تقابل شارع الخليج بشارع مدرسة الطب . وقناطر السباع وموقعها الآن بميدان السيدة زينب ، وكانت عبارة عن قنطرتين رسمها علماء الحملة الفرنسية على خريطة القاهرة سنة ١٨٠٠ . وفى كتاب وصف مصر . وكانت الأولى تصل بين شارع الكومى وشارع السد ، والثانية تصل بين شارع الكومى وشارع مراسينا . وقنطرة عمر شاه يتوصل منها إلى حكر قوسون . وقنطرة آق سنقر يتوصل منها إلى الحبانية . وقنطرة باب الخرق ومكانها الآن بميدان باب الخلق مقابل فم شارع تحت الربع . وقنطرة الموسكى أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب صلاح الدين الأيوبى ، وإليه ينسب حى الموسكى وشارع الموسكى الذى فتح فى عهد محمد على باشا . وقنطرة الأمير حسين . وقنطرة باب القنطرة ومكانها الآن بميدان باب الشعرية بشارع الأمير فاروق مقابل فم شارع أمير الجيوش الجوانى . وقنطرة باب الشعرية التى عرفت فيما بعد باسم قنطرة الخروبى ، ومكانها الآن بالقرب من ميدان العدوى . والقنطرة الجديدة أو قنطرة الذى كفر على امتداد سكة رحبة عابدين . وقناطر الأوز ، ويتوصل إليها من الحسنية . وقنطرة غمرة . وقنطرة الأميرية الخ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكانت كل هذه القناطر مبنية بشكل عقد ذات عين واحدة ما عدا قنطرة السد التى كانت ذات عينين . وظل الخليج يغذى القاهرة وضواحيها بمياه الشرب فى عصر محمد على باشا . فكان السقاؤون ينقلون المياه منه بقربهم إلى أزيار فى المنازل لترشيحها . وكان لبعض المنازل صهاريج تحت الأرض تملأ إبان فيضان النيل ، ثم تسحب منها المياه بالدلاء بقية أيام السنة . وكانوا يحتفلون بفتح الخليج سنوياً عند وفاء النيل احتفالا رائعاً خلّد الأدباء بدائعه وأنسه .

وسائل الانتقال :

وكانت أهم وسيلة من وسائل الانتقال بالقاهرة فى عصر محمد على هى متون الحمير ، فكان الغلمان المكارية يقفون صفوفاً حول بركة الأزبكية بحميرهم البيضاء الجميلة وقد وضعوا عليها سروجاً مزينة أحسن زينة ، وكانوا يقطعون الطرق عدواً خلف دوابهم وهم حفاة الأقدام دون أن تبدو عليهم دلائل التعب أو الإعياء . وكانت هناك مركبات تجرها الخيول والبغال ؛ ولكن قليلون كانوا يفضلونها على الحمير كما كان العلماء يركبون البغال والأتراك يركبون الخيول

طريق الأوفر لندروت أو الطريق البرى :

سبق لنا دراسة هذا الطريق فى كتاب منطقة قنال السويس ص ٣٠٨ ولكن لا بد من كلمة هنا عن مرور البضائع والبريد والركاب بالقاهرة فى طريقها بين أوربا والهند أو بلاد الشرق . فقد صادف مشروع واجهورن الخاص بجعل مصر ملتقى طرق المواصلات بين الشرق والغرب هوى فى نفس محمد على باشا ، وكان يهمه قبل كل شىء سلامة مرور البريد بالأراضى المصرية نظراً لمنافسة طريق الفرات وطريق رأس الرجاء الصالح للطريق البرى .

وبفضل عطف محمد على باشا نجح مشروع واجهورن نجاحا حمله على تأسيس فندق واجهورن بالقاهرة واختار بقعة جميلة فى شبرا لتكون مزرعة تمون السائحين بالخضار والفاكهة .

وكان المسافرون إذا ما وصلوا إلى ثغر بولاق ينقلون فى عربات كبيرة تسع الواحدة ١٢ شخصاً إلى الفندق . أما البريد والبضائع فكانت تفرغ على رصيف الجمرك ثم تفرز ، وتحمل على جمال تسير قوافل مجتازة صحراء السويس . وكانت البضائع تسلم إلى مشايخ العربان بسندات وحوافظ لتوصيلها إلى ربان الباخرة ، والنقد فى عهدة صراف ، والبريد فى عهدة الحمالة والقواصين الأتراك لتسليمه إلى ربابنة السفن ، وكان أكثر المسافرين يفضلون قضاء يومين أو ثلاثة أيام فى القاهرة لزيارة معالمها التاريخية وأسواقها ، ثم يستأنفون السفر إلى السويس . فكانت تقلهم عربات أمنيبوس تنهب الأرض نهباً إلى السويس عن طريق الصحراء .

وأخذت أهمية الطريق البرى « الأوفرلندروت » تزداد . فلما تحولت إليه تجارة الشرق ، قرر محمد على إنشاء مصلحة خاصة بالطريق البرى تتناول الأعمال المتعلقة به والإشراف على حركة نقل الركاب والبريد والبضاعة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وجعل مقر الديوان بالعتبة الخضراء — مكان سوق الخضار القديم بأول شارع الأمير فاروق . ووضعت تعريفة للسفر بين الاسكندرية والقاهرة ، ثم ألغى محمد على الشركة الإنجليزية التى كانت تتولى الترانسيت وحول أعمالها إلى مصلحة المرور .

وفى سنة ١٨٣٣ وصلت إلى الأسكندرية بعثة الآباء السيمونيين وكان غرضها عمل المباحث اللازمة لحفر ترعة ملاحية تخترق برزخ السويس وتصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، فلما فشلوا فى الحصول على امتياز هذا المشروع التحقوا بخدمة الوالى محمد على وقام علماء هذه البعثة بإعداد مشروعات هامة لمحمد على منها : مشروع القناطر الخيرية ومشروع نشر التعليم بمصر . وكان منهم المسيو برينودى دونباسل الذى قام بإعداد حدائق شبرا النموذجية، والمسيو لامبير الذى تولى إدارة مدرسة المهندسخانة ببولاق ، والمسيو برونو الذى قام بإدارة مدرسة المدفعية بطره ، ولينان بك دى بلفون الذى قام بمشروعات الرى الكبرى والقناطر وسواها من الأشغال العمومية بمصر .

أهم المبانى التى أنشئت بالقاهرة فى عهد محمد على باشا :

جلس محمد على على عرش مصر مدة ٤٣ سنة ، فأنشأ فيها من المبانى ما لا يدخل تحت حصر لكثرته وتشعبه . فمن مدارس حربية بأبى زعبل إلى مصانع بالقلعة إلى مسابك للحديد بالسبتية إلى معامل للبارود بالمقطم إلى ثكنات عسكرية وحصون وخنادق إلى قصور ومساجد وأسبلة إلى مبانى قديمة عدّلها وغير وضعها ، وأضاف إليها كثيراً أو قليلا .

وقد نشر الأستاذ حسن عبد الوهاب نبذة جميلة بمجلة العمارة بالعدد ٣ و ٤ سنة ١٩٤١ عن العمارة فى عصر محمد على نقتطف منها ما يلى مع التصرف .

وقد امتازت العمارة والزخرفة فى عصر محمد على بخلق عناصر جديدة لم تكن موجودة من قبل بمصر . إستعان محمد على بمهندسين وعمال أجانب استدعاهم من استامبول ومن بلاد الروم لتشييد قصوره ومساجده وأسبلته ، فكان لذلك أثر محسوس فى إيجاد تصميمات جديدة للقصور ذات السلالم المزدوجة ، والأبنية الخشبية المجللة بالبياض . وظهرت الوجهات ذات الكرانيش المرتفعة ، كما ظهرت الشبابيك البيضاوية والعمد الرخامية الرشيقة . و بطل استعمال الرخام الملون الدقيق الذى كان يمتاز به عصر الغورى وحل محله الرخام الأبيض الأسلامبولى والألبستر المستورد من بنى سويف والرخام المصرى المستورد من الهرم وأسيوط وأدفو . كذا انعدمت المشربيات وحلت محلها الشبابيك الحديثة ، وكثر انتشار التماثيل كما نقشت صور الأسماك حول الفساقى .

أما الأسقف المذهبة ذات البراطيم والمربوعات المقسمة تقسيما جميلاً فبطلت وحلت محلها أسقف جملونية مزخرفة ومذهبة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

حى جاردن سيتى الذى يقوم اليوم مكان القصر العالى ونرى بالرسم شاطئ النيل ورأس جزيرة الروضة
ودار السفارة الإنجليزية وبعض عمارات هذا الحى الحديث

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد تأثرت المساجد ذات القباب الضخمة المنشأة فى عصره بالطرز البيزنطية للكنائس المسيحية بالقسطنطينية .

وفى هذا العهد ظهرت لأول مرة زخارف تركية تمثل زهوراً وعناقيد عنب ومناظر طبيعية تعرف باسم روكوكو . وشاع فى عهده وفى عهد أسرته إنشاء نوع جديد من الأسبلة المكسوة جدرانها بالرخام والمزخرفة بالروكوكو والخطوط الجميلة .

وعند ما ظهر هذا النوع من البناء والزخرف فى قصور محمد على ، أخذ ينتشر فى أنحاء القاهرة . فانشىء على غراره قصر لكريمته زينب هانم بالأزبكية وقصر آخر لكريمته نازلى هانم على ساحل النيل هدمه الوالى سعيد باشا و بنى محله ثكنات قصر النيل الحالية .

وقد حذا حذوه فى إنشاء العمارات على هذا الأسلوب بنوه وكبار موظفيه . فبنى إبراهيم باشا قصر القبة على هذا الطراز . كما بنى أيضاً قصر المغارة بالروضة . والقصر العالى على شاطىء النيل ببستان الخشاب .

أما قصر القبة حيث ولد الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٨٧٤م وشقيقه سمو الأمير محمد على باشا سنة ١٨٧٥م فلا يزال قائماً بضاحية القبة بالقاهرة . وهذه الضاحية منسوبة إلى القبة التى بناها الأمير يشبك سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧) م فى عهد السلطان الأشرف قايتباى . ومما يذكر أن لهذا الأمير قبة ثانية معروفة وهى القبة الفيداوية بالعباسية .

أما قصر المغارة بالروضة فقد اندثر وكان يقع على الشاطىء الغربى لهذه الجزيرة بالقرب من مدخل كوبرى عباس حلمى الثانى على يمين الداخل من الجزيرة إلى الكوبرى . وحل مكانه الآن منازل حديثة الطراز جميلة البناء .

أما القصر العالى فقد اندثر أيضاً وحل محله الآن حى جاردن ستى المعروف .

ثم بنى الوالى عباس باشا الأول قصراً بالخرنفش آل فيما بعد إلى أسرة البكرى وما زال موجوداً وبه مقر مشيخة الصوفية . و بنى أحمد باشا يكن داراً عظيمة فى عطفة عبد الله بك . كما بنى أخوه إبرهيم باشا يكن داراً بسويقة اللالا بقسم السيدة زينب . و بنى احمد باشا طاهر قصراً فى الأزبكية . و بنى خورشيد باشا السنارى داراً فى عابدين . كما أنشأ المرحوم شريف باشا قصره بجهة الهدارة بقسم عابدين .

وعرفت المبانى التى من هذا النوع فى ذاك الوقت بالمبانى الرومية وكثرت فى داخل القاهرة وضواحيها .

وفى زمن الوالى عباس الأول بنيت عدة قصور على هذا الطراز بالحلمية والعباسية والدار البيضاء بطريق السويس .

وفى عصر الخديو اسماعيل باشا بدأ التهذيب والتغيير يدخل على هذا الطراز . وشاع فرش طرقات الحدائق بالزلط الملون برسوم جميلة . ثم سرى الطراز الحديث فى مبانى القاهرة حتى طغى على هذا الطرز واحتل مكانه .

وإليك الآن أهم منشآت محمد على الباقية والتى يتجلى فيها هذا الطراز .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القصور :

١ — **قصر محمد على بشبرا الخيمة** : الباقى منه الآن الكشك المعروف بالفسقية . وقد تقرر أخيراً إعادة هذا الكشك الجميل إلى ما كان عليه من قبل ثم إنشاء حديقة عامة مترامية الأطراف مساحتها ٧٠ فدانا للنزهة حوله مع انشاء شوارع جديدة عرضها ٤٠ متراً فى هذه المنطقة ، ومع إعادة انشاء قنطرة بيبرس التاريخية الموجودة هناك

شارع شبرا

وفى سنة ١٨٠٨ لما أنشأ محمد على باشا قصر شبرا الخيمة فتح شارع شبرا الحالى ليكون طريقاً بين القاهرة والقصر وأقام على جانبيه أشجار اللبخ والجميز . وأنشأ فى شبرا مصنع المبيضة لصق مدرسة شبرا الثانوية الحالية (سراى الأمير عمر طوسون باشا) لتبيض المنسوجات . ثم أنشأ حدائق شبرا النموذجية ومدرسة للطب البيطرى ومدرسة للزراعة بها .

شارع شبرا الذى فتح سنة ١٨٠٨

٢ — **قصر الجوهرة** : بنى هذا القصر سنة ١٨١٢ . وهو مشيد فوق مجموعة من القلاع القديمة الصغيرة داخل أسوار القلعة . وكان هذا القصر مقر الحكم فى عهد محمد على باشا . يعقد فيه مجلس الوالى ويستقبل فيه سفراء الدول ومعاونيه فى الحكم ، وكانت به دار العدل ، ومكان إقامة الوالى قبل أن تبنى له قصوره . ولما انتقلت دواوين الحكومة من القصر ، وانتقل منه مقر الحكم ، أهمل حتى تشعثت مبانيه وأصبح خرائب وأطلالا إلى أن رأى جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله أن يكون لهذا القصر ما يستحقه من التخليد ، فأمر بترميمه و إعادته إلى ما كان عليه فى عهد منشئه . وقد أصبح هذا القصر الآن بعد تجديده تحفة فنية رائعة جديرة بالاعجاب . وقد نقشت على أعتاب أبواب حجراته صور سفن الأسطول المصرى فى عصر محمد على . وبه حمام بديع من الرخام الألبستر المصرى من محاجر بنى سويف . ومن هذا القصر يتجلى منظر خلاب لمدينة القاهرة .

٣ — **قصر الحرم** : داخل القلعة ويشرف على جبل المقطم وعلى الخطابة وعلى مدخل القلعة . أمر بانشائه الوالى محمد على باشا سنة ١٨٢٧ م وخصصه للحرم . وبهذه المناسبة نذكر أن محمد على كانت له زوجتان :

الأولى : أمينه هانم التى رزق منها خمسة أولاد منهم ابراهيم باشا ابنه البكر . والثانية : ماه دوران هانم

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(أوقش قادين) ولم يرزق منها أولاداً . وكان لمحمد على فوق ذلك ٢٧ مستولدة . وجملة أولاده من الجميع ٣٠ ولدا منهم ١٧ ذكراً و ١٣ بنتاً .

٤ — **دار المحفوظات** : هذه الدار بالقلعة. أمر بإنشائها الوالى محمدعلى باشا سنة ١٨٢٨ لحفظ أوراق الحكومة وملفاتها ومستنداتها الثمينة وهى مبنية بالحجر وتشبه القلاع الحربية .

٥ — **دار الضرب** : أنشئت هذه الدار بالقلعة سنة ١٧٠٩ م لسك النقود فى عصر المماليك الشراكسة . وأمر محمد على باشا بتجديدها سنة ١٨١٢ م. وما زالت هذه الدار موجودة شرقى قبلى مسجد محمد على بالقلعة . وكانت مشهورة بجودة وضبط مسكوكاتها وكان عدد عمالها ٥٠٠ عامل .

الأسبلة :

١ — سبيل محمد على بالعقادين . هذا السبيل على رأس حارة الروم بالغورية . أنشأه محمد على سنة ١٨٢٠ م صدقة على روح ابنه طوسون باشا المتوفى سنة ١٨١٦ . وهو نصف دائرى ومكسو بالرخام وبه باب وخمسة شبابيك نحاسية مزخرفة .

٢ — سبيل محمد على بالنحاسين . هذا السبيل بشارع المعز لدين الله (النحاسين سابقا) فى مواجهة مسجد الناصر محمد بن قلاوون ومدرسة الظاهر برقوق. أنشأه محمد على سنة ١٨٢٩ صدقة على روح ابنه اسماعيل باشا المتوفى بالسودان ١٨٢٢ م وهو سبيل فخم مكسو بالرخام المصرى وبه أربعة شبابيك نحاسية مزخرفة .

وظهور هذا النوع الجديد من الأسبلة طغى على الطرز القديمة للأسبلة وظل شائعاً إلى عصر الخديو اسماعيل . وهذا بيان وتاريخ أهم الأسبلة التى أنشئت على هذا الطراز :

١ — سبيل السلحدار على رأس حارة برجوان أنشأه سليمان أغا السلحدار سنة ١٨٣٩ م .

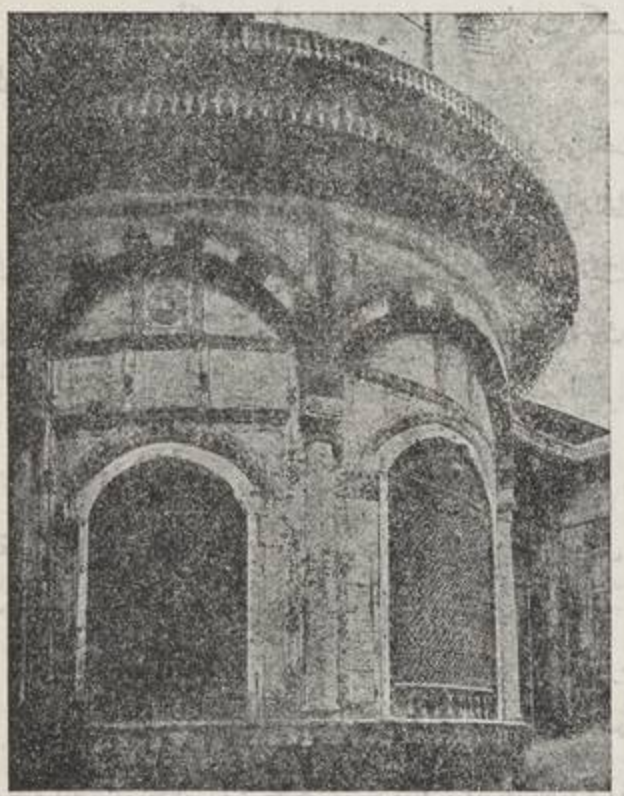

القاهرة — سبيل العقادين

٢ — سبيل أم حسين بك — أمام مسجد عبد الغنى الفخرى بشارع بين النهدين — أنشأته والدة حسين بك نجل محمد على باشا سنة ١٨٥٣ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣ — سبيل والدة مصطفى باشا فاضل أمام مسجد بشتاك بدرب الجماميز .

٤ — سبيل أحمد باشا — أمام المشهد الحسينى — أنشأه المرحوم أحمد باشا عم الخديوى توفيق سنة ١٨٦٤ م.

٥ — سبيل أم عباس بشارع الصليبة — أنشأته المرحومة والدة عباس باشا ابن عم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٧م.

٦ — سبيل الشيخ صالح . أنشأه الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٧ م .

٧ — سبيل أم حسين المعروف بسبيل أولاد عنان بميدان باب الحديد أنشىء سنة ١٨٦٩ م .

المدارس الحربية :

فى سنة ١٨٢٥م أنشأ محمد على مدرسة الجهادية الحربية بالقصر العينى وكان عدد طلبتها ٦٠٠ طالب زاد إلى ٨٠٠ طالب من الترك والشركس والكرد والأرمن والمصريين وكانوا يدرسون التركية والعربية والإيطالية . وظلت المدرسة بالقصر العينى ١١ سنة ثم نقلت سنة ١٨٣٦ إلى أبى زعبل ثم أغلقت أبوابها سنة ١٨٤٢ .

وفى سنة ١٨٣٢ اختار محمد على ناحية الخانكة لإنشاء معسكر عام للجيش وأنشأ هناك :

١ — مدرسة للمشاة وكان بها ٤٠٠ طالب يتعلمون الفنون الحربية واللغات العربية والتركية والفارسية .

٢ — مدرسة أركان الحرب وقد سماها رفاعة بك مكتب الرجال . وكان بها ٢٠٠ طالب من الترك والمصريين والسودانيين .

٣ — مدرسة الموسيقى كان بها ١٣٠ طالبا و ٤ مدرسين تحت رياسة المسيو كاريه .

وقد ألحق محمد على بهذه المدارس جامعاً للصلاة بناه على الطراز التركى البسيط لا تزال آثاره باقية للآن . ثم نقلت هذه المدارس إلى أبى زعبل . وفى أيام عباس الأول نقلت إلى الجيزة ثم أغلقت . وفى عهد سعيد باشا نظمت مدرسة القلعة فى أغسطس سنة ١٨٥٦ وأشرف عليها رفاعة بك ثم نقلت إلى القناطر الخيرية .

مسجد محمد على بالقلعة :

بعد أن تم لمحمد على ما أراده من تشييد المدارس والمصانع والمعامل شرع فى سنة ١٨٣٠ فى بناء هذا المسجد بالقلعة . واستمر العمل سائراً بلا انقطاع حتى توفى محمد على إلى رحمه الله سنة ١٨٤٨ فدفن فى المقبرة التى أعدها مدرسة لنفسه داخل هذا المسجد .

وكان المسجد فى هذه الأثناء قد كمل ما عدا بعض أعمال الرخام والبياض فأتمها الوالى عباس باشا الأول .

وهذا المسجد بيزنطى الطراز بنى على مثال مسجد السلطان احمد بالآستانة . وجدرانه مكسوة من الداخل والخارج بالرخام المصرى المجلوب من محاجر بنى سويف وارتفاعها ٢٤ متراً و يبلغ ارتفاع القبة الكبرى من أرضية المسجد ٥٢ متراً وقطرها ٢١ متراً ويحيط بها أربعة أنصاف قباب من جهاته الأربع . وله مئذنتان رشيقتان يبلغ ارتفاعهما ابتداء من مستوى أرض المسجد ٨٥ متراً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ولذا يرى هذا المسجد من جميع أنحاء القاهرة لابل من مشارفها البعيدة . وكما أن الأهرام وأبى الهول هى رمز مصر القديمة فهذا المسجد رمز مصر الحديثة ، وما من سائح زار مصر إلا وحج أولا إلى أهراماتها ثم عرج ثانياً على مسجد السلطان حسن ثم مسجد محمد على بالقلعة .

وقد كان هذا المسجد محل رعاية جميع ملوك مصر بعد محمد على ، فلما ظهر خلل فى قبته فى عهد ساكن الجنان الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله أمر بترميمه و إصلاح الخلل، ولكن سرعان ما ظهر أن الأصلاح يستلزم إزالة القبة الكبرى وأنصاف القباب المحيطة بها ثم إعادتها ثانياً ، وقد كان . وتم الإصلاح وافتتح المسجد للصلاة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعزه الله فى يوم الجمعة ٥ محرم سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩) م .

حصن محمد على المشيد على قمة المقطم خلف القلعة :

أدرك محمد على بثاقب نظره أهمية هذا المكان المتحكم من الخلف فى القلعة ، فقرر إقامة حصن هناك يشرف على القلعة وعلى القاهرة وجعله حصناً قوياً منيعاً زوده بخزان كبير للمياه و بكثير من المدافع الضخمة والأسلحة .

القناطر الخيرية :

أنشأ محمد على هذه القناطر عند رأس الدلتا لترفع ماء النيل فى فترة الصيف إلى الدرجة اللازمة لامداد الرياحات بالكميات والمناسيب الكافية لرى أراضى الدلتا . وقد بدىء بإنشائها سنة ١٨٤٣ ولكن العمل لم يكمل الا فى سنة ١٨٦٣ فى عهد الوالى محمد سعيد باشا لما صادفه من صعوبات جمة عطلته زمناً ليس بالقليل .

وكان من أثر هذه الصعوبات أن ضعفت أساساتها تدريجاً ضعفاً دعا إلى استعمال الحذر فى تحميلها ضغط الماء والالتجاء إلى اتباع قاعدة خاصة فى الحجز عليها من شأنها ضياع ملايين من الأمتار المكعبة من مياه النيل تذهب هباء إلى البحر . فقر الرأى على إنشاء قناطر محمد على الحديثة بدلا من هذه القناطر فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله وافتتحها مليك النيل المفدى فاروق الأول فى يوم الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٠ .

وقد كتب على المدالية الذهبية التى وضعها محمد على بيده فى الحجر الأساسى للقناطر الخيرية ما يلى :

فى يوم الجمعة ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ هـ وضع محمد على المولود فى قوله سنة ١١٨٤ هـ أساس القناطر الخيرية لتقدم البلاد ونفعها بعد أن تولى حكم مصر ٤٣ سنة .

وقد أشرف على بناء هذه القناطر لينان بك وموجل بك ومصطفى بهجت افندى ومظهر افندى المهندسون .

وقبل الشروع فى بناء القناطر الخيرية شقت ثلاث ترع (رياحات) فى ثلاث اتجاهات لرى أراضى الدلتا أولها الرياح التوفيقى لرى الأراضى الواقعة إلى شرق فرع دمياط وثانيها الرياح المنوفى لرى وسط الدلتا وثالثها الرياح البحرى لرى الأراضى الواقعة إلى غرب فرع رشيد .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثامن

عصر اسماعيل باشا

١٨٦٣ — ١٨٧٩

من محمد على الى اسماعيل :

بعد انتهاء حرب الشام الثانية وانتصار الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا على الجيوش التركية فى موقعة «نصيبين» فى يونيو سنة ١٨٣٩ ، تألبت الدول الأوربية على محمد على وعضدت السلطان التركى ضده ، وانتهى الأمر باصدار فرمان سنة ١٨٤١ الذى كان من أهم شروطه تثبيت أسرة محمد على باشا على عرش مصر وحدها وحرمانه من الدول الأخرى التى فتحها ، ونقص عدد الجيش المصرى إلى ١٨٫٠٠٠ جندى وقت السلم ، ودفع جزية للسلطان قدرها ٣٢٠٫٠٠٠ جنيه مصرى سنوياً . ونظراً لنقص عدد الجيش ، رأى محمد على نفسه مضطراً ، إلى إهمال كثير من المصانع ، و إغلاق كثير من المدارس ؛ ثم تنازل عن الحكم لابنه الأكبر ابراهيم باشا فى يولية سنة ١٨٤٨ ومات فى أغسطس سنة ١٨٤٩ ودفن بمسجده بالقلعة .

الخديو اسماعيل باشا

وقد انقضى بين تنازل محمد على عن العرش سنة ١٨٤٨ ، وتولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ فترة من الزمن طولها ١٥ سنة تولى فيها الحكم كل من ابراهيم باشا فى يولية سنة ١٨٤٨ ، وعباس باشا الأول فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، ومحمد سعيد باشا سنة ١٨٥٤ . ثم اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ . أما ابراهيم باشا فلم تطل مدة حكمه ، لأن صحته كانت قد ضعفت لكثرة ما بذله من جهود فى حروبه وفتوحاته المتعددة ، فمات فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وكان أبوه لا يزال حياً فحزن عليه حزناً شديداً .

وكان الأمير عباس بن طوسون بن محمد على أكبر أمراء أسرة محمد على من الذكور إذ ذاك ، فآل إليه العرش طبقاً لفرمان سنة ١٨٤١ ، وتولى الحكم فى نوفمبر سنة ١٨٤٨ ، وظل والياً إلى أن قتل فى قصره بينها سنة ١٨٥٤ . ثم آل العرش بعده إلى أكبر الأمراء سناً وهو الأمير محمد سعيد بن محمد على من زوجته عين الحياة قادين هانم افندى ، فتولى الحكم سنة ١٨٥٤ وظل به إلى أن توفى سنة ١٨٦٣ . ثم جلس

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا على عرش مصر سنة ١٨٦٣ ، ومنح لقب خديو مصر سنة ١٨٦٧ ، وظل يحكم مصر مدة ١٦ سنة إلى أن خلع بعد اختلال مالية البلاد سنة ١٨٧٥ .

تطورات القاهرة بين عهدى محمد على واسماعيل :

وكانت القاهرة قبل تولية الخديو اسماعيل قد تطورت تطورات محسوسة وابتدأت تتشكل نهائياً بشكلها الحديث الحالى بفضل المشروعات العمرانية الضخمة ، التى تمت فى هذه الفترة مثل اتصالها بالإسكندرية بخط السكة الحديد الذى تم وافتتح رسمياً سنة ١٨٥٦ واتصالها بالسويس بخط آخر تم سنة ١٨٥٨ . وكانت هناك أيضاً أعمال حفر قنال السويس التى بدأت سنة ١٨٥٩ وجعلت تسير فى طريقها بهمة . وكان من الطبيعى أن تنمو القاهرة بسبب هـذه المشروعات العمرانية الـكبيرة ، فامتدت مبانيها فى هذه المدة فى الاتجاه الشمالى الشرقى وفى الاتجاه الشمالى ، وظهرت هناك أحياء جديدة أهمها العباسية وشبرا وروض الفرج .

العباسية :

عرف هذا الحى باسم العباسية نسبة إلى الوالى عباس باشا الأول وهو أول من عمره إذ أنشأ سنة ١٨٤٩ ثكنات للجيش فى المنطقة الواقعة الآن على يمين المـار فى شارع الخليفة المأمون تجاه سراى الزعفران وتبعه التجار والأهالى ، فأنشأوا عدة منازل لسكناهم ودكاكين لتجارتهم بالقرب من هذه الثـكنات فى المنطقة المعروفة الآن باسم العباسية البحرية تجاه المحطة النهائية لترام العباسية من الجهة الغربية ، فعرفت هذه المنطقة من ذلك الوقت باسم العباسية لقربها من ثكنات الوالى عباس الأول . وبعد ذلك أنشأ ضباط الجيش دوراً لسكناهم فى هذه الجهة وكانت الأراضى تمنح مجاناً لمن أراد البناء فاتسع العمران فيها .

وقبل عهد الخديو اسماعيل كانت مبانى العباسية لا تتجاوز المنطقة الواقعة بين سراى الزعفران والقبة الفداوية ولـكن فى أيام هذا الخديو أنشئت ثكنات أخرى أزيل بعضها الآن ومكانه الحدائق الواقعة بين سراى الزعفران وشارع الملـكة نازلى وما زال بعضها الآخر موجوداً ومنها مستشفى النساء المصابات بالأمراض العقلية وغيرها .

الوايلية والدمرداش والمحمدى والقبة :

وبالقرب من العباسية كانت قرية الوايلية وكان يقيم بها قديماً عرب من بنى وائل فنسبت إليهم وعرفت بالوايلية. وكذا قرية الدمرداش والمحمدى وأبعد من ذلك كله كانت سراى القبة التى أنشأها إبراهيم باشا بجوار قبة يشبك وهو صاحب القبة الفداوية أيضاً . وإلى قبة يشبك الأولى ينسب حى القبة الحالى . هذا ما كان جهة الشمال الشرقى.

شبرا وروض الفرج :

أما من جهة الشمال فكانت القاهرة قد امتدت فى اتجاه شبرا . وكانت محطة السكة الحديد التى تمت مبانيها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

سنة ١٨٥٥ تقع خارج أسوار المدينة القديمة عند بوابة الحديد . وقد حرقت هـذه المحطة سنة ١٨٨٢ لما دخل الإنجليز القاهرة عقب ثورة عرابى باشا بسبب انفجار ذخيرة الجيش البريطانى فى أحد مخازنها . ثم بنيت المحطة الحالية بدلها على الطراز العربى الجميل وأنشئت فيها البوابة الملكية صورة طبق الأصل لبوابة وكالة الغورى بشارع التبليطة بالقرب من الجامع الأزهر .

محطة القاهرة الأصلية
وقد حرقت بسبب انفجار الذخيرة فى إحد مخازنها عقب الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢

أما حى شبرا الحالى فكان يعرف قديماً باسم جزيرة الفيل وذلك لأنه كان فعلا جزيرة تكونت وسط النيل فى نهاية العصر الفاطمى عندما كان الشاطئ الشرقى للنيل ينتهى إلى مكان ميدان باب الحديد الحالى ، وعندما كانت قرية المقس حيث جامع أولاد عنان الآن هى ثغر القاهرة على النهر. فقد حصل إذ ذاك أن غرقت مركب اسمها الفيل فى النيل مقابل ثغر المقس . وسرعان ماطمى البحر حولها وكون جزيرة كبيرة سميت بجزيرة الفيل . وقد اتصلت هذه الجزيرة فيما بعد بأرض المقس وبأرض الطبالة و ببولاق وأطلق عليها فى العصر التركى اسم جزيرة بدران نسبة إلى الشيخ بدران صاحب المقام الكائن بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج .

وفى سنة ١٨٠٠ كانت أراضى شبرا كلها أراضى زراعية و بساتين . وكانت قرية جزيرة بدران تقع فى الجنوب

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الغربى من هذه الأراضى ، فلما أنشأ محمد على باشا قصر شبرا الخيمة فتح فى سنة ١٨٠٨ شارع شبرا الحالى ليكون طريقاً بين القاهرة وقصر شبرا .

وفى عهد الوالى محمد سعيد باشا آلت ملكية بعض أطيان جزيرة بدران إلى الوالى وأسرته، فأنشأ محمد سعيد باشا فى أطيانه هناك قصر النزهة على شارع شبرا سنة ١٨٥٨ ، ثم أنشأت أنجى هانم حرم الوالى سعيد باشا بعد وفاته قصراً ومسجداً بجزيرة بدران سنة ١٨٦٥ . وأنشأ شيكولانى قصره المشهور . كما كان قصر زينب هانم بنت محمد على باشا يقع على شارع شبرا بالقرب من نهايته الشمالية .

وفى عهد الخديوى اسماعيل آل قصر النزهة إليه فجعل منه دار ضيافة للحكومة . ثم نقلت مدرسة المعلمين من مكانها بدرب الجنينة فى عهد الخديوى توفيق إلى هذا القصر الذى تشغله اليوم المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا .

وفى سنة ١٨٦٩ أنشأ الأمير طوسون بن محمد سعيد باشا والى مصر ووالد المغفور له الأمير عمر طوسون سرايه العظيمة بملاصقة مصنع المبيضة الذى أنشأه محمد على باشا الكبير على طراد النيل القديم المعروف الآن بشارع ابى الفرج. وتشغل هذه السراى اليوم مدرسة شبرا الثانوية .

و بعد ذلك قام بعض الأمراء والأميرات و بعض كبار الموظفين والأعيان والتجار بانشاء القصور الفخمة والبساتين الزاهرة على جانبى شارع شبرا . وأصبح هذا الحى الجديد مكان نزهة أهل القاهرة ورياضتهم ، فأقيمت هناك بعض المقاهى وغيرها من أماكن التسلية .

وكان الوصول من القاهرة إلى شبرا على ظهور الحمير البيضاء الجميلة المطهمة . كما كانت العربات الفخمة التى تجرها الجياد المجرية ، تتهادى فى سيرها بشارع شبرا وهى تحمل أفراد الأسرة الخديوية يتقدمها السواس لإفساح الطريق و إظهار عظمة الراكبين .

و بسبب الأعمال الهندسية التى عملت فى مجرى النيل بين سنتى ١٨٦٣ و ١٨٦٥ لتحويل مجراه من الغرب إلى الشرق تجاه القاهرة و بولاق ظهرت أرض طرح بحر جديدة سنة ١٨٦٦ غربى شارع أبى الفرج وجسر طراد النيل القديم . وهذا الطرح هو الذى فيه اليوم روض الفرج وساحل روض الفرج .

تخطيط القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل :

لما قدم هوسمان إلى الامبراطور نابليون الثالث فى منتصف القرن التاسع عشر مشروعه المشهور لإعادة تخطيط مدينة باريس ، أنتشرت فى كل بقاع العالم فكرة إعادة تخطيط المدن القديمة وانتقلت هذه الفكرة تبعاً لذلك إلى القاهرة ، فقام الخديو اسماعيل باشا بتنظيم جزء عظيم من مساحة المدينة الحالية وهو الجزء ذو الميادين والطرق الواسعة الفخمة المعروف إلى اليوم باسم منطقة الاسماعيلية و يمتد من شارع قنطرة الدكة شمالا حتى شارع مدرسة الطب جنوباً ومن شارع عماد الدين شرقاً حتى شارع الملكة نازلى غرباً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قال أرتور رونيه يصف القاهرة وتطورا تها الحديثة التى حصلت فى عهد الخديو اسماعيل :

«لقد تطورت القاهرة إلى مدينة حديثة ولكنها أقل جاذبية من قاهرة القرون الوسطى ذات السحر الشرقى الفتان . فهؤلاء الأفندية وهؤلاء التجار الذين يخجلون اليوم من الظهور فى الشوارع إلا بملابسهم الأفرنجية كانوا إلى عهد قريب يتمتعون براحتهم الكاملة فى قفاطينهم الحريرية الطويلة الواسعة . وكانت المشربيات التى تزين واجهات الشوارع قديما تمتد فى خطوط متواصلة حتى تختفى عند نقطة التقابل حيث تبدو مآذن رشيقة ترتفع إلى السماء . أما اليوم فقد اختفت هذه المشربيات وحل محلها شبابيك مستطيلة لها ضلف من الزجاج وتم تصفيف المنازل على خطوط متوازية مستقيمة . اختفت إذن هذه المشربيات الجميلة المصنوعة من الخشب المخروط بتفنن فائق ولم يبق من آثار صناعة الخرط بالقاهرة إلا قطع من الأثاث الغريبة الشكل المصنوعة تقليداً لها .

من الآن فصاعدا سوف لا يرى السائح بالقاهرة إلا طرقاً واسعة وميادين رحبة عظيمة الطول والعرض تقوم على جوانبها مبانى تافهة يسمونها المبانى الأوربية » .

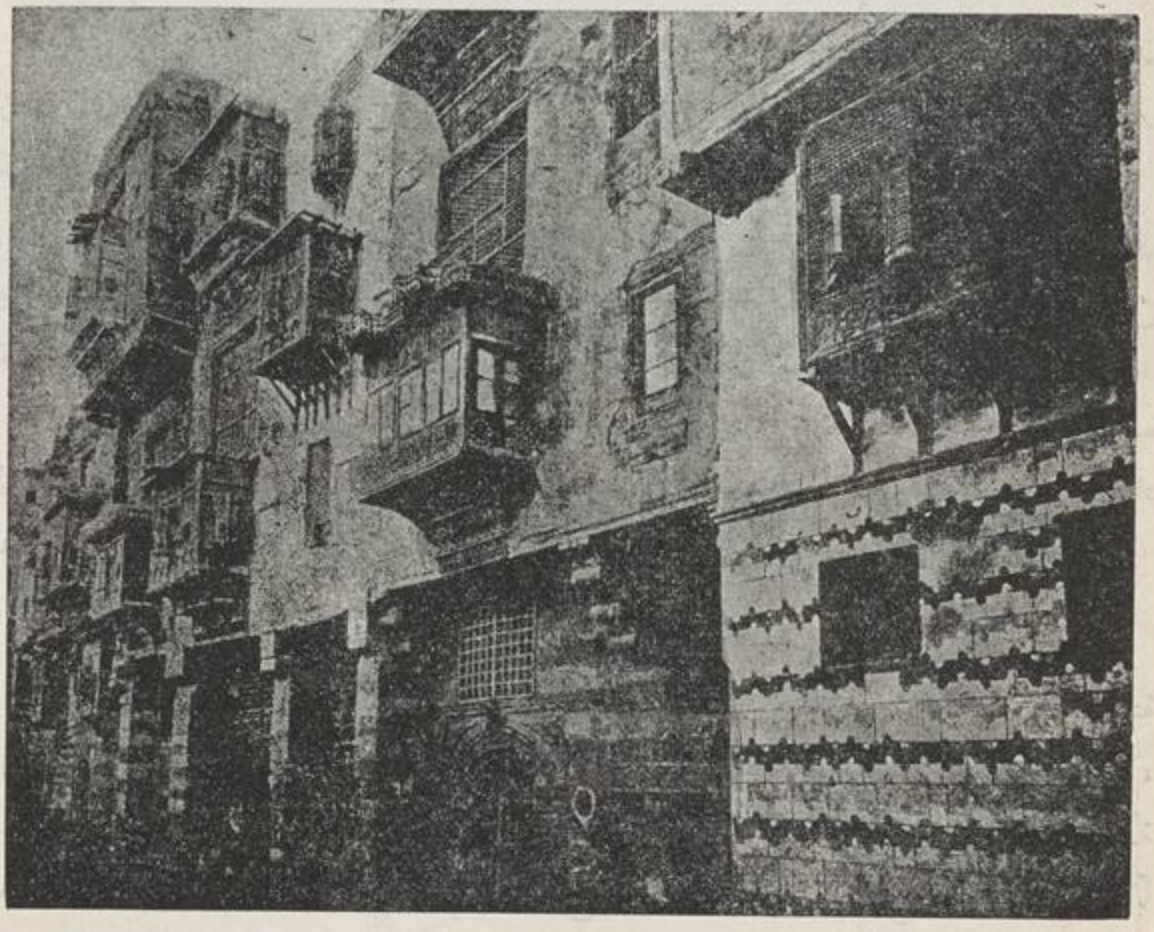

شارع الزيادة وكان يقع بمحاذاة الواجهة الجنوبية الغربية لجامع ابن طولون . وكانت به صفوف من المشربيات الجميلة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

هذا هو وصف أرتور رونيه لعاصمة القطر المصرى بعد ما أدخله عليها اسماعيل من التحسينات الحديثة ، ولكن فى الحقيقة لم تكن القاهرة فى عصر اسماعيل قد أضاعت كل سحرها كما يدعى أرتور رونيه فقد كانت المدينة القديمة لم تزل غاصة بأركان جميلة جذابة ، وكانت بعض أسواقها وأزقتها وحدائقها وقصورها ومقابرها القديمة لم تزل تفيض عليها من سحر جمالها وعظمتها ، وكل ما فعله اسماعيل أنه فى وسط دروب المدينة القديمة وأزقتها الضيقة شق كثيراً من الشوارع والميادين الفسيحة . كما أنه أمر بتخطيط الأراضى الفضاء التى كانت تحيط بالمدينة القديمة بعد تمهيدها وردم بركها و إزالة تلالها فنشأت بالعاصمة أحياء جديدة مثل الاسماعيلية وعابدين تزدان بها المدينة الحديثة .

مشروعات التخطيط والعمارة فى عصر اسماعيل :

أما أهم المنشآت ومشروعات التخطيط والعمارة التى تمت فى عصر اسماعيل لتجميل مدينة القاهرة الحديثة فهى :

أولا — تخطيط منطقة الأسماعيلية .

ثانيا — تخطيط منطقة الفجالة .

ثالثا — فتح شارع محمد على .

رابعا — بناء كوبرى قصر النيل .

خامسا — بناء سراى الجزيرة على مساحة قدرها ٦٠ فدانا بعد ردم أرضها بارتفاع مترين بطمي من النيل ثم إنشاء حدائق حولها تعيد بجمالها وعظمتها ما جاء باوصاف الف ليلة وليلة . وقد نزلت بها الأمبراطورة أوجينى لما جاءت إلى القاهرة بعد حفلات افتتاح قنال السويس سنة ١٨٩٦ .

سادسا — بناء سراى الجيزة على مساحة قدرها ثلاثين فداناً و إنشاء بستان الأورمان بعد ردم الأراضى بطمى من النيل بارتفاع مترين . وقد قام برسم البساتين فى الجيزه والجزيره وتنظيمها وتخطيطها المهندس باريل بك الذى سبق له تنظيم حديقة الأزبكية فصارت بساتين الجيزة والجزيرة فريدة فى نوعها واتسعت حتى بلغت مساحة الأرض المشغولة بها ٤٦٥ فداناً .

سابعاً — بناء سراى عابدين .

ثامناً — بناء سراى الأسماعيلية الصغيرة وكانت تطل على ميدان الخديوى إسماعيل الحالى ثم هدمت فى عصر الاحتلال الانجليزى .

تاسعاً — فتح شارع السكة الجديدة على امتداد شارع الموسكى .

عاشراً — فتح شارع عابدين وتخطيط منطقة عابدين وميدان عابدين .

حادى عشر — تنظيم ميدان العتبة الخضراء .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ثانى عشر — أنشاء حديقة الأزبكيـة وتخطيط ميدان التياترو (ميدان الأوبرا الذي سمى حديثاً ميدان ابراهيم باشا) .

ثالث عشر — تعديل سراى العتبة الخضراء التى كانت تعرف ببيت الثلاثة وليه واشتراها عباس باشا الأول وهدمهـا ووسعها وبناها بناء محكماً لوالدته . و بقيت كذلك إلى زمن الخديوى إسماعيل . ثم لما نظم ميدان العتبة الخضراء ضاع منها جزء كبير و بقى منها القصر الذى كانت تشغله المحـكمة المختلطة قبل هدمها والبناء الذى به اليوم محطة مطافى القاهرة وديوان بوليس قسم الموسكى ونادى ضباط البوليس .

رابع عشر — فتح شارع كلوت بك.

خامس عشر — حفر ترعة الاسماعيلية تحت اشراف المهندس بروكار سنة ١٨٦٦ وقد تكلمنا عنها باسهاب فى كتاب منطقة قنال السويس ص ٢٠٨ .

سادس عشر — بناء دار الأوبرا .

سابع عشر — تمهيد شارع الأهرام .

ثامن عشر — فتح شارع بيت القاضى .

تاسع عشر — اقامة تمثال ابراهيم باشا بميدان العتبة الخضراء .

عشرون — اقامة تماثيل السباع على مداخل كوبرى قصر النيل .

واحد وعشرون — تأسيس شركة مياه القاهرة .

ثانى وعشرون — تأسيس شركة غاز القاهرة .

ثالث وعشرون — إنشاء المحاكم المختلطة .

رابع وعشرون — إنشاء دور التمثيل .

خامس وعشرون — إنشاء ديوان بوليس قسم الأزبكية ديوان بوليس قسم عابدين .

سادس وعشرون — اقامة تماثيل سليمان باشا الفرنساوى ولاظوغلى الخ الخ . مما لايدخل تحت حصر .

واليك الآن بعض البيانات عن أهم معالم المدينة فى عصر اسماعيل باشا :

الأسماعيلية :

زادت مساحة القاهرة فى عصر الخديو اسماعيل باشا نحو ألف فدان وامتد العمار فيها إلى مناطق كثيرة مستجدة منها منطقة الإسماعيلية التى تنسب إلى الخديو اسماعيل .

ففى عهد هذا الخديو قسمت الأراضى التى تقع اليوم بين شوارع عماد الدين وامتداده المعروف الآن بشارع محمد فريد بك و بين شوارع الملكة نازلى ومريت باشا وميدان الخديو اسماعيل وشارع قصر العينى وهى التى تشمل

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

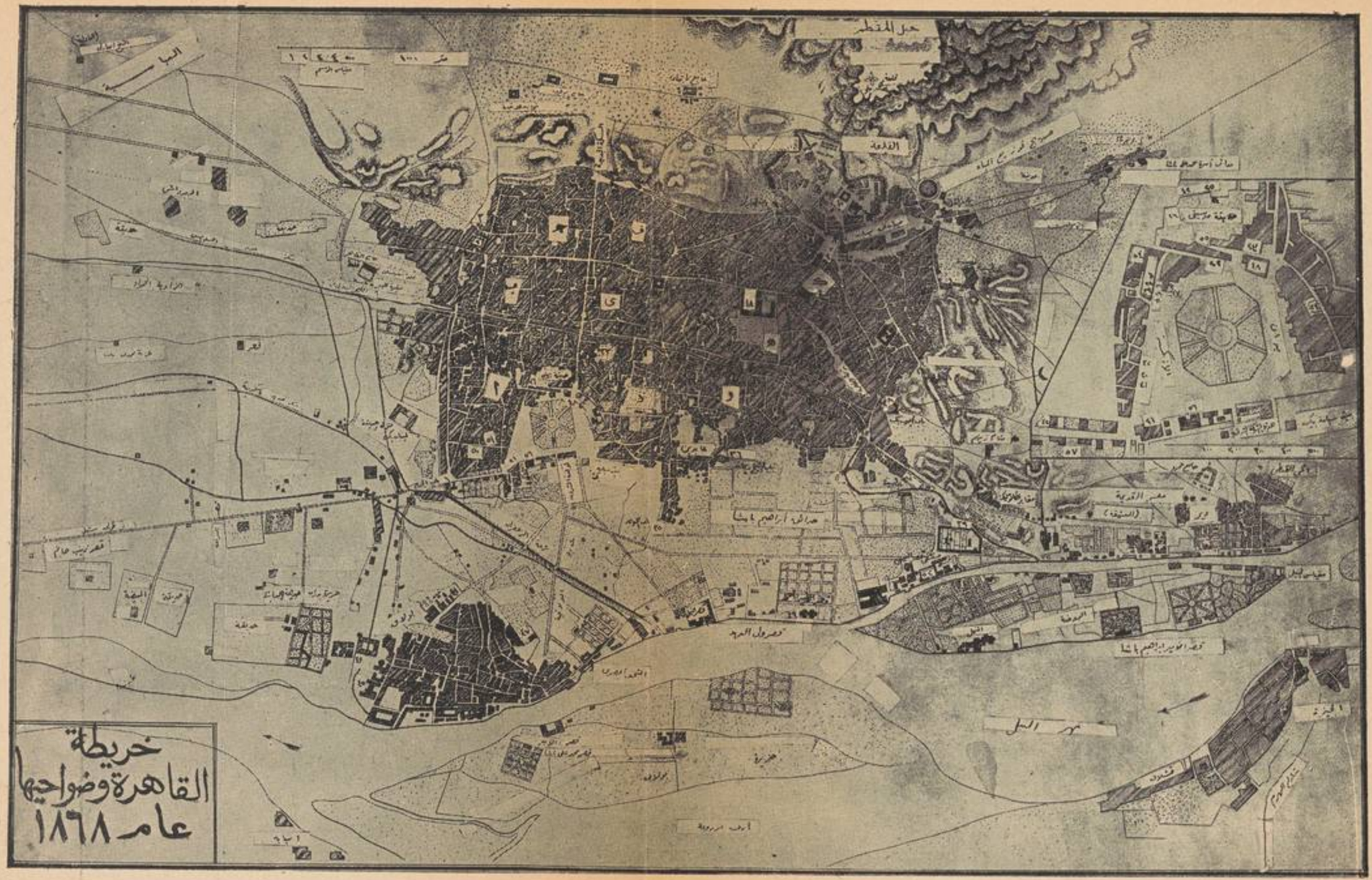

القاهرة كما كانت فى عصر اسماعيل باشا

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أحياء الاسماعيلية والتوفيقية ومعروف وباب اللوق والدواوين والحواياتى والقاصد والانشا والمنيرة . وبعد أن خططت هذه الاحياء بدأ الناس فيها العمارة والبناء حتى صارت مشغولة بالدور والقصور يتخللها الشوارع الواسعة والميادين الفسيحة كما ترى اليوم من شارع قنطرة الدكة إلى شارع مدرسة الطب .

قال على باشا مبارك فى كتاب الخطط التوفيقية :

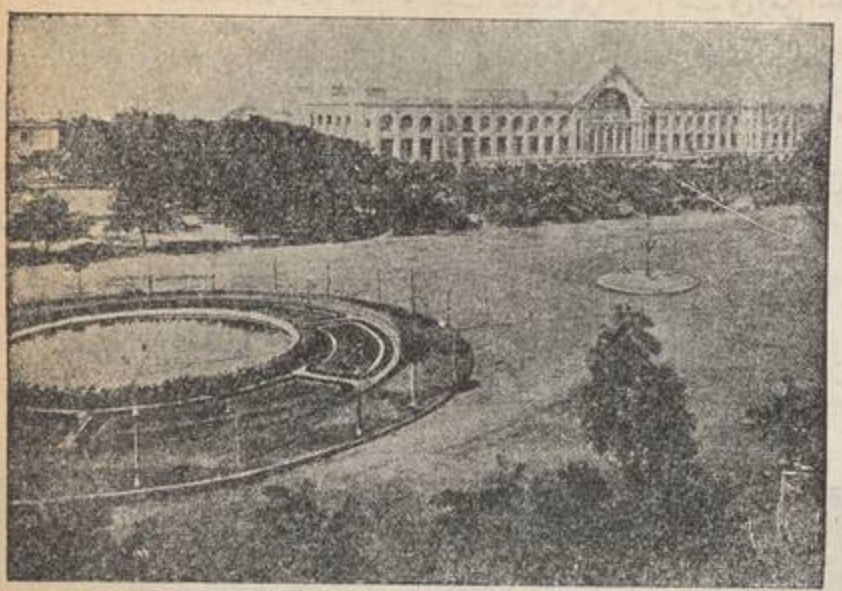

ميدان التياترو (ميدان الأوبرا) كما كان في عصر اسماعيل وقد ظهرت في الصورة لوكندة « نيو أوتيل » التى أصبحت بعد تعديلها لوكندة الكونتيننتال .

«وكان بهذه المنطقة قبل عهد اسماعيل كثبان أتربة وبرك مياه وأراض سباخ. فلما جاء الخديوى اسماعيل أمر بإزالة هذه الكثبان وردم هذه البرك وتمهيد جميع الأراضى وتخطيطها إلى شوارع وميادين وجعلت منازلها منفردة عن بعضها ودكت أرض شوارعها بالدقشوم وأنشئت الأرصفة على جانبى كل شارع منها وجعل وسط الشارع للعربات والحيوانات ومدت فى جميعها مواسير الماء لرش أرضها وسقى بساتينها ونصبت فيها فوانيس الغاز لاضاءتها وتنويرها فأصبحت من أبهج أخطاط القاهرة وأعمرها . »

الميادين التى أنشئت بالقاهرة فى عهد الخديوى :

ميدان العتبة الخضراء (محله الآن ميدان الملكة فريدة) . ميدان التياترو (ويعرف الآن بميدان ابراهيم باشا) . ميدان باب الحديد . ميدان عابدين تجاه قصر عابدين العامر . ميدان سوارس (ويعرف الآن بميدان مصطفى كامل). ميدان باب اللوق . ميدان الكوبرى تجاه كوبرى قصر النيل وسراى الاسماعيلية . ميدان الدواوين (ويعرف الآن بميدان لاظوغلى) . ميدان الأزهار . ميدان باب الخرق (باب الخلق) ويعرف الآن بميدان احمد ماهر باشا .

الفجالة :

فى القرن الثامن عشر الميلادى كان النصف الغربى من أرض الطبالة أرضاً زراعية تزرع فيها الخضروات وعلى الأخص صنف الفجل فاشتهرت هذه المنطقة باسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

سميت الطريق التى كانت تجاور هذا الغيط من الجهة القبلية باسم شارع الفجالة وكان هذا الشارع يمتد موازياً لسور المدينة القديمة من باب الحديد إلى باب الشعرية . وفى عهد الحملة الفرنسية كانت أرض هذا الشارع غير ممهدة يصعب المرور بها فقام الفرنسيون بتنظيم شارع الفجالة هذا ومهدوه من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة العدوى .

وكان السالك فيه من جهة العدوى قديماً يرى عن يمينه القرية التى كانت تعرف بقرية كوم الريش والتى ذكرها المقريزى وقد صارت بعد ذلك تلالاً عالية و بقيت كذلك إلى أن أزيلت فى زمن الخديوى اسماعيل . وكان السالك فيه أيضاً يبصر عن بعد بركة الرطلى التى ردمت بعد إزالة التلول المذكورة وانتظمت هذه الخطة و بنى فيها مبانى هائلة وقصور فاخرة تحيط بها بساتين ناضرة وخططت فيها شوارع وحارات جميلة فأصبحت من أجمل أخطاط القاهرة فى عصر اسماعيل باشا وكثرت الرغبة فى سكناها وارتفعت قيمتها حتى بلغ ثمن المتر المسطح فى أرضها ثمانين قرشاً بعد أن كان لا يساوى قرشاً واحداً .

شارعى كلوت بك ومحمد على :

تم فتح هذين الشارعين حوالى سنة ١٨٧٥ فى عصر اسماعيل . وكان الغرض من فتحهما وصول الجيوش فى طريق مستقيم من محطة مصر إلى قلعة الجبل رأساً .

القاهرة — منظر بالطيارة لشارع محمد على عند نهايته بالقرب من جامع الرفاعى
وهو شارع حديث شق فى وسط حى قديم .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما شارع كلوت بك فيبدأ من ميدان باب الحديد وينتهى إلى ميدان الخازندار . وقد أقيمت واجهات منازله فوق بواكى تظلل السائرين على الأرصفة وتقيهم حرارة الشمس ومياه الأمطار على النظام الذى كان متبعاً فى الريف الفرنسى إلى أواخر القرن الثامن عشر . وقد بدئ حديثاً فى إزالة هذه البواكى .

ومما يلفت النظر أن منازل هذا الشارع الآن عبارة عن صفوف متواصلة من فنادق الطبقات الفقيرة أو الطبقات الساقطة .

أما شارع محمد على فيبدأ من ميدان العتبة الخضراء (ميدان الملكة فريدة الآن) وينتهى إلى جامع السلطان حسن عند القلعة . وطوله نحو كيلو مترين. وكان بأوله المقابر المعروفة بترب الأزبكية وبترب المناصرة . وكانت هذه المقابر محاطة بالمنازل من جهاتها الأربعة . وكان جامع أزبك والحمام الذى بجواره يشرفان على هذه المقابر من جهة الشمال . فلما شرعت الحكومة فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على سنة ١٨٧٠ جاء مرور الشارع فى وسط هذه المقابر واحتاج الأمر إلى هدم جامع أزبك فهدم ونقل منبره الجميل إلى المشهد الحسينى . أما المقابر فأزيلت ونقلت عظام الموتى إلى قرافة الإمام الشافعى وغيرها . وفى سنة ١٨٨٠ صار تقسيم أرض هذه المقابر وبيع نصفها بمبلغ ١٦,٠٠٠ جنيه مصرى وشرع أصحابها فى بنائها فبنيت دكاكين وبيوتاً تفصلها حارات كبيرة وشوارع وأصبحت هذه البقعة من أعمر الأخطاط وأصقعها لقربها من الأحياء التجارية بالموسكى والأزبكية .

شارع الموسكى سنة ١٨٧٠

شارعى الموسكى والسكة الجديدة :

كان شارع الموسكى المؤدى إلى جميع أسواق المدينة القديمة قد فتح منذ عهد محمد على باشا . فقام الخديوى اسماعيل بفتح شارع السكة الجديدة على امتداده حتى تلال البرقية . وامتلأ شارع الموسكى وشارع السكة الجديدة بالدكاكين على الصفين وبعد أن كانت لهذه الدكاكين صبغة شرقية خاصة أصبحت لها اليوم واجهات زجاجية على النظام الأوربى . ولكنك مع ذلك تجد فى بعضها للآن خصوصاً جهة الصاغة جميع أنواع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

متاجر العصور الوسطى مثل الأسلحة النوبية والبرانس المخططة المطرزة والأحزمة الحريرية والأوانى النحاسية المزينة بكتابات وآيات قرآنية والخواتم المركب عليها فصوص من حجر الحية أو الفيروز والعقود ذات القشرة الذهبية والمسابح المصنوعة من أحجار كريمة . الخ . الخ . .

ولم يزل خان الخليلى يحتفظ بطابعه الشرقى الخاص فهو للآن السوق الشرقية التى تباع فيها الأقمشة الثمينة والأسلحة المرصعة والصناديق المطعمة بالعاج والسجاجيد العجمية وغير ذلك من كنوز الشرق .

حديقة الأزبكية :

منذ سنة ١٨٦٧ تحولت بركة الأزبكية القديمة بأمر الخديو اسماعيل إلى ما هى عليه الآن فردمت أرضها بارتفاع مترين من طمى النيل وأنشئت فيها حديقة الأزبكية الحالية تحت إشراف المهندس الفرنسى باريل بك ، وغرست فيها الأشجار النادرة المجلوبة من جميع بقاع العالم، وأحيطت بسور مرتفع من البناء والحديد ، وفتح بها أبواب من جهاتها الأربعة، وجعلت بشكل مستطيل مشطوف النواصى . وتبلغ مساحة حديقة الأزبكية حوالى عشرين فداناً .

وعند تخطيط أرض بركة الأزبكية أخذ من شمال البركه ومن جنوبها أجزاء كبيرة أقيم على بعضها تياترو الأوبرا ودخل الباقى فى ميدان التياترو (ميدان الأوبرا ثم ميدان إبراهيم باشا الآن) وفى الميادين الأخرى التى عملت حول الحديقة . وقامت حول الحديقة شوارع جديدة كانت مبانيها ذات البواكى من أجمل مناظر القاهرة فى القرن الماضى .

دار الأوبرا وشارع الاهرام :

استقبل الخديوى اسماعيل ملوك أوربا وأمراءها بمناسبة حفلات افتتاح قنال السويس فى نوفمبر سنة ١٨٦٩ استقبالا رائعاً فاق كل تصور . فلما حضرت الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث إلى القاهرة ومعها الملوك والأمراء تلبية لدعوة الخديو كانت دار الأوبرا قد انتهى من تشييدها فى ظرف خمسة أشهر فقط وقد بلغت تكاليف إنشائها ١٦٠ ألف جنيه ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر

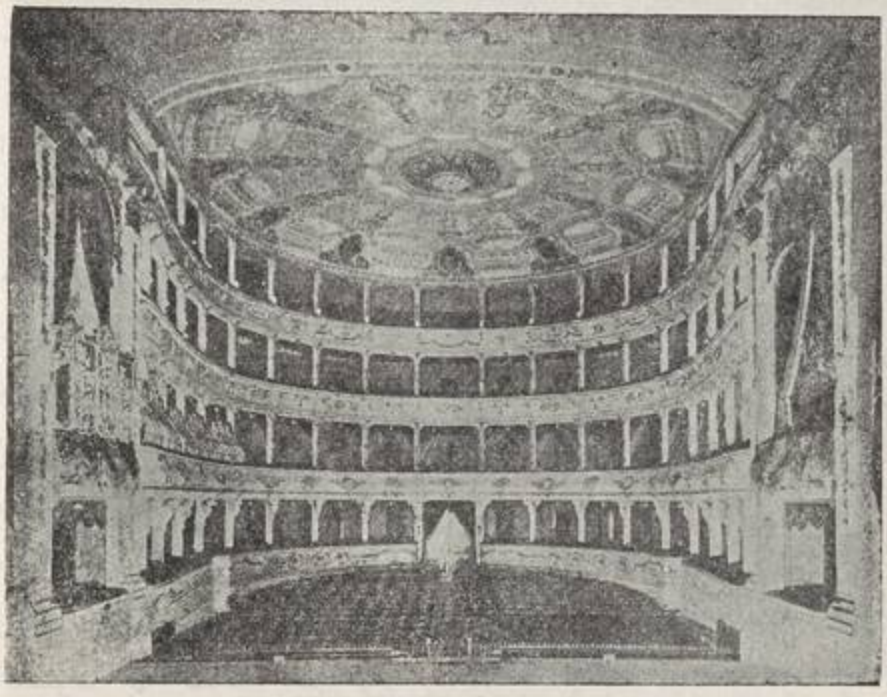

القاهرة — صالة دار الأوبرا الملكية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

سنة ١٨٦٩ أوبرا « ريجولتو » مضحك الملك بحضور ضيوف الخديو.

و بعد هذه الحوادث بنحو عامين عهد الخديو اسماعيل إلى الموسيقار الإيطالى المشهور « فردى » فى تلحين أول أوبرا مصرية لتمثل بهذه الدار فوضع له العلامة الفرنسى ماريت باشا قصة «عايدة» ليصور ألحانها . ومثلت بالقاهرة لأول مرة فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ فنالت نجاحاً عظيماً .

و بمناسبة حفلات افتتاح القنال أيضاً تم تمهيد شارع الأهرام الأثرى القديم ليصل منه الخديو وضيوفه إلى أهرام الجيزة.

وفى سنة ١٩٣٣ أعيد توسيع هذا الشارع وتخطيطه حتى صار على ما هو عليه الآن .

القاهرة — دار الأوبرا وأمامها تمثال ابراهيم باشا المقام وسط الميدان كما هو الآن .

كوبرى قصر النيل :

أنشأ اسماعيل باشا هذا الكوبرى سنة ١٨٧١ لربط ما بين سراى عابدين وسراى الجزيرة من جهة . وللترفيه عن سكان القاهرة إذا ما اشتد القيظ فى الصيف باجتياز النيل إلى الجزيرة من جهة ثانية . ولتوسيع حاضرة البلاد من جهة ثالثة .

وهو أول كوبرى أنشىء على النيل من منبعه إلى مصبه .

و بعد ٦٢ سنة من تاريخ إنشائه أى حوالى منتصف سنة ١٩٣٣ . وفى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله استبدل هذا الكوبرى بكوبرى الخديوى اسماعيل الحالى الذى جعل طوله ٣٨٢ متراً وعرضه ٢٠ متراً خصصت منها خمسة أمتار لإفريزين على جانبيه عرض كل منهما متران ونصف . وجعلت له فتحة ملاحية طولها ٦٨ متراً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

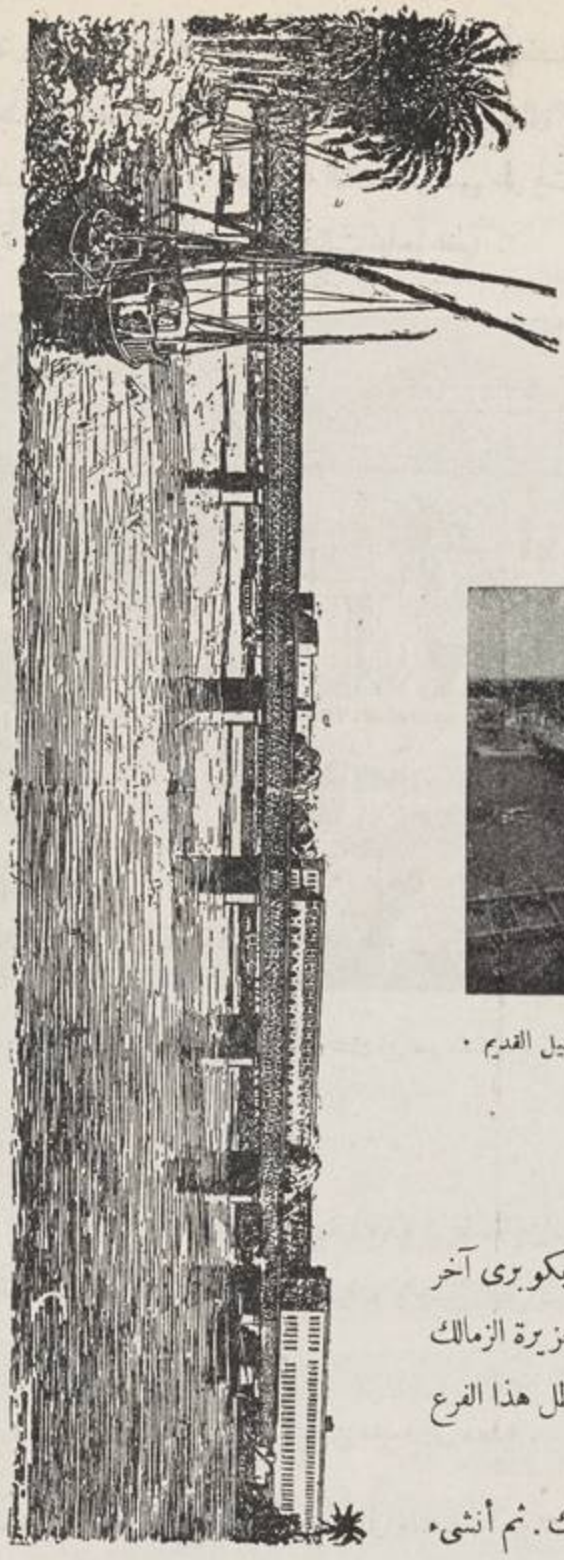

القاهرة — كوبرى قصر النيل (رسم مأخوذ من شركة فيف ليل) ويرى فى الصورة تمثالا قصر النيل الى بناها الوالى محمد سعيد باشا

ويقوم هذا الكوبرى على كتفين وسبع دعائم فى منتهى المتانة . وجمّل الكوبرى حتى يكون منظره متناسباً مع أهمية موقعه فأقيمت عند كل من مدخليه منارتان من حجر الجرانيت فى رأس كل منارة مصباح ، وأمامها واحد من الأسود الأربعة التى كانت قائمة على مدخل الكوبرى القديم . واحتفظ بها لتكون أثراً ناطقاً بفضل منشئه الخديوى اسماعيل .

كوبرى الخديوى اسماعيل الذى أقيم مكان كوبرى قصر النيل القديم .

كوبرى الأعمى الآن (كوبرى الانجليز):

وربط الخديوى اسماعيل ما بين الجزيرة والجيزة بكوبرى آخر أنشىء على الفرع المعروف بالبحر الأعمى غربى جزيرة الزمالك قبل أن يطهّر هذا الفرع ويجرى فيه الماء . وقد ظل هذا الفرع مردوماً من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٨٥ .

وقد تكلف هذا الكوبرى مبلغ ٢٥٠٠٠٠ فرنك . ثم أنشىء كوبرى الإنجليز الجديد بدلا من الكوبرى القديم وهو متمم لكوبرى قصر النيل ويصل الجزيرة بالجيزة . وقد قامت بإنشائه شركة كليفلند وفتح للمرور سنة ١٩١٤ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وطوله ١٤٥ متراً وعرضه ١٩ متراً منها ١٢ متراً للطريق وثلاثة أمتار ونصف لكل من الإفريزين . وكمراته من الطراز الشبكى .

قصر عابدين :

كانت القلعة وقصر الجوهرة مقر الوالى فى عهد محمد على وخلفائه إلى أن جاء الخديو اسماعيل وأراد أن ينهض بمصر نهضته المعروفة ليجعلها قطعة من أوروبا . فكان فى مقدمة ما عنى به أن بنى من القصور فى القاهرة ما فاق كل ما بناه أسلافه من الأمراء والولاة والسلاطين .

وأهم هذه القصور وأعظمها روعة وجلالا قصر عابدين العامر مقر الملك الرسمى فى مصر حتى الآن. بناه الخديو اسماعيل فى سنة ١٨٧٤ فى وسط مدينة القاهرة على اطلال منزل عابدين بك أحد المماليك بعد أن ضمت إليه مساحات كبيرة مما يجاوره حتى أصبح أفخم القصور الملكية وأفسحها . وأفاض عليه الخديو من أبهة الملك وعظمته حتى بلغت تكاليف بنائه حوالى ٠٠٠و٧٠٠ جنيه ، فضلا عن تأثيثه بأفخر الأثاث والرياش ومختلف الستائر والطنافس والأبسطة والأرائك . ثم أنشأ أمامه ميدان عابدين الرحب ومساحته تسعة أفدنة . وأقام على أحد جوانبه ثكنات الحرس. ثم فتح شارع عابدين وشارع عبد العزيز وجعلها طرقاً للوصول الى القصر . وخطط منطقة عابدين كلها وردم ما كان حولها من برك مثل بركة الفراعين وبركة الناصرية وبركة السقايين وبركة الفواله وخلاف ذلك حتى أصبح هذا الخط من أجمل أخطاط القاهرة وأجدرها بمقر الملك .

وفى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله صار تجديد قصر عابدين وتجميله بما يتمشى مع تطورات العصر الحديث فزاد فى أقسامه وأمر بإنشاء قاعة العرش فجاءت آية فنية رائعة . ثم جدّد إنشاء قشلاقات الحرس فجاءت فى منتهى الفخامة والعظمة . وتبلغ مساحة قصر عابدين اليوم حوالى ٣٥ فداناً .

شركة مياه القاهرة :

فى ١٧ مايو سنة ١٨٦٥ منح الخديو اسماعيل المسيو كورديه المهندس حق امتياز عملية توزيع مياه النيل العكرة والمرشحة فى مدينة القاهرة وضواحيها . فقام بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم « شركة مياه القاهرة » . وقد حدد أجل الامتياز بمدة ٩٩ سنة تبتدىء من ٩ أبريل سنة ١٨٧٠ وتنتهى فى ٨ أبريل سنة ١٩٦٩ وحفظت الحكومة لنفسها الحق فى شراء المؤسسة بعد ٢٥ سنة من تاريخ صدور الفرمان الخاص بعقدى الامتياز والتأسيس . أى أن للحكومة الحق فى شراء المؤسسة منذ ١٠ أبريل سنة ١٨٩٥ ، على أن يكون الشراء محسوبا على أساس متوسط إيرادات الشركة فى السنوات الثلاث الأخيرة وبفائدة ٦٪ .

وقد نص فى عقد الامتياز على أن تؤول كل ممتلكات الشركة دون مقابل إلى الحكومة المصرية عند انتهاء مدة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الامتياز عدا ما هو موجود بمخازن الشركة من البضائع والمهمات فتدفع الحكومة ثمنه على أساس القيمة الأصلية .

وبتاريخ ٤ أبريل سنة ١٨٧٧ حصلت الشركة من الحكومة المصرية على امتياز خاص بمباشرة واستغلال عملية مياه الحكومة بالعباسية بشروط خاصة لمدة ١٥ سنة . وبتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٨٩٢ مدّ أجل هذا الامتياز الجديد وجعل أجله مع أجل الامتياز الأول ، وعند نهايته تؤول المؤسسة وما أدخل عليها من تحسينات وإضافات إلى الحكومة دون مقابل ما عدا ما هو موجود بالمخازن فتدفع الحكومة ثمنه على أساس القيمة الأصلية .

وفى سنة ١٨٨٧ اتفقت الحكومة والشركة على أن لا تستعمل الحكومة حقها فى شراء المؤسسة الا ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٨ وفى مقابل ذلك حصلت الحكومة على حصة فى أرباح الشركة .

وبموجب اتفاق وقّع بتاريخ ١٠ يوليو سنة ١٨٨٩ أعطت الشركة إلى الحكومة المصرية ٤٠٠٠ سهم مسددة القيمة سعر كل منها ١٢٥ فرنك وذلك نظير تنازلها عن حصتها فى الأرباح وعدم استعمالها حقها فى شراء العملية إلا ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٨ .

وفى سنة ١٩٠٢ حصلت الشركه على امتياز آخر لتوزيع مياه الآبار الارتوازية فى كل من ضاحية القبة والزيتون والمطرية ومصر الجديدة وتنتهى مدته مع الامتياز الأول .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من : ٤٠٩٣٦ سهم رأس مال لحامله قيمة كل منها ١٢٥ فرنك مدفوعة بالكامل و ٣٢٠٠٠٠ سهم و ٣٣٦٠ حصة تأسيس . وعدد السندات الحالية ٣١٥٧ سنداً فئة ٤٪ سعر كل منها ٢٠ جنيهاً مصرياً .

وقد صرفت الشركة فى سنة ١٩٤٤ للقاهرة ٥٩٫٣٩٥٫٠٠٠ متر مكعب من المياه المرشحة والارتوازية بالسعر الآتى:

(ا) ١٤٫٥ مليما عن المتر المكعب من المياه المرشحة المبيعة إلى الأفراد .

(ب) ١١٫٨ مليما عن المتر المكعب من المياه المرشحة المبيعة للحكومة المصرية أو إلى الجيش البريطانى وإلى محلات العبادة والمنشآت الخيرية .

(حـ) ٨٫٧ مليمات عن المتر المكعب من المياه العكرة المبيعة للأفراد .

(ء) ٧٫٢٥ مليمات عن المتر المكعب من المياه العكرة المبيعة للحكومة المصرية أو للجيش البريطانى ولمحلات العبادة والمنشآت الخيرية .

(هـ) ٨٫٧ مليمات عن المتر المكعب من المياه الارتوازية المبيعة للأفراد فى منطقة القبة والزيتون والمطرية ومصر الجديدة .

مآخذ عمليات المياه المتتالية فى القاهرة :

ولما شرعت شركة المياه فى تنفيذ عمليتها أقامت المأخذ أولا بجوار السواقى بفم الخليج ومدت من هناك مواسيرها

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الرئيسية إلى القلعة و بعد اتفاق سنة ١٨٧٧ مدت المواسير من القلعة إلى العباسية حيث كانت أحواض الترسيب الأصلية التابعة لعملية مياه الحكومة .

ثم نقل المأخذ على ترعة الاسماعيلية وأنشئت عملية مياه جديدة فى المكان الذى يقوم عليه اليوم مبنى التسجيل والرهونات ومبنى المحكمة المختلطة الجديدة عند تقابل شارع فؤاد الأول بشارع الملكة نازلى .

ولما تقرر ردم ترعة الاسماعيلية من الفم محل الكاتدرائية الانجليزية إلى غمرة ، نقل المأخذ مرة ثانية سنة ١٩١٠ إلى روض الفرج حيث توجد الآن طلمبات الضغط الواطى وأحواض الشبة وأحواض الترسيب المستطيلة التى ترسب المياه بواسطة مرورها فى طبقة من الرمال الصحراوية سمكها ٢٠ سنتيمتراً وطبقة من الزلط سمكها ٧٠ سنتيمتراً . ويبلغ عدد هذه الأحواض ١٨ حوضاً . ثم تمر المياه المرسبة فى مرشحات جويل الميكانيكية .

وعند خروجها من المرشحات يضاف إليها الكلور بنسبة ¼ فى المليون ، ثم ترفع بواسطة طلمبات الضغط العالى إلى شبكة المواسير الممتدة فى المدينة . وتشمل الشبكة ماسورتين رئيسيتين قطر كل منهما ٨٠٠ ملليمتر لتوصيل المياه المرشحة إلى مجمع هائل مركب بميدان باب الحديد . ومن هناك توزع المياه إلى جميع أنحاء القاهرة فى شبكة المواسير الممتدة تحت أرض الشوارع فى جميع الاتجاهات .

وفى القاهرة الآن ٢٢٥ حنفية لبيع المياه منها ٥٠ حنفية توزع منها المياه الصالحة للشرب مجانا للطبقات الفقيرة .

وهناك أربعة خزانات عالية : الخزان الأول منقور فى الصخر بالجبل الأحمر والخزان الثانى بالإمام الشافعى والخزان الثالث بالقلعة والخزان الرابع فوق المرتفعات المشرفة على قرافة باب الوزير .

ولا نزاع فى أن وجود مأخذ المياه الحالى بروض الفرج فى شمال القاهرة من أكبر الغلطات الفنية التى ارتكبتها هذه الشركة وسببت لها وللجمهور متاعب كبيرة ، ولا بد من نقل هذا المأخذ إلى الجنوب يوما ما .

شركة غاز القاهرة :

شركة غاز القاهرة فرع من شركة الإنارة بالغاز الفرنسية المركزية « ليبون وشركاؤه » . منحت هذه الشركة امتياز مد مواسير الغاز للمحلات العمومية والمنازل فى سنة ١٨٧٣ لمدة ٧٥ سنة . و بلغ مقدار ما صرفته هذه الشركة من الغاز بالمتر المكعب فى عام ١٩٣٥ ما يأتى :

٥,٨٩١,٠٩١ مترا مكعباً فى إضاءة المحلات العمومية .

٣,٤٤٩,١٤٢ « « « « المصالح .

٩,٣٤٠,٦٣٣ المجلة وهى تغذى ١٣٨٧٣ مصباحا بالقاهرة .

وكان ثمن المتر المكعب من الغاز للمنازل من أول يناير سنة ١٩٢٢ مبلغ ٢٠ مليما عن المتر المكعب . وفى ابريل سنة ١٩٢٥ خفض إلى ١٦ مليما ثم ارتفع ثانياً إلى ٢٣ مليماً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد حصلت هذه الشركة فى سنة ١٩٠٦ على امتياز آخر ينتهى فى سنة ١٩٤٨ لتوصيل التيارات الكهربائية فى مسائل الانارة و إدارة الآلات .

وفى سنة ١٩٣٥ كانت أسعار التيار الكهربائى كالآتى :

١و٢١ مليما عن كل كيلوات ساعة لمصالح الحكومة لأجل الإنارة .

٢٣و٤ « « « « للمشتركين « «

ومن ١و٢١ إلى ٧و٧ مليما عن كل كيلوات ساعة لمصالح الحكومة للقوى الكهربائية .

ومن ٢و٢٣ إلى ٧و٧ « « « للمشتركين « «

اسماعيل والتاريخ :

أسرف بعض المؤرخين فى إحصاء بعض المآخذ على حكم اسماعيل حتى كادوا يمحون حسناته الباهرة . أراد اسماعيل أن تكون بلاده قطعة من أوربا على حد تعبيره ، فابى ألا أن تتحقق إرادته فى أقصر زمن فجاءت إصلاحاته طفرة لا تدرجا .

فى عهده تم فتح السودان ، واكتشفت منابع النيل ووصلت حدود مصر ألى بحيرات خط الاستواء وشواطىء المحيط الهندى . وبفضله أعيد تنظيم الجيش وجددت أسلحته وزودت حصون مصر بالمدافع ونهضت البحرية المصرية وانشئت المحاكم المختلطة وأنتشرت المدارس وأرسلت البعثات وتقدمت الحركة الأدبية والعلمية والفكرية . وكان على رأسها أبو التعليم الرجل الخالد على باشا مبارك صاحب كتاب الخطط التوفيقية . وكان من الطبيعى أن يضطر اسماعيل لأجل القيام بكل هذه الالتزامات الهائلة أن يطلب مشاركة رؤوس الأموال الأوربية فى مشروعاته . فمن سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٣ اقترض اسماعيل مبلغ ٠٠٠و٤٩٧و٦٨ جنيه . وفى سنة ١٨٧٤ باع أسهم الحكومة المصرية فى قناة السويس إلى انجلترا بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات . ومع أن دخل الحكومة المصرية بلغ سنة ١٨٧٥ مبلغ ٤٦٨ و ٥٤٢ و ١٠ جنيه إلا أنه فى سنة ١٨٧٨ استدعى الأمر حفظ حقوق الأجانب ، فتألفت نظارة مختلطة اسندت فيها نظارة المالية الى الأنجليزى ولسون ونظارة الأشغال العمومية الى الفرنسى دى بلينيير وتنازل الخديوى عن جميع أملاكه للحكومة وتناول نظير ذلك راتباً سنويا . وبدأ عهد جديد فى الحكم يعرف بعهد الوزارات المسئولة تولى الوزارة فى عهدها نوبار باشا والأمير محمد توفيق باشا وشريف باشا . ولما لم تصلح الحالة طلبت الدول سنة ١٨٧٩ من اسماعيل أن يتنازل عن الحكم فلم يخضع لأمرهم ولكن السلطان عزله فى يونيو سنة ١٨٧٩ بتحريض الدول فغادر اسماعيل مصر وأقام فى نابولى بايطاليا ثم ذهب الى الآستانة حيث توفى سنة ١٨٩٥ .

ثم نقلت جثته الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة حيث دفن بمسجد الرفاعى بموكب رهيب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل التاسع

المدينة الحديثة

من سنة ١٨٧٩ إلى الآن

وضع إذن الخديو اسماعيل الأسس الحقيقية التى تقوم عليها الآن مدينة القاهرة الحديثة . فلما تولى الخديو توفيق عرش مصر بعد عزل أبيه سنة ١٨٧٩ ، قُضى على هذه البلاد أن تشتغل فى خلال هذا الحكم بالثورة العرابية ومضاعفاتها التى انتهت باحتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ . فكان طبيعياً ألا يتسع المجال للتعمير والإصلاح بالقاهرة .

ولما توفى الخديو توفيق ١٨٩٢ خلفه ابنه الأكبر عباس حلمى الثانى الذى قاوم الاحتلال الإنجليزى بشدة وظل يحكم مصر مدة ٢٣ سنة حتى فقد عرشه سنة ١٩١٤ . ولا غرابة فى ذلك ففى أحضان هذا الخديو ترعرعت الحركة الوطنية الحديثة ، وفى رعايته جاهد مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول داعياً لاستقلال مصر وتحريرها من الاحتلال البريطانى .

وقد غاضب الخديو عباس اللورد كرومر وأحفظ اللورد كتشنر ، فلم تكد نيران الحرب العظمى تندلع سنة ١٩١٤ حتى حيل بين الخديو فى مصيفه بالاستانة و بين عرشه فى القاهرة . ثم أعلنت الحماية الإنجليزية على مصر .

وتولى السلطان حسين كامل حكم مصر أثناء هذه الأزمة سنة ١٩١٤ واصطدم فى أواخر عهده بالسياسة الاستعمارية البريطانية وتوفى فى سنة ١٩١٧ .

عهد الملك فؤاد الأول :

فاعتلى العرش الملك الراحل فؤاد الأول الذى تولى سلطاناً سنة ١٩١٧ ولما ألغيت الحماية الإنجليزية بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ أصبح ملكاً ، وحكم هذه البلاد ١٩ عاما إلى أن توفاه الله فى سنة ١٩٣٦ . وفى عهده قامت ثورة سنة ١٩١٩ وتألف الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول باشا الذى توفى سنة ١٩٢٧ فخلفه مصطفى النحاس باشا فى رياسة الوفد .

وقد اقترن عهد الملك فؤاد الأول بتقلص النفوذ الأجنبى ، ونضج الحركة الوطنية ، وزوال كابوس الحماية ، وإعلان الدستور وتقدم مصر فى طريق وجودها الدولى المستقل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان عصره من أزهر عصور القاهرة ، فقد عم فيه الإصلاح الشامل والتقدم والعمران السريع .

وقد ختم حياته فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٦ بعد أن جمع متفرق الشمل بين زعماء البلاد ومهد بذلك للخاتمة السعيدة التى انتهت بمعاهدة الصداقة بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦ ، وبالغاء الإمتيازات الأجنبية فى مؤتمر مونترو سنة ١٩٣٧

عهد الفاروق :

ثم اعتلى الفاروق عرش مصر سنة ١٩٣٦ فقابله الشعب بحماسة منقطعة النظير ، وفى عهده السعيد تمت بالقاهرة مشروعات عمرانية ضخمة وخطت المدينة إلى الأمام خطوات جبارة موفقة .

ولما أعلنت الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، أصبحت القاهرة ملتقى جيوش العالم البرية والبحرية والجوية وثالثة العواصم بعد لندن وموسكو وقد ركّزت فيها قيادة الأعمال الحربية فى الشرق . و بعد أن وضعت الحرب أوزارها هب الشعب مطالباً بتعديل معاهدة سنة ١٩٣٦ وتركزت أمانيه فى الجلاء ووحدة وادى النيل أى وحدة مصر والسودان .

أطال الله حياة الفاروق وشمله بعنايته لاستكمال نهضة القاهرة ولتوطيد سؤدد مصر و إعلاء كلمتها .

و إليك الآن تطورات القاهرة الحديثة من سنة ١٨٧٩ إلى الآن :

تطورات القاهرة الحديثة :

علمنا مما سبق أن معظم أحياء القاهرة الحديثة إنما بدأت حياتها قرى صغيرة منفردة ثم نمت واتسعت وتحولت إلى بلدان ثم إلى مدن صغيرة ثم اتصلت بالمدينة الأصلية واندمجت فيها وأصبحت قسما من أقسامها الإدارية وذلك مثل قسم بولاق وقسم شبرا وقسم روض الفرج وقسم الوايلى ويشمل هذا القسم الأخير أحياء كثيرة مستجدة مثل أحياء العباسية القبلية والسكاكينى وغمرة وحدائق القبة وخلافها .

وبديهى أن الشوارع الحالية التى تربط هذه الأقسام بالمدينة القديمة كانت فى الأصل سكك زراعية بين القاهرة وهذه الضواحى . فشارع فؤاد الأول مثلا أصله سكة بولاق الزراعية ، وشارع السبتية أصله أيضاً سكة زراعية إلى بولاق . وشارع شبرا أصله سكة شبرا البلد الزراعية . وشارع العباسية أصله سكة الوايلية الزراعية إلى بركة الحج و إلى الخانكة .

ومن المعلوم أنه منذ عصر الخديو اسماعيل ، أخذت وسائل الانتقال وخصوصاً العربات التى تجرها الخيول تنتشر فى القاهرة ، فرأت الحكومة ، تسهيلا لمواصلات المدينة التى أخذت تنمو وتنتشر فى كل اتجاه وتتسع اتساعاً مفرطاً أن تشق فى الأحياء القديمة المزدحمة بالسكان شوارع مستقيمة لتنفس عن هذه الأحياء من جهة ، وتسمح بمرور

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الجيوش والعربات وتربط الأحياء ببعضها من جهة أخرى . وعلى ذلك نشأت شوارع كثيرة مثل شارع السكة الجديدة وشارع محمد على وشارع بيت القاضى وسواها . كما أنشأت الحكومة شوارع جديدة فى الأحياء المستحدثة . وكانت عروض هذه الشوارع تبدو فى هذا الوقت كافية لحاجات المرور بالمدينة ، وكانت ترصف بالدبش فيبدو هذا خطوة موفقة فى إصلاح المدينة . ولكن فى سنة ١٩٠٣ لما ظهرت السيارات فى القاهرة ، تبين أن الشوارع التى نشأت قبل عصر السيارات ورصفت بالدبش غير صالحة للمرور . فأعيد إصلاح رصفها خصوصاً وقد كان المستر بدنل والمستر بارون من مديرى مصلحة الجيولوجيا قد وفقا إلى إكتشاف محاجر البازلت بأبى زعبل ، فرصفت الشوارع الجديدة بالمكدام والإسفلت وعدل تخطيطها ووسعت توسيعاً كبيراً وجعلت منحنياتها بحيث تكون مستوفية لشروط السلامة المطلوبة لسرعة السيارات .

وروعى فى شق الشوارع الجديدة قواعد لم تكن مرعية فى الماضى فنشأت فى القاهرة الحديثة شوارع من الدرجة الأولى جعلت وظيفتها تحسين مداخل المناطق المختلفة وتوفير الهواء والشمس والضوء للمبانى الواقعة على جانبيها مع الاتساع لشمول المرافق العامة الأخرى مثل مواسير المياه المرشحة للشرب ومواسير المياه العكرة لرى الحدائق ورش الطرق وإطفاء الحرائق وغيرها ، ومواسير غاز الاستصباح وأسلاك التليفون والكهرباء والمجارى ومرور عربات الاوتوبيس وخطوط الترامواى التى ظهرت لأول مرة سنة ١٨٩٥ ووسائل المواصلات الحديثة الأخرى .

وهكذا تطورت شوارع القاهرة وبلغت عروض بعضها ٣٠ و ٤٠ متراً بعد أن كانت عروضها قديماً تتراوح بين أربعة أو ستة أو ثمانية أمتار وعلى أقصى تقدير كانت تصل إلى ١٠ أو ١٢ متراً .

وقد برهنت شوارع القاهرة الحديثة فى الحرب الأخيرة على أن فى طاقتها أن تتسع لمرور أضخم الوحدات الحربية من دبابات وحاملات مدافع وحاملات طائرات وسيارات نقل من جميع الأشكال والأنواع ، فوق تحملها لأثقل الأوزان دون أن تتأثر تأثيراً محسوساً بهذه الأثقال الهائلة .

تخطيط الشوارع الحديثة :

وقد نفذت شبكة شوارع القاهرة الحديثة طبقاً لطرق مختلفة من قواعد التخطيط . فتجد مثلا شوارع منطقة السكاكينى على شكل شبكة العنكبوت أى أن شوارعها الرئيسية تشبه أقطاراً إشعاعية تبتدىء كلها من نقطة مركزية واحدة هى سراى السكاكينى باشا وتتجه فى اتجاهات مختلفة ثم تتقاطع معها شوارع أخرى دائرية مركزها أيضاً نفس سراى السكاكينى . فتتكون من هذا الشكل شبكة تماثل تماماً شباك العنكبوت .

وتجد مدينة حلوان ومنطقة البغالة بقسم السيدة زينب مخططة على شكل رقعة الشطرنج أى أن شوارعها الرئيسية متعامدة ووحدات مبانيها مربعة أو مستطيلة .

وتجد مصر الجديدة والمعادى والزمالك والدقى والروضة ومنطقة الاسماعيلية مخططة على شكل شبكة مختلطة أى أن شوارعها الرئيسية بشكل أقطار إشعاعية بالنسبة للشوارع الثانوية الشطرنجية أو الدائرية الشكل .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أنواع الشوارع :

وإليك الآن دراسة تحليلية لشوارع العاصمة .

تنقسم شوارع القاهرة الحالية إلى أنواع كثيرة فمنها :

أولا — الشوارع التجارية الرئيسية . وتصل عروضها إلى ٤٠ متراً . وهى فى الغالب مقسمة إلى عدة أجزاء . فالجزء الأوسط مشغول بخط ترام مزدوج على جانبيه طريقان عرض كل طريق منهما تسعة أمتار . وفى هذه الشوارع رصيفان لمرور المشاة .

القاهرة — شارع فؤاد الأول عند فمه المقابل لباب حديقة الأزبكية الغربى

وهذه الشوارع هى فى الواقع الطرق الأصلية التى نمت واتسعت حولها المدينة ، وارتبطت بواسطتها بالأحياء المستجدة القريبة منها وأهمها شارع فؤاد الأول وشارع العباسية وشارع شبرا وشارع قصر العينى وشارع الفجالة وشارع الملكة نازلى وشارع الخليفة المأمون وشارع الأهرام وشارع الجيزة وسواها كثير جداً .

ثانياً — الشوارع التجارية الثانوية وعروضها مابين ٢٤ و٣٦ متراً حسب حالتها . وتجد بها فى الغالب خط ترام مزدوج فى الوسط يفصل طريق المرور على جانبيها وبها رصيفان لمرور المشاة . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور العام فى المناطق الكائنة بين الشوارع التجارية الرئيسية وذلك مثل شوارع كلوت بك والموسكى وعبد العزيز والأمير فاروق والأزهر ومحمد على وماشابهها . وقد فتحت هذه الشوارع وسط مناطق السكن القديمة لربط قلب هذه المناطق بالشوارع الرئيسية .

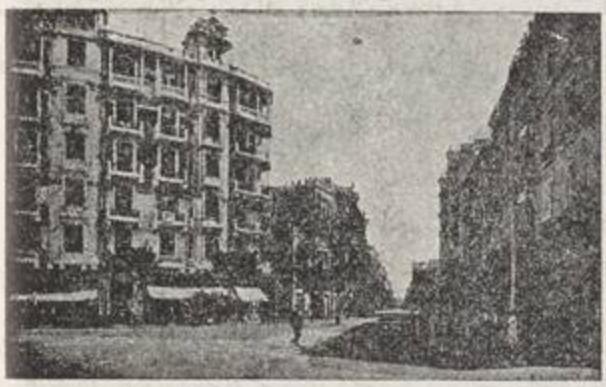

القاهرة — شارع سليمان باشا من جهة ميدان الخديوى اسماعيل

ثالثاً — الشوارع السكنية الرئيسية وعروضها ما بين ١٨ و٣٠ متراً حسب حالتها . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور بالنسبة لمناطق السكن . وقد تمر بها خطوط المواصلات السريعة مثل سيارات الأوتوبوس وسيارات النقل المشترك وسواها وذلك مثل شارع سليمان باشا وشارع شريف باشا وشارع الملك بحدائق القبة وشارع احمد سعيد وشارع الكنيسة المرقسية وشارع قنطرة الدكة وشارع ابراهيم باشا وشارع بولاق الجديد وشارع سيدى عبد الجواد وسواها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

رابعا — الشوارع السكنية الثانوية وعروضها مابين ١٢ و١٦ متراً حسب حالتها ولا يقل عرض بحر الشارع فيها عن ثمانية أمتار . وتقوم هذه الشوارع بسد احتياجات المرور المحلى لمناطق السكن فضلا عن قيامها بوظيفتها الأساسية للمساكن الواقعة على جانبيها وهى توفير الضوء والشمس والهواء والمرافق الأخرى المختلفة .

وهذه الشوارع تعد بالمئات فى القاهرة هذا خلاف ما يتفرع منها من حارات وأزقة ودروب وسكك وطرقات الخ الخ . . . وهذه فى طريق الزوال أمام خطوات المدنية الآخذة فى تحويلها إلى شوارع واسعة وتعديل تخطيطها .

ميادين القاهرة :

أما أهم ميادين القاهرة التى يصادفها الداخل إلى المدينة من جهة السكة الحديد فهى : ميدان المحطة وميدان باب الحديد . وميدان قنطرة الدكة . وميدان ابراهيم باشا (الأوبرا سابقاً) . وميدان عابدين . وميدان الخديو اسماعيل (الإسماعيلية سابقاً) . وميدان سليمان باشا . وميدان مصطفى كامل (سوارس سابقاً) . وميدان توفيق . ثم ميدان الملكة فريدة (ويقوم مكان ميدانى العتبة الخضراء وأزبك بعد هدم المحكمة المختلطة القديمة التى كانت تفصلهما عن بعضهما) . وميدان باب الخلق . وميدان محمد على . وميدان صلاح الدين . وهناك أيضاً ميدان الظاهر . وميدان السكاكينى . وكذا ميدان لاظوغلى . وميدان سيدى عبد الجواد . وميدان السبتية الخ الخ . . . .

وقد أقيمت هذه الميادين فى الغالب أمام المساجد أو السرايات الملكية أو دور الحكومة أو دور التمثيل الكبرى أو فى النقط التى تتقابل فيها الشوارع الرئيسية .

و بعض هذه الميادين مستدير الشكل مثل ميدان سليمان باشا وتوفيق ومصطفى كامل و بعضها مربع أو مستطيل أو متعددة الأضلاع مثل ميادين المحطة وعابدين والملكة فريدة وابراهيم باشاوسواها .

وهناك أيضاً الميادين المقفلة الموجودة فى المدينة القديمة وهى محاطة بمبانى مرتفعة وتتقابل فيها شوارع ضيقة مثل ميدان بيت القاضى وما شابهه

أحياء القاهرة :

يعتبر ميدان ابراهيم باشا مركز ثقل مدينة القاهرة الحديثة . ويمكن بسهولة تقسيم القاهرة الحالية إلى أحياء مختلفة الوظائف وتعيين موقعها بالنسبة لهذا الميدان .

فأولا — بين ميدان ابراهيم باشا والنيل تقع الأحياء المالية والتجارية الحديثة حيث توجد البنوك ومخازن التجارة الكبيرة ومكاتب الشركات وما شابهها . وتشمل هذه الأحياء المدينة الحديثة الممتلئة بهجة ونشاطاً ، ولا يزيد عمرها عن ثمانين عاماً فقد نشأت معظمها فى عصر اسماعيل باشا . ولا تخلو عماراتها الضخمة من بعض

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الجمال الفنى ، وتتخللها شوارع من الدرجة الأولى أهمها شارع فؤاد الأول وشارع ابراهيم باشا وشارع الملكة فريدة وشارع عدلى باشا وشارع قصر النيل وشارع عابدين وشارع عماد الدين وشارع محمد بك فريد وشارع شريف باشا وشارع سليمان باشا وشارع توفيق وشارع الملكة نازلى وشارع البستان وشارع كوبرى اسماعيل وشارع قصر العينى وأحياء الاسماعيليه والتوفيقية وقصر الدوبارة وجاردن ستى الخ الخ .

وثانياً — بين ميدان ابراهيم باشا وجبل المقطم تقع الأحياء التجارية والصناعية القديمة وتشمل هـذه الأحياء قاهرة محمدعلى باشا التى كانت تمتد من القرافة والقلعة جنوباً إلى جامع الظاهر شمالا ثم تنتهى إلى بركة الأزبكية غرباً. وفى هذه الأحياء تتجمع آثار الفن الإسلامى وهى أثمن الآثار التاريخية للعاصمة . ويتخلل هذه المنطقة الآن شارع الخليج المصرى وشارع الموسكى وشارع السكة الجديدة وشارع الشنوانى وشارع الدراسة وشارع الحسينية وشارع المعز لدين الله وشارع تحت الربع (أحمد ماهر باشا الآن) وشارع محمد على وشارع قصبة رضوان وشارع الخيمية وشارع السروجية وشارع الدرب الأحمر وشارع الأزهر وشارع الأمير فاروق وسواها .

وثالثاً — إلى يمين الواقف بميدان ابراهيم باشا فى مواجهة التمثال تقع الأحياء السكنية الشعبية وأهمها حى عابدين بقصره العامر وفى جنوبه أحياء الناصرية والسيدة زينب وهى تضم الوزارات ومصالح الحكومة ويتخللها شارع الكومى وشارع خيرت وميدان لاظوغلى وشارع نوبار باشا.

القاهرة — منظر بالطيارة يريك أحياء الخليفة والدرب الأحمر والسيدة زينب من أحياء المدينة القديمة المزدحمة بالسكان

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما وراء التمثال مباشرة فتقع دار الأوبرا الملكية التى أنشئت بمناسبة حفلات افتتاح قنال السويس سنة ١٨٦٩ .

ورابعاً — وإلى شمال ميدان ابراهيم باشا تقع حديقة الأزبكية . وإلى شمالها حى الفجالة الشعبى ثم ميدان المحطة المزين بتمثال نهضة مصر . ونجد هناك شارع الملكة نازلى الذى يبدأ عند مصلحة المجارى الرئيسية بالقرب من شاطىء النيل الشرقى وينتهى عند العباسية ثم يمتد من شارع الملك إلى قصر القبة العامر ومن هناك إلى ضاحية المطرية . كما يمتد من شارع الخليفة المأمون إلى ضاحية مصر الجديدة .

وإلى شمال ميدان المحطة تقع أحياء الضواحى السكنية مثل شبرا وروض الفرج . ويتخللها شارع شبرا المعروف .

وخامساً — وإلى شرق ميدان ابراهيم باشا يقع ميدان الملكة فريدة المستجد ويخرج منه شارع الأمير فاروق وفى نهايته يبدأ حى العباسية وهو الحى السكنى الهادىء والمرغوب لجفافه .

وسادساً — ويبدأ شارع فؤاد الأول أمام الباب الغربى لحديقة الأزبكية . وبعد اجتياز كوبرى فؤاد الأول (بولاق سابقاً) يصل إلى الزمالك وهو الحى السكنى الارستوقراطى . ثم بعد اجتياز كوبرى الزمالك تمتد الضواحى السكنية المستجدة حديثاً الكائنة على الضفة الغربية للنيل وهى العجوزة والدقى وبولاق الدكرور والجيزة . وسوف تقوم هناك مدينة الأوقاف الجديدة .

وسابعاً — وتكوّن جزيرة الروضة حياً جميلا من أحياء الضواحى السكنية ويصل الإنسان إليها على كوبرى محمد على أو كوبرى الملك الصالح ويخرج منها على كوبرى عباس حلمى الثانى إلى شارع الأهرام الموصل إلى المساكن الجديدة القائمة على جانبى هذا الشارع والممتدة حتى تصل إلى أقدام أهرام خوفو وخفرع ومنقرع .

وثامناً — وهناك أيضاً الأحياء الصناعية مثل السبتية وبولاق وشبرا الخيمة حيث مصانع النسيج .

وتاسعاً — أما أحياء الصناعات الثقيلة مثل صناعة الأسمنت والجبس والخزف والسكر والاسبرتو فتقع بطرة والمعصرة وحلوان إلى جنوب المدينة .

هذه هى أهم أحياء القاهرة الحديثة . وإليك الآن بعض البيانات عن أهم معالم هذه المدينة .

ميدان ابراهيم باشا :

عرف هذا الميدان عند تخطيطه باسم ميدان التياترو ثم أطلق عليه اسم ميدان الأوبرا ثم عرف حديثاً باسم ميدان إبراهيم باشا . وقد أنشىء بشكل شبه منحرف . وتشغل دار الأوبرا ضلعه الشرقى . وطول واجهة هذه الدار المطلة على الميدان ٦٠ مترا . كما تشغل حديقة الأزبكية ضلعه الشمالى . وكازينو أوبرا الحديث ضلعه الجنوبى .

وفى وسط هذا الميدان تمثال بديع من البرونز للبطل الفاتح ابرهيم باشا ممتطياً حصانه المطهم وهو يشير بيمناه إلى العدو . ولهذا التمثال قاعدة بديعة الصنع من رخام كرارة . والتمثال من صنع كورديه المثال الفرنسى المشهور . أقامه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

اسماعيل باشا فى أول الأمر بميدان العتبة الخضراء بعد تنظيمه سنة ١٨٧٥ . ولكن الثوار العرابيين أنزلوا التمثال من فوق قاعدته سنة ١٨٨٢ فأعيدت اقامته فى ميدان الأوبرا فى مكانه الحالى وظل به إلى الآن .

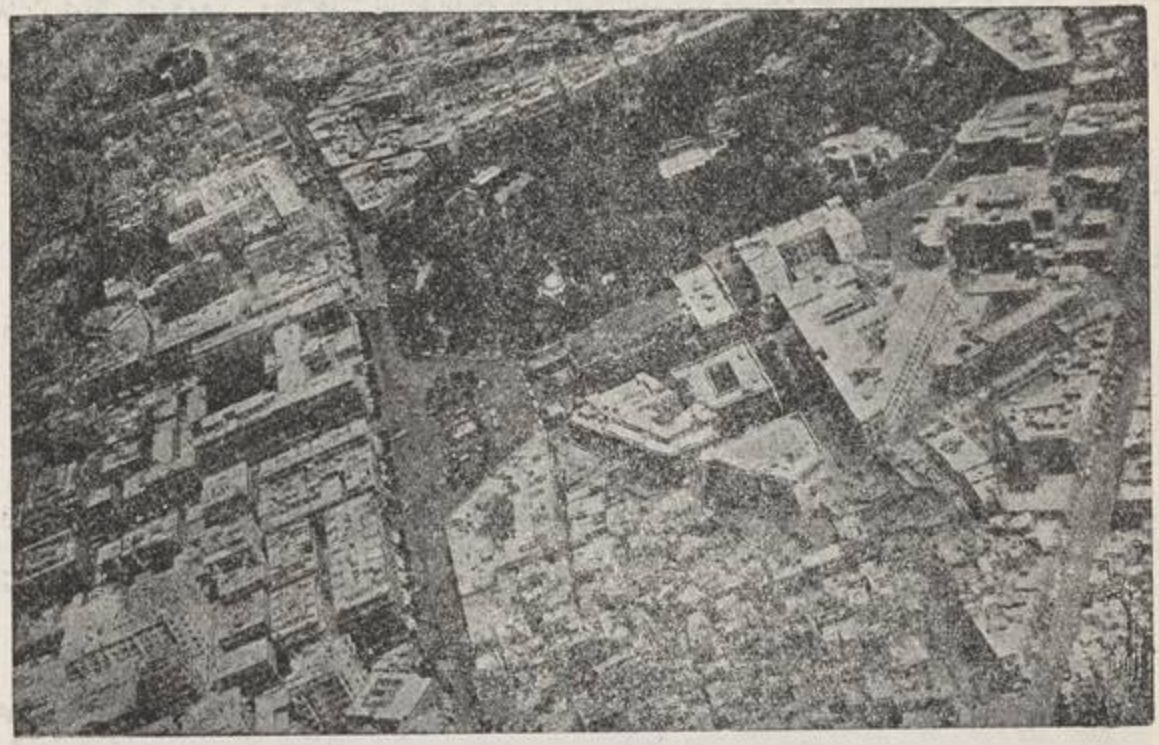

القاهرة — منظر بالطيارة وترى فيه حديقة الأزبكية وميدان ابراهيم باشا (الأوبرا سابقاً) وشارع ابراهيم باشا وبعض عمارات المدينة الحديثة .

ويتفرع من ميدان ابراهيم إباشا الشوارع الآتية :

شارعا الأوبرا وطاهر وهما شارعان متوازيان يمتدان بمحازاة دار الأوبرا من الشمال ومن الجنوب وكلاهما يؤدى إلى ميدان الملكة فريدة . وشارع ابراهيم باشا وهو يؤدى إلى ميدان المحطة . وشارع عابدين وهو يؤدى إلى ميدان عابدين . وشارع عدلى باشا وينتهى إلى شارع سليمان باشا . وشارع الملكة فريدة ويمتد إلى شارع الملكة نازلى . ثم شارع فؤاد الأول وينتهى إلى البر الغربى للنيل . وشارع قصر النيل وهو يؤدى إلى ميدان سليمان باشا ثم ينتهى إلى ميدان ماريت باشا .

ميدان عابدين :

خطط هذا الميدان فى عهد إسماعيل باشا وهو من أكبر ميادين القاهرة وتبلغ مساحته تسعة أفدنة . وتشغل سراى عابدين العامرة ضلعه الشرقى . وطول هذا الضلع ١٣٥ متراً . كما تشغل ثكنات الحرس الملكى ضلعه الشمالى . وطول واجهة هذه الثكنات المطلة على الميدان ١٤٥ متراً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى الجهة الجنوبية الشرقية لميدان عابدين غرست حديثاً شجرة الأرز التى أحضرها الوفد اللبنانى اعترافاً بفضل مليك النيل فاروق الأول أدامه الله بمناسبة موقفه المملوء شهامة و بطولة فى الدفاع عن استقلال لبنان ضد حكومة دى جول الفرنسية المؤقتة فى الحرب الحاضرة .

ويتفرع من ميدان عابدين : شارع البستان المؤدى إلى ميدان الأزهار ثم إلى ميدان ماريت باشا . وشارع كوبرى إسماعيل المؤدى كذلك إلى ميدان الأزهار ثم إلى ميدان الخديوى إسماعيل ثم الى ميدان إلهامى عند مدخل كوبرى إسماعيل .

ويخرج من ميدان عابدين أيضاً شارع قوله وامتداده المعروف بشارع القاصد الذى ينتهى الى ميدان الخديوى اسماعيل . ومن الجهة الجنوبية الشرقية لميدان عابدين يخرج شارع السلطان حسين المؤدى إلى شارع قصر العينى من جهة و إلى شارع الخليج المصرى من الجهة الأخرى . وهناك أيضاً شارع حسن الأكبر المؤدى من عابدين إلى ميدان باب الخلق وشارع الصنافيرى المؤدى إلى ميدان باب اللوق حيث جامع الطباخ .

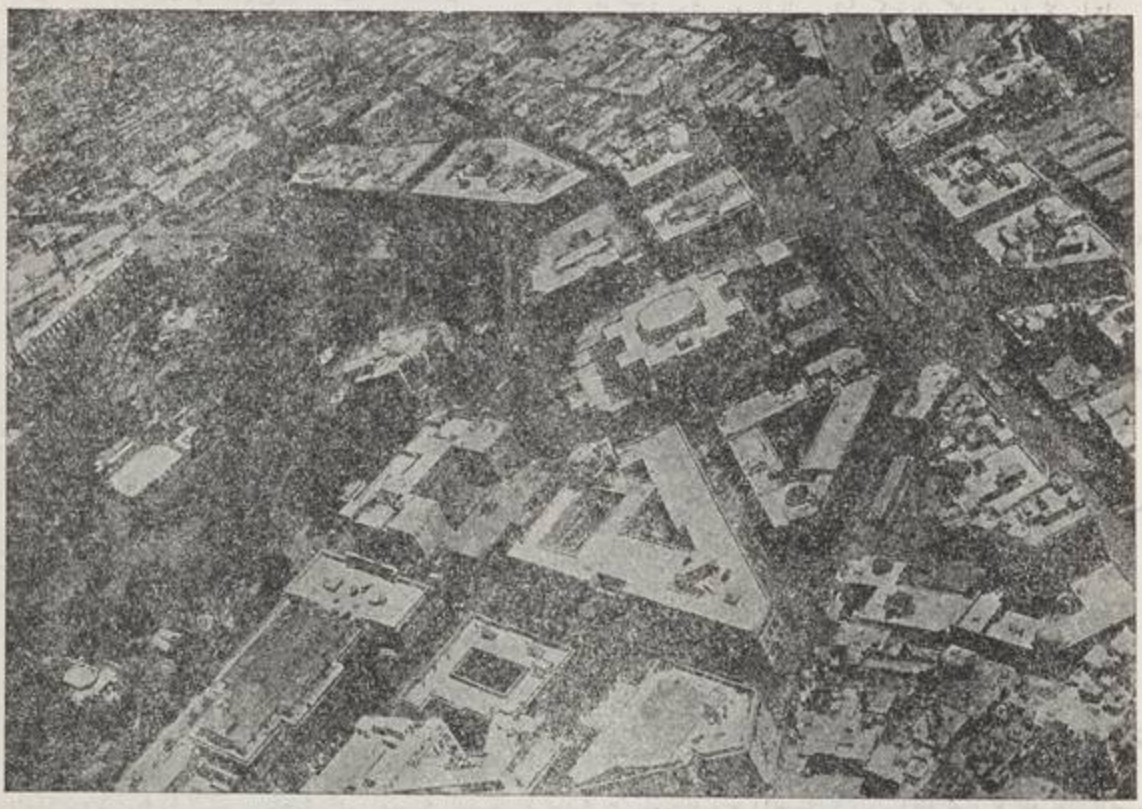

القاهرة — منظر بالطيارة ترى فيه العتبة الخضراء قبل هدم المحكمة المختلطة وتوسيع الميدان وهو الذى يعرف حاليا باسم ميدان الملكة فريدة . وترى حديقة الأزبكية وبداخلها دار التمثيل ونادى السلاح كما ترى الأدارة العامة لمصلحة البريد ومطافى القاهرة وديوان بوليس قسم الموسكى وصندوق الدين ودار الأوبرا

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ميدان الملكة فريدة :

من أحدث ميادين القاهرة أنشىء سنة ١٩٣٠ بعد هدم المحكمة المختلطة القديمة . وأصل هذه المحكمة جزء من سراى العتبة الخضراء التى أقامها الوالى عباس الأول لوالدته وكان إلى شرق هذه المحكمة ميدان العتبة الخضراء وإلى غربها ميدان أزبك . فلما هدمت وضمت أرضها الى أرض هذين الميدانين نتج عن ذلك ميدان رحب أطلق عليه إسم ميدان الملكة فريدة تيمناً باسم صاحبة الجلالة ملكة مصر المعظمة .

ميدان الملكة فريدة ويشمل اليوم الأمكنة التى كانت مشغولة سابقاً بميدان العتبة الخضراء والمحكمة المختلطة القديمة وميدان أزبك .

ويتفرع من هذا الميدان شوارع كثيرة أهمها شارع الموسكى الذى فتح فى عهد محمد على باشا وعلى امتداده شارع السكة الجديدة الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل وهذان الشارعان يؤديان الى جميع أسواق مدينة القاهرة القديمة .

كما يتفرع منه شارع محمد على الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل وهو يؤدى الى ميدان باب الخلق ثم الى ميدان محمد على تحت أقدام القلعة .

ويتفرع منه كذلك شارع عبد العزيز الذى سمى بهذا الاسم تكريماً للسلطان عبد العزيز التركى بمناسبة زيارته لمصر وقد فتح فى عصر الخديوى إسماعيل وهو يؤدى الى ميدان عابدين بعد تقابله مع شارع عابدين .

وهناك أيضاً يتفرع شارع الأزهر الذى فتح فى سنة ١٩٣٠ فى عهد الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله وهو يؤدى إلى الجامع الأزهر الشريف .

وشارع الأمير فاروق الذى فتح سنة ١٩٣٠ فى نفس هذا العهد وهو ينتهى إلى ميدان الأمير فاروق وشارع العباسية .

شارع المعز لدين الله

هذا الشارع هو أقدم شارع فى مدينة القاهرة لأنه يرجع فى الحقيقة إلى عصر جوهر الصقلى مؤسس القاهرة الفاطمية . وكان هذا الشارع يقع فى محور المدينة القديمة الأصلية بين باب الفتوح و باب زويلة . وهو شارع طويل كانت له أسماء متعددة الغيت الآن ، فجزء منه كان يسمى شارع باب الفتوح والجزء الذى يليه شارع أمير الجيوش البرانى والجزء التالى شارع النحاسين والجزء التالى شارع بين القصرين ثم شارع الجوهرجية ثم شارع الخردجية ثم شارع

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الأشرافية ثم شارع الغورى ثم شارع الشوايين ثم شارع العقادين ثم شارع المناخلية ثم شارع السكرية وكلها أجزاء من شارع واحد فكل هذه الأسماء الأثرية أختفت الآن وحل محلها اسم شارع المعز لدين الله ، وفى هذا فى الحقيقة تضييع لأسماء هامة فى القاهرة القديمة نرجو أن تتداركه الحكومة قبل فوات الأوان .

وأجمل جزء فى هذا الشارع هو الجزء الذى كان يقوم فيه قديماً القصران الفاطميان الشرقى والغربى فاذا مررت بهذا الجزء الآن ودخلت شارع المعز لدين الله من جهة السكة الجديدة متجهاً إلى باب الفتوح تجد عن يمينك مدرسة وقبة السلطان الصالح نجم الدين أيوب وعن يسارك الصاغة بدكاكينها الصغيرة ذات الصبغة الشرقية الخاصة . ثم إذا تقدمت إلى الأمام قليلا تجد عن يمينك سبيل وكتاب خسرو باشا ثم مدرسة السلطان الظاهر بيبرس الذى ضاع جزء منها عند فتح شارع بيت القاضى فى عهد الخديوى اسماعيل وتجد عن يسارك مدرسة وقبة ومارستان السلطان قلاوون . وبعد التقدم قليلا تجد عن يمينك سبيل النحاسين الذى أنشأه محمد على باشا صدقة على روح ابنه اسماعيل باشا سنة ١٨٢٩ وخلفه مدرسة النحاسين الأميرية الابتدائية ثم قصر بشتاك كما تجد على يسارك مدرسة وقبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون و إلى شماله مدرسة وقبة السلطان برقوق و إلى شمال ذلك المدرسة الكاملية . كما تجد فى مواجهتك سبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا .

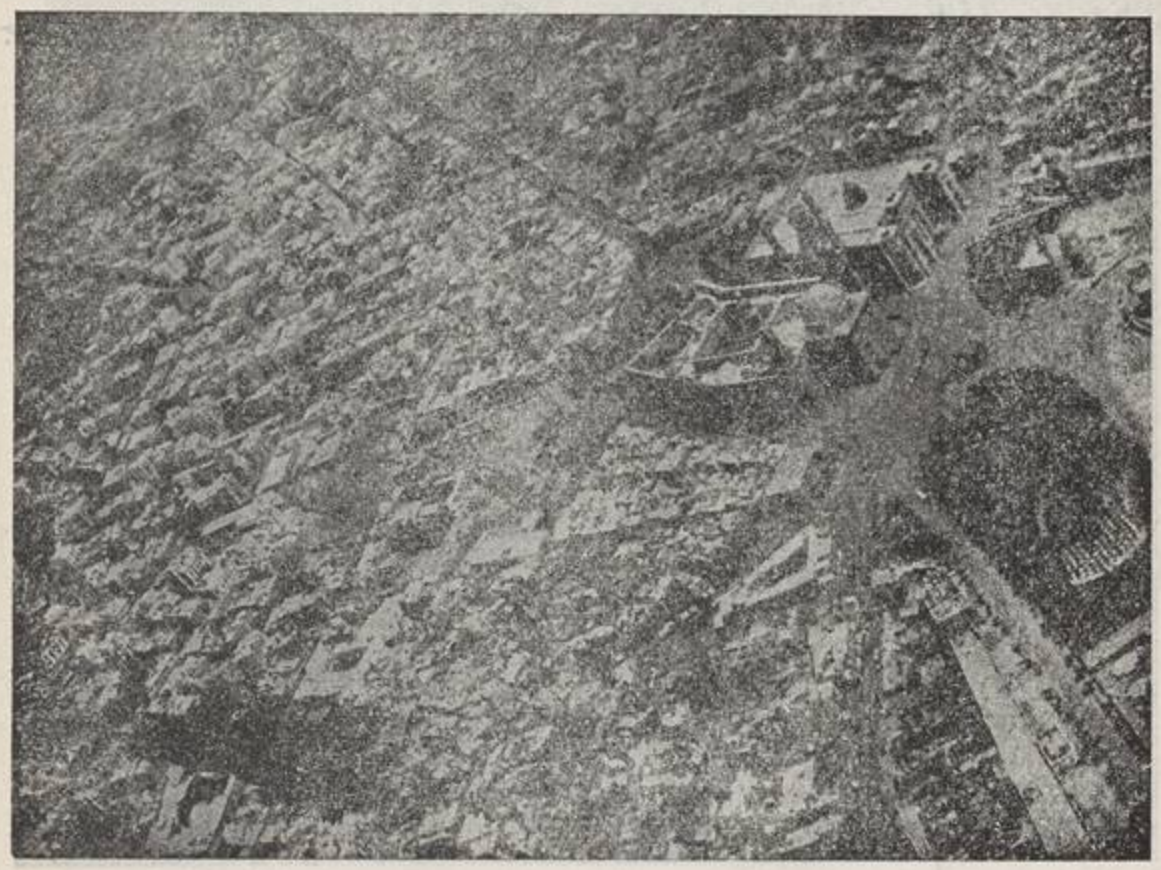

منظر بالطيارة وترى به مدرسة السلطان حسن وأمامها مسجد الرفاعى كما ترى شارع محمد على وجزء من قسم الخليفة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وإذ استمريت فى سيرك إلى الأمام تقابل عن يمينك الجامع الأقمر ثم الدرب الأصفر حيث يوجد بيت السحيمى كما تقابل عن يسارك جامع السلحدار وأخيراً تصل إلى جامع الحاكم المحصور بين باب الفتوح و باب النصر وهما بابا المدينة القديمة فى الضلع الشمالى من سورها القديم . وفى وسط هذه المجموعة الهائلة من الآثار الاسلامية تشعر حقاً بعظمة هذا الفن الإسلامى وروعته وجماله . ونود لو اعتنت الحكومة بكشف ما يحجب هذه الآثار الرائعة و بإزالة ما يحيط بها من دكاكين ومبانى حقيرة .

ميدان محمد على وميدان صلاح الدين :

تحت أقدام القلعة يقع هذان الميدانان . أما ميدان محمد على فتجد فيه جامع أو مدرسة السلطان حسن وفى مواجهتة مسجد الرفاعى وهما صرحان ضخمان متعادلان فى العظمة والفن والجمال الرائع .

أما ميدان صلاح الدين فكان يعرف سابقاً باسم قره ميدان وكانت به قديماً محطة الميدان التى أقيمت على رأس خط السكة الحديد إلى حلوان كما كانت به مصطبة المحمل وكان قديماً بستاناً وميداناً فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون.

ومن هذين الميدانين تتفرع اليوم الشوارع الآتية : شارع الإمام الشافعى المؤدى إلى مقابر الأمام الشافعى و إلى جامع وقبة الإمام الشافعى وبجوارها مقبرة العائلة الملكية حيث دفن إبراهيم باشا وعباس باشا الأول. وشارع الأقدام

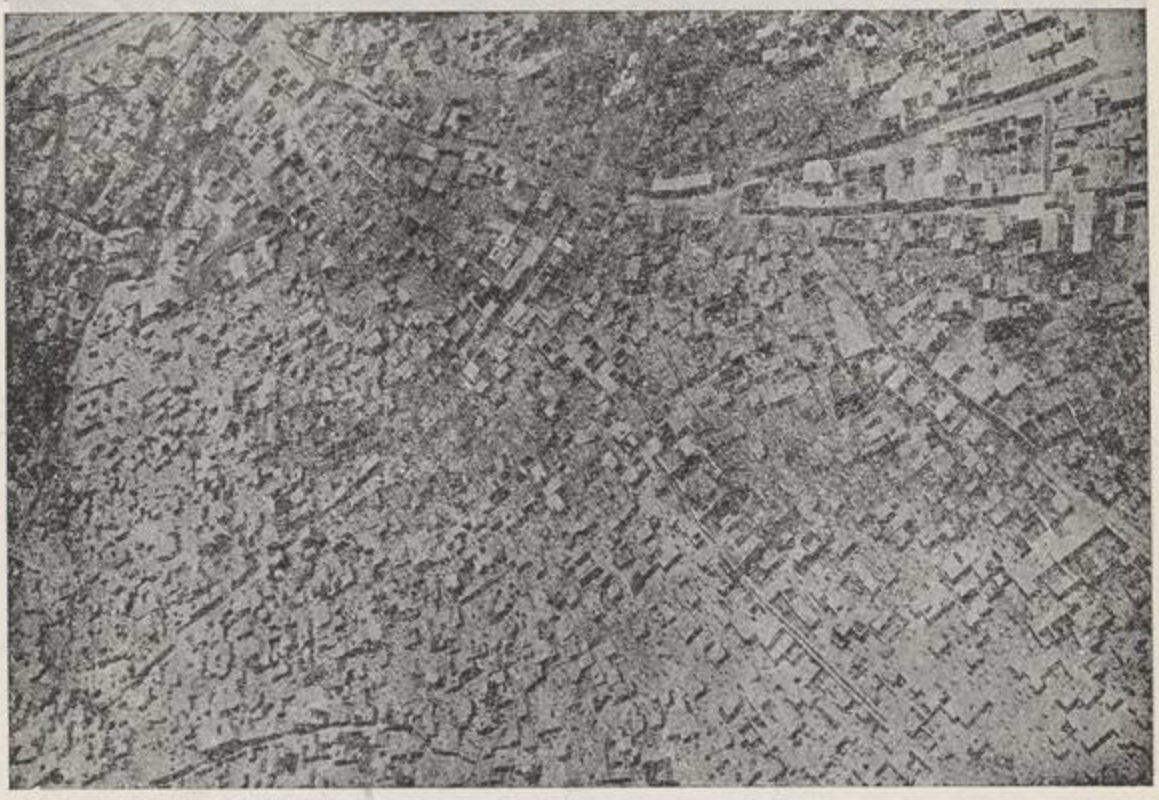

القاهرة — النظر بالطيارة لمقابر الأمام الشافعى وحيشانه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المؤدى إلى مقابر السيدة نفيسة . وشارع السيدة عائشة المؤدى إلى ميدان السيدة عائشة . وشارع درب الحصر وعلى امتداده شارع طولون المؤدى إلى قلعة الكبش . وشارع شيخون وعلى امتداده شارع الصليبة المؤدى إلى جامع ابن طولون وموقع مدينة القطائع القديمة ، وعلى امتداد شارع الصليبة تجد شارع الخضيرى وعلى امتداده شارع مراسينة المؤدى إلى ميدان السيدة زينب .

ومن هناك يتفرع أيضاً شارع قره قول المنشية المؤدى إلى شارع السيوفية وعلى امتداده شارع الركيبة حتى تقابله بشارع طولون .

أما امتداد شارع قره قول المنشية بعد تقابله مع شارع السيوفية فيؤدى إلى شارع نور الظلام وهناك تجد أحياء الحلمية و بركة الفيل .

القاهرة — منظر بالطيارة للاحياء الواقعة إلى شمال القلعة و إلى شمال جامعي السلطان حسن والرفاعى بقسم الدرب الأحمر حيث تلتقى مدينة الأحياء بمدينة الأموات

ومن هناك أيضاً يتفرع شارع المدفر و يؤدى إلى شارع الحلمية .

و يتفرع كذلك شارع محمد على الذى فتح فى عهد الخديوى إسماعيل و يؤدى إلى ميدان باب الخلق ثم إلى ميدان الملكة فريدة . و يتفرع أيضاً شارع سوق السلاح المنتهى إلى شارع التبانة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويتفرع أيضاً شارع المحجر وعلى امتداده شارع باب الوزير ثم شارع التبانة ثم شارع الدرب الأحمر ثم شارع تحت الربع حتى ميدان باب الخلق (ميدان أحمد ماهر باشا الآن) . وكان هذا الطريق قديماً هو طريق الملوك من دولة المماليك الشراكسة إلى ميدان الناصر بعد اختراق شارع غيط العدة وشارع الصنافيرى إلى ميدان باب اللوق حيث جامع الطباخ و بعد ذلك شارع جامع شركس حيث توجد وزارة الأوقاف أجمل مبنى عربى بالمدينة الحديثة ثم ميدان سليمان باشا ثم شارع الإنتكخانة المصرية حتى مبنى دار الآثار المصرية وثكنات قصر النيل حيث كان ميدان الناصر للعب البرجاس وتمرين المماليك .

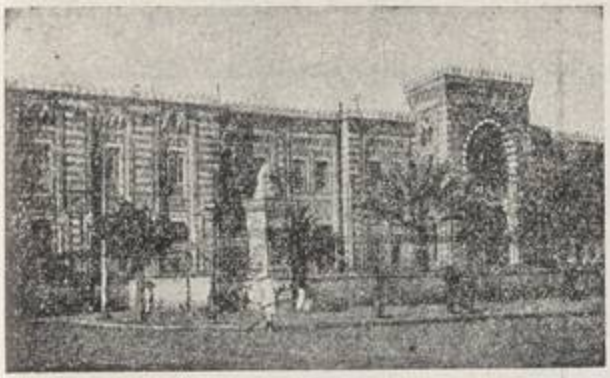

القاهرة — مبنى وزارة الأوقاف العمومية بشارع جامع شركس من أجمل المباني العربية بالمدينة الحديثة

ومن جوار القلعة يتفرع أيضاً شارع باب الوداع المؤدى إلى جبانة باب الوزير .

ميدان السيدة زينب :

عرف هذا الميدان قديماً باسم ميدان قناطر السباع لأنه كانت على الخليج قناطر تسمى بهذا الاسم فى موقع هذا الميدان. وقد وسع هذا الميدان حديثاً وكشفت فيه واجهة جامع السيدة زينب الذى جدد فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى حتى أصبح تحفة فنية جميلة .

ويتفرع من هذا الميدان شوارع كثيرة أهمها :

شارع الكومى وبه المدرسة السنية الثانوية للبنات وخلفها بيت السنارى بحارة مونج حيث وضع علماء حملة بونابرت كتاب « وصف مصر » وهو مرجع فريد فى وصف القاهرة والقطر المصرى فى عصر هذه الحملة .

ويتفرع شارع الكومى نفسه عند نهايته إلى ثلاثة شوارع . فشارع خيرت يؤدى إلى ميدان لاظوغلى حيث وزارة المالية والعدل ومن هناك تصل إلى جميع وزارات ودواوين الحكومة تقريباً . وشارع المبتديان المؤدى إلى شارع القصر العينى وأحياء الانشا والمنيرة وجاردن سيتى . وشارع الناصرية المؤدى إلى الناصرية وكانت به بركة الناصرية القديمة المشهورة التى ردمت فى عصر الخديوى اسماعيل . وكانت هذه البركة تعرف أيضاً باسم بركة أبو شامة . وكان بهذا المكان أيضاً سراى البابلى وكانت تشمل المنطقة المحصورة بين شوارع خيرت ونوبار باشا والمبتديان .

أما شارع الناصرية الحالى فيتصل أيضاً بشارع عماد الدين من نهايته وقد سمى هذا الجزء الأخير من شارع عماد الدين باسم شارع محمد بك فريد . وتصل من هذا الشارع إلى ميدان عابدين وميدان باب اللوق وفى الطريق تجد أحياء حارة السقايين و إلى الشرق سويقة السباعين وسوق مسكة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويتفرع من ميدان السيدة زينب أيضاً الدرب الجديد المؤدى إلى خط سويقة اللالة والهياتم .

ويتفرع من هذا الميدان كذلك شارع السد وامتداده المعروف بشارع السد البرانى المؤدى إلى أحياء البغالة والمواردى وزين العابدين والديورة والساقية وفم الخليج وهناك تجد السواقى القديمة التى كانت تغذى مجرى العيون لتوصيل مياه النيل إلى القلعة .

ومن ميدان السيدة زينب يتفرع أيضاً شارع مراسينا وبه الحوض المرصود ومسجد سنجر الجاولى وعلى امتداده شارع الخضيرى الموصل إلى مرتفعات جبل يشكر وفوقها جامع ابن طولون وعلى امتداد شارع الخضيرى تجد شارع الصليبة وشارع شيخون إلى ميدان محمد على بالقلعة . ويحيط بهذه الشوارع حى بركة الفيل الذى نشأ مكان بركة الفيل بعد ردمها وأحياء السيوفية والحبالة والمنشية .

ومن ميدان السيدة زينب يخرج أيضاً شارع السيدة زينب وعلى امتداده شارع اللبودية المؤدى إلى أحياء اللبودية ودرب الجماميز .

ويتقاطع ميدان السيدة زينب مع شارع الخليج المصرى . وكان هذا الخليج محور مدينة القاهرة فى عصر محمد على باشا وكانت المدينة إذ ذاك تنتهى إلى بركة الأزبكية غرباً .

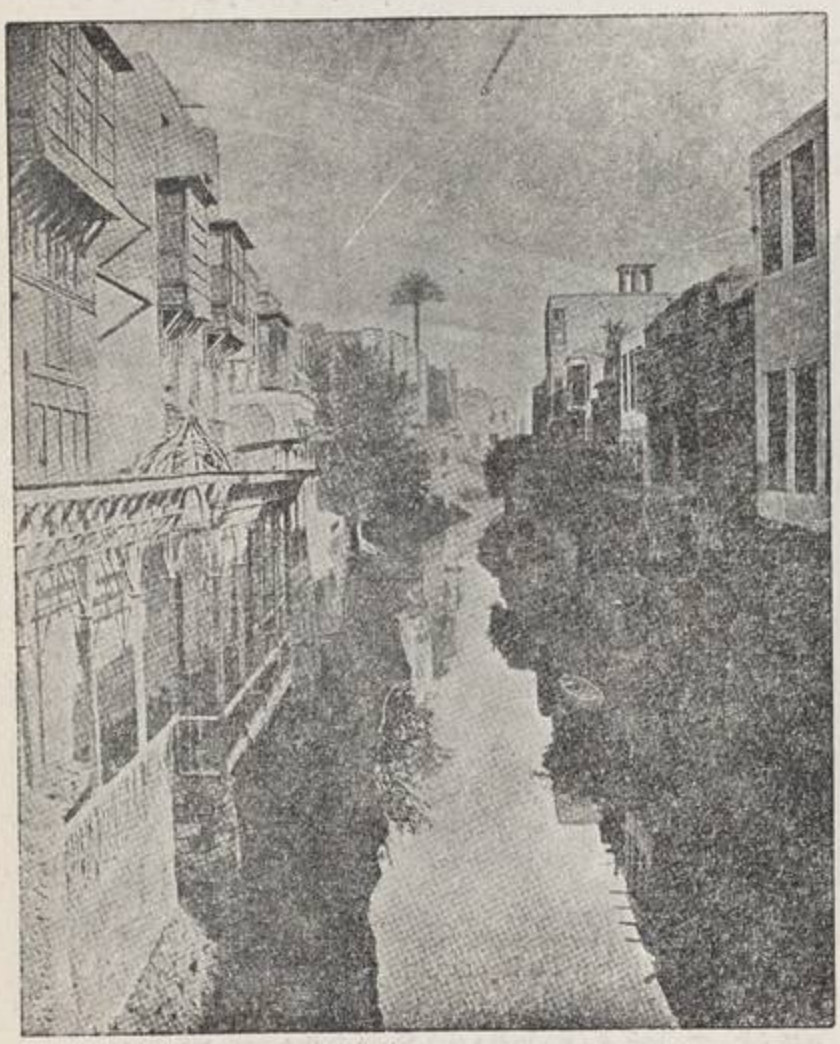

القاهرة — الخليج المصرى قبل ردمه سنة ١٨٩٦

شارع الخليج المصرى :

ظل الخليج المصرى مستعملا فى ارواء القاهرة وضواحيها ، وظل الاحتفال بفتحه سنوياً عند وفاء النيل ، إلى أن

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أنشئت شركة مياه القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل ، ووصلت المياه الصالحة للشرب إلى المنازل ، وعند ذلك قلت فائدته وأصبح مباءة تلقى بها قاذورات المنازل المحيطة به وتنساب فيه المياه القذرة فصار بؤرة للامراض المعدية تفتك بالناس فتكاً ذريعاً . وأخيراً فى سنة ١٨٩٦ تعاونت شركة ترام القاهرة مع الحكومة على ردمه ومد به شريط الترام الذى يصل اليوم ما بين غمرة و باب الشعرية والسيدة زينب وشارع مدرسة الطب .

وفى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٧ صدر مرسوم ملكى بتوسيعه إلى ٤٠ متراً فيما بين ميدان السيدة زينب وشارع الملكة نازلى . ولا يزال هذا المرسوم فى طريق التنفيذ إلى اليوم . وقد وسع الشارع فعلا فى الجزء الواقع بين ميدان السيدة زينت وحارة عمر شاه وكذا فى الجزء الواقع بين شارع الحلمية إلى جامع الحين بميدان باب الخلق وجارى التوسيع فى الأجزاء الباقية منه .

ميدان المحطة وميدان باب الحديد :

يقع هذان الميدانان فى مدخل المدينة من جهة محطة السكة الحديد . وفى نفس هذه المواقع كان مدخل المدينة قديماً يوم كان النيل يمر مكان ميدان محطة مصر الحالى ويوم كان المقس ثغر القاهرة على النيل يحتل مكان الأحياء التى بها اليوم جامع أولاد عنان .

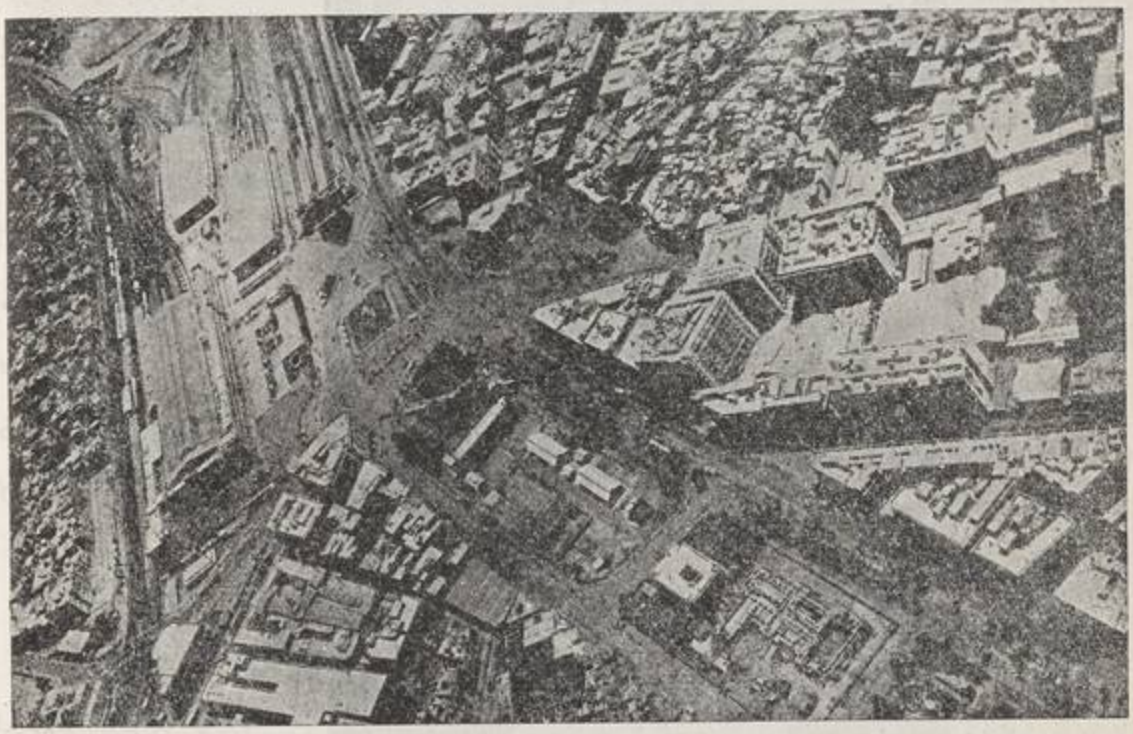

ميدان محطة مصر — صورة مأخوذة بالطيارة . وترى فيها محطه مصر ومحطة كوبرى الليمون وتمثال نهضة مصر وميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلى ومدخل كوبرى شبرا — كما ترى من جهة بعض العمارات الحديثة يقابلها من الجهة الأخرى مبانى أحياء وطنية قديمة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أما هذان الميدانان فواسعان جداً ، تصب فيهما سبعة شوارع رئيسية وهى : ١ — شارع غمره — ٢ — شارع الملكة نازلى — ٣ — شارع الفجالة — ٤ — شارع كلوت بك — ٥ — شارع ابراهيم باشا — ٦ — شارع السبتية — ٧ — شارع شبرا

فتجعل منهما بحراً يموج بالسيارات واللوريات وعربات الخنطور والعربات الكارو وعربات اليد وعربات الترام وعربات المترو وسيارات الأوتوبوس أضف إلى ذلك الدبابات وحاملات الطائرات وحاملات المدافع وسواها من مهمات الحليفة .

فماذا يفعل الغريب الذى قدر له أن يقع وسط هذا الميدان الهائج المائج لينجو بحياته ويصل إلى بر السلامة ؟ ليس أمامه والله إلا المغامرة وهذه مسألة لم تدخل بعد فى قاموس تخطيط المدن ! ! !

نعم لقد وجد حل لمسألة واحدة من مسائل هذا الميدان المعقدة . وهذا الحل هو إنشاء نفق شبرا وإلغاء مرور الترام فوق كوبرى شبرا « الأحدب » ، فخفف ذلك الضغط وقلل من سيل المحركات الجارف الذى كان ينصب من هذه الجهة إلى ميدان المحطة .

ولكن هل هذا يكفى ؟ كلا والله كلا ! فلا بد من حلول أخرى مثل إنشاء ممر سفلى بين مخازن بضائع السكة الحديد بشارع غمرة وبين شارع الخليج الناصرى بحيث يمر هذا الممر تحت شارع الملكة نازلى . هذا مع امتداد شارع الخليج الناصرى على استقامته حتى يتقابل بشارع كلوت بك عند ميدان باب البحر . وهكذا يمكن تفادى مرور عربات الكارو ووسائل النقل البطىء فى ميدان المحطة وتخفيف الضغط عن هذا الميدان .

وهناك الآن نفق وشوارع جديدة فتحت حديثاً بين شارع غمره وشارع الطويل الذى يصب فى شارع الترعة البولاقية بقسم شبرا لتسهيل مرور البضائع الواردة بالسكة الحديد إلى جهة شبرا وروض الفرج وهى تؤدى مهمتها بنجاح ملموس .

أما من جهة السبتية فقد كشف شارع المدبولى وأزيلت المبانى التى كانت بعطفة وحارة المقسى لتوسيعها وذلك تمهيداً لفتح شارع جديد يوصل رأسا بين محطة مصر وأبى العلاء لتسهيل مرور وسائل النقل البطيئة بدون الحاجة إلى مرورها بالميادين والشوارع الرئيسية .

هذا وقد تم امتداد شارع غمرة بموازاة خط سكة حديد (كوبرى الليمون — المرج) لغاية الشرابية والمهمشة حيث مخازن وصهاريج الغاز التابعة لشركة ڤاكوم أويل وشركة الغاز الأسيوية وحيث نفق باغوص المؤدى إلى شارع الملكة نازلى وأحياء غمره والسكاكينى والعباسية وحدائق القبة وسواها .

وقد أقيم فى وسط ميدان المحطة سنة ١٩٢٨ تمثال نهضة مصر الجميل وهو من صنع المثال المبدع محمود مختار . وقد صنع من جرانيت أسوان المصقول . وله قاعدة

تمثال نهضة مصر

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

جرانيتية بديعة وحوله منتزهات غاية فى الإناقة وحسن التنسيق . والتمثال يمثل مصر فى زى فلاحة توقظ أبا الهول من نومه الطويل وقد هم على نواجزه الأمامية ونظر إلى الامام نظرات كلها أمل وثقة . والتمثال جميل حقاً لولا ضياع نسبه بارتفاع القاعدة . ولو أنزل إلى الأرض لظهر جلياً ببداعة خطوطه وروعة تكوينه . وترمى فكرته إلى ربط الفن المصرى الحديث بالفن الفرعونى العتيد .

وهكذا أنشأ مختار فناً وطنياً مصرياً صميماً يدعو الداخل إلى القاهرة من محطتها الرئيسية إلى التأمل والنظر الطويل .

نفق شبرا :

يرجع التفكير فى إنشاء هذا النفق إلى سنة ١٩٢٨ حين رأى خبراء المرور أن الضغط على كوبرى شبرا « الأحدب » يسبب كثيراً من الحوادث التى يمكن تلافيها بانشاء ممر آخر . ولكن العمل فى تنفيذ هذا النفق لم يبدأ إلا فى سنة ١٩٣٨ وتم فى ٢٦ مارس سنة ١٩٤٣ . ويعتبر إنشاء هذا النفق من أهم المشروعات العمرانية التى تمت فى عهد جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله نظراً لأنه فى الواقع رأس الطريق الزراعى بين العاصمة والوجه البحرى .

ويصل هذا النفق بين فم شارع شبرا وبين شارع الملكة نازلى أمام أسواق الجملة للخضر والفاكهة وطوله ٥٠٠ متر وعرضه ٤٤ متراً ويعلوه كوبريان من الخرسانة المسلحة بكمرات ضخمة أحدهما لمرور سكة حديد الوجه القبلى والآخر لمرور الترام والمركبات إلى السبتية . ويمر بالنفق خط ترام مزدوج كما تمر به سيارات النقل الكبيرة ووسائل النقل البطيئة والدراجات ومركبات الخيل والمشاة . وقد عين طريق خاص لوسائل النقل السريعة وطريق خاص لوسائل النقل البطيئة . وأعدت للفصل بين كل طريق وآخر أفاريز مزروعة أشجاراً وأزهاراً .

وهكذا أمكن تخصيص كوبرى شبرا « الأحدب » لمرور السيارات الخاصة والتاكسى والمشاة فقط وخف الضغط عن هذا الكوبرى وعن ميدان المحطة .

القاهرة — شارع عماد الدين وترى فى هذه الصوره الأثرية مبنى تياترو الكورسال قبل هدمه وقبل بناء عمارة عدس فى مكانه . وترى كذلك عمارات الخديوى وقطار المترو يمر فى الشارع .

وقد بلغت نفقات النفق نحو نصف مليون جنيه يضاف إليها نصف مليون آخر قيمة المبانى والأراضى التى نزعت ملكيتها .

شارع عماد الدين :

يقع هذا الشارع الآن مكان الشاطىء الشرقى الأصلى للنيل وقت فتح العرب لمصر سنة ٦٤١م . وينسب هذا الشارع إلى عماد الدين غلام صلاح الدين الأيوبى . وهو الآن شارع ذو واجهة تجارية من الدرجة الأولى . كما أن به معظم ملاهى القاهرة من دور سينما إلى دور تمثيل إلى دور رقص إلى دور غناء إلى أندية ليلية الخ الخ ... للترفية عن أهالى العاصمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويمر فى وسطه الآن قطار كهربائى سريع تابع لشركة مصر الجديدة يصل مابين القاهرة وهذه الضاحية الجميلة .

وقد تم امتداد هذا الشارع الآن لغاية تقابله بشارع الناصرية بقسم السيدة زينب وسمى الجزء الممتد منه بين شارع فؤاد الأول وشارع الناصرية باسم شارع محمد فريد بك ، كما سمى ميدان سوارس القديم أحد ميادين هذا الشارع باسم ميدان مصطفى كامل ، وأقيم به تمثال بديع من البرنز على قاعدة مرتفعة من الرخام لهذا الزعيم الوطنى الأول .

شركة ترامواى القاهرة :

فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٤ حصلت الشركة العامة الاقتصادية للخطوط الحديدية والبارون أمبان على امتياز ترام مدينة القاهرة من الحكومة المصرية ثم تنازلا عنه لشركة ترام القاهرة التى تأسست فى بروكسل عاصمة البلجيكا سنة ١٨٩٥ برأس مال قدره ١٦٠ر٠٠٠ جنيه أضيف إليها ١٢٠ر٠٠٠ جنيه قيمة سندات ٤٪ و٥٪ وحدد أجل الامتياز أولا لمدة ٥٠ سنة ابتداء من ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٦ ثم مد الامتياز خمسة سنوات أخرى تنتهى فى عام ١٩٥١ وذلك مقابل مبلغ ٥٠ر٠٠٠ جنيه مصرى دفعتها الشركة إلى الحكومة المصرية مساهمة منها فى انشاء أفاريز خارجية لكوبرى قصر النيل الذى حل محله (كوبرى الخديوى اسماعيل حالياً) وردم شارع الخليج المصرى وردم ورصف شارع الملكة نازلى ابتداء من ميدان المحطة لغاية مزلقان خط المحاجر بالعباسية . ثم مد الامتياز مرة ثانية ٢٧ سنة تنتهى فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٧٨ . وفى مقابل ذلك قبلت الشركة أن تدفع شهرياً إلى وزارة المالية أتاوة قدرها ٥٪ من اجمالى ايرادات النقل و بيع التيار الكهربائى وخلافه . على أن تستولى الحكومة فى نهاية مدة الامتياز بدون مقابل على جميع منشآت الشركة الثابتة منها والمنقولة . وقيدت الحكومة الشركة فى التصرف فى أملاكها بأى شكل كان إلا بعد التصريح منها بذلك .

وفى سنة ١٩٠٦ تنازلت الشركة عن خط الترام الممتد بين العباسية وواحات عين شمس إلى شركة سكة حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس مقابل ٥٠٠٠ سهم ذات حصة فى الربح من أسهم الشركة الأخيرة .

وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ اتفقت الحكومة والشركة على إنشاء خطوط جديدة مقابل مبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه مصرى تدفعها الشركة للحكومة .

وحددت تعريفة الركوب بادىء الأمر بعشرة مليمات للدرجة الأولى وخمسة مليمات للدرجة الثانية ثم زيدت هذه التعريفة سنة ١٩٢٠ بمقدار ٢٠٪ وفى مقابل هذه الزيادة قبلت الشركة رفع أجور عمالها وفى الوقت نفسه قبلت أن تتحمل الإنفاق على فتح شارع الأمير فاروق بين العتبة الخضراء والحسينية وشارع الأزهر بين العتبة الخضراء والأزهر ثم تمد خط ترام مزدوج فيهما . كما قبلت الشركة زيادة أتاوة الحكومة من ٥٪ إلى ٦٪ ثم إلى ٦½٪ من اجمالى ايراداتها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من ٥٤٠٫٠٠٠ حصة قدرت قيمتها بمبلغ ١٢٥ مليوناً من الفرنكات البلجيكية. وبلغت أرباح الحصة الواحدة فى القاهرة سنة ١٩٤٢ مبلغ ٢٠ قرشاً .

وينص عقد الامتياز الأصلى سنة ١٨٩٤ على التصريح بإنشاء الخطوط الآتية :

أولا — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بشارع عبد العزيز وميدان باب اللوق وميدان قصر النيل (ميدان الخديوى اسماعيل الآن) وشارع مصر العتيقة (شارع القصر العينى الآن) وينتهى عند سد فم الخليج (أمام كلية الطب بالقصر العينى) .

ثانياً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويسير فى نفس الشوارع المبينة أعلاه لغاية ميدان باب اللوق . ومن هناك يتجه إلى الناصرية (السيدة زينب) .

ثالثاً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بشارع محمد على وينتهى إلى ميدان محمد على عند القلعة .

رابعاً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويمر بميدان الأوبرا وشارع بولاق (شارع فؤاد الأول الآن) ويجتاز كوبرى أبو العلا (على ترعة الاسماعيلية قبل ردمها أمام الإسعاف حالياً) وينتهى إلى بلدة بولاق على شاطىء النيل فى نهاية شارع أبو العلا . ويجب امتداد هذا الخط لغاية مدرسة الفنون والصنائع بمجرد الانتهاء من توسيع الشارع المؤدى إلى هذه المدرسة . (أعنى شارع المطبعة الأهلية) .

خامساً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء ويسير بمحازاة حديقة الأزبكية إلى ميدان البورصة (ميدان الخازندار الآن) وشارع كلوت بك ثم ينتهى إلى ميدان المحطة بعد اجتياز كوبرى الليمون (فوق ترعة الاسماعيلية قبل ردمها) .

سادساً — خط يبدأ من ميدان العتبة الخضراء إلى محطة مصر كالمبين أعلاه ثم يمر بشارع الفجالة إلى طريق العباسية وينتهى إلى بلدة العباسية . وتكون نهاية هذا الخط عند تقابل طريق العباسية بالشارع المحازى للمستشفى الأوربى . (تقابل شارع السرايات بشارع العباسية المعروف بميدان عبده باشا) .

سابعاً — خط يبدأ بعد اجتياز سد فم الخليج ويخترق حى مصر القديمة وينتهى مقابل مقياس النيل بجزيرة الروضة على أن يتصل بواسطة معدية خاصة بالجيزة على الشاطىء الغربى للنيل . ويجب أن تسير هذه المعدية بواسطة البخار أو بواسطة أى محرك آخر معتمد من نظارة الأشغال العمومية [1]

ثامناً — خط يبدأ من ميدان قصر النيل (الخديوى اسماعيل الآن) ويمر بمحازاة الثكنات العسكرية وبمحازاة ترعة الاسماعيلية حتى ينتهى إلى كوبرى الليمون (أعنى خط يمر بشارع الملكة نازلى الحالى ويبدأ من ميدان الخديو اسماعيل وينتهى إلى مكان تمثال نهضة مصر بميدان المحطة) .

(١) ألغيت كوبرى الملك الصالح وكوبرى عباس الثانى سنة ١٩٠٨ فرت خطوط الترام فوقهما وعدل هذا الشرط .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كما ينص اتفاق ٢٩ يناير سنة ١٨٩٧ على التصريح بانشاء خطوط الترام التالية : —

أولا — خط مزدوج يبدأ من النهاية الحالية لخط العباسية (عبده باشا أمام مدرسة الأمير فاروق) وينتهى عند مزلقان خط السكه الحديد (خط المحاجر) أعنى عند نهاية خط العباسية الحالى .

ثانياً — خط مزدوج بشارع الخليج المصرى بعد ردمه بمعرفة الشركة ويتفرع هذا الخط من الخط الحالى الموجود بشارع الظاهر وينتهى بخط مصر القديمة عند فم الخليج .

ثالثاً — خط مزدوج بين كوبرى قصر النيل و بين أهرام الجيزة .

على أن تقوم الشركة نظير ذلك بالأعمال الآتية على نفقتها الخاصة :

(ا) إنشاء شارع جديد ورصفه بالأحجار الجيرية بسمك ٢٠ سم . ويبدأ هذا الشارع من ميدان باب الحديد ويسير موازياً لترعة الاسماعيلية وينتهى عند مزلقان خط المحاجر بالعباسية (أعنى ردم ورصف شارع الملكة نازلى الحالى من ميدان المحطة إلى العباسية) .

(ب) ردم الخليج المصرى ابتداء من قنطرة غمرة (ومكانها كوبرى باغوص الحالى بغمرة) لغاية فوهته بفم الخليج فى ظرف ١٨ شهراً . وعلى الشركة أن تقوم بعد ذلك برصف هذا الشارع الجديد بالأحجار الجيرية بسمك ٢٠ سم بين هاتين النقطتين .

(حـ) إنشاء أفاريز خارجية على جانبى كوبرى قصر النيل يكون عرض كل أفريز منهما مترين وتخصص لمرور المشاة .

و بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٩٠٢ حصلت شركة الترام على تصريح بامتداد شبكة خطوط الترام إلى شبرا وساحل روض الفرج بالشروط الآتية :

أولا — التصريح بمد خط ترام شبرا المتفرع من الشبكة الحالية لخطوط الترام الواصلة إلى محطة مصر ابتداء من ميدان كوبرى الليمون (ميدان المحطة) مارا فوق كوبرى شبرا إلى أن ينتهى على بعد خمسين متراً من ديوان البوليس الكائن على طريق شبرا . ويكون هذا الخط مزدوجاً إلا فى الجزء المار فوق الكوبرى حيث يكون الخط مفرداً .

ثانياً — التصريح بمد خط ترام يتفرع من الخط المذكور سابقاً ويمر بالطريق الذى يخترق أراضى زرقودا كى وينتهى فى النهاية الشمالية لساحل روض الفرج على شاطىء النيل . ويكون هذا الخط مزدوجاً فى كامل طوله .

وتتعهد الشركه نظير ذلك أن تقوم على حسابها الخاص بالأعمال المذكورة فيما يلى :

(ا) انشاء خارجتين على جانبى كوبرى شبرا بحيث تكون الخارجة اليمنى بعرض متر وربع والخارجة اليسرى بعرض متر ونصف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

(ب) توسيع الكوبرى المار فوق الترعة البولاقية على امتداد شارع شبرا بحيث يصل عرض بحر الكوبرى إلى ١٠٫٥٥ متراً بين الأرصفة ويعمل له رصيفان الرصيف الأيسر بعرض ٢٫٢٥ متر والرصيف الأيمن بعرض ١٫٧٥ متراً .

(حـ) توسيع الطريق الممتد بين القنطرة الصغيرة الكائنة بجوار كشك عوائد الساحل بروض الفرج وبين النهر إلى أن يصل عرضه إلى ١٢ متراً مقاسة عند رأس الميول ويجب أن يكون ميل الجسر بنسبة ١½ فى القاعدة إلى ١ فى الارتفاع .

وتتعهد الشركة كذلك بالقيام باعمال الردم اللازمة لجسر النيل فى المنطقة الواقعة فيما بين نهاية طريق العوايد والطريق الحالى الذى يمر أمام الواجهة الغربية لشوّن الساحل بروض الفرج .

(ى) توسيع القنطرة الواقعة عند كشك عوايد الساحل بروض الفرج حتى يكون عرضها مساوياً لعرض الطريق المذكور أعلاه أى يكون ١٢ متراً فيما بين الدراوى .

(هـ) تتحمل الحكومة مصاريف رصف الشوارع التى ستمر بها خطوط ترام هذين الخطين ما عدا شريط عرضه أربعة أمتار فى الشارع الجديد الذى سيخترق أراض زرفودا كى وهذا الشريط يجب على الشركة أن تتحمل مصاريف رصفه على حسابها الخاص .

هذا ، وقد أصبحت عربات الترام اليوم من وسائل المواصلات الميسورة فى القاهرة وضواحيها ، وهى تمد الآن فى معظم شوارع العاصمة وضواحيها . ويعتبر ميدان الملكة فريدة الذى حل مكان ميدان العتبة الخضراء والمحكمة المختلطة القديمة وميدان أزبك النقطة التى تبدأ منها أغلب الخطوط وأهمها بالقاهرة .

وطول خطوط الترام بالقاهرة حالياً ١٤١٫٨٣٤ متراً وعدد قاطراتها ٣٦٣ قاطرة وعدد مركباتها ٢٨٩ مركبة ويبلغ عدد الركاب يومياً حوالى ربع مليون راكب .

مجارى القاهرة[1] :

ظلت القاهرة حتى سنة ١٩٠٦ تصرف مياهها العادية فى مجارير تحفر تحت المنازل . وفى زمن الشتاء كانت مياه الأمطار تركد عدة أيام فى الشوارع فتتوحل هذه الشوارع وتحول إلى مستنقعات آسنة . ولم يكن بالقاهرة فى ذلك الوقت سوى ٧٧٠٠ متر طولى من مجارى الأمطار لها ثلاثة مصبات فى النيل ، ثم أضيف إليها ٨٠٠ متر تقريباً أنشأتها مصلحة التنظيم سنة ١٩٠٢ . أما باقى القاهرة فكانت مياه الأمطار تترك بشوارعها حتى تتسرب إلى باطن الأرض أو تتبخر أو تكسحها عربات التنظيم .

(١) راجع محاضرة الأستاذ محمود بك وصفى وكيل مصلحة المجارى الرئيسية بجمعية المهندسين الملكية بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٣٩ .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى سنة ١٩٠٦ كلفت الحكومة المستر كاركيت چيمس بتحضير مشروع مجارى القارة ، وكان عدد السكان إذ ذاك ٦٤٤ر٠٠٠ يستهلكون حوالى ٢٦٠٠٠ متر مكعب من المياه يومياً أى حوالى ٤٠ لتراً للشخص الواحد .

وحضّر المشروع ليكفى المدينة مدة ٢٥ سنة لغاية سنة ١٩٣٢ على أساس أن عدد السكان فى تلك السنة سيبلغ ٩٦٠ر٠٠٠ نسمة وأن الاستهلاك سيبلغ ٤٨ر٠٠٠ متر مكعب يومياً أى ٥٠ لتراً للشخص الواحد فى اليوم وأن جملة المساحة التى يشملها المشروع هى ٧٢٦٧ فداناً من ذلك ٣١٦٨ فداناً تصرف بالانحدار الطبيعى و٤٠٩٩ فداناً تصرف بطريقة الروافع الآلية . وقسمت هذه المساحة الأخيرة إلى ٦٣ محطة رفع تدار بالهواء المضغوط الذى يوزع عليها فى شبكة من مواسير الزهر من محطة معروف .

وتحتوى أغلب هـذه الروافع على علبتين تتراوح سعتها بين ٥٠ و٥٠٠ جالون وترفع مياه المجارى بهذه المحطات إلى ثلاثة فروع رئيسية من مواسيرالزهر. الأول بشارع الخليج المصرى قطر ٣٣ بوصة. والثانى بشارع الملكة نازلى قطر ٣٠ بوصة . والثالث فرع شبرا قطر ٣٠ بوصة أيضاً . وتجتمع هذه الفروع الثلاثة فى غمرة حيث يبدأ المجمّع الرئيسى الأول بقطر متر وستين سنتمتراً من الداخل وبانحدار ١ : ٢٥٠٠ ماراً بشارع الملكة نازلى فشارع الملك ثم بالقبة والزيتون والمطرية حتى عين شمس ، ثم يتجه شرقاً تحت قاع ترعة الجبل حتى محطة طلمبات كفر فاروق . وبهذه المحطة الأخيرة أربع مجموعات بخارية لرفع مياه المجارى بالطلمبات ذات المكبس فى ماسورة طرد من الزهر قطر ٣٦ بوصة طولها ١١٥٦٣ متراً ، تسمى الماسورة الصاعدة ، لتوصيل مياه المجارى إلى أحواض التنقية بمزرعة المجارى بالجبل الأصفر .

وهناك ترسب المياه بأحواض ترسيب تكفى ٤٨ر٠٠٠ متر مكعب يومياً جارى تشغيلها الآن لجميع تصرف مياه القاهرة .

ويرشح جزء من المياه بعد ترسيبها مقداره ٨٠٠٠ متر مكعب يومياً ثم تخلط المياه المرشحة بباقى المياه المرسبة لرى أرض مزرعة المجارى الرملية وزراعة حوالى ١٧٠٠ فدان من أرض المزرعة التى تربو مساحتها على ٣٥٠٠ فدان .

وقد وضع المشروع الأصلى على أساس صرف مياه الأمطار فى النيل بواسطة ثلاثة مصبات إلا أنه فى سنة ١٩١٠ بعد أن نفذ نصف المشروع تقريباً ، قررت الحكومة أن تقوم شركة مياه القاهرة بسحب مياه الشرب من النيل عند روض الفرج مع عدم صرف مياه الأمطار من المصبات الثلاثة المذكورة . فوزعت مياه الأمطار على الروافع بقدر الامكان وأنشئت محطة طلمبات مياه السطوح بشارع الملكة نازلى بالقرب من تقابله مع شارع عماد الدين لرفع مياه الأمطار من مجارى السطوح وطردها فى ماسورة زهر قطر ٢٤ بوصة لتصب فى ترعة الاسماعيلية فرع غمرة . وقد حوّلت هذه الماسورة بعد إنشاء المجمّع الثانى وأصبحت مياه الأمطار تصب فى إحدى مطابقه .

هذا هو مشروع مجارى القاهرة فى خطوطه الرئيسية وهناك الآن محطات مساعدة أخرى فى شارع يلبغا بشبرا وفى مصر القديمة وسواها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

مصلحة التنظيم :

يرجع إنشاء مصلحة التنظيم إلى سنة ١٨٧٩ وكانت أولا إدارة من الإدارات التابعة لنظارة الأشغال العمومية . أما لائحة التنظيم فترجع إلى سنة ١٨٨٩ كما يرجع قانون نزع الملكية إلى سنة ١٩٠٦ . وقد ساعد هذان القانونان على إجراء تحسينات لا بأس بها بمدينة القاهرة ولكن سرعان ما تبين تقصيرهما عن سد احتياجات المدينة الحديثة فحل محلهما القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتنظيم المبانى ، والقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٤٠ الخاص بتقسيم الأراضى المعدة للبناء.

وتكفى نظرة واحدة على الأحياء الشعبية بهذه المدينة الضخمة لبيان أهمال الماضى وعدم كفاية تدابير الرقابة على مرافق القاهرة عاصمة القطر المصرى ، وملتقى طرق الشرق والغرب بسكانها العديدين الذين يبلغ عددهم حوالى اثنين مليون نسمة .

فها هى الأحياء القديمة المزدحمة بالسكان لا يزال كثير منها محتفظا بمميزاته وصفاته العتيقة كما لا تزال مساجد هذه الأحياء المشهورة وآثارها العربية الجميلة التى لا يفوقها شئ فى قيمتها الأثرية محجوبة خلف المبانى المتهدمة القبيحة المنظر . وبجانب كل هذا تجد أحياء منظمة على الطرق الحديثة .

نعم لم تزل القاهرة الحديثة الجميلة عروس الشرق تحتضن فى جوفها قرى توحى لمن ينظر إليها بأنها وجدت قبل أن توجد القاهرة .

وحين ترى العمارات الشاهقة والمبانى الحديثة والحدائق الغناء ، تقوم إلى جوارها الأكواخ المتهدمة والمنازل الخربة تتذكر ما قاله أحد المهندسين العالميين « أن هذا يشبه الجيش الذى صفت جنوده على خط واحد وألبس كل جندى لباس يختلف عن زميله فبدا منظر الجيش مضحكا » .

نعم بينما أنت تعجب بهذه الآيات الفنية فى منزل أنيق ساحر إذا بك تصطدم بهذه المناظر البشعة للشقاء البشرى فى المنزل المجاور له .

كل هذا فى انتظار قيام بلدية جديدة تشمل مصلحة التنظيم ومصلحة المجارى وتفتيش صحة مصر وتعيد تخطيط مدينة القاهرة على أساس جديد يليق بعاصمة الشرق . فهل آن الأوان لمطالبة الحكومة بذلك ياسكان القاهرة ! !

هذا أما مصلحة التنظيم بالقاهرة فتباشر الآن الأعمال البلدية بالمدينة وتشمل :

١ — تنظيم خطوط الشوارع ، وصرف رخص البناء وأشغال الطريق وفحص واجهات الأبنية الآيلة للسقوط ، ونزع ملكية العقارات اللازمة لتوسيع الشوارع أو فتح شوارع جديدة ، وتسمية الشوارع وتنمير المنازل وأعمال صيانة شواطئ النيل ، ومراقبة إنشاء المدافن .

٢ — إنشاء ورصف الشوارع ، وصيانة وغرس الأشجار على جوانبها و إنشاء وصيانة الحدائق العمومية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٣ — تخطيط المدينة وتعديل الأرصفة ، وتحسين حركة المرور بالشوارع والميادين ، ومراقبة تنفيذ عقود الامتياز الممنوحة لشركات الترام والمياه والغاز والكهرباء وسواها .

٤ — كنس ورش شوارع القاهرة وتقوم بها مصلحة نظافة العاصمة تحت إشراف مصلحة التنظيم .

وقد وصلت ميزانية مصلحة التنظيم فى السنوات الأخيرة إلى أكثر من مليون جنيه مصرى .

مداخل القاهرة :

نود الآن دراسة مداخل القاهرة من ثلاثة جهات . أولا من جهة السكة الحديد . وثانياً من جهة الطرق الصحراوية والزراعية . وثالثاً من جهة الملاحة النهرية .

فأولا — من جهة السكة الحديد :

ليس هناك تناسق بين جمال القطارات الفاخرة التى تقطع المسافة بين الأسكندرية والقاهرة فى حوالى ثلاث ساعات ونصف ، و بين مداخل العاصمة . فالمسافر الذى جلس مدة هذه الساعات فى عربة من عربات البولمان الفاخرة ورأى الوادى بخضرته ونضارته وتمتع بجمال الطبيعة اليانع الجذاب ، يصطدم عند مدخل القاهرة ، و بعد اجتياز القطار لكوبرى ترعة الاسماعيلية بمناظر الأكواخ والعشش الحقيرة الواقعة على جانبى الخط فى قسم شبرا . ولا بد من إنشاء شارعين عريضين جميلين لا تقل عروضهما عن ٤٠ متراً بموازة هذا الخط من الجانبين مع إزالة هذه الأكواخ الحقيرة المطلة على مدخل المدينة .

ثم ماذا نقول عن مدخل القاهرة الذى يشاهده المسافر الآتى فى قطار الإكسبريس من الصعيد . فبعد اجتياز القطار لكوبرى امبابة ، يرى المسافر الذى تذوق طعم الفن المصرى البارع فى آثار الأقصر والكرنك ، وشاهد العظمة والجمال والأبهة والرونق الخلاب فى معابد مصر القديمة وفى مقابر وادى الملوك والملكات ثم استنشق بعد ذلك نسيم الوادى وشاهد جمال الحقول اليانعة وجلال النهر الجبّار — أقول ماذا يرى هذا المسافر بعد عبور كوبرى امبابة ؟

يرى منظرا تشمئز منه النفس ، يرى منازل مهدمة علتها أدخنة القطارات وغبّرت وجهها ، يرى حقارات تلو حقارات ، يرى منازل تطل على الخط من الخلف ودورات مياه قذرة تبدو لأعين المسافرين .

فيارب هل هذه هى العاصمة ؟ هل يليق أن تبقى كذلك مداخل القاهرة ؟

يجب حتما إزالة هذه الوصمة . يجب حتما فتح شارعين عريضين لا تقل عروضهما عن ٤٠ متراً بموازاة هذا الخط وعلى جانبيه ابتدأ من محطة مصر لغاية كوبرى امبابة .

يجب أن يشعر المسافر أنه يدخل عاصمة أقدم مملكة فى العالم ، يجب أن يشعر أنه يدخل عاصمة مصر أم الدنيا وأم المدنيات كلها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقل مثل هذا عن المسافر الآتى إلى القاهرة فى القطار من شبين القناطر فماذا يرى فى المرج وعين شمس والمطرية والحلمية والزيتون والقبة والدمرداش ؟

يجب إزالة العشش التى تتصادم مع عظمة هذه المواقع ، يجب فتح شوارع عريضة على جانبى هذا الخط أيضاً .

وقل مثل هذا عن خط حلوان ، يجب أزالة أكواخ مصر القديمة التى تقع على جانبى هذا الخط ، يجب فتح شارعين عريضين على جانبى الخط يمتدان حتى أثر النبى ودير الطين حتى يتقابلان بطريق السيارات الرئيسى المزمع مده بين القاهرة وحلون .

وثانياً — من جهة الطرق الزراعية والصحراوية :

أما عن مداخل القاهرة من جهة الطرق الزراعية والصحراوية فهناك تحسين ملموس فيها . فمدخل القاهرة من جهة طريق الأسكندرية الصحراوى وكذا من جهة طريق الفيوم الصحراوى حسن جميل جذاب بفضل توسيع شارع الأهرام الذى جعل عرضه ٤٠ متراً سنة ١٩٣٣ وجعل فى وسطه خط ترام مزدوج على جانبيه متنزهان بهما أفاريز عريضة يليهما طريقان لمرور السيارات والعربات . وعلى الجوانب أفاريز لمرور المشاة ، ثم بفصل انشاء النفق المار تحت خطوط سكة حديد وجه قبلى . فهذه التحسينات جعلت من مدخل القاهرة من هذه الجهة شيئاً يليق بالعاصمة و بعظمة الأهرامات .

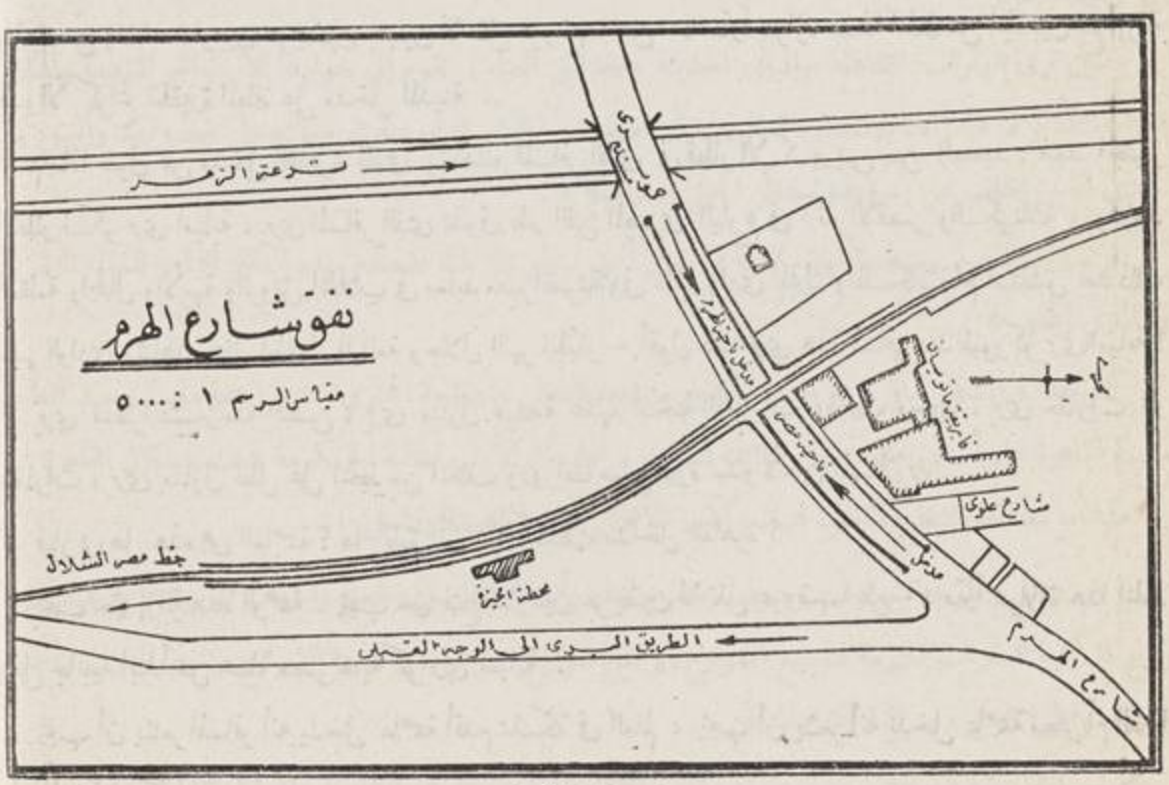

نفق شارع الأهرام

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فبعد اجتياز الشارع الواقع إلى شمال لوكندة مينا هاوس وهو شارع ضيق يجب توسيعه لا يقع البصر إلا على جمال يلى جمالا. فهنا الأهرام، وهنا مينا هاوس وهنا فيلات أنيقة كأنه قدر لهذه الجهة أن تظل موطن العظمة والجمال منذ القدم!!.

أما مدخل العاصمة من جهة طريق السويس الصحراوى. فمدخل جميل جذاب حقاً والفضل فى ذلك لشركة مصر الجديدة التى أنشأت الشوارع العريضة النظيفة المنسقة تنسيقاً بديعاً فى مدخل هذه الضاحية الضاحكة.

وقل أيضاً مثل هذا عن مدخل القاهرة من جهة شبرا البلد فهو حسن بديع بفضل امتداد شارع شبرا الرئيسى لغاية قنطرة فم الترعة الإسماعيلية. ومتى تنفيذ مشروع حديقة شبرا البلد الجديدة حول قصر شبرا المشهور سيكون هذا المدخل من أبدع مداخل القاهرة وأفخمها.

وثالثاً — مرسى جديدة للملاحة النهرية:

أما سواحل القاهرة النهرية الحالية بروض الفرج وبولاق وأثر النبى فتحتاج إلى إنشاء موانئ بها أرصفة ومراسى للمراكب وأحواض وسوى ذلك كثير من الاصلاحات كاقامة ميادين أمامها لتسهيل حركة المرور وتفريغ البضائع وشحنها وما إلى ذلك من الأعمال الخاصة بالملاحة النهرية وبالموانئ التجارية.

مبنى لدار البلدية ودار المحافظة والبرلمان بالقاهرة:

لم تزل البلدية مجرد مشروع لم يحقق بعد وإن كانت جميع الظروف وجميع الأحوال تحتم انشائها سريعاً لمصلحة القاهرة والقاهريين ولا بد من التفكير من الآن فى مكان مناسب لاقامة دار البلدية حين إنشائها.

أما دار المحافظة الحالى وهى دار منصور باشا يكن القديمة الكائنة بميدان باب الخلق فجدير بالمدينة الحديثة أن تفكر فى نقلها إلى مكان يتفق مع مكانة العاصمة ودور تمثيلها أمام الأجانب.

هناك فى ميدان الخديوى اسماعيل حيث كانت سراى الإسماعيلية التى سكنها مختار باشا آخر ممثل للحكم التركى فى هذه البلاد والتى هدمت بعد احتلال الانجليز لمصر مباشرة، هناك أراضى للحكومة تليق مكاناً مناسباً لانشاء دار بلدية القاهرة بجوار وزارة الخارجية (سراى الأمير كمال الدين حسين سابقاً).

ولابد من كلمة صريحة عن ثكنات قصر النيل.

لم يعد هذا المكان مناسباً بأى حال من الأحوال لإقامة ثكنات للجنود لامن الوجهة العسكرية ولا من الوجهة الفنية ولا من وجهة تجميل المدينة الحديثة. لقد أنشأ سعيد باشا هذه الثكنات فى هذا المكان للاشراف على المواصلات النهرية ولحراسة مدخل المدينة ولحمايتها يوم كانت هذه الجهات خالية ليس فيها إلا أراضى زراعية وبساتين وكيمان وبرك. أما الآن فأين هى المصلحة فى إبقاء هذه الثكنات المتداعية المنخفضة فى مواجهة سراى الخارجية المصرية؟ أين هى المصلحة فى إبقاء هذه الثكنات التى تسد شارع الكورنيش المنشود على شواطئ النيل من حلوان إلى فم الترعة الإسماعيلية.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أين هى المصلحة فى إبقاء الجيوش وسط غوغاء المدينة وفى نقطة من أشد نقطها حساسية ، ومن أحوج ما تكون المدينة إليها لتنفس عن صدرها وتستنشق نسيم النيل .

هذا المكان جعلته الطبيعة للبرلمان . فهل لمصر بعد أن وقفت وقفتها التاريخية حين وصلت جيوش المحور إلى العلمين . هل لمصر بعد أن قامت بجميع تعهداتها المدونة والغير مدونة فى معاهدة الصداقة المبرمة بينها و بين إنجلترا بكل إخلاص وأمانة فى أحرج أيام عرفتها إنجلترا فى تاريخها الطويل . هل لمصر بعد هذا كله أن تطلب من حليفتها إخلاء ثكنات قصر النيل لهدمها و إقامة البرلمان المصرى مكانها وامتداد شارع الكورنيش هناك . الحق واضح لا يحتاج لدليل . فما أجمل الرجوع الى الحق . ولنا الأمل أن يتحقق هذا المشروع بأسرع ما يمكن بعد انتهاء المفاوضات الجارية الآن لإجلاء الجيوش الإنجليزية عن مصر والسودان .

مصر الجديدة .

كانت مدينة القاهرة حتى سنة ١٩٠٥ تمتد إلى العباسية فقط . فتأسست شركة تدعى شركة سكك حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس غرضها الأساسى إنشاء مدينة بالصحراء تدعى مصر الجديدة (هليو بوليس) تعيد ذكرى مدينة عين شمس الفرعونية القديمة وتحيى ما كان لهذه المدينة القدسية من عظمة وفخامة ، وتحقيقاً لذلك حصلت هذه الشركة على امتياز من الحكومة المصرية فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ لمدة ٧٠ سنة تنتهى فى ٢٢ مايو سنة ١٩٧٥ يسمح لها بالأعمال الآتية :

منظر بالطيارة لبعض شوارع وعمارات مصر الجديدة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١ — إنشاء واستغلال سكة حديد كهربائية تصل ما بين كوبرى الليمون والمدينة الجديدة وهو خط المترو المعروف الذى صار امتداده فيما بعد فى شارع عماد الدين لغاية تقابله بشارع فؤاد الأول ثم تقهقر حديثاً إلى شارع ألفى بك .

٢ — إنشاء واستغلال خط ترام يبدأ من المحطة النهائية لخط ترام العباسية وينتهى إلى مدينة مصر الجديدة .

٣ — وبتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٨ منحت الحكومة هذه الشركه امتيازاً آخر بإنشاء واستغلال خط ترام بين مدينة مصر الجديدة وضاحية سراى القبة وينتهى امتياز هذا الخط مع امتياز الخط الأول .

ويرجع الفضل فى إنشاء هذه الشركة إلى رجل من رجال المال البلجيكيين وهو البارون أمبان الذى لاحظ فى سنة ١٩٠٥ سرعة نمو مدينة القاهرة وسرعة ازدياد عدد سكانها فصمم على انتهاز الفرصة للقيام بمشروع اقتصادى مضمون الربح وعضده فى ذلك سعادة باغوص نوبار باشا . وكانت نتيجة عملهما قيام هذه الضاحية الضاحكة التى تفخر بها اليوم القاهرة الحديثة .

وبمقتضى المادة الثالثة من الاتفاق المعقود فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ باعت الحكومة للشركة ٥٩٥٢ فدانا بواحات عين شمس بسعر جنيه واحد للفدان بشرط تخصيص هذه الأراضى لبناء منازل للسكن ومساجد وكنائس وفنادق ومدارس وملاهى على أن يكون للشركة الحق فى شراء مساحة أخرى ضعف المساحة الأولى بشرط استعمال هذا الحق فى مدى السبع سنوات التالية لإمضاء العقد الأول وأن يكون قد تم إنشاء ١٠٠ منزل على الأقل على الأرض المبيعة أولاً . وقد استعملت الشركة حقها هذا وفعلا اشترت ١١٨٩٩ فداناً . ولكن الجزء المبنى فى مصر الجديدة لغاية الآن لا تزيد مساحته عن ألف فدان فقط ومساحة الشوارع المرصوفة فيها ٦٠٠ر٢٦٣ متراً مربعاً تصل عروض بعض شوارعها مقاسة بين واجهات المبانى المتقابلة إلى ١١٤ متراً كما هو الحال فى شارع فؤاد الأول .

وقد أقامت الشركة بهذه المدينة مبانى عربية الطراز جميلة ذات بواكى محمولة على أعمدة جرانيتية مصقولة بديعة الشكل . كما أقامت بها فنادق فاخرة مثل فندق هليو بوليس بالاس وبه ٥٠٠ غرفة وتعلوه قبة ارتفاعها ٤٠ متراً وهى تضارع بجمالها ورشاقتها أجمل قباب مساجد القاهرة . وهذا الفندق من تصميم جسبار المهندس البلجيكى . وأقامت بها كذلك كنيسة الكاتدرائية وهى من تصميم المهندس ألكسندر مارسيل وهى بيزنطية الطراز وفيها اقتباس كبير من كنيسة أياصوفيا باستانبول . كما أقامت بها جامعاً فخماً وكذا القصر الهندى محل إقامة البارون إمبان وهو من تصميم المهندس ألكسندر مارسيل كذلك . وهناك خلاف ذلك قصر نوبار باشا ومكاتب الشركة ودواوين البوستة والبوليس والفيلات وبعض منازل الإيراد وكلها ذات جمال وجاذبية . هذا خلاف المرافق العامة مثل شبكة المواسير الخاصة بتغذية المدينة بالمياه الصالحة للشرب من آبار الزيتون الأرتوازية . وشبكة الكهرباء والمجارى العمومية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وبعد انتهاء الحرب العظمى سنة ١٩١٨ حدثت أزمة مساكن فى القاهرة ومصر الجديدة واشتدت وطأتها سنة ١٩٢١ فتم اتفاق بين الشركة والحكومه المصرية والبنك العقارى المصرى يتلخص فيما يلى :

يخصص مبلغ ٦٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى لبناء عمارات بمصر الجديدة منها ٢٠٠،٠٠٠ جنيه تدفعها الشركة و ٤٠٠،٠٠٠ جنيه يدفعها البنك العقارى بصفة قرض مضمون من الحكومة وفى مقابل ذلك تحصل الحكومة على ١٠٪ من قيمة الأراضى التى تباع مستقبلا وعليها أن تتكفل بعد الانتهاء من تشييد المبانى بمصاريف المنافع العامة بمصر الجديدة وصيانة وترميم الشوارع والأرصفة والحدائق العامة وإنارتها وتنظيفها .

ويتكون رأس مال الشركة الحالى من ٢١٠،٥٠٠ سهم قيمة كل منها ٢٥٠ فرنكا مدفوعة بالكامل خلاف ٦٠،٠٠٠ سهم لها حصة فى الربح و ١٢٧٤١ سنداً فئة ٥٪ سعر السند ٥٠٠ فرنك وقد بلغت أرباح الشركة الصافية أكثر من ٢٠٠،٠٠٠ جنيه سنة ١٩٤٢ .

مطار ألماظة :

منذ بضع سنوات كانت ألماظة قطعة من الصحراء لا تمتاز عن سائر الرمال التى تحوطها فى شىء . أما اليوم فيقوم فيها مطار مدنى ومطار حربى على أرض مساحتها أكثر من ٨٠٠ فدان تنازلت عنها شركة مصر الجديدة للحكومة لأنها كانت ضمن الأراضى الممنوحة لها بمقتضى عقد الأمتياز المبرم فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٥ بينها وبين الحكومة . ومن هذا المطار تبدأ جميع خطوط الطيران الرئيسية بين مصر وأوروبا وفلسطين والعراق وشرق الأردن وأفريقيا الاستوائية وأفريقيا الجنوبية والهند وجزيرة جاوة الخ . . . ومن المنظور أن يكون هذا المطار ملتقى خطوط طيران العالم كله بعد الحرب الحاضرة .

أقسام بوليس القاهرة :

تقدر مساحة محافظة القاهرة الحالية بحوالى ٤٠،٠٠٠ فدان ويبلغ عدد سكانها اثنين مليون نسمة . وينقسم بوليس هذه المحافظة إلى ثلاث فرق (ا) و (ب) و (حـ) تضم ١٦ قسما تتراوح قوة البوليس فى كل منها بين ١٦٣ و ٥٢٩ رجلا . فالفرقة حرف (ا) ومركزها بقسم الأزبكية تشمل الأقسام الآتية :

١ ـ قسم الأزبكية وتتبعه نقطة القللى .

٢ ـ قسم الوايلى وتتبعه نقط السكاكينى وحدائق القبة والعادلى .

٣ ـ قسم شبرا وتتبعه نقط : العزب ومهمشة والرياح

٤ ـ قسم بولاق

٥ ـ قسم مصر الجديدة وتتبعه نقط : المطرية وعين شمس والزيتون وألماظة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

٦ ـ قسم روض الفرج وتتبعه نقطة الساحل .

أما الفرقة حرف (ب) ومركزها قسم عابدين فتشمل الأقسام الآتية :

١ ـ قسم عابدين وتتبعه نقطتا : الجزيرة والانتكخانة . ٢ ـ قسم الموسكى .

٣ ـ قسم السيدة زينب وتتبعه نقطتا : السلخانة والقصر العينى .

٤ ـ قسم مصر القديمة و تتبعه نقطتا : المنيل وفم الخليج .

٥ ـ قسم حلوان وتتبعه نقطتا : طرة والمعادى . ٦ ـ قسم الأهرام .

٧ ـ قسم مخالفات المرور .

أما الفرقة حرف (ج) ومركزها قسم الخليفة فتشمل الأقسام التالية :

١ ـ قسم الخليفة وتتبعه نقطة الإمام الشافعى . ٢ ـ قسم باب الشعرية وتتبعه نقطة الجامع الأحمر .

٣ ـ قسم الجمالية وتتبعه نقطتا: قايتباى والحسينية . ٤ ـ قسم الدرب الأحمر وتتبعه نقطتا : الحلمية والأزهر .

وتتألف قوة البوليس بهذه الأقسام و ببوليس حركة المرور والبلوكات السوارى وفرقة المطافى و بلوكات النظام من ٧٣٣١ رجلا منهم ٢٣٤ ضابطاً و ١١ كونستبلا أجنبياً و ٢٥١ صف ضابط و٦٩ صانعاً و٥٧٦٦ جندياً . و بين أفراد هذه القوة ٣١ بريطانياً و٤ من اليونانيين وفرنسى واحد وسويسرى وسورى . ومن المنظور الاستغناء عن خدمة الضباط الأجانب قريباً جداً .

وأكثر أقسام القاهرة سكاناً قسم السيدة زينب إذ يقيم فيه ٢٥٠و٠٠٠ نفس . وأكثرها من حيث عدد المساكن المأهولة قسم بولاق . أما أكثرها ازدحاما بالسكان فقسم باب الشعرية حيث يخص الكيلومتر المربع ١٠٠و٠٠٠ نفس تقريباً و يليه قسم الموسكى حيث يخص الكيلو متر المربع ٦٠و٠٠٠ نفس تقريباً . أما فى مصر الجديدة وحلوان فلا يخص الكيلومتر المربع إلا ١٢٠٠ نفس تقريباً .

فرقة المطافى :

وتؤلف فرقة مطافى القاهرة من قومندان و٧ ضباط و٣٢ مهندساً وميكانيكياً و٥ كتاب و٦٧ صف ضابط ، و٦٦٧ جندياً و١٠ صناع. و بلغ عدد الحرائق التى أبلغت أنباؤها إلى القوة ٥٦٤ حريقاً سنة ١٩٤٤. وكانت قيمة الممتلكات التى تعرضت لأخطار الحريق ١٫٩٢٨٫٠٥٥ جنيها مصرياً . ويقع مركز الإطفاء الرئيسى بالقاهرة بميدان الملكة فريدة بمبنى كان قديماً جزءاً من سراى والدة عباس باشا الأول و بملاصقته ديوان بوليس قسم الموسكى ، وفوقه نادى ضباط البوليس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

شياخات القاهرة :

١ - يشمل قسم الأزبكية الشياخات الآتية : التوفيقية والجيارة والزهار والظاهر والفجالة والقبيلة والقللى وقنطرة الدكة وكلوت بك ويبلغ عدد سكان هذا القسم حالياً حوالى ٥٠٫٠٠٠ نسمة .

٢ - ويشمل قسم باب الشعرية الشياخات الآتية : باب البحر وباب الشعرية وبركة الرطلى والبنهاوى والجامع الأحمر ودرب الأقفاعية ودرب مصطفى ودرب النوبى والرملى وسيدى مدين والشنبكى والصوابى والطمار والعدوى ، والفاروقية والمنسى ويبلغ عدد سكانه حوالى ١٣٠٫٠٠٠ نفس .

٣ - ويشمل قسم بولاق الشياخات الآتيـة : أبو العلا والأحمدين وتاج الدول والترجمان وجزيرة امبابة وجزيرة ميت عقبة والجلادين والجوابر والحوتية وحوض الزهور والحظيرى ودرب الشيخ فراج ودرب نصر والسبتية وسنان باشا والسنديس وسوق العصر وشركس والشيخ على وعزبة عبد النعيم والعدوية وعشش النخل والفرنساوى والقلاية وكفر الشوام وكفر الشيخ إسماعيل وميت عقبة وميت كروك ، ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ٢٣٥٫٠٠٠ نفس .

٤ — ويشمل قسم الجماليـة الشياخات الآتية : باب الفتوح والبيرقدار وبين السورين والجمالية والدراسة وخان الخليلى والخرنفش والخواص والسلطان برقوق والشعرانى والعطوف وقايتباى وقصر الشوك والكردى والمشهد الحسينى واليهود الربانيين واليهود القرائيين . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١١٠٫٠٠٠ نفس .

٥ - ويشمل قسم الخليفة الشياخات التالية : الامامين والبساتين والبقلى والتونسى والحطابة والحلمية والخليفة ودرب الحصر ودرب غزية والسيدة عائشة والصليبة وعرب اليسار والقادرية والمحجر . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٢٠٫٠٠٠ نسمة .

٦ - ويشمل قسم الدرب الأحمر الشياخات التالية : الأزهر وباب الوزير والباطنية وتحت الربع وحارة الروم والحمزاوى والدوادية والدرب الأحمر ودرب سعادة ودرب شغلان والسروجية وسوق السلاح والعمرى والغريب والغورية والقربية والمجاورين والمغربلين . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٢٠٫٠٠٠ نسمة .

٧ - ويشمل قسم السيدة زينب الشياخات الآتية : الإنشا والبغالة وجاردنستى والحنفى وخيرت والدرب الجديد ودرب الجاميز وزينهم والسباعين والسيدة زينب وسنقر وطيلون والعتريس والعينى والكبش . وعدد سكان هذا القسم حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة .

٨ - ويشمل قسم شبرا الشياخات الآتية : الأميرية والبراد وجسر شبرا والزاوية الحمراء والشرابية وشريف باشا والشماشرجى والعزب ومنية السيرج . ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٧٥٫٠٠٠ نسمة .

٩ - ويشمل قسم روض الفرج الشياخات الآتية : ابن الرشيد وأسعد وبرهام وجزيرة بدران وروض الفرج

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

والساحل وطوسون وقصورة الشوام والمبيضة ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٧٠٫٠٠٠ نسمة .

١٠ — ويشمل قسم عابدين الشياخات التالية : الاسماعيلية وباب اللوق والبلاقسة وثروت باشا والجزيرة الجديدة وحارة السقايين وخرطة البرنسات والخرطة الجديدة والدقى والدواوين ورحبة عابدين والزمالك البحرية والزمالك القبلية والساحة والشيخ عبدالله وعبدالرحيم باشا صبرى ومجوزة الزمالك ومجوزة الصعايدة والغزالية ومجوزة الكفاروة وعزبة البرنسيسة فاطمه هانم وعزبة السرايات وغيط العدة والفوالة وقصر الدوبارة ومحطة بولاق الدكرور ومعروف ويبلغ عدد سكان هذا القسم حوالى ١٦٥٫٠٠٠ نسمة .

١١ — ويشمل قسم مصر الجديدة الشياخات التالية : الماظة والبستان وتل الحصن والحامية وخارجة المطرية والزيتون الشرقية والزيتون الغربية والزيتون القبلية وعرب الطوايلة والعزب وعزبة الجبل وعزبة النخل وعين شمس الشرقية وعين شمس الغربية وكفر فاروق والمطرية والمنتزه ومنشية البكرى . وجملة سكان هذا القسم حوالى ١٣٠٫٠٠٠ نسمة .

١٢ — ويشمل قسم مصر القديمة الشياخات التالية : أبو السعود والمدابغ وأثر النبى والأنور وعشش البارود والخوخة والقنايه ودير الطين والديورة والروضة وفم الخليج ودير النحاس والكفوره وساعى البحر وكوم غراب والمعادى والمنيل . وجملة سكان هذا القسم حوالى ٩٠٫٠٠٠ نسمة .

١٣ — ويشمل قسم الموسكى الشياخات التالية : درب الجنينة ودرب المهابيل والعشماوى وكوم الشيخ سلامه والمناصرة . وجملة سكان هذا القسم حوالى ٤٠٫٠٠٠ نسمة .

١٤ — ويشمل قسم الوايلى الشياخات التالية : بين الجنائن وجنائن الوايلية والحدائق وحدائق القبة والخاصة والدمرداش والزعفران والسرايات والسكاكينى والعباسية البحرية والعباسية الشرقية والعباسية الغربية والعباسية القبلية وغمرة والقبة البلد والقبيسى وكوبرى القبة والمحمدى ومنشية الصدر والوايلى الكبير . وجملة سكان هذا القسم حوالى ١٨٥٫٠٠٠ نسمة

القاهرة مدينة صناعية :

القاهرة مدينة صناعية من الدرجة الأولى فإلى جانب حركتها التجارية الكبرى نجد بها حركه صناعية عظيمة . فقد نمت فيها صناعة نسج القطن والحرير والصوف وغزلها ، كما نمت بها صناعة الفانلات والجوارب والچرسى والطرابيش وصياغة الذهب والفضة والأشرطة والعقادة وصباغة الخيوط والمنسوجات والسجاجيد والكليم والحبال والدوبارة . والملابس الجاهزة . وطحن الغلال . والأعجنة الغذائية . واستخراج الزيوت . وحفظ المنتجات الزراعية . والألبان ومنتجاتها . والمحور . والحلوى . والشكولاته . والمياه الغازية . ودباغة الجلود . وصناعة الأحذية . والصناعات

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الجلدية والفراء . وأحذية الكاوتشوك . والصابون . وشمع الإضاءة . والهواء والغاز المضغوطين . والفحم الحيوانى . والمرايا والزجاج . وصناعة الكبريت . والكاوتشوك . والبلاط والموازيكو . والجبس والجير والطوب والأسمنت . والفخار والخزف . وصناعة الأحجار . وصناعة الأبواب والشبابيك . والجالونات والكبارى . والصفيح . والأسرة المعدنية . وقطع غيارات السيارات . والمواسير الزهر والأعمدة . والأثاث المعدنى والأدوات الصحية . والمسامير ودبابيس الإبرة . وشفرات الحلاقة . والموازين . والحنفيات . والأدوات الطبية . وقطع وابورات الطهى والكلوبات . والطلاء بالبطاريات . والأثاث الخشبى والكراسى الخيزران . ونجارة العمارات . وصناعة السجاير . وغاز الاستصباح . والفرش والمكانس . والروائح العطرية . والثلج . والطباعة . والأدوية الطبية . والأسمدة العضوية . والورنيش . والألوان . والبويات . والحصير . الخ الخ . . . وتتجه مصانع القاهرة نحو شبرا الخيمة وبهتيم فى الشمال ونحو كفر الزغارى فى الشرق ونحو كفر العلو فى الجنوب ونحو امبابه والدقى فى الغرب وجدير بالحكومة أن تفكر فى إنشاء مناطق صناعية و بيوت للعمال فى هذه الجهات .

القاهرة مدينة الجمعيات والمنشآت العلمية :

أهم الجمعيات و المنشآت العلمية بالقاهرة هى :

دار الكتب المصرية — معهد الموسيقى الشرقية — الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصائيات والتشريع — جمعية الحشرات المصرية — جمعية اتحاد الزراع المصريين — المجمع المصرى العلمى — الجمعية الجغرافية الملكية — جمعية محبى الفنون الجميلة — جمعية الآثار الإسلامية — جمعية الآثار القبطية — المجمع الفرنسى للآثار المصرية — جمعية الأسعاف — دار الحكمة — الجمعية الزراعية الملكية — الجمعية الكيماوية — مجمع فؤاد الأول للغة العربية — معهد الصحراء — الجمعية الطبية الملكية — جمعية المهندسين الملكية — جمعية المهندسين المعماريين — المجمع المصرى للثقافة العامة — جمعية الشبان المسلمين — جمعية الشبان المسيحيين . وخلاف ذلك من الأندية والجمعيات العلمية والرياضية .

القاهرة مدينة المتاحف

أهم متاحف القاهرة هى :

المتحف المصرى — دار الآثار العربية — المتحف القبطى — المتحف الحربى — المتحف الزراعى — المتحف الصحى — المتحف الجيولوجى — المتحف الجغرافى — متحف الفن الحديث — متحف السكه الحديد — متحف البريد — متحف الشمع — ضريح سعد زغلول باشا و بجواره بيت الأمة أو متحف سعد — متحف الحضارة المصرية — متحف جاير أندرسون باشا .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

القاهرة مدينة المدارس والجامعات :

يؤخذ من إحصاء لوزارة المعارف العمومية أن عدد المدارس العليا بالقاهرة أربعة وهى :

الفنون الجميلة العليا بالزمالك . ودار العلوم بالمنيرة . والمعهد العالى للعلوم المالية والتجارية بشارع الإنشا . ومعهد التربية للبنين بالجيزة بالأورمان .

وأن معاهد التربية للبنات اثنان . معهد التربية للبنات بالزمالك . ومعهد التربية الفنية للمعلمات بشارع المطبعة الأهلية ببولاق .

وأن المدارس الثانوية للبنين خمسة عشرة وهى :

مدرسة الابراهيمية بجاردن ستى . مدرسة الأمير فاروق بروض الفرج . مدرسة التوفيقية بشبرا مدرسة الحلمية بالسيوفية . مدرسة الخديوى اسماعيل بشارع نوبار . مدرسة الخديوية بدرب الجماميز . مدرسة السعيدية بالجيزة . مدرسة القبة بحمامات القبة . مدرسة بنبا قادن بالحلمية . مدرسة حلوان الثانوية . مدرسة شبرا الثانوية بسراى طوسون باشا . مدرسة فاروق الأول بالعباسية . مدرسة فؤاد الأول بالعباسية . مدرسة مصر الجديدة الثانوية . المدرسه النموذجية الثانوية بحدائق القبه .

وأن المدارس الابتدائية للبنين ثمانية وعشرون وهى :

مدرسة الأمير فاروق بشبرا . مدرسة الأورمان بالجيزة . مدرسة الجالية . مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بدرب الجماميز . مدرسة الجيزة . مدرسة الزيتون . مدرسة السلحدار بباب الفتوح . مدرسة السيدة حنيفة عاصم السلحدار بشبرا . مدرسة الشيخ صالح بحارة السادات بدرب الجماميز . مدرسة الظاهر بكوبرى باغوص بالشرابية . مدرسة العباسية بشارع سليم عبده . مدرسة العقادين بشارع عمرو بن العاص . مدرسة القربية بشارع السلطان حسين . مدرسة المحمدية بالحلمية الجديدة . مدرسة المعادى . مدرسة المنيرة بشارع المبتديان . مدرسة الناصرية بشارع الانتكخانة . المدرسة النموذجية الابتدائية بحدائق القبة . مدرسة امبابة . مدرسة باب الشعرية بشارع أمير الجيوش الجوانى . مدرسة بنبا قادن بالسيوفية . مدرسة حلوان . مدرسة خليل أغا وتحسين الخطوط بشارع الأمير فاروق . مدرسة شبرا بشارع شبرا . مدرسة عابدين بشاع نوبار باشا . مدرسة عباس بشارع السبتية . مدرسة محمد على بشارع مراسينا . مدرسة مصر الجديدة . وقد أضيفت إليها حديثاً مدارساً أخرى .

وأن مدارس التعليم الفنى سبعة وهى :

مدرسة الفنون التطبيقيه بالجيزة . مدرسة النجارة والصناعات الزخرفية ببولاق . مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالجيزة . مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالظاهر . مدرسة الصناعات الميكانيكية ببولاق . مدرسة النسيج بالعباسية . مدرسة الصناعات الأولية بالعباسية .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وأن مدارس البنات الثانوية خمسة وهى :

الأميرة فوزية بشارع السبتية . الأميرة فوقية الجديدة بالجيزة . المدرسة السنية بالسيدة زينب . مدرسة حلوان الثانوية للبنات . كلية البنات بالزمالك .

وأن مدارس البنات الابتدائية اثنى عشرة وهى :

مدرسة الحسينية بشارع المعز لدين الله بالجمالية . مدرسة الأورمان بالجيزة . مدرسة البهية البرهانية بدرب الجماميز مدرسة الجيزة . مدرسة الحلمية الجديدة بشارع نور الظلام . مدرسة العباسية . مدرسة حلوان . مدرسة شبرا . مدرسة غمرة . مدرسة محمد على الملكية . مدرسة مصر الجديدة . مدرسة مصر القديمة .

وأن المدارس الخاصة ثمانية وهى :

مدرسة الثقافة النسوية بالجيزة . مدرسة الثقافة النسوية بحلمية الزيتون . مدرسة الثقافة النسوية بشارع الحوياتى مدرسة الفنون الطرزية الراقية بدرب الجماميز . مدرسة الفنون الطرزية بشارع خلاط بشبرا . مدرسة الفنون الطرزية بشارع الفلكى . مدرسة أم المحسنين بمصر القديمة .

وأن مدارس رياض الأطفال سبعة وهى :

روضة الأطفال بالحلمية . وبالعباسية . وبكوبرى القبة . وبقصر الدوبارة . وبشبرا . وبمصر الجديدة . وبالأورمان .

وأن مدارس المعلمات الأوليه سبعة هى :

مدرسة المعلمات بشبرا . وبالقبة . ومدرسة التربية النسوية بالعباسية . وبباب اللوق . وببولاق . وبحلوان ومدرسة المنيرة الراقية للبنات .

وأن مدارس المعلمين الأولية أربعة وهى :

مدرسة المعلمين الأولية بامبابة . مدرسة عبد العزيز للمعلمين الأولية بالحلمية الجديدة . مدرسة الادلاء والتراجمة بدار العلوم . معهد الجمعية المصرية لرعاية العميان بشارع المطرية بالزيتون .

وأن كليات جامعة فؤاد الأول ثمانية وهى :

كلية العلوم بسراى الزعفران بالعباسية . كلية الآداب بالجيزة . كلية الحقوق بالجيزة . كلية الطب بشارع قصر العينى . كلية الزراعة بالجيزة . كلية التجارة بالجيزة . كلية الطب البيطرى بالجيزة . كلية الهندسة بالجيزة .

ويبلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائية بالقاهرة ١٩٫٨٢٦ تلميذاً

وعدد طلبة جامعة فؤاد الأول بالجيزة ٨٫٢١١ طالباً وطالبة

وعدد الطالبات فى جميع مدارس البنات بالقاهرة حوالى ٧٫٠٠٠ طالبة

هـذا خلاف المدارس الأجنبية وهى المدارس الإنجليزية والمدارس الأمريكية والمدارس الفرنسية والمدارس الايطالية والمدارس اليونانية والمدارس الألمانية والمدارس الهولندية .

وهناك أيضاً مدارس اللغات الحية . وكلية البوليس والمدرسة الحربية .

أما مبانى هذه المدارس فقصور شامخة تزدان بها القاهرة وترفع بها لواء العلم عالياً خفاقاً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل العاشر

أهم معالم القاهرة على الشاطىء الغربى للنيل

الجيزة :

تعتبر الجيزة من أهم ضواحى القاهرة الحديثة . ويرجع تاريخها إلى عصر الفتح العربى . إذ أنه لما نزل عمرو بن العاص بالفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفاً من عدو يغشاهم من تلك الناحية .

ولما استقر به المقام أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه ، فكرهوا ذلك وقالوا : « هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله عز وجل وأقمنا به وما كنا بالذى نرغب عنه ونحن به منذ أشهر » . ثم بنوا هناك حصناً فى سنة ٢٢ هـ ليدفعوا به المغيرين من قبائل الصحراء الضاربة فيما وراء الأهرام ، ثم أمرهم عمرو بالخطط بها فنشأت هناك المدينة التى عرفت فى التاريخ باسم جيزة الفسطاط .

وكانت الجمعة تجمع فى مسجد همذان الذى عرف بالمسجد الأعظم وكان ملاصقاً للحصن ولكنه اندثر فى عهد ابن دقماق .

وقبل الفتح العربى لمصر ، كان المكان الذى نشأت فيه جيزة الفسطاط مدينة مصرية قديمة تواجه مدينة بابيلون . وكانت جزيرة الروضة تقع فى النيل بين هاتين المدينتين .

وكان بين جزيرة الروضة ومدينة بابيلون على الشاطىء الشرقى للنيل وبينها وبين المدينة المصرية القديمة التى قامت بدلها جيزة الفسطاط جسران من القوارب يربط بعضها إلى جانب بعض ورؤوسها فى وجه تيار النهر ، وتتصل بعضها ببعض من فوقها بألواح من الخشب .

وكان الروم قد خرّبوا هذين الجسرين أثناء حروب الفتح العربى لمنع جيوش العرب من اللحاق بهم فى جزيرة الروضة بعد فرارهم من حصن بابيلون ولكن عمرو بن العاص جعل من شروط الصلح أن يقوم مهندسو القبط على إصلاح الجسرين ، وبعد اصلاحهما تمكن العرب من جانب النيل الآخر وبسطوا سلطانهم على الضفتين معاً .

نهر النيل بين الجيزة والفسطاط :

وكان عرض النيل فيما بين الجيزة والفسطاط فى عصر الفتح العربى أضعاف عرضه الحالى .

وقيل إن عبور النهر فى هذا المكان فى العصور القديمة كان يحتاج لكثير من الاحتياط لاتساع النهر من جهة ولكثرة ما فيه من تماسيح من جهة أخرى ولكن منذ ظهرت جزيرة الروضة فى مجرى النيل فى العصر اليونانى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أو الرومانى ، سهل عبور النهر وساعد ذلك على نهضة الملاحة النهرية وتقدمها كما ساعد على تقدم التجارة .

وفى الواقع لم يكن عبور النيل من الموانع الحربية يوماً ما ، حتى أنه يبدو فى عصر الفتح العربى أن اجتياز النهر كان أمراً سهلا ممهداً لم يحل دون تقدم العرب وغزو أقليم الفيوم وسواه من أقاليم الوجه القبلى والوجه البحرى . وكذا كان الأمر فى عصر الفتح الفاطمى .

حدائق الحيوان :

يرجع إنشاء هذه الحدائق إلى عام ١٨٩٠ ، إذ بدأ العمل فيها فوق جزء من حدائق سراى الجيزة تبلغ مساحته حوالى ٥٠ فداناً ، ثم افتتحت للجمهور فى صيف العام التالى . وبذلك يكون قد مرّ على تأسيسها أكثر من نصف قرن من الزمان .

وهى أكبر معرض للحيوان الأفريقى ، وتعد فى طليعة معارض الحيوان فى العالم . وقد جلبت إليها مجموعة كبيرة من حيوان الشرق والأمريكتين فى عهد المغفور له الملك فؤاد .

ويبلغ عدد ما فيها طبقاً لاحصاء سنة ١٩٣٤ ، حوالى ٦٠٠ نوع من الحيوان ذى الثدى و٢٥٠٠ نوع من الطيور و٤٠٠ نوع من الزواحف ، عدا الأسماك .

وقد وسّعت أرجاء هذه الحدائق فى السنوات الأخيرة . فضم إليها جانب كبير من حديقة الأورمان ، ذات الأنواع المتعددة من النباتات الغريبة ، وبذلك أصبحت من أعظم المراجع لطلاب العلوم النباتية والحيوانية .

ومما يذكر أن جو مصر ، يعد من العوامل القوية فى المحافظة على الحيوان بحالته الطبيعية دون حاجة إلى استخدام وسائل التدفئة أو التبريد أو غيرها مما يتخذ فى أشهر حدائق العالم . وتشمل الحدائق قسم للزواحف وبها جبلاية بديعة وكوبرى معلق ومتحف للحيوان كما أن بها قسم للتسلية يشمل ركوب الفيل الهندى والجمل ذى السنامين وعربة السياسى وعربة الكهرباء والقوارب والكرسى ذى العجل .

كما أن هناك بوفيهات لبيع المرطبات وتصدح بها موسيقى مدرسة البوليس وبلوك الخفر فى أيام الآحاد والجمعة من كل أسبوع .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وأهم الحيوانات التى يمكن مشاهدتها بهذه الحدائق هى :

السباع والضباع و بنات آوى والقردة والنسانيس، والليمور ، والزراف والتياتل والغزال والجرنت والفيل والجاموس الحلوى والبجع والعنز والنسور والعقبان والطيور الأخرى والنعام والطاووس والطيور المختلفة .

جامعة فؤاد الأول :

أهم معالم مدينة القاهرة الحديثة بلا نزاع هى جامعة فؤاد الأول بالجيزة . ويرجع تاريخ هذه الجامعة إلى يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ حين اجتمع جماعة من المفكرين بمنزل سعد زغلول بك (المغفور له سعد زغلول باشا) وتبرعوا بمبلغ ٤٤٨٥ جنيها مصرياً لإنشاء جامعة أهلية مصرية .

وتألفت لجنة تحضيرية لهذا المشروع من حضرات :

سعد زغلول بك المستشار بالمحاكم الأهلية وكيلا للرئيس العام .

قاسم أمين بك المستشار بالمحاكم الأهلية سكرتيراً .

حسن سعيد بك وكيل البنك الألمانى الشرقى أميناً للصندوق . ثم حسن جمجوم بك ، ومصطفى الغمراوى بك ومحمد عثمان أباظة بك ، ومحمد راسم بك ، وحسين السيوفى باشا ، وأخنوخ فانوس أفندى ، وزكريا نامق أفندى ، ومحمود الشيشينى بك : أعضاء .

ولما تولى سعد زغلول بك نظارة المعارف العمومية فى نوفمبر سنة ١٩٠٦ تنحى عن منصبه فحل محله قاسم أمين بك للرياسة المؤقتة .

وفى شهر يناير سنة ١٩٠٨ انتخب الأمير أحمد فؤاد (المغفور له الملك فؤاد الأول) رئيساً للجامعة المصرية . فانهالت التبرعات وتهافت أغنياء المصريين على تغذية هذا المشروع بالمال اللازم حتى بلغ الرصيد مبلغ ٢١٢١٠ جنيهاً مصرياً فى آخر ديسمبر سنة ١٩٠٨ وكان من أظهر المتبرعين الأولين حسن بك زايد الذى أوقف خمسين فداناً بعزبته بسراوة بالمنوفية على الجامعة المصرية . وتبعه عوض بك عريان فأوقف ٧٣ فداناً للجامعة . ثم تبرعت الأميرة فاطمة اسماعيل بقصرها الفخم فى الدقى (المتحف الزراعى الآن) و بستة أفدنة من الأرض لبناء دار الجامعة عليها (ديوان وزارة الزراعة الآن) كما تبرعت بحليها التى قدرت قيمتها بمبلغ ٢٢٠٠٠ جنيه .

ثم قررت وزارة الأوقاف منح الجامعة ٥٠٠٠ جنيه سنوياً من أموال الوقف الخيرى كما قررت الحكومة منحها ٢٠٠٠ جنيه سنوياً . وتفضل صاحب السمو الخديو عباس حلمى الثانى بجعل رياسة شرف الجامعة لولى العهد الأمير محمد عبد المنعم و بجعل الجامعة تحت رعايته السامية وافتتحها رسمياً فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ .

و بعد ذلك أوقف الأمير يوسف كمال ١٢٥ فداناً من أرضه بأبى صير على الجامعة مع منحها ٣٠٠ جنيه سنوياً ثم تبرع لها ثانياً بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩١٧ .

وأوقف أحمد بك الشريف ١٠٠ فدان من أرضه بمديرية الغربية على الجامعة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ اجتمعت الجمعية العمومية بديوان الأوقاف تحت رياسة سمو الأمير أحمد فؤاد لعرض مشروع قانون الجامعة .

وقد أقرت الجمعية العمومية هذا القانون الذى جاء فى صدره أن الغرض من الجامعة هو ترقية مدارك المصريين وأخلاقهم ، على اختلاف أديانهم ، لنشر الآداب والعلوم .. ثم إرسال بعثات من الطلبة إلى جامعات أوربا ليكتسبوا معلومات وافية فى المواد التى يخصصها لهم مجلس الإدارة ويقوموا بتدريس هذه المواد بعد عودتهم باللغة العربية فى الجامعة المصرية .

وسافرت البعثة الأولى إلى أوربا فى ١٥ يوليو سنة ١٩٠٨ بين تهليل الأمة وفرحها .

وقد تفضل سمو الأمير أحمد فؤاد فجعل نفقات أحد أعضاء هذه البعثة وقدرها ألف جنيه تصرف على خمس سنوات على نفقته الخاصة . واقتدى به فى ذلك (صاحب المقام الرفيع) عزيز عزت باشا (عضو مجلس الوصاية سابقاً) ثم مدحت يكن باشا (رئيس ادارة بنك مصر سابقاً) .

وفى سبتمبر سنة ١٩٠٩ سافرت البعثة الثانية وكانت مؤلفة من سبعة أعضاء وتوالت بعد ذلك البعثات حتى بلغ عدد المبعوثين ٢٤ عضواً برز منهم :

معالى حسن باشا صادق وقد تخصص فى درس علم طبقات الأرض بجامعة لندن . والأستاذ أحمد بك ضيف وقد تخصص فى درس آداب اللغة الفرنسية بباريس . والدكتور طه حسين بك وقد تخصص فى التاريخ والعلوم الاجتماعية

وكان من حظ الجامعة المصرية أن كان أول العظماء الذين حاضروا فيها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق . وكان ذلك لمناسبة زيارته لمصر فألقى فى الجامعة محاضرة شيقة فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٠ .

وبعد أن سارت الجامعة شوطاً بعيداً فى طريق الفلاح ، قضت الظروف أن يتخلى سمو الأمير أحمد فؤاد عن الرياسة سنة ١٩١٤ فتولاها بعده المرحوم حسين رشدى باشا ولكن ذلك لم يمنع الأمير من موالاة رعاية الجامعة أميراً ثم سلطاناً ثم ملكا . فبفضله تحولت هذه الجامعة الأهلية إلى جامعة حكومية فى ٢١ مارس سنة ١٩٢٥ وتولت وزارة المعارف العمومية أمر الجامعة الجديدة بعد أن تعهدت بجعل الجامعة القديمة نواة لقسم الآداب فى الجامعة الجديدة وصدر بذلك مرسوم بقانون عدل بقانون ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٧ الذى تنازل بموجبه مجلس إدارة الجامعة القديمة عن كل ما تمتلكه الجامعة المذكورة من منقول وعقار على شرط احترام تعهداتها مع أساتذتها وموظفيها وأن يكون أحد أعضائها عضواً فى مجلس ادارة كلية الآداب الجديدة .

وفى ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ احتفلت الأمة احتفالا رائعاً بوضع الحجر الأساسى للجامعة المصرية بعد أن أصبحت تابعة للحكومة على أرض تبلغ مساحتها ٩٠ فداناً بحدائق الأورمان بالجيزة منحتها الحكومة لها كما منحتها أرضاً

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أخرى تجاه بناء الجامعة فى جزيرة الروضة تبلغ مساحتها ٤٤ فداناً أقامت عليها مستشفى فؤاد الأول و بعض مبانى كلية الطب . وفى سنة ١٩٣٢ افتتح المغفور له الملك فؤاد الأول مبانى الجامعة المصرية الجديدة .

وقد أصبح عدد كليات جامعة فؤاد الأول بالقاهرة الآن ثمانية وهى :

كلية الآداب وكلية العلوم وكلية الحقوق وكلية التجارة وكلية الطب البشرى وكلية الطب البيطرى وكلية الهندسة

وقد ضمت الكليات الأربع الأخيرة إلى الجامعة بموجب المرسوم رقم ٩١ الصادر بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٥.

و بعد أن كانت ميزانية الجامعة مبلغ ٥١٥ م و٧٣٦٥ ج سنة ١٩٠٨ وعدد طلبتها ٥٥٠ طالباً أصبحت ميزانيتها مبلغ ٧٠٠٩٦٩ ج سنة ١٩٣٦ وعدد طلبتها ٦٥٠٠ طالباً تقريباً . وكان عدد الذين حصلوا على اجازة الجامعة القديمة ١٣ طالباً : ثمانية منهم نالوا الدكتوراه وخمسة نالوا دبلوم العلوم الجنائية .

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد كان عدد المتخرجين فى الجامعة ١٦٦٠ طالباً منهم ١٦٣ فى الحقوق و٦١ فى الآداب و٢٧ فى كلية العلوم و٢٥٠ فى كلية الطب و٩٦ فى الهندسة و٢٠ فى الطب البيطرى و٨٨٠ فى كلية الزراعة و٢٣٥ فى كلية التجارة .

وفى يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ وضع صاحب الجلالة الملك فاروق حجر الأساس فى مدينة الجامعة ومساكن الطلبة وقد قدر لها من النفقات نحو ثلاثة أرباع مليون جنيه اكتتب منه إلى اليوم بمبلغ ٣٣٥٠٠٠ ج .

ولا تزال الحاجة ماسة إلى إقامة كوبرى يوصل شارع الجامعة بالجيزة بمستشفى فؤاد الأول بجزيرة الروضة اختصاراً فى وقت الطلبة والأساتذة وربطاً لوحدات الجامعة ببعضها .

مبانى جامعة فؤاد الأول فى حدائق الأورمان :

يقع هذا البناء وسط حدائق الأورمان بالجيزة .

وتتصل صالة الاحتفالات من الجهة الشرقية بمبنى الإدارة بواسطة بهو فخم هو المدخل الرئيسى للجامعة ، أما المدخل الملكى فيقع بالجهة البحرية ويمكن الوصول إليه من شارع ثروت (شارع البرنسات سابقاً) .

وقد روعى عند دراسة مشروع مبنى الجامعة من جميع نواحيه إمكان مد شارع الجامعة ، الذى أنشئ خصيصاً لها عبر شارع الجيزة حتى نهر النيل ، حيث يقام على امتداده كوبرى جديد يصل مبانى الجامعة بالجيزة بمبانى مستشفى فؤاد الأول الجديدة بجزيرة الروضة فيسهل الاتصال بين جميع أجزاء الجامعة . ويشغل بناء صالة الاحتفالات بالجامعة ٣٥٠٠ متراً مسطحاً غير مبنى إدارة الجامعة المتصل به ومسطحه ١٦٠٠ متراً فيكون مسطح البناء جميعه ٥١٠٠ متر مسطح.

ويبلغ ارتفاع قمة القبة بالصالة نحو ٥٢ متراً عن سطح الأرض . وقد بلغت مجموع تكاليف إقامة الصالة والإدارة معاً نحو ٨٠٠٠٠ جنيه مصرى .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الحادى عشر

القاهرة فى خمسين عاما

يالها من تغييرات تلك التى طرأت على مدينة القاهرة فى الخمسين عاماً الماضية . فكم تغيرت الأحياء ، وكم تغير الجمهور وكم تغيرت العادات ؟

قارن المدينة الآن بما كانت عليه سنة ١٨٩٥ ، فأول ما تلاحظه هو الزيادة الهائلة فى عدد السكان ، فبعد أن كان عددهم ٥٨٩٫٥٧٣ نسمة حسب تعداد سنة ١٨٩٧ أصبح الآن حوالى مليونى نسمة . وهذا بالطبع معناه اتساع كبير فى مساحة المدينة الحديثة خصوصاً إذا ما لاحظنا أن المساكن الحديثة تتوفر فيها اشتراطات الصحة والراحة أكثر من مساكن المدينة القديمة وتحتاج لمساحة أكبر من الأرض. وعدد سكان المسكن الواحد فى المبانى الجديدة أقل بكثير من عدد سكان المسكن الواحد فى الأحياء الوطنية القديمة . ولكن يقابل ذلك من جهة أخرى زيادة عدد السكان فى الفدان الواحد فى الأحياء الحديثة عنها فى الأحياء الوطنية القديمة ، وذلك بسبب تعدد طبقات العمارات الحديثة، الشىء الذى لم يكن متوفراً فى المدينة القديمة ، إذ من المشكوك فيه أن كان هناك قديماً منزل واحد يزيد عدد أدواره عن الدور الأرضى وفوقه ثلاثة أدوار ، ولا تزال بعض هذه المنازل القديمة موجودة للآن يتعارض مظهرها الشرقى الخاص مع مظهر ناطحات السحاب الحديثة التى أقيمت بجوارها بغمرة وعلى ناصية شارع سليمان باشا وشارع قصر العينى وميدان مصطفى كامل باشا ، وفى بعض الأماكن الأخرى الواقعة فى الشوارع الخلفية المقابلة لثكنات قصر النيل . لذلك كان اتساع المدينة الحديثة كبيراً ولكنه ليس مفرطاً .

ومع أن الجمال الفنى لا يتوفر كثيراً فى مبانى عصر محمد على وإسماعيل ذات البواكى إلا أنها تحتفظ بطابعها الخاص وتعيد إلى الذاكرة هذه المناظر الجذابة التى تلمسها فى الريف الفرنسى ، والتى حاول إسماعيل باشا تقليدها حين شق شارع كلوت بك وشارع محمد على فيما بين ميدان باب الحديد والقلعة على خط مستقيم وزانهما على الجانبين بهذه البواكى الجليلة التى لا يزال معظمها باقياً إلى الآن .

ويجب هنا أن نقرر أن من مميزات المبانى القديمة على المبانى الحديثة المنشأة من الخرسانة المسلحة أن حوائط الأولى السميكة المبنية من الدبش والطوب الأحمر بسمك ٦٠ أو ٧٠ سنتمترا تمنع حرارة الشمس من اختراق طبقاتها وهكذا تحتفظ الغرف الداخلية صيفاً بجو رطب مستحب .

غير أن عيب هذه المبانى كان فى عدم توفير الاشتراطات الصحية فيها . فحتى سنة ١٩٠٩ حين نفذ المستر كاركت جيمس مشروع مجارى القاهرة ، كانت فضلات المنازل ومياهها العادمة تتجمع فى مجارير خاصة . وكانت هذه المجارير مرعى خصب لتفريخ الناموس .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فكانت القاهرة فى هـذا العهد تسبح فى مستنقع من القاذورات المتجمعة تحت سطح الأرض فى هذه المجارير. وكان منسوب المياه فى هذه المجارير يرتفع مع ارتفاع مياه فيضان النيل حتى يكاد يصل إلى سطح الشارع وينخفض مع انخفاض مياه النهر.

وكثيراً ما كانت تطفح هذه المجارير على سطح الشارع فيضع الجمهور قوالباً من الطوب الأحمر يمر فوقها فى ميادين هامة من ميادين المدينة كما كان يحصل فى ميدان قنطرة الدكة وسواها.

فلما تم مشروع المجارى العامة وعولجت مزارع الناموس بطريقة الدكتور هالفورد روس اختفت هذه الحشرة المؤذية تماماً من منازل القاهرة.

وقد كان من نتائج إنشاء مشروع المجارى العمومية أيضاً أن أصبحت طبقات الأرض التى تقام فوقها أساسات منازل القاهرة أقل تشبعاً بالمياه الجوفية وأكثر تحملا للاثقال ولذا أمكن المدينة الحديثة أن ترتفع بمبانيها الجديدة طبقات عديدة وتبلغ بها ارتفاعات هائلة لم تكن متيسرة من قبل كما نشاهد فى عمارة عمرة مثلا أو فى عمارات بحرى بالاسماعيلية وميدان مصطفى كامل وسواها. وقد تكون عمارة شركة الشرق للتأمين على الحياة بميدان سليمان باشا أول تلك العمارات الشاهقة التى أقيمت بالقاهرة الحديثة ثم تبعها سواها مما ترتب عليه إدخال تغييرات هامة فى الحياة الاجتماعية بهذه العاصمة، إذ أصبح عدد السكان فى الفدان الواحد بالأحياء التجارية الحديثة حوالى ٥٠٠ نسمة بينما كان لا يزيد عن ٢٥٠ نسمة فى الفدان الواحد فى الأحياء التجارية القديمة التى تبدو مزدحمة ازدحاماً هائلا بسكانها لتكدسهم فى مكان واحد ولعدم توزيعهم فى الأدوار العليا المختلفة كما فى المناطق الحديثة.

أضف إلى ذلك أن مدينة القاهرة كانت قبل خمسين عاما مدينة القصور الرحبة والسرايات الفسيحة ففى المسافة الواقعة بين سراى درب الجماميز حيث كانت وزارة المعارف العمومية قديماً وشارع محمد على كنت تجد سراى الحلمية تحيط بها الأراضى الواسعة المملوكة لوالدة الخديوى اسماعيل. وإلى شمال سراى عابدين العامرة، كنت تجد سراى على باشا شريف فى الأرض المقابلة لمخازن أوروزدى باك عمر أفندى الآن. وكانت مساحة هذه السراى تكاد تساوى مساحة السراى الملكية العامرة. ثم كان لنوبار باشا سراى أخرى ولكنها أقل اتساعاً من هذه فى المكان المجاور لفندق ڤيكتوريا الآن بشارع ابراهيم باشا حيث كان متحف الشمع قبل نقله إلى محله الحالى بشارع مجلس النواب وحيث تجد الآن مشارب ومطاعم الجيش البريطانى المعروفة باسم «الأمبير».

وفى جنوب ميدان الخديوى اسماعيل الحالى كنت تجد سراى الاسماعيلية تقوم بقدها الممشوق وسط أراضى مساحتها ثمانية فدادين تحيط بها أسوار ضخمة يبلغ ارتفاعها أربعة أمتار تقريبا. وكان يقيم فيها إذ ذاك ممثل السلطان التركى. وقد نزعت ملكيتها لما انضمت تركيا إلى الأعداء فى الحرب العظمى الماضية فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤. وقسمت أرض هذه السراى الآن وشق فى وسطها شارع سراى الاسماعيلية وهو يصل ما بين ميدان الخديوى

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

اسماعيل وميدان قصر الدوبارة . ولم يبق من هذه السراى الضخمة إلا المسجد الذى كان ملحقاً بها وهو يقع الآن فى الجنوب الغربى من السور الخارجى القديم . و إلى جنوب سراى الاسماعيلية كنت تجد ثلاث سرايات مهمة . السراى الأولى كانت تقع بين دار السفارة البريطانية الحالية وفندق سميراميس وكانت تعرف باسم سراى الوالدة وقد هدمت حديثاً . والسراية الثانية والثالثة وكانتا تعرفان بسراى ابراهيم باشا والقصر العالى كانتا تطلان على النيل من الغرب وعلى شارع قصر العينى من الشرق وكان يضمهما سور واحد ضخم مرتفع . وقد هدم حوالى سنة ١٩٠٠ وقسمت أراضيهما و بيعت وأصبحت تعرف باسم جاردن ستى .

أما الجزيرة المعروفة اليوم باسم جزيرة الزمالك فكانت الجهة الجنوبية منها فى ذاك العهد مشغولة بقرية حقيرة يسكنها قوم من فقراء المزارعين ، غير أن اللورد كرومر لم يرقه منظر هؤلاء القوم الفقراء حينما كان يجلس فى شرفة دار الوكالة البريطانية المطلة على النيل ، فأمر بهدم قرية هؤلاء المساكين ونقلوا إلى امبابة حوالى سنة ١٨٩٧ حيث أعطيت لهم أرض جديدة عوضاً عن مساكنهم التى استولت عليها الحكومة . هذا مع العلم بأن الوكالة البريطانية نفسها كانت قبل هذا التاريخ بمدة قليلة تقيم فى شارع المغربى (شارع عدلى باشا الآن) فى المنزل الذى حول فيما بعد إلى « الترف كلوب » والذى هدم الآن وأقيمت مكانه عمارة بنك الكريدى ليونيه .

أما الجهة الشمالية من جزيرة الزمالك الحالية فكانت عبارة عن أراضى زراعية خالية من المساكن ، فلما أنشئت سراى الجزيرة سنة ١٨٦٨ فى مكانها المعروف الآن (سراى لطف الله) لنزول الامبراطورة أوچينى بمناسبة حضورها إلى مصر فى حفلات افتتاح قنال السويس ، قامت إلى شمالها عدة منازل صغيرة على شاطئ النيل . وكانت هذه المنازل تمتد من المكان الموجود به الآن كوبرى بولاق (كوبرى فؤاد الأول الآن) وتتجه إلى الشمال حيث تنتهى إلى المكان الموجود به الآن منزل صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا . و إلى شمال هذه المنازل كان يوجد معسكر الجيش المصرى ثم بعد ذلك تمتد الأراضى الزراعية إلى نهاية الجزيرة الشمالية .

أما على الشاطىء الغربى للنهر ابتدأ من موقع كوبرى الانجليز الحالى لغاية الجيزة فكنت تجد بالكاد سنة ١٨٩٥ منزلا أو منزلين ، كما كنت تجد عملية مياه الجيزة و بالقرب منها مبنى ديوان مديرية الجيزة و بعدها حدائق الأورمان وحدائق الحيوان ثم متحف الآثار المصرية . وكان قائماً فى سراى قديمة للخديو اسماعيل باشا تعرف باسم سراى الجيزة . وكانت حدائق الحيوان وحدائق الأورمان من ضمن حدائق هذه السراى . وترى للآن بعض طرقاتها المزخرفة بالزلط الملون و بعض أكشاكها الملكية و بعض الأشجار النادرة المنقولة من أجزاء بعيدة من الكرة الأرضية فى هذه الحدائق .

ومن ذاك الوقت تنمو هذه المنطقة نمواً سريعاً فإلى غرب حدائق الحيوان قامت أولا مدرسة الزراعة العليا وكانت هى المبنى الأول فى مبانى جامعة فؤاد الأول التى تشغل أكثر من ٩٠ فداناً من أرض هذه المنطقة الآن . وأول ناظر

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

تولى إدارة مدرسة الزراعة هذه هو المستر والس شقيق مدرس الزراعة بجامعة ادنبرج. وفى سنة ١٨٩٦ تولى نظارتها الدكتور ما كنزى أحد خريجى مدرسة المناجم القدماء وكان يساعده المستر البرت برنش فى تدريس الطب البيطرى والمسترجورج فودن الذى عين بعد ذلك أول سكرتير للجمعية الزراعية الملكية ، وكان يدرس علم الزراعة نظرياً وعملياً.

وفى سنة ١٩٠٢ تم بناء دار الآثار المصرية الحالية بقصر النيل ونقلت إليها الآثار التى كانت معروضة سابقاً بسراى الجيزة . ومكان هذه السراى الآن هو مخزن تراموای الجيزة بشارع المدارس . وقد بيعت سراى الجيزة والأراضى المحيطة بها إلى المسيو زرفودا كى ؛ غير أن المضاربات التى جاءت قبل أوانها قد أدت به إلى عسر مالى .

وفيما عدا قصر السلطان حسين ومبنى ديوان مصلحة المساحة الذى شيد سنة ١٨٩٩ مقابل مبنى مديرية الجيزة لم يكن حول شارع الجيزة سوى حقول زراعية من الجانبين . ولغاية سنة ١٨٩٦ لم يكن خط الترام الممتد من الجيزة إلى فندق مينا هاوس قد أنشىء بعد . وكان الوصول إلى الأهرام والعودة منه على ظهور الحمير يستغرق يوماً كاملاً .

أما إلى شمال القاهره فكانت الأراضى الزراعية لا تبعد كثيراً عن محطة كوبرى الليمون الحالية . وكان الطريق من هذه المحطة إلى العباسية محاط بحقول القمح والبرسيم والخضر . ولم تكن مدينة مصر الجديدة إذ ذاك إلا حلماً من أحلام المستقبل لأنه خلف ثكنات السوارى (البوليجون) والبرج رقم ٢ على طريق السويس القديم لم يكن هناك أى مبنى . وفى سنة ١٩٠١ كانت المسافة بين هذا البرج وعزبة الزيتون صحراء قاحلة ولم يكن فى هذه العزبة سنة ١٨٩٩ إلا بيوتاً معدودة وكذا كان الحال فى قرية المطرية . أما المسافة بين المطرية والمرج والخانكة فكانت من مجاهل الأرض. على أن أمتع الرياضيات البدنية سنة ١٨٩٦ كانت استكشاف هذه الأراضى على ظهر حمار مع أحد المكارية. وإذا تصادف وقابلك هناك فلاح ومعه قفص من الطماطم فكان يمكنك أن تشتريه منه بخمسة مليمات .

وكانت العربات التى تجرها الجياد أهم وسائل المواصلات فى القاهرة إذ ذاك ولكن امتطاء متون الحمير كان أمراً مرغوباً جداً خصوصاً عند الأجانب . وكم كان مدهشاً أن ترى مفتش الرى الإنجليزى يصل بحماره إلى الترف كلوب ثم يربطه فى أقرب شجرة بجوار النادى ويدخل بكل عظمة ووقار .

أما الرحلات خارج القاهرة فكانت تتم على متون الحمير أو الجمال . ولم يظهر الترام بشوارع القاهرة إلا سنة ١٨٩٥ وكم كان سرور الأهالى والأجانب عظيماً بركوب عرباته أو بالمرور تحت أسلاكه المعلقة فى الهواء . ومع ذلك ظلت مواقف حمير الأجرة فى معظم نواصى الشوارع . وكان أكبر هذه المواقف طراً بميدان الأوبرا حيث كنت ترى الجدال يدور باستمرار حول تقدير الأجرة للمرور بأسواق المدينة القديمة أو فى ضواحى القاهرة .

وكان الغلمان يطلقون على حميرهم أسماء مضحكة فيسمون أحد الحمير الذكور مثلا السيدة لنجترى ، كما كانوا يرفعون عن ظهورها السروج لراحتها فى المواقف ولعلاج جروحها إذا وجدت وكان فى إمكان هذه الدواب الشديدة

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

أن تقطع المسافة بين القاهرة والإهرام ذهابا و إيابا بدون أن يظهر عليها أى تعب لا هى ولا الغلام الذى يجرى خلفها .

وكان السائح إذا أراد زيارة أهرام سقارة فى ذاك العهد يركب القطار إلى البدرشين ، وعند وصوله إلى محطتها يحاط بجماهير لا تحصى من الغلمان أصحاب الحمير وكل يحاول أن يغريه بامتطاء دابته فهذا الحمار إسمه مارى اندرسون وذاك إسمه المستر جلادستون والثالث إسمه الرئيس جارفلد وهكذا و إذا ما اختار السائح حماره بطل النزاع والصراخ والكلام كأنه صدر إليهم أمر سحرى بالسكوت . وكان أجر الحمار من البدرشين إلى سقارة ذهابا و إيابا ريال واحد مع دفع بقشيش قليل للغلام .

وكانت تكاليف الحياة خارج القاهرة إذ ذاك رخيصة جداً إذ كان فى إمكانك شراء مائة بيضة فى الريف بخمسة قروش لا غير وكان اللبن يصل إلى باب دارك فى القاهرة نفسها بواسطة بائع اللبن الذى يحضر بقرته وخلفها عجلها الصغير ليحلبها أمامك بسهولة . وكانت البقرة أطوع لصاحبها من بنانه ولكن اللبن المحلوب بهذه الطريقة كان لا بد من غليه قبل شربه . وكان هناك بعض الخاصة الذين يحصلون على حليب أنظف من هذا من مدرسة الزراعة واستمر الحال كذلك إلى أن أقام مستر هاوى معملا للألبان المعقمة بحدائق القبة ولا يزال هذا المعمل موجوداً للآن .

خلجان القاهرة :

وكان بالقاهرة سنة ١٨٩٥ خليجان مشهوران ولكنهما اختفيا الآن . أما الأول فهو الخليج المصرى المشهور الذى كان يخرج من النيل عند مصر القديمة فى المكان المعروف اليوم باسم فم الخليج و يسير إلى ميدان السيدة زينب فميدان باب الخلق ثم يمر غربى المحافظة وغربى جامع الظاهر بالعباسية و يسير إلى الزيتون والمطرية و بعد ذلك يختفى فى بركة الحج . وسبق تكلمنا عنه وعن حفلات فتحه أيام الفيضان . وكانت مياه النيل تظل تجرى فيه طول مدة الفيضان حتى إذا ما بدأت أيام التحاريق ووقفت المياه عن جريانها جف الخليج وظل هكذا حتى يأتى الفيضان التالى . ولكن جفاف الخليج كان يحتاج لزمن طويل يتحول فى خلاله الخليج إلى مستنقع ومباءة للقاذورات تلقى فيه القطط والكلاب الميتة وتصب فيه مجارير المنازل المجاورة و يصبح بؤرة لنشر الأمراض والميكروبات بالمدينة . ولذا فرح أهالى القاهرة جميعاً لما اتفقت شركة الترام مع الحكومة المصرية على ردم هذا الخليج . وسيرت فى الشارع المستجد عربات الترام حوالى سنة ١٩٠١ .

أما الخليج الثانى فهو ترعة الاسماعلية التى كانت تخرج من النيل فى موقع الكنيسة الكاتدرائية الانجليزية الحالية بجوار مكاتب شركة ترام القاهرة ثم تسير بمحاذاة شارع الملكه نازلى الحالى حتى ميدان المحطة وتستمر إلى غمرة والمطرية وسواها . وقد ردم الجزء الأول من هذه الترعة بين الفم وغمرة . ونقل فمها الآن إلى شبرا الخيمة .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وعلى الجزء المردوم من هذه الترعة تقوم الآن المبانى التالية :

الكاتدرائية الإنجليزية ثم ديوان مصلحة المجارى الرئيسيه ثم حمام السباحة التابع لوزارة المعارف العمومية ثم محطة الهواء المضغوط التابعة لمصلحة المجارى بمعروف ثم جمعية الشبان المسلمين ثم مبنى مصلحة الكيمياء ثم مبنى جمعية الحشرات ثم مبنى جمعية الاقتصاد السياسى والاحصاء ثم جمعية الأسعاف ثم نادى الموسيقى الشرقى ثم مبنى مستشفى السكة الحديد ثم مصلحة التليفونات وملحقاتها ثم جمعية المهندسين الملكية ثم سوق الجملة للفاكهة والخضار ثم جمعية رعاية الأمهات والفتيات ثم محطة طلمبات مياه السطوح التابعة للمجارى ثم دار الهلال الأحمر ثم سجن الأجانب ثم ثكنات باب الحديد التابعة للجيش البريطانى ثم محطة كوبرى الليمون ثم خط المترو وخط سكة حديد المطرية من محطة كوبرى الليمون حتى كوبرى باغوص و بعد ذلك تجد للآن بقايا هذه الترعة بغمرة .

الحياة الاجتماعية :

كانت قاهرة سنة ١٨٩٥ لا تختلف فى العادات كثيراً عن القاهرة التى وصفها لين بول فى القرن السابق . أما الآن فقد اختفت كثير من معالم الحياة الاجتماعية القديمة فلم نعدنرى مواكب الأفراح التى كانت تسير بالمشاعل ليلاً فى طرقات المدينة ولا مواكب عربات العرائس التى كانت تحاط بالسواس والأصدقاء ، وكما اختفت مواكب الهوادج والجمال لنقل العرائس إلى منازل أزواجهن بين الهزيج والغناء .

ومن المظاهر التى اختفت أيضاً فى القاهرة الحديثة ، وكانت عنوان الغنى والثراء فى قاهرة القرون الماضية ، وجود الخصيان (الأغوات) الذين كانوا يجلسون أزواجاً على مقاعد خشبية خارج أبواب قصور كبار الأغنياء . واختفت كذلك مواكب السياس الذين كانوا يجرون أمام عربات كبار القوم لإفساح الطريق أمامها .

الملاهى :

وكانت أهم ملاهى القاهرة إذ ذاك هى دار الأوبرا ولكن موسمها كان محدوداً وقصيراً جداً لايزيد عن عشرة أسابيع ابتدأ من رأس السنة الميلادية .

ولم يكن هناك (كاباريهات) ولكن مقابل فندق شبرد كانت توجد (الكافيه اجبسيان) وكانت بها سيدة نمساوية ترأس فرقة موسيقية توقع أحياناً نغمات شجية . وعند ناصية الشارع كان « الألدرادو » ، وهوملهى للرقص الشرقى حيث كنت ترى رقص البطن . ولكن لأجل أن تتمتع حقيقة بهذا النوع من الرقص كان عليك أن تذهب ولو خلسة إلى قهوة من مقاهى شارع كلوت بك وهناك تجد هذا الرقص بكامل ما فيه من الاغراء الجنسى المكشوف .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وكان هناك مطاعم أخرى كثيرة أشهرها مطعم سانتى بحديقة الأزبكية كما كانت هناك مشارب كثيرة للبيرة منتشرة بميدان الأوبرا وبجوار شبرد وبحى الأزبكية بجوار الملاهى الفاجرة وبيوت الدعارة وكان السهر يطول جداً بهذه الأحياء حتى يخيل اليك أن قاهرة هذا العهد كانت لا تعرف معنى النوم .

القاهرة ملتقى السياح :

كانت القاهرة منذ خمسين عاماً بلاد السياحة بكل معانى الكلمة . فكان البعض يقصدها للاستشفاء والبعض لتجنب برد الشتاء فى أوربا والبعض لزيارة آثارها . وكانت أفواج السياح تصل فى شهر اكتوبر وتقوم إلى الأقصر واسوان فى شهر ديسمبر وتبقى هناك حتى شهر مارس ثم تبدأ فى العودة . وكان المستشفون يقصدون إلى فندق مينا هاوس أو فندق الحياة بحلوان أو إلى الأقصر أو أسوان رأساً ويبقون هناك أطول مدة ممكنة . وكانت بعض هذه الأفواج تستأجر الذهبيات لتقوم برحلة هادئة بطيئة فى النيل لغاية أسوان ثم تعود .

القاهرة بين حربين :

فى سنة ١٩١٤ قامت الحرب العظمى بأوربا فكانت القاهرة بحكم موقعها عند ملتقى طرق العالم تعج بالجيوش الأسترالية والنيوزيلندية والهندية التى جاءت لصد الجيش التركى عن قنال السويس ثم لفتح الدردنيل . وقد برز إذ ذاك إسم الجنرال اللنبى الذى عين فيما بعد مندوباً سامياً لإنجلترا فى مصر وعاصر الثورة المصرية سنة ١٩١٩ تحت زعامة زغلول باشا .

وفى سنة ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية بأوربا أيضاً ولكن نيرانها كادت تصل هذه المرة إلى الإسكندرية بعد وصول جنود الألمان إلى العلمين . وكانت القاهرة كعادتها ملتقى الطرق الجوية والبرية والبحرية ومقر قيادة الجيوش المحاربة المختلفة الأجناس فهنا تجد الأسترالى بجوار النيوزيلندى بجوار الهندى بجوار الأفريقى بجوار الفرنسى بجوار الكندى بجوار الأمريكى . وفى وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الجيوش الجرارة كانت الفتيات المجندات الجميلات يملأن شوارع القاهرة بهجة وترفيهاً وهن من كل جنسيات العالم تقريباً .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

الفصل الثانى عشر

طرق المواصـــلات

السكك الحديدية :

القاهرة ملتقى سكك حديد القطر المصرى لتوسطها بين الوجه البحرى والوجه القبلى .

وأهم الخطوط التى تربط القاهرة بعواصم المديريات وبالمحافظات والضواحى هى :

١ — خط (القاهرة — الاسكندرية) عن طريق بنها وطنطا ودمنهور ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٥٦

٢ — خط (القاهرة — السويس) عن طريق بنها والزقازيق والاسماعيلية ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٦٨

٣ — خط (القاهرة — السويس) عن طريق الصحراء . وقد أنشىء مرتين المرة الأولى سنة ١٨٥٨ والمرة الثانية سنة ١٩٣٠

٤ — خط (القاهرة — بور سعيد) عن طريق بنها الزقازيق والاسماعيلية وقد تمت الوصلة بين الاسماعيلية وبور سعيد بواسطة مصلحة سكه حديد الحكومة المصرية سنة ١٩٠٤

٥ — خط (القاهرة — دمياط) عن طريق بلبيس والزقازيق والمنصورة ويرجع تاريخ افتتاح هذا الخط إلى سنة ١٨٦٩

٦ — خط (القاهرة — الشلال) ويرجع تاريخ الجزء الأول منه من بولاق إلى الروضة إلى سنة ١٨٦٧ كما يرجع تاريخ الجزء الممتد من الواسطى إلى الفيوم وأبو كساه إلى سنة ١٨٦٩ ثم وصل الخط إلى الأقصر سنة ١٨٩٨ وامتد من هناك خط ضيق إلى الشلال ثم وسع سنة ١٩٢٦ . وقد تكلمنا عن هذه الخطوط بالتفصيل الوافى فى كتاب « منطقة قنال السويس » ص ٣٠٢ وما يليها .

السيارات :

ظهرت السيارات لأول مرة بالقاهرة سنة ١٩٠٣ وقد وصل عدد السيارات بها الآن إلى حوالى ٢٠٠٠٠ سيارة بين سيارات خاصة وأجرة ولورى وباس وخلاف ذلك . ويبلغ طول الشوارع المرصوفة بمدينة القاهرة الآن حوالى ألف كيلو متر تسير فوقها السيارات بخفة ورشاقة وسرعة هائلة .

أما أهم الطرق الرئيسية التى تربط القاهرة بعواصم المديريات وبالمحافظات فهى :

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية :

تم إنشاء هذا الطريق سنة ١٩٣٧ . ويبلغ طوله ١٨٦ كيلو مترا ومن هذا الطول ١٣٦ كيلو مترا رصفت بطريقة الخلط المحلى . ويبلغ عرض هذا الطريق ستة أمتار ومساحة الجزء المرصوف بالخلط المحلى بسمك ٥ سم ٨١٩٠٠٠ متر مربع . وقد قامت شركة شل برصف هذا الجزء نظير مبلغ ١١٦٠٠٠ جنيه مصرى واستغرق تمهيد هذا الجزء

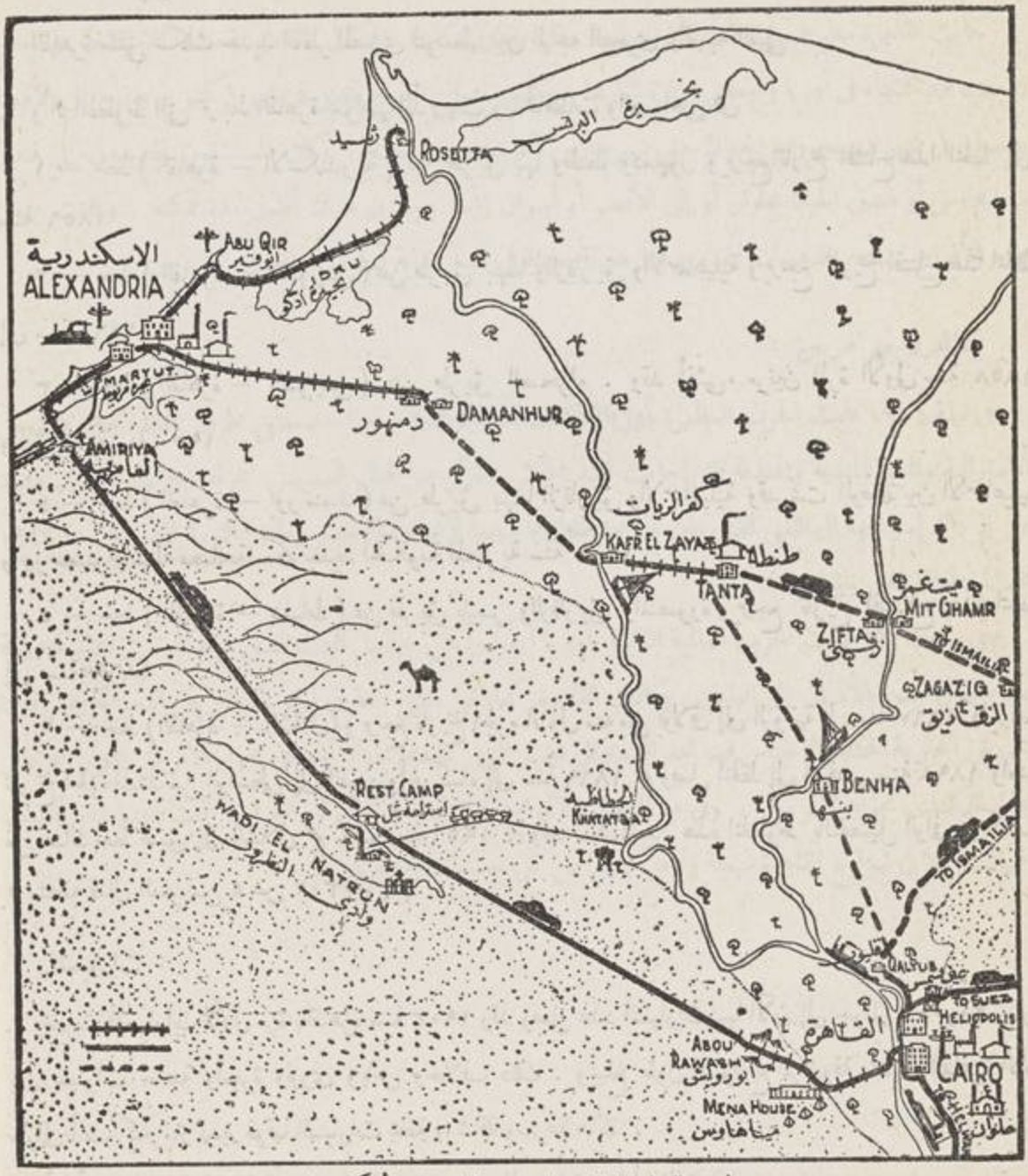

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

ورصفه مدة ستة أشهر فقط . ويشبه هذا الطريق الآن بساطاً مفروشاً وسط الصحراء . ويبدأ بجوار فندق مينا هاوس ويسير وسط الصحراء حتى يصل إلى جبل أبو رواش بطول تسعة كيلو مترات تقريباً . وكان هذا الجزء مرصوفاً بطريقة المكدام الأسفلتى قبل سنة ١٩٣٥ . كما كان هناك نحو عشرة كيلو مترات أخرى مرصوفة بطريقة المكدام الأسفلتى أيضاً من الأسكندرية إلى العامرية . فلما نشبت الحرب بين إيطاليا والحبشة وطبقت عصبة الأمم العقوبات على إيطاليا وتحرّجت الحالة الدولية طلبت السلطات العسكرية من الحكومة المصرية امتداد هذا الطريق بين أبو رواش والعامرية لوصل القاهرة بالأسكندرية عن طريق الصحراء الغربية ونشط جماعة نادى السيارات وعلى رأسهم المسيو ناستور چانا كليس صاحب فكرة طريق السيارات الصحراوى وطالبوا الحكومة باتمام رصف هذا الطريق لمواجهة الاحتمالات الحربية من جهة ولتسهيل المواصلات المدنية بين عاصمتى القطر المصرى من جهة أخرى بواسطة طريق أقصر من الطريق الزراعى البطىء بنحو ٢٠ كيلو متراً

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية .
شهادة حية لمساهمة مصر مع حليفتها فى الحرب العالمية ضد المحور . فهذا طريق مصرى تمر عليه الدبابات الانجليزية !

ورست العملية على شركة شل ، فمدت الطريق من جبل أبو رواش على بعد تسعة كيلومترات شمالى مينا هاوس إلى وادى النطرون فى صحراء معظم عناصرها مكونة من الزلط الصغير الرملى بدون انحناءات أو التواءات تقريبا . وتجد فى هذه المنطقة الآن استراحة شركة شل البديعة حيث يمكنك تناول المرطبات وسط الصحراء وشرب المياه

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

المرشحة وتزويد سيارتك بالبنزين والزيوت وكافة الاحتياجات الضرورية وأنت بالقرب من أديرة وادى النطرون الأثرية ومن معامل شركة الملح والصودا التى تستخرج من بحيرات هذا الوادى مادة النطرون وتشحنها إلى الخطاطبة فالاسكندرية لادخالها فى صناعة المفرقعات الحربية وفى صناعة الصابون .

وبعد وادى النطرون يمتد الطريق فى وسط صحراء موحشة كثيرة التلال والمنحنيات والمرتفعات والمنخفضات حتى يصل إلى العامرية وإلى مشارف الاسكندرية .

وتمر بهذا الطريق يومياً فى الاتجاهين حوالى ٢٥٠ أو ٣٠٠ سيارة مدنية وحربية وتستهلك فى اجتيازه حوالى ٥٠٠ أو ٦٠٠ صفيحة بنزين وتربح الحكومة سنويا من ذلك ما يقدر بنحو مائة الف جنيه من الضرائب .

طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والفيوم :

تم انشاء هذا الطريق فى شهر يونيو سنة ١٩٣١ وهو يبدأ من أهرام الجيزة ويمتد فى الصحراء الغربية جنوبا نحو كوم أوشيم بطول ٦٠ كيلومترا تقريباً وهذا الجزء مرصوف بالخرسانة الأسفلتية وله أساس من الحجر الجيرى ، وعرض هذا الطريق ستة أمتار .

وعند كوم أوشيم تجد مسلتين أقيمتا فى نهايته وهناك تجد حجراً نقش عليه تاريخ افتتاح الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله لهذا الطريق فى يونيو سنة ١٩٣١ .

أما باقى الطريق من كوم أوشيم إلى الفيوم فغير مرصوف وهو طريق زراعى عادى طوله حوالى ٢٤ كيلومترا . وتقطع السيارة هذا الطريق جميعه فى حوالى ساعتين .

وقبل الوصول إلى أوشيم تجد وسط الصحراء استراحة نادى الصيد الملكى وبحيرة فاروق وتبدو تائهة بين كثبان الرمال ضائعة وسط رقعة الصحراء . وتغذى هذه البحيرة ترعة أقيمت عليها السدود والبوابات وقد أنشئت حول البحيرة غابات وخططت هناك الطرق والممرات حتى غدت قطعة من النعيم تشهد بفضل الفاروق حتى على رمال الصحراء الذى جعل منها جنة فيحاء .

طريق السويس وطريق الاسماعيلية :

هذا أما طريق السويس الصحراوى وطريق القاهرة — الاسماعيلية فسبق لنا الكلام عنها فى كتاب « منطقة قنال السويس ص ٣٣٤ كما سبق تكلمنا عن خط السكة الحديد بين القاهرة والسويس فى ص ٣١٦ من نفس هذا الكتاب .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

كبارى القاهرة :

اقتضت تطورات القاهرة واتساعها وانتشار مبانيها وقصورها على الشاطىء الغربى للنيل ثم اتصالها بعواصم المديريات بواسطة الطرق الزراعية والسكك الحديدية إنشاء الكبارى الآتية :

١ — كوبرى عباس الثانى — ويصل الجيزة بجزيرة الروضة ويعد رأس الطريقين الصحراويين إلى الاسكندرية وإلى الفيوم . وطول هذا الكوبرى ٥٣٥ متراً وعرضه بالمشايين ٢٠ متراً . وعليه شريط مزدوج للترام ، وله فتحة « صينية للفتح » تدار بالكهرباء .

وسبق تكلمنا عن هذا الكوبرى فى الجزء الثانى من كتاب القاهرة ص ٣٨٨ .

٢ — كوبرى الملك الصالح — يصل جزيرة الروضة بمصر القديمة . وهو مع كوبرى عباس الثانى يتمان الاتصال بين مصر القديمة والجيزة ويعتبران رأس الطرق الصحراوية والزراعية إلى الاسكندرية وإلى الفيوم والوجه القبلى .

طوله ٨٣ متراً وعرضه ١٥ متراً .

٣ — كوبرى محمد على — يصل الطرف الشمالى لجزيرة الروضة (قصر الأمير محمد على) بالقصر العينى بمصر القديمة

طوله ٦٧ متراً وعرضه ١٥ متراً .

وقد بنيت هذه الكبارى الثلاثة شركة السير وليم أرول ، وتم تسليمها للحكومة سنة ١٩٠٨ .

تمثال سعد زغلول باشا عند مدخل كوبرى الخديوى اسماعيل من جهة جزيرة الزمالك .

٤ — كوبرى الخديوى اسماعيل — يصل القاهرة بالجزيرة (جزيرة الزمالك) . وكان مكانه كوبرى قصر النيل الذى أنشىء فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل من سنة ١٨٦٩ إلى سنة ١٨٧٢ . وكان طوله ٤٠٦ أمتار وله فتحتان للملاحة كل منهما بعرض ٢٢ مترا . وكان عرضه ١٠٫٥ متر منها متران ونصف للافريزين . وكانت حمولته خفيفة تتناسب مع حركة المرور فى ذاك الوقت . وقامت بانشائه شركة فيف ليل الفرنسية . ولما أن زادت حركة المرور ازدياداً عظيما وزادت الأثقال عن الحد المقرر ولاحظت مصلحة الطرق والكبارى وجود اهتزازات عظيمة بالكوبرى بادرت بفحص الجزء المعدنى منه فاتضح لها أن الحديد قد تبلور وأصبح الكوبرى معرضاً لاختلال فجائى . وأخيراً قر الرأى على إزالة الكوبرى القديم وإنشاء آخر بدله .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

وقد أزيل الكوبرى القديم فعلا فى أوائل سنة ١٩٣١ وأقيم الكوبرى الجديد فى موقعه بالضبط بمعرفة شركة دورمان لونج الإنجليزية تحت إشراف مصلحة الطرق والكبارى .

وقد افتتحه رسمياً جلالة الملك الراحل فؤاد الأول رحمه الله بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٩٣٣ . وقد جعل طوله ٣٨٢ متراً خصص منها خمسة أمتار للافريزين على جانبيه عرض كل منهما متران ونصف . ويقوم الكوبرى على كتفين وسبع دعائم . وله فتحتان ملاحيتان كل منهما بسعة ٢٠ متراً ويتحرك بجهاز كهربائى أوتوماتيكى وباليد إذا اقتضى الحال .

أما حمولة الكوبرى ، فهى ثلاث قاطرات متحركة بجوار بعضها بحيث يبعد محور القاطرة عن محور الأخرى ثلاثة أمتار وتتكون القاطرة من آلة جر ثقيلة وزنها ٢٢ طناً ومن ثلاث عربات وزن كل منها ١٤ طناً . وقد بلغت النفقات النهائية حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ جنيه .

٥ — كوبرى الإنجليز — وهو الذى حل محل كوبرى الأعمى القديم ويصل الجزيرة بالجيزة وهو مع كوبرى قصر النيل (الخديو إسماعيل) يتمان الاتصال بين القاهرة والجيزة . ويعتبران أيضاً رأس الطرق الصحراوية والزراعيه إلى الإسكندرية والفيوم والوجه القبلى .

طوله ١٤٥ متراً وعرضه ١٩ مترا . وهو كوبرى دائر على صينية تحرك بالكهرباء

وقد بنته شركة كليفلاند الهندسية وفتح للمرور سنة ١٩١٤ .

٦ — كوبرى فؤاد الأول — ويصل بولاق بالجزيرة . طوله ٢٧٤ متراً وعرضه ٢٠ متراً . وعليه شريط مزدوج للترام . وله فتحة ترتفع بالكهرباء وهى مصنوعة على طراز كبارى شركة شرزر التى تدور وترتفع فى آن واحد .

٧ — كوبرى الزمالك — ويصل امبابة بالجزيرة . وهو مع كوبرى بولاق (فؤاد الأول) يتمان الاتصال بين بولاق وامبابة أى بين القاهرة والشاطىء الغربى للنيل . طوله ١٢٥ متراً وعرضه ١٦½ متراً . وهو كوبرى دائر على صينية تحرك بالكهرباء . وقد بنت الكوبريين السالف ذكرهما شركة ڤيف ليل وتم تسليمهما للحكومة سنة ١٩١٢ .

٨ — كوبرى روض الفرج — هذا الكوبرى عبارة عن ممر علوى يمر فوق خطوط السكة الحديدية الموصلة للوجه القبلى ويحمل شريط مزدوج للترام . طوله ٢٨٠ متراً وعرضه ١٣ متراً . وقد بنى بمعرفة الخواجات يوم ومار بنت المقاولين سنة ١٩١٣ على حساب شركة ترام مدينة القاهرة .

٩ — كوبرى شبرا « الأحدب » — ويصل ميدان المحطة بشارع شبرا . وهو ممر علوى يمر فوق خطوط السكة الحديدية الموصلة للوجه القبلى . وقد رفع من فوقه خطوط الترام بمناسبة إنشاء نفق شبرا الجديد . وأصبح مخصصاً لمرور المشاة والسيارات الخاصة فقط وذلك لتخفيف الضغط الهائل الذى كان يقع عليه .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

١٠ — كوبرى امبابة — وقد أقيم محل الكوبرى القديم الذى بناه ديد وبيلى سنة ١٨٨٩ وافتتحه الخديو عباس حلمى الثانى فى ٥ مايو سنة ١٨٩٢ ، ودعم سنة ١٨٩٨ . وهو يحمل خطوط السكة الحديدية إلى الوجه القبلى ويصل مابين القاهرة وامبابة وطوله ٥٠٠ متر . وكان يجتازه خط مفرد . ولما تطورت حركة المواصلات نقل هذا الكوبرى إلى سمنود . وأقيم مكانه الكوبرى الحالى . وقد بنته شركة بوم ومربان فيما بين سنة ١٩١٣ و سنة ١٩٢٥ ووصلت النفقات إلى حوالى نصف مليون جنيه .

ويبلغ طوله ٤٨٦ر٢٠ متر وله ست فتحات طول كل منها ٧٠ متراً . ويجتازه خط حديدى مزدوج وله ممران جانبيان لمرور السيارات عرض كل منهما ٤ر٢٠ متر وله مشاياتان علويتان مخصصتان للمشاة عرض كل منهما ٣ر٧٥ متر .

محطات السكة الحديد بالقاهرة :

انتخب موقع محطة القاهرة الرئيسية أصلا بالقرب من فندق شبرد ومن ميدان الأزبكية حيث الفنادق الكبيرة. فأقيمت فى أول الأمر خارج أسوار المدينة عند « بوابة الحديد » وتم تشييدها وافتتاحها سنة ١٨٥٦ . وكان بها خمسة فروع من خطوط السكك الحديدية .

وقد حرقت هذه المحطة عند الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ بمناسبة انفجار بعض المفرقعات الحربية فى أحد مخازنها . وأعيد تشييد المحطة الحالية سنة ١٨٩١ على الطراز العربى الجميل الذى تراه اليوم . وأقيمت فيها البوابة الملكية صورة طبق الأصل من بوابة وكالة الغورى بشارع التبليطة بجوار الأزهر . وضمت إليها أرصفة خطوط سكك حديد وجه قبلى ، وتعتبر محطة القاهرة أكبر محطة للركاب بالقطر المصرى بل بالشرق الأدنى . وبها تسعة أرصفة يتخللها ما طوله ١٩٦٢ متراً من أشرطة السكك الحديدية . كما أن بها أربعة أكشاك للاشارات .

ويضم مبنى محطة القاهرة جميع مكاتب الادارة والاستغلال والحركة .

أما المظلة الهائلة الزجاجية الواقعة بين أجنحة المبنى فوق الأرصفة فيبلغ طولها ١٨٥ متراً وعرضها ٤٥ متراً ووزنها ١٣٠٠ طن . وقد تم تشييدها سنة ١٨٩٣ بمعرفة شركة « دايده » .

ويبلغ وزن الشخشيخة وحدها ٣٢٠ طناً وعرضها ٨ ١/٨ أمتار .

محطة كوبرى الليمون :

أنشئت هذه المحطة لتخفيف الضغط عن محطة القاهرة الرئيسية وجعلت فيها خطوط الضواحى إلى المطرية وخط القاهرة — السويس الصحراوى . وبها أربعة فروع من خطوط السكك الحديدية بأرصفتها .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

محطة باب اللوق :

هذه محطة صغيرة أنيقة أنشئت حديثاً وسط شارع منصور على رأس خط السكة الحديد من باب اللوق إلى حلوان . وهى مجرد موقف بخط مزدوج على جانبى رصيف طويل .

الملاحة النهرية :

تؤدى الملاحة النهرية لمصر خدمات جليلة . فليس النقل بالنيل مكملا للنقل بالسكة الحديدية فقط ولكن الملاحة النهرية فى بلد زراعى كالقطر المصرى حيث وسائل النقل بالسكك الحديدية و بطرق السيارات البرية لا تكفى لسد حاجته ، تتحمل فى الواقع عبئاً كبيراً لضمان نقل محاصيل الوجهين القبلى والبحرى إلى القاهرة و إلى الموانئ البحرية ويمثل الطريق النهرى الطريق الطبيعى للمواصلات بمصر وهو طريق التجارة والأسفار منذ آلاف السنين .

وقد تكونت بالقاهرة شركات كثيرة للملاحة النهرية تسير أساطيلها غادية رائحة فى النهر بين القاهرة وأقاصى البلاد لنقل محاصيل الفلاح الزراعية ومنتجات البلاد الصناعية ولتسهيل سبل السياحة والسفريات والرحلات النهرية وسواء ذلك .

وقد أدت هذه الشركات للاقتصاد المصرى خدمات جليلة خصوصاً خلال الحرب الماضية حيث اتضح أن السكك الحديدية وباقى وسائل النقل الأخرى غير كافية لمواجهة جميع الطلبات الهامة أو الخاصة التى نشأت عن هذه الحالة الاستثنائية . فقامت الملاحة النهرية بتلبية الطلبات العادية للتجارة والزراعة والصناعة .

وترسو المراكب والسفن النهرية بالقاهرة فى ساحل روض الفرج أو فى ساحل أثر النبى أو فى ساحل بولاق . وهذه السواحل الثلاثة فى حاجة شديدة إلى الإصلاح والتمهيد والتوسيع والتحسين و إنشاء موانئ نهرية بها .

وهناك مراس أخرى لسفن السياحة بجزيرة الزمالك أو على الشاطىء الغربى للنيل .

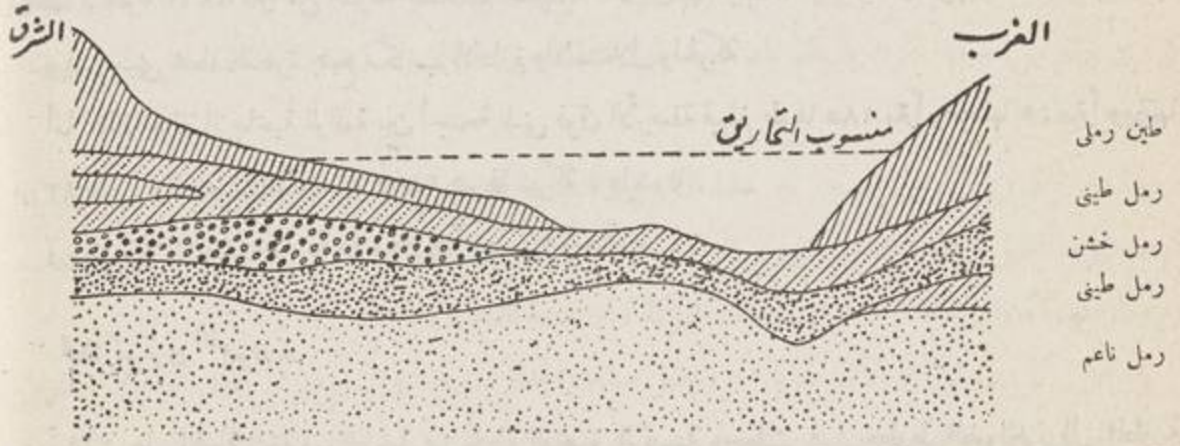

قطاع فى نهر النيل عند ساحل روض الفرج وترى فيه تكوين طبقات الأرض وعمق المياه فى زمن التحاريق . وتتبين بعض الصعوبات التى تلاقيها الملاحة النهرية بسبب عدم وجوم ميناء نهرية هناك .

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

فهرست

الجزء الثالث من كتاب « القـــاهرة »

صحيفة

مقدمة الكتاب بقلم المؤلف ٤٠٥

الفصل الأول — العصر الفاطمى من سنة (٣٥٨ — ٥٦٧) هـ — (٩٦٩ — ١١٧١) م : ٤٠٩
الفاطميون . نشأة القاهرة . انتخاب موقع الضاحية التى أنشأها جوهر . تخطيط المدينة . سور جوهر . أبواب قاهرة جوهر . القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى . أحياء القاهرة الفاطمية . أهم معالم القاهرة الفاطمية الباقية إلى اليوم : الجامع الأزهر . العناصر المعمارية وأصولها. مشروع المدينة الأزهرية . جامع الحاكم بأمر الله . باقى المساجد الفاطمية . سور بدر الجمالى . أبواب سور بدر الجمالى بالقاهرة . باب الفتوح . باب النصر . باب زويلة . الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى العصر الفاطمى .

الفصل الثانى — العصر الأيوبى من سنة (٥٦٧ — ٦٤٨) هـ — (١١٧١ — ١٢٥٠) م : ... ٤٣٥
الأيوبيون . أهم معالم القاهرة الأيوبية الباقية إلى الآن : سور صلاح الدين . السد العظيم . قلعة الجبل. بئر يوسف . المدارس الأيوبية . المستشفيات والخوانق الأيوبية . قلعة الروضة . قبة شجر الدر .

الفصل الثالث — عصر المماليك البحرية من سنة (٦٤٨ — ٧٨٤) هـ — (١٢٥٠ — ١٣٨٢) م . ٤٤٩
أهم الآثار التى شيدت فى عهد سلاطين دولة المماليك البحرية. المدرسة المعزية . المدرسة الظاهرية. جامع الظاهر . أرض اللوق . الجسر الأعظم وقناطر السباع . (ميدان السيدة زينب) . المدرسة والقبة والبيمارستان المنصورى (جامع قلاوون) . شبرا وبولاق . القاهرة فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون . بلدة بولاق . امتداد العمران بين باب الخلق والسيدة زينب . ميدان القلعة . المدرسة الناصرية . جامع الناصر محمد بالقلعة . الخانكة . أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . مدرسة السلطان حسن . جامع وخانقاه شيخو . مدرسة صرغتمش . القاهرة فى نهاية عصر المماليك البحرية .

الفصل الرابع — عصر المماليك الشراكسة من سنة (٧٨٤ — ٩٢٣) هـ — (١٣٨٢ — ١٥١٧) م ٤٦٥
أهم الآثار التى شيدت فى عهد دولة المماليك الشراكسة : مدرسة السلطان الظاهر برقوق . تربة برقوق . زاوية فرج بن برقوق أو الدهيشة . الملك المؤيد وجامع المؤيد . البيمارستان المؤيدى . الملك الأشرف برسباى والمدرسة الأشرفية . من برسباى إلى قايتباى . الملك الأشرف قايتباى وآثاره بالقاهرة . الأزبكية . آثار أخرى لقايتباى . حى قايتباى . القبة الفداوية . حى القبة . بيت القاضى أو مقعد ماماى . من قايتباى إلى طومان باى . السلطان الغورى . خان الخليلى . آثار أخرى للغورى . تجارة الهند . نهاية المماليك .

الفصل الخامس — العصر التركى من سنة (٩٢٣ — ١٢١٣) هـ — (١٥١٧ — ١٧٩٨) م ... ٤٨٠
وصف القاهرة فى صدر العصر التركى . تجارة القاهرة فى صدر العصر التركى . الامتيازات الأجنبية. وصف القاهرة فى نهاية العصر التركى . الولاة الأتراك . المساجد التى جددت فى العصر التركى . الأسبلة . أهم الآثار التى شيدت بالقاهرة فى العصر التركى . على بك الكبير .

الفصل السادس — عصر الحملة الفرنسية من سنة (١٧٩٨ — ١٨٠١) م ٤٩٢
المجمع العلمى المصرى . ثورة القاهرة الأولى . نتائج الثورة . الحرب بين الفرنسيين والعثمانيين . ثورة القاهرة الثانية . جلاء الفرنسيين عن مصر . وصف علماء الحملة للقاهرة . الوكالات وتجارة القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية . خريطة القاهرة التى رسمها علماء الحملة الفرنسية . جزيرة الزمالك.

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

صحيفة

الفصل السابع — عصر محمد على باشا من سنة (١٨٠٥ — ١٨٤٨) م ٥٠٥
مبايعة محمد على والياً على مصر . إصلاحات محمد على باشا . تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا . الخليج المصرى . الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الغربية للخليج . الأراضى والأحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج . تطورات القاهرة فى عصر محمد على باشا . قناطر الخليج . وسائل الانتقال . طريق الأوفرلاندروت أو الطريق البرى . أهم المبانى التى أنشئت بالقاهرة فى عهد محمد على باشا القصور . قصر محمد على بشبرا الخيمة . قصر الجوهرة بالقلعة . قصر الحرم . دار المحفوظات . دار الضرب . الأسبلة . المدارس الحربية . مسجد محمد على بالقلعة . حصن محمد على فوق المقطم خلف القلعة . القناطر الخيرية .

الفصل الثامن — عصر اسماعيل باشا من سنة (١٨٦٣ — ١٨٧٩) م ٥٢٦
من محمد على إلى اسماعيل . تطورات القاهرة بين عهدى محمد على واسماعيل . العباسية . الوايلية والدمرداش والمحمدى والقبة . شبرا وروض الفرج . تخطيط القاهرة فى عهد الخديو اسماعيل . مشروعات التخطيط والعمارة فى عصر اسماعيل . الاسماعيلية . الميادين التى أنشئت بالقاهرة فى عهد الخديو اسماعيل . الفجالة . شارعى كلوت بك ومحمد على . شارعى الموسكى والسكة الجديدة . حديقة الأزبكية . دار الأوبرا وشارع الأهرام . كوبرى قصر النيل . كوبرى الأسمى الآن (كوبرى الانجليز) . قصر عابدين . شركة مياه القاهرة . مآخذ عمليات المياه المتتالية فى القاهرة شركة غاز القاهرة . إسماعيل والتاريخ .

الفصل التاسع — المدينة الحديثة من سنة ١٨٧٩ إلى الآن ٥٤٣
عهد الملك فؤاد الأول . عهد الفاروق . تطورات القاهرة الحديثة . تخطيط الشوارع الحديثة . أنواع الشوارع . ميادين القاهرة . أحياء القاهرة . ميدان ابراهيم باشا . ميدان عابدين . ميدان الملكة فريدة . شارع المعز لدين الله . ميدان محمد على وميدان صلاح الدين . ميدان السيدة زينب . شارع الخليج المصرى . ميدان المحطة وميدان باب الحديد . نفق شبرا . شارع عماد الدين . شركة ترامواى القاهرة . مجارى القاهرة . مصلحة التنظيم . مداخل القاهرة من جهة السكة الحديد . من جهة الطرق الزراعية والصحراوية . من جهة الملاحة النهرية . مبنى لدار البلدية ودار المحافظة والبرلمان بالقاهرة . مصر الجديدة . مطار ألماظة . أقسام بوليس القاهرة . فرقة المطافى . شياخات القاهرة . القاهرة مدينة صناعية . القاهرة مدينة الجمعيات والمنشآت العلمية . القاهرة مدينة المتاحف . القاهرة مدينة المدارس والجامعات .

الفصل العاشر — أهم معالم القاهرة على الشاطىء الغربى للنيل ٥٧٩
الجيزة . نهر النيل بين الجيزة والفسطاط . حدائق الحيوان . جامعة فؤاد الأول . مبانى جامعة فؤاد الأول بحديقة الأورمان بالجيزة .

الفصل الحادى عشر — القاهرة فى خمسين عاما ٥٨٤
خلجان القاهرة . الحياة الاجتماعية . الملاهى . القاهرة ملتقى السياح . القاهرة بين حربين .

الفصل الثانى عشر — طرق المواصلات ٥٩١
السكك الحديدية . السيارات . طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والأسكندرية . طريق السيارات الصحراوى بين القاهرة والفيوم . طريق السويس وطرق الاسماعيلية . كبارى القاهرة محطات السكة الحديد بالقاهرة . محطة كوبرى الليمون . محطة باب اللوق . الملاحة النهرية . طرق الملاحة . عرض النيل أمام القاهرة . التماسيح فى منطقة القاهرة . التماسيح والملاحة النهرية .

انتهى الجزء الثالث من كتاب « القاهرة »

ويليه كتاب « مديرية الفيوم »

١٩٤٦/٤/١/١٦٩١

7821 - 1013
(52)

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

7821-70-3

Name of Library NYU.LIB.NEAR.EAST.4/23/69/J/

(PLEASE TYPE OR PRINT)

LETTERING FOR SPINE

(FOLLOW EXACT ARRANGEMENT OF LINES)

LB02

FARAJ [redacted]

AL-QAHIRAH

v.2

Call No.

DT
143
.F3
c.1

GLICK BOOKBINDING CORP.

Form 367C

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ

Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

قناة البصاص الوثائقية للتاريخ